

بُعَيْزَةُ الْأَيْضَاحِ

لِلدَّخِيصِ الْمَفْنَحِ
فِي عُلُومِ الْبَلَاغَةِ

تَأَلِيفُ

عَبْدِ الْمُتَعَالِ الصَّعِيدِي

الْأَسَاطِذِ بِكَلِيَّةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ كَلِيَّةِ الْإِلَهِيَّاتِ الْأَزْهَرِ

١ - ٤

النَّاشِرُ
مَكْتَبَةُ الْأَدَابِ

٤٩ مِيْدَانُ الْأَدَبِ - الْقَاهِرَةُ ٢٩٠٠٨٦٨٤

مباحث الجزء الأول

الموضوع	الصفحة
• تقديم : للشارح.....	٣
• خطبة الإيضاح.....	٨
المقدمة في تفسير الفصاحة والبلاغة.....	٩
الخلاف في تفسير الفصاحة والبلاغة.....	٩
فصاحة المفرد.....	٩
فصاحة الكلام.....	١٤
فصاحة المتكلم.....	٢٠
بلاغة الكلام.....	٢٠
بلاغة المتكلم.....	٢٤
حصر علوم البلاغة.....	٢٤
تمارين على الفصاحة والبلاغة.....	٢٥
• الفن الأول : علم المعاني	٢٧
تعريف علم المعاني.....	٢٧
أبواب علم المعاني.....	٢٨
تنبيه : انحصار الخبر في الصادق والكاذب.....	٢٩
تنبيه آخر.....	٣١
• الباب الأول : القول في أحوال الإسناد الخبري	٣٣
أغراض الخبر.....	٣٣
أضررب الخبر.....	٣٤
تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر.....	٣٦
تمارين على أغراض الخبر وأضرربه.....	٤٠
فصل : الحقيقة والمجاز العقليان.....	٤١
تنبيه.....	٤٧
أقسام المجاز العقلي.....	٤٨
وقوعه في القرآن.....	٤٩
تقسيم قرينته.....	٥٠
دقة مسلكه.....	٥٠
الخلاف في استلزامه الحقيقة.....	٥١
إنكار السكاكي له.....	٥٢
تنبيه : في بيان سبب عدم إيراد الحقيقة والمجاز العقليين في علم المعاني.....	٥٤
تمارين على الحقيقة والمجاز العقليين.....	٥٥
• الباب الثاني : القول في أحوال المسند إليه	٥٦
أغراض الحذف.....	٥٦

الصفحة	الموضوع
٥٨	<u>أغراض الذكر</u>
٦١	<u>تمرينات على الذكر والحذف</u>
٦٢	<u>أغراض التعريف ، وأغراض التعريف بالإضمار</u>
٦٣	<u>أغراض التعريف بالعلمية</u>
٦٤	<u>أغراض التعريف بالموصولية</u>
٦٧	<u>أغراض التعريف بالإشارة</u>
٧٠	<u>أغراض التعريف باللام</u>
٧٤	<u>أغراض التعريف بالإضافة</u>
٧٦	<u>أغراض التنكير</u>
٨٠	<u>تمرينات على التعريف والتنكير</u>
٨٢	<u>أغراض الوصف</u>
٨٥	<u>أغراض التوكيد</u>
٨٦	<u>أغراض عطف البيان</u>
٨٧	<u>أغراض البدل ، أغراض عطف النسق</u>
٨٨	<u>أغراض ضمير الفصل</u>
٨٩	<u>تمرينات على التوابع</u>
٩٠	<u>أغراض التقديم</u>
١٠٨	<u>أغراض التأخير</u>
١٠٩	<u>تمرينات على التقديم والتأخير</u>
١١١	<u>تخريج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر</u>
١١١	<u>وضع المضمرة موضع المظهر</u>
١١٢	<u>وضع المظهر موضع المضمرة</u>
١١٤	<u>الاتفات</u>
١٢٠	<u>الأسلوب الحكيم</u>
١٢١	<u>التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي</u>
١٢٢	<u>القلب</u>
١٢٧	<u>تمرينات على تخريج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر</u>
١٢٩	<u>● الباب الثالث : القول في أحوال المسند</u>
١٢٩	<u>أغراض الحذف</u>
١٣٥	<u>أغراض الذكر</u>
١٣٧	<u>تمرينات على الذكر والحذف</u>
١٣٨	<u>أغراض الأفراد</u>
١٣٩	<u>أغراض كون المسند فعلاً أو اسماً</u>
١٤٠	<u>أغراض تقييد الفعل بمفعول ونحوه وترك تقييده</u>

الموضوع	الصفحة
أغراض تقييد الفعل بالشرط : إنْ وإِذا	١٤٠
استطراد إلى التغليب	١٤٤
لو	١٤٩
تمرينات على أفراد المسند واسميته وفعليته وتقييده وترك تقييده	١٥٢
أغراض التنكير	١٥٣
أغراض التخصيص بالإضافة أو الوصف وتركه	١٥٣
غرض التعريف	١٥٣
أغراض كون المسند جملة	١٥٦
تمرينات على تعريف المسند وتنكيره وكونه جملة	١٥٩
أغراض التأخير وأغراض التقديم	١٦١
تنبيه : في بيان عدم اختصاص كثير مما ذكر في هذا الباب والذي قبله بالمسند إليه والمسند	١٦٣
تمرينات على التقديم والتأخير وغيرهما	١٦٤
● الباب الرابع : القول في أحوال متعلقات الفعل	١٦٥
حال الفعل مع المفعول والفاعل	١٦٥
أغراض حذف المفعول به	١٦٥
تمرينات على الذكر والحذف	١٧٥
أغراض تقديم المتعلقات على الفعل	١٧٦
أغراض تقديم بعض المعمولات على بعض	١٧٨
تمرينات على التقديم والتأخير	١٨٥

رقم الإيداع : ١٤٥٨٤ لسنة ١٩٩٩

الترقيم الدولي : I.S.B.N. 977 - 241 - 287 - X

مباحث الجزء الثانى

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٦	<u>أحوال الوصل والفصل :</u>	٣	<u>• الباب الخامس : القول فى</u>
٥٧	<u>الوصل للاشتراك فى الحكم</u>	٣	<u>القصر</u>
٥٨	<u>الفصل لعدم الاشتراك فى الحكم ..</u>	٣	<u>أقسام القصر</u>
٥٨	<u>الوصل بغير الواو من حروف العطف</u>	٨	<u>تمرينات على أقسام القصر</u>
٥٩	<u>الفصل لعدم الاشتراك فى القيد ...</u>	٩	<u>• طرق القصر : العطف :</u>
٦٠	<u>أحوال أخرى للفصل</u>	١٠	<u>النفى والاستثناء</u>
٦٢	<u>الأول : كمال الانقطاع</u>	١١	<u>إنما</u>
٦٧	<u>الثانى : كمال الاتصال</u>	١٣	<u>التقديم</u>
٦٨	<u>الثالث : شبه كمال الانقطاع</u>	١٤	<u>فروق طرق القصر</u>
٧٣	<u>الرابع : شبه كمال الاتصال</u>	٢٦	<u>تمرينات على طرق القصر</u>
٧٣	<u>الوصل لدفع الإيهام</u>	٢٨	<u>• الباب السادس : الإنشاء : التمنى</u>
٧٦	<u>الوصل للتوسط بين الكمالين</u>	٣٠	<u>الاستفهام</u>
٨٠	<u>الجامع بين الجملتين وأقسامه</u>	٤٥	<u>تمرينات على التمنى والاستفهام ...</u>
٨١	<u>محسنات الوصل</u>	٤٦	<u>الأمر</u>
٩٤	<u>فروق الجملة الحالية</u>	٤٩	<u>النهى</u>
	<u>تمرينات على الوصل والفصل</u>	٥١	<u>النداء</u>
٩٦	<u>• الباب الثامن : القول فى</u>	٥٣	<u>تنبيه</u>
	<u>الإيجاز والإطناب والمساواة</u>	٥٤	<u>تمرينات على الأمر والنهاى والنداء</u>
	<u>تعريف السكاكى للإيجاز والإطناب</u>		<u>• الباب السابع : القول فى</u>
٩٦	<u>والمساواة</u>	٥٥	<u>الوصل والفصل</u>
٩٧	<u>تعريف الخطيب</u>	٥٥	<u>تعريف الوصل والفصل</u>

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٢٠	<u>الإيجال</u>	٩٨	<u>الإخلال - التطويل - الحشو</u>
١٢٢	<u>التذليل</u>	١٠٣	<u>• القسم الأول : المساواة</u>
١٢٥	<u>التكميل</u>		<u>• القسم الثاني : الإيجاز - إيجاز</u>
١٢٧	<u>التتميم</u>	١٠٤	<u>القصر</u>
١٢٩	<u>الاعتراض</u>	١٠٧	<u>إيجاز الحذف</u>
١٣٣	<u>الإطناب بغير هذه الأنواع</u>	١١٧	<u>• القسم الثالث : الإطناب</u>
١٣٥	<u>الإيجاز والإطناب النسبيان</u>		<u>أقسام الإطناب : الإيضاح بعد</u>
	<u>تمرينات على الإيجاز والإطناب</u>	١١٧	<u>الإبهام وفروعه</u>
١٣٧	<u>والمساواة</u>	١١٩	<u>ذكر الخاص بعد العام</u>
١٣٩	<u>الفهرس</u>	١١٩	<u>التكرير</u>

رقم الإيداع : ١٤٥٨٥ لسنة ١٩٩٩

الترقيم الدولي : 8 - 288 - 241 - 977 - I.S.B.N.

مباحث الجزء الثالث

الموضوع

الصفحة	الصفحة
٤٩..... تشبيه التسوية والجمع	<u>الفن الثاني علم البيان :</u>
٥٠..... • أقسام التشبيه باعتبار وجهه :	٣..... تعريف علم البيان
٥١..... التمثيل	٤..... أقسام الدلالة
٥١..... غير التمثيل ، المجهل	٦..... أبواب علم البيان
٥٣..... الفصل	٧..... • الباب الأول : القول في التشبيه :
٥٥..... القريب المبتذل	٧..... تعريف التشبيه
٥٦..... البعيد الغريب	٧..... تأثير التشبيه
٦٣..... التشبيه البعيد هو التشبيه البليغ	٩..... أسباب تأثير التشبيه
٦٤..... تحول القريب إلى بعيد	١٣..... أركان التشبيه
٦٤..... • أقسام التشبيه باعتبار أدواته :	١٣..... طرفا التشبيه
٦٧..... المؤكد	١٥..... وجه التشبيه
٦٨..... المرسل	الوجه الداخِل في الطــــرفين
٦٨..... • أقسام التشبيه باعتبار الغرض :	١٩..... والخارج عنهما
٦٩..... المقبول - المردود	٢٠..... الوجه الواحد وغيره والحسّ والعقل
٧٠..... خاتمة : مراتب التشبيه	٢١..... الواحد الحسّ . الواحد العقلي
٧٢..... تمرينات على التشبيه	٢٢..... المركب الحسّ
٧٤..... • الباب الثاني : الحقيقة والمجاز :	٢٨..... المركب العقلي
٧٤..... تعريف الحقيقة	٢٩..... دقيقة في الوجه المركب
٧٤..... تعريف الوضع	٣١..... المتعدد الحسّ ، المتعدد العقلي
٧٦..... إنكار الوضع ، تعريف المجاز المفرد	٣١..... المتعدد المختلف ، أداة التشبيه
أقسام الحقيقة والمجاز المفرد	الغرض من التشبيه : ما يعود إلى
٧٨..... واشتقاقهما	المشبه من أغراض التشبيه
تقسيم المجاز المفرد إلى مرسل واستعارة	ما يعود إلى المشبه به من أغراض
٧٨..... المرسل وعلاقاته :	التشبيه
٧٩..... علاقة السببية والمجاورة	أقسام التشبيه باعتبار طرفيه :
٨٢..... علاقة الجزئية	٤٣..... تشبيه المفرد بالمفرد
٨٣..... علاقة الكلية	٤٥..... تشبيه المركب بالمفرد
٨٣..... علاقة السببية أيضا	٤٧..... تشبيه المفرد بالمركب
	٤٧..... تشبيه المركب بالمفرد
	٤٨..... التشبيه الملفوف والمفروق

الصفحة	الصفحة
الأصلية والتبعية ١١٦	علاقة المسببية ٨٤
أقسام الاستعارة باعتبار الخارج: المطلقة ١٢٠	علاقة اعتبار ما كان . علاقة اعتبار
المجردة ١٢٠	ما يكون ٨٦
المرشحة ١٢١	المحلية، علاقة الحالية، علاقة الآلية ٨٧
المجاز المركب أو التمثيل ١٢٦	المرسل الخالي عن الفائدة والمفيد ٨٨
فصل : الاستعارة المكنية والتخييلية ١٣٢	● الاستعارة التصريحية : ٩٠
فصل : اعتراضات على السكاكي : ١٣٦	الفرق بين الاستعارة والتشبيه المؤكد ٩٣
الاعتراض عليه في تعريف الحقيقة	التجريد ليس استعارة ولا تشبيها ٩٧
والمجاز ١٣٧	الاستعارة مجاز لغوي لا عقلي ٩٩
الاعتراض عليه في جعل التمثيل	التوفيق بين الادعاء في الاستعارة
من المجاز المفرد ١٣٨	والقرينة المانعة ١٠٠
الاعتراض عليه في تعريف التخييلية ١٣٨	الفرق بين الاستعارة والكذب ١٠٢
الاعتراض عليه في تعريف المكنية ١٤١	الاستعارة لا تدخل في الأعلام ١٠٢
الاعتراض عليه في رد التبعية إلى	قرينة الاستعارة ١٠٣
المكنية ١٤٢	● تقسيمات الاستعارة :
فصل : شروط حسن الاستعارة ١٤٤	أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين ١٠٤
فصل : المجاز بالحذف والزيادة ١٤٦	أقسام الاستعارة باعتبار الجامع ١٠٦
إنكار المجاز بالحذف والزيادة ١٤٧	ما يدخل جامعها في مفهوم
تمرينات على المجاز المرسل	الطرفين ١٠٦
والاستعارة ١٤٨	ما يخرج جامعها عن مفهوم
● الباب الثالث: القول في الكناية ١٥٠	الطرفين ١٠٨
تعريف الكناية ١٥٠	أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين
أقسام الكناية ١٥١	والجامع ١١٢
المطلوب بها غير صفة ولا نسبة ١٥١	استعارة محسوس لمحسوس بوجه
المطلوب بها صفة ١٥٣	حسي ١١٢
المطلوب بها نسبة ١٥٨	استعارة محسوس لمحسوس بوجه
الكناية العرضية ١٦١	عقلي ١١٣
التعريض والتلويح والرمز والإيماء	استعارة محسوس لمحسوس بوجه
والإشارة ١٦٢	مختلف ١١٤
تمرينات على الكناية ١٦٥	استعارة معقول لمعقول ١١٥
قننيه : الموازنة بين المجاز والحقيقة	استعارة محسوس لمعقول . استعارة
والكناية والتصريح ١٦٧	معقول لمحسوس ١١٦
البلاغة والفصاحة عند السكاكي ١٦٩	أقسام الاستعارة باعتبار المستعار :

فهرست الجزء الرابع

الموضوع	ص	الموضوع	ص
تعريف علم البديع	٣	الجمع مع التفريق	٣٤
تقسيم المحسنات إلى معنوية ولفظية	٤	الجمع مع التقسيم	٣٤
• أقسام المحسن المعنوي	٤	الجمع مع التفريق والتقسيم	٣٦
المطابقة أو الطباق	٤	التقسيم بمعينين آخرين	٣٦
الطباق الظاهر والخفي	٧	التجريد	٣٨
طباق الإيجاب وطباق السلب	٧	المبالغة المقبولة	٤١
الطباق المسمى تدبيجا	٨	المذهب الكلامي	٤٤
ما يلحق بالطباق	١٠	حسن التعليل	٤٦
ما يخص من الطباق باسم المقابلة	١١	ما يلحق بحسن التعليل	٥٠
مراعاة النظر أو التناسب - تشابه الأطراف	١٤	التفريع	٥٠
إيهام التناسب	١٧	تأكيد المدح بما يشبه الذم	٥١
إرجاع التفويف إلى التناسب والمطابقة	١٧	تأكيد الذم بما يشبه المدح	٥٣
الإرصاد أو التسهيم	١٨	الاستبعاد	٥٤
المشاكلة	١٩	الإدماج	٥٤
الاستطراد	٢١	التوجيه	٥٦
إيهام الاستطراد	٢٢	الهزل الذي يراد به الجد	٥٨
المزاوجة	٢٣	تجاهل العارف	٥٩
العكس والتبديل	٢٣	القول بالموجب	٦١
الرجوع	٢٥	الأطراد	٦٣
التورية أو الإيهام	٢٥	تمزيقات على المحسنات المعنوية	٦٥
الاستخدام	٢٩	• المحسنات اللفظية: أقسام المحسن اللفظي	٦٩
اللفظ والنشر	٣٠	الجناس: الجناس التام وأقسامه	٦٩
الجمع	٣٢	الجناس الناقص	٧٢
التفريق	٣٢	الجناس المضارع واللاحق	٧٤
التقسيم	٣٣	الجناس المقلوب المجنح والجناس المزدوج	٧٥

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١١١	<u>النقل</u>	٧٥	<u>ما يُلحق بالجناس</u>
١١٢	<u>القلب</u>	٧٧	<u>رد العجز على الصدر</u>
١١٤	<u>ما يتصل بالسركات الشعرية</u>	٨١	<u>السجع وأقسامه</u>
١١٤	<u>الاقتباس</u>	٨٢	<u>السجع المطرف</u>
١١٩	<u>التضمين</u>	٨٢	<u>الترصيع</u>
	<u>تقسيم التضمين إلى استعانة وإبداع</u>	٨٢	<u>السجع المتوازي</u>
١٢٢	<u>أورفو</u>	٨٢	<u>شروط حسن السجع</u>
١٢٢	<u>العقد</u>	٨٣	<u>السجع القصير والطويل والمتوسط</u>
١٢٤	<u>الحل</u>	٨٤	<u>سكون أصحاج الفواصل</u>
١٢٦	<u>التلميح</u>	٨٥	<u>الخلاف في إطلاق السجع في القرآن والشعر</u>
١٢٩	<u>تمرينات على السركات الشعرية</u>	٨٦	<u>التشطير</u>
١٣١	<u>الفصل الثاني: مواضع التآلق في الكلام</u>	٨٦	<u>التصریح</u>
١٣١	<u>حسن الابتداء</u>	٨٧	<u>الموازنة والمماثلة</u>
١٣٢	<u>قبح الابتداء</u>	٨٨	<u>القلب</u>
١٣٤	<u>براعة الاستهلال</u>	٨٩	<u>التشريع</u>
١٣٥	<u>حسن التخلص</u>	٩٠	<u>لزوم ما لا يلزم</u>
١٣٦	<u>الاقتضاب</u>	٩١	<u>أصل الحسن في القسم اللفظي</u>
١٣٧	<u>الاقتضاب القريب من التخلص</u>	٩٣	<u>تمرينات على المحسنات اللفظية</u>
١٣٨	<u>حسن الانتهاء</u>	٩٥	<u>• خاتمة في فصلين يلحقان بالبدیع</u>
١٣٩	<u>براعة المقطع</u>	٩٦	<u>الفصل الأول السركات الشعرية</u>
١٤٠	<u>تمرينات على مواضع التآلق في الكلام</u>	٩٧	<u>أقسام السرقة الظاهرة</u>
١٤١	<u>فهرس الآيات القرآنية</u>	٩٧	<u>النسخ والانتحال</u>
١٤٤	<u>فهرس الأحاديث الشريفة والآثار</u>	١٠١	<u>الإغارة أو المسخ</u>
١٤٥	<u>فهرس الأمثال والحكم</u>	١٠٥	<u>الإلمام أو السلخ</u>
١٤٦	<u>فهرس الأشعار</u>	١٠٩	<u>أقسام السرقة غير الظاهرة</u>

بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح فى علوم البلاغة

تأليف

عبد المتعال الصعدي

الأستاذ بكلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر

الجزء الأول

من أول الإيضاح حتى القصر فى علم المعانى

تنبيه : قد وضعنا الإيضاح للخطيب القزوينى بأعلى الصفحة ، ووضعنا شرحه

« بغية الإيضاح » بأسفلها

طبعة نهاية القرن : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

الناشر : مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة ت : ٣٩٠٠٨٦٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم للشارح

أردتُ - قبل الشروع في شرح كتاب «الإيضاح لتلخيص المفتاح» لأبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني (المتوفى ٧٣٩ هـ) ، بكتابه « بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح » - أن أضع هذا التقديم ، لأبين فيه منزلة كتاب الإيضاح بين كتب البلاغة ، ولماذا آثرته من بينها بشرحى له ؟

والكلام فى هذا يرجع بى إلى المدرسة التى ينتمى إليها كتاب الإيضاح من بين مدارس علوم البلاغة ، وهى مدرسة الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني (المتوفى ٤٧١ هـ) الذى ذهب بالشهرة فى هذه العلوم ، حتى عدّوه بحق شيخ البلاغة ؛ لأنه هو الذى وضع أساسها الصحيح بكتابه - دلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة - وكان يسمّى مسائل البلاغة علم البيان ، وقد ذكر أن هذا العلم لقى من الضيم ما لقى ، ودخل على الناس من الغلط فى معناه ما دخل ، فأراد أن يوفيه حقه ويقرّر قواعده تقريراً يليق به ، فوضع فيه هذين الكتابين .

وهو يسميه علم البيان بالمعنى الذى يشمل علوم البلاغة الثلاثة الآتية : المعانى ، والبيان ، والبديع - لأن البيان هو المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير ، والعلوم الثلاثة لها تعلق بالكلام الفصيح تصحيحاً وتحسيناً ، على ما سيأتى من الفرق بينهما فى ذلك ، وإذا كان عبد القاهر لم يفصح عن هذا الفرق بين مباحثها ، فقد أشار إليه بتخصيص كتابه « دلائل الإعجاز » لمباحث نظم الكلام ؛ من ذكر وحذف وتقديم وتأخير ونحوها ؛ فإنه لا يتعرض لغيرها فيه إلا نادراً ، وهذه المباحث هى : مباحث علم المعانى ، وبتخصيص كتابه « أسرار البلاغة » لمباحث الدلالة من الحقيقة والمجاز والتشبيه والاستعارة ونحوها ، وهذه المباحث هى مباحث علم البيان بمعناه الذى صار إليه أخيراً ، ثم ذكر المحسنات التى اختصّ بها أخيراً علم البديع وأشار إلى منزلتها من البلاغة من رجوعها إلى التحسين لا غير ، فلا تُطلب فيها على سبيل الوجوب كما يُطلب ما يتعلّق منها بالنظم والدلالة ، وقد ذهب إلى أن الحسن

لا يمكن أن يكون للفظ في ذاته من غير نظر إلى المعنى ، حتى ما يُتوهم في بدء الفكرة أن الحسن فيه لا يتعدى اللفظ والجرس كالتجنيس ؛ لأنك لا تستحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً ؛ ولهذا استُقبِح قول أبي تمام :

ذهبت بمذهبه السّماحة فالتوت فيه الظنون أمذهب أم مذهب !

لأنه لم يزد على أن أسمعك حروفاً مكررة ؛ تروم لها فائدة فلا تجدها إلا مجهولة منكورة .

وكان أسلوب عبد القاهر في كتابيه أسلوباً بليغاً ممتازاً ، يساعد على تربية ملكة البلاغة ولا يفسدها ، ولا عيب فيه إلا أن يسرف في العبارات المترادفة ؛ حتى تطغى على تقرير القواعد وعلى ما عنى به من استخلاص أسرارها من الشواهد النثرية والشعرية ، وهو فيما عنى به من الأمرين الناقد الأديب ، والبليغ الممتاز ، وقد طفر بهذا في علم البلاغة طفرة لم يُسبق إليها ، ولم يأت بعده من سار على هديها حتى لا تقف عند هذا الحد ؛ لأن شمس العلم في عصره كانت آخذة في الأفول ، كما يقول في ذلك :

كبر على العلم يا خليلي ومل إلى الجهل ميل هائم
وعش حماراً تعيش سعيداً فالسعد في طالع البهائم

وإذا كان هذا حال عصره فإن حال ما بعده من العصور كان أسوأ ؛ فتقهقر علم البلاغة بعده ولم يتقدم .

* ثم جاء أبو يعقوب السكاكي بعد عبد القاهر ، فلمح ما أشار إليه فيما سبق من الفروق الثلاثة بين مباحث علم البلاغة ؛ فميز بعضها عن بعض تمييزاً تاماً ، وجعل لكل مبحث منها علماً خاصاً ؛ فكان من هذه علوم البلاغة الثلاثة السابقة ، ثم جاره في تقرير قواعدها ، وزاد عليه زيادات كثيرة في تقريرها ، وهذا في قسم البيان من كتابه « مفتاح العلوم » ، وقد جرى على ترتيبه لهذه المباحث من أتى بعده من المتأخرين ، فكان عمدتهم في هذا الترتيب ، ولم يستفيدوا إلا قليلاً ممن كتب قبله أو بعده في علم البلاغة ، ممن لم يجرفيها على منواله ، ولم ينح فيها نحوه .

ولا شك أن السكاكي بهذا يُعد إلى حد ما من تلاميذ مدرسة عبد القاهر ، ولكنه كان ناقداً ولم يكن أديباً ؛ لأن أسلوبه في كتابه لم يكن أسلوباً بليغاً ممتازاً مثل عبد القاهر ؛ لأن العجمة كانت غالبية على أسلوبه ، وكان الأسلوب التقريرى

الذى لا يُعنى إلا بتقرير القواعد غالباً عليه ، فكان فى أسلوبه كثيرٌ من الغموض والتعقيد وضعف التأليف ، ومثل هذا قد يفيد الناظر فيه علماً ، ولا يفيد أسلوباً بليغاً ، بل يفسد فيه ملكة البلاغة ، وبهذا يكون ضرره أكبر من نفعه .

وقد جاء بعد السكاكى عالمان كبيران أرادا أن يحذوا فى علم البلاغة حذوه ؛ أولهما : بدر الدين ابن مالك (المتوفى ٦٨٦ هـ) ابن النحوى المشهور ، فى كتابه « المصباح لتلخيص المفتاح » وثانيهما : الخطيب القزوينى (المتوفى ٧٣٩ هـ) فى كتابيه « تلخيص المفتاح » و« الإيضاح لتلخيص المفتاح » ؛ وثانيهما كالشرح للأول . فأما مصباح ابن النازم فإنه لم يهذب كثيراً من مفتاح السكاكى فى علم البلاغة ؛ لأن ملكة النحو كانت غالبية عليه ، وكان هذا سبباً فى إعراض المتأخرين عن كتابه . وأما تلخيص الخطيب القزوينى فإنه هذب كثيراً من مفتاح السكاكى ؛ فقدم فى مباحثه وآخر ، وزاد عليه ما تجب زيادته من كتب البلاغة ، وكان أسلوبه فيه أوضح من أسلوب السكاكى ، ولكنه جعله أسلوباً تقريرياً لا يُعنى إلا بجمع القواعد فى أوجز لفظ ؛ حتى أسرف فى الإيجاز إسراف عبد القاهر فى الإطناب ، وجعل من تلخيصه متناً يحتاج إلى شروح وحواشٍ وتقارير ، ولكن عيبه هذا كان موضع تقدير المتأخرين وإعجابهم .

* فلما فرغ من تلخيصه شعر هو أيضاً بحاجته إلى شرح ، فوضع كتابه الإيضاح كشرح له ، يجرى على ترتيبه فى إطناب يختصره أحياناً من كتابى عبد القاهر ، وأحياناً من كتاب السكاكى مع شىء من التهذيب فيه ، ومع كثير من النقد الذى يفصله أحياناً ، ويرمز إليه أحياناً بقوله : وفيه نظر . وبهذا جاء الإيضاح وسطاً بين إيجاز التلخيص ، وإسهاب عبد القاهر . وكان بهذا هو الكتاب الممتاز على غيره من كتب البلاغة القديمة .

ولكنه على هذا لم يُرزق من الخطوة عند المتأخرين ما رزق التلخيص ؛ لأنهم شُغِفُوا بالمتون حفظاً وشرحاً . وقد نظروا إلى التلخيص على أنه متن من المتون ، فشَغِفُوا بحفظه وشرحه . وكان من السابقين إلى شرحه سعد الدين التفتازانى ، من علماء العجم ؛ فوضع له شرحاً مطولاً سماه « المطول » ، وشرحاً مختصراً سماه « المختصر » . وكان سعد الدين من علماء العجم الذين تأثروا بالسكاكى فى طريقته التقريرية ، وفى ضعف أسلوبه لضعف سليقته العربية ؛ بل كان هو وأمثاله ممن أتى بعد السكاكى من علماء العجم أضعف منه ذوقاً أدبياً ، وسليقة عربية ؛ فمضوا فى الطريقة التقريرية إلى أن وصلوا إلى نهايتها فى البعد عن الذوق الأدبى ، ثم أخذوا

ينشرونها هنا وهناك إلى أن غزت علماء العرب ، وغزت جميع العلوم من عربية ، إلى دينية ، إلى غيرها من العلوم . وصارت عنايتها بتقرير عبارات المتون أكثر من عنايتها بتقرير مسائل العلوم .

* ثم تهافت المتأخرون من علماء البلاغة على شرحي سعد الدين على التلخيص ، يضعون عليها الحاشية بعد الحاشية ، ويضعون على الحاشية التقرير بعد التقرير ، وشُغِف المدرسون بتلك الكتب في الجامع الأزهر وغيره من الجامعات الإسلامية في الأقطار المختلفة ، يتعمقون في درسها إلى أقصى حدود التعمق ، وينتقلون في درسها من المتن إلى الحاشية إلى التقرير ، في استقصاء غريب ، وتفنن في الفهم والبحث . ولو أن كل هذا في صميم مسائل البلاغة لهان الخطب ، ولكن أكثره في بحوث خارجة عن هذه المسائل ، وفي أسلوب ركيك يُفسد ملكة البلاغة ؛ فإذا كانت فيه فائدة قليلة ؛ فإنها تضيع في هذا الخضم الذي لا فائدة فيه .

* وقد تأبى كتاب « الإيضاح » وطريقته السابقة على المتأخرين من علماء البلاغة ؛ فلم يضعوا عليه من الشروح والحواشي والتقارير مثل ما وضعوا علي كتاب التلخيص اللهم إلا شرحاً ضعيفاً للأقسرائي لا يزال مخطوطاً بدار الكتب المصرية ، ومن الخير أن يبقى مخطوطاً فيها ؛ لأنه يذهب مذهب غيره في الطريقة التقريرية . وينأى عن طريقة كتاب الإيضاح السابقة ؛ فيكون ضرره فيها أكثر من نفعه .

* ولما كان « التلخيص » كالأصل لكتاب « الإيضاح » ؛ كان هذا مما يدعو قارئه إلى أن يرجع في كثير من مسائله إلى ما وُضع على كتاب التلخيص من شروح وحواش وتقارير ؛ فإذا رجع إليها غرق في ذلك الخضم من البحوث التي لا طائل تحتها ، وضاع به ما يكتسبه من كتاب الإيضاح من ذوق أدبي ؛ لأن تلك الشروح والحواشي والتقارير تغطي عليه .

فرايتُ أن أنأى بقارئ كتاب الإيضاح عن تلك الشروح والحواشي والتقارير ؛ بوضع تعليقات عليه تشتمل على ما يأتي :

١ - اختيار ما تلزم إضافته إليه مما هو من صميم مسائل البلاغة من تلك الشروح والحواشي والتقارير . واختيار هذا من ذلك الخضم من المباحكات اللفظية ليس بالأمر السهل ؛ لأنه يحتاج إلى فهم صحيح لها ، وإلى ذوق أدبي يميز الصالح للاختيار من غيره .

٢ - شرح الشواهد النظمية شرحاً موجزاً ينسبها إلى قائلها ، ويفسر غريبها ويبين ما فيها من فوائد بلاغية ، وموضع الشاهد فيها . ويعلم الله كم تعبت في ذلك كله ، ولا سيما في نسبتها إلى قائلها .

٣ - وضع عناوين كل باب من أبوابه لموضوعاته المختلفة ؛ ليسهل الرجوع إليها ، ووضع تمرينات آخر كل موضوع منها للاختبار فيها ، ولفت طالب علوم البلاغة إلى أهم ناحية فيها .

٤ - نقد ما يجب نقده من مسائله . ولا سيما المسائل التي ينقلها عن السكاكي . وفيها من التكلّفات والتعقيدات ما ينأى عن ذوق الأدب والبلاغة .

٥ - صياغة التعليقات في أسلوب لا يكون فيه تعقيد ولا تطويل مملّ ، ولا إيجاز مُخلّ ؛ حتى تكون ملائمة لذوق موضوعها من علوم البلاغة .

وقد سميت ما وضعته من هذه التعليقات :

« بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح » .

والله أسأل النفع بها ، وأن تكون خطوة في هذه العلوم لما بعدها .

عبد المتعال الصعدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الإيضاح

قال الشيخ الإمام العالم العلامة خطيب الخطباء مفتى المسلمين جلال الدين أبو عبد الله محمد ، ابن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمن ، ابن إمام الدين أبي حفص عمر القزويني الشافعي ، متّع الله المسلمين بمحيّاه ، وأحسن عقّباه : الحمد لله رب العالمين . وصلاته على محمد وعلى آل محمد أجمعين .
أما بعد . .

فهذا كتابٌ في علم البلاغة وتوابعها ، ترجمته « بالإيضاح » ، وجعلته على ترتيب مُختصرٍ الذي سمّيته « تلخيص المفتاح » ، وبسطتُ فيه القول ليكون كالشرح له ، فأوضحت مواضعه المشكّلة ، وفصّلت معانيه المُجمّلة ، وعمدتُ إلى ما خلا عنه المختصر مما تضمنه « مفتاح العلوم » ، وإلى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني رحمه الله في كتابيه « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة » ، وإلى ما تيسر النظر فيه من كلام غيرهما ؛ فاستخرجت زبدة ذلك كله ، وهذبتها ورتبتها ، حتى استقر كل شيء منها في محله ، وأضفت إلى ذلك ما أدّى إليه فكري ، ولم أجده لغيري ؛ فجاء بحمد الله جامعاً لأشتات هذا العلم ، وإليه أرغب أن يجعله نافعا لمن نظر فيه من أولى الفهم ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

* * *

مقدمة

في الكشف عن معنى الفصاحة والبلاغة ، وانحصار علم البلاغة
في علمي المعاني والبيان (١) .
الخلاف في تفسير الفصاحة والبلاغة :

للناس في تفسير الفصاحة والبلاغة أقوال مختلفة (٢) ، لم أجد فيما بلغني
منها ما يصلح لتعريفهما به (٣) ، ولا يشير إلى الفرق بين كون الموصوف بهما الكلام

(١) إنما حصر علم البلاغة في علم المعاني والبيان ؛ لأن علم البديع يبحث في المحسنات
التي تكون بعد رعاية وجوه البلاغة والفصاحة في الكلام . وقدّم الكشف عن معنى الفصاحة
والبلاغة على بيان انحصار علم البلاغة في هذه العلوم ؛ لأن معرفة انحصاره فيها تتوقف على
الكشف عن معنى الفصاحة والبلاغة ، وبهذا كان صنيعة أحسن من السكاكي ؛ لأنه ذكر الكلام
على الفصاحة والبلاغة في آخر علم البيان .

(٢) منها قول أكنثم بن صيفي : « البلاغة الإيجاز » . وقول أرسطو : « البلاغة حسن
الاستعارة » . وقول ابن المقفع : « البلاغة قلّة الحصر ، والجرأة على البشر » . وقول بعضهم :
« البلاغة تصوير الحق في صورة الباطل ، وتصوير الباطل في صورة الحق » . والأول كقول محمد
بن عبد الملك الزيات : « الرحمة خور في الطبيعة ، وضعف في المنّة » . والثاني كقول الحارث بن
حلزة :

عيشي بجدا لا يضُرُّك النوك ما لا قيت جدّا
والعيش خير في ظلا ل النوك من عاش كدّا

وأقوال المتقدمين كثيرة في البلاغة ، والظاهر أن جمهورهم لم يكن يفرّق بينها وبين
الفصاحة ، وقد نقل عن أفلاطون أن : « الفصاحة لا تكون إلا لموجود ، والبلاغة تكون لموجود
ومفروض » . ولعله يعنى بالموجود اللفظ ، وبالمفروض المعنى . وقال العاص بن عدي :
« الشجاعة قلب ركين ، والفصاحة لسان رزين » . وهو يعنى باللسان اللفظ ، وبالرزين ما فيه
فخامة وجزالة ، وقال بعضهم : الفصاحة تمام آلة البيان ، وهي عنده مقصورة على اللفظ أيضاً ؛
لأن الآلة - وهي اللسان - تتعلق باللفظ دون المعنى .

(٣) لأن هذه الأقوال يقصد منها ذكر أوصاف البلاغة والفصاحة ، ولا يقصد منها حقيقة
الحدّ والرسم ، وقد قصد بعض العلماء بعد هذه الأقوال إلى حقيقة الحدّ والرسم ، فقاربوا ولم
يصلوا إليهما ، ومنهم أبو هلال العسكري في - الصناعتين . فعرف البلاغة بأنها : كل ما تُبلغ
به المعنى قلب السامع لتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسه مع صورة مقبولة ومعرض حسن .
وذكر أنه اختلف في الفصاحة ؛ فقليل : إنها مأخوذة من قولهم : أفصح عما في لسانه إذا أظهره ؛
وعلى هذا ترادف البلاغة . وقيل : إنها تمام آلة البيان ؛ فلا يكونان مترادفين ؛ لأن الفصاحة تكون
حينئذ مقصورة على اللفظ ، وكذلك كان السكاكي في « المفتاح » كما سيأتي في كلامه عليهما .

وكون الموصوف بهما المتكلم ؛ فالأولكى أن نقتصر على تلخيص القول فيهما بالاعتبارين ؛ فنقول :

كل واحدة منهما تقعُ صفةً لمعنيين : أحدهما الكلام ، كما فى قولك : « قصيدة فصيحة أو بليغة ، ورسالة فصيحة أو بليغة » ، والثانى المتكلم (١) كما فى قولك : « شاعر بليغ أو فصيح ، وكاتب فصيح أو بليغ » ، والفصاحة خاصةً تقع صفةً للمفرد ؛ فيقال « كلمة فصيحة » ولا يقال « كلمة بليغة » .

فصاحة المفرد

* أما فصاحة المفرد : فهى خلوصه من تنافر الحروف ، والغرابية ، ومخالفة القياس اللغوى .

فالتنافر منه ما تكون الكلمة بسببه متناهية فى الثقل على اللسان وعُسْر النطق بها (٢) ؛ كما روى أن أعرابيا سئل عن ناقتة فقال : « تركتها ترعى الهُعُخُع » (٣) ، ومنه ما هو دون ذلك ؛ كلفظ « مستشزر » فى قول امرئ القيس :

(١) يرى أبو هلال العسكري أن البلاغة من صفة الكلام لا المتكلم ؛ ولهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى بليغاً ؛ إذ لا يجوز أن يوصف بصفة كان موضوعها الكلام ، وأما تسمية المتكلم بليغاً فتوسع ، وحقيقته أن كلامه بليغ ، ثم كثر استعمال ذلك حتى صار كالحقيقة ، ويرى أيضاً أنه لا يجوز أن يسمى فصيحاً ؛ لأن الفصاحة تتضمن معنى الآلة وهى اللسان ، هذا ، وقد اعتمد الخطيب فى ذلك التقسيم على ما جاء فى (حسن التوسل) لأبى الشفاء الحلبي ، وكذلك اعتمد عليه فى كثير من الموضوعات الآتية فى العلوم الثلاثة .

(٢) ذكر ابن الأثير أن المعول فى ذلك على الذوق الصحيح ، فما يَعهده ثَقِيلاً عسر النطق فهو متنافر ، سواء أكان ذلك من قرب مخارج الحروف أم من بعدها أم من غيرهما ، وذكر ابن سنان الخفاجى أن قرب المخارج يكون سبباً فى قبح اللفظ ، وبعدها يكون سبباً فى حسنه ، وذلك غير صحيح ؛ لأن الكلمتين قد تتركبان من حروف واحدة وتكون إحداها ثقيلة دون الأخرى ، وذلك مثل (عَلمٌ ومَلْعٌ) ؛ فالأولى خفيفة على اللسان ولا ينبوعنها الذوق ، بخلاف الثانية ، مع اتحاد حروفهما ، وقد تتألف الكلمة من حروف متقاربة ولا ثقل فيها مثل (دُقْتُه بَقَمى) فالباء والفاء والميم أحرف شقوية متقاربة ولا ثقل فيها ، ولكن مع هذا لا يمكن إنكار ما لمخارج الحروف وصفاتها وهيئة تأليفها من الأثر فى خفة الكلمة وثقلها ، وإنما عُول على الذوق دونه ؛ لأنه لا يجرى على قاعدة معروفة ، وقد زعم الزوزنى أن فى قوله تعالى - آية ٦٠ سورة يس : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنَى آدَمَ ﴾ ثقلًا قريباً من التناهى لقرب مخرج الهمزة والعين والهاء ، مع أن الكلمة خفيفة فى الذوق ، وهى سقطت من الزوزنى .

(٣) قيل : إنه اسم شجر ، وقيل : إنه معاية لا أصل لها . ومثله كل كلمة يجمع فيها بين العين والحاء أو بين العين والحاء أو بين الجيم والصاد أو بين الجيم والقاف أو بين الدال والزاي ونحو ذلك ، مثل عَفْجَقٍ والظش والشصاء ونحوها .

* غدايره مُستَشَرَاتٌ إِلَى الْعُلَا * (١)

* والغرابية : أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها (٢) ؛ فيحتاج في معرفته إلى أن ينقّر عنها في كتب اللغة المبسوطة ؛ كما روى عن عيسى بن عمر النحوى أنه سقط عن حمار فاجتمع عليه الناس ، فقال : « ما لكم تكأكأتم على تكأكؤكم على ذى جنة ؟! أفرنقعوأ عني » أى اجتمعتم ، تَفَسَّحُوا . أو يُخرج لها وجه بعيد (٣) كما في قول العجاج :

(١) هو من قول حنّاج بن حجر الكندى المعروف بامرئ القيس في معلقته :

وفرع يزين المتن أسود فاحم أثيث كفنو النخلة المتعشّكل

غدايره مستشزرات إلى العلا تضلّ المدارى فى مثنى ومُرسَل

وفرع المرأة : شعرها ، والمتن : الظهر ، والأثيث الكثير الشعر ، والقنو : العنقود ، والمتعشّكل : المتراكم ، والغداير : الذوائب ، والمستشزرات : المرتفعات ، والمدارى : الأمشاط جمع مدرى ، والمثنى : المفتول ، والمرسل : غير المفتول ، وسبب ثقل « مستشز » توسط الشين المهموسة الرخوة بين التاء المهموسة الشديدة والزاي المجهورة . ومثل مستشزرات « أطلّخ » فى قول أبى تمام :

قد قلت لما اطلّخ الأمر وانبعث عشواء تالية غبسا دهاريسا

وكذلك « سويدواتها » فى قول المتنبي :

إن الكريم بلا كرام منهم مثل القلوب بلا سويدواتها

وقد نشأ ثقلها من طولها ، وهى مفردة أيضا ؛ لأنها مركب إضافى .

(٢) عدم ظهور المعنى ينشأ عن وحشية الكلمة . ومعنى وحشيتها : كونها غير مأنوسة

الاستعمال عند العرب الخُلص ؛ فلا يعول فى ذلك على غيرهم من المحدثين الذين ظهروا بعد فساد اللغة ، ولا يرد على هذا متشابه القرآن ومجمله ؛ لأن المراد عدم ظهور المعنى الموضوع له ، والمعنى الوضعى فى المتشابه والمجمل ظاهر لا خفاء فيه ، وإنما الخفاء فى مراد الله تعالى منهما . ومن المتشابه فى القرآن قوله تعالى آية ١٠ سورة الفتح : ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ ، ومنه فى الحديث قوله ﷺ : « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا » . ومنه فى الشعر قول أبى تمام :

ولَهِتْ فَأَظْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ دُونَهَا وَأَضَاءُ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ مَظْلَمٌ

فالولة والظلمة والإضاءة الفاظ ظاهرة المعنى ، ولكن البيت بجملته يحتاج فهمه إلى استنباط ، ومراده : أنها ولّحت فأظلم ما بينه وبينها من جزعه لولّحتها ، وظهر له ما خفى عنه من حبها له .

* وإنى أرى أن الغرابية وحدها لا تُخلُ بفصاحة الكلمة ، وقد بينت هذا فى كتابى « البلاغة العالية » ، وكذلك أرى أن ابتذالها لا يعيبها ما دامت معانى الكلام جيدة ، وهو ما اختاره ابن شرف القيروانى ، وعليه بعض نقاد الإنجليز الذين يرون أن الابتذال يكون فى الفكرة لا فى الكلمة .

(٣) إنما يلجأ عندهم إلى تخريجها على وجه بعيد إذا وقعت من عربى عارف باللغة ؛ لأنه لا يصح حمل كلامه على الخطأ ، والحق أن العربى قد يخطئ فى لغته ، وأن الحمل على الخطأ خير من تكليف ذلك التخريج البعيد .

*** وفاحماً ومُرسناً مسرجاً (١) ***

فإنه لم يُعرف ما أراد بقوله « مُسرجاً »؛ حتى اختلف في تخريجه (٢)، فقليل : هو من قولهم للسيوف سُرِيجية منسوبة إلى قين يقال له سُرِيج ، يريد أنه في الاستواء والدقة كالسيف السريجي . وقيل : من السراج ، يريد أنه في البريق كالسراج . وهذا يقرب (٣) من قولهم : « سرج وجهه » بكسر الراء : أى حسن ، وسرج الله وجهه : أى بهجة وحسنه .

*** ومخالفة القياس (٤) كما في قول الشاعر :**

(١) هو لعبد الله بن رؤية التميمي السعدي المعروف بالعجاج من قوله :

أيام أبدت واضحة مقلجاً أغريراً وطرفاً أبرجاً
ومقلةً وحاجباً مزججاً وفاحماً ومُرسناً مسرجاً

والفاحم : الشعر الشديد السواد ، والمرسن : اسم لحل الرسن وهو أنف البعير ، ثم أطلق وأريد به الأنف مطلقاً على سبيل المجاز المرسل .
وقيل : إن الشاهد لرؤية بن العجاج .

(٢) سبب اختلافهم أن مسرجاً اسم مفعول من - سرج - وصيغة فعل تأتي للنسبة إلى مصدرها ، كما تقول « كرمته » بمعنى نسبته إلى الكرم ، ولما كان هذا غير ممكن في « سرج » تكلفوا له أصلاً ينسب إليه ؛ وهو السيوف السُرِيجية أو السراج . وهذا إلى أن - مسرجاً - في قول العجاج بمعنى شبيه بالسراج أو السيوف السريجية ، وهو في أصل وضعه يدل على النسبة إلى أصله ، ولا يستفاد منه التشبيه إلا بتكلف .

* والحق أن أخذه من السراج لا غرابة فيه من جهة الاشتقاق والتشبيه ؛ لأن الاشتقاق من الاسم الجامد قد جاء في كلام العرب . كما في قول ابن المُفَرَّج :
وبرود مدثرات وقز وملاء من أعتق الكتان
فالمعنى في ذلك التشبيه ، أى : برود وشبهها .

(٣) إنما كان قول العجاج قريباً من هذا الاستعمال ولم يكن منه ؛ لأنه كما جاء في « التاج » استعمال غريب أو مؤلّد ، والعجاج شاعر إسلامي ، فلا يقال في كلمته إنها مولدة .
* والحق أن هذا الاستعمال من الغريب لا المولد ؛ لأن العجاج شاعر إسلامي ، ولكن غرابته لا تكون من غرابة التخريج على وجه بعيد ، وإنما هي من القسم الأول .
ومن الكلمات الغريبة « الحلقْدُ » بمعنى السوء الخلق . و « الابتشاك » بمعنى الكذب كما في قول الشاعر :

وما أرضى لمقلته بحلم إذا انتبهت توهّمه ابتشاكاً

(٤) المراد به القياس اللغوي كما سبق ، ومخالفته بأن تكون الكلمة على خلاف ما ثبت عن الواضع ، وقد حمله بعضهم على القياس الصرفي ، وهو خطأ ؛ لأن مخالفة القياس الصرفي لا تخل دائماً بالفصاحة ؛ إذ توجد كلمات كثيرة فصيحة على خلافه . وذلك مثل =

﴿ الحمد لله العلى الأجل ﴾ (١) *

فإن القياس : « الأجل » بالإدغام .

وقيل : هى خلوصه مما ذكر ومن الكراهة فى السمع : بأن تُمَجَّ الكلمة ويتبرأ من سماعها كما يتبرأ من سماع الأصوات المنكرة . فإن اللفظ من قبيل الأصوات ، والأصوات منها ما تستلذ النفس سماعه ، ومنها ما تكره سماعه .

كلفظ « الجرشى » فى قول أبى الطيب :

* كريم الجرشى شريف النسب (٢) *

أى : كريم النفس . وفيه نظر (٣) .

= آل وماء ويأبى وعور يعور . ويدخل فى مخالفة القياس اللغوى ككل ما تنكره اللغة لمأخذ لغوى أو صرفى أو غيرهما . وذلك كالمقراض فى قول أبى الشيص :

وجناح مقصوص تحيف ريشه ريب الزمان تحيف المقراض

لأنه لم يسمع فى كلامهم إلا مثني خلافاً لسيبويه . وكالآيم فى قول أبى عبادة :

يشق عليه الريح كل عشيّة جيوب الغمام بين بكر وأيم

لأنه وضعها مكان الثيب مع أن الأيم هى التى لا زوج لها ولو كانت بكراً . وكحذف النون

من « لكن » فى قول النجاشى :

فلست بآتيه ولا أستطيعه ولاك أسقنى إن كان مأوك ذا فضل

أراد « ولكن أسقنى » .

(١) هو لأبى النجم الفضل بن قدامة العجلّى من قوله فى مطلع أرجوزته :

الحمد لله العلى الأجل الوهاب الفضل الكريم المجزل

والذى ألجأه إلى فك الإدغام ضرورة الشعر ، ولكن ذلك لا يمنع الإخلال بالفصاحة ؛ لأن من

الضرورات الشعرية ما هو مستقبح ، وقد روى مطلعها :

الحمد لله الوهاب المجزل أعطى فلم يبخل ولم يبخل

فلا يكون فيه شاهد لمخالفة القياس ، ومنه قول الشاعر :

مهلاً أعاذل قد جرّبت من خلقي أنى أجود لأقوام وإن ضننوا

(٢) هو لأحمد بن الحسين الجعفى الكندى المعروف بأبى الطيب المتنبى ، من قوله فى

مدح سيف الدولة :

مبارك الاسم أغرّ اللقب كريم الجرشى شريف النسب

وقد أخذ الدسوقي فى « حاشيته على المختصر » من قوله « شريف النسب » أن سيف

الدولة من بنى العباس ، وهو خطأ ظاهر ؛ لأن سيف الدولة من تغلب .

(٣) وجه النظر أن الكراهة فى السمع لا تكون إلا من تنافر حروف الكلمة أو غرابتها ،

فليست شيئاً آخر غيرهما ، والجرشى فى بيت المتنبى تدخل فى الغرابة .

* ثم علامة كون الكلمة فصيحةً أن يكون استعمال العرب الموثوق بعريبتهم لها كثيراً (١) ، أو أكثر من استعمالهم ما بمعناها (٢) .

فصاحة الكلام

وأما فصاحة الكلام : فهي خلوصه من ضعف التأليف ، وتنافر الكلمات والتعقيد ، مع فصاحتها (٣) .

* **فالضعف** (٤) : كما في قولنا « ضرب غلامه زيداً » ؛ فإن رجوع الضمير إلى المفعول المتأخر لفظاً ممتنع عند الجمهور ؛ لقلا يلزم رجوعه إلى ما هو متأخر لفظاً ورتبةً ، وقيل : يجوز (٥) كقول الشاعر :

جزى ربّه عنى عدىّ بن حاتم جزاء الكلاب العاويات ، وقد فعل (٦)

وأجيب عنه بأن الضمير لمصدر « جزى » أى رب الجزاء ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ (٧) أى العدل .

(١) هذا إذا لم يكن لها مرادف .

(٢) هذا إذا كان لها مرادف ، ولكن هذا يقتضى نفي الفصاحة عن مرادفها مع أن مراتب الفصاحة متفاوتة ، فلا مانع من أن يكون كل منهما فصيحاً ولو كان أحدهما أكثر استعمالاً ، فالأولى الاختصار على الشق الأول من هذه العلامة .

(٣) أى مع فصاحة الكلمات ؛ لأن فصاحة الكلمة شرط من فصاحة الكلام ، فلو خلا من الثلاثة واشتمل على كلمة غير فصيحة لم يكن فصيحاً ، وذلك كقول أبى الطيب :
مُبَارَكُ الاسْمِ أَغْرَأَ اللَّقَبُ كَرِيمُ الْجَرَشِيِّ شَرِيفُ النَّسَبِ

(٤) ضعف التأليف هو أن يكون تأليف الكلام على خلاف المشهور من قواعد النحو ، وإنما قيد الخلاف بالمشهور من القواعد ؛ لأن خلاف المجمع عليها خطأ لا ضعف تأليف .

(٥) هذا مقابل قوله « ممتنع عند الجمهور » فهو قول بعض النحاة أيضاً ، وليس قولاً لبعض علماء البلاغة ؛ لأنهم متفقون على أن ذلك ضعف تأليف .

(٦) هو لزياد بن معاوية « المعروف بالنابغة الذبياني » ، وقيل : إنه لأبى الأسود الدؤلى . وقيل : إنه مولّد مصنوع ، وجزاء الكلاب : الضرب بالحجارة ، وجملة « جزى ربّه » دعائية ، يعنى أنه يدعوه عليه بذلك وقد حقق الله دعاءه ، ولا يخفى ما فى هذا من عدم التلاؤم ، والأولى أن يعود ضمير « فعل » إلى « عدى » ، والمراد ما فعله معه من الإساءة إليه ، والحق أن هذا البيت ليس للنابغة ، وإنما هو اشتباه بقوله :

جزى الله عبساً عبساً آل بغيض جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

(٧) آية ٨ سورة المائدة : وهذا قياس مع الفارق ؛ لأن الضمير فى الآية ظاهر العود =

*** والتنافر :** منه ما تكون الكلمات بسببه متناهية في الثقل على اللسان ،
وعسر النطق بها متتابعة ؛ كما في البيت الذي أنشده الجاحظ :

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قفرٌ وليس قُربُ قبرٍ حربٍ قُبرٌ^(١)

ومنه ما دون ذلك ، كما في قول أبي تمام :

كريمٌ متى أمدَحَه أمدَحَه والورى معى وإذا ما لُمْتَه لُمْتَه وحْدَى^(٢)

فإن في قوله « أمدحه » ثقلًا ما ؛ لما بين الحاء والهاء من التنافر^(٣) .

*** والتعقيد :** ألا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد به^(٤) . وله سببان :

= إلى العدل ، أما البيت فضميره ظاهر العود إلى عدى ، ولا داعى إلى تكلف عوده إلى الجزاء .

ومن ضعف التأليف وقوع ضمير الوصل بعد « إلا » في قول الشاعر :

وما علينا إذا ما كنت جارتنا ألا يجاورنا إلاك ديارٌ

ومنه حذف « أن » مع بقاء عملها ، كقول طرفة :

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مُخلدى

(١) هو فيما زعموا لبعض الجن ، وكان قد صاح على حرب بن أمية في فلاة فمات بها ،
والقفر : الخالي ، وهو مرفوع صفة لمكان على القطع ، أو خبر المبتدأ وهو قبر ، والمعنى أنه مع
مكانه قفر ، وفي هذا الوجه تكلف .

(٢) هو لحبيب بن أوس الطائي المعروف بـ « أبى تمام » يمدح به موسى بن إبراهيم الرافقى ،
والورى : الخلق ، ولا يخفى نبو الشطر الثانى عن المدح ولاسيما مع « إذا » المفيدة للتحقق ،
وأخذ عليه أيضًا مقابلة المدح باللوم لا الهجاء ، ولعله أراد أن ينزهه عنه .

(٣) الحق أنه لا تنافر في ذلك ؛ لأنه ثقل محتمل ، وقد جاء في قوله تعالى ﴿ فسبحه ﴾ .
وقيل إن الذى أوجب التنافر فى البيت هو التكرير فى قوله (أمدحه) مع الجمع بين الحاء
والهاء ، ومع هذا لا يقال إن هذا التعليل يُقبل لو كان يتحدث عن تنافر الحروف ، ولكنه يُقبل
بصدد الحديث عن تنافر الكلمات .

ومن تنافر الكلمات قول الشاعر :

وازور من كان له زائراً وعاف عافى العرف عرفانه

(٤) أى لا الموضوع له كما فى الغرابة ، ولا يدخل فى التعقيد التشابه والمجمل ؛ لأن عدم
ظهور المراد فيهما ليس باختلال النظم أو نحوه مما يأتى . وقد اختلف فى دخول اللغز والمعنى فى
التعقيد ، فقيل : إنهما منه ، وقيل إنهما من المحسنات البديعية إن كانت الدلالة فيهما ظاهرة
للفطن ، وكل منهما قول يدل ظاهره على خلاف المراد ، ولكن اللغز يكون على طريق السؤال ،
كقول الحريرى فى الميل :

وما ناكح أختين سراً وجهرة وليس عليه فى النكاح سبيل؟

أحدهما ما يرجع إلى اللفظ . وهو أن يختلَّ نَظْمُ الكلام (١) ولا يدرى السامع كيف يتوصل منه إلى معناه ؛ كقول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مُملكا أبو أمه حتى أبوه يقاربه

كان حقه أن يقول : وما مثله في الناس حتى يقاربه إلا مملك أبو أمه أبوه ؛ فإنه مدح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك بن مروان فقال : « وما مثله » يعني إبراهيم المدوح ، « في الناس حتى يقاربه » أى أحد يشبهه في الفضائل (٢) ، إلا « مملكا » يعنى هشاماً ، « أبو أمه » أى أبو أم هشام ، « أبوه » أى أبو المدوح ، فالضمير في « أمه » للمملك ، وفي « أبوه » للممدوح ؛ ففصل بين « أبو أمه » وهو مبتدأ و « أبوه » وهو خبره بـ « حتى » ، وهو أجنبي ، وكذا فصل بين « حتى » و « يقاربه » (٣) وهو نعت « حتى » ، وقدم المستثنى على المستثنى منه ، فهو كما نراه في غاية التعقيد (٤) .

فالكلام الخالي من التعقيد اللفظي : ما سلم نظمُه من الخلل ؛ فلم يكن فيه ما

(١) قد يكون اختلاله باجتماع أمور فيه توجب صعوبة الوصول إلى معناه ، وإن كانت جائزة في النحو ، وهذه الأمور كالترديد والتأخير والحذف والإضمار ونحو ذلك ، وبهذا يكون التعقيد اللفظي غير ضعف التأليف ، ولكنهما قد يجتمعان في مثال واحد ، كما في بيت الفرزدق ، وينفرد ضعف التأليف في مثل « ضرب غلامه زيدا ، وينفرد التعقيد في مثل « إلا عمراً الناس ضارب زيد » بتقديم المفعول والمستثنى وتأخير المبتدأ ، وهذا جائز في النحو ، والأصل « زيد ضارب الناس إلا عمراً » .

(٢) هو لهمام بن غالب التميمي المعروف بالفرزدق ، وقيل إن البيت ليس له .

(٣) فيقاربه في البيت بمعنى يضاهيه ويشبهه ، ويجوز أن يكون من قرب النسب .

(٤) حملة بعضهم على وجه لا تعقيد فيه ، فجعل الاستثناء من الضمير المستتر في متعلق الجار والمجرور قبله ، وجعل قوله « حتى » خبراً لقوله « أبو أمه » ، وكذلك قوله « أبوه » فهو خبر بعد خبر ، وجملة ذلك صفة لقوله « مملكا » وكذلك جملة « يقاربه » فهي صفة بعد صفة ، ويكون المعنى « إلا مملكا يقاربه أبو أمه حتى » ، وهو أبو المدوح ، ولا يخفى ما في الإخبار بحى من التهافت .

ومن التعقيد اللفظي قول أبي تمام :

ولقد ثنى الأحشاء من برحائها أن صار بابك جار مازيار

ثانيه في كبد السماء ولم يكن كائنين ثان إذ هما في الغار

يريد أنه لم يكن كئنانين اثنين ، وقيل : إن « ثانيه » خبر ثان لصار ، و « ثان » اسم « يكن » و « كائنين » خبره ، والأولى جعل « ثانيه » خبراً لمبتدأ محذوف تقديره هو .

يخالف الأصل ؛ من تقديم أو تأخير أو إضمار أو غير ذلك إلا وقد قامت عليه قرينة ظاهرة لفظية أو معنوية ، كما سيأتى ذلك كله وأمثله اللاتقة به .

والثانى ما يرجع إلى المعنى ، وهو ألا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثانى الذى هو لازمه والمراد به ظاهراً (١) ؛ كقول العباس بن الأحنف :

سأطلبُ بعدَ الدارِ عنكم لتقربوا وتسكبُ عيناي الدموعَ لتجمداً (٢)
كنى بسكب الدموع عما يوجبه الفراق من الحزن (٣) ، وأصاب ؛ لأن من شأن البكاء أن يكون كناية عنه ؛ كقولهم « أبكاني وأضحكنى » ؛ أى ساءنى وسرنى ، وكما قال الحماسى :

أبكاني الدهرُ ويا ربَّما أضحكنى الدهرُ بما يرضى (٤)

ثم طرد ذلك فى نقيضه ، فأراد أن يكنى عما يوجبه دوام التلاقى من السرور بالجمود ؛ لظنه أن الجمود خلو العين من البكاء مطلقاً من غير اعتبار شىء آخر ، وأخطأ (٥) ؛ لأن الجمود خلو العين من البكاء فى حال إرادة البكاء منها ؛ فلا يكون كناية عن المسرة ؛ وإنما يكون كناية عن البخل ، كما قال الشاعر :

ألا إن عينا لم تجد يومَ واسطٍ عليك بجارى دمعها لجمود (٦)

(١) المعنى الأول : هو المعنى الأصلى ، والمعنى الذى هو لازمه : هو المعنى المجازى أو

الكنائى .

(٢) قوله « وتسكب » بالرفع ، ونصبه بالعطف على « بعد » أو على « تقربوا » وهم ، والحق أنه لا شىء فى عطفه على « تقربوا » ، والسين فى قوله « سأطلب » لجرد التأكيد ، ومعنى الشطر الأول : أنه يفارقه رجاء أن يغنم فى سفره فيعود إليه فيطول اجتماعه به .

(٣) قيل : إنه لا حاجة إلى الكناية بسكب الدموع عن هذا ؛ لأنه يجوز أن يراد به حقيقة .

(٤) هو لحطّان بن المعلى من شعراء الحماسة ، وقد كنى فيه بإبكاء الدهر له عن إساءته وبإضحاحه له عن سروره .

(٥) أى فى نظر علماء البيان ، وإن كان لكلامه وجه من الصحة بأن يكون استعمل جمود العين وهو يمسها فى خلوها من الدموع وقت الحزن مجازاً مرسلًا علاقته الملزومية ، ثم استعمله فى خلوها من الدموع مطلقاً مجازاً مرسلًا من استعمال المقيد فى المطلق ، ثم كنى به عن دوام السرور ، وفى ذلك من البعد والتعقيد بكثرة الوسائط ما يجعله خطأ فى نظر علماء البيان .

(٦) هو لأفلاج بن يسار وقيل مرزوق بن يسار المعروف بأبى عطاء الخراسانى فى رثاء ابن هبيرة ، وبعده :

عشية قام النائحاتُ وشققتْ جيوبُ بأيدى ماتمٍ وخدود

وواسط : مدينة بالعراق بناها الحجاج بن يوسف ، وقد قتل ابن هبيرة فى معركة وقعت فيها ، وقد كنى فيه بجمود العين عن بخلها بالدمع فى الوقت الذى يجب فيه أن تدمع . =

ولو كان الجمود يصلح أن يراد به عدم البكاء في حال المسرة لجاز أن يُدعى به للرجل ؛ فيقال : « لا زالت عينك جامدة » ، كما يقال : « لا أبكي الله عينك » وذلك مما لا يُشكُّ في بطلانه ، ومن ذلك قول أهل اللغة « سنةٌ جمادٌ لا مطر فيها ، وناقة جماد لا لبن لها » ؛ فكما لا تُجعل السنة والناقة جماداً إلا على معنى أن السنة بخيلة بالقطر والناقة لا تسخو بالدر ، لا تجعل العين جموداً إلا وهناك ما يقتضى إرادة البكاء منها ، وما يجعلها إذا بكت محسنة موصوفة بأنها قد جادت ، وإذا لم تبك مسيئة موصوفة بأنها قد ضنت .

فالكلام الخالي عن التعقيد المعنوي ما كان الانتقال من معناه الأول إلى معناه الثانى الذى هو المراد به ظاهراً ، حتى يخيل إلى السامع أنه فهمه من حاق اللفظ (١) كما سيأتى من الأمثلة المختارة للاستعارة والكناية .

وقيل : فصاحة الكلام هى خلوصه مما ذُكر ، ومن كثرة التكرار وتتابع الإضافات ؛ كما فى قول أبى الطيب :

* سَبَّوحٌ لها منها عليها شواهدُ (٢) *

وفى قول ابن بابك :

* حَمَامَةٌ جَرَعًا حَوْمَةَ الجندلِ اسجعى (٣) *

= ومن التعقيد المعنوى قول أبى تمام :

من الهيف لو أن الخلاخل صيرت لها وشحاً جالت عليها الخلاخل
أراد وصفها بدقة الخصر ، فكنى عنه بأن الخلاخل لو جعلت لها وشحاً لجالت عليها ، وهذا لا يدل على مراده ، بل يدل على بلوغها غاية القصر ؛ لأنه أمكن أن تكون الخلاخل وشحاً لها ، والوشاح يضرب لها من العاتق إلى الكشح .

(١) حاق الشيء : وسطه .

(٢) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى فى وصف فرسه :

وتُسعدنى فى غمرة بعد غمرة سَبَّوحٌ لها منها عليها شواهد

والغمرة : الشدة ، والسبوح : السريعة ، والشواهد : العلامات ، وهو فاعل قوله « لها »

لاعتماده على الموصوف قبله أو مبتدأ مؤخر ، والشاهد فى كثرة الضمائر وتكرارها .

(٣) هو لعبد الصمد منصور البغدادى المعروف بابن بابك من قوله :

حمامة جرعاً حومة الجندل اسجعى فانت بمرأى من سعاد ومسمع

والجرعاء : مؤنث الأجرع وهو المكان ذو الرمل لا يثبت شيئاً ، وحومة الشيء : معظمه ، =

وفيه نظر ؛ لأن ذلك إن أفضى باللفظ إلى الشغل على اللسان ، فقد حصل الاحتراز عنه بما تقدم (١) ، وإلا فلا يُخلُ بالفصاحة ، وقد قال النبي ﷺ :

« الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم » (٢) .

قال الشيخ عبد القاهر (٣) : قال صاحب (٤) : « إياك والإضافات المتداخلة ؛ فإنها لا تحسن » . وذكر أنها تستعمل في الهجاء ، كقول القائل :

يا على بن حمزة بن عماره أنت والله ثلجة في خياره (٥)

ثم قال الشيخ : « ولا شك في ثقل ذلك في الأكثر ، ولكنه إذا سلم من الاستكراه ملح ولطف » . ومما حسن فيه قول ابن المعتز أيضاً (٦) :

وظلت تدير الرأح أيدي جاذر عتاق دنائير الوجوه ملاح (٧)

ومما جاء فيه حسناً جميلاً قول الخالدي يصف غلاماً له :

ويعرف الشعر مثل معرفتي وهو على أن يزيد مجتهد

= والجنديل : الحجارة ، ومرأى ومسمع : اسماً مكان أي بمكان تراك منه سعاد وتسمعك .
والشاهد في إضافة حمامة إلى جرجا ، وجرجا إلى حومة ، وحومة إلى الجنديل .
(١) يعني بالتنافر .

(٢) في الحديث كثرة تكرار ، وهي ظاهرة ، وفيه تتابع إضافات ؛ لأن الإضافات تشمل المتداخلة كما في قول ابن بابك ، وغير المتداخلة كما في الحديث ، والمتداخلة هي التي يضاف فيها الأول للثاني ، والثاني للثالث .

(٣) ٧٠ - دلائل الإعجاز - المطبعة العربية .

(٤) هو إسماعيل بن عباد المعروف بالصاحب ؛ لصحبته ابن العميد .

(٥) لا يعرف قائله ، وفي قوله « ثلجة في خياره » قلب ، والأصل خياره في ثلجة ، واعترض على الخطيب بأنه سيدكر هذا البيت في الاطراد من أنواع البديع فكيف يعيبه هنا ؟
والحق أنه ليس فيه تتابع إضافات ، وإنما هذا اشتباه نظر من عبد القاهر ، وقد ترجم ياقوت لعل بن حمزة في الجزء الخامس من معجم الأدباء .

(٦) أي كما حسن فيما ذكره له قبل ذلك ، وهو قوله :

يا مسكة العطار وخال وجه النهار

(٧) هو لعبد الله بن المعتز . والراح : الخمر ، والجاذر : جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية ، والعتاق : جمع عتيق بمعنى كريم ، وإضافة دنائير إلى الوجوه من إضافة المشبه به إلى المشبه ، والشاهد في قوله « عتاق دنائير الوجوه » .

وصَيْرَفِي الْقَرِيضِ وَزَانَ دِي - سَنَارِ الْمَعَانِي الدُّقَاقِ مُنْتَقَدُ (١)

فصاحة المتكلم :

وأما فصاحة المتكلم فهي مَلَكَةٌ يُقْتَدَرُ بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح ؛ فالمملكة قسم من مقولة الكيف التي هي هيئة قَارَةٌ لا تقتضي قسمة ولا نسبة (٢) ، وهو مختص بذوات الأنفس راسخ في موضوعه .

وقيل « ملكة » ولم يُقَلْ صفة ؛ لِشُعْرَ بَأَن الفصاحة من الهيئات الراسخة ؛ حتى لا يكون الْمُعْبَرُ عن مقصوده بلفظ فصيح فصيحاً إلا إذا كانت الصفة التي اقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح راسخة فيه ، وقيل « يقتدر بها » ولم يقل يُعْبَرُ بها ؛ ليشمل حالتي النطق وعدمه ، وقيل « بلفظ فصيح » ليعمَّ المفرد والمركب .

بلاغة الكلام :

وأما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال (٣) مع فصاحته (٤) . ومقتضى الحال مختلف ؛ فَإِنَّ مَقَامَاتِ (٥) الكلام متفاوتة ؛ فمقام التنكير يباين مقام التعريف ، ومقام الإطلاق يباين مقام التقيد ، ومقام التقديم يباين مقام التأخير ،

(١) هما لأبي عثمان سعيد بن هاشم المعروف بالخالدي ، والصيرفي : المحتال في الأمور ، والقريض : الشعر ، والمنتقد : في الأصل الخبير بتمييز الدراهم ، ثم أطلق على تمييز الدراهم وغيرها ، والشاهد في قوله « وزان دينار المعاني » .

(٢) خرج بهذا القيد مقولة الكم ؛ كالعدد ، وكذلك مقولة بالإضافة ، كالأبوة ، وهذا تعريف فلسفي للكيفية ، وهي صفة وجودية إن اختصت بالنفوس الناطقة فهي نفسانية ، فإن رسخت بتوالي أمثالها فهي ملكة ، وهذا التعريف أليقُ بعلوم البلاغة .

(٣) الحال : هو الأمر الداعي للمتكلم إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المراد خصوصية ما ، ومقتضى الحال : هو تلك الخصوصية ، ومطابقة الكلام له بمعنى اشتماله عليه ، فإذا كان المخاطب ينكر قيام زيد مثلاً ، فإنكاره حال يدعو المتكلم إلى أن يخبر بقيامه مؤكداً « إن زيدا قائم » وتأكيد الخبر هو مقتضى الحال .

(٤) فصاحته تكون بخلوه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد ، على ما سبق في بيان فصاحة الكلام ، وهذا قيد يخرج به كل كلام غير فصيح ، فلا يكون بليغاً وإن كان مطابقاً لمقتضى الحال . ويجب عندئذ أن يزداد فيها قيد آخر أي : مع فصاحته وأصالته ؛ لأن المعنى إذا لم يكن أصيلاً لم يكن بليغاً ، على نحو ما يأتي في السراقات الشعرية آخر الكتاب ، وبهذا يكون الكلام فيها عندئذ من علم المعاني .

(٥) المقامات : جمع مقام وهو اسم مكان من « قام » ، والمراد به الحال السابق ؛ وذلك أن البلغاء كانوا يلقون خطبهم وأشعارهم وهم قيام ، فأطلق المقام على الحال الداعي إليها لأنه سبب فيه .

ومقام الذكر ببيان مقام الحذف ، ومقام القصر ببيان مقام خلافه ، ومقام الفصل ببيان مقام الوصل ، ومقام الإيجاز ببيان مقام الإطناب والمساواة ، وكذا خطاب الدُّكَيَّ ببيان خطاب الغبى ، وكذا لكل كلمة مع صاحبها مقام (١) ، إلى غير ذلك ، كما سيأتى تفصيل الجميع .

وارتفاع شأن الكلام فى الحُسْنِ والقَبُولِ (٢) : بمطابقته للاعتبار المناسب ، وانحطاطه : بعدم مطابقته له ، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب (٣) ، وهذا - أعنى تطبيق الكلام على مقتضى الحال - هو الذى يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم (٤) ؛ حيث يقول : النَّظْمُ تَأَخَّى (٥) معانى النحو (٦) فيما بين الكلم على حسب الأغراض التى يُصاغ لها الكلام .

(١) هذا كالفعل الذى يقترب بالشرط ، فله مع « إِنْ » مقام ليس له مع « إِذَا » وهكذا . ومن ذلك ما روى أن رجلاً أشد ابن هرمة قوله :

بِاللهِ رَبِّكَ إِنْ دَخَلْتَ فَقُلْ لَهَا هَذَا ابْنُ هَرْمَةَ قَائِماً بِالْبَابِ

فَقَالَ لَهُ : مَا هَكَذَا قُلْتُ ، أَكُنْتُ أَتَصَدَّقُ ؟ قَالَ : فَقَاعِداً . قَالَ : أَكُنْتُ أَبُولُ ؟ قَالَ : فَمَاذَا ؟ قَالَ : وَاقِفاً ، لَيْتَكَ عَلِمْتَ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ مِنْ قَدْرِ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى . ولعل ابن هرمة يعنى من ذلك أن القيام يقتضى الدوام والثبوت بخلاف الوقوف ، تقول : وقف الحاج بعرفة ، ولا تقول : قام .

وتحقيق هذا أن الألفاظ المركبة فيها جمال وقبح كالألفاظ المفردة ؛ حتى إنه قد يحدث أن يتألف الكلام من ألفاظ جميلة فى ذاتها قبيحة فى تركيبها لفقد ما يسمى جمال الانسجام ، وهذا هو ما يعنون بقولهم : ولكل كلمة مع صاحبها مقام .

(٢) عطف القَبُولِ على الحُسْنِ ليدل على أن المراد الحُسْنِ الذاتى الداخلى فى البلاغة لا الحُسْنِ العَرَضِى الحاصل بالمحسنات البديعية .

(٣) أى الأمر الذى اعتبره المتكلم مناسباً بحسب السليقة أو بحسب ما عرفه من أساليب البلاغ .

(٤) ٥٥ - دلائل الإعجاز .

(٥) تأخيت الشئ : تحريته وتتبعته .

(٦) يريد بمعانى النحو الخصوصيات التى هى مقتضى الحال من التقديم والتأخير وغيرهما ، والأغراض فى قوله « على حسب الأغراض » هى الأحوال الداعية إليها ، أو المعانى الثانوية التى يقصد من الخصوصيات إفادتها ، وقيل : إن عبد القاهر لا يقف فى هذا بالنحو عند وظيفته التى قصر أخيراً عليها ، وهى الحكم بالصحة والخطأ فى المعانى الأصلية ، بل يجعل له حكماً أيضاً فى المعانى الثانوية ، ولهذا عرفه ابن جنى بأنه « انتحاء كلام العرب فى تصرفه من إعراب وغيره ؛ ليلتحق من ليس من أهل العربية بأهلها فى الفصاحة » .

فالبلاغة صفة راجعة إلى اللفظ باعتبار إفادته المعنى عند التركيب (١) ، وكثيراً ما يسمى ذلك (٢) فصاحة أيضاً ، وهو مراد الشيخ عبد القاهر (٣) بما يكرره في « دلائل الإعجاز » من أن « الفصاحة صفة راجعة إلى المعنى دون اللفظ » كقوله في أثناء فصل منه : « علمت أن الفصاحة والبلاغة وسائر ما يجرى في طريقتيها أوصاف راجعة إلى المعاني ، وإلى ما يدل عليه بالألفاظ دون الألفاظ أنفسها » (٤) . وإنما قلنا مراده ذلك ؛ لأنه صرح في مواضع من « دلائل الإعجاز » بأن فضيلة الكلام للفظ لا لمعناه ، منها أنه حكى قول من ذهب إلى عكس ذلك (٥) فقال : « فانت تراه لا يقدم شعراً حتى يكون قد أودع حكمة أو أدباً ، أو اشتمل على تشبيه غريب ومعنى نادر » (٦) ثم قال : « والأمر بالضد إذا جئنا إلى الحقائق وما عليه المحصلون ؛ لأننا لا نرى متقدماً في البلاغة مبرزاً في شأوها إلا وهو ينكر هذا الرأي » . ثم نقل عن الجاحظ في ذلك كلاماً منه قوله : « والمعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها العجمي والعربي ، والقروى والبدوى ، وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخير اللفظ وسهولة المخرج ، وصحة الطبع ، وكثرة الماء ، وجودة السبك » . ثم قال (٧) : « ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصيغة ، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير فيه ؛ كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم وأسوار ، فكما أنه محال إذا أردت النظر في صوغ الخاتم وجودة العمل وردائه أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك

(١) أى لا باعتبار أنه لفظ وصوت ، ولا باعتبار الألفاظ المفردة والكلم المجردة ، والمراد بالمعنى الذي تعتبر به البلاغة المعنى الثانوى ، وهو مدلول الخصوصيات السابقة في علم المعاني ، والمعاني المجازية والكنائية في علم البيان ، أما المعنى الأصلى وهو مجرد ثبوت المسند للمسند إليه فلا تعتبر به البلاغة أصلاً ، وقد تطلق المعاني الثانوية على نفس الخصوصيات .

(٢) أى الوصف المذكور وهو البلاغة ، وعلى هذا تكون مرادفة للفصاحة .

(٣) فهو يريد بالفصاحة في كلامه البلاغة ؛ لأن الفصاحة بمعناها السابق ترجع في التنافر والغرابية ومخالفة القياس والتعقيد اللفظى إلى اللفظ وحده ، ولا ترجع إلى المعنى إلا في التعقيد المعنوى ، وكذلك يريد من رجوع الفصاحة بمعنى البلاغة إلى المعنى أنها صفة اللفظ باعتبار المعنى ، ولا يريد أنها لا ترجع إلى اللفظ أصلاً .

(٤) ١٦٩ - دلائل الإعجاز .

(٥) عكسه هو أن فضيلة الكلام للمعنى لا لللفظ .

(٦) ١٦٤ - دلائل الإعجاز .

(٧) ١٦٦ - دلائل الإعجاز .

الصورة أو الذهب الذى وقع فيه ذلك العمل ؛ كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية فى الكلام أن تنظر فى مجرد معناه ، وكما لو فضلنا خاتماً على خاتم بأن تكون فضةً هذا أجود أو فضةً أنفس لم يكن تفضيلاً له من حيث هو خاتم ، كذلك ينبغي إذا فضلنا بيتاً على بيت من أجل معناه ألا يكون ذلك تفضيلاً له من حيث هو شعر وكلام . هذا لفظه ، وهو صريح فى أن الكلام من حيث هو كلام لا يوصف بالفضيلة باعتبار شرف معناه ، ولا شك أن الفصاحة ^(١) من صفاته الفاضلة ؛ فلا تكون راجعة إلى المعنى ، وقد صرح فيما سبق بأنها راجعة إلى المعنى دون اللفظ ، فالجمع بينهما بما قدمناه يحمل كلامه ؛ حيث نفى أنها من صفات اللفظ ، على نفي أنها من صفات المفردات من غير اعتبار التركيب ^(٢) ، وحيث أثبت أنها من صفاته على أنها من صفاته باعتبار إفادته المعنى عند التركيب ^(٣) .

***وللبلاغة طرفان :** أعلى ، إليه تنتهى ، وهو حد الإعجاز وما يقرب منه ^(٤) . وأسفل ، منه تبتدئ ^(٥) وهو ما إذا غير الكلام عنه إلى ما هو دونه التحقق عند البلغاء بأصوات الحيوانات ، وإن كان صحيح الإعراب . وبين الطرفين مراتب كثيرة متفاوتة . وإذا قد عرفت معنى البلاغة فى الكلام وأقسامها ومراتبها ؛ فاعلم أنه يتبعها وجوه كثيرة ^(٦) غير راجعة إلى مطابقة مقتضى الحال ولا إلى الفصاحة ، تورث الكلام حسناً وقبولاً ^(٧) .

(١) يريد من الفصاحة ما يرادف البلاغة ، جرياً على مذهب عبد القاهر .

(٢) أى من غير اعتبار ما يفيد التركيب من المعانى الثانوية .

(٣) فالمعنى الذى أرجع الفصاحة إليه هو المعنى الثانوى باعتبار استفادته من اللفظ عند التركيب . والمعنى الذى نفى البلاغة عنه هو المعنى الأصلى للفظ المفرد والكلام المجرد عن الخصوصيات .

(٤) حد الإعجاز : منتهاه ، لأن الحد فى اللغة : منتهى الشيء ، وما يقرب من الإعجاز هو ما دونه من مراتب الإعجاز ؛ لأن الحق أن القرآن متفاوت الإعجاز وليس كل آياته فى درجة واحدة من البلاغة ، وبهذا يكون قوله « وما يقرب منه » معطوفاً على « حد الإعجاز » ، وقيل : إنه معطوف على قوله « وهو » على معنى أن حد الإعجاز هو الطرف الأعلى وما يقرب منه كما قال السكاكى ، ولكن حمل ما هنا عليه لا يخلو من تكلف .

(٥) من العلماء - كالفخر الرازى - من يرى أن هذا ليس من البلاغة ، فيلحق بأصوات الحيوانات أيضاً ، والحق أنه منها ؛ لأنه لا بد من اشتماله على خصوصية ما ، فيدخل فى تعريف البلاغة .

(٦) هى المحسنات البديعية الآتية فى علم البديع .

(٧) المراد بالقبول هنا ما يرادف الحسن ، لا القبول بمعنى الصحة ؛ لعدم توقف صحة

الكلام عليها .

بلاغة المتكلم:

وأما بلاغة المتكلم فهي ملكة يُقْتَدَرُ بها على تأليف كلام بليغ .
حصر علوم البلاغة : وقد عُلِمَ بما ذكرنا أمران :
أحدهما : أن كل بليغ - كَلَامًا كان أو متكلما - فصيحٌ ، وليس كل فصيح بليغاً (١) .

الثاني : أن البلاغة في الكلام مَرَجَعُهَا إلى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد (٢) وإلى تمييز الكلام الفصيح من غيره (٣) . والثاني - أعنى التمييز - منه ما يتبين في متن اللغة أو التصريف أو النحو أو يدرك بالحس وهو ما عدا التعقيد المعنوي (٤) ، وما يُحْتَرَزُ به عن الأول - أعنى الخطأ في تأدية المعنى المراد - هو علم المعاني . وما يحتزر به عن الثاني - أعنى التعقيد المعنوي - هو علم البيان . وما يُعْرَفُ به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مُقْتَضَى الحال وفصاحته هو علم البديع (٥) . وكثير من الناس يُسَمَّى الجميع علم البيان (٦) ، وبعضهم يسمي الأول علم المعاني ، والثاني والثالث علم البيان ، وبعضهم يسمي الثلاثة : علم البديع (٧) .

(١) مما هو فصيح وليس ببليغ قول نصيب :

فإن تصلي أهلك وإن تعودى لهجر بعد وصلك لا أبالي

لأنه نسيب ردى . ومنه أيضاً قول جميل :

فلو تركت عقلى معى ما طلبتها ولكن طلابها لما فات من عقلى

زعم أنه يهواها لذهاب عقله ، وأنه لو كان عاقلاً ما طلبها ، وأين هذا من قول بعضهم :

وما سررتنى أنى خلئ من الهوى ولو أن لى من بين شرقى إلى غرب

فإن كان هذا الحب ذنبى إليكم فلا غفر الرحمان ذلك من ذنب

(٢) هو المعنى الثانوى ، والاحتراز عن الخطأ فيه بمراعاة مقتضى الحال .

(٣) لأن الفصاحة شرط في البلاغة كما سبق ، وتميز ذلك يكون بمعرفة الأمور المخلة

بالفصاحة من التنافر والغرابة ومخالفة القياس وضعف التأليف وغير هذا مما سبق .

(٤) ما عدا التعقيد المعنوى ، هو الغرابة ومخالفة القياس وضعف التأليف ، والتعقيد

اللفظى ، والتنافر ، والأول يعرف بعلم متن اللغة ، والثاني بالتعريف وغيره ؛ لأنه لا يختص به ،

والثالث والرابع بالنحو ، والخامس يدرك بالحس والذوق ، وبهذا تتوقف علوم البلاغة على هذه

العلوم ، وعلى تربية الحس والذوق بمطالعة كلام العرب .

(٥) بهذا تنحصر علوم البلاغة في العلوم الثلاثة ، وإنما لم تجعل علوم اللغة والتصريف

والنحو من علوم البلاغة مع توقف الفصاحة عليها أيضاً ؛ لأنها تُقصد لأغراض غير الفصاحة ،

ومعرفة بعض نواحي الفصاحة منها تأتي بطريق العرض .

(٦) لأن البيان هو المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير ، وهذه العلوم لها تعلق بالكلام

الفصيح تصحيحاً وتحسيناً .

(٧) إما لبداعة مباحثها ، أو لأنها يعرف بها أمور مبتدعة بالنسبة إلى تأدية أصل المراد

الذى يعرفه الخاصة والعامة ، والظاهر أن الذى يسمى الثلاثة علم البديع بعض آخر غير من ذهب

إلى ما قبله .

تمريبات على الفصاحة والبلاغة

تمرين - ١

١ - وازن بين هذين البيتين من جهة الفصاحة :

لا يَرْقَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ عند الدِّفَاعِ وَلَا يُوْهَوْنَ مَا رَقَعُوا
فَلَا يُبْرَمُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ حَالٌّ وَلَا يُحْلَلُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ يُبْرَمُ

٢ - بَيِّنْ مَا فِي هَذَا الْبَيْتِ مِمَّا يُخِلُّ بِالْفَصَاحَةِ :

وَشَوْهُ تَرْقِيشُ الْمَرْقَشِ رَقْشُهُ فَأَشْيَاعُهُ يَشْكُونُهُ وَمَعَاشِرُهُ

تمرين - ٢

١ - قال بعض الشعراء :

خَلَّتِ الْبِلَادُ مِنَ الْغَزَالَةِ لَيْلَهَا فَأَعَاضَهَاكَ اللَّهُ كَيْ لَا تَحْزَنَا

وقال آخر :

فَكَلِّكُمْ أَتَى مَا تَى أَبِيهِ فَكُلُّ فِعَالٍ كَلِّكُمْ عَجَابُ

فبين ما فيهما مما يخل بالفصاحة .

٢ - لماذا كان عود الضمير على متأخر لفظاً غير محل بالفصاحة في قول

الشاعر :

جاء الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربّه موسى على قدرٍ

وكان مخلاً بها في قول الآخر :

ولو أن مجدداً أخذ الدهر واحداً من الناس أبقي مجده الدهر مطعماً

تمرين - ٣

قال الأخطل في مدح عبد الملك بن مروان :

وقد جعل الله الخلافة منهم لأبْلَجَ لَا عَارِي الْخَوَانِ وَلَا جَدْبُ

فأخذ هذا عليه ، فبين ما ترجع إليه هذه المؤاخدة من البلاغة أو الفصاحة .

تمرين - ٤

١ - من أي التعقيدين قول الشاعر :

أَنْتَى يَكُونُ أَبَا الْبَرَاءِ آدَمَ وَأَبُوكَ وَالثَّقَلَانِ أَنْتَ مُحَمَّدٌ ؟!

٢ - قال قاض لرجل خاصمته امرأة : « أَتَنْ سَأَلْتُكَ ثَمَنَ شُكْرِهَا وَشَبْرِكَ أَخَذْتَ تُطْلُهَا وَتَضْمَلُهَا » .

فبين ما فيه مما يخل بالفصاحة والبلاغة .

تمرين - ٥

١ - لماذا لم تُعَدَّ علوم اللغة والتصريف والنحو من علوم البلاغة مع توقف الفصاحة عليها ؟

٢ - ما الفرق بين القياس اللغوى والصرفى ؟ وأيُّهما تخل مخالفته بالفصاحة ؟

٣ - ما الذى يرجع إلى اللفظ من الفصاحة ؟ وما الذى يرجع منها إلى المعنى ؟

تمرين - ٦

١ - وازن بين لفظ « شىء » من جهة البلاغة فى هذه الأبيات :

وَمِنْ مَالِي عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضِ كَالدُّمَى

إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا

لَوْ الْفُلُكُ الدَّوَّارُ أَبْغَضَتْ سَعِيَهُ لَعَوَّقَهُ شَيْءٌ عَنْ الدَّوْرَانِ

٢ - أى الأمرين أنفع : جمع علوم البلاغة تحت اسم واحد ، أم توزيع مسائلها على علومها الثلاثة ؟

* * *

الفن الأول : علم المعانى

تعريف علم المعانى : هو علم يُعرَف به أحوال اللفظ العربى التى بها يطابق مقتضى الحال (١) . وقيل « يعرف » دون « يُعلم » رعاية لما اعتبره بعض الفضلاء من تخصيص العلم بالكليات والمعرفة بالجزئيات ، كما قال صاحب القانون (٢) فى تعريف الطب : الطب علم يُعرف به أحوال بدن الإنسان . وكما قال الشيخ أبو عمرو (٣) رحمه الله : « التصريف علم بأصول يُعرفُ بها أحوال أبنية الكلم » .

وقال السكاكى (٤) « علم المعانى هو تتبع خواص (٥) تراكيب الكلام فى الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره (٦) ؛ ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ فى تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره » . وفيه نظر ؛ إذ التبع ليس بعلم ولا

(١) المراد بأحوال اللفظ ما يشمل أحوال الجملة وأجزائها ، فأحوال الجملة : كالفصل ، والوصل ، والإيجاز ، والإطناب ، والمساواة . وأحوال أجزائها : كأحوال المسند إليه ، وأحوال المسند ، وأحوال متعلقات الفعل ، وهذه الأحوال هى التى يقتضيها الحال فى اللفظ ، فهى بعينها مقتضى الحال ، وبهذا يكون فى التعريف تهافت ظاهر ، ويمكن أن يجاب عنه بأنه نظر إليها أولاً من حيث ذاتها لا من حيث إنها مقتضى حال ، وإنما قيد أحوال اللفظ بما يطابق بها مقتضى الحال لتخرج الأحوال التى ليست بهذه الصفة ؛ كالإعلال والإدغام والرفع والنصب وغير ذلك مما لا بد منه فى تأدية المعنى الأصلى ، وكذلك المحسنات البديعية ؛ لأنها تكون بعد رعاية المطابقة ، ويخرج أيضاً علم البيان ؛ لأنه لا يبحث فيه عن أحوال اللفظ من هذه الجهة ، وقد تبحث أبوابه من هذه الجهة ؛ فيكون ذلك من علم المعانى ؛ كما قال الأخطل فى مدح عبد الملك بن مروان :

وقد جعل الله الخلافة منهم لأبلى لا عارى الخوان ولا جدد

فكنى بهذا عن كرمه ، وهو لا يليق فى مدح الملوك ، وإنما تمدح الملوك بمنل قول الشاعر :

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر

هذا وبعض الأحوال التى يبحث عنها فى علم المعانى قد يبحث عنها فى علم النحو؛ كالذكر والحذف ، ولكن علم النحو يبحث عنها من جهة صحتها وفسادها ، أما علم المعانى فيبحث عنها لبيان الأحوال التى يرجع بعضها على بعض ، فلا تظهر المزية فيها إلا إذا احتمل الكلام وجهاً غير الوجه الذى جاء عليه فيكون الحال مرجحاً له .

(٢) هو كتاب فى الطب للحسين بن عبد الله المعروف بابن سينا .

(٣) هو عثمان بن عمرو المعروف بابن الحاجب صاحب الشافية - فى التصريف .

(٤) ٨٦ - المفتاح . المطبعة الأدبية .

(٥) المراد بها أحوال اللفظ فى تعريف الخطيب .

(٦) غير الاستحسان هو الاستهجان ، ويريد بذلك : أن تراكيب الكلام لها خواص

مستحسنة وخواص مستهجنة ، وكل منهما يبحث فى علم المعانى .

صادق عليه ؛ فلا يصح تعريف شيء من العلوم به . ثم قال : « وأعنى بالتركيب تراكيب البلغاء » . ولا شك أن معرفة البليغ من حيث هو بليغ متوقفة على معرفة البلاغة ، وقد عرفها في كتابه ^(١) بقوله : « البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعنى حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها ^(٢) وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها » ^(٣) . فإن أراد بالتركيب في حد البلاغة تراكيب البلغاء - وهو الظاهر - فقد جاء الدور ^(٤) ، وإن أراد غيرها فلم يبينه ، على أن قوله : « وغيره » مبهم لم يبين مراده به ^(٥) .

أبواب علم المعاني

ثم المقصود من علم المعاني منحصر في ثمانية أبواب :

- أولها : أحوال الإسناد الخبري . وثانيها : أحوال المسند إليه .
 - وثالثها : أحوال المسند . ورابعا : أحوال متعلقات الفعل .
 - وخامسها : القصر . وسادسها : الإنشاء .
 - وسابعها : الفصل والوصل . وثامنها : الإيجاز والإطناب والمساواة .
- * ووجه الحصر أن الكلام إما خبر أو إنشاء ؛ لأنه إما أن يكون لنسبته خارج ^(٦) تطابقه أو لا تطابقه ، أو لا يكون لها خارج ؛ الأول الخبر ، والثاني الإنشاء ، ثم الخبر لا بد له من إسناد ومسند إليه ومسند ، وأحوال هذه الثلاثة هي الأبواب الثلاثة الأولى .
- ثم المسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلاً أو متصلاً به أو في

(١) ٢٠٨ - المفتاح . (٢) هذا يكون بإيرادها مطابقة لمقتضى الحال .

(٣) بأن تكون خالية من التعقيد المعنوي ، وبهذا يرجع عنده علم البيان إلى البلاغة لا إلى الفصاحة كما ذكر الخطيب في المقدمة ، وإنما لم يقيد تعريف البلاغة بفصاحة الكلام ليحترز به عن غير التعقيد أيضاً كما سبق في تعريفها ؛ لأنه يرى أنها غير لازمة لها ، وسيأتي زيادة بيان لهذا في آخر علم البيان .

(٤) لأن معرفة البلاغة على هذا تتوقف على معرفة البلغاء ، مع أن معرفة البليغ من حيث هو بليغ متوقفة على معرفة البلاغة .

(٥) يجاب عنه بأنه سبق بيان مراده به ، فلا شيء عليه فيه ، ومع هذا أرى أن تعريف السكاكي ركيز العبارة ، وأنه كان الأجدر بالخطيب إهماله .

(٦) المراد بالخارج الواقع ونفس الأمر ولو لم يكن له وجود خارجي .

معناه (١) كاسم الفاعل ونحوه ، وهذا هو الباب الرابع .
 ثم الإسناد والتعلق كل واحد منهما إما يكون بقصر أو بغير قصر ، وهذا هو
 الباب الخامس .
 والإنشاء هو الباب السادس .
 ثم الجملة إذا قُرنت بأخرى ؛ فتكون الثانية إما معطوفة على الأولى أو غير
 معطوفة ، وهذا هو الباب السابع .
 ولفظ الكلام البليغ إما زائد على أصل المراد لفائدة أو غير زائد عليه ، وهذا هو
 الباب الثامن .

تنبيه

انحصار الخبر في الصادق والكاذب : اختلف الناس في انحصار الخبر في
 الصادق والكاذب (٢) ؛ فذهب الجمهور إلى أنه منحصر فيهما ، ثم اختلفوا ؛ فقال
 الأكثر منهم : صدقه مطابقة حكمه للواقع ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له ، هذا هو
 المشهور ، وعليه التعويل .
 وقال بعض الناس (٣) : صدقه مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر صواباً كان أو
 خطأ ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له (٤) واحتج بوجهين :
 أحدهما : أن من اعتقد أمراً فأخبر به ثم ظهر خبره بخلاف الواقع يقال « ما
 كذب ، ولكنه أخطأ » كما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت فيمن شأنه
 كذلك : « ما كذب ، ولكنه وهم » . ورد بأن المنفى تعمّد الكذب ، لا الكذب ؛
 بدليل تكذيب الكافر ؛ كاليهودي إذا قال « الإسلام باطل » ، وتصديقه إذا قال
 « الإسلام حق » ؛ فقولها « ما كذب » متأول بـ « ما كذب عمداً » .
 الثاني قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٥) كذبهم في

(١) يريد بالمتصل بالفعل : اسم الفاعل واسم المفعول ونحوهما ، ويريد بما في معنى
 الفعل : المصدر ؛ لأنه يدل على الحدث كالفعل .
 (٢) مثل هذا لا يصح الاشتغال به في علوم البلاغة ؛ لأنه لا فائدة فيه .
 (٣) هو إبراهيم بن سيار المعروف بالنظام .
 (٤) أي لاعتقاده ، وهذا بأن يكون له اعتقاد يخالفه أو لا يكون له اعتقاد أصلاً ؛ فيدخل
 خبر الشاك عند النظام في الكذب ، ويكون من يقول - محمد رسول - وهو شاك فيه ، كاذباً
 عنده ، وهو صادق عند الجمهور . وقيل : إن خبر الشاك ليس خبراً ، فهو خارج عن المقسم ،
 ولكن هذا لا يأتي مع ما سيأتي عن الجاحظ .
 (٥) سورة المنافقون : الآية ١ .

قولهم ﴿ إِنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﴾ وإن كان مطابقا للواقع ؛ لأنهم لم يعتقدوه . وأجيب عنه بوجه : أحدهما أن المعنى (١) : نشهد شهادة واطأت فيها قلوبنا ألسنتنا كما يترجم عنه : إن واللام وكون الجملة اسمية (٢) في قولهم ﴿ إِنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﴾ ، فالتكذيب في قولهم ﴿ نشهد ﴾ وادعائهم فيه المواطأة ، لا في ﴿ إِنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﴾ ولدفع هذا التوهم وسط بينهما قوله ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لِرَسُولِهِ ﴾ . وثانيها أن التكذيب في الحقيقة ، وثالثها أن المعنى : لكاذبون في قولهم ﴿ إِنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﴾ عند أنفسهم ؛ لاعتقادهم أنه خبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه (٣) .

*وأكرر الجاحظ انحصار الخبر في القسمين ، وزعم أنه ثلاثة أقسام : صادق ، وكاذب ، وغير صادق ولا كاذب ؛ لأن الحكم إما مطابق للواقع مع اعتقاد المخبر له أو عدمه (٤) ، وإما غير مطابق مع الاعتقاد أو عدمه (٥) . فالأول أى المطابق مع الاعتقاد (٦) هو الصادق . والثالث أى غير المطابق مع الاعتقاد (٧) هو الكاذب ، والثاني والرابع أى - المطابق مع عدم الاعتقاد (٨) وغير المطابق مع عدم الاعتقاد (٩) كل منهما ليس بصادق ولا كاذب (١٠) . فالصدق عنده مطابقة الحكم للواقع مع اعتقاده ، والكذب عدم مطابقته مع اعتقاده ، وغيرهما ضربان : مطابقته مع عدم اعتقاده ، وعدم مطابقته مع عدم اعتقاده ، واحتج بقوله تعالى : ﴿ أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ

(١) يريد معنى قولهم : ﴿ نشهد إِنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﴾ .

(٢) لأن كل واحد من الثلاثة يفيد تأكيد الخبر كما سيأتى .

(٣) فيكون الكذب راجعا إلى الواقع في زعمهم كما عليه الجمهور لا إلى الاعتقاد ،

وعلى هذا يكون التكذيب في المشهود به لا في الشهادة كما في الوجه الثاني .

(٤) أى مع اعتقاد المخبر بأنه مطابق أو عدم اعتقاده بأنه مطابق .

(٥) أى مع الاعتقاد بأنه غير مطابق أو عدم الاعتقاد بأنه غير مطابق .

(٦) بأنه مطابق . (٧) بأنه غير مطابق .

(٨) بأنه مطابق ، وعدم الاعتقاد بهذا تحت صورتان : ألا يكون عنده اعتقاد أصلا ، وأن

يكون عنده اعتقاد بأنه غير مطابق ، والصورة الأولى تأتي في خبر الشاك ، والثانية كقول المناق :

« محمد رسول الله » .

(٩) بأنه غير مطابق ، وعدم الاعتقاد بهذا تحت صورتان أيضا : عدم الاعتقاد أصلا ،

والاعتقاد بأنه مطابق ، كقول الكافر : محمد غير رسول .

(١٠) بهذا يكون بين الصدق والكذب واسطة عند الجاحظ بخلاف الجمهور والنظام .

كذباً أم به جنة ﴿١﴾ فإنهم حصروا دعوى النبي ﷺ الرسالة في الافتراء والإخبار حال الجنون ، بمعنى امتناع الخلو ﴿٢﴾ ، وليس إخباره حال الجنون كذباً ؛ لجعلهم الافتراء في مقابلته ، ولا صدقاً لأنهم لم يعتقدوا صدقه ؛ فثبت أن من الخبر ما ليس بصادق ولا كاذب ، وأجيب عنه بأن الافتراء هو الكذب عن عمد ، فهو نوع من الكذب ، فلا يمتنع أن يكون الإخبار حال الجنون كذباً أيضاً ؛ لجواز أن يكون نوعاً آخر من الكذب ؛ وهو الكذب لا عن عمد ، فيكون التقسيم للخبر الكاذب لا للخبر مطلقاً ، والمعنى أفترى أم لم يفتر ؟ وعبر عن الثاني بقوله « أم به جنة » ؛ لأن المجنون لا افتراء له ﴿٣﴾ .

* * *

تنبيه آخر

وهو مما يجب أن يكون على ذكر الطالب لهذا العلم ؛ قال السكاكي ﴿٤﴾ : « ليس من الواجب في صناعة ، وإن كان المرجع في أصولها وتفاريعها إلى مجرد العقل أن يكون الدخيل فيها كالناشئ عليها في استفادة الذوق منها ، فكيف إذا كانت الصناعة مستندة إلى تحكمات وضعية ، واعتبارات إيفية ؛ فلا على الدخيل في صناعة علم المعاني أن يقلد ﴿٥﴾ صاحبه في بعض فتاواه إن فاته الذوق هناك ، إلى أن يتكامل له على مهل موجبات ذلك الذوق » .

وكثيراً ما يشير الشيخ عبد القاهر في « دلائل الإعجاز » إلى هذا ؛ كما ذكر في موضع ﴿٦﴾ ما تلخيصه هذا : « اعلم أنه لا يصادف القول في هذا الباب موقعاً

(١) سورة سبأ : الآية ٨ .

(٢) أى والجمع ؛ لأن قوله « وليس إخباره حال الجنون كذباً » يدل على أنها مانعة جمع أيضاً - ولو كانت مانعة خلو فقط لجاز أن يكون إخباره حال الجنون كذباً ؛ لأن مانعة الخلو تجوز الجمع ، فلا تثبت الوساطة بين الصدق والكذب .

(٣) رأى في هذه الخلافات بعد الانتهاء منها أنها خلافات لا طائل تحتها .

(٤) ص ٩٠ المفتاح .

(٥) خير له عندى ألا يقلد في ذلك إلى أن يتربى له الذوق فيذوق بنفسه ؛ لأن التقليد مذموم في كل علم ، على أن دعواه أن هذه الصناعة مستندة إلى تحكمات وضعية لا تصح في علم المعاني ، وإنما تصح في علم النحو ، كما ذكره ابن الأثير في المثل السائر .

(٦) (١٩٠ ، ١٩١) - دلائل الإعجاز .

من السامع ، ولا يجد لديه قبولا ؛ حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة ، ومن تحدثه نفسه بأن لما توميء إليه من الحسن أصلاً ، فيختلف الحال عليه عند تأمل الكلام ، فيجد الأريحية تارة ، ويعرى منها أخرى ، وإذا عجبته تعجب ، وإذا نبهته لموضع المزية انتبه ، فأما من كان الحالان ^(١) عنده على سواء وكان لا يتفقد من أمر النظم إلا الصحة المطلقة ، وإلا إعراباً ظاهراً ، فليكن عندك بمنزلة من عدم الطبع الذي يدرك به وزن الشعر ، ويميز به مزاحفه من سألته ، في أنك لا تتصدى لتعريفه ؛ لعلمك أنه قد عدم الأداة التي بها يعرف ^(٢) . واعلم أن هؤلاء وإن كانوا هم الآفة العظمى في هذا الباب ، فإن من الآفة أيضاً من زعم أنه لا سبيل إلى معرفة العلة في شيء ما لم تُعرف المزية فيه ، ولا يعلم إلا أن له موقعاً من النفس وحظاً من القبول ^(٣) . فهذا بتوانيه في حكم القائل الأول ^(٤) . واعلم أنه ليس إذا لم يمكن معرفة الكل وجب ترك النظر في الكل ، ولأن تعرف العلة في بعض الصور فتجعله شاهداً في غيره أخرى من أن تسد باب المعرفة على نفسك ، وتعودها الكسل والهويني . قال الجاحظ : وكلام كثير جرى على ألسنة الناس وله مضرة شديدة ، وثمره مرة ، فمن أضر ذلك قولهم : « لم يدع الأول للأخر شيئاً » . فلو أن علماء كل عصر منذ حرت هذه الكلمة في أسماعهم تركوا الاستنباط لما لم ينته إليهم عن قبلهم ، لرأيت العلم مختلاً .

* *

-
- (١) يعنى الحال التي توجب الأريحية والحال التي تعرى منها .
(٢) عبد القاهر في هذا يخالف السكاكي في تجويزه التقليد عند تعذر المعرفة .
(٣) فلا يعرف لذلك علة وسبباً ؛ لأنه لا سبيل إلى معرفة ذلك عنده ، وإنما هو ذوق لا غير .
(٤) هو من كانت الحالان عنده على سواء .

الباب الأول : القول في أحوال الإسناد الخبري

أغراض الخبر : من المعلوم لكل عاقل أن قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب إما نفس الحكم ؛ كقولك « زيد قائم » لمن لا يعلم أنه قائم ، ويسمى هذا (١) فائدة الخبر ، وإما كون الخبر عالماً بالحكم ؛ كقولك لمن زيدٌ عنده ولا يعلم أنك تعلم ذلك : « زيد عندك » ويسمى هذا (٢) : لازم فائدة الخبر .

قال السكاكي (٣) : « والأولى (٤) بدون هذه (٥) تمتنع ، وهذه بدون الأولى لا تمتنع ؛ كما هو حكم اللازم المجهول المساواة » (٦) أى يمتنع ألا يحصل العلم الثانى من الخبر نفسه عند حصول الأول منه ؛ لامتناع حصول الثانى قبل حصول الأول ، مع أن سماع الخبر من المخبر كافٍ فى حصول الثانى منه (٧) . ولا يمتنع ألا

(١) اسم الإشارة يعود إلى إفادة المخاطب نفس الحكم ؛ لأن هذا هو الذى يُسمى فائدة الخبر ، وقيل إنه يعود إلى نفس الحكم ، وردَّ بأن الحكم ركن من أركان الخبر ، وفائدة الشيء لا تكون جزءاً منه ، وهذه الفائدة هى المقصد الأول من مقاصد الإسناد الخبري .

(٢) أى كون الخبر عالماً بالحكم ، وإنما سُميَ هذا « لازم فائدة الخبر » ؛ لأنه يلزم من إفادة المخاطب الحكم إفادته أن عنده علماً أو ظناً به ، ولازم فائدة الخبر هو المقصد الثانى من الإسناد الخبري .

* وللإسناد الخبري مقاصد وأغراض أخرى : منها إظهار التحسر ، كما فى قوله تعالى : حكاية عن امرأة عمران ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ﴾ الآية ٣٦ - آل عمران . ومنها إظهار الفرح ، كما فى قول الشاعر :

هناؤَ محاً ذاك العزاء المقدماً فما عبَسَ الحزونُ حتى تبسما

ومنها إظهار الضعف والخشوع : كقول الآخر :

إلهي عَبْدُكَ العاصي أتاك مُقِرّاً بالذنوب وقد دعاكا

ومنها توبيخ السامع ، كقول الحماسية :

وأنت الذى أخلفتني ما وعدتني وأشمتَ بى من كان فيك يلوم

والغرض الأول وهو فائدة الخبر يستفاد من ذات الخبر ، وما عداه من الأغراض يدل عليها الخبر دلالة تبعية ؛ فهى من مُستتبعات الكلام ، ولا توصف بأنها حقيقة ولا مجاز ولا كناية .

(٣) ٨٨ - المفتاح . (٤) هى فائدة الخبر .

(٥) اسم الإشارة يعود إلى لازم فائدة الخبر ، وقد أثبت باعتبار كونه فائدة أيضاً .

(٦) كلزوم الحيوانية للإنسانية ؛ لأن الحيوانية أعم ، فيلزم من العلم بالإنسانية العلم بالحيوانية ، ولا يلزم من العلم بالحيوانية العلم بالإنسانية .

(٧) لأن من يخبر بشيء لا بد أن يكون عنده علم أو ظن به ؛ فالمراد بالعلم الثانى علم المخاطب بأن الخبر عالم بالحكم ، والمراد بالعلم الأول علمه بذلك الحكم .

يحصل الأول من الخبر نفسه عند حصول الثاني منه ؛ لجواز حصول الأول قبل حصول الثاني (١) وامتناع حصول الحاصل .

* وقد يُنزّل العالم بفائدة الخبر ولازم فائدته منزلة الجاهل ؛ لعدم جريه على موجب العلم ؛ فيُلْقَى إليه الخبر كما يُلْقَى إلى الجاهل بأحدهما (٢) .

قال السكاكي (٣) « وإن شئت فعليك بكلام رب العزة : ﴿ ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ﴾ (٤) كيف تجد صدره يصف أهل الكتاب بالعلم على سبيل التوكيد القسمي ، وآخره ينفيه عنهم حيث لم يعملوا بعلمهم . ونظيره في النفس والإثبات : ﴿ وما رميت إذ رميت ﴾ (٥) وقوله تعالى : ﴿ وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ﴾ (٦) .

هذا لفظه ، وفيه إيهام أن الآية الأولى من أمثلة تنزيل العالم بفائدة الخبر ولازم فائدته منزلة الجاهل بهما ، وليست منها ، بل هي من أمثلة تنزيل العالم بالشئ منزلة الجاهل به ؛ لعدم جريه على موجب العلم ، والفرق بينهما ظاهر (٧) .

أضرب الخبر : وإذا كان غرض الخبر بخبره إفادة المخاطب أحد الأمرين فينبغي أن يقتصر من التركيب على قدر الحاجة .

(١) بأن يكون المخاطب عالماً بالحكم قبل الإخبار به ، فيحصل بالخبر في هذه الحالة لازم فائدته دونها ، لامتناع تحصيل الحاصل .

(٢) من تنزيل العالم بالفائدة منزلة الجاهل بها قول الفرزدق لهشام بن عبد الملك حين تجهل معرفة علي بن الحسين رضي الله عنهما :

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى النقي الطاهر العلم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا

ومن تنزيل العالم بلازم الفائدة منزلة الجاهل به قولك لمن يؤذيك وهو يعلم أنك مسلم : « الله ربنا ومحمد نبينا » . وقد جعل السكاكي هذا من باب تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ؛ فهو عنده مثل تنزيل غير السائل منزلة السائل ونحوه مما يأتي ، وقيل : إن الخطيب لم يجعل ما هنا من ذلك الباب ؛ لأن الخبر لا يختلف في التأكيد وتركه في مخاطبة الجاهل بفائدة الخبر ولازمها ومخاطبة العالم بهما المنزل منزلة الجاهل ، أما تنزيل غير السائل منزلة السائل ونحوه فيختلف في ذلك كما سيأتي ، والخطب في هذا سهل .

(٣) ٩٢ - المفتاح . (٤) سورة البقرة : الآية ١٠٢ .

(٥) سورة الأنفال : الآية ١٧ . (٦) سورة التوبة : الآية ١٢ .

(٧) أوجب عن السكاكي بأن غرضه التنظير لتنزيل العالم بفائدة الخبر ولازمها منزلة الجاهل بهما ، وليس غرضه التمثيل له ؛ ولهذا ذكر أيضا قوله تعالى ﴿ وما رميت إذ رميت ﴾ وهو من تنزيل الوجود منزلة المعدوم ، وليس من تنزيل العالم منزلة الجاهل .

* فإن كان المخاطب خالي الذهن من الحكم بأحد طرفي الخبر على الآخر والتردد فيه ، استغنى (١) عن مؤكّدات الحكم ، كقولك « جاء زيد ، وعمره ذاهب » فيتمكن في ذهنه ؛ لمصادفته إياه خاليا .

* وإن كان متصوراً لطرفيه متردداً في إسناد أحدهما إلى الآخر طالباً له حسن تقويته بمؤكّد (٢) كقولك : « لزيد عارف » أو « إن زيدا عارف » .

* وإن كان حاكماً بخلافه : وجب توكيده بحسب الإنكار (٣) فتقول : « إني صادق » لمن ينكر صدقك ولا يبالغ في إنكاره ، و : « إني لصادق » لمن يبالغ في إنكاره ، وعليه قوله تعالى : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ، إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ، قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ ﴾ (٤) حيث قال (٥) في المرة الأولى : ﴿ إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾ ، وفي الثانية : ﴿ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ ﴾ .

(١) مثله إذا كان المخاطب عالماً بالحكم وأراد المخبر إفادته لازم فائدة الخبر ، أو إظهار التحسر ونحوه ، أو تنزيله منزلة الجاهل ، فيستغنى في ذلك أيضاً عن المؤكّدات .
(٢) أي واحد ليزيل تردده في الإسناد بالتوكيد ، ومثل التردد في الإسناد التردد في لازم فائدة الخبر ، وحسن التوكيد في ذلك إنما هو بالنظر إلى حال الإنكار ، وإلا فهو واجب أيضاً ، ولا يراد إلا التمييز باللفظ بين الحالين ، وأن درجة الوجوب في التردد ليس كدرجة الوجوب في الإنكار ، والمراد بالتردد ما يشمل الظان والمتوهم ، وقد ذهب عبد القاهر إلى أنه لا يحسن التأكيد إلا إذا كان للمخاطب ظن على خلاف حكم المتكلم ، وسيأتي قريباً ما يفيد جواز تعدد التوكيد في التردد كالإنكار .

ومن التأكيد للتردد في الحكم قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ، قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ سورة يوسف : الآية ٩٦ .

(٣) فيؤتى له بمؤكّد واحد أو اثنين أو أكثر على حسب إنكاره في القوة والضعف ، وقيل : إنه لا يكتفى في الإنكار بمؤكّد واحد ، ومثل إنكار الإسناد في هذا إنكار لازم فائدة الخبر ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ سورة المنافقون آية ١ ؛ لأنه ينكر علمهم بذلك فأكدوا له .

ومن أدوات التأكيد : إن ، والقسم ، ونونا التوكيد ، ولام الابتداء ، وأما الشرطية ، وحروف التنبيه ، وضمير الفصل ، وقد ، وأدوات الاستفتاح ، والحروف الزائدة .

(٤) سورة يس : الآيات ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ .

(٥) فأكّد في المرة الأولى بأن واسمية الجملة . وفي الثانية بهما وبالقسم واللام ، لأنهم بالغوا في الإنكار فقالوا : ﴿ مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ... الآية ﴾ .

ويؤيد ما ذكرناه جوابُ أبي العباس للكِنْدِي (١) عن قوله : « إني أجد في كلام العرب حشواً ، يقولون : عبد الله قائم ، وإن عبد الله قائم ، وإن عبد الله لقائم – والمعنى واحد ! بأن قال : « بل المعاني مختلفة ؛ فعبد الله قائم إخبار عن قيامه ، وإن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل ، وإن عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكر » .

* ويسمى النوع الأول من الخبر ابتدائياً ، والثاني طلبياً ، والثالث إنكارياً ، وإخراجُ الكلام على هذه الوجوه (٢) إخراجاً على مقتضى الظاهر (٣) .

تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر : وكثيراً ما يخرج على خلافه (٤) فينزل غير السائل منزلة السائل إذا قُدم إليه ما يلوح له بحكم الخبر ، فيستشرف له استشراف المتردد الطالب (٥) كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾ (٦) وقوله : ﴿ وَمَا أْبْرَىٰ نَفْسٍ إِلَّا نَفْسٌ لِّمَآرَةِ السَّوْءِ ﴾ (٧) ، وقول بعض العرب :

فَعْنَهَا وَهِيَ لَكَ الْفِدَاءُ إِنَّ غِنَاءَ الْإِبِلِ الْخُدَاءُ (٨)

(١) أبو العباس : هو محمد بن يزيد المبرد ، والكِنْدِي : هو يعقوب بن إسحاق الفيلسوف .

(٢) هي الخلو عن التأكيد في الأول ، وعن التقوية بمؤكد استحساناً في الثاني ، ووجوباً

في الثالث .

(٣) أى يسمى إخراجاً على مقتضى الظاهر : والمراد به ظاهر الحال . وهو الحال الداعى الذى له ثبوت فى الواقع ؛ كخلو المخاطب من الحكم أو ترده أو إنكاره . والحال أعم من ظاهر الحال ؛ لأنه يشمل أمرين : أحدهما ما له ثبوت فى الواقع ، والثانى ما لا ثبوت له ؛ كتثنيـل غير السائل منزلة السائل ونحوه مما سيأتى .

(٤) هذا باب من البلاغة أوقع فى النفس من تخريج الكلام على مقتضى الظاهر ؛ لدقة مسلكه ، وحسن موقعه فى النفس . وقد قيل : إنه باب الكناية . وقيل : إنه من الاستعارة بالكناية والتخييل . وقيل : إنه من مستتبعات الكلام فلا يوصف بحقيقة ولا مجاز ولا كناية .

(٥) الحال هنا تقديم ما يلوح للمخاطب بالخبر . ومن نكت تنزيل غير السائل منزلة السائل أيضاً الاهتمام بشأن الخبر لكونه مستبعداً ، والتنبيه على غفلة السامع ، وغير ذلك . (٦) آية ٣٧ سورة هود . فإن قوله : ﴿ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ يلوح باستحقاقهم العذاب .

(٧) آية ٥٣ سورة يوسف – فإن قوله : ﴿ وَمَا أْبْرَىٰ نَفْسٍ ﴾ يلوح بقبح نفسها ، ولا يخفى أن هنا توكيدين . وهذا يفيد جواز تعدد التوكيد فى المتردد وما ينزل منزلته . فيكون الفرق بينه وبين المنكر فى الوجوب والاستحسان فقط . وقيل : إن أحد التوكيدين لاستبعاد الخبر فى ذاته .

(٨) لا يعلم قائله ، والضمير فى قوله « فعنها » للإبل أى : فعن لها ، والخداء : بضم =

* وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة فيها دقة وغموض ؛ روى عن الأصمعي أنه قال : كان أبو عمرو بن العلاء ^(١) وخلف الأحمر يأتیان بشاراً فيسلمان عليه بغاية الإعظام ، ثم يقولان : يا أبا معاذ ، ما أحدثت ؟ فيخبرهما وينشدهما ويكتبان عنه متواضعين له ، حتى يأتى وقت الزوال ، ثم ينصرفان . فأتياه يوماً ، فقالا : ما هذه القصيدة التى أحدثتها فى ابن قُتيبة ؟ قال : هى التى بَلَّغْتُكُمْ . قالوا : بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب ؟! قال : نعم ، إن ابن قُتيبة يتباصرُ بالغريب ؛ فأحببت أن أوردَ عليه ما لا يعرف . قالوا : فأنشدناها يا أبا معاذ ، فأنشدهما :

بَكَراً صاحبى قبل الهَجِيرِ إن ذاك النجاح فى التبكير ^(٢)

حتى فرغ منها ، فقال له خلف : لو قلت يا أبا معاذ مكان « إن ذاك النجاح » : « بَكَراً فالنجاح » كان أحسن . فقال بشار : إنما بنيتها أعرابية وحشية ^(٣) ؛ فقلت « إن ذاك النجاح » كما يقول الأعراب البدويون ، ولو قلت « بَكَراً فالنجاح » كان هذا من كلام المولدين ولا يشبه ذلك الكلام ^(٤) ولا يدخل فى معنى القصيدة . قال : فقام خلف فقبَّله بين عينيه . فهل كان ما جرى بين خلف وبشار بمحض من أبى عمرو بن العلاء - وهم من فُحُولَةِ هذا الفن - إلا لِلطُّفِ المعنى لذلك وخفائه ؟ . * وكذلك يُنزَلُ غير المنكر منزلة المنكر ^(٥) إذا ظهر عليه شىء من أمارات الإنكار ؛ كقوله :

= الحاء وكسرهما مصدر « حدا الإبل » إذا ساقها وغنى لها . والشاهد فى أنه حين يقول « غنها » ليشدد سيرها يفهم السامع أن غناءها هو الحداء الذى تساق به ، فتستشرف له نفسه ، ومن هذا قول أبى نواس :

عليك باليأس من الناس إن غنى نفسك فى اليأس

(١) رواية الأغاني : « كان خلف بن عمرو بن العلاء وخلف الأحمر . . . » وقد ساق القصة كما هنا .

(٢) هو لبشار بن برد . والهجير : من الزوال إلى العصر . أو شدة الحر . والشاهد فى أن الشطر الأول يلوح بالثانى ؛ ولهذا أتى به مؤكداً .

(٣) وحشية : صفة كاشفة لأعرابية ، ولا يريد الوحشية المحلة بالفصاحة .

(٤) لأنه ليس فيه من دقة الإشارة إلى تنزيل غير السائل منزلة السائل ما فى قوله « إن ذاك النجاح » ؛ وإنما فيه تكرير الأمر بالتبكير لتأكيد على وجه ظاهره لا دقه فيه .

(٥) غير المنكر يشمل خالى الذهن من الحكم ، والمتردد ، والعالم به من غير إنكار ، ولكنه لا يعمل بعلمه ؛ كقولك للمسلم التارك للصلاة : إن الصلاة واجبة - ، وفائدة تنزيل المتردد منزلة المنكر : المبالغة فى تأكيد الخبر له .

جاء شقيقاً عارضاً رُمحه ^(١) إن بنى عمك فيهم رماح

فإن مجيئه هكذا مُدلاً بشجاعته قد وضع رُمحه عرضاً دليلاً على إعجاب شديد منه واعتقاد أنه لا يقوم إليه من بنى عمه أحد ، كأنهم كلهم عزل ليس مع أحد منهم رُمح .

* وكذلك يُنزّل المنكر منزلة غير المنكر ^(٢) إذا كان معه ما إن تأمله ارتدع عن الإنكار ، كما يقال لمنكر الإسلام : « الإسلام حق » ^(٣) . وعليه قوله تعالى في حق القرآن : ﴿ لا ريبَ فيه ﴾ ^(٤) .

ومما يتفرع على هذين الاعتبارين ^(٥) قوله تعالى : ﴿ ثم إنكم بعد ذلك لميتون ، ثم إنكم يوم القيامة تُبعثون ﴾ ^(٦) أكد إثبات الموت تأكيداً وإن كان مما لا يُنكر ؛ لتنزيل المخاطبين منزلة من يبالغ في إنكار الموت ؛ لتماديهم في الغفلة

(١) هو لحجل بن نضلة الباهلي ، ويَعده :

هل أحدث الدهر لنا ذلة ؟ أم هل رفت أم شقيق سلاح ؟

وقوله « عارضاً رُمحه » معناه أنه وضعه على عَرَضه ؛ بأن جعله على فخذه بحيث يكون عرضه إلى جهتهم ، وكان هذا من أمانة عدم التصدي للحرب ، والشاهد في قوله « إن بنى عمك فيهم رماح » ، وهو من تنزيل العالم منزلة المنكر .

(٢) المراد بغير المنكر : خالي الذهن من الحكم فقط ؛ لأنه لا فائدة لتنزيل المنكر منزلة المتردد ، وقيل : إن له فائدة في تقليل التوكيد كما سيأتي في قوله تعالى : ﴿ ثم إنكم يوم القيامة تُبعثون ﴾ .

هذا وقد ترك تنزيل السائل منزلة غير السائل وهو أيضاً مما يدخل في باب تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، وإنما ينزل السائل منزلة غير السائل إذا لم يكن هناك وجه لتردده .
(٣) أى من غير تأكيد ، واعتراض على هذا بأنه جملة اسمية ، وأجيب بأن الجملة الاسمية إنما تفيد التوكيد إذا اعتبر تحويلها عن الجملة الفعلية ، نحو « زيد يقوم » فإنها يمكن اعتبارها محولة عن (يقوم زيد) .

(٤) آية ٢ سورة البقرة : فإن معناه أن القرآن ليس محل شك ، وهذا ينكره المخاطبون من الكفار ، فكان حقه في الظاهر التأكيد ، ولكنهم نزلوا منزلة غير المنكرين ؛ فترك التأكيد لهم ، وقيل : إن هذا ليس تمثيلاً لتنزيل المنكر منزلة غير المنكر بناء على أن المراد نفى الريب نفسه مع أنه واقع منهم تنزيلاً له منزلة عدمه ، فيكون هذا تنظيراً لتنزيل المنكر منزلة غيره لا تمثيل له ، ويؤيد هذا أن قوله فيما يأتي « وهكذا اعتبارات النفي » ظاهر في أنه لم يسبق مثال منه .

(٥) يعني اعتبار تنزيل غير المنكر منزلة المنكر ، واعتبار تنزيل المنكر منزلة غير المنكر .

(٦) سورة المؤمنون : الآيات ١٥ ، ١٦ .

والإعراض عن العمل لما بعده ، ولهذا قيل ﴿ ميتون ﴾ دون (تموتون) كما سيأتى الفرق بينهما (١) ، وأكد إثبات البعث تأكيداً واحداً وإن كان مما ينكر ؛ لأنه لما كانت أدلته ظاهره كان جديراً بالأى ينكر ، بل إما أن يُعترف به أو يُتردد فيه ، فنزل المخاطبون منزلة المترددين فيه ؛ تنبيهاً لهم على ظهور أدلته ، وحشاً على النظر فيها ، ولهذا جاء ﴿ تبعثون ﴾ على الأصل (٢) .

هذا كله اعتبارات الإثبات ، وقس عليه اعتبارات النفي ؛ كقولك « ليس زيد » ، أو : « ما زيد منطلقاً » ، أو : « بمنطلق » ، « ووالله ليس زيد » ، أو : « ما زيد منطلقاً » أو بمنطلق ، وما ينطلق ؛ أو ما إن ينطلق زيد ، وما كان زيد ينطلق ، وما كان زيد لينطلق ، ولا ينطلق زيد ، ولن ينطلق زيد ، ووالله ما ينطلق أو ما إن ينطلق زيد » (٣) .

* * *

(١) أى فى الكلام على المسند من أن ذكره قد يكون ليتعين كونه اسماً فيستفاد منه الثبوت ، أو كونه فعلاً فيستفاد منه التجدد ؛ وبهذا يكون ما فى الآية من تنزيل العالم منزلة المنكر .

(٢) أى على الفعلية دون الاسمية ؛ لأن المعنى على التجدد ، لا الثبوت ، وبهذا يكون ما فى الآية من تنزيل المنكر منزلة المتردد .

(٣) هذا والتأكيد يأتى أيضاً فى الإنشاء كما يأتى فى الخبر ، كقول الشاعر :

هَلَّا تَمُنُّ بِوَعْدِ غَيْرِ مُخْلَفَةٍ كَمَا عَهْدُكَ فِى أَيَّامِ ذِى سَلَمٍ

ولكن التأكيد لا يأتى فى الإنشاء لدفع التردد والإنكار ؛ لأنهما لا يأتیان فيه ، وإنما يأتى لأغراض أخرى من أغراض التأكيد فى الخبر ؛ لأنها لا تنحصر فيما ذكر : فمنها الدلالة على استبعاد الحكم من الخبر ؛ كما فى قوله تعالى : ﴿ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذِبُونَ ﴾ آية ١١٧ سورة الشعراء . ومنها الاعتناء بشأن الحكم ؛ كما فى قول أبى بكر : إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ . ومنها تهية النكرة للابتداء بها ؛ كما فى قول الشاعر :

إِنْ دَهْرًا يَلْفُ شَمْلَى بِسُعْدَى لَرَمَانَ يَهُمُّ بِالْإِحْسَانِ

ومنها إظهار صدق الرغبة فى الحكم وقصد ترويجه ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ سورة البقرة : الآية ١٤ . فلم يؤكدوا فى خطاب المؤمنين ؛ لعدم رواجه منهم عندهم ، وأكدوا فى خطاب إخوانهم ؛ لصدق رغبتهم فيهم .

تمرينات على أغراض الخبر وأضرابه

تمرين - ١

بين الغرض من الخبر فيما يأتي :

- ١ - ذهب الذين يعاشُ في أكنافهم وبقيتُ في خَلْفِ كجلد الأجر
- ٢ - محا البينُ ما أبقتُ عيونُ المها مني فشبتُ ولم أقضِ اللُّبانةَ من سني
- ٣ - قوله تعالى : ﴿ اقترَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ آية ١ - سورة القمر .

تمرين - ٢

من أى أضرِب الخبر ما يأتي :

- ١ - عليك باليأسِ من الناسِ إِنَّ غِنَى نَفْسِكَ فِي الْيَاسِ
- ٢ - لقد عظم البعيرُ بغيرِ لُبٍّ فلم يستغنِ بالعظمِ البعيرُ
- ٣ - ما إِنَّ ندمتُ على سكوتي مرةً ولقد ندمتُ على الكلامِ كثيرا

تمرين - ٣

بين ما جرى من أضرِب الخبر على مقتضى الظاهر أو خلافه فيما يأتي :

- ١ - ترجو النجاةَ ولم تسلكِ مسالكها إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ
- ٢ - قوله تعالى : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ﴾ آية ٧٦ سورة القصص .
- ٣ - قوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ آية ٦٢ سورة يونس .

تمرين - ٤

بين الغرض من التأكيد فيما يأتي :

- ١ - إن محلاً وإن مرتحلاً وإن فسى السَّفَرِ إذا مَضَوْا مَهَلًا
- ٢ - قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ آية ٨١ سورة الإسراء .
- ٣ - إن البُغَاثَ بأرضنا يستنسر .
- ٤ - ألا إن أخلاق الفتى كزمانه فمنهنَّ بيضٌ في العيونِ وسودٌ

فصل

الحقيقة والمجاز العقليان : الإسناد منه حقيقة عقلية، ومنه مجاز عقلي (١) .
* أما الحقيقة فهي إسناد الفعل (٢) - أو معناه - إلى ما هو له (٣) عند المتكلم في الظاهر (٤) .
والمراد بمعنى الفعل نحو المصدر واسم الفاعل (٥) . وقولنا « في الظاهر »
ليشمل ما لا يطابق اعتقاده مما يطابق الواقع وما لا يطابقه ؛ فهي أربعة أضرب :
أحدها : ما يطابق الواقع واعتقاده ، كقول المؤمن : « أنبت الله البقل ، وشفى
الله المريض » .

(١) الحقيقة والمجاز العقليان يأتیان في الإسناد الإنشائي أيضا ، وقيل إنهما يأتیان في الإسناد الإضافي ونحوه ، كما في قوله ﴿ مكر الليل والنهار ﴾ آية ٣٣ سورة سبأ ، ﴿ ذلك هو الضلال البعيد ﴾ آية ١٢ سورة الحج . وقيل : إن الإضافة قد تكون لمطلق الملابس ، فتكون في نحو « مكر الليل » حقيقة عقلية . ويسمى المجاز العقلي مجازاً حكيمياً ومجازاً إسنادياً أيضا ، ومن الإسناد ما لا يكون حقيقة ولا مجازاً كما سيأتي .

(٢) المراد بالإسناد ما يشمل الإسناد الإيجابي والسلبي .

(٣) الإسناد إلى ما هو له يشمل الإسناد إلى الفاعل وإلى المفعول . ويريد بكونه له إذا كان فاعلاً أن معناه قائم به ووصف له وحقه أن يسند إليه ، سواء أكان مخلوقاً لله تعالى كما يقول أهل السنة ، أم كان لغيره كما يقول المعتزلة ، والأفعال من هذه الجهة تنقسم إلى أفعال استأثر الله بها مثل الخلق والرزق ، وإلى أفعال لغيره كسب فيها ، مثل « أحسن وأساء وقام وقعد » وإلى أفعال يراد من إسنادها مجرد الاتصاف بها ، مثل « صح ومرض وعظم وتنزه » فالأولى إسنادها إلى الله حقيقي ولا يصح إسنادها إلى غيره إسناداً حقيقياً ، والثانية يصح إسنادها إلى غيره إسناداً حقيقياً ، ومنها ما لا يصح إسنادها إليه تعالى مثل « قام وقعد » ، والثالثة منها ما يسند إليه تعالى ، مثل « عظم وتنزه » ومنها ما يسند إلى غيره مثل « صح ومرض » ، هذا والمعول عليه عند الخطيب هو إسناد الفعل أو معناه ولو في جملة اسمية ، كما سيأتي تحقيقه .

(٤) أى في ظاهر حال المتكلم ، بالأ ينصب قرينة تدل على أنه غير ما هو له في اعتقاده كما سيأتي .

(٥) مثلها اسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل والظروف ؛ لأن المراد بالإسناد ما يشمل الإسناد عن جهة المفعولية كما سبق ، فيدخل في ذلك إسناد اسم المفعول كما يدخل فيه إسناد الفعل إلى المفعول .

والثاني : ما يطابق الواقع دون اعتقاده ؛ كقول المعتزلي لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها منه (١) : « خالق الأفعال كلها هو الله تعالى » .

والثالث : ما يطابق اعتقاده دون الواقع ، كقول الجاهل « شفى الطبيب المريض » معتقداً شفاء المريض من الطبيب ، ومنه قوله تعالى حكاية عن بعض الكفار : ﴿ وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ (٢) ولا يجوز أن يكون مجازاً ، والإنكار عليهم من جهة ظاهر اللفظ ، لما فيه من إيهام الخطأ (٣) بدليل (٤) قوله تعالى عقيبته : ﴿ وما لهم بذلك من علم ، إن هم إلا يظنون ﴾ والمتجاوز المخطيء في العبارة لا يوصف بالظن ، وإنما الظان من يعتقد أن الأمر على ما قاله .

والرابع : ما لا يطابق شيئاً منهما ؛ كالأقوال الكاذبة التي يكون القائل عالماً بحالها دون المخاطب (٥) .

* وأما المجاز فهو إسناد الفعل (٦) ، أو معناه ، إلى ملابس له (٧) ، غير ما هو له بتأول (٨) .

وللفعل (٩) ملابسات شتى : يلبس الفاعل ، والمفعول به ، والمصدر ، والزمان ، والمكان ، والسبب (١٠) .

(١) لأن الإسناد في قوله حينئذ يكون إلى ما هو له في ظاهر حاله ، ولا يخفى أن الجملة هنا مركبة من مبتدأ وخبر ، ولكن يصدق عليها أن فيها إسناد معنى الفعل لما هو له .

(٢) سورة الجاثية : الآية ٢٤ .

(٣) هذا تعليل للإنكار عليهم مع كونه مجازاً ؛ فقوله « لما » متعلق بالإنكار .

(٤) متعلق بقوله « ولا يجوز » .

(٥) قيل : إن الأقوال الكاذبة حقيقة عقلية ولو علم المخاطب بحالها ؛ لأن الفعل فيها مُسند إلى ما هو له بحسب وضع اللغة ، فهو بظاهره من شأنه أن يدل على ذلك وإن تخلفت الدلالة لمانع اعتقاد الكاذب ؛ وبهذا تنقسم الحقيقة العقلية إلى صادقة وكاذبة .

(٦) المراد بالإسناد هنا أيضاً ما يشمل الإيجابي والسلبي ، والثاني كقوله تعالى ﴿ فما ربحت تجارتهم ﴾ آية ١٦ سورة البقرة - وكذلك ما يشمل إسناد الفعل إلى الفاعل وإلى المفعول ؛ كما في قولك : أجرى الله النهر .

(٧) يشير بهذا إلى أنه لا بد فيه من العلاقة كسائر المجازات ؛ فالعلاقة هنا هي الملابس ، أى ملابس العقل للفاعل المجازي من جهة وقوعه عليه أو فيه أو به أو نحو ذلك .

(٨) أى بقرينة صارفة عن إرادة الظاهر ؛ لأن التأول صرف اللفظ عن ظاهر إلى غيره ، فالتبادر في نحو : « أنبت الربيع البقل » أن الإسناد فيه إلى ما هو له والقرينة تصرفه عن ظاهره .

(٩) مثله ما في معناه بقرينة التعريف .

(١٠) لم يذكر المفعول معه والحال ونحوهما ؛ لأن الفعل لا يسند إلى ذلك على سبيل

المجاز العقلي .

فإسناده إلى الفاعل إذا كان مبنيا له حقيقةً ، كما مر ، وكذا إلى المفعول إذا كان مبنيا له (١) . وقولنا « ما هو له » يشملهما .
 وإسناده إلى غيرهما - (٢) لمضاهاته (٣) ما هو له في ملابسة الفعل - مجازٌ ، كقولهم في المفعول به (٤) : عيشة راضية ، وماءٌ دافق (٥) ، وفي عكسه : سيل مُفْعَم (٦) ، وفي المصدر : شعرٌ شاعر (٧) وفي الزمان : نهارٌ صائم ، وليله قائمٌ (٨) ، وفي المكان : طريقٌ سائر ، ونهرٌ جارٍ (٩) ، وفي السبب : « بنى الأمير المدينة » . وقال :

(١) نحو أنبتَ البقلُ .

(٢) هذا يشمل إسناده ما هو للفاعل إلى المفعول به ؛ نحو : « عيشة راضية » ، وإسناده ما هو للمفعول إلى الفاعل ، نحو « سيل مُفْعَم » .
 (٣) يريد بالمضاهاة في ذلك علاقة الملابسة السابقة ، ولا يريد أن العلاقة في ذلك المشابهة ؛ لأن المشابهة علاقة المجاز بالاستعارة لا المجاز العقلي ، وقيل : إن العلاقة هنا المشابهة في الملابسة ، وهو تكلف يأباه أسلوب المجاز العقلي ؛ لأنه لا يلاحظ فيه ذلك أصلاً ، على أن علاقة المشابهة لا تكفى فيها هذه الملابسة .

(٤) أى فى إسناده ما هو للفاعل إلى المفعول به ، والعلاقة فيه الملابسة بالمفعولية .

(٥) منه أيضاً قول الشاعر :

دَعِ المكارم لا ترحلْ لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

يريد : المطعوم المكسو ، والأصل فى ذلك : راضٍ صاحبها ، ودافق مأؤه ، وطاعم وكاس : طاعمه وكاسيه .

(٦) منه أيضاً قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴾ آية ٦١ سورة مريم ، أى : آتيا ، والعلاقة فيه الملابسة بالفاعلية ، والأصل مُفْعَمٌ واديه ، ومأتى مضمونه .

(٧) منه أيضاً قول الشاعر :

سيدُ كرنى قومى إذا جدَّ جدُّهم وفى الليلة الظلماء يُفتقد البدر

والأصل - فى ذلك - شعرٌ شاعرٌ صاحبه ، وجدَّ صاحبٌ جدُّهم ، والعلاقة فيه الملابسة بالمصدرية .

(٨) منه أيضاً قوله تعالى : ﴿ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ عَسِيرٌ ﴾ آية ٩ سورة المدثر ، والعلاقة

فيه الملابسة بالزمانية ، والأصل : صائمٌ فيه الخ .

(٩) العلاقة فيه الملابسة بالمكانية ، والأصل : سائرٌ السائر فيه . الخ .

إِذَا رَدَّ عَافَى الْقَدْرَ مَنْ يَسْتَعِيرُهَا (١)

وقولنا « بتأول » يُخرج نحو قول الجاهل « شفى الطبيب المريض » ؛ فإن إسناده الشفاء إلى الطبيب ليس بتأول ، ولهذا لم يُحْمَلْ نحو قول الشاعر الحماسي :

أشاب الصغير وأفنى الكبير رَكَرُّ الغداةِ ومَرُّ العَشِيِّ (٢)

على المجاز ما لم يُعْلَمَ أو يُظَنَّ أن قائله لم يُرِدْ ظاهره (٣) ، كما استُدِلَّ على أن إسناده « مَيَّز » إلى جذب الليالي في قول أبي النجم :

قد أصبحتُ أمَّ الحُيَّارِ تدعى على ذنباً كلّه لم أصنع
مِنْ أن رأت رأسي كُراش الأصلع مَيَّزَ عنه قُنْزَعاً عَنْ قُنْزَعِ
جَذَبُ الليالي أَبْطِئِي أو أُسْرِعِي (٤)

مجازاً ؛ بقوله عقيبه :

أَفْنَاهُ قِيلُ اللَّهِ لِلشَّمْسِ اطْلُعِي حَتَّى إِذَا وَارَاكَ أَفْقٌ فَارْجِعِي (٥)

(١) هو لعوف بن الأحوص من قوله :

فلا تسأليني واسألي عن خليقتي إذا رَدَّ عَافَى الْقَدْرَ مَنْ يَسْتَعِيرُهَا

وقد نسب في « أساس البلاغة » للكسيت ، والعلاقة في ذلك : الملايسة بالسببية ، والأصل : بني البناء المدينة بسببه وردَّ المعير القدر بسببه ، وعافى القدر : المرق الذي يبقى فيها فيكون سبباً في رد المستعير لها ؛ فإسناده الرد إلى عافى القدر من الإسناد إلى السبب ، وهذا كناية عن كَلْب الزمان وكونه يمنع إعاره القدر لتلك البقية ، وقيل : إن عافى القدر هو الضيف ، والمعنى : أن المستعير يراه والقدر منصوبة له فلا يطلبها . وقيل : إن البيت لعبيد بن الأبرص . وقيل : إنه لمُضَرَّسُ الأَسَدِي .

(٢) هو لقثم بن خبيبة المعروف بالصلتان العبدي ، وقيل : إنه للصلتان الضبي ، والغداة :

أول النهار ، وكرها : رجوعها بعد ذهابها . والعشي : أول الليل .

(٣) جاء في قصيدة الصلتان ما يدل على أنه لم يرد بذلك الإسناد ظاهره ، وهو قوله :

فَمَلَّتُنَا أَنَا مُسْلِمُونَ عَلَى دِينِ صَدِّيقِنَا وَالنَّبِيِّ

(٤) هو للفضل بن قدامة المعروف بأبي النجم ، والقنزع : الشعرُ المجتمع في نواحي الرأس ،

و (عن) الثانية بمعنى بعد ، والأصلع الذي سقط شعر مقدم رأسه ، وجملتنا « أَبْطِئِي أو أُسْرِعِي » حال من الليالي على تقدير القول ؛ أي مقولاً فيها ذلك ، بالنظر إلى اختلاف أحوالها في المسرة والمساءة .

(٥) فقد أسند فيه إفناء شعر الرأس إلى الله ، فدلَّ على أن إسناده قبله إلى الليالي مجاز .

قِيلُ اللَّهِ : قوله ، وارك : بمعنى غيبك وسترِكَ .

* وسمي الإسناد في هذين القسمين من الكلام عقلياً ؛ لاستناده إلى العقل دون الوضع ؛ لأن إسناد الكلمة إلى الكلمة شيء يحصل بقصد المتكلم دون وضع اللغة ، فلا يصير « ضَرَبَ » خبراً عن « زيد » بوضع اللغة ؛ بل بمن قصد إثبات الضرب فعلاً له ، وإنما الذي يعود إلى وضع اللغة أن « ضَرَبَ » لإثبات الضرب ، لا لإثبات الخروج ، وأنه لإثباته في زمانٍ ماضٍ ، وليس لإثباته في زمانٍ مستقبلٍ ، فأما تعيين مَنْ ثبت له فإنما يتعلق بمن أراد ذلك من المخبرين ، ولو كان لغويّاً لكان حُكْمُنَا بأنه مجاز في مثل قولنا : « خطُّ أحسنُ مما وشى الربيع » ؛ من جهة أن الفعل لا يصح إلا من الحى القادر ^(١) حكماً بأن اللغة هي التي أوجبت أن يختص الفعل بالحى القادر دون الجماد ، وذلك مما لا يُشك في بطلانه ^(٢) .

وقال السكاكي ^(٣) : الحقيقة العقلية هي الكلام المُفَادُ به ما عند المتكلم من الحكم فيه ، قال : وإنما قلتُ « ما عند المتكلم » دون أن أقول « ما عند العقل » ^(٤) ؛ ليتناول كلام الجاهل إذا قال « شفى الطبيب المريض » رائيّاً شفاء المريض من الطبيب ، حيث عدُّ منه حقيقة مع أنه غير مفيد لما في العقل من الحكم فيه ^(٥) .

وفيه نظر ؛ لأنه غير مطرد ؛ لصدقه على ما لم يكن المُسندُ فيه فعلاً ولا متصلاً به ^(٦) . كقولنا : « الإنسان حيوان » مع أنه لا يسمى حقيقةً ولا مجازاً ^(٧) .

(١) أى : لا من الربيع .

(٢) يقصد بهذا الرد على قول بعضهم : إن الإسناد في هذين القسمين لغوى لا عقلى . وقيل : إن جرينا على أن المركبات موضوعة فهو لغوى ، وإن لم نجر على هذا فهو عقلى ، وهذا خلاف لا طائل تحته .

(٣) ٢١١ - المفتاح . (٤) أى كما قال عبد القاهر .

(٥) لأن العقل يرى إسناد ذلك إلى الله لا إلى الطبيب .

(٦) المتصل بالفعل هو اسم الفاعل ونحوه .

(٧) الحق أنه لا معنى للاعتراض بهذا على السكاكى ؛ لأنه يرى أن الحقيقة والمجاز العقليين يجريان في كل إسناد ، ولا يخصهما بما خصه به الخطيب ، على أن الخطيب قد ذكر في المجاز العقلى أمثلة مركبة من مبتدأ أو خبر ، مثل « نهاره صائم » ولا ينفع في الجواب عنه أن المجاز عنده في إسناد الخبر إلى ضمير المبتدأ لأن هذا الإسناد غير مقصود في الكلام ، وإنما المقصود الإسناد إلى المبتدأ على أنه قد ذكر من أمثلة الحقيقة العقلية فيما سبق - خالق الأفعال كلها هو الله وهذا الجواب لا يأتى فيه ، وقد ذكر عبد القاهر من المجاز العقلى قول الخنساء : =

ولا منعكس لخروج ما يطابق الواقع دون اعتقاد المتكلم وما لا يطابق شيئاً منهما منه مع كونهما حقيقتين عقليتين كما سبق (١) .

وقال (٢) : « المجاز العقلي هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأول إفادة للخلاف لا بوساطة وضع ، كقولك « أنبت الربيع البقل ، وشفى الطبيب المريض ، وكسا الخليفة الكعبة » قال : وإنما قلت « خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه » دون أن أقول : « خلاف ما عند العقل » ؛ لئلا يُمتنع طرده بما إذا قال الدهري (٣) عن اعتقاد جهل ، أو جاهل غيره : « أنبت الربيع البقل » راثياً إنباته من الربيع ؛ فإنه لا يُسمى كلامه ذلك مجازاً وإن كان بخلاف العقل في نفس الأمر ، واحتج بيت الحماسة (٤) وقول أبي النجم على ما تقدم . ثم قال : ولئلا يمتنع عكسه بمثل « كسا الخليفة الكعبة ، وهزم الأمير الجند » فليس في العقل امتناع أن يكسو الخليفة نفسه الكعبة ، ولا أن يهزم الأمير وحده الجند ، ولا يقدح ذلك في كونهما من المجاز العقلي ، وإنما قلت « لضرب من التأول » ؛ ليحترز به عن الكذب ؛ فإنه لا يسمى مجازاً مع كونه كلاماً مفيداً خلاف ما عند المتكلم ، وإنما قلت « إفادة للخلاف لا بوساطة وضع » ؛ ليحترز به عن المجاز اللغوي في صورة ، وهي إذا ادعى أن « أنبت » موضوع لاستعماله في القادر المختار أو وضع لذلك » (٥) .

وفيه نظر ؛ لأننا لا نُسلم بطلان طرده بما ذكر ؛ لخروجه بقوله « لضرب من

ترتع ما رتعت حتى إذا أدكرت فإنما هي إقبال وإدبار = وهذا مبتدأ وخبر ، وإنما جعله مجازاً ؛ لأن كلا من الإقبال والإدبار لم يُحمل على الناقه حمل مواطاة وإن كان وصفاً لها . وعبد القاهر حجة في هذا الفن . وقد قيل : إنه مجاز مرسل من إطلاق الصفة وإرادة الموصوف ، وقيل : إنه على حذف مضاف تقديره : ذات إقبال ، والحق أنه لا داعي إلى هذا التكلف ؛ لأنها تقصد المبالغة بالإخبار بالمصدر من غير تأويل أو حذف ، ويمكن أن يؤخذ من اقتصار الخطيب على الاعتراض بمثل « الإنسان حيوان » أن الذي لا يسمى عنده حقيقة ولا مجازاً هو الذي يكون الخبر فيه جامداً لا فعلاً أو في معناه ، ولكنهم قالوا : إن مذهبه أعم من ذلك .

(١) لأنهما دخلا في تعريفه لها بزيادته قيد « في الظاهر » ، وقد أهمله السكاكي .

(٢) ٢٠٨ - المفتاح . (٣) هو من ينسب الأفعال إلى الدهر .

(٤) هو بيت الصلتان العبدى السابق .

(٥) الفرق بين الأمرين أن « أنبت » على الأول موضوع لإخراج النبات مطلقاً ، ولكنه لا

يستعمل إلا في القادر المختار ، وعلى الثاني يكون موضوعاً لإخراج القادر المختار النبات .

التأول» ولا بطلان عكسه بما ذكر؛ إذ المراد بخلاف ما عند العقل خلاف ما في نفس الأمر^(١). وفي كلام الشيخ عبد القاهر^(٢) إشارة إلى ذلك؛ حيث عرّف الحقيقة العقلية بقوله: «كل جملة وضعت على أن الحكم المقاد بها على ما هو عليه في العقل واقع موقعه»؛ فإن قوله «واقع موقعه» معناه في نفس الأمر، وهو بيان لما قبله^(٣). وكذا في كلام الزمخشري، حيث عرّف المجاز العقلي بقوله: «وأن يسند الفعل إلى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له»، فإن قوله «في الحقيقة» معناه في نفس الأمر، ونحو: «كسا الخليفة الكعبة» إذا كان الإسناد فيه مجازاً كذلك، ثم القول بأن الفعل موضوع لاستعماله في القادر ضعيف، وهو معترف بضعفه، وقد رده في كتابه بوجوه: منها أن وضع الفعل لاستعماله في القادر قيد لم ينقل عن واحد من رواة اللغة، وترك القيد دليل في العرف على الإطلاق، فقوله «إفادة للخلاف لا بواسطة وضع» لا حاجة إليه، وإن ذكر فينبغي ألا يذكر إلا بعد ذكر الحد على المذهب المختار، على أن تمثيله بقول الجاهل: «أنت الربيع البقل» ينافي هذا الاحتراز^(٤).

* *

تنبيه

قد تبين مما ذكرنا أن المسمى بالحقيقة العقلية والمجاز العقلي - على ما ذكره السكاكي - هو الكلام، لا الإسناد^(٥). وهذا يوافق ظاهر كلام الشيخ عبد القاهر في مواضع من «دلائل الإعجاز»^(٦) وعلى ما ذكرناه هو الإسناد لا الكلام، وهذا

(١) فلا يخرج نحو «هزم الأمير الجند»؛ لأنه خلاف ما في نفس الأمر، لأن الذي يهزم الجند جيشه.

(٢) ٤٢٩ - أسرار البلاغة - مطبعة الاستقامة.

(٣) يعني قوله «على ما هو عليه في العقل» وهو جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر «أن» قبله، وهذا بيان له.

(٤) لأنه لا يتفق ودعوى أن «أنت» لا يستعمل إلا في القادر المختار، إذ لو صح هذا يكون مجازاً لا حقيقة لإسناد الإنبات فيه إلى الربيع، وهو ليس بقادر مختار، هذا وقد أطال الخطيب هنا في الرد على السكاكي بما لا يحتمله علم البلاغة.

(٥) قيل إن السكاكي يرى أن المسمى بهما هو الإسناد، لأنه في جميع الباب يقول: «إسناد حقيقة وإسناد مجاز» وما في تعريفه لهما يمكن حمله على التساهل في العبارة.

(٦) من هذا تعريفه للحقيقة العقلية وللمجاز العقلي أنهما كل جملة... الخ. كما سبق في تعريفه. ويمكن حمل كلامه في هذا على التساهل أيضاً؛ لتصريحه في عدة مواضع بأنهما وصفان للإسناد.

ظاهر ما نقله الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله عن الشيخ عبد القاهر ، وهو قول
الزَّمخشرى فى « الكشاف » وقول غيره ، وإنما اخترناه ؛ لأن نسبة المسمى حقيقة أو
مجازاً إلى العقل على هذا نفسه بلا وساطة شىء ، وعلى الأول لاشتماله على ما
ينتسب إلى العقل : أعنى الإسناد .

أقسام المجاز العقلى :

ثم المجاز العقلى باعتبار طرفيه - أعنى المسندَ والمسندَ إليه - أربعة أقسام
لا غير :

* لأنهما إما حقيقتان ^(١) كقولنا : « أنبت الربيع البقل » ، وعليه قوله :

* فنَمَ لَيْلى وتَجَلَّى هَمِّى ^(٢) *

وقوله :

* وشيَّب أيامُ الفراقِ مفارِقى ^(٣) *

وقوله :

* ونمتُ وما ليلُ المطىِّ بنائم ^(٤) *

وإما مجازان ^(٥) كقولنا : « أحيَا الأرضَ شبابُ الزمان » ^(٦) .

(١) أى لغويتان . (٢) هو لرؤية بن العجاج ، وقبله :

يا ربُّ قد فرَّجت عني غمى قد كنتُ ذا همٍّ ورأعى نَجْم

وقوله « تجلَّى » بمعنى انكشف ، والشاهد فى قوله « نام ليلى » .

(٣) قيل إنه لجرير من قوله :

وشيَّبَ أيامُ الفراقِ مفارِقى وأنشَرْنَ نفسى فوق حيثُ تكونُ

ولكنه لا يوجد فى ديوانه ، وقوله « أنشَرْنَ » بمعنى رفعن ، وقوله « تكون » مأخوذ من

كان التامة ، والمعنى : أيام الفراق رفعت نفسه عن مكانها فى الجسم وبلغت بها الحلقوم ،
والشاهد فى قوله « وشيَّبَ أيامُ الفراق » .

(٤) هو لجرير من قوله :

لقدُ لُمْتُنى يا أمَّ غيلان فى السرى ونمتُ وما ليلُ المطىِّ بنائم

وأم غيلان : ابنته ، والسرى : السير ليلاً ، والشاهد فى قوله « وما ليلُ المطىِّ بنائم »

والمعنى : أنه لا يقطع السير بالليل ولا ينام . (٥) أى لغويان .

(٦) فإحياء الأرض مجاز عن خصبها ، وشباب الزمان مجاز عن الربيع ، وفى اجتماع المجاز

اللغوى والمجاز العقلى طرافة تجعل لذلك التقسيم فائدة .

* وإما مختلفان : كقولنا « أثبت البقل شباب الزمان » ، وكقولنا « أحياء الأرض الربيع » ، وعليه قول الرجل لصاحبه : « أحييتني رؤيتك » أى آنستني وسرّتني ؛ فقد جعل الحاصل بالرؤية من الأنس والمسرة حياة ، ثم جعل الرؤية فاعلة له . ومثله قول أبي الطيب :

وتُحْيِي له المَالَ الصَّوَارِمُ والقَنَا ويقتل ما تُحْيِي التَّبَسُّمُ والحدَا (١)

جعل الزيادة والوفور حياةً للمال ، وتفريقه فى العطاء قتلاً له ، ثم أثبت الإحياء فعلاً للصوارم ، والقتل فعلاً للتبسم ، مع أن الفعل لا يصح منهما . ونحوه قولهم « أهلك الناس الدينار والدرهم » جعلت الفتنة إهلاكاً ، ثم أثبت الإهلاك فعلاً للدينار والدرهم .

وقوعه فى القرآن : وهو فى القرآن كثير (٢) كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ (٣) نُسِبَت الزيادة التى هى فعل الله إلى الآيات لكونها سبباً فيها ، وكذا قوله تعالى : ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ ﴾ (٤) ، ومن هذا الضرب قوله : ﴿ يُدْبِحُ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ (٥) فالفاعل غيره ، ونُسب الفعل إليه لكونه الأمر به ، وكقوله ﴿ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ﴾ (٦) نُسِبَ النزع الذى هو فعل الله تعالى إلى إبليس ؛ لأن سببه أكل الشجرة ، وسبب أكلها وسوسته ومقاسمته إياهما إنه لهما لمن الناصحين ، وكذا قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ (٧) نسب الإحلال الذى هو فعل الله إلى أكابرهم ؛ لأن سببه كفرهم ، وسبب كفرهم أمر أكابرهم إياهم بالكفر ، وكقوله تعالى : ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ (٨) نُسِبَ الفعل إلى الظرف لوقوعه فيه ، كقولهم « نهاره صائم » وكقوله تعالى : ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ (٩) .

(١) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى من قصيدة له فى مدح سيف الدولة ، والصوارم : السيوف القاطعة ، والقنا : الرماح ، واحدها قناة ، والحدَا : العطاء .
(٢) يريد بالنص على وجود المحاز العقلى فى القرآن الرد على من ينكر وجود المحاز مطلقاً فى القرآن ؛ لأنه يوهم الكذب ، والقرآن منزّه عنه ، ورد بأنه لا إيهام مع وجود القرينة .

(٣) سورة الأنفال : الآية ٢ . (٤) سورة فصلت : الآية ٢٣ .

(٥) سورة القصص : الآية ٤ . (٦) سورة الأعراف : الآية ٢٧ .

(٧) سورة إبراهيم : الآية ٢٨ . (٨) سورة المزمل : الآية ١٧ .

(٩) آية ٢ سورة الزلزلة فقد نسب فيه الإخراج إلى مكانه وهو الأرض مع أن الله هو المخرج للدفائن وهى الموتى . وقيل : إن الإسناد للمفعول ؛ لأنه على تقدير « من » أى أخرج الله من الأرض .

وهو غير مختص بالخبر^(١) ؛ بل يجرى فى الإنشاء ، كقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا ﴾^(٢) وقوله : ﴿ فَأَوْقَدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا ﴾^(٣) وقوله : ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾^(٤) .

تقسيم قرينته : ولا بُدُّ له من قرينة : إما لفظية ؛ كما سبق فى قول أبى النجم ، أو غير لفظية ؛ كاستحالة صدور المسند من المسند إليه المذكور^(٥) . أو قيامه به^(٦) عقلاً ؛ كقولك « محبتك جاءت بى إليك »^(٧) . أو عادةً ، كقولك « هزم الأمير الجند ، وكسا الخليفة الكعبة ، وبنى الوزير القصر » ، وكصدور الكلام^(٨) من الموحّد^(٩) فى مثل قوله : « أشاب الصغير . . . »^(١٠) البيت .

دقة مسئلكه : واعلم أنه ليس كلُّ شىءٍ يصلح لأن تتعاطى فيه المجاز العقلى بسهولة ، بل تجدك فى كثير من الأمر تحتاج إلى أن تهيب الشىء وتصلحه له بشىء تنوخواه فى النظم ؛ كقول من يصف جملاً :

(١) مثله الحقيقة العقلية كما سبق .

(٢) آية ٣٦ سورة غافر . والشاهد فى نسبة البناء لهامان ، وليس هو الذى يفعله ، وإنما يأمر به ؛ لأنه كان وزيراً لفرعون ، فيكون من الإسناد للسبب . والمجاز العقلى يجرى أيضاً فى كل أنواع الإنشاء مع ملايسات الفعل السابقة .

(٣) آية ٣٨ سورة القصص . والشاهد فى نسبة الإيقاد لهامان لأنه بسببه .

(٤) آية ١١٧ سورة طه . والشاهد فى نسبة الإخراج لإبليس لأنه بسببه .

(٥) أى فى الكلام وهو المسند إليه المجازى ؛ لأنه هو الذى يذكر فى المجاز العقلى .

(٦) هذا معطوف على قوله « صدور » لأن الصدور الحدوث ، والقيام الاتصاف ، والأول مثل « ضرب » والثانى مثل « قرب وبعد » .

(٧) لظهور استحالة قيام المحب بالحب ، وهذا إنما يجرى على مذهب المبرد فى باء التعدية ، فهى تقضى عنده بمشاركه الفاعل للمفعول فى الفعل ، وهى عند سيبويه بمعنى همزة النقل فى نحو « أذهبت زيدا » أى جعلته ذاهباً ، فتكون المحبة عنده حاملة فقط على المحب ، وليس فى هذا مجاز عقلى .

(٨) عطف على « كاستحالة » .

(٩) المراد به الموحّد الكامل بخلاف المعتزلة ، والقرينة هنا حالية ، وإنما لم يكن هذا من الاستحالة العقلية ؛ لأن المراد بها الاستحالة الضرورية التى لا خلاف فيها ، وما هنا محل خلاف بين المؤمن والدهرى ، والمعتزلة من الموحّدين يقولون بتأثير الأسباب العادية ، فلا يكون الإسناد إليها مجازاً عندهم .

(١٠) أى الصلتان العبدى فيما سبق .

تجوبُ له الظلماءُ عينُ كأنها زجاجةٌ شَرَبَ غير ملاءى ولا صفر (١)

يريد أنه يهتدى بنور عينه فى الظلماء ، ويمكنه بها أن يخرقها ويمضى فيها ، ولولاها لكانت الظلماء كالسد الذى لا يجد السائر شيئاً يفرجه به ، ويجعل لنفسه فيه سبيلاً ، فلولا أنه قال « تجوب له » فعلق « له » بـ « تجوب » لما تبين جهة التجوز فى جعل الجوب فعلاً للعين كما ينبغي ؛ لأنه لم يكن حينئذ فى الكلام دليل على أن اهتداء صاحبها فى الظلماء ومضيه فيها بنورها ، وكذلك لو قال « تجوب له الظلماء عينه » لم يكن له هذا الموقع ، ولانقطع السلك من حيث كان يعينه حينئذ أن يصف العين بما وصفها به (٢) .

الخلاف فى استلزامه الحقيقة : واعلم أن الفعل المبني للفاعل فى المجاز العقلى واجب أن يكون له فاعل فى التقدير ، إذا أسند إليه صار الإسناد حقيقة ؛ لما يشعر بذلك تعريفه بما سبق (٣) ، وذلك قد يكون ظاهراً ؛ كما فى قوله تعالى : ﴿ فما ربحت تجارتهم ﴾ (٤) أى فما ربحوا فى تجارتهم ، وقد يكون خفياً لا يظهر إلا بعد نظر وتأمل ؛ كما فى قولك « سرتنى رؤيتك » أى : سرنى الله وقت رؤيتك ، كما تقول : أصل الحكم فى « أنبت الربيع البقل » : أنبت الله البقل وقت الربيع ، وفى « شفى الطبيب المريض » شفى الله المريض عند علاج الطبيب ، وكما فى قوله « أقدمنى بلدك حقاً لى على فلان » أى : أقدمتنى نفسى بلدك لأجل حق لى على فلان ، أى قدمت لذلك ، ونظيره « محبتك جاءت بى إليك » أى : جاءت بى نفسى

(١) لا يعلم قائله ، وقبله :

تناس طلاب العامرية إذ نأت بأسجح مرقال الضحى قلق الضفر

إذا ما أحسسته الأفاعى تخيرت شواة الأفاعى من مكلمة سمر

والشرب : جمع شارب ، والصفر : الخالية ، والمجاز فى إسناد « تجوب » إلى العين ، وإنما قيد الزجاج بكونها غير ملاءى ولا صفر ؛ لأن العين إنما تشبهها فى هذه الحالة .

(٢) لأن تنكيرها هو الذى هياً له وصفها به .

(٣) يرد بهذا على ما يفيد ظاهراً كلام عبد القاهر من أن الفعل المبني للفاعل فى المجاز العقلى لا يجب أن يكون له فاعل حقيقى ، كما فى قولك « سرتنى رؤيتك » ، والخلاف فى هذا لا ثمره له ولا يصح الاشتغال به فى علم البلاغة ، ولا يريد عبد القاهر إلا أن العرف فى مثل هذا لم يجز بإسناد الفعل إلى الفاعل الحقيقى ؛ فلا يقال فيه : سرنى الله عند رؤيتك .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٦ .

إليك لمحبتك أى جعلتك لمحبتك ، وإنما قلنا : إن الحكم فيهما مجاز ؛ لأن الفعلين فيهما مسندان إلى الداعى (١) ، والداعى لا يكون فاعلا . وكما فى قول الشاعر :

وصيرنى هَواك وبى لَحَيْنِي يُضْرَبُ المثلُ (٢)

أى : وصيرنى الله لهواك وحالى هذه ، أى أهلكنى الله ابتلاءً بسبب هواك .

وكما فى قول الآخر وهو أبو نواس :

يزيدك وجهه حسناً إذا ما زدته نظراً (٣)

أى يزيدك الله حسناً فى وجهه لما أودعه من دقائق الجمال متى تأملت .

إنكار السكاكى له : وأنكر السكاكى (٤) وجود المجاز العقلى فى الكلام (٥) ،

(١) يعنى الداعى إلى الفعل وهو السبب .

(٢) هو - كما فى الأغاني - لأبى عبد الله محمد بن أبى محمد يحيى بن المبارك

اليزيدى ، وقيل : إنه لابن البواب ، وقبله :

أتيتك عائدا بك منى ك لما ضاقت الحيلُ

وبعده :

فإن ظفرت بكم نفسي فما لاقيته جَلَلُ
وإن قتل الهوى رجلا فإني ذلك الرجلُ

والحين فى الأصل : الهلاك ، استعير لما وصل إليه من سوء الحال فى هواه .

(٣) هو للحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس . والمراد بالحسن : حسن الوجه وجماله

وليس المراد به استحسان الناظر إليه . ورواية الديوان :

وجوهٌ عندنا تكي بدارة وجهها القمر
يزيدك وجهها حسناً إذا ما زدته نظراً

وقيل إن البيت لابن المعدل ، وقبله :

لعتبة صفحتا قمرٍ يفوق سناهما القمر

يريد : وجهها .

(٤) ٢١٢ - المفتاح .

(٥) ذهب ابن الحاجب أيضا إلى أن المجاز فى لفظ « أنبت » مثلاً من قولك « أنبت الربيع

البقل » وهو يوافق السكاكى فى إنكار المجاز العقلى ، وذهب الفخر الرازى إلى إنكاره أيضا ،

ولكنه يحمل نحو « أنبت الربيع البقل » على أنه تمثيل يورد ليتصور معناه وينتقل الذهن منه إلى

إنبات الله تعالى ، فلا مجاز عنده فى الإسناد ولا فى طرفيه ، وذهب سيبويه إلى أنه من التوسع فى

الكلام فيحتاج فيه إلى التأويل فقط ، كما يؤول « نام ليلى » بأنه على تقدير عمت فى ليلى ؛

فجملة المذاهب فى ذلك خمسة ، والخلاف بينهم فيها مما لا يصح الاشتغال به فى هذا العلم ،

وأقربها إلى أسلوب اللغة جعل التجويز فى الإسناد ، كما ذهب إليه الخطيب ، وهو مذهب عبد

القاهر إمام هذا الفن ؛ لأنه لا تكلف فيه كغيره من المذاهب .

وقال : « الذى عندى نظمه فى سلك الاستعارة بالكناية ، بجعل الربيع استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقى ^(١) بواسطة المبالغة فى التشبيه ، على ما عليه مبنى الاستعارة ، كما سيأتى . وجعل نسبة الإنبات إليه قرينة للاستعارة ، ويجعل الأمير المدبر لأسباب هزيمة العدو استعارة بالكناية عن الجند الهازم ، وجعل نسبة الهزم إليه قرينة للاستعارة .

وفيما ذهب إليه نظر ؛ لأنه يستلزم أن يكون المراد بعيشة فى قوله تعالى : ﴿ فهو فى عيشة راضية ﴾ ^(٢) صاحب العيشة لا العيشة ^(٣) ، وبـ « ماء » فى قوله : ﴿ خلق من ماء دافق ﴾ ^(٤) فاعل الدفق لا المني ^(٥) ؛ لما سيأتى من تفسيره للاستعارة بالكناية ^(٦) ، وألاً تصح الإضافة فى نحو قولهم « فلان نهاره صائم وكيله قائم » لأن المراد بالنهار على هذا فلان نفسه ، وإضافة الشيء إلى نفسه لا تصح . وإلا يكون الأمر بالإيقاد على الطين فى إحدى الآيتين ^(٧) وبالبناء فيهما لهامان ^(٨) مع أن النداء له ^(٩) .

وأن يتوقف جواز التركيب فى نحو قولهم « أنبت الربيع البقل ، وسرتنى رؤيتك » على الإذن الشرعى ؛ لأن أسماء الله تعالى توقيفية ، وكل ذلك منتفٍ ظاهر الانتفاء ، ثم ما ذكره منقوض بنحو قولهم « فلان نهاره صائم » ؛ فإن الإسناد فيه مجاز ، ولا يجوز أن يكون النهار استعارة بالكناية عن فلان ؛ لأن ذكر طرفى التشبيه يمنع من حمل الكلام على الاستعارة ، ويوجب حمله على التشبيه ، ولهذا عدُّ نحو

(١) هو الله تعالى ، وإنما لم يصرح به لئبتعد عن سوء الأدب فى التشبيه من اللفظ . وما كان أغنى السكاكى عن ذلك المذهب الذى يحوج إلى هذا التكلف .

(٢) سورة الحاقة : الآية ٢١ .

(٣) وجه الزوم أن ضمير « راضية » يعود إلى عيشة ، فيلزم أن يكونا بمعنى واحد ، ووجه بطلان اللازم ما فيه من ظرفية الشيء فى نفسه .

(٤) سورة الطارق : الآية ٦ .

(٥) لأن ضمير « دافق » يعود إلى ماء ، فيلزم أن يكونا بمعنى واحد ، ووجه بطلان اللازم ما فيه من إثبات خلق الإنسان من نفسه .

(٦) ما سيأتى هو أن مبناها عنده على دعوى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به .

(٧) أى السابقتين وهما : ﴿ يا هامان ابن لى صرحاً ﴾ . (الزمر : ٣٦) ﴿ فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحاً ﴾ آية ٣٨ سورة القصص .

(٨) بل يكون للعملة الذين شبه هامان بهم .

(٩) فيكون الأمر له لئلا يلزم تعدد المخاطب فى كلام واحد .

قولهم : « رأيت بفلان أسداً ، ولقيت منه أسد » تشبيها لا استعارة ، كما صرح السكاكي أيضاً بذلك في كتابه (١) .

* *

تنبيه

سبب عدم إيراد الحقيقة والمجاز العقليين في علم البيان :

إنما لم نورد الكلام في الحقيقة والمجاز العقليين في علم البيان كما فعل السكاكي ومن تبعه ؛ لدخوله في تعريف علم المعاني دون تعريف علم البيان (٢) .

* * *

(١) أجاب أصحاب الحواشي عن السكاكي بأجوبة أعرضنا عنها ؛ لأنها لا يصح التطويل بها في علم البلاغة ، والحق أن المجاز العقلي طريقه غير طريق الاستعارة بالكناية ؛ لأنها تقوم على علاقة المشابهة كغيرها من الاستعارات ، بخلافه ، فلا يصح حمله عليها .

(٢) بيان ذلك : أن الحقيقة والمجاز العقليين حالان من أحوال اللفظ ، وأنه يؤتى بهما لأحوال تقتضيهما ؛ لأن ملابسات الفعل السابقة تقتضي الإتيان بالمجاز العقلي عند قصد المبالغة ، وعدمها يقتضي الإتيان بالحقيقة العقلية ، وبهذا يدخلان في تعريف علم المعاني ، وإنما لم يدخلنا في تعريف علم البيان لأنهما ليسا من أحوال الدلالة ، وقد اعترض على هذا بأن الحقيقة والمجاز اللغويين حالان من أحوال اللفظ أيضاً وكل منهما له أحوال تقتضيهما كالحقيقة والمجاز العقليين ، وقد ذكرهما الخطيب كغيره في علم البيان ، فإذا أجيب بأنهما من أحوال الدلالة فيدخلان في علم البيان ، قيل : إنه يمكن جعل الحقيقة والمجاز العقليين من أحوال الدلالة أيضاً ؛ لأن إثبات البقل مثلاً يمكن أن يدل عليه بقولنا « أنبت الله البقل » على طريق الحقيقة ، وبقولنا « أنبت الربيع البقل » على طريق المجاز ، وهكذا ، ولكن هذا يتوقف على دخول دلالة الحقيقة في طرق الدلالة المذكورة في تعريف علم البيان .

تمرينات على الحقيقة والمجاز العقليين

تمرين - ١

بين الحقيقة والمجاز العقليين والأحوال الداعية إليهما فيما يأتى :

- (١) فدَعَهَا وَسَلَّ الهمَّ عنها بحسرة دَمُول إذا صام النهار وهَجَرَا
- (٢) إِنِّى لَمِنَ مَعَشَرَ أَفْنَى أَوَائِلَهُمْ قِيلُ الكِمْأَة أَلَا أَيْنَ الحَامُونَا
- (٣) إِنَ المَنْبِتُ لَا أَرْضًا قَطَعَ ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى .
- (٤) قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ آية ٦٥ سورة النحل .

تمرين - ٢

بين نوع الملابس فيما يأتى من المجاز العقلى :

- (١) هِىَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدَتْهَا دُولٌ مِّنْ سِرِّهِ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ
- (٢) وَكُلُّ أَمْرٍ يُولَى الْجَمِيلَ مُحِبٌّ وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيِّبٌ
- (٣) قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصَرًا ﴾ آية ٦٧ سورة يونس .

تمرين - ٣

- (١) ما وجه من جعل الحقيقة والمجاز العقليين من علم المعانى ؟ ... وما وجه من جعلهما من علم البيان ؟ ... وهل لهذا الخلاف ثمرة فى البلاغة ؟
- (٢) بين الخلاف فى كون الحقيقة والمجاز العقليين وصفين للكلام أو للإسناد ؟ وما هى ثمرة هذا الخلاف فى المقصود من علوم البلاغة ؟

* * *

الباب الثاني : القول في أحوال المسند إليه

أغراض الحذف : أما حذفه فإما لمجرد الاختصار ^(١) والاحتراز عن العبث بناءً ^(٢) على الظاهر ، وإما لذلك مع ضيق المقام ^(٣) ، وإما لتخييل ^(٤) أن في تركه تعويلا على شهادة العقل وفي ذكره تعويلا على شهادة اللفظ من حيث الظاهر ، وكم بين الشهادتين ! وإما لاختبار تنبه السامع عند القرينة ^(٥) ، أو مقدار تنبيهه ^(٦) ، وإما لإيهام أن في تركه تطهيراً له عن لسانك أو تطهيراً للسانك عنه ^(٧) ، وإما ليكون لك سبيل إلى الإنكار إن مسّت إليه حاجة ^(٨) ، وإما لأن الخبر لا يصلح إلا له حقيقة أو ادعاء ^(٩) ، وإما لاعتبار آخر مناسب لا يهتدى إلى مثله

(١) الحذف هو حال المسند إليه ، وكذا ما سيأتى من الذكر والتعريف والتنكير والتقديم والتأخير ، ومجرد الاختصار وما عطف عليه هي الأحوال الداعية إلى الحذف ، وهذا يقال في الحذف مما يأتى ، وهذه الأحوال تسمى أغراضاً أيضاً .

والاختصار غرض مطرد في الحذف ؛ فتارة يكون وحده ، وتارة يكون مع غيره من أغراض الحذف ، وحذف المسند إليه يشمل حذف المبتدأ وحذف الفاعل مع إنابة المفعول عنه .

(٢) بناء : حال من العبث ، أى حال كون العبث مبنياً على الظاهر بأن تكون هناك قرينة تدل على الم حذف ؛ لأنه لا يصح حذفه من غير قرينة تدل عليه ، وظاهره أن الاختصار والاحتراز عن العبث غرضان لا ينفصل أحدهما عن الآخر .

(٣) ضيق المقام قد يكون بسبب شعر أو ضجر أو خوف فوات فرصة أو نحو ذلك .

(٤) إنما قال « تخييل » ؛ لأن الدال حقيقةً عند الحذف هو اللفظ المدلول عليه بالقرينة ، وهذه نكتة فلسفية أتى بها السكاكي في أغراض الحذف وليست فى شيء من البلاغة العربية .

(٥) هذا كأن يزورك رجلان سبقت لأحدهما صحبة لك ، فتقول لمن معك : « وفى » تريد : الصاحب وفى .

(٦) هذا كأن يزورك رجلان أحدهما أقدم صحبةً من الآخر ، فتقول لمن معك : « جدير بالإحسان » تريد الأقدم صحبة جدير بالإحسان ، والفرق بين هذا وما قبله أن اختيار مقدار التنبيه لا يكون إلا فى القرائن الخفية ، وهذا الغرض بقسميه من تكلفاتهم أيضاً .

(٧) قيل : إن لفظ « إيهام » هنا لا داعى إليه ، وكذلك لفظ « تخييل » فيما سبق ؛ لأن ذلك يقع حقيقة لا تخييلاً ولا إيهاماً ، والأول كقولك « خاتم الأنبياء » أى محمد ﷺ ، والثانى سيأتى فى أمثلة الإيضاح .

(٨) هذا كقولك « فاجر » تريد رجلاً معروفاً ، فلا تذكره لتقول عند الحاجة ما أردته .

(٩) الأول كقوله تعالى : ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ آية ٩ سورة الرعد ، والثانى كقولك « وهاب الألوف » تريد كريماً لا تذكره ادعاءً لتعينه وشهرته .

إلا العقلُ السليمُ والطبعُ المستقيم (١) .

كقول الشاعر :

قال لى : كيف أنت ؟ قلتُ عليلٌ سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طويلٌ (٢)

وقوله :

سأشكرُ عَمراً إن تراختَ منيَّيَ أيادى لم تُمننَ وإن هـى جَلَّتْ
فتى غيرُ محبوبٍ الغنى عن صديقه ولا مُظهرُ الشكوى إذا النعلُ زَلَّتْ (٣)

وقوله :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
نجومُ سماءٍ كلما انقضَّ كوكبٌ بدا كوكبٌ تأوى إليه كواكبه (٤)

(١) من ذلك تعجيل المسرة أو المساءة كقولك للسائل : « دينار » . ومنه المحافظة على وزن أو سجع ، كقولهم « من طابت سريرته حمدت سيرته » . فلو قيل « حمد الناس سيرته » لفات السجع ، وإنى أرى أن هذا غرض يراعى من أجل محسن بدعى ، فلا يفوت بتركه إلا ذلك المحسن ، ولا يكون مقامه فى البلاغة كغيره ، وقد ذكر بعضهم من أغراض الحذف اتباع الاستعمال الوارد على تركه ، كما فى قولهم « رمية من غير رام » أو على ترك نظائره ، كالرفع على المدح أو الذم فى النعت المقطوع ، واعترض عليه بأن الحذف فى ذلك ليس لأغراض بلاغية ، وإنما يرجع إلى اقتضاء العربية له ، وأجيب بأن هذا الحذف مع وجوبه عربية لا يصار إليه إلا لغرض بلاغى يقتضيه ، وهو جوابٌ ظاهر ؛ لأنه لا معنى لتوقف الحذف على الغرض البلاغى مع وجوبه فى ذاته ؛ إذ لا بد منه وجد هذا الغرض أو لم يوجد .

(٢) لا يُعلم قائله ، والشاهد فى قوله « عليل » ؛ لأن التقدير أنا عليل . وفى قوله « سهر دائم » ؛ لأن التقدير حالى سهر دائم ، والحذف فيه للاختصار والاحتراز عن العبث مع ضيق المقام بسبب الضجر والشعر .

(٣) هما لعبد الله بن الزبير الأسدى فى مدح عمرو بن عثمان بن عفان ، وقيل إنهما لإبراهيم بن العباس الصولى ، وقيل غير هذا فى نسبتهم ، وأيادى جمع يد ، وقوله « لم تمنن » معناه والتقدير : أيادى له ، وهى جمع أيدي بمعنى النعم ، وأيادى جمع يد ، وقوله « لم تمنن » معناه لم تقطع أو لم تخلط بمنة . وقوله « إذا النعل زلت » كناية عن نزول الشر ، وزلت بمعنى زلقت ، والشاهد فى قوله « فتى » ؛ لأن التقدير هو فتى ، والحذف فيه للاختصار والاحتراز عن العبث مع ضيق المقام بسبب الشعر ، وقد قيل إنه لصون المحذوف عن لسان المادح ، وقيل إنه لادعاء تعينه ، وكلاهما ضعيف ؛ لأنه صرح باسمه قبله .

(٤) قيل : إنهما لحنظلة بن الشرفى المعروف بأبى الطمحان القينى وقيل : للقيط بن زُرارة ، فى مدح « بنى لأم » من طيىء ، وهو الصحيح ، وكان فى أسر بجير بن أوس الطائى فأطلقه =

وقول بعض العرب في ابن عم له مُوسِر سألَه فمَنعَه ، وقال : كم أعطيك مَالِي وأنت تنفقه فيما لا يعنك ، والله لا أعطيتك . فتركه حتى اجتمع القوم في ناديهِم وهو فيهم ، فشكاه إلى القوم وذمَّه ، فوثب إليه ابن عمه فلطمه ، فأنشأ يقول :

سريعٌ إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعي الندى بسريع

حريصٌ على الدنيا مُضِيعٌ لدينه وليس لما في بيته بمُضِيع (١)

وعليه قوله تعالى : ﴿ صُمُّكُمْ عَمِّي ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ وما أدراك ما هيه ، نارٌ حاميه ﴾ (٣) ، وقيام القرينة شرطاً في الجميع (٤) .

أغراض الذكر : وأما ذكره ؛ فإمّا لأنه الأصل ولا مقتضى للحذف (٥) ، وإمّا

= فمدحه بذلك ، والجزع : خرز فيه بياض وسواد ، والشاهد في قوله « نجوم سماء » ؛ لأن التقدير هم نجوم سماء ، والحذف فيه للاختصار والاحتراز عن العبث مع ضيق المقام بسبب الشعر ، وقيل : إنه لصون المحذوف عن لسان المادح ، هذا وبعضهم يأخذ على البيت الأول ما فيه من المبالغة التي تجاوزت الحد ، وبعضهم يعجب به ويقول : هو أمدح بيت قيل في الجاهلية .

(١) هما للمغيرة بن عبد الله المعروف بالاقشير الأسدي . والندى : الكرم ، والشاهد في قوله « سريع إلى ابن العم » ؛ لأن التقدير هو سريع ، والحذف فيه لصون اللسان عن المحذوف مع الاختصار والاحتراز عن العبث .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٨ .

(٣) سورة القارة : الآيات ٩ ، ١٠ .

(٤) أي في جميع أغراض الحذف ؛ لأنه لا يصح الحذف إلا معه ، واعتبار البلاغة إنما

يكون بعد اعتبار الصحة ، وقد يغني عن هذا قوله فيما سبق « بناء على الظاهر » . هذا وقد ترك أمثلة حذف المسند إليه الفاعل مع إنابة المفعول عنه ، ومن ذلك هذه الأمثلة :

سُبِقْنَا إِلَى الدُّنْيَا . فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا	مُنَحْنَا بِهَا مِنْ جَنَّةٍ وَدُحُوبٍ
نُبِّئْتُ أَنْ أَبَا قَبَسٍ أَوْعَدَنِي	وَلَا قَرَارَ عَلَيَّ زَارٍ مِنَ الْأَسَدِ
أَسْرَتُ وَمَا صَحْبِي بَعُزْلٍ لَدَى الْوَعْيِ	وَلَا فَرْسِي مَهْرٌ وَلَا رَبُّهُ غُمَرٌ
لَئِنْ كُنْتُ قَدْ بُلَّغْتُ عَنِّْي خِيَانَةً	لَمُبْلَغُكَ الْوَاشِي أَغْشَى وَأَكْذَبُ

والحذف في الأول للعلم بالمحذوف ، وفي الثاني للخوف عليه ، وفي الثالث لضيق المقام ، وفي الرابع لاحتقار المحذوف .

(٥) إنما قَدِّمَ أغراض الحذف على أغراض الذكر ؛ لأن الأولى أهم في البلاغة من الثانية ، والذكر الذي يبحث عن أغراضه هو الذي يصح الاستغناء عنه لوجود القرينة ، فوجودها شرط في الذكر كما هو شرط في الحذف ؛ لأنه مع فقدها يتعين الذكر ، وإنما يبحث في هذا العلم عن الأغراض المرجحة كما سبق ، وقد اعترض على هذا الغرض بأنه مع وجود القرينة يكون مقتضى =

للاحتياط لضعف التعويل على القرينة (١) ، وإما للتنبيه على غباوة السامع (٢) ، وإما لزيادة الإيضاح والتقرير (٣) ، وإما لإظهار تعظيمه أو إهانته كما فى بعض الأسماء المحمودة أو المذمومة (٤) ، وإما للتبرك بذكره (٥) ، وإما لاستلذاذه (٦) ، وإما لبسط الكلام حيث الإصغاء مطلوب ، كقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿ هِيَ عَصَايَ ﴾ (٧) ولهذا زاد على الجواب (٨) ، وإما لنحو ذلك (٩) .

= الحذف موجوداً ، ويكون الأصل الحذف ، لا الذكر ، وأجيب بأنه يريد لا مقتضى الحذف فى قصد المتكلم وإن كان موجوداً فى نفسه . وإنى أرى أنه متى وجدت القرينة يتعين الحذف بلاغةً ، ولا يصح الذكر لمثل هذا الغرض ؛ فالأولى الاختصار على ما بعده . وقيل : إن مراده أن الذكر هو الأصل عند فقد القرينة ؛ ويكون ما بعده من الأغراض عند وجودها ، ولا يخفى ضعف هذا الجواب أيضاً .

(١) هذا عند خفاء القرينة ؛ كما تقول « من حضر ومن سافر ؟ فيقال : « الذى حضر زيد ، والذى سافر عمرو » ، ولا يقال زيد وعمر ؛ لأن السامع قد يجهل تعيين ذلك فى السؤال .
(٢) هذا عند ظهور القرينة ، كما تقول : من حضر ؟ . . . فيقال « الذى حضر زيد » .
(٣) نحو قول الشاعر :

وقد علم القبائل من معدٍّ إذا قُبِّبَ بأبطحها بُنيناً
بأننا المطعمون إذا قدرنا وأنا المهلكون إذا ابتلينا
وأننا المانعون لما أردنا وأنا النازلون بحيث شينا
وأننا التاركون إذا سخطنا وأنا الآخذون إذا رضينا

(٤) الأول نحو « أمير المؤمنين حاضر » ، والثانى نحو « السارق اللقيم حاضر » جواباً لمن سأل عنهما .

(٥) كقولك لمن سألك : هل الله يرضى هذا ؟ : الله يرضاه .

(٦) نحو قول الشاعر :

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاى منكن أم ليلى من البشر

(٧) سورة طه : الآية ١٨ .

(٨) فقال : ﴿ أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى ﴾ ، وكل هذا لأن الكلام مع رب العزة ، وإصغاء المخاطب فى مثل هذا مطلوب للمتكلم ، والإصغاء محال على الله تعالى ، ولكن كلامه يجرى على أساليب العربية ، بقطع النظر عن كونه كلامه .
وقد يطلب بسط الكلام لغير ذلك من مقامات المدح والرثاء والفخر ونحوها ؛ كقول الشاعر :

فعبّاس يصدّ الخطب عنا وعبّاس يُجير من استجارا

(٩) كالتسجيل على السامع حتى لا يتأتى له الإنكار ، ومنه قول الفرزدق فى على بن الحسين رضى الله عنهما حين أنكر هشام بن عبد الملك معرفته :
هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى النقى الطاهر العلم =

قال السكاكي (١) : « وإما لكون الخبر عامً النسبة إلى كل مسند إليه ، والمراد تخصيصه بمعين (٢) كقولك « زيدٌ جاء ، وعمرو ذهب ، وخالد في الدار » وقوله :
 الله أنجح ما طلبت به والبر خير حَقِيبَةِ الرَّحْلِ (٣)
 وقوله :

النفسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ (٤) »
 وفيه نظر ؛ لأنه إن قامت قرينة تدل عليه إن حُذِفَ ، فعموم الخبر وإرادة
 تخصيصه بمعين وحدهما لا يقتضيان ذكره ، وإلا فيكون ذكره واجباً (٥) .

* * *

= هذا ابنُ فاطمة إن كنتَ جاهله بجده أنبياءُ الله قد خُتِمُوا

(١) ٩٥ - المفتاح .

(٢) أى ذكر مسند إليه خاص يُسندُ إليه الخبر ، فلا يريد بالتخصيص قصر الخبر عليه ؛
 لأنه لا قصر فيما ذكره من الأمثلة ، وقيل : إنه يريد به القصر على ما سيأتى فى تقديم المسند
 إليه . وردُّ بأن هذا خلاف مذهب السكاكي ؛ لأنه يرى أن المبتدأ إذا كان اسماً ظاهراً لا يفيد
 القصر كما سيأتى .

(٣) هو لامرئ القيس بن حندج بن حجر ، واختار صاحب الأغاني أنه لامرئ القيس
 ابن عابس . وأنجح : أفعل تفضيل من « أنجح الله طلبته » على مذهب سيبويه فى تجويز بنائه من
 المزيد ، و(ما) ، فى قوله « ما طلبت به » نكرة موصوفة ، بمعنى شىء ، والبر : الطاعة ،
 والحقيبة : ما يوضع فيه الزاد ونحوه ، والرحل : الرحيل .

(٤) هو لخويلد بن خالد المعروف بأبى ذؤيب الهذلى ، وقوله : رغبتها : بمعنى أطمعتها ،
 ورواية الجمهرة : « والنفس » بالواو .

(٥) أجيب عن هذا النظر بأنه لا مانع من أن يكون ذكره لعدم القرينة والتخصيص بمعين
 معاً ، ولا يخفى ضعف هذا الجواب ؛ لما سبق من وجوب القرينة فى الذكر ، كالحذف .

تمارين على الذكر والحذف

تمرين - ١

لماذا حذف المسند إليه في الأمثلة الآتية :

- ١ - وما المال والأهلون إلا ودائعٌ ولا بُدَّ يوماً أن تُردَّ الودائع
- ٢ - سألوني في سقامي كيف حالى ؟ قلتُ : نضو
- ٣ - وإنى رأيتُ البخل يُزرى بأهله فأكرمتُ نفسي أن يُقال بخيلٌ

تمرين - ٢

لماذا ذكر المسند إليه في الأمثلة الآتية :

- ١ - وإنى لخلوٌ تعتريني مرارةٌ وإنى لتراكٌ لما لم أُعوذ
- ٢ - قوله تعالى : ﴿ فاصبح في المدينة خائفاً يترقبُ فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوى مبين ﴾ آية ١٨ سورة القصص .
- ٣ - قوله ﷺ : « أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » .

تمرين - ٣

بين حال المسند إليه في الذكر والحذف ، والداعي إليهما فيما يأتي :

- ١ - قوَالُ مُحْكَمَةٍ نَقَّاضٌ مَبْرَمَةٌ فَتَّاحٌ مَبْهَمَةٌ حَبَّاسٌ أَوْرَادُ
- ٢ - قوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحدٌ ، الله الصمدُ ﴾ آية ١ ، ٢ سورة الإخلاص .
- ٣ - إن تُبتدرَ غايةٌ يوماً لمكرمةٍ تَلَقَّ السَّوَابِقَ منا والمصلينا
- ٤ - قوله تعالى : ﴿ فصبرٌ جميلٌ والله المستعانُ على ما تصفون ﴾ آية ١٨ سورة يوسف .

* * *

أغراض التعريف

أغراض التعريف : وأما تعريفه فلتكون الفائدة أتم^(١) ؛ لأن احتمال تحقق الحكم متى كان أبعد كانت الفائدة في الإعلام به أقوى ، ومتى كان أقرب كانت أضعف ، ويُعدهُ بحسب تخصيص المسند إليه ، والمسندُ^(٢) كلما ازداد تخصيصاً ازداد الحكم بُعداً ، وكلما ازداد عموماً ازداد الحكم قرباً ، وإن شئت فاعتبر حال الحكم في قولنا : « شئ ما موجود » وفي قولنا « فلان بن فلان يحفظ الكتاب » والتخصيص كماله بالتعريف .

أغراض التعريف بالإضمار : ثم التعريف مختلف ، فإن كان بالإضمار : فإما لأن المقام مقام التكلم^(٣) كقول بشار :

أنا المرعث لا أخُفَى على أحد ذرتُ بى الشمس للقاصى وللدانى^(٤)
وإما لأن المقام مقام الخطاب ، كقول الحماسية :

وأنت الذى أخلفتنى ما وعدتنى وأشمت بى من كان فيك يلوُم^(٥)

وإما لأن المقام مقام الغيبة لكون المسند إليه مذكوراً أو فى حكم المذكور لقريئة^(٦) كقوله :

(١) أى مع اقتضاء المقام له ، ولهذا أثر عليه التنكير فى قوله تعالى : ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ﴾ آية ٢٠ سورة القصص .

(٢) المراد بالتخصيص التعيين ، وإنما كان التعيين سبباً فى بعد الحكم ؛ لأن كل واحد يعلم حصول ضرب ما مثلاً من أى إنسان ، ولا يعلم حصول ضرب معين من شخص معين ، فتكون الفائدة أتم فى الحكم على المعين .

(٣) لا يخفى أن مقام التكلم يوجب ضمير المتكلم ، ومقام الخطاب يوجب ضمير الخطاب ، ومقام الغيبة يوجب ضمير الغيبة ، ومثل هذا لا يُبحث عنه فى البلاغة كما سبق ، وإنما هى معان نحوية لا يصح ذكرها فى علم البلاغة .

(٤) المرعث : المقرط لقَّب به لرعشة كان يعقلها وهو صغير فى أذنه . وقوله « ذرت » معناه طلعت ، وهو كناية عن شهرته ، والشاهد فى قوله « أنا » لأن المقام للتكلم ، وقد علمت ما فيه . والحق أن ضمير التكلم يؤتى به فى مقام الفخر ونحوه لما فيه من الإشعار بالاعتداد بالنفس .

(٥) هو لأمامة الخثعمية تخاطب ابن الدمينة الشاعر ، وكان يتغزل بها فى شعره ، ثم تزوجها بعد ذلك ، وقد وردت فى أكثر شعره أميمة بتصغير الترخيم .

(٦) بهذا يمتاز مقام ضمير الغيبة عن مقام الاسم الظاهر ؛ لأنه للغيبة أيضاً .

منَ البِيضِ الوجوهَ بَنَى سَنان
هُم حَلُّوا من الشرفِ المُعلَّى
وقوله تعالى : ﴿ اَعْدَلُوا هُوَ اقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ (٢) أى العدل ، وقوله تعالى :
﴿ ولأبويه لكل واحد منهما السدس ﴾ (٣) أى ولأبوى الميت (٤) .
وأصل الخطاب أن يكون لمعين ، وقد يترك إلى غير معين (٥) ؛ كما تقول « فلانٌ
لئيم إن أكرمته أهانك ، وإن أحسنت إليه أساء إليك » فلا تريد مخاطباً بعينه بل تريد
إن أكرم أو أحسن إليه ، فتخرجه فى صورة الخطاب ليفيد العموم ، أى سوء معاملته
غير مختص بواحد دون واحد . وهو فى القرآن كثير ، كقوله تعالى : ﴿ وكوثرى إذ
المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ﴾ (٦) أخرج فى صورة الخطاب كما أريد العموم
للقصد إلى تفضيع حالهم ، وأنها تناهت فى الظهور حتى امتنع خفاؤها ؛ فلا تختص
بها رؤية راء ، بل كل من يتأتى منه الرؤية داخل فى هذا الخطاب (٧) .
أغراض التعريف بالعلمية : وإن كان بالعلمية فيما لإحضاره بعينه فى ذهن
السامع ابتداءً باسم مختص به (٨) كقوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ (٩) .

(١) هما لأبى البرج القاسم بن حنبل المرى ، فى زفر بن أبى هاشم بن مسعود ،
وقبلهما :

أرى الخلان بعد أبى حبيب بحجر فى جنبهم خفاءً
وبياض الوجه كناية عن السيادة والشرف . والشاهد فى ضمائر الغيبة الأربعة فى البيتين .
(٢) سورة المائدة : الآية ٨ . (٣) سورة النساء : الآية ١١ .
(٤) المثالان فى الآيتين لعود الضمير على ما هو فى حكم المذكور ، والقرينة فى الأول
لفظية وفى الثانى حالية .
(٥) فيدل على العموم البدلى بطريق المجاز أو الحقيقة . وقيل : إن ذلك من الإخراج على
خلاف مقتضى الظاهر ؛ لأن قوله تعالى : ﴿ ولو ترى ﴾ الظاهر فيه : ولو يرى أن كل أحد . ومثل
هذا هو الذى يعد من وجوه البلاغة فى هذا الباب ؛ لما فيه من تلك المزية الظاهرة ، ويمكن أن يعد
منها الالتفات الآتى ، واستعمال ضمير الجمع فى الواحد ، ونحو ذلك مما لا يدخل فى المعانى
النحوية للضمائر . (٦) سورة السجدة : الآية ١٢ .

(٧) منه أيضاً قول الشاعر :
إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هواناً بها كانت على الناس أهونا
وقول الآخر :

إذا ما كنت ذا قلب قنوع فأنت ومالك الدنيا سواء
(٨) هذا أيضاً من استعمال العلم فى معناه الأسمى ، فلا يصح أن يعد من وجوه البلاغة .
(٩) آية ١ سورة الإخلاص . وإنما تكون الآية من تعريف المسند إليه بالعلمية إذا جعل
لفظ الجلالة مبتدأ ثانياً لا خبراً عن الضمير .

وقول الشاعر :

أبو مالك قاصِرُ فقرهٗ على نَفْسِهٖ ومُشيعُ غِنَاهُ (١)

وقوله :

الله يعلم ما تركت قتالهم حتَّى علَوْا فرسى بأشقر مزيد (٢)

وإما لتعظيمه أو لإهانتة ، كما في الكُنَى والألقاب المحمودة والمذمومة (٣) .
وإما للكناية حيث الاسم صالح لها (٤) ، ومما ورد صالحاً للكناية من غير باب المسند إليه قوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ (٥) أى جهنمى .

وإما لإيهام (٦) استلذاذه ، أو التبرك به .

وإما لاعتبار آخر مناسب (٧) .

أغراض التعريف بالموصولية : وإن كان بالموصولية فيما لعدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلة (٨) كقولك « الذى كان معنا أمس رجل عالم » ،

(١) هو للمالك بن عويمر المعروف بالمتنخل الهذلى من قصيدة له فى رثاء أبيه ، وكان يكنى أبا مالك ، والكنية علم ، ومعنى قصره فقره على نفسه : أنه لا يسأل أحداً ، ومعنى إشاعة غناه أنه يعطى كل الناس .

(٢) هو للحارث بن هشام فى الاعتذار عن فراره عن أخيه أبى جهل يوم بدر ، والأشقر : لون يأخذ من الأحمر والأصفر ، ويريد به الدم ، والمزید : الذى له زيد ، يعتذر بأنه لم يفر إلا بعد أن جرح ، فعلا دمه فرسه .

(٣) كقولك « أبو المعالى حضر ، وأنف الناقة ذهب » مثل الكنى والألقاب الأعلام المنقولة من معان محمودة أو مذمومة .

(٤) الفرق بين هذا وما قبله أن ما هناك مجرد إشعار ، وما هنا يقصد فيه المعنى اللازم وتنسى العلمية . وصلاح الاسم للكناية بالنظر إلى أصله قبل العلمية ، وقيل إنه لا يراد بالكناية هنا معناها الاصطلاحي الآتى فى علم البيان ؛ لأنه لا يكنى بأبى لهب عن جهنمى باعتبار معناها المستعمل فيه وهو الذات المخصوصة ، وهذا لا بد منه فى الكناية الاصطلاحية .

(٥) سورة المسد : الآية ١ .

(٦) لا معنى لإتحام لفظ « إيهام » ؛ لأن التبرك والاستلذاذ حاصلان تحقيقاً ، وذلك

كقول الشاعر :

بالله يا طيبات القاع قلن لنا ليلاي منكن أم ليلى من البشر

(٧) كالنفاؤل والتطير . نحو : « سعد فى دارك ، والسيف فى دار صديقك »

(٨) هذا أيضاً معنى لغوى لاسم الموصول ، فلا يصح عده فى وجوه البلاغة .

وإما لاستهجان التصريح بالاسم ، وإما لزيادة التقرير ، نحو قوله تعالى : ﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه ﴾ (١) فإنه مسوق لتنزيه يوسف عليه السلام عن الفحشاء ، والمذكور أدل عليه من امرأة العزيز وغيره (٢) .

وإما للتفخيم كقوله تعالى : ﴿ فغشيهم من اليمِّ ما غشيهم ﴾ (٣) .
وقول الشاعر :

مضى بها ما مضى من عقل شاربها وفي الزجاجة باق يطلب الباقي (٤)
ومنه في غير هذا الباب قوله تعالى : ﴿ فغشاها ما غشى ﴾ (٥) .
وبيت الحماسة :

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه فلما علاه قال للبائل : ابعد (٦)
وقول أبي نواس :

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم وأسمنت سرح اللحظ حيث أساموا
وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه فإذا عصارة كل ذاك أثام (٧)

(١) سورة يوسف : الآية ٢٣ .

(٢) لأنه إذا كان في بيتها وتمكن منها ولم يفعل كان هذا أقوى في نزاهته ، والآية تصلح أيضاً مثلاً لغرض استهجان التصريح بالاسم لقبح الفعل المنسوب إليها ، ومما عدل فيه عن التصريح بالاسم لاستهجانه قول الشاعر :

قلت لترب عندها جالســـــــــــــــــه في قصـــــــــــــــــرها : هذا الذي أراد من
قلت : فتى يشكو الغرام عاشق قالت : لمن ، قالت : لمن ، قالت : لمن
والتكرار في ذلك قبيح يخل بفصاحته وبلاغته .

(٣) سورة طه : الآية ٧٨ .

(٤) هو لعبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع ، وقيل : إنه لأبي نواس . والضمير في قوله « بها » للخمر ، ومعنى البيت أنه مضى بالخمر قدر كبير من عقل شاربها ، ولا يزال الباقي من الخمر في الزجاجة يطلب الباقي من عقله حتى يذهب به كله .

(٥) آية ٥٤ سورة النجم ، وإنما يكون ما في الآية من غير هذا الباب ؛ إذا جعلت « ما » مفعولاً به ، فإذا جعلت فاعلاً كانت منه .

(٦) هو لدريد بن الصمة ، وإنما لم يكن من هذا الباب لأن « ما » فيه مفعول به ، أي تعاطى الصبا الذي تعاطاه ، ويجوز أن تكون مصدرية ظرفية ، والصبا : الميل إلى الصبوة وهي جهلة الصبيان .

(٧) هما للحسن بن هانيء المعروف بأبي نواس ، ويقال : « نهر الدلو في البئر » إذا =

وإما لتنبيه المخاطب على خطئه، كقول الآخر :

إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ إِخْوَانَكُمْ يَشْفِيْ غَلِيْلَ صَدُوْرِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوْا (١)

وإما للإيماء إلى وجه بناء الخبر (٢) نحو : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِيْ سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٣) . ثم إنه (٤) ربما جعل ذريعة إلى التعريض بالتعظيم لشأن الخبر (٥) كقوله :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ (٦)

أو لشأن غيره (٧) نحو : ﴿ الَّذِينَ كَذَبُواْ شُعْبِيًّا كَانُواْ هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٨) .

قال السكاكي (٩) : « وربما جعل ذريعة إلى تحقيق الخبر » ؛ كقوله :

ضرب بها في الماء لتمتلىء ، ويقال « أسام الماشية » إذا أخرجها إلى المرعى ، والكلام على التمثيل في الموضوعين . والإضافة في « سرح اللحظ » من إضافة الصفة إلى الموصوف ، والسرح في الأصل ذهاب الماشية إلى المرعى ، والعصارة ما تحلب مما عُصر ، والمراد بها هنا الثروة والنتيجة ، والشاهد في قوله « ما بلغ امرؤ » ؛ لأنه مفعول به .

(١) هو لعبد بن الطبيب في وعظ بنيه ، وقيل لغيره ، وقوله « ترونهم » بمعنى تظنونهم ، والواو فيه فاعل لأنه مما يبنى على صورة المجهول ، وهو للفاعل ويجوز أن يكون من « أرى » المتعدية إلى ثلاثة مفاعيل ، والغليل : العطش الشديد أو الحقد . والشاهد في أن الموصول في البيت يفيد من تخطئتهم في ظنهم ما لا يفيد إن فلانا وفلانا .

(٢) أى طريق إسناده إلى الموصول من كونه مدحا أو ذما أو نحوهما ؛ بأن يذكر في الصلة ما يناسب ذلك .

(٣) سورة غافر : الآية ٦٠ .

(٤) الضمير يعود إلى الإيماء إلى وجه بناء الخبر .

(٥) ربما جعل ذريعة أيضا إلى الإهانة لشأنه ، كقولك « إن الذي لا يُحسن الفقه صنف

فيه » ، أو شأن غيره ، كقولك : إن الذي يتبع الشيطان خاسر .

(٦) هو لهما بن غالب المعروف بالفرزدق يفتخر ببنته في تميم على جرير ؛ لأنه كان من ذوى الشرف فيهم ، وليس المراد بالبيت الكعبة كما ذكر الدسوقي في حاشيته على المختصر ، وقوله « سمك » بمعنى رفع . والشاهد في أن قوله « الذي سمك السماء » إيماء إلى أن الخبر المبنى عليه من جنس الرفعة والبناء ، وأعز وأطول أى من بيت جرير ، أو من كل عزيز وطويل ، أو من السماء المذكورة قبله ، أو بمعنى عزيزة طويلة ، فيكون أفعل التفضيل على غير بابه ، وقد حذفت « من » على الأول للدلالة على قوة الخبر .

(٧) كشعيب عليه السلام في الآية ؛ لأن فيها إيماء إلى الخبر يشعر بتعظيمه ، إذ جعل خسراتهم بسبب تكذيبه ، وفيها إيماء أيضا إلى أن الخبر من جنس الخسران .

(٨) سورة الأعراف : الآية ٩٢ . (٩) ٩٧ - المفتاح .

إِنَّ التّي ضربتُ بيتاً مهاجرةً بكوفة الجند غالت ودّها غولُ (١)
وربما جعل ذريعةً إلى التنبية للمخاطب على خطأ ، كقوله * « إن الذين
ترونهم ٠٠٠ » * البيت .

وفيه نظر؛ إذ لا يظهر بين الإيماء إلى وجه بناء الخبر وتحقيق الخبر فرق (٢) ،
فكيف يجعل الأول ذريعة إلى الثاني ، والمسند إليه في البيت الثاني ليس فيه إيماء إلى
وجه بناء الخبر عليه ، بل لا يبعد أن يكون فيه إيماء إلى بناء نقيضه عليه (٣) ؟ !

أغراض التعريف بالإشارة : وإن كان بالإشارة فيما لتمييزه أكمل تمييز لصحة
إحضاره في ذهن السامع بوساطة الإشارة حساً (٤) كقوله :
* هذا أبو الصقر فرداً في محاسنه (٥) *

(١) هو لعبد بن الطبيب . وكوفة الجند هي مدينة الكوفة ، وروى أبو زيد « بكوفة
الخلد » على أنه موضع ، وقال الأصمعي : إنما هو « بكوفة الجند » والأول تصحيف . وقوله
« غالت » بمعنى أكلت ، والغول : حيوان خرافي وقد يطلق على الداهية . والشاهد في أن ضرب
البيت بالكوفة والهجرة إليها فيه إيماء إلى أن طريق بناء الخبر أمر من جنس زوال المحبة ، وهو مع هذا
يحقق زوال المودة ويقره حتى كأنه دليل عليه .

(٢) فرّق بينهما بأن الإيماء إشعار بالخبر سواء أكان معه تحقيق له أم لا ، والأول كما في
بيت عبدة ، والثاني كما في بيت الفرزدق ، فالإيماء إلى الخبر أعم من تحقيقه وإفادة الجزم به .
(٣) نقيضه : نفى الأخوة عنهم ، وهذا لا يخرجهم فيما أرى عن كونه فيه إيماء إلى وجه
بناء الخبر ؛ لأنهم أطلقوا فيه ولم يقيدوه بشيء ، ومن هذا الإيماء قول أبي العلاء :

إن الذي الوحشة في داره تؤنسه الرحمة في لحدّه
وربما يقصد بالإيماء تشويق السامع إلى الخبر ليتمكن في نفسه ، كما في قول الشاعر :

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد
ومن أغراض التعريف بالموصولية إخفاء الأمر عن غير المخاطب . كقول الشاعر :

وأخذت ما جاد الأمير به وقضيت حاجاتي كما أهوى

(٤) هذا أيضاً معنى أصلى لاسم الإشارة ، فلا يصح أن يُعد من وجوه البلاغة ، وإنما يعد
منها أن يعنى بتمييزه أكمل تمييز لأن المقام مقام مدح أو نحوه ؛ لأن تمييزه أكمل تمييز يكون
أعون على كمال المدح ، وأبعد من التقصير في الاعتناء بأمر المدح .
(٥) هو لعل بن العباس المعروف بابن الرومي في مدح أبي الصقر الشيباني وزير المعتمد

من قوله :

هذا أبو الصقر فرداً في محاسنه من تسلّ شيبان بين الضال والسلم
والضال : شجر السدر البرّي ، والسلم : شجر ذو شوك ، وقوله « بين الضال والسلم » كناية
عن عزهم ؛ لأن هذه الأشجار بالبادية ، وهي مجد العرب وعزهم .

وقوله :

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنى وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا (١)

وقوله :

وإذا تأملَ شخصٌ ضيفَ مُقبلٍ مُتَسَرِّبٍ سربالٍ ليلٍ أغبرٍ
أوما إلى الكـوماء : هذا طارقٍ نحرثنى الأعداء إن لم تُنحرى (٢)

وقوله :

ولا يقيمُ على ضميمٍ يرادُ به إلا الأذلان : غيرُ الحى والوَدُ
هذا على الخسفِ مربوطٌ برُمته وذا يُشجُّ فلا يرثى له أحدٌ (٣)
وإما للقصد إلى أن السامع غيبٌ لا يتميز الشيء عنده إلا بالحس ، كقول
الفرزدق :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم إذا جمعتنا يا جريرُ المجمع (٤)

وإما لبيان حاله فى القرب أو البعد أو التوسط (٥) كقولك « هذا زيد وذلك
عمرو وذاك بشر » ، وربما جعل القرب ذريعة إلى التحقير (٦) كقوله تعالى : ﴿ وإذا
راك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً أهذا الذى يذكركم ألهتكم ﴾ (٧) وقوله تعالى :

(١) هو لجرول بن أوس المعروف بالخطيئة ، وقوله « بنوا » يعنى به ما يبنونه من المكارم ،
والبنى بضم الباء يقال « بنا يبنى بناءً وبنية بكسر الباء فى العمران ، وبنا يبنى ببنى وبنية بضم
الباء فى الشرف . وقوله « عقدوا » معناه أبرموا أمراً من أمورهم .
(٢) قيل : إن البيتين لرجل بمدح حاتم ، وقيل : إنهما لحسان بن ثابت وقيل إنهما لابن
المولى محمد بن عبد الله بن مسلم ، وفى مجموعة المعانى أنهما للعلوى صاحب الرنج ، وقوله
« أوما » تخفيف أوما بمعنى أشار ، والكوماء : الناقة الضخمة .

(٣) هما لجرير بن عبد المسيح الضبيعى المعروف بالمتلمس ، والضمير فى « به » يعود إلى
المستثنى منه المقدر وهو « أحد » مثلاً ، والعرير : الحمار ، والرمة : القطعة من الحبل البالى ، وقوله
« هذا » يعود إلى العير . وقوله « ذا » يعود إلى الوتد .

(٤) هو لهمام بن غالب المعروف بالفرزدق ، والتعريض بالغباوة ناشئ من استعمال اسم
الإشارة فى آبائه وهم غائبون لموتهم ، والأمر فى قوله « فجئنى » للتعجيز .

(٥) هذا أيضاً من المعانى الأصلية لاسم الإشارة .

(٦) قد يجعل أيضاً ذريعة إلى التعظيم ، كقوله تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يهدى للتى
هى أقوم ﴾ آية ٩ سورة الإسراء ، فينزل قربه من ساحة الحضور والخطاب منزلة قرب المسافة .
(٧) سورة الأنبياء : الآية ٣٦ .

﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ ﴾ (١) . وعليه من غير هذا الباب قوله تعالى :
﴿ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾ (٢) وقول عائشة رضي الله عنها لعبد الله بن عمرو بن
العاص : « يا عجباً لابن عمرو هذا » (٣) . وقول الشاعر :

تَقُولُ وَدَقْتُ نَحْرَهَا بِيَمِينِهَا : أُبْعَلِي هَذَا بِالرَّحَا الْمُتْقَاعِسِ (٤)

وربما جعل البعد ذريعة إلى التعظيم ، كقوله تعالى : ﴿ الْم * ذَلِكَ
الْكِتَابُ ﴾ (٥) ذهاباً إلى بُعد درجته ، ونحوه : ﴿ وتلك الجنة التي
أورثتموها ﴾ (٦) ولذا قالت : ﴿ فذلكن الذي لمتنني فيه ﴾ (٧) لم تقل « فهذا »
وهو حاضر (٨) رفعا لمنزله في الحسن ، وتمهيداً للعدري في الافتتان به . وقد يجعل
ذريعة إلى التحقير ، كما يقال : « ذلك اللعين فعل كذا » .

وإما للتنبيه - إذا ذكر قبل المسند إليه مذكور (٩) وعُقب بأوصاف - على أن ما
يُردُّ بعد اسم الإشارة المذكور جدير باكتسابه من أجل تلك الأوصاف ؛ كقول حاتم
الطائي :

وَاللَّهُ صُـلْعُوكُ يَسَاوِرُ هَمَّهُ	وَيَمْضِي عَلَى الْأَحْدَاثِ وَالدهرُ مَقْدَمَا (١٠)
فَتَى طَلِبَاتٍ لَا يَرَى الْخَمَصَ تَرْحَةً	وَلَا شِبْعَةً إِنْ نَالَهَا عَدَّ مَغْنَمًا (١١)
إِذَا مَا رَأَى يَوْمًا مَكَارَمَ أَعْرَضَتْ	تَيْمَمَ كِبْرَاهُنَ ثُمَّتْ صَمًّا (١٢)

(١) سورة العنكبوت : الآية ٦٤ . (٢) سورة البقرة : الآية ٢٦ .

(٣) تريد بهذا تخطئته في فتواه بنقض النساء ذوائهن في الاغتسال .

(٤) هو للهللول بن كعب العنبري ، ويقال له الذهللول أيضاً ، وقيل : لغيره ، وكانت
امراته رأته يطحن بالرحا لأضيافه فأنكرت عليه ، وبعده :

فَقُلْتُ لَهَا : لَا تَعْجِبِي وَتَبَيَّنِي بِلَاثِي إِذَا التَفْتُ عَلَى الْفَوَارِسِ

والمُتْقَاعِس : الذي يدخل ظهره ويخرج صدره ، ضد الأحدب ، والشاهد في أن اسم
الإشارة مسند لا مسند إليه .

(٥) سورة البقرة : الآية ١ ، ٢ . (٦) سورة الزخرف : الآية ٧٢ .

(٧) سورة يوسف : الآية ٣٢ . (٨) أي يوسف عليه السلام .

(٩) المسند إليه هو اسم الإشارة ، والمذكور هو المشار إليه قبلها .

(١٠) الصلْعوك : الفقير ، وقوله « يساور » بمعنى يواثب .

(١١) الخمص : الجوع ، وشبعة : مفعول أول لعد ، ومغنا : مفعول ثان .

(١٢) أعرضت : بمعنى ظهرت ، وتيمم : بمعنى قصد .

يرى رُمحه ونبله ومجـ_____نه
وأحـ_____ناء سرج قاتر ولجامه
فذلك إن يهلك فحسنى ثناؤه وإن عاش لم يقعد ضعيفاً مُذمماً (٣)
فعدّد له - كما ترى - خصّالاً فاضلة من المضاء على الأحداث مُقدّماً ،
والصبر على ألم الجوع ، والأنفة من عدّ الشبهة مغنماً ، وتيمّم كبرى المكرمات ،
والتأهب للحرب بأدواتها ، ثم عَقّب ذلك بقوله « فَذَلِكَ » ، فأفاد أنه جدير باتصافه
بما ذُكر بعده ، وكذا قوله تعالى : ﴿ أولئك على هُدًى من ربهم وأولئك هم
المفلحون ﴾ (٤) أفاد اسم الإشارة زيادة الدلالة على المقصود من اختصاص
المذكورين قبله باستحقاق الهدى من ربهم والفلاح .

وإما لاعتبار آخر مناسب (٥) .

أعراض التعريف باللام : وإن كان باللام فيما للإشارة إلى معهود (٦) بينك وبين
مخاطبك ؛ كما إذا قال لك قائل « جاءني رجل من قبيلة كذا » فتقول « ما فعل
الرجل ؟ » وعليه قوله تعالى : ﴿ وليس الذكرُ كالأنثى ﴾ (٧) أى وليس الذكر الذى
طلبت (٨) كالأنثى التى وهبت لها .

(١) الحن : الترس ، وشطب السيف : الخطوط فى متنه ، وضريبته : حده ، والعضب :
القاطع ، والمخزم : القاطع بسرعة .

(٢) أحناء السرج : جمع حنو وهو اسم لكل من قربوسيه المقدم والمؤخر . والقاتر : الجيد
الوقوع على الظهر . وعتاد : عدة وهو مفعول « يرى » الثانى ، وهيجا مقصور هيجا وهى
الحرب ، والطرف : الجواد الكريم الأصل ، والمسوم : الذى يُرسل ليرعى أو للإغارة ، أى ويرى طرفاً
مُسوماً كذلك .

(٣) الحسنى : مصدر كالبشرى أو اسم للإحسان خير مقدم ، وثناؤه مبتدأ مؤخر .

(٤) سورة البقرة : الآية ٥ .

(٥) كتنزيل الغائب منزلة الحاضر ، والمعقول منزلة المحسوس فى نحو قوله تعالى : ﴿ تلك
عُقُبى الذين اتقوا وعُقُبى الكافرين النار ﴾ آية ٣٥ سورة الرعد وقوله : ﴿ وذلكم ظنكم الذى
ظننتم بربكم ﴾ آية ٢٣ سورة فصلت وقوله : ﴿ ذلكمأ علمنى ربى ﴾ آية ٣٧ سورة
يوسف .

(٦) أى فى الخارج مذكوراً أو غير مذكور ، ولهذا تُسمّى اللام فيه لام العهد الخارجى ،
وهذا المعنى للام التعريف وما بعده من المعانى الأصلية لها ، فلا يصح ذكرها على نحو ما ذكره
الخطيب وغيره . (٧) سورة آل عمران : الآية ٣٦ .

(٨) فى قولها قبله : ﴿ ربِّ إني نذرتُ لك ما فى بطنى محرراً فتقبل منى ﴾ ؛ لأن نذر =

وإما لإرادة نفس الحقيقة (١) كقولك « الرجل خير من المرأة ، والدينار خير من الدرهم » ومنه قول أبي العلاء المعري :

والخلُّ كالماء يُبدى لى ضمائره مع الصفاء ويُخفيها مع الكدر (٢)

وعليه من غير هذا الباب قوله تعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حى ﴾ (٣) أى جعلنا مبدأ كل شيء حى من هذا الجنس الذى هو الماء ؛ لما روى أنه تعالى خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء ، والجن من نار خلقها منه ، وآدم من تراب خلقه منه . ونحوه : ﴿ أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ﴾ (٤) .

والمعروف باللام (٥) قد يأتى لواحد (٦) باعتبار عهديته فى الذهن (٧) لمطابقته الحقيقة (٨) كقولك (ادخل السوق) وليس بينك وبين مخاطبك سوق معهود فى الخارج ، وعليه قول الشاعر :

« ولقد أمر على اللئيم يسبنى » (٩) *

= الأولاد لخدمة بيت المقدس كان مقصوراً عندهم على الذكور ، واللام فى (الذكر) عائدة إلى مذكور بالكناية على هذا الوجه ، واللام فى (الأنثى) عائدة إلى مذكور صريحاً فى قولها قبله ﴿ ربِّ إني وضعتها أنثى ﴾ وقد تعود اللام إلى معهود غير مذكور ، كقوله تعالى : ﴿ إذ يباعدونك تحت الشجرة ﴾ آية ١٨ سورة الفتح ، وتسمى اللام فيه لام العهد العلمى ؛ فأقسام لام العهد الخارجى ثلاثة : صريحى ، وكنائى ، وعلمى .

(١) هذه لام الجنس .

(٢) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبى العلاء المعري ، والخل : الصديق ، وضمائره : ما يضمه من المودة وغيرها ، وليس الحكم هنا على خل معهود ، وإنما هو على جنس الخل .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ٣٠ . (٤) سورة الأنعام : الآية ٨٩ .

(٥) يعنى لام الحقيقة لأنها هى التى يأتى فيها لام العهد الذهنى ، ولام الاستغراق . وقيل : إن لام العهد الذهنى ولام الاستغراق مقابلان للام العهد الخارجى ولام الحقيقة ، وعلى هذا تكون لام الحقيقة هى التى يراد منها الحقيقة بقطع النظر عن الأفراد ، ويقصر عليها اسم لام الجنس .

(٦) أى مبهم بخلاف لام العهد الخارجى فإنها لمعين .

(٧) تسمى اللام فيه لام العهد الذهنى . (٨) يريد بمطابقته الحقيقة اشتمالها عليه .

(٩) هو لعنيرة بن جابر الحنفى من قوله :

ولقد أمر على اللئيم يسبنى فمضيتُ ثمَّتْ قلتُ لا يعنينى

وتمَّتْ : حرفٌ عطف لحقها تاء التانيث ، وقوله « أمر » مضارع بمعنى الماضى ؛ لاستحضار تلك الصورة العجيبة عنده ، ورواية الكامل « فأجوز ثم أقول لا يعنينى » والشاهد فى لام اللئيم ؛ لأن المراد منه واحد غير معين .

وهذا يقربُ في المعنى من النكرة ^(١)؛ ولذلك يقدر « يسبنى » وصفاً للئيم لا حالاً ^(٢) .

وقد يفيد الاستغراق ؛ وذلك إذا امتنع حملُه على غير الأفراد وعلى بعضها دون بعض ^(٣) كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ^(٤) .

والاستغراق ضربان :

حقيقي ^(٥) : كقوله تعالى : ﴿ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ ^(٦) أى كل غيب وشهادة ، وعُرفى ^(٧) كقولنا « جمع الأمير الصاغة » إذا جمع صاغة بلده أو أطراف مملكته فحسبُ ، لا صاغة الدنيا ^(٨) .

واستغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع ^(٩) بدليل أنه لا يصدق « لا رَجُلٌ في الدار » في نفى الجنس ^(١٠) إذا كان فيها رجل أو رجлан ، ويصدق « لا رجال في

(١) قال « يقرب » ؛ لأن النكرة تدل على واحد غير معين من جملة الحقيقة ، والمعرف بلام العهد الذهني يدل على نفس الحقيقة في ذاته ولا يدل على الواحد المبهم إلا بوساطة القرينة ، كالدخول في قولك « ادخل السوق » فهما بالنظر إلى القرينة سواء ، وبقطع النظر عنها مختلفان .

(٢) لأن المعرفة بلام العهد الذهني في معنى النكرة ، والجمل بعد النكرات صفات لا أحوال ، ولكن يُردُّ على هذا أنهم جعلوه كالنكرة في المعنى فقط ، وأجروا عليه في اللفظ أحكام المعارف ، على أن تقدير « يسبنى » حالاً هو المناسب لقوله « فمضيت » ؛ لأنه ظاهر في أن السبب كان منه في حال المرور فقط ، ولم يكن صفة لازمة له .

(٣) بأن تقوم قرينة على أنه ليس القصد الحقيقة من حيث هي ، ولا بعض الأفراد دون بعض بالاستثناء في الآية ، فتكون اللام لاستغراق جميع الأفراد ، ولهذا تسمى لام الاستغراق .

(٤) سورة العصر : الآية ٢ ، ٣ .

(٥) هو الذي يتناول كل فرد بحسب وضع اللفظ . (٦) سورة الأنعام : الآية ٧٣ .

(٧) هو الذي يتناول كل فرد بحسب العرف العام ، أما العرف الخاص كعرف الشرع فيدخل الاستغراق بحسبه في الاستغراق الحقيقي .

(٨) ال في « الصاغة » معرفة لا موصولة ؛ لأنها إنما تكون موصولة في اسم الفاعل إذا دل على الحدوث .

(٩) هذا صحيح في استغراق النكرة المنفية ، أما استغراق المعرفة باللام فالمفرد والجمع فيه سواء ، ولهذا كان قوله تعالى : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ آية ٦ سورة الأحزاب شاملاً لكل مؤمن ، وليس خاصاً بجماعات المؤمنين .

(١٠) بخلاف نفى الوحدة ، نحو « لا رجل في الدار » فإنه يصدق إذا كان فيها رجلاً أو أكثر ، ويكون لاستغراق الواحد كما يكون الجمع لاستغراق الجموع دون الأفراد .

الدار » ولا تنافي بين الاستغراق وإفراد اسم الجنس (١) ؛ لأن الحرف إنما يدخل عليه مجرداً عن الدلالة على الوحدة والتعدد (٢) ، ولأنه بمعنى كل الإفرادى (٣) لا كل المجموعى ؛ إذ معنى قولنا « الرجل » كل فرد من أفراد الرجال لا مجموع الرجال ، ولهذا امتنع وصفه بنعت الجمع (٤) ، وللمحافظة على التماثل بين الصفة والموصوف أيضاً .

فالحاصل أن المراد باسم الجنس المعرف باللام : إما نفس الحقيقة لا ما يصدق عليه من الأفراد ، وهو تعريف الجنس والحقيقة ، ونحوه عَلمُ الجنس « كإسماء » ، وإما فرد معين ، وهو العهد الخارجى ، ونحوه العَلمُ الخاص ؛ « كزيد » ، وإما فرد غير معين ، وهو العهد الذهنى ، ونحوه : النكرة ؛ « كرجل » ، وإما كل الأفراد وهو الاستغراق ، ونحوه لفظ « كل » مضافاً إلى النكرة ، كقولنا « كل رجل » .

وقد شكَّك السكاكى (٥) على تعريف الحقيقة والاستغراق بما خرج الجواب عنه مما ذكرنا (٦) ، ثم اختار (٧) بناءً على ما حكاه عن بعض أئمة أصول الفقه من

(١) هذا جواب عن اعتراض بعضهم بأن إفراد الاسم ينافى أن تكون الأداة الداخلة عليه للاستغراق ؛ لأن إفراده يدل على الوحدة ، والاستغراق يدل على التعدد .

(٢) لأنه قصد به الجنس الصالح لهما .
(٣) هو الذى يدل على كل فرد على طريق البديل ، وعلى هذا لا تنافى الدلالة على الوحدة الدلالة على التعدد .

(٤) هذا عند الجمهور ، وقد أجازه الأخفش لما سمع من كلامهم « أهلك الناس الدينارُ الحمر والدرهم البيض » .

(٥) ١١٥ - المفتاح .
(٦) أما تشكيكه فى تعريف الحقيقة من حيث هى فبدعى أنه لا فرق بين المراد منها والمراد من أسماء الأجناس النكرات كرجل ، وقيامه إن قصد منها الدلالة على الحقيقة من حيث هى ، فإن قصد منها الحقيقة باعتبار حضورها فى الذهن لم تفتقر عن لام العهد الخارجى . وأما تشكيكه فى الاستغراق فبدعى التنافى بينه وبين أفراد الاسم ، وقد أجاب الخطيب عن الأول بما أشار إليه من أن لام الحقيقة تدل على الحقيقة بقيد استحضارها فى الذهن ، ولام العهد الخارجى يقصد بها فرد معين ، وبهذا تمتاز لام الحقيقة عن أسماء الأجناس النكرات ، وعن لام العهد الخارجى ، وعن الثانى بدفع التنافى بين الاستغراق وأفراد اسم الجنس .
(٧) أى فى الجواب عن تشكيكه فى تعريف الحقيقة .

كون اللام موضوعة لتعريف العهد لا غير (١) أن المراد بتعريف الحقيقة تنزيلها منزلة المعهود بوجه من الوجوه الخطابية ؛ إما لكون الشيء حاضراً في الذهن لكونه محتاجاً إليه على طريق التحقيق أو التهكم (٢) ، أو لأنه عظيم الخطر معقود به الهمم (٣) على أحد الطريقتين (٤) ، وإما لأنه لا يغيب عن الحس (٥) على أحد الطريقتين لو كان معهوداً (٦) . وقال (٧) : الحقيقة من حيث هي لا واحدة ولا متعددة ؛ لتحقيقها مع الوحدة تارة ومع التعدد أخرى ، وإن كانت لا تنفك في الوجود عن أحدهما ، فهي صالحة للتوحد والتكثير ، فكون الحكم استغراقاً أو غير استغراق إلى مقتضى المقام (٨) ؛ فإذا كان خطابياً (٩) مثل « المؤمن غر كريم ، والفاجر خب لئيم » حمل المعروف باللام – مفرداً كان أو جمعاً – على الاستغراق بعلّة إيهام أن القصد إلى فرد دون آخر – مع تحقق الحقيقة فيهما – ترجيح لأحد المتساويين ، وإذا كان استدلالياً حمل على أقل ما يحتمل ، وهو الواحد في المفرد والثلاثة في الجمع (١٠) .

أغراض التعريف بالإضافة : وإن كان بالإضافة فيما لأنه ليس للمتكلم إلى إحضاره في ذهن السامع طريق أخصر منها ؛ كقوله :

(١) أى لا الحقيقة ؛ فلا تأتي لتعريفها إلا بعد تنزيلها منزلة المعهود بوجه من الوجوه الآتية .

(٢) كقولهم « الدينار خير من الدرهم » ويمكن أن يكون من هذا في التهكم قولهم « إن البغاث بأرضنا يستنسر » .

(٣) كقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ﴾ آية ٨٩ سورة الأنعام .

(٤) أى طريق التحقيق وطريق التهكم .

(٥) كقولك « الأرض مبسوبة » في الأول ، وقولك « الطفيلي حضر » في الثاني .

(٦) هذه الجملة الشرطية لا توجد في كلام السكاكي . وفي نسخة « فكأنه معهود » .

(٧) أى في الجواب عن تشكيكه في الاستغراق ، وهذا هو الذى أجاب به الخطيب فيما

سبق .

(٨) يعنى أن دلالة اللام على هذا ليست بمقتضى الوضع ، وإنما هي بمقتضى المقام .

(٩) المقام الخطابى هو الذى يكتفى فيه بالظن ، والمقام الاستدلالي هو الذى يطلب فيه

اليقين .

(١٠) مثل « حصل الدرهم أو الدراهم » . هذا وكل ما ذكره السكاكي والخطيب في

التعريف باللام ليس فيه من البلاغة شيء ؛ لأنه لا يخرج عما تفيد بمقتضى دلالتها الوضعية ، وقد حاول السكاكي أن يجعل لذلك وجهاً من البلاغة ، ولكنه تكلف فيه على عادته .

هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِينَ مُصْعِدُ جَنِيبٍ وَجَثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوثِقُ (١)
 وَإِمَا لِإِغْنَائِهَا عَنْ تَفْصِيلٍ مُتَعَدِّرٍ أَوْ مَرْجُوحٍ لِحِجَّةِ (٢) كَقَوْلِهِ :
 بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ اللِّقَاءِ كَأَنَّهُمْ أَسْوَدٌ لَهَا فِي غِيلٍ خَفَّانَ أَشْبَلُ (٣)
 وَقَوْلِهِ :

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أُمَيَّيْنِ أَخِي فَإِذَا رَمِيتُ يُصَيِّبُنِي سَهْمِي (٤)
 وَإِمَا لِتَضْمِينِهَا تَعْظِيمًا لِشَأْنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ ؛ كَقَوْلِكَ « عَبْدِي حُضْر » فَتَعْظُمُ شَأْنُكَ . أَوْ لِشَأْنِ الْمُضَافِ ؛ كَقَوْلِكَ « عَبْدُ الْخَلِيفَةِ رَكْب » فَتَعْظُمُ شَأْنُ الْعَبْدِ ، أَوْ لِشَأْنِ غَيْرِهِمَا ؛ كَقَوْلِكَ « عَبْدُ السُّلْطَانِ عِنْدَ فُلَانٍ » فَتَعْظُمُ شَأْنُ فُلَانٍ . أَوْ تَحْقِيرًا نَحْوُ : « وَلَدُ الْحَجَّامِ حُضْر » (٥) . وَإِمَا لِاعْتِبَارِ آخِرِ مَنْاسِبٍ (٦) .

(١) هُوَ لَجَعْفَرِ بْنِ عُلْبَةَ الْحَارِثِيِّ ، وَكَانَ مَسْجُونًا بِمَكَّةَ فِي جُنَايَةٍ ، فَزَارَتْهُ مَحَبُوبَتُهُ مَعَ رَكْبٍ مِنْ قَوْمِهَا ، فَلَمَّا رَحَلَتْ قَالَ فِيهَا ذَلِكَ ، وَآثَرَ قَوْلَهُ « هَوَايَ » عَلَى نَحْوِ « الَّذِي أَهْوَى أَوْ الْمَهْوَى لِي » لِأَنَّ الْإِضَافَةَ أَخْصَرَ وَأَنْسَبَ بِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ ضَيْقِ الصَّدْرِ بِالْحَبْسِ ، وَكَذَلِكَ ضَيْقُ الشَّعْرِ ، وَقَدْ أَطْلَقَ الْهَوَى عَلَى الْمَهْوَى مُجَازًا مَرْسَلًا . وَالْيَمَانِينَ : جَمْعُ يَمَانٍ ، وَأَلْفَهُ عَوْضٌ عَنْ بَاءِ النِّسْبِ ، وَالْمُصْعِدُ : اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ « أَصْعَدَ » بِمَعْنَى أَبْعَدَ فِي السَّيْرِ . وَالْجَنِيبُ : الْمُسْتَتَبِعُ مِنْ « جَنْبِ الْبَعِيرِ » إِذَا قَادَهُ إِلَى جَنْبِهِ .

(٢) يَعْنِي أَنَّهُ غَيْرُ مُتَعَدِّرٍ ، وَلَكِنَّهُ مَرْجُوحٌ لِحِجَّةٍ ، كَمَا سَيَأْتِي فِي الشَّاهِدِ .
 (٣) هُوَ لَأَبِي السَّمْطِ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ فِي مَدْحِ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ . وَبَنُو مَطَرٍ : قَوْمُهُ ، بَطْنٌ مِنْ شَيْبَانَ . وَالْغِيلُ : الشَّجَرُ الْمُجْتَمِعُ . وَخَفَّانَ : مَأْسَدَةُ قَرَبِ الْكُوفَةِ ، وَالْأَشْبَلُ : أَوْلَادُ الْأَسْوَدِ . وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ « بَنُو مَطَرٍ » ؛ لِإِغْنَاءِ الْإِضَافَةِ فِيهِ عَنْ تَفْصِيلٍ مُتَعَدِّرٍ .
 (٤) هُوَ لِلْحَارِثِ بْنِ وَعْلَةَ الْجَرْمِيِّ ، وَأُمَيِّمٌ : مَنَادَى مَرْخَمِ أُمَيِّمَةٍ ، وَكَانَتْ تَحْضُهُ عَلَى الْإِخْذِ بِثَأْرِ أَخِيهِ مِمَّنْ قَتَلَهُ مِنْ قَوْمِهِ . وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ « قَوْمِي » ؛ لِإِغْنَاءِ الْإِضَافَةِ فِيهِ عَنْ تَفْصِيلٍ تَرَكَّهُ أَرْجَحَ لِحِجَّةٍ هِيَ خَوْفُ تَغْيِيرِهِمْ مِنْهُ وَحَقْدُهُمْ عَلَيْهِ إِذَا صَرَحَ بِأَسْمَائِهِمْ .
 (٥) هَذَا مِثَالٌ لِإِفَادَتِهَا تَحْقِيرَ الْمُضَافِ ، وَمِنْ إِفَادَتِهَا تَحْقِيرَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ قَوْلُكَ « ضَارِبُ بَكْرٍ حُضْر » ، وَمِنْ إِفَادَتِهَا تَحْقِيرَ غَيْرِهِمَا قَوْلُكَ « وَلَدُ الْحَجَّامِ جَلِيسُ زَيْدٍ » ، وَمِنْ إِفَادَتِهَا التَّعْظِيمَ وَالتَّحْقِيرَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

أَبُوكَ حُبَابٌ سَارِقُ الضَّيْفِ بُرْدُهُ وَجَدِّي يَا حَجَّاجُ فَارَسُ شَمْرًا
 (٦) كَمَا لاسْتَعْطَافٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَا تَضَارِ وَالِدَةَ بُولَدِهَا وَلَا مَوْلُودَ لَهُ بُولَدِهِ ﴾ آيَةٌ ٢٣٣ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، وَكَتَضْمِينِهَا لُطْفًا مُجَازِيًا فِي نَحْوِ قَوْلِ الشَّاعِرِ :
 إِذَا كَوَّكِبُ الْخُرْقَاءِ لَاحَ بِسَحْرَةٍ سُهَيْلٌ أَذَاعَتْ غَزْلَهَا فِي الْأَقَارِبِ
 فَأُضَافَ الْكُوكَبُ إِلَى الْخُرْقَاءِ لِأَدْنَى مَلَابِسَةٍ ، وَهِيَ أَنَّهَا لَا تَتَذَكَّرُ كَسَوَةِ الشِّتَاءِ إِلَّا وَقْتُ طُلُوعِهِ سَحْرًا ، وَهُوَ لَا يَطْلُعُ سَحْرًا إِلَّا فِي الشِّتَاءِ . وَسُهَيْلٌ : بَدَلٌ مِنْ كُوكَبٍ . =

أغراض التنكير

وأما تنكيره **فللأفراد** ^(١) كقوله تعالى : ﴿ وجاء رجلٌ من أقصى المدينة يسعى ﴾ ^(٢) أى فرد من أشخاص الرجال ، أو للنوعية ، كقوله تعالى : ﴿ وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ ^(٣) أى نوع من الأغطية غير ما يتعارفه الناس ^(٤) وهو غطاء التعامى عن آيات الله ، ومن تنكير غير المسند إليه للأفراد قوله تعالى : ﴿ ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ، ورجلاً سلماً لرجل ﴾ ^(٥) وللنوعية قوله تعالى : ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ﴾ ^(٦) أى نوع من الحياة مخصوص وهو الحياة الزائدة ، كأنه قيل « لتجدنهم أحرص الناس وإن عاشوا ما عاشوا على أن يزدادوا إلى حياتهم فى الماضى والحاضر حياة فى المستقبل » فإن الإنسان لا يوصف بالحرص على شىء ، إلا إذا لم يكن ذلك الشىء موجوداً له حال وصفه بالحرص عليه ، وقوله تعالى : ﴿ والله خلق كل دابة من ماء ﴾ ^(٧) يحتمل الأفراد والنوعية أى خلق كل

= هذا ولا تختص هذه المزايا بالتعريف بالإضافة ، بل تأتى فى الإضافة إلى النكرة ، فتفيد التعظيم فى نحو قول امرأة من بنى عامر :

وحرب يضج القوم من نفياتها ضجيج الجمال الجلة الدبرات
سيتركها قوم ويصلى بحرّها بنو نساء للشكل مصطبرات

وتفيد التقليل والتحقير فى قول الشاعر :

إذا جاع لم يفرح بأكلة ساعة ولم يبتئس من فقدها وهو ساغب

(١) أى الدلالة على فرد منتشر ، وهذا عام فى كل نكرة ؛ فإذا كانت مفرداً دلت على واحد ، وإذا كانت مثنى دلت على اثنين ، وإذا كانت جمعا دلت على ثلاثة ، وإذا كانت نوعا دلت على النوعية أى فرد سائر الأنواع ، ولا يخفى أن هذا معنى أصلى للنكرة لا يصح ذكره هنا ، وإنما يُعد من البلاغة إذا دل بمعونة المقام على نوعية غريبة أو نحو ذلك مما يأتى ، وقد يقتضى المقام المعنى الأصلى للنكرة إذا كان لا يتعلق بتعيينها غرض ، وذلك نحو « رجل » فى الآية ، ومثل هذا قد يعد وجهاً من وجوه البلاغة .

(٢) سورة القصص : الآية ٢٠ . (٣) سورة البقرة : الآية ٧ .

(٤) لهذا نكرت فى الآية ، ولو عرفت لانصرفت إلى ما يتعارفه الناس منها مع أنه ليس مراداً ، فلما أريد غيره نكرت ليبحثوا عنها فيعرفوها ، وإنما كان التنكير هنا للنوعية ؛ لأنه هو الذى يقابل أبصارهم المتعددة بخلاف تنكير الأفراد ، وقيل : إن التنكير فى الآية للتعظيم .

(٥) سورة الزمر : الآية ٢٩ . (٦) سورة البقرة : الآية ٩٦ .

(٧) سورة النور : الآية ٤٥ .

فرد من أفراد الدواب من نطفة معينة ، أو كل نوع من أنواع الدواب من نوع من أنواع المياه .

أو **للتعظيم والتهويل أو للتحقير** : أى ارتفاع شأنه أو انحطاطه إلى حد لا يمكن معه أن يُعرف ، كقول ابن أبي السمط :

له حاجب فى كل أمر يشينه^(١) وليس له عن طالب العرف حاجب^(٢)
أى له حاجب أى حاجب ، وليس له حاجب ما .

أو **للتكثير**^(٣) : كقولهم « إن له لإبلا ، وإن له لغنما » يريدون الكثرة .
وحمل الزمخشري التنكير فى قوله تعالى : ﴿ قالوا إن لنا لأجراً ﴾^(٤) عليه .

أو **للتقليل**^(٥) كقوله تعالى : ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ﴾^(٦) .
أى : وشىء ما من رضوانه أكبر من ذلك كله ؛ لأن رضاه سبب كل سعادة وفلاح ، ولأن العبد إذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر فى نفسه مما وراءه من النعيم ، وإنما تهنأ له برضاه ، كما أنه إذا علم بسخطه تنغصت عليه ، ولم يجد لها لذة ، إن عظمت . وقد جاء للتعظيم والتكثير جميعاً ، كقوله تعالى : ﴿ وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ﴾^(٧) أى رسل ذوو عدد كثير وآيات عظام^(٨) ، وأعمار طويلة ونحو ذلك .

(١) هو كما فى « زهر الآداب » لأبى السمط مروان بن أبى حفصة ، ونسب فى « ديوان المعانى » لولوى بن أبى السمط ، وهو أبو الطمحان القينى ، وقيله :
فتى لا يبالى المدجون بنوره إلى بابه الأتضىء الكواكب

ومعنى البيت : أن ممدوحه له حاجب عظيم من نفسه يمنعه عن فعل ما يشينه ، وليس له حاجب ما عن طالب الندى ، فالحاجب الأول نفسى والتكثير فيه للتعظيم ، والحاجب الثانى حسى ، والتكثير فيه للتحقير على سبيل المبالغة فى النفى ، وفى قوله « وليس له عن طالب العرف حاجب » قلب ، والأصل « وليس لطالب العرف حاجب عنه » .

(٢) فيفيد أنه كثير إلى حد لا يعرف ، وإنما أفاد التنكير التكثير مع أن الأصل فيه الدلالة على الوحدة ؛ لأنه لا تنافى بين الدالتين كما سبق ، والفرق بين التكثير والتعظيم أن الأول ينظر فيه إلى الكميات والمقادير ، والثانى ينظر فيه إلى علو الشأن ، وبهذا يعرف الفرق بين التقليل والتحقير .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١١٣ . (٤) فيفيد أنه قليل إلى حد لا يعرف .

(٥) سورة التوبة : الآية ٧٢ . (٦) سورة فاطر : الآية ٤ .

(٧) قد يقال : إن الذى فى الآية تنكير رسل ، فيدل على عظمهم لا على عظم الآيات وأجيب بأنه يشير بهذا إلى أنه هو المراد بعظم الرسل ، أو إلى أنه داخل فى عظمهم .

والسكاكى (١) لم يفرق بين التعظيم والتكثير ، ولا بين التحقير والتقليل ، ثم جعل التنكير فى قولهم « شرُّ أهرِّ ذا ناب » للتعظيم ، وفى قوله تعالى : ﴿ ولعن مستهم نفحةً من عذاب ربك ﴾ (٢) لخلافه ، وفى كليهما نظر؛ أما الأول فلما سيأتى (٣) ، وأما الثانى فلأن خلاف التعظيم مستفاد من البناء للمرة ، ومن نفس الكلمة (٤) لأنها إما من قولهم « نفحت الريح » إذا هبت : أى هبةً ، أو من قولهم « نفحَ الطيبُ » إذا فاح : أى فوحةً ، كما يقال شمة ، واستعماله بهذا المعنى فى الشر استعارة ؛ إذ أصله أن يستعمل فى الخير ؛ يقال « له نفحة طيبة » أى هبة من الخير . وذهب أيضاً إلى أن قوله تعالى : ﴿ يا أبتِ إننى أخافُ أن يمسَّكَ عذاب من الرحمن ﴾ (٥) بالتنكير دون (عذاب الرحمن) بالإضافة؛ إما للتهويل أو لخلافه (٦) ، والظاهر أنه لخلافه ، وإليه ميل الزمخشري ؛ فإنه ذكر أن إبراهيم عليه السلام لم يُخلِ هذا الكلام من حسن الأدب مع أبيه ؛ حيث لم يصرح فيه أن العذاب لاحق له لاصق به . ولكنه قال : ﴿ إننى أخافُ أن يمسَّكَ عذاب من الرحمن ﴾ فذكر الخوف والمس ونكّر العذاب .

وأما التنكير فى قوله تعالى : ﴿ ولكم فى القصاص حياة ﴾ (٧) فيحتمل النوعية والتعظيم ؛ أى ولكم فى هذا الجنس من الحكم الذى هو القصاص حياة عظيمة ؛ لمنعه عما كانوا عليه من قتل جماعة بواحد متى اقتدروا ، أو نوع من الحياة وهو الحاصل للمقتول والقاتل بالارتداد عن القتل للعلم بالاقتصاص ؛ فإن الإنسان إذا همَّ بالقتل تذكر الاقتصاص ، فارتدع ، فسلم صاحبه من القتل وهو من القود ، فتسبب حياة نفسين .

ومن تنكير غير المسند إليه للنوعية : ﴿ وأمطرنا عليهم مطراً ﴾ (٨) أى

(١) المفتاح ١٠٣ . (٢) سورة الأنبياء : الآية ٤٦ .

(٣) من أن تقديم المسند إليه فى ذلك للتخصيص لا للتعظيم ؛ لأن المعنى ما أهرِّ ذا ناب إلا شر .

(٤) لا يخفى أن هذا لا يمنع أن يكون للتنكير دلالة عليه أيضاً ؛ لأن المعنى الواحد قد يجتمع فيه دالتان وثلاث لغرض من الأغراض .

(٥) سورة مريم : الآية ٤٥ . (٦) خلاف التهويل هو التهوين .

(٧) سورة البقرة : الآية ١٧٩ . (٨) سورة الشعراء : الآية ١٧٣ .

وأرسلنا عليهم نوعاً من المطر عجيباً ، يعنى الحجارة ، ألا ترى إلى قوله تعالى :
﴿ فساء مطر المنذرين ﴾ (١) ، وللتحقير (٢) : ﴿ إن نظن إلا ظناً ﴾ (٣) .

* * *

(١) أى فى الآية : نفسها ، لأن قوله « فساء » صيغة تعجب .
(٢) فالمعنى فى الآية : إلا ظناً ضعيفاً ، وإنما حمل على هذا ولم يجعل مصدراً مؤكداً ؛
لأن الاستثناء لا يصح فى المصدر المؤكد ، وعلى الأول يكون من المصدر المبين لنوع فعله .
(٣) سورة الجاثية : الآية ٣٢ .

هذا ، وقد يأتى التنكير لأغراض أخرى :
منها قصد التجاهل فى قوله تعالى : ﴿ هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق
إنكم لفي خلق جديد ﴾ آية ٧ سورة سبأ ،
ومنها أن يمنع مانع من التعريف كما فى قول الشاعر :
إذا سئمت مهنده يمين لظول الحمل بدله شمالا
لم يقل « يمينه » ؛ لأنه كره أن ينسب ذلك إلى يمين ممدوحه ، فنكرها ولم يضيفها إليه .

تمرينات على التعريف والتنكير

تمرين - ١

١ - قال الله تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۖ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ آية ١٥ ، ١٦ سورة المزمل ، فلماذا نَكَّرَ رسولاً أولاً وعرفه ثانياً ؟
ومن أى أقسام اللام لام الرسول ؟

تمرين - ٢

١ - قال تعالى : ﴿ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴾ آية ٢ سورة الماعون ، فلماذا أتى باسم الإشارة للبعيد ولم يأت به للقريب ؟
٢ - لماذا أُوْثِرَ اسم الموصول على غيره من المعارف فى قول الشاعر :
أَعْبَادُ الْمَسِيحِ يَخَافُ صَحْبِي وَنَحْنُ عَبِيدُ مَنْ خَلَقَ الْمَسِيحَا

تمرين - ٣

١ - ما الغرض من تنكير المسند إليه فى قول الشاعر :
وفى السماء نجومٌ لا عدادَ لها وليس يكسِفُ إلا الشمس والقمرُ
٢ - لماذا عُرِّفَ المسند إليه بالعلمية وبالموصولية فى قوله تعالى :
﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ آية ٢٩ سورة الفتح .

تمرين - ٤

١ - قال النبى ﷺ : « إِنْ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا ، وَإِنْ مِنْ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ » فلماذا نَكَّرَ المسند إليه ولم يعرفه ؟
٢ - لماذا عُرِّفَ المسند إليه بالإضافة فى قول الشاعر :
أَخُوكَ الَّذِى إِنْ تَدَّعَاهُ لِمُلْمَةٍ يُجِبْكَ وَإِنْ تَغَضَّبَ إِلَى السِّيفِ يَغْضَبُ

تمرين - ٥

١ - قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ آية ٥ ، ٦ سورة الشرح . فلماذا عُرِّفَ « العسر » فى الموضعين ونُكِرَ « يسراً » فيهما ؟ ومن أى أقسام اللام لام العسر ؟

٢ - ما الغرض من التنكير فى قول الشاعر :

شَقَّتْ لِمَنْظَرِكَ الْجُيُوبَ عَقَائِلٌ وَبَكَتْكَ بِالْدمْعِ الْهَتُونَ غَوَانِ

تمرين - ٦

١ - قال الشاعر :

أَحْيَاؤُنَا لَا يُرْزَقُونَ بِدَرَاهِمٍ وَبِأَلْفِ أَلْفٍ تُرْزَقُ الْأَمْوَاتُ !!

فلماذا عُرِّفَ المسند إليه الأول بالإضافة والثانى باللام ولم يعكس فيهما ؟

٢ - بين الغرض من التنكير فى قول الشاعر :

وَلِلَّهِ مِنِّي جَانِبٌ لَا أَضِيعُهُ وَلِلَّهِ مِنِّي وَالْخَلَاعَةُ جَانِبٌ

٣ - بين الغرض من التعريف والتنكير فى قول المتنبي :

أَهْمُ بَشَىءٍ وَاللَّيَالَى كَأَنَّهَا تَطَارِدُنِي عَنْ كَوْنِهِ وَأَطَارِدُ

* * *

أغراض الوصف

وأما وصفه فلكون الوصف تفسيراً له كاشفاً عن معناه (١) كقولك « الجسم الطويل العريض العميق محتاج إلى فراغ يشغله » ونحوه في الكشف قول أوس :

الألمعى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا (٢)

حكى أن الأصمعى سئل عن الألمعى ، فأنشده ولم يزد . وكذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ (٣) قال الزمخشري « الهلع سرعة الجزع عند مسّ المكروه ، وسرعة المنع عند مسّ الخير ، من قولهم « ناقة هلوع : سريعة السير » وعن أحمد بن يحيى (٤) : قال لى محمد بن عبد الله بن طاهر : ما الهلع ؟ قلت : قد فسر الله تعالى . . . » انتهى كلام الزمخشري .

أو لكونه مخصصاً له (٥) نحو : « زيدٌ التاجر عندنا » .

أو لكونه مدحاً له ، كقولنا : « جاء زيد العالم » حيث يتعين فيه ذكر زيد قبل ذكر العالم ، ونحوه من غيره (٦) قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (٧) .

(١) هذا معنى أصلى للوصف ، فلا يصح ذكره فى وجوه البلاغة ، وكذلك كونه مخصصاً للموصوف .

(٢) هو لأوس بن حجر يرثى فضالة بن كعدة ، وقبله :

أيتها النفس أجملى جزعا إن الذى تحذرين قد وقعا
إن الذى جمع الشجاعة والنجم سدة البر والتقى جمعا

فالألمعى بالرفع خبر « إن » ولهذا قال « ونحوه فى الكشف » لأنه ليس مسنداً إليه ، وقد روى بالنصب على أنه وصف لاسم « إن » ، ويؤيد هذه الرواية إتيان خبر « إن » بعد هذا فى قوله :

أودى فلا تنفع الإشاحة من أمر لم ير يحاول البدعا

(٣) سورة المعارج : الآيات ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

(٤) هو أبو العباس ثعلب ، من أئمة اللغة والنحو .

(٥) التخصيص : رفع الاحتمال فى المعارف وتقليل الاشتراك فى النكرات .

(٦) نحوه أيضاً من المسند إليه قوله تعالى : ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ [المؤمنون :

آية ١٤] وقول خرق أخت طرفه :

لا يبعدن قومي الذين هم سمّ العداء وآفة الجزر
النازلون بكل معترك والطيبون معاقد الأزر

(٧) سورة الفاتحة : الآية ١ .

وقوله تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾ (١) .

أو لكونه ذمًّا له ؛ كقولنا « ذهب زيد الفاسق » حيث يتعين فيه ذكر زيد قبل ذكر الفاسق . ونحوه من غيره قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (٢) .

أو لكونه تأكيداً له (٣) كقولك « أمس الدابر كان يوماً عظيماً » .

أو لكونه بياناً له ، كقوله تعالى : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهِينَ اثْنَيْنِ ، إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ (٤) قال الزمخشري : الاسم الحامل لمعنى الأفراد أو التثنية دالٌّ على شيئين : على الجنسية ، والعدد المخصوص . فإذا أريدت الدلالة على أن المعنى به منهما والذي يساق له الحديث هو العددُ شُفِعَ بما يؤكدُه فدلَّ به على القصد إليه والعناية به ، ألا ترى أنك لو قلتَ (إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ) ولم تؤكدْ به (واحد) لم يحسن ، وخيَّلَ أنك تثبت الإلهية لا الوجدانية ، وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ ﴾ (٥) فقال السكاكي (٦) : شفع « دابة » بـ « في الأرض » و « طائر » بـ « يطير بجناحيه » لبيان أن القصد بهما إلى الجنسين (٧) . وقال الزمخشري : « معنى ذلك زيادة التعميم والإحاطة (٨) كأنه قيل : « وما من دابة قط في جميع الأرضين السبع ، وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه » .

(١) سورة الحشر : الآية ٢٤ . (٢) سورة النحل : الآية ٩٨ .

(٣) أى لغوياً لا اصطلاحياً ، ولا بد للوصف المؤكد من حال يقتضيه ؛ كإظهار السرور أو التأسف فى المثال ، والتأكيد يقصد هنا زائداً على الوصفية بخلافه فى التوكيد بالنفس ونحوه مما يأتى .

(٤) سورة النحل : الآية ٥١ .

وقد ذكروا هنا فروقا بين الوصف المبين وغيره مما سبق ، وقيل : إن الوصف المبين يمكن جعله من الوصف المؤكد ، وإنما جعل وصفا ، ولم يجعل عطف بيان ؛ لأن عطف البيان لا يكون مشتقا ولا مؤولا به .

(٥) سورة الأنعام : الآية ٣٨ . (٦) (٦) ١٠١ - المفتاح .

(٧) أى لا إلى العدد .

(٨) أما أصل التعميم فمستفاد من وقوع النكرة فى سياق النفي ، والزيادة لدفع احتمال إرادة دواب أرض واحدة أو طيور جو واحد ، وجعل الاستغراق حقيقيا فى جميع الدواب والطيور ، ولا يخفى أن كلام السكاكى يؤول إلى ذلك أيضاً ؛ لأنه عند قصد الجنس يكون الاستغراق حقيقيا .

واعلم أن الجملة قد تقع صفة للنكرة ، وشرطها أن تكون خبرية ؛ لأنها في المعنى حكم على صاحبها كالخبر ، فلم يستقم أن تكون إنشائية مثله ؛ وقال السكاكي (١) : لأنه يجب أن يكون المتكلم يعلم تحقق الوصف للموصوف ؛ لأن الوصف إنما يؤتى به لتمييز به الموصوف مما عداه ، وتمييز المتكلم شيئاً من شيء بما لا يعرفه له مُحالٌ ، فما لا يكون عنده محققاً للموصوف يمنع أن يجعله وصفاً له بحكم عكس النقيض (٢) ، ومضمون الجمل الطلبية كذلك لأن الطلب يقتضى مطلوباً غير متحقق لامتناع طلب الحاصل ، فلا يقع شيء منها صفة لشيء ، والتعليل الأول أهم ؛ لأن الجملة الإنشائية قد لا تكون طلبية (٣) كقولنا : « نَعَمْ الرجل زيد ، وبِئس الصاحب عمرو ، وربما يقوم بكر ، وكم غلام ملك ، وعسى أن يجيء بشر ، وما أحسن خالداً » ، وصيغ العقود نحو : « بعث واشترت » فإن هذه كلها إنشائية وليس شيء منها بطلبية . ولامتناع وقوع الإنشائية صفة أو خبراً ؛ قيل في قوله :

* جاءوا بمدق هل رأيت الذئب قط (٤) *

تقديره جاءوا بمدق مقول عنده هذا القول ، أى بمدق يحتمل رائيه أن يقول لمن يريد وصفه له : هل رأيت الذئب قط ؟ فهو مثله في اللون لإيراده في خيال الرائي لون الذئب لورقته (٥) وفي مثل قولنا : « زيد اضربه أو لا تضربه » تقديره : « مقول في حقه اضربه أو لا تضربه » (٦) .

(١) ١٠٠ ، ١٠١ - المفتاح .

(٢) أى لقوله « يجب أن يكون المتكلم يعلم تحقق الوصف للموصوف » .

(٣) لا يخفى أن الجملة الإنشائية غير الطلبية كالإنشائية الطلبية فيما ذكره السكاكي ، ولا معنى للتطويل بهذه المباحكات اللفظية في هذا العلم ، ولا سيما أن ما ذكره من ذلك الشرط من مسائل علم النحو .

(٤) هو لعبد الله بن ربيعة التميمي المعروف بالعجاج ، والبيت :

حتى إذا جنّ الظلام واختلط جاءوا بمدق : هل رأيت الذئب قط .

والمذق : اللبن المخلوط بالماء ، مصدر بمعنى اسم المفعول ، وقوله « جن الظلام » بمعنى أقبل أوله ، واختلاطه إنما يكون بعد ذهاب نور النهار كله ، يصف قوماً أضافوه وأطالوا عليه ثم أتوه بهذا المذق .

(٥) الورقة : سواد في غيرة .

(٦) قد يأتى الوصف لأغراض أخرى ، منها الترحم في قول الشاعر :

إلهي ، عبدك العاصي أتاك مقرأ بالذنوب وقد دعاكا

ومنها قصد الإيهام ، نحو قولك « تصدقت صدقة كبيرة أو صغيرة » ومنها قصد التعميم ،

مثل قولك « أكرم الناس الصغار والكبار » .

أغراض التوكيد

وأما توكيده فللتقرير ، كما سيأتى فى باب تقديم الفعل وتأخيره (١) .
أو لدفع توهم التجوُّز أو السهو (٢) كقولك « عرفتُ أنا ، وعرفتُ أنت ،
وعرف زيد زيدا » أو عدم الشمول ، كقولك « عرفنى الرجلان كلاهما ، أو الرجال
كلهم (٣) . قال السكاكى (٤) : ومنه « كل رجل عارف ، وكل إنسان حيوان » .

وفيه نظر ؛ لأن كلمة « كل » تارة تقع تأسيساً وذلك إذا أفادت الشمول من
أصله حتى لولا مكانها لما عُقل ، وتارة تقع تأكيداً ، وذلك إذا لم تفده من أصله ، بل
تمنع أن يكون اللفظ المقتضى له مستعملاً فى غيره .

أما الأول فهو أن تكون مضافة إلى نكرة (٥) كقوله تعالى : ﴿ كلُّ حزبٍ بما
لديه فرحون ﴾ (٦) وقوله : ﴿ وكلُّ شئٍ فصلناه تفصيلاً ﴾ (٧) وقوله ﴿ وهم
من كُلِّ حِذْبٍ ينسلون ﴾ (٨) . وأما الثانى فما عدا ذلك ؛ كقوله تعالى : ﴿ فسجد

(١) كقولك « هو يعطى الجزيل » فهو يفيد من تقوية الحكم ما لا يفيد قولك « يعطى
زيد الجزيل » لتكرار الإسناد فى الأول ، ولا يخفى أن هذا ليس من توكيد المسند إليه ؛ فلا معنى
لذكره هنا .

(٢) بأن يكون فى الكلام أو المقام ما يوهم ذلك فيؤتى بالتوكيد لدفعه ، وبهذا يمتاز نظر
علم المعانى عن نظر علم النحو إلى التوكيد ، وهذا كما فى قولك « قطع الأمير نفسه السارق »
فإنه لو قيل « قطع الأمير السارق » لتوهم أن القاطع غيره بأمره على ما جرت به العادة فى ذلك ،
أما النحو فيجوز فيه أن يقال « قطع الأمير نفسه السارق ، وقطع الأمير السارق » بلا نظر إلى هذه
الاعتبارات ، وعلى هذا ورد التوكيد فى قوله : ﴿ ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى ﴾
آية ٥٦ سورة طه وقوله : ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، إلا إبليس أبى أن يكون مع
الساجدين ﴾ آية ٣٠ ، ٣١ سورة الحجر . وفى هذا إشارة إلى فظاعة تكذيب فرعون واستكبار
إبليس اللعين .

(٣) فإنه قيل التأكيد يحتمل أن أحد الرجلين أو بعض الرجال لم يجىء ، ولكنه لم يعتدّ
به ، فأطلق الكل وأريد البعض على سبيل المجاز .

(٤) ١٠١ - المفتاح .

(٥) كذلك المضافة إلى معرفة ، كقوله تعالى : ﴿ كلُّ الطعام كان حلاً لبني إسرائيل ﴾

آية ٩٣ سورة آل عمران .

(٦) سورة المؤمنون : الآية ٥٣ .

(٧) سورة الإسراء : الآية ١٢ .

(٨) سورة الأنبياء : الآية ٩٦ .

الملائكة كلُّهم ﴿١﴾ وهى فى قوله « كل رجل عارف ، وكل إنسان حيوان » من الأول لا الثانى ؛ لأنها لو حذفت منهما لم يفهم الشمول أصلاً .

أغراض عطف البيان :

وأما بيانه وتفسيره فلايضاحه باسم مختص به ﴿٢﴾ كقولك « قدم صديقك خالد » .

أغراض البدل :

وأما الإبدال منه فلزيادة التقرير والإيضاح ﴿٣﴾ نحو « جاءنى زيد أخوك ، وجاء القوم أكثرهم ، وسلب عمرو ثوبه » ﴿٤﴾ ، ومنه فى غيره قوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ ﴿٥﴾ .

(١) سورة الحجر : الآية ٣٠ .

(٢) هذا معنى نحوى لعطف البيان ، وإنما يعد من البلاغة إذا كان للمسند إليه شأن يقتضى العناية بأمره كعظم شأنه أو حقارته ، فيكون عطف البيان لمدحه أو ذمه أو نحو ذلك ، كقوله تعالى : ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس ﴾ آية ٩٧ سورة المائدة وقوله : ﴿ ويسقى من ماء صديد ﴾ آية ١٦ سورة إبراهيم . وقد يكون عطف البيان غير مختص بمتبوعه ، ولكن يحصل الإيضاح والاختصاص بمجموعهما ، كما فى قول الشاعر :

المؤمن العائذات الطير يمسحها ركبان مكة بين الغيل والسند
ما إن أثبت بشئ أنت تكرهه إذن فلا رفعت سوطاً إلى يدي

فالطير عطف بيان للعائذات ، وكل منهما غير مختص بصاحبه فى ذاته ، وإنما حصل هذا بمجموعهما .

(٣) يعنى أنه يؤتى به لهذين الأمرين زيادة على قصده بالحكم ، وهو المعنى النحوى للبدل ، أو أن فيه زيادة تقرير على التوابع السابقة ؛ لأنه على نية تكرار العامل ، فيكون إسناده أقوى من غيره .

(٤) لم يأت بمثال لعطف الغلط ؛ لأنه لا يقع فى فصيح الكلام إلا أن يكون بدل بداء ؛ وهو أن تذكر المبدل منه عن قصد ثم تذكر البدل بعده فتوهم أنك غلط لقصد المبالغة والتفنن ، وشرطه أن يرتقى فيه من الأدنى إلى الأعلى ، كما فى قول الشاعر :

المع برق سرى أم ضوء مصباح أم ابتسامتها بالنظر الضاحي

هذا وفى البدل من وجوه البلاغة وجه الإجمال ثم التفصيل والعناية بإثبات الحكم ، ولا يكون هذا إلا للمقام يقتضيه ، كما فى قول الشاعر :

بلغنا السماء مجدداً وسناؤنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهراً

(٥) سورة الفاتحة : الآيات ٦ ، ٧ .

أغراض عطف النسق :

وأما العطف فلتفصيل المسند إليه مع اختصار ^(١) ؛ نحو: « جاء زيد وعمرو
وخالد » .

أو لتفصيل المسند مع اختصار ؛ نحو « جاء زيد وعمرو » أو ثم عمرو ، أو
« جاء القوم حتى خالد » ^(٢) ولا بد في « حتى » من تدريج ؛ كما ينبىء عنه قوله :
وكنْتُ فتى من جند إبليس فارتقى

بى الحال حتى صار إبليس من جندى ^(٣)

أو لرد السامع عن الخطأ فى الحكم إلى الصواب ^(٤) ؛ كقولك : « جاءنى زيد لا
عمرو » لمن اعتقد أن عمراً جاءك دون زيد ، أو أنهما جاءاك جميعاً ، وقولك : « ما
جاءنى زيد لكن عمرو » لمن اعتقد أن زيداً جاءك دون عمرو .
أو لصرف الحكم عن محكوم له إلى آخر ؛ نحو: « جاءنى زيد بل عمرو »
و « ما جاءنى زيد بل عمرو » ^(٥) .

(١) هذا غير ما يفيد العطف من معناه النحوى ؛ كالدلالة على مطلق الجمع فى الواو .
ووجه الاختصار فى المثال أنه فى معنى « جاء زيد وجاء عمرو وجاء خالد » وقد أشار به إلى أن
تفصيل المسند إليه خاص بالواو .
هذا ، ولا بد لذلك من مقام يقتضيه ، كما فى قوله تعالى : ﴿ إن فرعون وهامان
وجنودهما كانوا خاطئين ﴾ آية ٨ سورة القصص ، فذكر بالتفصيل فرعون وهامان ؛ لأنهما
السبب فى الخطأ دون جنودهما .

(٢) أشار بهذا إلى أن تفصيل المسند خاص بالفاء و ثم وحتى ، لأنها تبين أنه حصل
بترتيب وتعقيب أو بترتيب وتراخ أو بترتيب ذهنى ، ووجه الاختصار فيها أنها تغنى عن « جاء
زيد وعمرو بعده بيوم أو سنة أو نحو ذلك » ولا يخفى أنه يحصل فيه أيضاً تفصيل المسند إليه
ولكنه غير مقصود منها ؛ لأنه يكون معلوماً قبلها فتساق لأجل تفصيل المسند وحده .
(٣) هو للحسن بن هانئ المعروف بأبى نواس ، و (حتى) فيه ليست عاطفة .
وإنما يقصد التمثيل به لإفادتها التدريج ، وإنما لم تكن عاطفة فيه لأن المشهور أنها لا تأتى
فى عطف الجمل ، ولأن الجملة قبلها لا يستقل بها الكلام حتى يصح العطف عليها عند من
يقول بصحة العطف بها فى الجمل .

(٤) أى مع الاختصار على ما سبق ؛ لأن هذا هو الذى يعنى به فى هذا العلم .
(٥) فالمعنى فيه على نقل حكم النفى إلى عمرو على ما ذهب إليه المبرد ، والجمهور على
أن « بل » تنقل حكم الإثبات لا النفى .

أو للشك فيه أو التشكيك (١) ؛ نحو: « جاءني زيد أو عمرو ، أو إما زيد وإما عمرو ، أو إما زيد أو عمرو » .

أو للإبهام ، كقوله تعالى : ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ﴾ (٢) .

أو للإباحة أو التخيير ، وهو أن يفيد ثبوت الحكم لأحد الشيئين أو الأشياء فحسب (٣) ، مثالهما قولك « ليدخل الدار زيد أو عمرو » والفرق بينهما واضح ؛ فإن الإباحة لا تمنع من الإتيان بأحدهما أو بهما جميعاً .

أغراض ضمير الفصل :

وأما توسط الفصل بينه وبين المسند فلتخصيصه به (٤) ؛ كقولك : « زيد هو المنطلق ، أو هو أفضل من عمرو ، أو خير منه ، أو هو يذهب » (٥) .

(١) أى مع الاختصار أيضاً ، والشك من المتكلم ، والتشكيك للسامع ، والبلاغة فى التشكيك أعلى من البلاغة فى الشك ؛ لأن التشكيك يجعل وسيلة إلى بلوغ اليقين ووصول الحق إلى المخالفين على وجه لا يثير غضبهم ، لينظروا فيه فيؤدبهم النظر إلى العلم به ، وقد جعل السكاكى من هذا قوله تعالى : ﴿ وإنا أو إياكم - الآية ﴾ . ولم يجعله للإبهام على السامع كما فعل الخطيب ، ومنه أيضاً قول الشاعر :

وقد زعمت ليلى بأننى فاجر لنفسى تُقاها ، أو عليها فجورها
وقيل : إن « أو » فيه بمعنى الواو .

(٢) سورة سبأ : الآية ٢٤ .

(٣) أى من غير قصد إلى تشكيك أو إبهام .

(٤) يعنى تخصيص المسند إليه بالمسند ، فالباء داخلة على المقصور ، وما قبلها هو المقصور عليه ، ومن أغراض الفصل أيضاً التأكيد ، وإنما يفيد التأكيد إذا حصل التخصيص بغيره بأن تكون الجملة معرفة الطرفين مثلاً ، كما فى قوله تعالى : ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ آية ٥٨ سورة الذاريات . وقوله ﴿ فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ﴾ آية ١١٧ سورة المائدة . وقوله : ﴿ لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ﴾ آية ٢٠ سورة الحشر . وقد يكون لتخصيص المسند بالمسند إليه ؛ نحو « الكرم هو التقوى » ؛ لأنه بمعنى لا كرم إلا بالتقوى .

(٥) الحق أن هذا ليس ضمير فصل ، وإنما يعرب تأكيداً أو مبتدأ ثانياً ، لأنه يشترط فى ضمير الفصل أن يكون ما بعده خبراً معرفة أو كالمعرفة فى عدم قبول « ال » ، كلفظ خير ، ويشترط فيما قبله أن يكون مبتدأ ولو باعتبار الأصل ، وأن يكون معرفة ، ويشترط فيه نفسه أن يكون بصيغة المرفوع ، وأن يطابق ما قبله ، فلا يجوز « كنت هو الفاضل » .

تمرينات على التوابع

تمرين - ١

- (١) بين الغرض من البديل في قول الشاعر :
- وكنْتُ كذى رِجلين : رِجلٌ صحيحةٌ ورجلٌ رمى فيها الزمانُ فشُلَّتْ
- (٢) هل يجوز بلاغةً كما يجوز نحواً أن يُجعل عطف البيان بدلاً مطابقاً وبالعكس ، أو أن لكل منهما مقاماً خاصاً به ؟
- (٣) بين معنى « أو » ومنزلتها بلاغةً في قول الشاعر :
- نحن أو أنتم الأولى أَلْفُوا الحقَّ فَبُعْداً لِلْمُبْطِلين وسُحْفاً

تمرين - ٢

- (١) من أى أقسام البديل قوله تعالى : ﴿ ومن يفعل ذلك يلق أثاماً . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً ﴾ آية ٦٨ ، ٦٩ سورة الفرقان . وأى غرض دعا إليه ؟ وما منزلته فى البلاغة ؟
- (٢) أى غرض دعا إلى التوكيد فى قول الشاعر :
- لكنه شاقه أن قيل ذا رَجَبٍ يا ليت عدةً حولٍ كله رجبا
- (٣) قال تعالى : ﴿ فَلَلهِ الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين ﴾ . آية ٣٦ سورة الجاثية . فلماذا عطف فى الأول دون الثانى ؟

تمرين - ٣

- (١) قال الله تعالى : ﴿ إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ﴾ . آية ٨ سورة القصص . فما فائدة العطف بلاغةً فيه ؟ ولماذا أوثرت فيه الواو على غيرها ؟
- (٢) أى غرض دعا إلى العطف بحتى فى قول الشاعر :
- قهرناكم حتى الكماة فأنتم تهابوننا حتى بنينا الأصاغرا
- (٣) ما الغرض من الوصف فى قول الشاعر :
- ويأوى إلى نسوة عطلٍ وشعثاً مراضيع مثل السعالى

أغراض التقديم

- وأما تقديمه فلكون ذكره أهم ؛ إما لأنه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه (١) ،
 وإما ليتمكن الخبر في ذهن السامع ؛ لأن في المبتدأ تشويقاً إليه ؛ كقوله :
 والذي حارت البرية فيه حيوانٌ مستحدثٌ من جماد (٢) .
 وهذا أولى من جعله شاهداً لكون المسند إليه موصولاً كما فعل
 السكاكي (٣) .
 وإما لتعجيل المسرة أو المساء لكونه صالحاً للتفاؤل أو التطير ؛ نحو « سعد في
 دارك ، والسفاح في دار صديقك » .
 وإما لإيهام أنه لا يزول عن خاطر أو أنه يُستلذ ، فهو إلى الذكر أقرب (٤) .
 وإما لنحو ذلك (٥) .
 قال السكاكي (٦) : « وإما لأن كونه متصفاً بالخبر يكون هو المطلوب لا نفس
 الخبر ؛ كما إذا قيل لك : كيف الزاهد ؟ فتقول : الزاهد يشرب ويطرب » .

-
- (١) هذا إذا كان المسند إليه مبتدأ أو نحوه لا فاعلاً أو نحوه ، ولا يخفى أن هذه نكتة
 ضعيفة لا يعول عليها هنا .
 (٢) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبي العلاء المعري ، وقوله « حارت » بمعنى
 اختلفت ، من إطلاق المألوم وإرادة اللازم على سبيل المجاز المرسل ، واسم الموصول مبتدأ وخبره
 حيوان على تقدير مضاف ، أي معاد حيوان كما يدل عليه سياق القصيدة - ويجوز أن يراد
 استحداث الحيوان من النطفة فلا يحتاج إلى تقدير مضاف .
 (٣) ٩٨ - المفتاح ، ولا مانع من جعله شاهداً لهما معاً ، ومما يدخل في هذا الغرض أن
 يكون المسند إليه ضمير شأن أو قصة ، كما في قول الشاعر :
 هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشى وفتكى
 (٤) كقول جميل :
 بنية ما فيها إذا تبصرت مُعابٌ ولا فيها إذا نُسبت أشبُ
 (٥) كإظهار تعظيمه في نحو قوله تعالى ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على
 الكفار رحماء بينهم ﴾ آية ٢٩ سورة الفتح ، أو تحقيره في قولك « الدنيا لا تساوى عند الله
 جناح بعوضة » .
 (٦) ١٠٤ ، ١٠٥ - المفتاح .

وإما لأنه يفيد زيادة تخصيص كقوله :

متى تهزُّ بنى قطن تجدهم سيوفاً فى عواتقهم سيوفٌ
جلوسٌ فى مجالسهم رزانٌ وإن ضيف ألم فهم خُفوفٌ (١)

والمراد « هم خفوف » . وفيه نظر ؛ لأن قوله « لا نفس الخير » يشعر بتجويز أن يكون المطلوب بالجملة الخبرية نفس الخير ، وهو باطل (٢) لأن نفس الخير تصوُّر لا تصديق ، والمطلوب بها إنما يكون تصديقاً ، وإن أراد بذلك وقوع الخبر مطلقاً فغير صحيح أيضاً لما سيأتى (٣) أن العبارة عن مثله لا يُتعرَّضُ فيها إلى ما هو مسند إليه ؛ كقولك « وقَعَ القيام » ثم فى مطابقة الشاهد الذى أنشده للتخصيص نظر (٤) ؛ لما سيأتى أن ذلك مشروط بكون الخبر فعلياً ، وقوله « والمراد هم خفوف » تفسير للشئ بإعادة لفظه (٥) .

قال عبد القاهر (٦) : وقد يقدم المسند إليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلى إن
وكى حرف النفى (٧) كقولك « ما أنا قلت هذا » أى لم أقله مع أنه مقول ؛ فأفاد نفى

(١) لا يعلم قائلهما ، وقوله « تهز » بمعنى تهيجهم للحرب ، وقوله : « تجدهم سيوفاً » معناه كالسيوف فى المضاء ، ورزان : جمع رزين ، وخفوف : مصدر خف بمعنى أسرع . يمدحهم بالنخوة فى قوله « متى تهز إلخ » وبالعظمة والشرف فى قوله « جلوس . . . إلخ » وبالكرم فى قوله « وإن ضيف ألم » إلخ . وبعد البيتين :

إذا نزلوا حسبتهم بدورا وإن ركبوا فإنهم حتوف

(٢) أجيب عنه فى هذا بأنه لا يريد نفس الخبر مجرداً عن الحكم حتى يلزمه ذلك ، فهو لا يقصد إلا أنه إذا علم تحقق المسند فى الجملة ولم يعلم المسند إليه قدّم على المسند ، وهذا ظاهر لا اعتراض عليه .

(٣) فى أول الكلام على متعلقات الفعل .

(٤) أجيب عنه فى هذا بأنه لا يريد بالتخصيص هذا الحصر وإنما يريد التخصيص بالذكر ، ولا يخفى أن حمل التخصيص على ذلك بعيد ، على أنه سيأتى أن السكاكى يريد فى هذا ونحوه التخصيص بمعنى الحصر وأنه لا يشترط فيه كون الخبر فعلياً .

(٥) لا يخفى أن السكاكى لا يريد بهذا تفسيره ، وإنما يريد بيان محل الشاهد ، وما كان أغنى الخطيب عن الإطالة فى هذه المباحكات اللفظية !!

(٦) ٨٤ - دلائل الإعجاز .

(٧) يعنى أنه فى هذه الحالة يفيد قصر نفى الخبر الفعلى على المسند إليه وإثباته لغيره على الوجه الذى نفى به من خصوص أو عموم على ما سيأتى فى الأمثلة ؛ فالباء داخله هنا على المقصور ، والمراد بإيلائه حرف النفى إتيانه بعده ولو كان بينهما فاصل ، فيشمل نحو : ما زيدا أنا ضربت ، وما فى الدار أنا جلست .

الفعل عنك وثبوته لغيرك ، فلا تقول ذلك إلا في شيء ثبت أنه مقول وأنت تريد نفى كونك قائلاً له . ومنه قول الشاعر :

وما أنا أسقمتُ جسمي به ولا أنا أضمرتُ في القلب نارا (١)

إذ المعنى أن هذا السقم الموجود والضرم الثابت ما أنا جالباً لهما ؛ فالقصد إلى نفى كونه فاعلاً لهما لا إلى نفيهما ؛ ولهذا لا يقال « ما أنا قلت ولا أحد غيري » لمنقضة منطوق الثاني (٢) لمفهوم الأول (٣) بل يقال « ما قلت أنا ولا أحد غيري » ولا يقال « ما أنا رأيت أحداً من الناس » ولا « ما أنا ضربت إلا زيدا » بل يقال « ما رأيت أو ما رأيت أنا أحداً من الناس ، وما ضربت أو ما ضربت أنا إلا زيدا » ؛ لأن المنفى في الأول الرؤية الواقعة على كل واحد من الناس ، وفي الثاني الضرب الواقع على كل واحد منهم سوى زيد (٤) . وقد سبق أن ما يفيد التقديم ثبوته لغير المذكور هو ما نفى عن المذكور ، فيكون الأول مقتضياً لأن إنساناً غير المتكلم رأي كل الناس ، والثاني مقتضياً لأن إنساناً غير المتكلم قد ضرب من عدا زيدا منهم ، وكلاهما محال ، وعلل الشيخ عبد القاهر والسكاكي (٥) امتناع الثاني بأن نقض النفي بإلا يقتضى أن يكون القائل له قد ضرب زيدا ، وإيلاء الضمير حرف النفي يقتضى ألا يكون ضربه ، وذلك تناقض . وفيه نظر ؛ لأننا لا نسلّم أن إيلاء الضمير حرف النفي يقتضى ذلك ، فإن قيل : الاستثناء الذي فيه مفرغ ، وذلك يقتضى ألا يكون ضرب أحداً من الناس ،

(١) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبي الطيب المتنبي ، وقوله « أضمرت » بمعنى أشعلت ، يعني نار الحب ، ونحوه قول الشاعر :

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله ولكن لشعري فيك من نفسه شعر

وقوله ﷺ : « ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم » .

(٢) هو « ولا أحد غيري » .

(٣) هو « ما أنا قلت » لأن مفهومه أن غيره قاله .

(٤) لا يخفى أن هذا ليس هو المنفى في المثاليين وإلا كانا من سلب العموم لا من عموم السلب ، وإنما المنفى في الأول رؤية أي واحد من الناس وفي الثاني ضرب أي واحد سوى زيد ، وعلى هذا يكون مفهوم المثاليين أن إنساناً غير المتكلم رأي واحداً من الناس وضرب أي واحد سوى زيد ، وهو صحيح لا شيء فيه ، وإنما الذي يؤدي إلى ما ذكره الخطيب أن يقال : ما أنا رأيت كل رجل ، وما أنا ضربت كل رجل إلا زيدا .

(٥) ٨٥ - دلائل الإعجاز ، ١٢٥ - المفتاح .

وذلك يستلزم ألا يكون ضرب زيدا ، قلنا : إن لزم ذلك ^(١) فليس للتقديم لجريانه في غير صورة التقديم أيضا ؛ كقولنا : « ما ضربت إلا زيدا » .

هذا إذا ولى المسند إليه حرف النفي ، وإلا فإن كان معرفة ؛ كقولك « أنا فعلت » كان القصد إلى الفاعل ^(٢) وينقسم قسمين :

أحدهما : ما يفيد تخصيصه بالمسند ^(٣) للرد على من زعم انفراد غيره به أو مشاركته فيه ؛ كقولك « أنا كتبت في معنى فلان ، وأنا سعت في حاجته » ؛ ولذلك إذا أردت التأكيد قلت للزاعم في الوجه الأول « أنا كتبت في معنى فلان لا غيرى » ونحو ذلك ، وفي الوجه الثانى « أنا كتبت في معنى فلان وحدى » . فإن قلت : « أنا فعلت هذا وحدى » فى قوة « أنا فعلته لا غيرى » فلم اختصاص كل منهما بوجه من التأكيد دون وجه ؟ قلت : لأن جدوى التأكيد لما كانت إمطة شبهة خالجت قلب السامع ، وكانت فى الأول أن الفعل صدر من غيرك وفى الثانى أنه صدر منك بشركة الغير أكدت وأمطت الشبهة فى الأول بقولك « لا غيرى » وفى الثانى بقولك « وحدى » ؛ لأنه محزه ، ولو عكست أخلت ^(٤) .

ومن البين فى ذلك ^(٥) المثل : « أتعلمنى بضب أنا حرشته !؟ » ^(٦) . وعليه قوله تعالى : ﴿ ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم ﴾ ^(٧) . أى لا يعلمهم إلا نحن ولا يطلع على أسرارهم غيرنا ؛ لإبطانهم الكفر فى سويداوات قلوبهم .

الثانى : ما لا يفيد إلا تقوى الحكم وتقرره فى ذهن السامع وتمكنه ، كقولك « هو يعطى الجزيل » لا تريد أن غيره لا يعطى الجزيل ولا أن تعرض بإنسان ، ولكن تريد أن تقرر فى ذهن السامع وتحقق أنه يفعل إعطاء الجزيل ، وسبب تقويه هو أن

(١) الحق أنه لا يلزم ؛ لأن إيلاء الضمير حرف النفى إنما يقتضى نفى ما عدا المستثنى ، وما ذكره عبد القاهر والسكاكى إنما هو غفلة منهما .

(٢) أى لا إلى الفعل كما فى النفى .

(٣) يعنى قصر المسند عليه ، ويلزمه أيضاً تقوية الحكم كما فى القسم الثانى ، ولكنها تحصل هنا تبعا لا قصدا .

(٤) يعنى حولت كلا منهما عن موضعه المناسب له ؛ لأن « لا غيرى » تدل صريحا على نفى صدوره من غيرك ، أما « وحدى » فيدل عليه التزاما ، وكذلك « وحدى » يدل صريحا على نفى الشركة ، أما « لا غيرى » فيدل عليه التزاما .

(٥) أى فى إفادة التخصيص .

(٦) حرشته بمعنى صدته ، والمثل يضرب لمن يخبرك بشيء أنت أعلم به منه .

(٧) سورة التوبة : الآية ١٠١ .

المبتدأ يستدعى أن يستند إليه شيء ، فإذا جاء بعده ما يصلح أن يستند إليه صرفه إلى نفسه ، فينعقد بينهما حكم سواء كان خاليا عن ضميره ؛ نحو « زيد غلامك » ، أو متضمنا له ، نحو « أنا عرفت ، وأنت عرفت ، وهو عرف أو زيد عرف » ، ثم إذا كان متضمنا لضميره صرفه ذلك الضمير إليه ثانيا ؛ فيكتسب الحكم قوة (١) .

* وما يدل على أن التقديم (٢) يفيد التأكيد أن هذا الضرب من الكلام يجيء فيما سبق فيه إنكار من منكره نحو أن يقول الرجل « ليس لى علم بالذى تقول » فتقول « أنت تعلم أن الأمر على ما أقول » وعليه قوله تعالى ﴿ ويقولون على الله الكذب ، وهم يعلمون ﴾ (٣) لأن الكاذب لا سيما فى الدين لا يعترف بأنه كاذب ، فيمتنع أن يعترف بالعلم بأنه كاذب .

وفيما اعترض فيه شك : نحو أن تقول للرجل « كأنك لا تعلم ما صنع فلان ؟ » فيقول « أنا أعلم » .

وفى تكذيب مدّع : كقوله تعالى : ﴿ وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ﴾ (٤) فإن قولهم (آمنا) دعوى منهم أنهم لم يخرجوا بالكفر كما دخلوا به .

وفيما يقتضى الدليل ألا يكون كقوله تعالى : ﴿ والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ﴾ (٥) فإن مقتضى الدليل ألا يكون ما يتخذ إلهاً مخلوقاً .

وفيما يستغرب : كقولك « ألا تعجب من فلان يدعى العظيم وهو يعيا باليسير » .

وفى الوعد والضمنان : كقولك للرجل « أنا أكفيك ، أنا أقوم بهذا الأمر » ؛

(١) علله عبد القاهر بأن تقديم المسند إليه ينه السامع لقصده بالحديث قبل ذكره تحقيقاً وتأكيذاً له .

(٢) أى فى هذا القسم ، وبهذا يكون له مقام فى الكلام يباين مقام القسم الأول ؛ لأن المقصود منه التخصيص لا التأكيد كما سبق .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٧٨ . (٤) سورة المائدة : الآية ٦١ .

(٥) سورة النحل : الآية ٢٠ .

لأن من شأن من تعدّه وتضمن له أن يعترضه الشك في إنجاز الوعد والوفاء بالضمان ، فهو من أحوج شيء إلى التأكيد .

وفي المدح والافتخار : لأن من شأن المادح أن يمنع السامعين من الشك فيما يمدح به ويبعدهم عن الشبهة ، وكذلك المفتخر ، أما المدح فكقول الحماسي :

* هُمْ يَفْرَشُونَ اللَّبْدَ كُلَّ طِمْرَةٍ ^(١) *

وقول الحماسية :

* هُمَا يَلْبَسَانِ الْمَجْدَ أَحْسَنَ لِبْسَةٍ ^(٢) *

وقول الحماسي :

* فَهُمْ يَضْرِبُونَ الْكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ ^(٣) *

وأما الافتخار فكقول طرفة :

* نَحْنُ فِي الْمَشْتَاتَةِ نَدْعُو الْجَفْلَى ^(٤) *

ومما لا يستقيم المعنى فيه إلا على ما جاء من بناء الفعل على الاسم قوله

(١) هو للمعذل بن عبد الله الليثي من قوله يمدح فتيان بني عتيك :

هَم يَفْرَشُونَ اللَّبْدَ كُلَّ طِمْرَةٍ وَأَجْرَدَ سَبَاحُ بَيْدِ الْمَغَالِيَا

وقبله :

جَزَى اللَّهُ فُتَيَانَ الْعَتِيكِ وَإِنْ نَأَتْ بِي الدَّارُ عَنْهُمْ خَيْرٌ مَا كَانَ جَازِيَا

والطمرة : الفرس الكريم ، والأجرد : القصير الشعر ، والسباح : اللين الجري ، والمغالي :

بضم الميم : السهم ، وبفتحها : جمع مغلى أو مغلاة وهي السهم أيضا ، يعنى أنه أسرع منه .

(٢) هو لعمره الخثعمية من قولها في رثاء ابنها :

هَمَا يَلْبَسَانِ الْمَجْدَ أَحْسَنَ لِبْسَةٍ شَحِيحَانِ مَا اسْتَطَاعَا عَلَيْهِ كِلَاهُمَا

واللبسة : اسم هيئة من لبس ، والشحيح : الذى لا يفرط فيما فى يده . وقيل : إن البيت

لدرعاء بنت سيار الجحدرية في رثاء أخويها .

(٣) هو للأخنس بن شهاب التغلبي من قوله :

فَهُمْ يَضْرِبُونَ الْكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الدَّمَاءِ سَبَائِبُ

وروى : « هُم يَضْرِبُونَ » والكبش : الشجاع ، والبَيْضُ : اللأمة ، والسبائب : الطرائق

جمع سبيبة ، يعنى أنهم يضربونه فيسيل دمه كأنه طرائق حمراء .

(٤) هو لعمر بن العبد المعروف بطرفة .

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الأدب فينا ينتقر

والمشتاة : الشتاء وهو زمن الجذب عندهم ، والجفلى : الدعوة العامة ، والأدب : الداعى

إلى المأدبة ، وقوله « ينتقر » معناه يدعو بعضا ويترك بعضا .

تعالى : ﴿ إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وَحِشْرَ لَسْلِيمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (٣) فإنه لا يخفى على من له ذوق أنه لو جرى في ذلك بالفعل غير مبنى على الاسم لَوُجِدَ اللفظ قد نبا عن المعنى ، والمعنى قد زال عن الحال التي ينبغي أن يكون عليها .

وكذا إذا كان الفعل منفياً (٤) كقولك « أنت لا تكذب » فإنه أشد لنفى الكذب عنه من قولك « لا تكذب » وكذا من قولك « لا تكذب أنت » لأنه لتأكيد المحكوم عليه لا الحكم ، وعليه قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ (٥) فإنه يفيد من التأكيد فى نفي الإشراك عنهم ما لا يفيد قولنا « والذين لا يشركون ربهم » ولا قولنا « والذين ربهم لا يشركون » وكذا قوله تعالى ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٦) وقوله تعالى : ﴿ فَعَمِيتَ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءَ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (٧) وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٨) .

هذا كله إذا بُنى الفعل على مُعرّف؛ فإن بُنى على مُنكر أفاد ذلك تخصيص (٩)

(١) سورة الأعراف : الآية ١٩٦ . (٢) سورة الفرقان : الآية ٥ .

(٣) سورة النمل : الآية ١٧ .

(٤) أى بحرف نفى مؤخر عن المسند إليه ، فهو يأتى كالمثبت تارة للتخصيص ، وتارة لتقوية الحكم ، ومن إتيانه للتخصيص قولك « أنا ما قلت هذا » أى وحدى ، تقوله لمن اعتقد أنه لم يقل مصيباً فى هذا ولكنه نسبته خطأ إلى غيرك ، وكل الأمثلة التى ذكرها الخطيب لإفادة تقوية الحكم .

(٥) سورة المؤمنون : الآية ٥٩ . (٦) سورة يس : الآية ٧ .

(٧) سورة القصص : الآية ٦٦ . (٨) سورة الأنفال : الآية ٥٥ .

(٩) ظاهر هذا أن بناء الفعل على المنكر لا يفيد تقوية الحكم ، وقد ذكر السعد أنه قد يفيد ذلك ؛ كأن يقال « رجل جاءنى » فالمعنى أنه جاء ولا بد ، ثم ذكر أن هذا هو الذى يشعر به كلام عبد القاهر فى « دلائل الإعجاز » ولكن رجعت إلى كلامه فيه فوجدته صريحاً فى أنه لا يفيد إلا التخصيص ؛ لأنه ذكر أنك إذا قلت « رجل جاءنى » لم يصلح حتى تريد أن تعلم المخاطب أن الذى جاءك رجل لا امرأة أو لا رجلاً ، ويكون كلامك مع من عرف أن قد أتاك أت فإن لم ترد ذلك كان الواجب أن تقول « جاءنى رجل » . ولا شك أن ما ذكره السعد لا يصح عربية لعدم صحة الابتداء بالنكرة إلا عند إرادة التخصيص كما سيأتى ، وإذا لم يصح عربية لم يصح بلاغة .

الجنس أو الواحد ^(١) بالفعل ؛ كقولك « رجل جاءنى » أى لا امرأة أو لا رجلان ، وذلك لأن أصل النكرة أن تكون للواحد من الجنس ، فيقع القصد بها تارة إلى الجنس فقط ؛ كما إذا كان المخاطب بهذا الكلام قد عرف أن قد أتاك آت ، ولم يدر جنسه أرجل هو أو امرأة ؟ أو اعتقد أنه امرأة ، وتارة إلى الوحدة فقط ؛ كما إذا عرف أن قد أتاك من هو من جنس الرجال ، ولم يدر أرجل هو أم رجلان ؟ أو اعتقد أنه رجلان .

* واشترط السكاكى ^(٢) فى إفادة التقديم الاختصاص ^(٣) أمرين :

أحدهما : أن يجوز تقدير كونه فى الأصل مؤخراً بأن يكون فاعلاً فى المعنى فقط ؛ كقولك « أنا قمت » فإنه يجوز أن تُقدر أصله « قُمت أنا » على أن « أنا » تأكيد للفاعل ^(٤) الذى هو التاء فى قمت ، فقُدِّم « أنا » وجعل مبتدأ .

وثانيهما : أن يقدر كونه كذلك ، فإن انتفى الثانى دون الأول كالمثال المذكور إذا أُجرى على الظاهر ، وهو أن يقدر الكلام من الأصل مبنياً على المبتدأ والخبر ، ولم يقدر تقديم وتأخير ، أو انتفى الأول بأن يكون المبتدأ اسماً ظاهراً ^(٥) فإنه لا يفيد إلا تقوى الحكم .

واستثنى المنكر ^(٦) كما فى نحو « رجل جاءنى » بأن قُدِّرَ أصله « جاءنى رجل » لا على أن « رجل » فاعل جاءنى ، بل على أنه بدل من الفاعل الذى هو الضمير المستتر فى جاءنى ، كما قيل فى قوله تعالى : ﴿ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ ^(٧) : إن ﴿ الذين ظلموا ﴾ بدل من الواو فى ﴿ أسروا ﴾ ، وفرق بينه وبين

(١) هذا إذا كان المنكر مفرداً ، فإذا كان مثنى أو جمعاً أفاد تخصيص الجنس أو المثنى أو الجمع .

(٢) ١١٩ ، ١٢٠ - المفتاح .

(٣) أما تقوية الحكم فلا خلاف فيها بين السكاكى وعبد القاهر : لأنها تأتى فى جميع صور التقديم وإن لم تكن مقصودة فى بعضها كما سبق .

(٤) أى وتأكيد الفاعل فى المعنى لا فى اللفظ .

(٥) نحو « زيد قام » فإنه إذا قدر تأخيره يكون فاعلاً فى اللفظ والمعنى ، لا فى المعنى فقط .

(٦) أى من ذلك الشرط ؛ فلم يشترطه فيه . (٧) سورة الأنبياء : الآية ٣ .

المعرّف بأنه لو لم يقدر ذلك فيه انتفى تخصيصه ؛ إذ لا سبب لتخصيصه سواه ، ولو انتفى تخصيصه لم يقع مبتدأ^(١) بخلاف المعرف لوجود شرط الابتداء فيه وهو التعريف .

ثم قال : « وشرطه^(٢) ألا يمنع من التخصيص مانع^(٣) كقولنا « رجل جاءني » أى لا امرأة أو لا رجلاً ، دون قولهم « شرّ أهرّ ذا ناب » أما على التقدير الأول^(٤) فلا ممتنع أن يراد (المهرُّ شرٌّ لا خير)^(٥) ، وأما على الثانى^(٦) فلكونه نابياً عن مكان استعماله^(٧) ، وإذ قد صرح الأئمة بتخصيصه حيث تأوّلوه بـ « ما أهرّ ذا ناب إلا شر » ، فالوجه تفضيع شأن الشر بالتنكير كما سبق^(٨) . هذا كلامه ، وهو مخالف لما ذكره الشيخ عبد القاهر^(٩) لأن ظاهر كلام الشيخ فيما يلى حرف النفى

-
- (١) لأنه لا يجوز الابتداء بالنكرة إلا إذا خُصصت ، فإذا كان لها مخصص غير ذلك من وصف أو نحوه لم يجب جعل التقديم للتخصيص .
(٢) أى شرط تقدير ذلك فى المنكر ليفيد التخصيص .
(٣) يريد بالمانع انتفاء فائدة التخصيص من رد اعتقاد المخاطب فى قيد الحكم مع تسليم أصله .

- (٤) هو أن يكون لتخصيص الجنس .
(٥) لأنه لا يوجد من يتوهم أن الخبر يهرّ الكلب حتى يُردّ عليه بذلك .
(٦) هو أن يكون لتخصيص الواحد .
(٧) لأنه مثل يقال فى مقام الحث على شدة الحزم لدفع هذا الشر لعظمه ، فإذا أريد أن الذى أهره شر لا شران نافي القصد منه ؛ لأنه مما يوجب التساهل فى دفعه .
(٨) من أن التنكير قد يأتى للتعظيم ، وبهذا يجمع بين قولهم بتخصيصه وقوله بعدمه .
فقولهم بالتخصيص مبنى على جعل التنكير للتعظيم ، والمعنى : شرّ عظيم أهرّ ذا ناب لا شرّ ضعيف ، فيكون التخصيص فى الوصف لا فى جنس الشر ، ويكون له فائدة ، وقوله بعده : التخصيص مبنى على عدم إرادة ذلك من التنكير ، فيكون التقديم عنده لتقوية الحكم فقط .
(٩) من يرجع إلى كلام السكاكى فى « المفتاح » يرى أنه حاكى عبد القاهر فيما يفيد تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى ، فقد رأى فى النكرة أن البناء عليها لا يفيد إلا التخصيص كما يرى عبد القاهر ، ولم يخالفه إلا فى توجيه ذلك بما لا يؤثر فى موافقته له ، وقد رأى فيما يلى حرف النفى ما يراه عبد القاهر ، فلا يصح عنده مثله « ما أنا رأيت أحداً » ولا « ما أنا رأيت إلا زيدا » وكذلك لا يصح عنده « ما زيدا ضربت ولا أحداً من الناس ، ولا : ما أنا ضربت زيدا ولا أحد غيرى » فالمضمر والمظهر عنده فى ذلك سواء ، ولهذا لم يذكر شرط تقدير التأخير فيما يلى حرف النفى ، ولا يوجد فى كلامه ما يشعر بحمله على المثبت فى هذا الشرط ، وقد رأى فى المعرف المثبت أنه يحتمل التخصيص وتقوية الحكم كما يرى عبد القاهر ، ولكنه يرى أن البناء على المظهر ليس كالبناء على المضمر فى احتمال هذين الاعتبارين على السواء ، فهو لا ينفى =

القطع بأنه يفيد التخصيص مضمراً كان أو مظهراً ، معرّفاً أو منكراً من غير شرط ، لكنه لم يمثل إلا بالمضمر ، وكلام السكاكى صريح فى أنه لا يفيد إلا إذا كان مضمراً أو منكراً بشرط تقدير التأخير فى الأصل ؛ فنحو « ما زيد قام » يفيد التخصيص على إطلاق قول الشيخ ولا يفيد على قول السكاكى ، ونحو « ما أنا قمت » يفيد على قول الشيخ مطلقاً ، وعلى قول السكاكى بشرط ، وظاهر كلام الشيخ أن المعرف إذا لم يقع بعد النفى وخبره مثبت أو منفى قد يفيد الاختصاص مضمراً كان أو مظهراً ، لكنه لم يمثل إلا بالمضمر ، وكلام السكاكى صريح فى أنه لا يفيد إلا المضمر ؛ فنحو « زيد قام » قد يفيد الاختصاص على إطلاق قول الشيخ ، ولا يفيد عند السكاكى ، ثم فيما احتج به لما ذهب إليه نظر ؛ إذ الفاعل وتأكيده سواء فى امتناع التقديم ما دام الفاعل فاعلاً والتأكيد تأكيداً ، فتجوز تقديم التأكيد دون الفاعل تحكّم ظاهر ، ثم لا تُسلم انتفاء التخصيص فى صورة المنكر لولا تقدير أنه كان فى الأصل مؤخراً فُقدّم ، لجواز حصول التخصيص فيها بالتهويل كما ذكر^(١) وغير التهويل ، ثم لا نسلم امتناع أن يراد : المهر شرّاً لا خيراً ، قال الشيخ عبد القاهر : إنما قدّم « شر » لأن المراد أن يُعلم أن الذى أهرّ ذا ناب هو من جنس الشر لا من جنس الخير^(٢) فجرى مجرى أن تقول « رجل جاءنى » تريد أنه رجل لا امرأة ، وقول العلماء : إنه إنما صلح لأنه بمعنى « ما أهرّ ذا ناب إلا شر » بيانٌ لذلك ، وهذا صريح فى خلاف ما ذكره .

= فيه الاختصاص ؛ بل يبعده . ولعل عبد القاهر لم يمثل إلا بالمضمر كما ذكر الخطيب لضعف اعتبار التخصيص فى المظهر ، ولعل الخطيب أشار بقوله « لأن ظاهر كلام الشيخ . . . إلخ » إلى أنه يمكن الجمع بينهما .

فالحق أنه لا خلاف بين عبد القاهر والسكاكى فى ذلك كله إلا فى التوجيه فقط ، والخلاف فى التوجيه لا يؤثر فى اتفاقهما على ذلك بشىء ، وما كان أغنى الخطيب عن التطويل بما طوّل به فى هذا الوضع !!

(١) أى فى قولهم « شرّ أهرّ ذا ناب » وغير التهويل كالتحقير والتكثير والتقليل « ولكن هذا لا يرد على السكاكى » ، لأنه إنما يقدر ذلك فى النكرة إذا لم يكن هناك سبب للتخصيص سواء ، نحو « رجل جاءنى » على إرادة الجنس أو الواحد ، فليس فيه احتمال تهويل ولا غيره .

(٢) ٩٤ - دلائل الإعجاز ، ولكن قد سبق أن التخصيص فى مثل هذا لا فائدة فيه ، وقيل : إن الكلب قد يهر فى الدفاع عن أصحابه وهو من جنس الخير ، فيكون على هذا فى التخصيص بجنس الشر فائدة ، ولا حاجة مع هذا إلى تسويغ التخصيص فيه بجعل التنكير للتعظيم كما سبق .

* ثم قال السكاكي ^(١) : ويقرب من قبيل « هو عرف » فى اعتبار تقوى الحكم ^(٢) : « زيد عارف » ، وإنما قلت « يقرب » دون أن أقول « نظيره » لأنه لما لم يتفاوت فى التكلم والخطاب والغيبة فى « أنا عارف ، وأنت عارف ، وهو عارف » أشبه الخالى عن الضمير ؛ ولذلك لم يحكم على « عارف » بأنه جملة ولا عومل معاملتها فى البناء ^(٣) حيث أعرب فى نحو « رجل عارف » ، رجلاً عارفاً ، رجل عارف « وأتبعه فى حكم الأفراد ، نحو « زيد عارف أبوه » يعنى اتبع « عارف » « عرف » فى الأفراد ، إذا أسند إلى الظاهر مفرداً كان أو مثني أو مجموعاً ^(٤) .

ثم قال : وما يفيد التخصيص ما يحكيه علت كلمته عن قوم شعيب عليه السلام : ﴿ وما أنت علينا بعزير ﴾ ^(٥) أى العزيز علينا يا شعيب رهطك لا أنت ^(٦) لكونهم من أهل ديننا ، ولذلك قال عليه السلام فى جوابهم : ﴿ أرهطى أعز عليكم من الله ﴾ ^(٧) أى من نبي الله ، ولو كان معناه معنى « ما عززت علينا » لم يكن مطابقاً . وفيه نظر ؛ لأن قوله : ﴿ وما أنت علينا بعزير ﴾ من باب « أنا عارف » لا من باب « أنا عرفت » ^(٨) ، والتمسك بالجواب ليس بشيء ؛ لجواز أن يكون عليه السلام فهم كون رهطه أعز عليهم من قولهم : ﴿ ولولا رهطك لرجمناك ﴾ .

* وقال الزمخشري : دلّ إيلاء ضميره حرف النفى على أن الكلام فى الفاعل لا فى الفعل ، كأنه قيل : « وما أنت علينا بعزير بل رهطك هم الأعزة علينا » ^(٩) وفيه

(١) ١١٩ - المفتاح .

(٢) ظاهر هذا أنه لا يأتى للتخصيص عنده ، وقيل : إنه يأتى عنده أيضاً للتخصيص . ويدل على هذا ما سيأتى فى قوله تعالى : ﴿ وما أنت علينا بعزير ﴾ وما سيأتى له فى باب القصر من إفادة « أنا عارف » الحصر .

(٣) المراد به عدم ظهور إعرابها ؛ لأنه لا يلزم البناء فيها .

(٤) فلا تلحقهما علامة التثنية ولا علامة الجمع .

(٥) سورة هود : الآية ٩١ . (٦) يفيد التخصيص مع تقوية الحكم .

(٧) هود : آية ٩٢ .

(٨) هذا لا يرد على السكاكى عند من يرى أنه لا فرق عنده بين البابين فى احتمال إفادة التخصيص وتقوية الحكم ، ولكن الحق خلاف ما ذهب إليه السكاكى من التسوية بين البابين ، بدليل أنه لو كان نحو « زيد عارف » يفيد تقوية الحكم لما صح خطاب الذهن به ، وهو خلاف ما سبق عن أبى العباس فى جواب الكندى فى باب الإسناد الخبري من الفرق بين « عبد الله قائم ، وإن عبد الله قائم » ، وإن عبد الله قائم .

(٩) فيكون الزمخشري فى هذا موافقاً للسكاكى ، ويرى مثله أن نحو « زيد عارف » من قبيل « هو عرف » فى إفادة التقوية والتخصيص .

نظر ؛ لأننا لا نسلّم أن إبلاء الضمير حرف النفي إذا لم يكن الخبر فعلياً يفيد الحصر ، فإن قيل : الكلام واقع فيه وفى رهطه وأنهم الأعزة عليهم دونه ، فكيف صح قوله : ﴿ أرهطى أعز عليكم من الله ﴾ ؟ قلنا : قال السكاكى : معناه : من نبى الله ، فهو على حذف المضاف ، وأجود منه ما قال الزمخشري : وهو أن تهاونهم به وهو نبى الله تهاوناً بالله ، فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ (١) .

ويجوز أن يقال : لا شك أن همزة الاستفهام هنا ليست على بابها ؛ بل هى للإنكار للتوبيخ ، فيكون معنى قوله : ﴿ أرهطى أعز عليكم من الله ﴾ إنكار أن يكون مانعهم من رجمه رهطه لانتسابه إليهم دون الله تعالى مع انتسابه إليه أيضاً ، أى : أرهطى أعز عليكم من الله حتى كان امتناعكم من رجمي بسبب انتسابي إليهم بأنهم رهطى ، ولم يكن بسبب انتسابي إلى الله تعالى بأنى رسوله !؟ والله أعلم .

* ومما يرى تقديمه (٢) كاللازم لفظ « مثل » إذا استعمل كنايةً من غير تعريض (٣) كما فى قولنا « مثلك لا يبخل » ، ونحوه مما لا يراد بلفظ « مثل » غير ما

(١) سورة النساء : الآية ٨٠ .

هذا ، ومما ورد من الشعر فى إفادة التقديم التقوية أو التخصيص قول جرير :
 إن العيون التى فى طرفها مَرَضٌ قتلنا ثم لم يحيين قتلانا
 يصبرن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركانا
 وقول بعضهم :

كانت قناتى لا تلين لغامر فالأنها الإصباح والإمساء
 ودعوت ربي بالسلامة جاهداً ليُصِحِّنى ، فإذا السلامة داء

وقول الآخر :

لمست بكفى كفّه أبتغى الغنى ولم أدر أن الجود من كفه يُعَدى
 فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدت وأعدانى فأتلقت ما عندى

(٢) أى على الخبر الفعلى ، ويلحق بلفظ « مثل » ما هو بمعناه كلفظ « شبه ونظير » وإنما كان التقديم فيها كاللازم ولم يكن لازماً لأنه لا شئ يوجبه من جهة القياس ولا من جهة الكناية ، وإنما هو مما يساعد على الغرض المقصود منها ، وهى حاصلة مع التقديم والتأخير ، فليس هذا اللزوم إلا فى استعمال البلغاء .

(٣) أى بغير ما أضيف إليها ، فلو أريد بها غيره لم يلزم تقديمها لأنها تخرج من الكناية إلى الحقيقة ، كما فى قول أبى إسحاق الصابى :

أضيف إليه ، ولكن أريد أن من كان على الصفة التي هو عليها كان من مقتضى القياس وموجب العرف أن يفعل ما ذكر أو ألا يفعل^(١) ، ولكون المعنى هذا^(٢) قال الشاعر :

ولم أقل مثلك أعنى به سواك يا فرداً بلا مُشبه^(٣)

وعليه قوله :

مثلك يثنى الحزن عن صوبه ويستردُّ الدمع عن غربه^(٤)

وكذا قول القبعثري^(٥) للحجاج لما توعده بقوله « لأحملنك على الأدهم والأشهب » : « مثل الأمير حمل على الأدهم والأشهب »^(٦) أى من كان على هذه الصفة من السلطة وبسطة اليد ، ولم يقصد أن يجعل أحداً مثله .

*وكذلك حكم « غير » إذا سلك به هذا المسلك^(٧) فقول : « غيرى يفعل ذلك »

= تشابه دمعى إذ جرى ومدامتى فمن مثل ما فى الكأس عىنى تسكب
فليس المراد بالتعريض هنا التعريض المعداد من الكناية ، وإنما المراد به معناه اللغوى وهو الإشارة على وجه الإجمال .

(١) هذا يلزمه أنه هو نفسه يفعله أو لا يفعله ؛ فالكناية فى ذلك من إطلاق المألوم وإرادته اللازم .

(٢) أى على أنه لا يراد بمثل غير ما أضيفت إليه .

(٣) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبي ، و « مثلك » فيه مفعول « أقل » على حكايته فى البيت الآتى بعده لأنه قبله فى القصيدة .

(٤) هو للمتنبى أيضاً من قصيدة له فى الرثاء ، وقوله « يثنى الحزن » بمعنى يكفه بالصبر ، والصوب : الجهة ، والغرب : عرق فى العين يجرى منه الدمع ، وفى رواية « يثنى المزن » وهو السحاب ، وهى خلاف رواية الديوان ، ولا تناسب مقام الرثاء .

(٥) الصواب (ابن القبعثري) وهو الغضبان بن القبعثري الشيباني ، وكان ممن خرج على الحجاج بن يوسف الثقفى .

(٦) الأدهم فى كلام الحجاج بمعنى القيد من الحديد ، وفى كلام الغضبان بمعنى الفرس الأسود ، وسيأتى هذا فى الكلام على تلقى المخاطب بغير ما يترقب .

(٧) فلم يقصد بها سوى ما أضيف إليها ، فإن قصد بها سوى ما أضيف إليها لم يلزم تقديمها ، كما فى قول الشاعر :

غيرى جفى وأنا المعاقبُ فيكم فكأننى سبابة المتسندم

ويعطى حكم « غير » فى ذلك ما بمعناها مثل « سوى وسواء ونحوهما » ومن ذلك قول ابن سناء الملك :

سواى يهاب الموت أو يرهب الردى وغيرى يهوى أن يعيش مخلداً

على معنى « أنى لا أفعله » (١) من غير إرادة التعريض بإنسان (٢) .
وعليه قوله :

* غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع (٣) *

فإنه معلوم أنه لم يُرد أن يُعرضَ بواحد هناك فيصفه بأنه ينخدع ؛ بل أراد أنه ليس ممن ينخدع . وكذا قول أبى تمام :

وغيرى يأكل المعروف سحُتاً ويشحُبُ عنده بيضُ الأيادى (٤)

فإنه لم يُرد أن يُعرضَ بشاعر سواه فيزعم أن الذى قُرِف به عند الممدوح من أنه هجاء كان من ذلك الشاعر لا منه ، بل أراد أن ينفى عن نفسه أن يكون ممن يكفر النعمة ويلوِّم لا غير .

* واستعمال « مثل وغير » هكذا مركوز فى الطباع ، وإذا تصفحت الكلام وجدتَهما يُقدِّمان أبدأً على الفعل إذا نُحِىَ بهما نحو ما ذكرناه ، ولا يستقيم المعنى فيهما إذا لم يُقدِّما ، والسرفى ذلك أن تقديمهما يفيد تقوى الحكم كما سبق تقريره ، وسيأتى أن المطلوب بالكناية فى مثل قولنا « مثلك لا يبخل وغيرك لا وجود » هو الحكم (٥) وأن الكناية أبلغ من التصريح فيما قُصِد بها ، فكان تقديمهما أعون للمعنى الذى جُلِبَ لأجله .

قيل (٦) : « ... وَقَدْ يُقَدِّمُ (٧) لَأَنَّهُ دَالٌّ عَلَى

(١) هذا أيضاً بطريق الكناية كما فى لفظ « مثل » وهى من إطلاق المألوم وإرادة اللزام أيضاً ؛ لأنه إذا كان غيره هو الذى يفعله لزم أنه هو لا يفعله بحكم المقابلة ، وإذا كان غيره لا يفعله لزم أنه هو يفعله ؛ لأنه لا بد له من محل يقوم به .

(٢) لا يعنى به التعريض الآتى فى الكناية ، وإنما يعنى به قصد إنسان غير المخاطب على طريق الحقيقة كما سبق .

(٣) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى من قوله :

غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع إن قاتلوا جنبوا أو حدثوا شجعوا

يريد أنهم جنباء فى قتالهم شجعان فى حديثهم ، فلا تصدق أفعالهم أقوالهم .

(٤) هو لحبيب بن أوس المعروف بأبى تمام ، والسحت : الحرام ، ويعنى بذلك أنه لا يجحد المعروف فيما كله سحتاً ، وقوله « يشحُب » من الشحوب وهو فى الأصل تغير اللون ، والأيدى : النعم .

(٥) لأنه من قسم الكناية التى يطلب بها نسبة .

(٦) ١٣ - المصباح « لبدر الدين بن مالك » المطبعة الخيرية وانظر طبعة مكتبة الآداب .

(٧) أى المسند إليه على الخبر الفعلى .

العموم (١) كما تقول « كل إنسان لم يقم » فيقدم ليفيد نفى القيام عن كل واحد من الناس ؛ لأن الموجبة المعدولة المهملة (٢) فى قوة السالبة الجزئية المستلزمة نفى الحكم عن جملة الأفراد دون كل واحدة منها ، فإذا سُوِّرت بكلٍّ وجب أن تكون لإفادة العموم لا لتأكيد نفى الحكم عن جملة الأفراد ؛ لأن التأسيس خير من التأكيد (٣) ولو لم تقدم فقلت « لم يقم كل إنسان » كان نفياً للقيام عن جملة الأفراد دون كل واحد منها (٤) ؛ لأن السالبة المهملة (٥) فى قوة السالبة الكلية (٦) المقتضية سلب الحكم عن كل فرد لورود موضوعها فى سياق النفى (٧) ، فإذا سُوِّرت بكلٍّ وجب أن تكون لإفادة نفى الحكم عن جملة الأفراد ؛ لئلا يلزم ترجيح التأكيد على التأسيس . وفيه نظر ؛ لأن النفى عن جملة الأفراد فى الصورة الأولى - أعنى الموجبة المعدولة المهملة - كقولنا « إنسان لم يقم » ، وعن كل فرد فى الصورة الثانية - أعنى السالبة المهملة - كقولنا « لم يقم إنسان » إنما أفاده الإسناد إلى إنسان ، فإذا أضيف « كل » إلى إنسان وحُوِّل الإسناد إليه ، فأفاد فى الصورة الأولى نفى الحكم عن جملة الأفراد ، وفى الثانية نفيه عن كل فرد منها ، كان « كل » تأسيساً لا تأكيداً لأن التأكيد لفظ يفيد تقوية ما يفيد لفظ آخر ، وما نحن فيه ليس كذلك ، ولئن

(١) لا يخفى أن دلالة التقديم هنا على العموم دلالة لغوية لا وجه لذكرها هنا ، وإن كانت تدل على دقة العربية فى ترتيب كلامها ، وإنما ينظر هنا إلى أن نحو « كل إنسان لم يقم » يفيد تقوية حكم العموم ، بخلاف نحو « لم يقم إنسان » فهو داخل فى تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى ، وما كان أغنى الخطيب عن الإطالة فى هذا البحث الذى لا صلة له بهذا العلم ، وإنما هو أشبه بعلم المنطق !!

(٢) المعدولة هى التى وقع النفى جزءاً من موضوعها أو محمولها ، والمهملة هى التى لم تسور بسور كلى أو جزئى ، والمراد بالموجبة المعدولة المهملة هنا جملة « إنسان لم يقم » قبل دخول « كل » عليها ، فهى فى قوة السالبة الجزئية أى « لم يقم بعض الإنسان » فكل منهما يفيد نفى الحكم عن جملة الأفراد لا عن كل واحد منها .

(٣) يريد بالتأسيس إفادة معنى جديد ، وبالتأكيد خلافه .

(٤) هذا باعتبار الغالب ، وقد يتقدم النفى على « كل » ويكون المعنى على عموم النفى ، كما فى قوله تعالى : ﴿ واللّه لا يحب كل كفار أثيم ﴾ آية ٢٧٦ سورة البقرة ، وقيل : إن دلالة هذا ونحوه على عموم النفى ليس بأصل الوضع ، وإنما هو بمعونة القرائن .

(٥) هى جملة - ولم يقم إنسان . (٦) هى جملة « لا شئ من الإنسان بقائم » .

(٧) لأن النكرة فى سياق النفى تعم .

سَلَّمْنَا أَنَّهُ يَسْمَى تَأْكِيداً^(١) كَقَوْلِنَا « لَمْ يَقُمْ إِنْسَانٌ » إِذَا كَانَ مَفِيداً لِلنَّفْيِ عَنْ كُلِّ فَرْدٍ كَانَ مَفِيداً لِلنَّفْيِ عَنْ جُمْلَةِ الْأَفْرَادِ لَا مُحَالَةً ؛ فَيَكُونُ (كُلِّ) فِي « لَمْ يَقُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ » إِذَا جُعِلَ مَفِيداً لِلنَّفْيِ عَنْ جُمْلَةِ الْأَفْرَادِ تَأْكِيداً لَا تَأْسِيساً ، كَمَا قَالَ فِي « كُلِّ إِنْسَانٍ لَمْ يَقُمْ » ، فَلَا يَلْزَمُ مِنْ جَعْلِهِ لِلنَّفْيِ عَنْ كُلِّ فَرْدٍ^(٢) تَرْجِيحُ التَّأْكِيدِ عَلَى التَّأْسِيسِ^(٣) . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ « لَمْ يَقُمْ إِنْسَانٌ » سَالِبَةً مَهْمَلَةً فِي قُوَّةِ سَالِبَةِ كَلِمَةِ « كُلِّ » مَعَ الْقَوْلِ بَعْمُومٍ مَوْضُوعِهَا لَوُرُودُهُ نَكْرَةً فِي سِيَاقِ النَّفْيِ خَطَأً ؛ لِأَنَّ النُّكْرَةَ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ إِذَا كَانَتْ لِلْعُمُومِ كَانَتْ الْقَضِيَّةُ الَّتِي جُعِلَتْ هِيَ مَوْضُوعاً لَهَا سَالِبَةً كَلِمَةً ، فَكَيْفَ تَكُونُ سَالِبَةً مَهْمَلَةً^(٤) ؟ ! وَلَوْ قَالَ « لَوْ لَمْ يَكُنِ الْكَلَامُ الْمُشْتَمِلُ عَلَى كَلِمَةِ (كُلِّ) مَفِيداً لِلْخِلَافِ مَا يَفِيدُهُ الْخَالِي عَنْهَا لَمْ يَكُنْ فِي الْإِثْبَانِ بِهَا فَائِدَةٌ » لَثَبِتَ مَطْلُوبُهُ فِي الصُّورَةِ الثَّانِيَةِ دُونَ الْأُولَى ، لَجَوَّازُ أَنْ يَقَالَ : فَائِدَتُهُ فِيهَا الدَّلَالَةُ عَلَى نَفْيِ الْحُكْمِ عَنْ جُمْلَةِ الْأَفْرَادِ بِالمطابقة^(٥) .

* وَاعْلَمْ أَنَّ مَا ذَكَرَهُ هَذَا الْقَائِلُ مِنْ كَوْنِ « كُلِّ » فِي النَّفْيِ مَفِيدَةً لِلْعُمُومِ تَارَةً وَغَيْرَ مَفِيدَةٍ أُخْرَى مَشْهُورٌ^(٦) ، وَقَدْ تَعَرَّضَ لَهُ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَاهِرِ ، وَغَيْرُهُ .
وَقَالَ الشَّيْخُ^(٧) : « كَلِمَةُ « كُلِّ » فِي النَّفْيِ إِنْ أُدْخِلَتْ فِي حَيْزِهِ بِأَنْ قُدِّمَ عَلَيْهَا لَفْظاً ، كَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

(١) بِالْأَيِّ يَرَادُ لِلتَّأْكِيدِ الْإِصْطِلَاحِي ، وَإِنَّمَا يَرَادُ بِهِ أَنَّ « كُلِّ » أَفَادَتْ مَعْنَى كَانَ مُسْتَفَاداً قَبْلَهَا ، وَيَقْصِدُ الْخَطِيبُ أَنَّهُ إِذَا سَلَّمَ هَذَا صَحَّ تَوْجِيهِهِ فِي الصُّورَةِ الْأُولَى دُونَ الثَّانِيَةِ .
(٢) أَيْ لَا يَلْزَمُ مِنْ جَعْلِ « لَمْ يَقُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ » لِعُمُومِ السَّلْبِ مِثْلُ « لَمْ يَقُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ » .
(٣) إِذْ لَا تَأْسِيسَ مَعَ هَذَا أَصْلًا ، وَإِنَّمَا يَلْزَمُ تَرْجِيحُ أَحَدِ التَّأْكِيدَيْنِ عَلَى الْآخَرِ بَلَا مَرَجَحٍ وَهُوَ بَاطِلٌ ، وَيَكُونُ هَذَا هُوَ التَّوْجِيهِ الصَّحِيحُ فِي الصُّورَةِ الثَّانِيَةِ لَا مَا ذَكَرَهُ مِنْ لَزُومِ تَرْجِيحِ التَّأْكِيدِ عَلَى التَّأْسِيسِ .

(٤) أُجِيبُ عَنْ هَذَا بِأَنَّهُ جَرَى عَلَى إِصْطِلَاحِ عِلْمِ الْمُنْطَقِ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ خَالِيَةً مِنْ سَوْرِ السَّلْبِ الْكَلْمِيِّ ، وَهُوَ « لَا شَيْءٌ » وَنَحْوُهُ ، فَتَكُونُ مَهْمَلَةً لَا سَالِبَةً كَلِمَةً .
(٥) لِأَنَّ قَوْلَنَا « إِنْسَانٌ لَمْ يَقُمْ » يَدُلُّ بِالمطابقة عَلَى نَفْيِ الْحُكْمِ عَنْ بَعْضِ الْأَفْرَادِ ، وَلَا يَحْتَمِلُ الْمَجْمُوعُ إِلَّا بَدَلَالَةَ الْإِلْتِمَازِ ، أَمَّا « كُلُّ إِنْسَانٍ لَمْ يَقُمْ » فَإِنَّهُ إِذَا جُعِلَ لِلنَّفْيِ الْحُكْمُ عَنْ الْمَجْمُوعِ تَكُونُ دَلَالَتُهُ عَلَيْهِ بِالمطابقة .

(٦) فَهُوَ مُسَلَّمٌ فِي ذَاتِهِ ، وَلَمْ يَرِدْ الْخَطِيبُ بِمَا سَبَقَ إِلَّا لِإِبْطَالِ تَوْجِيهِ ابْنِ مَالِكٍ لَهُ ؛ لِأَنَّهُ يَرْجِعُ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَى أَصْلِ الْوَضْعِ ، لَا إِلَى تِلْكَ التَّكَلُّفَاتِ الْمُنْطَقِيَّةِ السَّابِقَةِ .
(٧) ١٨٦ - دَلَائِلُ الْإِعْجَازِ .

* ما كلُّ ما يتمنى المرءُ يدركه (١) *

وقول الآخر :

* ما كل رأى الفتى يدعو إلى رشد (٢) *

وقولنا : ما جاء القوم كلهم ، وما جاء كل القوم ، ولم آخذ الدراهم كلها ، ولم آخذ كل الدراهم ، أو تقديراً (٣) ؛ بأن قُدِّمَتْ على الفعل المنفى وأُعملَ فيها ؛ لأنَّ للعامل رتبته التقدم على المعمول ، كقولك « كل الدراهم لم آخذ » توجهه النفى (٤) إلى الشمول خاصة دون أصل الفعل ، وأفاد الكلام ثبوته لبعض أو تعلقه (٥) ببعض .

وإن أخرجت من حيزه بأن قُدِّمَتْ عليه لفظاً ولم تكن معمولة للفعل المنفى توجهه النفى إلى أصل الفعل ، وعمَّ ما أُضيف إليه « كل » كقول النبي ﷺ لما قال له ذو الـيدين (٦) : « أَقْصَرَتِ الصَّلَاةُ أَمْ نَسِيتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ » : « كلُّ ذلك لم يكن » أى لم يكن واحد منهما : لا القصر ولا النسيان . وقول أبي النجم :

قد أصبحتُ أمُّ الحِيارِ تدعى على ذنبا كلُّهُ لم أصنع (٧)

ثم قال : وعلة ذلك أنك إذا بدأت « بكل » كنت قد بنيت النفى عليه وسلَّطت الكلية على النفى وأعملتها فيه ، وإعمال معنى الكلية فى النفى يقتضى ألاَّ يَشُدَّ شَيْءٌ عَنِ النِّفْيِ ، فاعرفه . « هذا لفظه ، وفيه نظر (٨) » .

(١) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى من قوله :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تأتى الرياح بما لا تشتهي السفن
والمشهور رواية « كل » بالرفع ، وقد جوز ابن جنى نصبها على الاشتغال .

(٢) هو لإسماعيل بن القاسم المعروف بأبى العتاهية من قوله :

ما كل رأى الفتى يدعو إلى رشد إذا بدا لك رأى مشكل فقف

(٣) معطوف على « لفظاً » . (٤) هذا جواب - إن .

(٥) إفادة الثبوت فيما يكون « كل » فيه فاعلاً فى المعنى ، وإفادة التعليق فيما يكون فيه

مفعولاً فى المعنى .

(٦) هو الحرياق أو العرياض بن عمرو .

(٧) هو للفضل بن قدامة المعروف بأبى النجم ، والرواية برفع « كله » على أنه مبتدأ خبره

جملة « لم أصنع » ، والرابط محذوف أى لم أصنعه .

(٨) لعل وجه النظر ما قيل إن تمثيله بما جاء القوم كلهم ليس بجيد ؛ لأن « كلهم » هنا

ليس مسنداً ولا مسنداً إليه بل هو تأكيد ، ولكن سلب العموم هنا فى الألف واللام فى =

وقيل : إنما كان التقديم مفيداً للعموم دون التأخير لأن صورة التقديم تفهم سلب حقوق المحمول للموضوع (١) وصورة التأخير تفهم سلب الحكم من غير تعرض للمحمول بسلب أو إثبات . وفيه نظر أيضاً ؛ لاقتضائه ألا تكون « ليس » في نحو قولنا « ليس كل إنسان كاتباً » مفيدة لنفى كاتب ، هذا إن حُمل كلامه على ظاهره ، وإن تُؤوّل بأن مراده أن التقديم يفيد سلب حقوق المحمول عن كل فرد ، والتأخير يفيد سلب حقوقه لكل فرد ، اندفع هذا الاعتراض ، لكن كان مصادرة على المطلوب (٢) .

واعلم أن المعتمد في المطلوب الحديث وشعر أبي النجم ، وما نقلناه عن الشيخ عبد القاهر وغيره لبيان السبب ، وثبوت المطلوب لا يتوقف عليه ، والاحتجاج بالخبر من وجهين : أحدهما أن السؤال بـ (أم) عن أحد الأمرين لطلب التعيين بعد ثبوت أحدهما عند المتكلم على الإبهام ، فجوابه إما بالتعيين أو بنفى كل واحد منهما (٣) . وثانيهما ما روى أنه لما قال رسول الله ﷺ : « كل ذلك لم يكن » قال له ذو اليمين : « بعض ذلك قد كان » ، والإيجاب الجزئي نقيضه السلب الكلي ، ويقول (٤) « أبي النجم ما أشار إليه الشيخ عبد القاهر ، وهو أن الشاعر فصيح » والفصيح الشائع في مثل قوله نصبٌ كُلٌّ (٥) وليس فيه ما يكسر له وزناً ، وسياق كلامه أنه لم يأت بشيء

= القوم ، ومثله في هذا تمثيله بلم آخذ الدراهم كلها ، وإنى أرى أن المثالين من باب عموم السلب لا من باب سلب العموم ، و « كل » فيهما تفيد شمول النفي كما تفيد شمول الإثبات في نحو « جاء القوم كلهم » لأن الغرض من التوكيد واحد فيهما ، وهو إفادة الشمول في النسبة إثباتاً كانت أو نفياً .

(١) المراد بالموضوع لفظ (إنسان) في قولنا « كل إنسان لم يقم » ، وليس « كل إنسان قائماً » لا لفظ « كل » وهذا اصطلاح أهل المنطق ، إنما أفادت صورة التقديم ذلك لاتصال النفي فيه بالمحمول دون الحكم ؛ لأنها موجبة معدولة المحمول .

(٢) لأن الدليل حينئذ يكون عين المطلوب .

(٣) والجواب لم يحصل بالتعيين ، فتعين أنه بنفى واحد منهما ، وهذا هو عموم السلب .

(٤) معطوف على قوله « بالخبر » ، فهو متعلق بالاحتجاج مثله .

(٥) لأن في الرفع تهية العامل للعمل ثم قطعه عنه ، وذلك ضعيف غير فصيح ، بل

ذهب ابن هشام وغيره إلى منعه ، وقد أجازته سيبويه احتجاجاً بقول الشاعر :

ثلاث كلهن قتلت عمداً

= هذا ومما جاء فيه تقديم « كل » على النفي وتأخيرها عنه قول دعبل الخزاعي :

مما ادّعت عليه هذه المرأة ؛ فلو كان النصب مفيداً لذلك والرفع غير مفيد لم يعدل عن النصب إلى الرفع من غير ضرورة .

ومما يجب التنبيه له في فصل التقديم أصلٌ ؛ وهو أن تقديم الشيء على الشيء (١) ضربان :

تقديم على نية التأخير ، وذلك في شيء أقرّ مع التقديم على حكمه الذي كان عليه ؛ كتقديم الخبر على المبتدأ والمفعول على الفاعل ؛ كقوله « قائم زيد ، وضرب عمرا زيد » فإن « قائم وعمرا » لم يخرجوا بالتقديم عما كانا عليه من كون هذا مسنداً ومرفوعاً بذلك ، وكون هذا مفعولاً ومنصوباً من أجله .

وتقديم لا على نية التأخير ، ولكن على أن ينقل الشيء عن حكم إلى حكم ، ويُجعل له إعراب غير إعرابه ، كما في اسمين يحتمل كل منهما أن يجعل مبتدأ والآخر خبراً له ، فيُقدّم تارة هذا على ذاك وأخرى ذاك على هذا ؛ كقولنا « زيد المنطلق ، والمنطلق زيد » فإن المنطلق لم يقدم على أن يكون متروكاً على حكمه الذي كان عليه مع التأخير ؛ فيكون خبر مبتدأ كما كان ؛ بل على أن ينقل عن كونه خبراً إلى كونه مبتدأ ، وكذا القول في تأخير زيد .

أغراض التأخير : وأما تأخيره فلاقتضاء المقام تقديم المسند (٢) .

= فوالله ما أدرى بأى سـهاهما
أباهيد أم مجرى الوشاح وإننى
رمتنى وكلّ عندنا ليس بالمكدى
لأنهم عينيها مع الفاحم الجعد
وقول أبى الأسود :
وما كل ذى لب بمؤتيك نصحه
وما كل مؤت نصحه بلبـيب
وقول الآخر :

إن المعلم والطبيب كلاهما لا ينصحان إذا هما لم يُكرَما

(١) هذا تقسيم قد مهد به عبد القاهر في « دلائل الإعجاز » للكلام على التقديم والتأخير ، وهو عام في تقديم المسند إليه وتقديم المسند وتقديم غيرهما ، وتقديم المسند إليه يكون دائماً من القسم الثانى ؛ لأن رتبته التقديم فلا يأتى فيه تقديم على نية التأخير .

(٢) سيأتى فى الكلام على المسند بيان أغراض تقديمه ، وذلك كتخصيصه بالمسند إليه فى نحو قوله تعالى : ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ آية ٦ سورة الكافرون ، وكالتشويق إلى ذكر المسند فى قول الشاعر :

ثلاثة تشرق الدنيا بهـجتها
شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

تمرينات على التقديم والتأخير

تمرين - ١

- ١ - لماذا قدم المسند إليه في قول الشاعر :
أنا لا أختارُ تَقْيِيلَ يدٍ قطعُها أجملُ من تلك القبل
- ٢ - لماذا أخرج المسند إليه أولاً وقدم ثانياً في قوله تعالى : ﴿ لا فيها غولٌ ولا هم عنها ينزفون ﴾ آية ٤٧ سورة الصافات .

تمرين - ٢

- ١ - أى الأمرين « التخصيص وتقوية الحكم » يقصد من قول الشاعر :
أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى وأسَمعتُ كلماتى من به صمم
- ٢ - لماذا أخرج المسند إليه أولاً وقدم آخرًا في قول الشاعر :
وكان النار الحياة فَمِنْ رمادٍ أو آخرها وأولها دخانٌ

تمرين - ٣

- ١ - ماذا تدل عليه « سوى » من الكناية أو الحقيقة في قول الشاعر :
وإذا تُباع كريمةٌ أو تُشترى فسواك بائعُها وأنت المشتري
- ٢ - ماذا تدل عليه « كل » من سلب العموم أو عموم السلب في قولهم « ما كل سوداء قمرة ، وما كل بيضاء شحمة » .

تمرين - ٤

- ١ - لماذا أخرج « كل » على النفي في قول الشاعر :
فيالك من ذى حجة حيلَ دونها وما كل ما يهوى امرؤُ هو نائله
- ٢ - لماذا قدم المسند إليه في قول الشاعر :
خيرُ الصنائع فى الأنام صنيعةٌ تنبو بحاملها عن الإذلال

تمرين - ٥

- ١ - لماذا قدمت « سوى وغير » في قول الشاعر :
سواى بتحنان الأغاريد يطربُ وغيرى باللذات يلهو ويلعبُ
- ٢ - لماذا أخرج المسند إليه في قول الشاعر :
إذا نطق السفية فلا تُجبهُ فخيرٌ من إجابته السكوتُ

تمرين - ٦

- ١ - ما أحسن طريقٍ يُختار في إثبات إفادة « كل » عموم السلب إذا وقعت قبل النفى ، وسلب العموم إذا وقعت بعده ؟
- ٢ - أى فائدة لتقسيم عبد القاهر التقديم إلى تقديم على نية التأخير وتقديم لا على نية التأخير ؟

تمرين - ٧

- قال بعض الشعراء :
- أحيأونا لا يرزقون بدرهمٍ ويألف ألف تُرزق الأموات !!
- ١ - فلماذا أتى بالشرط الأول جملة اسمية خبرها فعلى دون الثانى ؟
 - ٢ - من أى قسمى التقديم قوله تعالى : ﴿ قال أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم ﴾ آية ٤٦ سورة مريم .

تمرين - ٨

- ١ - لماذا أخرج المسند إليه في قول الشاعر :
ألا فى سبيل المجد ما أنا فاعل عفافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونائل
- ٢ - لماذا قُدِّم المسند إليه في قول الشاعر :
وما أنا من تأسرِ الخمر لُبَّهُ ويملك سمعيه اليراعُ المثقَّبُ

* * *

تخريج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر

وضع المضمر موضع المظهر :

هذا كله مُقتضى الظاهر ^(١) وقد يُخرَج المسند إليه على خلافه ؛ فيُوضع المضمر موضع المظهر ، كقولهم ابتداءً من غير جرّي ذكر لفظاً أو قرينة حال : « نعم رجلاً زيد ، وبئس رجلاً عمرو » مكان « نعم الرجل وبئس الرجل » ، على قول من لا يرى الأصل « زيد نعم رجلاً ، وعمرو بئس رجلاً » ^(٢) وقولهم « هو زيد عالم ، وهو عمرو شجاع » ^(٣) مكان « الشأن زيد عالم ، والقصة عمرو شجاع » ليتمكن في ذهن السامع ما يعقبه ^(٤) ؛ فإن السامع متى لم يفهم من الضمير معنى بقى مُنتظراً لعُقبى الكلام كيف تكون ؟ فيتمكن المسموع بعده في ذهنه فضل تمكن ، وهو السر في التزام تقديم ضمير الشأن أو القصة ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ^(٥) وقال : ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ ^(٦) وقال : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ﴾ ^(٧) .

(١) أى مقتضى ظاهر الحال على ما سبق في باب الإسناد الخبرى ، واسم الإشارة يعود إلى كل ما سبق من الكلام على أحوال المسند إليه ، وقيل إنه يستثنى منه توجيه الخطاب لغير معين ؛ لأنه من تخريجه على خلاف مقتضى الظاهر .

(٢) من لا يراه يجعل الخصوص خبر مبتدأ محذوف ؛ فيكون الضمير الفاعل عائداً على معقول معهود في ذهن ، وأما الذى يرى أن الأصل « زيد نعم رجلاً » فلا يكون عنده من التخريج على خلاف مقتضى الظاهر ؛ لأنه يجعل الخصوص مبتدأ مؤخرًا ، وما قبله خبراً عنه ، فيكون الضمير الفاعل عائداً على مذكور متقدم رتبة .

(٣) الأولى أن يذكر بدله « وهى هند مليحة » لأن ضمير القصة لا بد معه من أن يكون فى الكلام مؤنث غير فضلة أو شبيه بها ، فلا يقال « إنها بنيت عرفة » ولا « إنها كان القرآن الكريم معجزة » .

(٤) هذا هو الاعتبار الذى اقتضى تخريج المسند إليه فى ذلك على خلاف مقتضى الظاهر ، ولكنه لا يأتى فى باب « نعم » لأنه لا يعلم أن فيها ضميراً قبل سماع مفسره ، ومثل ضمير « نعم » وضمير الشأن فى ذلك كل ضمير يتقدم مرجعه حكماً ويتأخر لفظاً ورتبة ، كما فى قولك « ربّه فتى » وكما فى قوله تعالى : ﴿ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ آية ٣ سورة الأنبياء ، وكما قال الشاعر :

جفونى ولم أجفُ الأخلاء إننى لغير جميلٍ من خليلي مهمل

(٥) سورة الإخلاص : الآية ١ . (٦) سورة المؤمنون : الآية ١١٧ .

(٧) سورة الحج : الآية ٤٦ .

وضع المظهر موضع المضمَر :

وقد يُعكس فيوضع المظهر موضع المضمَر ، فإن كان المظهر اسم إشارة فذلك إما لكمال العناية بتمييزه لاختصاصه بحكم بدیع كقوله :

كم عاقلٍ عاقلٍ أعيتَ مذاهبهُ وجاهلٍ جاهلٍ تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الأوهامَ حائرةً وصيرَ العالمَ النحريرَ زنديقا (١)

وإما للتهكم بالسامع : كما إذا كان فاقد البصر أو لم يكن ثمَّ مشار إليه أصلاً (٢) ؛ وإما للدعاء على كمال بلاذته بأنه لا يدرك غير المحسوس بالبصر ، أو على كمال فطانتِه بأنَّ غير المحسوس بالبصر عنده كالمحسوس عند غيره ، وإما لادعاء أنه كمل ظهوره حتى كأنه محسوس بالبصر . ومنه فى غير باب المسند إليه قوله :

تعاللت كى أشجى وما بكِ علةٌ تريدین قتلى ، قد ظفرتِ بذلك (٣)
وإما لنحو ذلك (٤) .

* وإن كان المظهر غير اسم إشارة فالعدول إليه عن المضمَر إما لزيادة

(١) هما لأحمد بن يحيى المعروف بابن الرأوندى ، وكان يرمى بالزندقة ، وقيل إنه كان من المتصوفة ، وكل من « عاقل » الثانية و « جاهل » الثانية صفة للأولى منهما على معنى كامل العقل وكامل فى الجهل ، وليس ذلك من التأكيد اللفظي ؛ لأنه إنما يكون لدفع توهم سهو أو نحوه وهو غير محتمل هنا ، وقوله - « أعيت مذاهبه » بمعنى أعجزته طرق معاشه أو أعيت عليه متعديّة أو لازمة ، والأوهام يراد بها العقول من تسمية المحل باسم الحال على المجاز المرسل ، والنحرير من « نحر الأمور علماً » أتقنها ، والزندق الذى يبطن الكفر ويظهر الإسلام ، والشاهد فى اسم الإشارة لأنه يعود إلى الحكم السابق عليه ، وهو كون العاقل محروماً والجاهل مرزوقاً ؛ فالمقام للضمير لأن هذا الحكم غير محسوس ، واسم الإشارة موضوع للمحسوس والحكم البديع الذى أسند إلى اسم الإشارة هو جعل الأوهام حائرة والعالم النحرير زنديقا .

(٢) كأن يقول لك أعمى : أتشهد أن زيدا ضربي ؟ فتقول له : نعم ، ذلك الذى فى جانبك . سواء أكان فى جانبه أم لم يكن .

(٣) هو كما رواه المبرد لمرة بن عبد الله الهلالى ، وقوله « تعاللت » بمعنى ادعاء العلة . وقوله « أشجى » بمعنى أحزن ، والشاهد فى وضع اسم الإشارة موضع الضمير لأن الظاهر أن يقال قد ظفرت به أى بالقتل ، والداعى إلى ذلك هو ادعاء كمال ظهوره حتى كأنه محسوس بالبصر .

(٤) كالإشارة إلى بعده ، ويمكن أن يحمل عليه ما فى البيت السابق أيضاً ؛ بأن يكون مراده به الإشارة إلى بعد قتله لكمال شجاعته .

التمكين^(١) كقوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ﴾^(٢) ونظيره من غيره قوله : ﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ﴾^(٣) ، وقوله ﴿ فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا ﴾^(٤) .

وقول الشاعر :

* إن تسألوا الحق نعط الحق سائله^(٥) *

بدل « نعطيك إياه » .

وإما لإدخال الروح فى ضمير السامع وتربية المهابة ، وإما لتقوية داعى المأمور^(٦) . مثالهما قول الخلفاء : « أمير المؤمنين يأمر بكذا » . وعليه من غيره : ﴿ فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾^(٧) .

وإما للاستعطاف ، كقوله :

* إلهى عبدك العاصى أتاكا *^(٨)

(١) هذا إذا كان المقام يقتضى الاعتناء بالمسند إليه .

(٢) سورة الإخلاص : الآية ١ ، ٢ . (٣) سورة الإسراء : الآية ١٠٥ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٥٩ .

(٥) لعبد الله بن عنة الضبى من قوله :

إن تسألوا الحق نعط الحق سائله والدرع محقبة والسيف مقروب

والحقبة : المشدودة فى الحقبة ، والمقروب : الموضوع فى قرابه ، وسيأتى هذا البيت مع بيت قبله فى شواهد الالتفات .

(٦) أى إلى امتثال ما أمر به .

(٧) آية ١٥٩ سورة آل عمران ؛ لأنه لم يقل فيه « فتوكل على » ولكنه من باب تقوية داعى المأمور إلى الامتثال ، لا من باب إدخال الروح فى ضمير السامع ؛ لأن الاطمئنان بالتوكل لا يناسبه الروح من المطمأن إليه .

(٨) هو لإبراهيم بن أدهم من مقطوعة مطلعها :

هجرت الخلق طرا فى هواكا وأيتمت العيال لكى أراكا

إلى أن يقول :

إلهى عبدك العاصى أتاكا مقرا بالذنوب وقد دعاكا
فإن تغفر فأنست لذاك أهل وإن تطرد فمن يرحم سواكا
والشاهد فى قوله « عبدك » فلم يقل أنا أتيتك .

وإما لنحو ذلك (١) .

الالتفات :

قال السكاكي (٢) : هذا (٣) غير مختص بالمسند إليه ، ولا بهذا القدر (٤) ، بل التكلم والخطاب والغيبة مطلقا (٥) يُنقل كل واحد منها إلى الآخر ، ويُسمى هذا النقل « التفاتا » عند علماء المعاني (٦) كقول ربيعة بن مَقْرُوم :

بانت سعادُ فأ مسى القلبُ معموداً وأخلفتك ابنةُ الحرِّ المواعيدا (٧)
فالتفت كما ترى حيث لم يقل « وأخلفتني » . وقوله :

تذكرتَ والذكرى تهيجك زينبا وأصبحَ باقى وصلها قد تقصَّبا
وحلَّ بفَلَجٍ فالأباتر أهْلنا وشطَّتْ فحَلَّتْ عَمْرَةً فمُثَقِّبا (٨)

(١) كأن يقصد التوصل بالظاهر إلى الوصف ، نحو قوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم ﴾ إلى أن قال : ﴿ فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي ﴾ آية ١٥٨ سورة الأعراف ، وكأن يكون المعنى على الإظهار هو المراد ؛ نحو قول الله تعالى : ﴿ فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها ﴾ آية ٧٧ سورة الكهف ؛ لأن جملة ﴿ استطعما أهلها ﴾ صفة قرية وليست صفة أهل ؛ لأنه مسوق للتحديث عن القرية وجدارها لا عن أهلها ، وليست أيضا جوابا لإذا ؛ لأن جوابها قوله بعد : ﴿ قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا ﴾ فوضع المظهر موضع المضمّر لأن الصفة جارية على غير من هي له .

(٢) ١٠٦ - المفتاح .

(٣) أى النقل من الحكاية إلى الغيبة .

(٤) أى ولا النقل مطلقا بهذا القدر ، وهو النقل من الحكاية إلى الغيبة ، وإنما أولت عبارته هذا التأويل لما فى ظاهره من التهافت .

(٥) أى فى المسند إليه وغيره ، وحيث سبق التعبير بأحدها ثم عبر بالآخر على خلافه أو لم يسبق ، كما سيأتى .

(٦) بعضهم يجعل منه التعبير بالمضارع عن الماضى وعكسه ، والانتقال من خطاب الواحد أو الاثنين أو الجماعة إلى الآخر منها .

(٧) المعمود : الحزين ، وابنة الحر : هى سعاد من وضع المظهر موضع المضمّر ، ويجوز أن يكون الخطاب فى قوله « وأخلفتك » تجريدا لا التفاتا على ما هو الجلى من الفرق بينهما ؛ لأن مبنى التجريد على المغايرة لأنه يجرد من الشخص شخصا آخر ، ومبنى الالتفات على اتحاد المعنى ، وكذلك يقال فى كل ما أشبه هذا الخطاب .

(٨) هما لربيعة بن مَقْرُوم أيضا ، وقوله « والذكرى تهيجك » معترض بين الفعل =

فالتفت في البيتين :

* والمشهور عند الجمهور أن الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها ^(١) . وهذا أخص من تفسير السكاكي ؛ لأنه أراد بالنقل أن يُعبرَ بطريق من هذه الطرق عما عُبِّرَ عنه بغيره ، أو كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره منها ^(٢) ؛ فكل التفات عندهم التفات عنده من غير عكس ^(٣) .

مثال الالتفات من التكلم إلى الخطاب قوله تعالى : ﴿ وما لى لا أعبدُ الذى فطرني وإليه ترجعون ﴾ ^(٤) .

= ومفعوله وقوله « تقضب » بمعنى انقطع ، وفالج والأباتر وغمرة ومثقب : مواضع ، وقوله « شطت » بمعنى بُعدت ، والالتفات فى البيت الأول من التكلم إلى الخطاب ، ويجوز حمله على التجريد كما سبق ، والالتفات فى البيت الثانى من الخطاب إلى التكلم .

(١) يجب فيه أيضا أن يكون التعبير الثانى على خلاف ما يقتضيه ظاهر السياق وإن كان موافقا لظاهر المقام ؛ فلا يُعد منه الخطاب الثانى فى قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ آية هـ سورة الفاتحة ، وإنما حصل الالتفات بالأول فقط وجرى الثانى على سياقه ، وكذلك لا يعد منه الانتقال من التكلم إلى الغيبة فى قول الشاعر :

نحن اللذون صَبَّحُوا الصَّبَاحَا يَوْمَ النَّخِيلِ عَارَةً مَلْحَا

لأن الموصول من الاسم الظاهر وهو يدل على الغيبة ، ومقتضى سياقه أن يعود الضمير عليه من الصلة بطريق الغيبة أيضا ، ويعد منه الانتقال من الغيبة إلى الخطاب فى قوله تعالى : ﴿ عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى ﴾ آية ١ و ٢ و ٣ سورة عبس ، وإن كان الخطاب ظاهر المقام ؛ لأنه خلاف ظاهر السياق .

(٢) يعنى : أو لم يعبر عنه بغيره وكان مقتضى الظاهر إلخ . وهذا الشق الثانى هو الذى ينفرد فيه الالتفات عند السكاكى عن الالتفات عند الجمهور ؛ كالاتفات من التكلم إلى الخطاب فى الشاهدين السائقين لربيعة بن مقيوم ، والجمهور يجعلونه من التجريد لا من الالتفات ، والخطب فى هذا سهل .

(٣) أى لغوى لا منطقى لصحة العكس المنطقى هنا بخلاف اللغوى ؛ لأنه يؤدى إلى أن يكون كل التفات عند السكاكى التفاتا عند الجمهور ، وهو باطل .

(٤) آية ٢٢ سورة يس . فالسياق يقتضى « وإليه أرجع » وإن كان الخطاب هو ظاهر المقام ؛ لأن قوله ﴿ وما لى لا أعبد ﴾ تعريض بالمخاطبين ، والمراد « وما لكم لا تعبدون » . وقيل : إنه لا التفات فى قوله ﴿ وإليه ترجعون ﴾ لأنه يجوز إرادة المخاطبين فلا يكون فى معنى « وإليه أرجع » ، وقيل : إن فى قوله ﴿ وما لى ﴾ التفاتا ، والحق أنه من التعريض لا من الالتفات . ومن الالتفات من التكلم إلى الخطاب قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ آية ١٤ سورة الأنعام ، وهو أظهر من الآية السابقة .

ومن التكلم إلى الغيبة (١) قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ (٢) .

ومن الخطاب إلى التكلم قول علقمة بن عبدة :
طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحَسَانِ طَرُوبٌ بَعِيدَ الشَّبَابِ عَصَرَ حَانَ مَشِيبٌ
يَكْلِفُنِي لَيْلَى وَقَدْ شَطَّ وَلَيْهَا وَعَادَتْ عَوَادٍ بَيْنَنَا وَخَطُوبٌ (٣)
ومن الخطاب إلى الغيبة قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَكَ وَجَرَيْنَ بِهِمْ ﴾ (٤) .

ومن الغيبة إلى التكلم قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابَهَا فَسُقْنَاهُ ﴾ (٥) .

ومن الغيبة إلى الخطاب قوله تعالى : ﴿ مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ (٦) .
وقول عبد الله بن عَنَمَة :

مَا إِنْ تَرَى السَّيِّدَ زَيْدًا فِي نَفْسِهِمْ كَمَا يَرَاهُ بَنُو كَوْزٍ وَمَرْهُوبٌ
إِنْ تَسْأَلُوا الْحَقَّ نَعَطِ الْحَقَّ سَائِلُهُ وَالدَّرْعُ مُحَقَّبَةٌ وَالسَّيْفُ مَقْرُوبٌ (٧)

(١) المراد بالغيبة ما يشمل الاسم الظاهر كما في الآية ، وكان السياق فيها أن يقال :
« فصل لنا وانحر » .

(٢) سورة الكوثر : الآية ١ و ٢ .

(٣) قوله « طحا » بمعنى ذهب وأتلف . وطروب بمعنى أن له طربا ونشاطا في طلبهم ، وقوله « يكلفني » ضميره يعود إلى القلب ، وروى « تكلفني » فيجوز أن يكون فاعله القلب على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، ويجوز أن يكون فاعله « ليلى » بمعنى أنها تكلفه شدائد فراقها . وقوله « شط وليها » بمعنى بعد قريبا ، وقوله « عادت عواد » بمعنى رجعت عوائق كانت تحول بيننا إلى ما كانت عليه ، ويجوز أن تكون « عادت » من المعاداة . والشاهد في قوله « يكلفني » لأن الأصل « يكلفك » على مقتضى السياق ، أما قوله « طحا بك » فهو الالتفات أو تجريد على ما سبق .

(٤) سورة يونس : الآية ٢٢ . (٥) سورة فاطر : الآية ٩ .

(٦) سورة الفاتحة : الآية ٤ و ٥ .

(٧) السيد وزيد وكوز ومرهوب : أحياء من ضبة قوم الشاعر . يريد أن السيد لا يوجبون لزيد في نفوسهم من الحرمة والنصرة ما يوجب كوز ومرهوب ، والضمير في قوله « تسألوا » لزيد وفيه الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، والمحقة : المشدودة في الحقيبة ، والمقروب : الموضوع في قرابه ، وبعد البيتين :

وإن أبيتم فإننا معشر ألف لا نطعمُ الحَسْفَ إن السَّمَّ مشروب

وأما قول امرئ القيس :

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِالْأَثْمَدِ وَنَامَ الْخَلَى وَلَمْ تَرْقُدِ
وَبَاتَ وَبَاتَ لَهُ لَيْلَةٌ كَلِيلَةَ ذِي الْعَاثِرِ الْأَرْمَدِ
وَذَلِكَ مِنْ نَبَأٍ جَاءَنِي وَخَبَّرْتَهُ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ (١)

فقال الزمخشري « فيه ثلاث التفاتات » (٢) وهذا ظاهر على تفسير السكاكي لأن على تفسيره في كل بيت التفاتة ، لا يقال : الالتفات عنده من خلاف مقتضى الظاهر ؛ فلا يكون في البيت الثالث التفات لوروده على مقتضى الظاهر ؛ لأننا نمنع انحصار الالتفات عنده في خلاف المقتضى (٣) لما تقدم (٤) ؛ وأما على المشهور (٥) فلا التفات في البيت الأول ، وفي الثاني التفاتة واحدة ، فيتعين أن يكون في الثالث التفاتتان ، فقليل : هما في قوله « جاءني » إحداهما باعتبار الانتقال من الخطاب في البيت الأول ، والأخرى باعتبار الانتقال من الغيبة في الثاني ، وفيه نظر ؛ لأن الانتقال إنما يكون من شيء حاصل ملتبس به ؛ وإذ قد حصل الانتقال من الخطاب في البيت الأول إلى الغيبة في الثاني لم يبق الخطاب حاصلًا ملتبسًا به ؛ فيكون الانتقال إلى التكلم في الثالث من الغيبة وحدها لا منها ومن الخطاب جميعًا ؛ فلم يكن في البيت الثالث إلا التفاتة واحدة ، وقيل : إحداهما في قوله « وذلك » لأنه التفات من الغيبة

(١) هي لامرئ القيس حندج بن حجر ، وقيل : إنها لامرئ القيس بن عابس في رثاء ابن عمه أبي الأسود . والأثمَد : اسم موضع ، وقوله « وبات وبات له ليلة » بات الأولى فيه تامة ، والثانية يجوز أن تكون ناقصة وأن تكون تامة ، والعاثر : قذى العين ، وأبو الأسود : كنية أبيه حجر ملك بنى أسد ، والخبر الذي خبره عنه خبر قتلهم له .

(٢) الالتفات الأول في قوله « ليلتك » من التكلم إلى الخطاب ، وكافها مفتوحة أو مكسورة على ما سيأتي ، وهو الذي يأتي على مذهب السكاكي ، والالتفات الثاني في قوله « وبات » من الخطاب إلى الغيبة ، والالتفات الثالث في قوله « جاءني » من الغيبة إلى التكلم .

(٣) يعني خلاف مقتضى ظاهر المقام .

(٤) من أن الالتفات عنده ينقسم إلى ما يجري على خلاف ظاهر المقام وإن لم يجر على خلاف السياق ، وهو يخالف فيه الجمهور ، وإلى ما يجري على خلاف السياق ، وإن لم يخالف ظاهر المقام ، وهو الذي يوافق فيه الجمهور .

(٥) قد ذكروا أن مذهب السكاكي في الالتفات هو مذهب الزمخشري ؛ فلا معنى لتكلف تحقيق الالتفات الذي ذكره في البيتين على مذهب الجمهور ؛ لأن مذهبه يخالف مذهبه .

إلى الخطاب (١) والثانية فى قوله : « جاعنى » لأنه التفات من الخطاب إلى التكلم ، وهذا أقرب .

* واعلم أن الالتفات من محاسن الكلام ، ووجه حسنه على ما ذكر الزمخشري هو أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب (٢) كان ذلك أحسن تطرية (٣) لنشاط السامع وأكثر إيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد (٤) .

وقد تختص مواقعه بلطائف (٥) كما فى سورة الفاتحة (٦) ؛ فإن العبد إذا افتتح حمد مولاه الحقيق بالحمد عن قلب حاضر ونفس ذاكرة لما هو فيه بقوله : ﴿ الحمد لله ﴾ الدال على اختصاصه بالحمد وأنه حقيق به ، وجد من نفسه لا محالة محرّكاً للإقبال عليه ، فإذا انتقل على نحو الافتتاح إلى قوله ﴿ رب العالمين ﴾ الدال على أنه

(١) الالتفات فى « ذلك » متكلف ، لأنه لا دليل على أنه يعنى بالخطاب فيها نفسه ، بل الظاهر أن المعنى بها غير المتكلم ، ولهذا لم ينظر إليها قبل هذا التكلف .

(٢) إنما خص بيان محاسن الالتفات بما فيه نقل من أسلوب إلى أسلوب لأنه هو الغالب فيه ، أما الالتفات الذى انفرد به السكاكى فوجه حسنه أن المخاطب إذا سمع خلاف ما يترقب نشط وأصغى إليه ، وقد قيل : إن الالتفات على هذا يكون من المحسنات البديعية ، فلا يصح ذكره هنا لأن حسنه يرجع إلى ما ذكره الزمخشري ، ولا يرجع إلى اقتضاء المقام ، وأجيب بتسليم أنه من المحسنات البديعية ، ولكن هذا لا يمنع من إدخاله فى علم المعانى عند اقتضاء المقام لفائدته من طلب مزيد الإصغاء لكون الكلام دعاء أو مدحاً أو نحوهما ، والحق أن مثل هذا يكون شرطاً لحسنه ولا يقتضى وجوبه فى البلاغة ، فلا يصح أن يُعدَّ به من علم المعانى .

(٣) أى تجديداً ، تقول « طربتُ الثوب » إذا عملت ما يجعله طرياً كأنه جديد .

(٤) أورد ابن الأثير على ما ذكره الزمخشري من ذلك أنه لو كان صحيحاً لما حسن الالتفات إلا فى الكلام الطويل ، مع أنه قد أتى فى القرآن حيث لا يمكن أن يقال إن الكلام قد طال ، ثم ذكر أن الالتفات لا يكون إلا لفائدة اقتضته ، وأن تلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب ، ولكنها لا تُحد ولا تُضبط بضابط ، وإنما يشار إلى مواضع منها ليقاس عليها ، كما سيأتى فى سورة الفاتحة ، ولكنه عاد فذكر أنه لا ينكر أن فى الانتقال من أسلوب إلى أسلوب اتساعاً وتفناً فى أساليب الكلام ، مع أنه قد يكون لمقصد آخر معنوي هو أعلى وأبلغ ، ولا يخفى أن مثل هذا لا يخالفه فيه الزمخشري ؛ لأنه فيما ذكره من ذلك لم يُرد إلا ببيان وجه عام لحسن الالتفات ، ولا يمنع أن تختص مواقعه بلطائف أخرى خاصة .

(٥) قيل : إنه يلزم أن يلتمس ذلك فى كل التفات ، وقيل : إنه لا يلزم أن يكون له فى كل مقام نكتة خاصة .

(٦) سورة الفاتحة : الآية ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ .

مالك للعالمين لا يخرج منهم شيء عن ملكوته وربوبيته ، قوى ذلك المحرك ، ثم إذا انتقل إلى قوله ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ الدال على أنه منعم بأنواع النعم : جلائلها ودقائقها تضاعفت قوة ذلك المحرك ، ثم إذا انتقل إلى خاتمة هذه الصفات العظام وهى قوله ﴿ مالك يوم الدين ﴾ الدال على أنه مالك للأمر كله يوم الجزاء تناهت قوته ، وأوجب الإقبال عليه وخطابه بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة فى المهمات (١) .

وكما فى قوله تعالى : ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول ﴾ (٢) لم يقل « واستغفرت لهم » وعدل عنه إلى طريق الالتفات تفخيماً لشأن رسول الله ﷺ ، وتعظيماً لاستغفاره ، وتنبهياً على أن شفاعته من اسمه الرسول من الله بمكان .

وذكر السكاكى (٣) لالتفات امرئ القيس فى الأبيات الثلاثة على تفسيره وجوهاً : أحدها أن يكون قصد تهويل الخطب واستفظاعه ، فنبه فى التفاتة الأول على أن نفسه وقت ورود ذلك النبأ عليها ولهت وكه الثكلى ، فأقامها مقام المصاب الذى لا يتسلى بعض التسلى إلا بتفجع الملوك له ، وتحزنهم عليه ، وخاطبها « بتطاول ليلك » (٤) تسلياً ، أو على أنها لفظاعة شأن النبأ أبدت قلقاً شديداً ولم تتصبر فعل الملوك ؛ فشك فى أنها نفسه ، فأقامها مقام مكروب وخاطبها بذلك تسلياً . وفى الثانى على أنه صادق التحزن خاطب أو لا ، وفى الثالث على أنه يريد نفسه .

أو نبه (٥) فى الأول على أن النبأ لشدته تركه حائراً ، فما فطن معه لمقتضى الحال ؛ فجرى على لسانه ما كان ألفه من الخطاب الدائر فى مجارى أمور الكبار أمراً ونهياً ، وفى الثانى على أنه بعد الصدمة الأولى أفاق شيئاً فلم يجد النفس معه ، فبنى الكلام على الغيبة ، وفى الثالث على ما سبق .

أو نبه (٦) فى الأول على أنها حين لم تثبت ولم تتبصر غاظه ذلك ؛ فأقامها

(١) يعنى خطابه بقوله : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ .

(٢) سورة النساء : الآية ٦٤ . (٣) ١٠٧ - المفتاح .

(٤) فكافها مكسورة ، ويصح فتحها نظراً إلى كون النفس يراد بها شخصه .

(٥) هذا هو الوجه الثانى ، وكان المناسب لسياقه أن يقول : وثانيها .

(٦) هذا هو الوجه الثالث .

مقام المستحق للعتاب ، فخاطبها على سبيل التوبيخ والتعيير بذلك ، وفى الثانى على أن الحامل على الخطاب والعتاب لما كان هو الغيظ والغضب وسكن عنه الغضب بالعتاب الأول ولَّى عنها الوجه وهو يُدْمَدَمُ قائلاً « وبات وبات له » وفى الثالث على ما سبق . هذا كلامه ، ولا يخفى على المنصف ما فيه من التعسف (١) .

الأسلوب الحكيم : ومن خلاف المقتضى ما سمَّاه السكاكى (٢) الأسلوب الحكيم (٣) وهو تلقى المخاطب (٤) بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد ، أو السائل بغير ما يتطلب (٥) بتنزيل سؤاله منزلة غيره ؛ تنبيهاً على أنه الأولى بحاله أو المهم له .

أما الأول فكقول القبعثرى (٦) للحجاج لما قال له متوعداً بالقيد : « لأحملنك على الأدهم » : « مثل الأمير يحمل على الأدهم (٧) والأشهب » . فإنه أبرز وعيده فى معرض الوعد ، وأراه بالطف وجه أن من كان على صفته فى السلطان وبسطة اليد فجدير بأن يُصَفَدَ لا أن يُصَفَدَ (٨) وكذا قوله له لما قال له فى الثانية « إنه حديد »

(١) لأنه يحمل امرأ القيس ما لا يمكن أن يكون قد خطر بباله من ذلك ، ولا يخفى أن كثيراً من اللطائف التى تلتبس للالتفات فيها مثل هذا التعسف ، وأن ذلك يرجع إلى أنها غير مضبوطة ، لأنها لو كانت مضبوطة لأمكن الرجوع إلى أمر ظاهر مقرر منها .

(٢) ١٧٥ - المفتاح .

(٣) أكثر العلماء يذكره فى علم البديع ، على أن الخطيب سيدكر فى علم البديع القول بالموجب ، ويقسمه إلى قسمين ، والقسم الثانى هو الأسلوب الحكيم بعينه ، ولا شك أن مراعاة ذلك مما يورث الكلام حسناً ، ولا يصل تركه إلى إخلال بفصاحة أو بلاغة ، فاللائق به أن يعد فى علم البديع . وقد ذكر السعد أنه لما انجر الكلام إلى ذكر خلاف مقتضى الظاهر أورد عدة أقسام منه ، وإن لم تكن من مباحث المسند إليه ، وهى : الأسلوب الحكيم ، والتعيير عن المستقبل بلفظ الماضى الخ .

(٤) بكسر الطاء أى المتكلم من إضافة المصدر لمفعوله ، وهذا أولى من فتح الطاء لما فيه من التعقيد .

(٥) الفرق بينه وبين ما عطف عليه أن فيه سؤالاً ، فهو أخص منه بهذا الاعتبار ، ولكنه أعم منه باعتبار آخر ، وهو أنه لا يشترط فيه حمل كلام سابق على خلاف ظاهره كما يشترط فى الأول .

(٦) الصواب ابن القبعثرى كما سبق فى ص ١٠٢ .

(٧) أراد الحجاج بالأدهم القيد ، فحمله على غير مراده وهو الفرس الذى غلب سواده على بياضه ، وعطف عليه الأشهب وهو الفرس الذى غلب بياضه على سواده .

(٨) أى جدير بأن يعطى لا أن يقيد ؛ لأن الإصفاة : الإعطاء من الصفد وهو العطاء ، =

: « لأن يكون حديداً خيراً من أن يكون بليداً » (١) . وعن سلوك هذه الطريقة في جواب المخاطب عبر من قال مفتخراً :

أَتَتْ تَشْتَكِي عِنْدِي مُزَاوِلَةَ الْقَرَى وَقَدْ رَأَتْ الضَّيْفَانِ يَنْحُونُ مِنْزَلِي
فَقُلْتُ كَأَنِّي مَا سَمِعْتُ كَلَامَهَا : هُمُ الضَّيْفُ جِدِّي فِي قِرَاهِمُ وَعَجَلِي (٢)
وسمَّاهُ الشيخ عبد القاهر « مغالطة » (٣) .

وأما الثاني ؛ فكقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ (٤) قالوا : « ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ، ثم يتزايد قليلاً قليلاً حتى يمتلئ ويستوي ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا ؟ » (٥) وكقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ (٦) سألوا عن بيان ما ينفقون ، فأجيبوا ببيان المصروف (٧) .

التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي : ومنه التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي (٨)

= ويقال - صَفَدَه يَصْفِدُه - بمعنى قيده ، ولهذا يسمى القيد صفاداً .

(١) أراد الحجاج بقوله « أنه حديد » أنه قيد حديد ، فحمله على الحدة ، والمعنى « لأن يكون العطاء حديداً » .

(٢) لا يعلم قائلهما ، والقري : طعام الضيف ، وقوله « ينحون » بمعنى يقصدون ، والشاهد في أنه أجابها بغير ما تتطلب من الشكوى ، ولهذا قيل : إن هذا من القسم الثاني لا الأول ؛ لأنه ليس فيه حمل كلام على خلاف ظاهره ، وإنما هو من تلقى السائل بغير ما يتطلب للتنبيه على أن الأولى بها الاستعداد لهم لا الشكوى منهم .

(٣) ص ٩٢ - دلائل الإعجاز ، وقيل : إن الأسلوب الحكيم بقسميه يسمى مغالطة ، لا القسم الأول وحده .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٨٩ .

(٥) فأجابهم ببيان حكمته تنبيها على أنه هو الأولى بحالهم لا السؤال عن سببه .

(٦) سورة البقرة : الآية ٢١٥ .

(٧) للتنبيه على أنه هو المهم لهم .

ومن هذا أيضا أجوبة موسى لفرعون في قوله تعالى : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ قال لمن حوله أَلَا تَسْتَمْعُونَ * قال رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قال إن رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمُحْضَنٌ * قال رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ آيات (٢٣ - ٢٨) سورة الشعراء .

(٨) مثله التعبير عن الماضي بلفظ المضارع استحضاراً لصورته العجيبة كقوله تعالى : =

تنبيهها على تحقق وقوعه ، وأن ما هو للواقع كالواقع ، كقوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ (١) وقوله : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ (٣) وقوله تعالى : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ ﴾ (٤) جعل المتوقع الذي لا بُدَّ من وقوعه بمنزلة الواقع . وعن حسان أن ابنه عبد الرحمن اسمه زنبور وهو طفل فجاء إليه يبكي فقال له : يا بني ما لك ؟ قال : لسعني طُورٌ كأنه مُلتفٌّ في بُرْدَى حَبْرَةٍ (٥) . فضمَّه إلى صدره وقال : يابني قد قلت الشعر .

ومثله التعبير عنه باسم الفاعل (٦) كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾ (٧) وكذا اسم المفعول ؛ كقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾ (٨) .

القلب : ومنه القلب (٩) كقول العرب : « عرضت الناقة على الحوض » (١٠)

= ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتَثِيرُ سَحَابًا ﴾ آية ٩ سورة فاطر ، أى فأتارت ، ولا يخفى أن النوعين من المجاز المرسل أو الاستعارة ، فلا معنى لذكرهما في علم المعاني ؛ لأنه لا فرق بينهما وبين غيرهما من أنواع المجاز فيما فعلا به من خلاف مقتضى الظاهر .

(١) سورة الزمر : الآية ٦٨ . (٢) سورة الكهف : الآية ٤٧ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٥٠ . (٤) سورة الأعراف : الآية ٤٨ .

(٥) طوير : تصغير طائر ، والحبرة : ضرب من برود اليمن ، والشاهد في قوله « قد قلت الشعر » لأنه بمعنى متقول .

(٦) لأن كلا من اسم الفاعل واسم المفعول حقيقة في المتلبس بالفعل في الحال اتفاقاً ، وفي الماضي على قول ضعيف ، فيكون استعماله في المستقبل مجازاً .

(٧) سورة الذاريات : الآية ٦ . (٨) سورة هود : الآية ١٠٣ .

(٩) هو في الاصطلاح أن يجعل جزء من الكلام مكان آخر يجعل مكانه على وجه يثبت حكم كل منهما للآخر ، فليس منه نحو - في الدار زيد ، وضرب عمرأ زيد - وهو قسمان : لفظي ومعنوي ، وسأيت بيانهما في أمثله .

(١٠) هذا من القلب المعنوي ؛ لأن المعروض عليه يجب أن يكون ذا شعور واختيار لأجل أن يميل إلى المعروض أو يحجم عنه ، ولكن لما كان المعتاد في ذلك أن يؤتى بالمعروض إلى المعروض عليه وكانت الناقة هي التي يؤتى بها إلى الحوض نُزِلَ كلُّ منهما منزلة الآخر ، وقيل : إنه لا قلب في ذلك وإنما القلب في « عرضت الحوض على الناقة » ؛ لأن المعروض عليه هو المستقر .

وردهً مطلقاً قوم^(١) ، وقبله مطلقاً قوم^(٢) منهم السكاكى^(٣) . والحقُّ أنه إن تضمن اعتباراً لطيفاً^(٤) قبلَ وإلا رُدَّ .

أما الأول^(٥) فكقول رؤية :

ومهمه مغبرة أرجاؤه كأنَّ لونَ أرضه سماؤه^(٦)

أى كأن لون سماءه لغبرتها لون أرضه ، فعكس التشبيه للمبالغة .

ونحوه قول أبى تمام يصف قلم المدوح :

لُعابُ الأفاعى القاتلات لُعابه وأرى الجنى اشتارته أيدٍ عواسل^(٧)

وأما الثانى^(٨) فكقول القطامى :

* كما طيَّنتَ بالفَدَنِ السَّيَّاعا^(٩) *

(١) لأنه عكس المطلوب ونقيض المقصود ، وقيل : إنه لا يكاد أحد يمنع مطلقاً لوروده فى القرآن وفصيح الكلام ، ولعلمهم يردُّون القلب اللفظى دون المعنوى .
(٢) لأن قلب الكلام مما يحوج إلى التنبيه للأصل ، وذلك مما يورث الكلام ملاحظة ولطفاً .

(٣) ١١٣ - المفتاح .

(٤) أى غير تلك الملاحظة التى احتج بها من قبله مطلقاً ، وذلك كالاختبار السابق فى قولهم « عرضت الناقة على الحوض » وكالاختبارات الآتية فى باقى الأمثلة وإنما لم يقبل القلب إلا بهذا لأنه من غيره يكون عدولاً عن مقتضى الظاهر من غير نكتة يعتد بها ؛ إذ لا يعتد فيه بتلك الملاحظة العامة وحدها ، ولا يخفى أن القلب بتلك الملاحظة يكون من المحسنات البديعية ، فالأليق ذكره فى علم البديع ؛ لأن تلك الاعتبارات التى يقبل بها فى علم المعانى ليست محدودة ولا مضبوطة ، وهى مع هذا شرطٌ لحسنه ولا توجبه .
(٥) هو المقبول .

(٦) هو لرؤبة بن عبد الله بن رؤية ، والمهمه : المفازة ، والأرجاء : جمع رجا وهو الناحية ، والقلب فى هذا معنوى أيضاً ، وهو من التشبيه المقلوب الآتى فى علم البيان ، والاعتبار اللطيف فيه بقصد المبالغة .

(٧) هو لحبيب بن أوس المعروف بأبى تمام ، وأرى الجنى : العسل من إضافة الموصوف إلى الصفة ، وقوله - اشتارته - بمعنى جنته ، والأيدى العواسل : العارفة بجنيه ، والأولى صفة للقلم مع الأعداء ، والثانية صفته مع الأصدقاء ، والشاهد فى شطره الأول ، وهو من القلب المعنوى أيضاً ؛ لأنه من التشبيه المقلوب ، والاعتبار اللطيف فيه قصد المبالغة .

(٨) هو المردود .

(٩) هو لعمير بن شبيب المعروف بالقطامى من قوله :

وقول حسان :

* يكون مزاجها عسلٌ وماء (١) *

وقول عروة بن الورد :

* فديتُ بنفسه نَفْسِي ومالي (٢) *

وقول الآخر :

* ولا يكُ موقفٌ منك الوداعا (٣) *

فلما أن جرى سمنٌ عليها كما طينت بالفدن السباعا
أمرتُ بها الرجالَ ليأخذوها ونحنُ نَظُنُّ أن لن تُستَظاعا

يصف بذلك ناقتة ، والقدن : القصر ، والسباع : الطين المخلوط بالتبن أو الآلة التي يطين بها ، يعنى أنها صارت ملساء من السمن كالقصر المطين بالسباع ، وفى ذلك قلب معنوى ؛ فإن حمل السباع على الآلة لم يتضمن اعتباراً لطيفاً ، وفيه الشاهد ، وإن حمل على الطين فيجوز أن يكون المقصود المبالغة فى سمنها ؛ لأنه يقصد تشبيهها بالسباع الذى صار لكشرته كأنه الأصل والقدن هو الفرع ، فيكون هو أيضاً مثله مع أصله من العظم ونحوه ، ولكنه لا يخلو من تكلف . وروى « كما بطنت بالفدن السباعا » وهو على القلب أيضاً ، والمعنى كما طينت الفدن بالسباع .

(١) هو لحسان بن ثابت الأنصارى من قوله :

كأن سبيئةً من بيت رأس يكون مزاجها عسلٌ وماء
على أنيابها أو طعمُ غُضٍّ من التفاح عصرةً اجتناءً

والسبيئة : الخمر المشتراه للشراب ، وبيت رأس : بلد بالشام بين رملة وغزة ، والغض : الطرى ، وقوله « عصره » بمعنى أساله كناية عن إدراكه وقت نضجه ، شبه ريق محبوبته بخمر مُزجت بعسل . والقلب فى قوله « يكون مزاجها عسل » قلب لفظى ؛ لأنه لا قلب فى المعنى ، وإنما القلب فى اللفظ ؛ لأنه نكر ما هو فى موضع المبتدأ وعرف الخبر ، والأصل فيهما العكس ، ويروى برفع « مزاجها » على أن اسم يكون ضمير الشأن ، فلا يكون فيه قلب .
(٢) هو من قوله :

فلو أنى شهدتُ أبا سعاد غداةً غداً لمُهَجَّتْهُ يَفوقُ
فديتُ بنفسه نَفْسِي ومالي وما أَلوُكُ إلا ما أَطيقُ

وقد رواه المرتضى فى أماليه وابن الأنبارى فى « الأضداد » للعباس بن مرداس . يقال « فاق بمهَجَّتْهُ ، ولمهَجَّتْهُ يَفوقُ » إذا أشرفت نفسه على الخروج أو خرجت ، وقوله « وما أَلوُكُ » بمعنى لم أقصُرْ فيك ، والقلب فيه معنوى ، والأصل « فديت نفسه بنفسى ومالى » وليس فى قلبه اعتبار لطيف لأنه يوهم خلاف المراد .

(٣) هو لعُمير بن شبيب المعروف بالقطامي من قوله :

وقد ظهر من هذا أن قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا ﴾ (١) ليس وارداً على القلب (٢) إذ ليس فى تقدير القلب فيه اعتبار لطيف ، وكذا قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ (٣) وكذا قوله تعالى : ﴿ أَذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ (٤) فأصل الأول أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا أى إهلاكنا ، وأصل الثانى : ثم أراد الدنو من محمد ﷺ فتدلى فتعلق عليه فى الهواء ، ومعنى الثالث : تنح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه ؛ ليكون ما يقولونه بمسمع منك فانظر ماذا يرجعون فيقال : إنه دخل عليها من كوة فالتقى الكتاب إليها وتوارى فى الكوة . وأما قول خدش :

* وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر (٥) *

فقد ذكر له سوى القلب (٦) وجهان : أحدهما : أن يجعل شقاء الرماح بهم استعارة عن كسرها بطعنهم بها ، والثانى : أن يجعل نفس طعنهم شقاء لها تحقيراً لشأنهم وأنهم ليسوا أهلاً لأن يطعنوا بها ، كما يقال « شقى الخنزير بجسم فلان » إذا لم يكن أهلاً للبسه .

وقيل فى قول قطرى بن الفجاءة :

قفى قبل التفرق يا ضباعا ولا يك موقف منك الوداعا
وألف « ضباعا » للإطلاق ، وهو مرخم ضباعة اسم بنت له أو امرأة غيرها ، والقلب فى قوله « ولا يك موقف منك الوداعا » لفظى كالقلب فى بيت حسان السابق .
(١) سورة الأعراف : الآية ٤ .
(٢) يرد بهذا على من زعم أن أصله « جاءها بأسنا فأهلكناها » .
(٣) آية ٨ سورة النجم . وعلى تقدير القلب فيه يكون أصله : ثم تدلى فدنا .
(٤) آية ٢٨ سورة النمل ، وعلى تقدير القلب فيه يكون أصله : فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم .

(٥) هو خدش بن زهير من قوله :
وتلحق خيل لا هوادة بينها وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر
والهوادة : اللين والرفق أو ما يرجى به الصلاح بين القوم ، وعلى هذا يكون المراد لا هوادة بين أصحابها ، والضياطرة : جمع ضيطر وهو الضخم اللئيم العظيم الاست ، والحمر : جمع أحمر اللون ، وقيل : هو الذى لا سلاح معه ، وقد روى « وتركب خيل » .
(٦) على أنه من القلب ؛ يكون أصله « وتشقى الضياطرة بالرماح » ، وليس له اعتبار لطيف .

ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب جذع البصيرة قارح الإقدام (١)
 إنه من باب القلب (٢) على أن « لم أصب » بمعنى لم أجرح ، أى قارح
 البصيرة جذع الإقدام (٣) كما يقال « إقدام غرّ ورأى مجرب » وأجيب عنه (٤) بأن
 « لم أصب » بمعنى لم أَلَف بهذه الصفة بل وجدت بخلافها جذع الإقدام قارح
 البصيرة ، على أن قوله « جذع البصيرة قارح الإقدام » حال من الضمير المستتر فى
 « لم أصب » فيكون متعلقاً بأقرب مذكور ، ويؤيد هذا الوجه قوله قبله :
 لا يركن أحد إلى الإحجام يوم الوغى متخوفاً لحمام (٥)
 فلقد أرانى للرماح دريئة من عن يمينى مرة وأمامى (٦)
 حتى خضبت بما تحدر من دمي أكناف سرجى أو عنان للجامى (٧)
 فإن الخضاب بما تحدر من دمه دليل على أنه جرح ، وأيضاً فحوى كلامه أن
 مراده أن يدل على أنه جرح ولم يمت ، إعلماً أن الإقدام غير علة للحمام ، وحثاً على
 الشجاعة وبغض الفرار .

* * *

-
- (١) جذع البصيرة : بمعنى غير مجرب للأمر ، وقارح الإقدام : بمعنى إقدام أصحاب
 السن القديمة ، يقال « فلان جذع إذا كان حديث السن » ، وقارح إذا كان قديماً .
 (٢) لأنه يقصد التمدح بذلك ، وإنما يتمدح بعكسه لابه .
 (٣) على هذا يكون « جذع البصيرة قارح الإقدام » حالين من فاعل انصرفت .
 (٤) هذا جواب يجعل كلامه لا قلب فيه ؛ لأنه قلب غير مقبول لما فيه من إيهام خلاف
 المراد ، وقيل أيضاً : إنه يريد تشبيه بصيرته بالجذع فى عدم الاختلاط والتزلزل من الهول ، وتشبيهه
 إقدامه بالقارح فى الصبر والاحتمال ، وعلى هذا لا قلب أيضاً .
 (٥) الإحجام : التأخر ، والوغى : الحرب ، والحمام : الموت .
 (٦) الدريئة : حلقة يتعلم عليها الطعن ، شبه نفسه بها ، وهى من الدرء بمعنى الدفع أو
 من الدرى بمعنى الختل ، فتكون درية ، بالياء المشددة .
 (٧) أكناف السرج : جوانبه ، والعنان : سير اللجام .

تمرينات

على تخريج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر

تمرين - ١

بين ما يحتمل الالتفات والتجريد وما يتعين فيه الالتفات مما يأتى :
(١) قوله تعالى : ﴿ يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ آية ٥٣ سورة الزمر .

٢ - هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم ؟

تمرين - ٢

١ - بين الالتفات فى قوله تعالى : ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ - آية ١ سورة النحل - ومن أى قسم من أقسام الالتفات هو ؟ .

٢ - هل يُعد من الالتفات أو لا يُعد قول الشاعر :
أأنت الهاللى الذى كنت مرة سمعنا به والأرحبى المقلب ؟

تمرين - ٣

١ - من أى أنواع خلاف مقتضى الظاهر ما فى قول الشاعر :
ومية أجمل الثقيلين جيداً وسالفة وأحسنه قدالاً
٢ - هل يُقبل القلب أو لا يُقبل فى قول الشاعر :
رأين شيخاً قد تحنى صلبه يمشى فيقعس أو يكب فيعثر

تمرين - ٤

١ - من أى أنواع خلاف مقتضى الظاهر ما فى قول الشاعر :
فَرَجِّى الخيرَ وانتظري إيابى إذا ما القارظُ العنزى أباً
٢ - هل يُعد من القلب أو لا يُعد ما فى قول الشاعر :

وعذلتُ أهلَ العشق حتى ذقُّتهُ فعجبتُ كيف يموتُ من لا يعشقُ !!

تمرين - ٥

- ١ - من أى نوعى الأسلوب الحكيم ما فى قول الشاعر :
وقالوا : قد صفتُ منّا قلوبٌ نعم ٠٠ صدقوا ولكن عن ودادى
- ٢ - من أى أنواع الالتفات ما فى قول الشاعر :
سألتُ نسيمَ أرضك حين وافى وقلتُ : صفِ القوامَ ولا تُحاشى

تمرين - ٦

- ١ - من أى أنواع خلاف مقتضى الظاهر ما فى قول الشاعر :
كلوا فى بعض بطنكم تعفوا فإن زمانكم زمنٌ خميصُ
- ٢ - متى يكون من خلاف مقتضى الظاهر ما فى قول الشاعر :
نعم امرأ هريمٌ لم تعرُ نائبةً إلا وكان لمرتاعٍ بها وزراً

تمرين - ٧

- ١ - بين ما فى قوله تعالى : ﴿ قالوا أجمعتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الأرض ﴾ (آية ٧٨ سورة يونس) من الخروج على مقتضى الظاهر .
- ٢ - بين ما فى قوله تعالى : ﴿ يأيها النبى إذا طلقتم النساء ﴾ (آية ١ الطلاق) من الخروج على مقتضى الظاهر .
- ٣ - بين ما فى قوله تعالى : ﴿ وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة ﴾ آية ٨٧ سورة يونس من الخروج على مقتضى الظاهر .

* * *

الباب الثالث : القول في أحوال المسند

* أغراض الحذف : أما تركه فلنحو ما سبق في باب المسند إليه (١) من تخيل العدول إلى أقوى الدليلين ، ومن اختبار تنبه السامع عند قيام القرينة أو مقدار تنبهه ، ومن الاختصار والاحتراز عن العبث بناءً على الظاهر (٢) ؛ إما مع ضيق المقام كقوله :

* فإني وقيار بها لغريب (٣) *

أى وقيار كذلك (٤) ، وكقوله :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأى مختلف (٥)

أى نحن بما عندنا راضون . وكقول أبى الطيب :

(١) أى فى الكلام على حذفه ، والتعبير بالترك هنا بدل الحذف هناك من التفنن فى العبارة .

(٢) كان الأحسن أن يذكر هذا الغرض فى أول الأغراض ليجعله مطرداً فى جميعها كما صنع فى حذف المسند إليه .

(٣) هو لضابىء بن الحارث البرجمي من قوله :

ومن يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقيار بها لغريب

وكان عثمان رضى الله عنه حبسه فى المدينة لهجائه قوماً فى شعره ، والرحل : المنزل والمأوى ، وقيار : اسم فرسه أو غلامه ، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما بعد الفاء عليه ، وتقديره « فقد حسنت حاله وساءت حالى » .

(٤) فهو من عطف الجمل ، ولا يصح جعل « قيار » معطوفاً على محل اسم « إن » لامتناع العطف على محل اسمها قبل مضي خبرها ، ولا يصح أن يكون « غريب » خبراً عن « قيار » والمحذوف خبر « إن » لاقتراحه بلام الابتداء ، وخبر المبتدأ لا يقترب بها فى الفصحح إلا إذا كان منسوخاً . وضيق المقام فى البيت بسبب الشعر والسجن .

(٥) هو لعمر بن امرئ القيس الخزرجي ، أو لقيس بن الخطيم ، وقبله :

يا مال والسيد المعمم قد يبطره بعض الرأى والسرف

يخاطب مالك بن الجلان حين رد قضاءه فى واقعة للأوس والخزرج ، وأراد بـ « والرأى مختلف » أن يتبع كل منهما رأيه على اختلافهما ؛ لرضا كل منهما برأيه وعدم انقياده لصاحبه . وضيق المقام هنا بسبب الشعر وعدم استعداد المخاطب لقبول الكلام ، وقد حذف فى هذا البيت من الأول لدلالة الثانى على عكس البيت السابق .

قالت وقد رأت اصفرارى : مَنْ بهِ وتنهَّدتْ فأجبتُها : المتنهدُ (١)

أى المتنهدُ هو المطالبُ بهِ (٢) دون : المطالبُ بهِ هو المتنهد - إن فُسر بمن المطالب به ؟ لأن مطلوب السائلة عن هذا الحكم على شخص معين بأنه المطالب به ليتعين عندها ، لا الحكم على المطالب به بالتعيين ، وقيل : معناه من فعل به ؟ فيكون التقدير : فعل به المتنهد (٣) .

وإما بدون الضيق ، كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾ (٤) على وجه ؛ أى والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك ، ويجوز أن يكون جملة واحدة ، وتوحيد الضمير لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله ، فكانا فى حكم مرضيٍّ واحد ، كقولنا « إحسان زيد وإجماله نعشنى وجبر منى » (٥) وكقولك « زيد منطلق وعمرو » أى وعمرو كذلك ، وعليه قوله تعالى : ﴿ وَاللَّائِي يَعْشْنَ مِنْ الْحَيْضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ ﴾ (٦) أى واللأئى لم يحضن مثلهن ، وقولك « خرجت فإذا زيد » (٧) . وقولك لمن قال : هل لك أحد إن الناس إلـب عليك ؟ : « إن زيدا وإن عمرا » أى إن لى زيدا وإن لى عمرا (٨) . وعليه قوله :

(١) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى : وقد عنى اصفراره مما يلقيه من حبه ، وقوله « به » متعلق بمحذوف تقديره المطالب ، وقوله « وتنهَّدت » يعنى به أنها تنهدت لما رآته من اصفراره .

(٢) فيكون من حذف المسند لا المسند إليه ، وقد أجاز السكاكى كلا من التقديرين ؛ لأنه إذا جعلت « من » مبتدأ على مذهب سيبويه والمحذوف خبراً فالأحسن أن يقدر - المتنهد هو المطالب به هو المتنهد ، ليطابق الجواب السؤال . وإذا جعلت « من » خبراً مقدماً فالأحسن أن يقدر - المطالب به هو المتنهد ليطابق الجواب السؤال أيضاً .

(٣) هو من حذف المسند أيضاً ولكنه فعل على هذا التقدير .

(٤) سورة التوبة : الآية ٦٢ .

(٥) فيأفراد الضمير فيه لأن إحسانه وإجماله بمعنى واحد .

(٦) سورة الطلاق : الآية ٤ .

(٧) أى موجود أو حاضر أو بالباب أو ما أشبه ذلك ، والحذف هنا لاتباع الاستعمال مع الاختصار والاحتراز عن العبث ؛ لأنه يطرد حذف المسند إليه بعد « إذا » الفجائية ؛ لأنها تدل على مطلق وجود ، وقد توجد معها قرائن تدل على نوع خصوصية كلفظ الخروج فى المثال .

(٨) الحذف فيه أيضاً لاتباع الاستعمال مع الاختصار والاحتراز عن العبث ؛ لأنه يطرد حذف المسند مع تكرير « إن » وتعدد اسمها .

* إِنَّ مَحَلًّا وَإِنْ مَرْتَحَلًا (١) *

أى إن لنا محلا فى الدنيا وإن لنا مرتحلا عنها إلى الآخرة . وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى ﴾ (٢) تقديره لو تملكون تملكون مكرراً لفائدة التأكيد ، فأضمر « تملك » الأول إضماراً على شريطة التفسير ، وأبدل من الضمير المتصل الذى هو الواو ضميراً منفصلاً وهو « أنتم » لسقوط ما يتصل به من اللفظ ؛ فأنتم فاعل الفعل المضمر ، و « تملكون » تفسيره . قال الزمخشري : هذا ما يقتضيه علم الإعراب ، فأما ما يقتضيه علم البيان (٣) فهو أن ﴿ أنتم تملكون ﴾ فيه دلالة على الاختصاص وأن الناس هم المختصون بالشح المتبالغ (٤) . ونحوه قول حاتم : « لو ذات سوار لطمتنى » (٥) . وقول المتلمس :

* ولو غير إخوانى أرادوا نقيصتى (٦) *

(١) هو لميمون بن قيس المعروف بالأعشى من قوله :

إِنَّ مَحَلًّا وَإِنْ مَرْتَحَلًا وَإِنْ فِي السَّفَرِ إِذْ مَضَوْا مَهَلًا

محلا ومرتحلا : مصدران ميميَّان بمعنى الحلول والارتحال ، والسفر : اسم جمع بمعنى المسافرين وقد أراد بهم الموتى ، والمهل : مصدر بمعنى الإمهال وطول الغيبة ، والمعنى : إن فى غيبة الموتى طولا وبعداً ؛ لأنهم مضوا مضياً لا رجوع معه إلى الدنيا . وروى : « إذ مضوا مثلاً » والحذف هنا لاتباع الاستعمال وضيق المقام مع الاختصار والاحتراز عن العبث .

(٢) سورة الإسراء : الآية ١٠٠ .

(٣) يعنى بعلم البيان ما يشمل علم المعانى .

(٤) ردُّ هذا على الزمخشري بأن الاختصاص إنما يكون فى الجملة الاسمية التى يقدم فيها المسند إليه على خبره الفعل كما سبق ، وما هنا ليس كذلك لأنه من الجملة الفعلية ، وبأنه على تسليم ذلك يكون معناه لو اختصاصتم بملك تلك الخزائن لأمسكتكم ، هذا لا يقتضى اختصاصهم بالشح ، وإنما يقتضى ذلك أن يقال « أنتم لو تملكون ذلك لأمسكتكم » .

(٥) رواه الأصبغى « لو غير ذات سوار لطمتنى » على أن حاتم مر ببلاد عنزة فناده أسير لهم : يا أبا سفانة ، أكلنى الإسر والقمل ولم يكن مع حاتم شيء فساومهم به . ثم قال : أطلقوه واجعلوا يدي فى القيد مكانه ، ففعلوا ، ثم جاءته امرأة ببيعير ليقصده فنحره ، فلطمته ، فقال لها ذلك ، يعنى أنه لا يقتص من النساء . وقيل : إن التى ضربته كانت أمة لهم فقال لها « لو ذات سوار لطمتنى » يعنى حرة من النساء ، وهو أظهر لتأنيث الفعل .

(٦) هو لجري بن عبد المسيح المعروف بالمتلمس من قوله :

ولو غير إخوانى أرادوا نقيصتى جعلت لهم فوق العرائن ميسما

والعرائن : جمع عرين وهو الأنف كله أو ما صلب منه ، والميسم : العلامة ، وهو على

تقدير : ولو أراد غير إخوانى . إلخ .

وذلك لأن الفعل الأول (١) لما سقط لأجل المفسر برز الكلام فى صورة المبتدأ

والخبر .

وكقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سَوْءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ (٢) أى كمن لم يزين له سوء عمله ، والمعنى : أفمن زين له سوء عمله من الفريقين اللذين تقدم ذكرهما « الذين كفروا والذين آمنوا » كمن لم يزين له سوء عمله ؟ ثم كأن رسول الله ﷺ لما قيل له ذلك قال : لا ، فقيل ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ﴾ وقيل : المعنى : أفمن زين له سوء عمله ذهب نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ؟ فحذف الجواب (٣) لدلالة ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ﴾ أو : أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله ؟ فحذف لدلالة ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ .

وأما قوله تعالى : ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ (٤) وقوله تعالى : ﴿ سُوْرَةٌ أَنْزَلْنَاهَا ﴾ (٥) وقوله : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَعْنُ أَمْرَتِهِمْ لِيُخْرِجُنَّ قُلُوبَهُمْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً ﴾ (٦) فكل منهما يحتمل الأمرين : حذف المسند إليه وحذف المسند ، أى فأمرى صبر جميل ، أو فصبر جميل أجمل (٧) ، وهذه سورة أنزلناها أو فيما أوحينا إليك سورة أنزلناها ، وأمركم أو الذى طلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يترتاب ، كطاعة الخالص من المؤمنين الذين طابق باطن أمرهم ظاهره ، لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها ، أو : طاعتكم طاعة معروفة ، أى بأنها بالقول دون الفعل ، أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة .

ومما يحتمل الوجهين قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ﴾ (٨) قيل : التقدير ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة ، ورد بأنه تقرير لثبوت آلهة ؛ لأن النفى إنما يكون

(١) فى قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ ﴾ . وهذا تعليل لإفادة الاختصاص .

(٢) سورة فاطر : الآية ٨ . (٣) على هذا تكون « من » شرطية .

(٤) سورة يوسف : الآية ١٨ . (٥) سورة النور : الآية ١ .

(٦) سورة النور : الآية ٥٣ .

(٧) أى من الصبر الذى ليس بجميل بأن يكون معه شكاية ، ولكنه مع هذا خير من

عدمه ، فيصح تفضيل الصبر الجميل عليه .

(٨) سورة النساء : الآية ١٧١ .

للمعنى المستفاد من الخبر دون معنى المبتدأ ، كما تقول « ليس أمراؤنا ثلاثة » فإنك تنفى به أن تكون عدة الأمراء ثلاثة دون أن تكون لكم أمراء ، وذلك ^(١) إشراك ، مع أن قوله تعالى بعده : ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ يناقضه ، والوجه أن (ثلاثة) صفة مبتدأ محذوف ، أو مبتدأ محذوف مميزه ، لا خبر مبتدأ ، والتقدير « ولا تقولوا لنا فى الوجود آلهة ثلاثة أو ثلاثة آلهة » ^(٢) ثم حذف الخبر كما حذف من لا إله إلا الله ، وما من إله إلا الله - ثم حذف الموضوع أو المميز كما يحذفان فى غير هذا الموضع ؛ فيكون النهى عن إثبات الوجود لآلهة ، وهذا ليس فيه تقرير لثبوت إلهين ، مع أن ما بعده أعنى قوله : ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ ينفى ذلك ، فيحصل النهى عن الإشراك والتوحيد من غير تناقض ، ولهذا يصح أن يتبع نفي الاثنين فيقال « ولا تقولوا لنا آلهة ثلاثة ولا إلهان » لأنه كقولنا « ليس لنا آلهة ثلاثة ولا إلهان » وهذا صحيح ، ولا يصلح أن يقال على التقدير الأول « ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة ، ولا اثنين » لأنه كقولنا « ليست آلهتنا ثلاثة ولا اثنين » وهذا فاسد ، ويجوز أن يقدر « ولا تقولوا الله والمسيح وأمه ثلاثة » ^(٣) أى لا تعبدوهما كما تعبدونه « لقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ ^(٤) فيكون المعنى ثلاثة مستوون فى الصفة والرتبة ، فإنه قد استقر فى العرف أنه إذا أريد إلحاق اثنين بواحد فى وصف وأنهما شبيهان له أن يقال « هم ثلاثة » كما يقال إذا أريد إلحاق واحد بآخر وجعله فى معناه : هما اثنان .

* واعلم أن الحذف لا بد له من قرينة ، كوقوع الكلام جواباً عن سؤال : إما محقق ^(٥) كقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ ^(٦) وقوله : ﴿ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ ^(٧) وإما مقدر ، نحو :

(١) أى تقدير ثبوت آلهة .

(٢) التقدير الأول على أنها صفة مبتدأ ، والثانى على أنها مبتدأ محذوف مميزه .

(٣) فيكون من حذف المسند إليه ، والمعنى صحيح بخلاف التقدير الذى أبطله ، وقد أجيب عنه بأن السالبة تحتمل نفى موضوعتها كما تحتمل نفى محمولها وحده ، فيكون المعنى عليه محتملا لنفى الثلاثة والاثنين أيضا ، ولكن الحمل على هذا نادر .

(٤) سورة المائدة : الآية ٧٣ .

(٥) السؤال المحقق هو المذكور فى الكلام ، والمقدر بخلافه .

(٦) سورة لقمان : الآية ٢٥ .

(٧) العنكبوت : الآية ٦٣ .

* لَيْبِكَ يَزِيدَ ضَارِعٌ لَخْصُومِهِ (١) *

وقراءة من قرأ ﴿يَسْبَحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ، رَجَالٌ﴾ (٢) وقوله : ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٣) ببناء الفعل للمفعول (٤) . وفضل هذا التركيب على خلافه أعنى نحو « لَيْبِكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ » ببناء الفعل للفاعل ونصب يزيد من وجوه : أحدها أن هذا التركيب يفيد إسناد الفعل إلى الفاعل مرتين إجمالاً ثم تفصيلاً ، والثاني أن نحو « يَزِيدُ » فيه ركن الجملة لا فضلة (٥) ، والثالث أن أوله غير مطمع للسامع في ذكر الفاعل فيكون ورود ذكره كمن تيسرت له غنيمة من حيث لا يحتسب ، وخلافه بخلاف ذلك .

ومن هذا الباب - أعنى الحذف الذى قرينته وقوع الكلام جواباً عن سؤال مقدر - قوله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ (٦) على وجه (٧) ؛ فإن ﴿لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ إن جعلاً مفعولين لجعلوا ، فالجن يحتمل وجهين : أحدهما ما ذكره الشيخ عبد القاهر (٨) من أن يكون منصوباً بمحذوف دل عليه سؤال مقدر ، كأنه قيل : من

(١) هو للحارث بن ضرار النهشلى أو الحارث بن نهيك من قوله فى رثاء يزيد بن نهشل :

لَيْبِكَ يَزِيدَ ضَارِعٌ لَخْصُومِهِ وَمَخْتَبَطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِفُ

وقبله :

سقى جدثاً أسمى بدوحة ثاويًا من الدلو والجوزاء غاد ورائح
قوله « لَيْبِكَ » بالبناء للمفعول ، والضارع : الدليل ، والمختبط : الذى يأتى إليك للمعروف من غير وسيلة ، وقوله « تطيح » بمعنى تذهب وتهلك ، والطوائع : جمع مطيحة على غير القياس ، وقياسه مطاوح أو مطيحات ، والشاهد فى حذف فعل « ضارع » إذ التقدير : يبكيه ضارع . يصفه بأنه كان ملجأً للدليل وعون المحتاج .

(٢) سورة النور : الآية ٣٦ .

(٣) سورة الشورى : الآية ٣ .

(٤) فيكون كل من لفظ الجلالة ورجال فى الآيتين فاعلاً لفعل محذوف تقديره يوحى

ويسبح .

(٥) كونه ركن الجملة يفيد الاعتناء بشأنه ، ويناسب مقام رثائه .

(٦) سورة الأنعام : الآية ١٠٠ .

(٧) هو الوجه الذى سينقله عن عبد القاهر لا الوجهان المذكوران بعده .

(٨) ١٨٧ ، ١٨٨ - دلائل الإعجاز .

جعلوا لله شركاء؟ فقليل : الجن ، فيفيد الكلام إنكار الشرك مطلقاً ، فيدخل اتخاذ الشريك من غير الجن في الإنكار دخول اتخاذ من الجن ، والثاني ما ذكره الزمخشري ، وهو أن ينتصب ﴿ الجن ﴾ بدلاً منه شركاء ، فيفيد إنكار الشريك مطلقاً أيضاً كما مر ^(١) وإن جعل ﴿ لله ﴾ لغواً ^(٢) كان ﴿ شركاء الجن ﴾ مفعولين قُدمَ ثانيهما على الأول ، وفائدة التقديم استعظام أن يُتخذَ لله شريك ملكاً كان أو جنياً أو غيرهما ، ولذلك قُدمَ اسم الله على الشركاء ، ولو لم يُن الكلام على التقديم . وقيل : « وجعلوا الجن شركاء لله » لم يفد إلا إنكار جعل الجن شركاء ، والله أعلم .

ومنه ارتفاع المخصوص في باب « نعم وبئس » على أحد القولين ^(٣) .
أغراض الذكر : وأما ذكره فيما لنحو ما مر في باب المسند إليه من زيادة التقرير ، والتعريض بغباوة السامع ، والاستلذاذ ، والتعظيم ، والإهانة ، وبسط الكلام ^(٤) .
 وإما ليتعين كونه اسماً فيستفاد منه الثبوت ^(٥) ، أو كونه فعلاً فيستفاد منه التجدد ^(٦) ، أو كونه ظرفاً ^(٧) فيسورث احتمال الثبوت والتجدد ^(٨) ، وإما لنحو ذلك .

قال السكاكي ^(٩) : وإما للتعجيب من المسند إليه بذكره ؛ كما إذا قلت « زيد

-
- (١) لأنه يكون بدل بعض من كل ، والتقدير : الجن منهم .
 (٢) أى جارا ومجرور متعلقا بشركاء مقدما عليه .
 (٣) هو قول من يجعله مبتدأ محذوف الخبر ، فيكون التقدير في قولك « نعم الرجل زيد » الممدوح ، وهو واقع جواب سؤال مقدر أيضاً ، كأنه قيل : من الممدوح ؟ وقيل : إنه خبر مبتدأ محذوف . وقيل : إنه بدل من الفاعل قبله . فالأقوال أربعة لا اثنان .
 (٤) زيادة التقرير كما في قوله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنَّ خلقهنَّ العزيزُ العليمُ ﴾ - آية ٩ سورة الزخرف ، والتعريض بغباوة السامع كما في قولك « محمد نبينا » في جواب سؤال : من نبيكم ؟ والاستلذاذ كما في قولك « هي سعاد » في جواب : هل هذه سعاد ؟ وهكذا ، ولا بد في الذكر من قرينة كما سبق في ذكر المسند إليه .
 (٥) أى الدلالة على النسبة من غير تقييد بزمان .
 (٦) أى الدلالة على الحدوث بعد العدم .
 (٧) أو جارا أو مجروراً .
 (٨) لأن نحو « زيد في الدار » تقديره زيد مستقر أو استقر في الدار . وهذا وما قبله معان أصلية للاسم والفعل والظرف ، فليست في شيء من البلاغة .
 (٩) ١١١ - المفتاح .

يقاوم الأسد « مع دلالة قرائن الأحوال ^(١) ، وفيه نظر ؛ لحصول التعجيب بدون الذكر إذا قامت القرينة ^(٢) .

* * *

(١) بأن يكون جواب سائل : « مَنْ يقاوم الأسد ؟ » .
(٢) أجيب عنه بأن القرينة على المسند لا على التعجيب ، وإنما يحصل التعجيب بذكره مع الاستغناء عنه .

تمرينات على الذكر والحذف

تمرين - ١

- ١ - لم حذف المسند في قول الشاعر :
- لولا المشقة ساد الناس كلُّهم الجودُ يُفقرُ والإقدام قتالُ
- ٢ - لم ذكر المسند بعد « بل » في قوله تعالى : ﴿ قالوا أأنْتَ فعلتَ هذا بآلهتنا يا إبراهيم ، قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ﴾ . آية ٦٢ ، ٦٣ سورة الأنبياء .

تمرين - ٢

- ١ - لم حذف المسند الأول وأعيد ذكر الثاني في قول الشاعر :
- لولا التقي لجعلتُ قبرك كعبتى وجعلتُ قولك سنّتى وكتابى
- ٢ - لم حذف المسند في قوله تعالى : ﴿ ولما ضرب ابنُ مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون ﴾ آية ٥٧ سورة الزخرف .

تمرين - ٣

- ١ - لم حذف المسند أولاً ثم المسند إليه ثانياً في قول الشاعر :
- والناسُ هذا حظُّه مالٌ وذا علمٌ وذاك مكارم الأخلاق
- ٢ - بين المحذوف والداعى إلى حذفه في قول الشاعر :
- والظيرُ أقعدها الكرى والناسُ نامتْ والوجودُ

تمرين - ٤

- ١ - لماذا حذف المسند في قولهم « أَحْشَفًا وَسُوءَ كَيْلَةٍ » ؟
- ٢ - لماذا أعيدَ ذكر المسند في قول الخنساء :
- أعِني ، جوداً ولا تجمداً ألا تبكيان لصخرِ الندى !؟
- ألا تبكيان الجوادَ الجميلَ ألا تبكيان الفتى السيدا !؟

* * *

أغراض الأفراد

وأما إفراده فلكونه غير سببي مع عدم إفادة تقوى الحكم ^(١) كقولك « زيد منطلق ، وقام عمرو » والمراد بالسببي نحو « زيد أبوه منطلق » ^(٢) .

قال السكاكي ^(٣) : وأما الحالة المقتضية لإفراده فهي إذا كان فعليا ولم يكن المقصود من نفس التركيب تقوى الحكم ، وأعني بالمسند الفعلي ما يكون مفهومه محكوماً به بالثبوت للمسند إليه أو بالانتفاء عنه ، كقولك « أبو زيد منطلق ، والكر ^(٤) من البرّستين ، وضرب أخو عمرو ، ويشكر ك بكر إن تعطه ، وفي الدار خالد » إذ تقديره « استقر أو حصل في الدار » على أقوى الاحتمالين ^(٥) لتمام الصلة بالظرف ، كقولك « الذي في الدار أخوك » ^(٦) . وفيه نظر من وجهين :

أحدهما أن ما ذكره في تفسير المسند الفعلي يجب أن يكون تفسيراً للمسند مطلقاً ^(٧) ، والظاهر أنه إنما قصد به الاحتراز عن المسند السببي ، إذ فسر المسند السببي بعد هذا بما يقابل تفسير المسند الفعلي ، ومثله بقولنا « زيد أبوه منطلق أو انطلق ، والبرّ الكر منه بستين » فجعل كما ترى أمثلة السببي مقابلة لأمثلة الفعلي مع الاشتراك في أصل المعنى ^(٨) . والثاني أن الظرف الواقع خبراً إذا كان مقدراً

(١) نحو « زيد قائم » وإنما يكون ذلك عند اقتضاء المقام له بأن يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم ؛ فلا يؤتى له بصورة تفيد تقويته ، وهي صورة تقديم الاسم على الخبر الفعلي كما سبق في المسند إليه ، وإنما اختص إفراده بذلك لأنه إذا كان سبباً أو مفيداً للتقوى كان جملة لا مفرداً .

(٢) فالسببي كل جملة علقت على مبتدأ بعائد لا يكون مسنداً إليه في تلك الجملة ؛ لأنه إذا كان مسنداً إليه فيها كان من صورة تقوية الحكم نحو « زيد ينطلق » ، والسببي نسبة إلى السبب وهو ضمير الربط .

(٣) ١١١ - المفتاح .

(٤) هو مكيال مقداره أربعون أردبا ، وقيل غير ذلك .

(٥) الاحتمال الثاني تقديره اسماً أي مستقر أو حاصل .

(٦) فإن تقديره : الذي استقر أو حصل في الدار أخوك ، ولا يصح تقدير حاصل أو مستقر فيه ؛ لأن الصلة لا تتم به ، ولكن تعين هذا في الصلة لا يوجب أرجحيته في غيرها .

(٧) لأنه يشمل المسند إذا كان فعلاً أو غيره ، نحو انطلق زيد ، وزيد منطلق ، وزيد أبوه منطلق .

(٨) يعني به المعنى الذي ذكره للفعلي ؛ لأنه يشمل كل مسند كما سبق ، فيدخل فيه السببي ، وإذا كان داخلاً في معنى الفعلي لم تصح المقابلة بين أمثلتهما .

بجملة - كما اختاره - كان قولنا « الكر من البربستين » تقديره « الكر من البر استقر بستين » ، فيكون المسند جملةً ويحصل تقوى الحكم كما مرّ ، وكذا إذا كان « فى الدار خالد » تقديره « استقر فى الدار خالد » كان المسند جملةً أيضاً ، لكون « استقر » مسنداً إلى ضمير خالد لا إلى خالد على الأصح ؛ لعدم اعتماد الظرف على شىء (١) .

أغراض كون المسند فعلاً أو اسماً : وأما كونه فعلاً فللتقييد بأحد الأزمنة الثلاثة على أخصر ما يمكن (٢) مع إفادة التجدد (٣) .

وأما كونه اسماً فلا إفادة عدم التقييد (٤) والتجدد ، ومن البين فيهما قول الشاعر :

لا يَأْلَفُ الدَرَهْمُ الْمَضْرُوبُ صُرْتَنَا لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مَنْطَلِقُ (٥)

وقوله :

أَوْكَلَّمَا وَرَدَتْ عَكَظَ قَبِيلَةٌ بَعَثُوا إِلَى عَرِيفِهِمْ يَتَوَسَّمُ (٦)

(١) مقابل الأصح يجعل خالداً فاعلاً لمتعلق الظرف ، فلا تكون جملة مركبة من مبتدأ وخبر ، وهذا إما يأتى فى الأصح إذا اعتمد الظرف على نفى أو شبهه نحو : أو فى الدار خالد ؟
(٢) نكتة الاختصار هى فى الحقيقة مرجع البلاغة فى هذا الغرض ؛ لأن دلالة الفعل على الأزمنة الثلاثة بأصل وضعه ، ووجه الاختصار بأن قولك « قام زيد أو زيد قام » يفيد مع الاختصار معنى قولك « زيد حصل منه القيام فى الزمن الماضى » ولكن هذا الاختصار لا يكاد يمتاز به بليغ عن غيره ، والذى يدخل منه فى معنى البلاغة دلالة على الاستمرار التجددى كما سيأتى .
(٣) المراد بالتجدد حصول الشئ بعد عدمه ، والفعل يدل عليه بأصل وضعه أيضاً ، وإنما تعرض لإفادته ذلك لأن من الأسماء ما يشارك الفعل فى الدلالة على أحد الأزمنة ، كاسم الفاعل ، فإنه حقيقة فى الحال مجاز فى الاستقبال .

(٤) أى بأحد الأزمنة لأنه يدل على الثبوت فقط ، وهى دلالة وضعية لا يضح عدها من وجوه البلاغة ، وإنما الذى يضح عده دلالة على الدوام بمعونة القرائن إذا كان المقام يقتضى كمال المدح أو الذم ونحوهما ، وكما سيأتى فى البيت الآتى .

(٥) هو للنضر بن جؤبة . والمشهور نصب « صرتنا » على أنه مفعول ، ولكن الأحسن نصب الدرهم ليكون عدم الإلف من جانب الصرة ، فيدل على غناهم وإنفاقهم ، أما الأول فيحتمل أن عدم إلف الدرهم صرتهم لفقرهم ، مع أنه يقصد التمدح بغناهم وجودهم ، ولهذا حمل بعضهم الجملة الاسمية « وهو منطلق » على إفادة الدوام ليكون المدح أكمل .

(٦) هو لطريف بن تميم العنبرى ، وعكاظ : سوق بين نخلة والطائف ، والعريف : القسيم الذى يقوم بأمر القوم ، يريد أنهم يبعثون إليه عريفهم من أجل شهرته وعظمته .

إذ معنى الأول على انطلاق ثابت للدرهم مطلقاً من غير اعتبار تجده وحدوثه ، ومعنى الثانى على توَسُّم وتَأْمُل ونظر بتجدد (١) من العريف هناك .

أغراض تقييد الفعل بمفعول ونحوه ، وترك تقييد الفعل :

وأما تقييد الفعل بمفعول ونحوه فلتربية الفائدة (٢) كقولك « ضربت ضرباً شديداً ، وضربت زيدا ، وضربت يوم الجمعة ، وضربت أمامك ، وضربت تأديباً ، وضربت بالسوط ، وجلست والسارية ، وجاء زيد راكباً ، وطاب زيد نفساً ، وما ضرب إلا زيد ، وما ضربت إلا زيدا (٣) » .

والمقيد فى نحو « كان زيد قائماً » هو « قائماً » لا « كان » (٤) .

وأما ترك تقييده فلما نفع من تربية الفائدة (٥) .

أغراض تقييد الفعل بالشرط : إن وإذا ولو : وأما تقييده (٦) بالشرط

(١) يريد به الدوام التجددى ، والفعل إنما يدل عليه بمعونة القرائن لأن التجدد الذى يدل الفعل عليه بأصل وضعه هو حصول الشئ بعد عدمه ، والبلاغة فى الفعل إنما تكون بدلالته على الدوام التجددى ، ومما يتبين الفرق فيه بين المسند الفعلى والمسند الاسمى قوله تعالى : ﴿ الله يستهزئ بهم ﴾ بعد قوله : ﴿ إنما نحن مُستَهزِئُونَ ﴾ آية ١٤ ، ١٥ سورة البقرة لأن دلالة الأول على الاستمرار التجددى ، وهو أبلغ .

(٢) أى تكثيرها ، ولا يخفى أن تقييد الفعل بذلك من أحوال متعلقات الفعل ، فلا معنى لذكره هنا ، ولا يخفى أيضاً أن هذا التقييد يرجع إلى أصل معانى تلك المتعلقات ، فيجب أن يكون اعتبار ذلك هنا عند وجود القرينة التى تغنى عن ذكرها ، كما اعتبر وجود القرينة فى ذكر المسند إليه والمسند ، ومثال ذلك هنا أن يقال لك : هل تحب هنداً ؟ فتقول : أحب هنداً .

(٣) الاستثناء فى الأول من الفاعل وفى الثانى من المفعول ، وقيد الفعل فيهما هو المستثنى لأنه فى الحقيقة منسوب إلى المستثنى منه المحذوف ، فيكون المستثنى قيداً فيهما وإن كان فى الأول هو الفاعل فى الظاهر .

(٤) لأن « قائماً » هو المسند ، فهو الذى يدل على الحدث المراد إسناده ، و (كان) تدل على زمانه ؛ فكأنك قلت : زيد قائم فى الزمان الماضى .

(٥) كخوف انقضاء فرصه ، أو ضيق مقام ، أو نحو ذلك من أغراض الحذف ، وبهذا يرجع اعتبار التقييد وتركه إلي اعتبارى الحذف والذكر . ومن ترك التقييد لخوف انقضاء فرصة : قول الصائد لمن معه « حبس الصيد » فلا يقول « فى الشرك » ليبادر إليه قبل فواته بالفرار أو موته قبل ذبحه .

(٦) أى الفعل مسنداً فى الجزء ، فالشرط قيد لحكم الجزء كالمفعول ونحوه ؛ لأن قولك :

« إن جئتني أكرمك » بمنزلة : أكرمك وقت مجيئك .

فلا اعتبارات لا تُعرَف إلا بمعرفة ما بين أدواته من التفصيل ، وقد بُيِّن ذلك فى علم النحو (١) ولكن لا بد من النظر ههنا فى « إن ، وإذا ، ولو » .

أما « إن وإذا » فهما للشرط فى الاستقبال (٢) ، لكنهما يفترقان فى شىء : وهو أن الأصل فى « إن » ألا يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه (٣) كما تقول لصاحبك : « إن تكرمنى أكرمك » وأنت لا تقطع بأنه يكرمك .

والأصل فى « إذا » أن يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه (٤) كما تقول : إذا زالت الشمس آتيتك . ولذلك كان الحكم النادر موقعاً لإن ؛ لأن النادر غير مقطوع به فى غالب الأمر ، وغلب لفظ الماضى مع « إذا » لكونه أقرب إلى القطع بالوقوع نظراً إلى اللفظ (٥) قال تعالى (٦) : ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ﴾ أتى (٧) فى جانب الحسنه بلفظ « إذا » لأن المراد بالحسنه الحسنه المطلقة التى حصولها مقطوع به . ولذلك عُرِّفَ تعريف الجنس (٨) . وجوز السكاكى (٩) أن يكون تعريفها للعهد ، وقال : « وهذا أقضى لحق البلاغة ، وفيه

(١) لا يخفى أن تلك الاعتبارات اعتبارات نحوية ، وليست فى شىء من اعتبارات البلاغة إلا أن ينظر إلى دلالة أدوات الشرط على تعليق الجزاء بالشرط فى أخصر عبارة ، فتكون نظير حروف العطف فيما سبق ، وذلك وجه ضعيف من وجوه البلاغة .

(٢) أى لتعليق حصول الجزاء بحصول الشرط فى الاستقبال .

(٣) بأن يتردد فى وقوعه أو يظن عدم وقوعه ، أما القطع بعدم وقوعه لاستحالة فلا تستعمل فيه « إن » إلا لنكتة كما سيأتى فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ ﴾ آية ٨١ سورة الزخرف ، ومثل « إن » فى دلالتها على ذلك باقى أدوات الشرط كما ذكره الدسوقي فى حاشيته على المختصر .

(٤) مثل القطع فى ذلك ظن وقوعه ، ولا يخفى أن الأداتين تدلان على ذلك بأصل الوضع ، ولكن إشار إحداهما على الأخرى فى موضع يصلح لهما قد يكون لاعتبارات دقيقة كما سيأتى فى أمثلتهما .

(٥) إنما كان هذا بالنظر إلى اللفظ لأن الماضى معها ينقل إلى الاستقبال .

(٦) سورة الأعراف : الآية ١٣١ .

(٧) هذه الاعتبارات تأتى فى كلام الله تعالى لأنه وارد على أساليب كلام البشر ، وإن لم يتصور فيه جزم ولا عدمه ، فيراعى فيه ذلك على فرض أنه مخلوق يجوز عليه الجزم والتردد .

(٨) يعنى الحقيقة فى ضمن فرد مبهم ، بدليل إسناد المجىء إليها .

(٩) (١٣٠) - المفتاح .

نظر^(١) ، وأتى فى جانب السيئة بلفظ « إِنْ » لأن السيئة نادرة بالنسبة إلى الحسنة المطلقة ، ولذلك نكرت^(٢) .

* ومنه قوله^(٣) تعالى : ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ أتى بإذا فى جانب الرحمة . وأما تنكيرها فجعله السكاكى^(٤) للنوعية نظراً إلى لفظ الإذاقة . وجعله للتقليل نظراً إلى لفظ الإذاقة - كما قال - أقرب^(٥) . وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ ﴾^(٦) بلفظ « إِذَا » مع الضر فللنظر إلى لفظ المس ، وإلى تنكير الضر المفيد فى المقام التوبيخى القصد إلى اليسير من الضر ، وإلى الناس المستحقين أن يلحقهم كل ضرر ، وللتنبية على أن مساس قدر يسير من الضر لأمثال هؤلاء حقّه أن يكون فى حكم المقطوع به ، وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٌ ﴾^(٧) بعد قوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ﴾ أى أعرض عن شكر الله وذبح بنفسه وتكبر وتعظم ؛ فالذى تقتضيه البلاغة أن يكون الضمير فى « مسه » للمعرض المتكبر ، ويكون لفظ (إِذَا) للتنبية على أن مثله يحق أن يكون ابتلاؤه بالشر مقطوعاً به .

* قال الرمخشري : وللجهل بموقع « إِنْ وَإِذَا » يزيع كثير من الخاصة عن الصواب فيغلطون ؛ ألا ترى إلى عبد الرحمن بن حسان^(٨) كيف أخطأ بهما الموقع فى قوله يخاطب بعض الولاة وقد سأله حاجة فلم يقضها ، ثم شفع له فيها فقضاها :

(١) وجهه أنه ذكر أن المراد الحسنة المطلقة ، والإطلاق ينافى العهد ، وأجيب عنه بأنه يريد العهد على مذهبه من تنزيل الحقيقة منزلة المعهود لاعتبارات ، والذي ينافى الإطلاق العهد الحقيقى الذى يراد فيه فرد معين ، وإنما كان ذلك أقضى لحق البلاغة لأن المعهود أقرب إلى التحقق من الجنس الذى لا عهد فيه ، ولكن هذا لا يخلو من تكلف .

(٢) لأن التنكير فى أصله يفيد التقليل لدلالته على الوحدة ، بخلاف « ال » الجنسية .

(٣) سورة الروم : الآية ٣٦ . (٤) ١٣٦ - المفتاح .

(٥) لأن الإضافة أثرها أضعف من غيرها ، وقد اعترض على هذا بأنه ينافى ما ذكره فى الآية السابقة من أن إطلاق الحسنة المفيد للتكثير هو الذى يناسب « إِذَا » فلا يكون التقليل هنا فى الرحمة مناسباً لها .

(٦) سورة الروم : الآية ٣٣ . (٧) سورة فصلت : الآية ٥١ .

(٨) قيل إن هذه القصة وما فيها من الشعر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان .

ذُمَّتْ وَلَمْ تُحْمَدْ وَأَدْرَكَتْ حَاجَتِي تَوَلَّى سِوَاكُمْ أَجْرَهَا وَاصْطَنَاعَهَا
أَبَى لَكَ كَسْبَ الْحَمْدِ رَأَى مُقْصَر وَنَفْسٌ أَضَاقَ اللَّهُ بِالْخَيْرِ بَاعَهَا
إِذَا هِيَ حَثَّتْهُ عَلَى الْخَيْرِ مَرَّة عَصَاهَا وَإِنْ هَمَّتْ بِشَرٍّ أَطَاعَهَا
فَلَوْ عَكْسَ لِأَصَابِ » (١) .

وقد تستعمل « إن » في مقام القطع بوقوع الشرط لنكتة :

كالتجاهل لاستدعاء المقام إياه (٢) .

وكعدم جزم المخاطب ؛ كقولك لمن يكذبك (٣) فيما تخبر : إن صدقت فقل

لى ماذا تفعل ؟ » .

وكتنزيه منزلة الجاهل (٤) لعدم جريه على موجب العلم ، كما تقول لمن يؤذى

أباه : « إن كان أباك فلا تؤذه » .

وكالتوبيخ على الشرط ، وتصوير أن المقام لاشتماله على ما يقلعه عن أصله لا

يصلح إلا لفرضه كما يفرض المحال لغرض (٥) كقوله تعالى : ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ

الذِّكْرَ صَفْحًا إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴾ (٦) فيمن قرأ « إن » بالكسر لقصد التوبيخ

والتجهيل في ارتكاب الإسراف ، وتصوير أن الإسراف من العاقل في هذا المقام واجب

الانتفاء ، حقيقاً ألا يكون ثبوته له إلا على مجرد الفرض .

وكتغليب غير المتصف بالشرط على المتصف به (٧) ، ومجىء قوله تعالى :

(١) يعني بالعكس أن يقول « إن هي حثته ، وإذا همت » ووجه الصواب فيه أنه هو

المناسب لما يقصده من الهجاء ، وأجيب عنه بأنه يقصد في « إذا » إثبات حث نفس الوالى له

على الخير وأنه مع ذلك يعصيه ، وهو أبلغ في الذم ، وبأنه يقصد في « إن » أنه يبادر إلى الشر

بمجرد توهم نفسه له ، وهو أبلغ في الذم أيضا .

(٢) كأن يسأل خادم عن سيده : هل هو في الدار ؟ وهو يعلم أنه فيها ، فيقول « إن كان

فيها أخبرك » فيتجاهل خوفاً من سيده .

(٣) أى لمن يجوز كذبك ؛ لأن المقام في عدم جزم المخاطب .

(٤) يعني به الشاك لأنه هو الأصل في استعمال « إن » ، والفرق بين هذا وما قبله أن

الشك غير حقيقى هنا ، وفيما قبله حقيقى .

(٥) كإرخاء العنان لإلزام الخصم .

(٦) سورة الزخرف : الآية ٥ . بقراءة : « أن كنتم » .

(٧) يعني تغليب المشكوك في اتصافه بالشرط على المجزوم باتصافه به ، ولا يعني تغليب

المجزوم بعدم اتصافه به على المجزوم فيه بذلك ؛ لأن كلا منهما ليس هو المقام الأصلي لها ، والمراد

تغليب مقامها الأصلي على غيره .

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾^(١) ، وإن ، يحتمل أن يكون للتوبيخ على الريبة لاشتغال المقام على ما يقلعها عن أصلها ، ويحتمل أن يكون لتغليب غير المرتابين من المخاطبين على المرتابين منهم^(٢) ؛ فإنه كان فيهم من يعرف الحق وإنما ينكر عناداً^(٣) وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ ﴾^(٤) .

استطراد إلى التغليب : والتغليب باب واسع^(٥) يجرى في فنون كثيرة^(٦) .

(١) سورة البقرة : الآية ٢٣ .

(٢) اعترض على هذا بأن ما هنا جمع بين مراتب يقينا وغير مراتب يقينا ، وكل منهما لا تستعمل فيه « إن » ؛ فالوجه أن يجعل من تغليب من يشك في ارتيابه كالمنافقين على غيرهم . ويمكن أن يجعل من تغليب غير المرتابين على المرتابين على أنه بعد التغليب صار الجميع بمنزلة غير المرتابين ، فصار الشرط قطعاً الانتفاء ، فاستعمل « إن » فيه على سبيل الفرض للتبكيك والإلزام ، ولا يخفى ما في هذا من التكلف .

(٣) هؤلاء هم غير المرتابين .

هذا وكما تستعمل « إن » في مقام القطع بوقوع الشرط لنكتة ، تستعمل في مقام القطع بعدم وقوعه لنكتة أيضاً ، وذلك كالتبكيك والإلزام الخصم والمبالغة ونحو ذلك ، ومن هذا الاستعمال قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ آية ٨١ سورة الزخرف . وقد تستعمل « إذا » في مقام الشك لنكتة ، كالإشعار بأن الشك في الشرط لا ينبغي أن يكون ، كقولك لمن قال : لا أدري هل يتفضل على الأمير ؟ : إذا تفضل عليك فكيف يكون شكرك ؟ للإشعار بأن الأمير لا ينبغي الشك في تفضله . وقد تستعمل في ذلك أيضاً لتغليب المتصف بالشرط على غير المتصف به ، ولكن استعمال « إذا » في مقام الشك نادر ، بخلاف استعمال « إن » في مقام الجزم .

(٤) سورة الحج : الآية ٥ .

(٥) لا يخفى أن التغليب معدود في المحسنات البديعية ، فلا معنى لذكره هنا ، وهو إعطاء أحد المتصاحبين أو المتشابهين حكم الآخر بجعله موافقاً له في الهيئة أو المادة . فالأول كقوله تعالى : ﴿ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانَتَيْنِ ﴾ والثاني كالأبوين للأب والأم ، وكالقمرين للقمر والشمس ، وقيل إن التغليب من المجاز المرسل لعلاقة المجاورة ، أو من باب عموم المجاز ، بأن يراد من (القانتين) مثلاً الذوات المتصفة بالقنوت ، ويصح بهذا أن يلحق التغليب بعلم البيان ، والحق أنه ليس من المجاز ؛ لأن المجاز نقل اللفظ من معنى إلى آخر ، أما التغليب فهو كالمشكلة الآتية في البديع ، وإنما ينقل فيه المعنى من لباس إلى لباس لا اللفظ ، وهذا إلى أنه لا علاقة فيه من مجاورة أو غيرها ؛ لأن علاقة المجاورة تكون بين مدلولي اللفظين لا بين اللفظين .

(٦) أى يجرى في أساليب من الكلام لأعتبارات مختلفة غير محدودة ولا مضبوطة ، وشأنه في ذلك شأن غيره من المحسنات البديعية .

كقوله تعالى : ﴿لُخْرِجْنَا يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ (١) أدخل شعيب عليه السلام في : ﴿لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ بحكم التغليب إذ لم يكن شعيب في ملتهم أصلاً ، ومثله قوله تعالى : ﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ﴾ (٢) وكقوله تعالى : ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانَتِينَ﴾ (٣) عُدَّتْ الأنثى من الذكور بحكم التغليب (٤) وكقوله تعالى : ﴿فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ (٥) عُدَّ إبليس من الملائكة بحكم التغليب ، وكقوله تعالى : ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (٦) بقاء الخطاب ، غلبَ جانب (أنتم) على جانب (قوم) (٧) . ومثله ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٨) فيمن قرأ بالثناء (٩) وكذلك قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٠) غلبَ المخاطبون في قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ على الغائبين (١١) في اللفظ، والمعنى على إرادتهما جميعاً ؛ لأن (لعل) متعلقة بـ (خلقكم) لا بـ (اعبدوا) (١٢) ، وهذا من غوامض التغليب . وكقوله تعالى : ﴿جَعَلْ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ﴾ (١٣) فَإِنَّ الخطاب فيه (١٤) شامل للعقلاء والأنعام ، فغلب فيه المخاطبون (١٥) على

(١) سورة الأعراف : الآية ٨٨ . (٢) سورة الأعراف : الآية ٨٩ .

(٣) سورة التحريم : الآية ١٢ .

(٤) هذا على أن « من » تبعيضية ، ويجوز جعلها ابتدائية على أن المراد بالقانتين آباؤها الأولون كإبراهيم وإسحاق ، والأول أبليغ لما في التغليب من الإشعار بأنها بلغت في طاعتها مبلغ أولئك الرجال القانتين حتى عُدَّتْ منهم .

(٥) سورة البقرة : الآية ٣٤ . (٦) سورة النمل : الآية ٥٥ .

(٧) قيل : إن ذلك التفات من الغيبة إلى الخطاب ، وردَّ بأن الخطاب فيه مسبوق بخطاب مثله ، فلم يجر على خلاف السياق حتى يكون التفاتا .

(٨) سورة هود : الآية ١٢٣ .

(٩) غلب فيها خطاب النبي في قوله تعالى قبل ذلك : ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ على من ورد ذكرهم قبله في قوله : ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾ .

(١٠) سورة البقرة : الآية ٢١ .

(١١) في قوله : ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ . والمخاطبون هم الناس في قوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ وهم أمة دعوة النبي ﷺ .

(١٢) فلو تعلقت به لم يكن ذلك من التغليب ؛ لأنه يراد به المخاطبون وحدهم .

(١٣) سورة الشورى : الآية ١١ .

(١٤) أى في قوله (يذُرُّكُمْ) .

(١٥) أى في قوله (وجعل لكم) .

الْغَيْبُ (١) والعقلاء (٢) على الأنعام (٣) . وقوله تعالى : ﴿ يَذُرُوكُمْ فِيهِ ﴾ أى يبيثكم ويكثركم فى هذا التدبير ، وهو أن جعل للناس والأنعام أزواجا حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل ، فجعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبيت والكثير ، ولذلك قيل ﴿ يَذُرُوكُمْ فِيهِ ﴾ ولم يقل « به » كما فى قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ (٤) .

واعلم أنه لما كانت هاتان الكلمتان لتعليق أمر بغيره - أعنى الجزاء بالشرط - فى الاستقبال (٥) ، امتنع فى كل واحدة من جملتيهما الثبوت وفى أفعالهما المضى ؛ أعنى أن يكون كلتا الجملتين أو إحداهما اسمية ، أو كلا الفعلين أو أحدهما ماضيا - ولا يخالف ذلك لفظاً (٦) نحو : « إِنْ أَكْرَمْتَنِي أَكْرَمْتُكَ ، وَإِنْ أَكْرَمْتَنِي أَكْرَمْتُكَ ، وَإِنْ تَكْرَمْنِي أَكْرَمْتُكَ ، وَإِنْ تَكْرَمْنِي فَأَنْتَ مَكْرَمٌ ، وَإِنْ أَكْرَمْتَنِي الْآنَ فَقَدْ أَكْرَمْتَنِي أَمْسَ » إلا لنكتة ما (٧) مثل إبراز غير الحاصل فى صورة الحاصل ؛ إما لقوة الأسباب المتأخذة فى وقوعه ، كقولك « إِنْ اشْتَرَيْنَا كَذَا » حال انعقاد الأسباب فى ذلك . وإما لأن ما هو للوقوع كالواقع ، كقولك « إِنْ مِتُّ كَانَ كَذَا وَكَذَا » كما سبق ، وإما

(١) هم الأنعام . (٢) هم المخاطبون .

(٣) لأنه جمع ما لا يعقل ؛ فالأفصح فيه إفراد الضمير العائد عليه ، لكنه غلب عليه

العقلاء فجمع الضمير .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٧٩ ، فقد جعل القصاص كالمنبع للحياة .

(٥) متعلق بمحذوف تقديره كائنين فى الاستقبال ، ولا يتعلق بالمصدر وهو « تعليق »

لأنه حاصل فى الحال لا فى الاستقبال .

(٦) أما فى المعنى فالاستقبال باق على حاله ، ولو قلت « إِنْ أَكْرَمْتَنِي الْآنَ فَقَدْ أَكْرَمْتَنِي أَمْسَ » لأن معناه إِنْ تَعْتَدَ بِإِكْرَامِي الْآنَ أَعْتَدَ بِإِكْرَامِكَ أَمْسَ ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ آية ٤ سورة فاطر ؛ لأن جواب الشرط فيه محذوف تقديره فاصبر . وقد تستعمل « إِنْ » فى الماضى لفظاً ومعنى باطراد مع « كَانَ » كقوله تعالى ﴿ إِنْ كُنْتَ قُلْتَ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾ آية ١١٦ سورة المائدة ، وعلى قلة مع غيرها ، كقول أبى العلاء :

فيا وطني إِنْ فَاتَنِي بِكَ سَابِقٌ
مِنَ الدَّهْرِ فَلْيَنْعَمْ لِسَاكِنِكَ الْبَالُ

وقد تستعمل « إِذَا » فى الماضى كذلك ، كما فى قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ

الْصَّادِقِينَ قَالَ انْضَحُوا ﴾ آية ٩٦ سورة الكهف ، وهذا استعمال لغوى لهما لا يحتاج إلى نكتة

كاستعمالها فى الماضى لفظاً فقط .

(٧) المثال الأخير على تقدير « إِنْ تَعْتَدَ بِإِكْرَامِي الْآنَ أَعْتَدَ بِإِكْرَامِكَ أَمْسَ » كما سبق .

للتفاؤل ، وإما لإظهار الرغبة في وقوعه (١) نحو « إن ظفرت بحسن العاقبة فهو المرام » فإن الطالب إذا تبالغت رغبته في حصول أمر يكثر تصوُّره إياه ، فرمما يخيل إليه حاصلًا ، وعليه قوله تعالى : ﴿ ولا تُكْرَهُوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً ﴾ (٢) وقد يقوى هذا التخييل عند الطالب حتى إذا وجد حكم الحس بخلاف حكمه غلطه تارة ، واستخرج له محملاً أخرى ، وعليه قول أبي العلاء المعري :

ما سرتُ إلا وطيفُ منك يصحبني سرى أمامي وتأويلاً على أثرى (٣)
يقول : لكثرة ما ناجيتُ نفسي بك انتقشت في خيالي ، فأعدك بين يدي مغالطاً للبصر بيلة الظلام إذا لم يدركك ليلاً أمامي ، وأعدك خلفي إذا لم يتيسر لي تغليظه حين لا يدركك بين يدي نهاراً .

وإما لنحو ذلك .

قال السكاكي (٤) : أو للتعريض (٥) ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾ (٦) وقوله تعالى : ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين ﴾ (٧) وقوله : ﴿ فيان زلتم من بعد ما جاءكم البينات ﴾ (٨) .

(١) التفاؤل للسامع وهو ذكر ما يسره ، والرغبة من المتكلم ، والمثال المذكور صالح لهما .

(٢) آية ٣٣ سورة النور . ومعنى إظهار الرغبة في حقه تعالى إظهار كمال رضاه لتنزهه تعالى عن الرغبة .

(٣) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبي العلاء المعري ، والظيف : الخيال ، السرى : السير ليلاً ، والتأويب : السير نهاراً مشتق من الأوب ؛ لأن الغالب أنهم يسيرون ليلاً ويؤوبون إلى منازلهم نهاراً ، وفي البيت تعقيد ظاهر .

(٤) ١٣٣ - المفتاح .

(٥) معطوف على ما ذكره السكاكي من الأسباب السابقة لإبراز غير الحاصل في صورة الحاصل ، وإنما صرح الخطيب باسم السكاكي في هذا السبب مع أن ما سبق منقول عنه ؛ لأن التعريض يحصل في ذلك ، ولو غير المضارع بدل الماضي ، فلا يصح نكتة للتعبير بالماضي دونه كالأسباب السابقة ، وأجيب عن السكاكي بأن ذكر المضارع في ذلك لا يفيد التعريض لكونه على أصله . والحق أنه يفيد لأن مبنى التعريض فيه على نسبة الفعل إلى من لا يصح وقوعه منه ، وهي حاصلة في المضارع كالماضي .

(٦) سورة الزمر : الآية ٦٥ .

(٧) سورة البقرة : الآية ١٤٥ .

(٨) سورة البقرة : الآية ٢٠٩ .

ونظيره في التعريض قوله تعالى : ﴿ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١) . المراد : وما لكم لا تعبدون الذي فطركم ، والمنبئ عليه (٢) ﴿ تُرْجَعُونَ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرَدِّنَ الرِّحْمَنُ بُضْرًا لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُون * إِنِّي إِذَا لَفَى ضَلَالٌ مُبِينٌ ﴾ (٣) إذ المراد - أتخذون من دونه آلهة إن يردكم الرحمن بضرًا لا تغن عنكم شفاعتهم شيئًا ، ولا ينقذوكم إنكم إذا لفي ضلال مبين ، ولذلك قيل (٤) ﴿ آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ دون (برى) وأتبعه ﴿ فاسمعون ﴾ .

ووجه حسنه (٥) تطلب إسماع المخاطبين - الذين هم أعداء السمع - الحق على وجه لا يورثهم مزيد غضب ، وهو ترك التصريح بنسبتهم إلى الباطل ومواجهتهم بذلك ، ويعين على قبوله (٦) ، لكونه أدخل في إمحاض النصح لهم ، حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه ، ومن هذا القبيل قوله : ﴿ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُنْصَلُونَ عَمَّا نَعْمَلُ ﴾ (٧) - فإن من حق النسق من حيث الظاهر « قل لا تسألون عما عملنا ولا نسال عما تجرمون » وكذا ما قبله : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٨) - قال السكاكي رحمه الله (٩) : وهذا النوع من الكلام يسمى المنصف .

ومما يتصل بما ذكرناه أن الزمخشري قدر قوله تعالى : ﴿ وَوَدَّوْا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ (١٠) عطفًا على جواب الشرط في قوله : ﴿ إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدَّوْا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ ،

(١) آية ٢٢ سورة يس . وإنما كان نظيره ولم يكن منه لخلوه عن أداة الشرط .

(٢) لأنه لولا التعريض لكان المناسب للسياق « وإليه أرجع » ، وقد سبق التمثيل بالآية للالتفات ، ولا منافاة بينه وبين التعريض .

(٣) سورة يس : الآيات ٢٣ ، ٢٤ .

(٤) في قوله تعالى بعد الآيتين ٢٣ ، ٢٤ السابقتين : ﴿ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فاسمعون ﴾ .

(٥) أى حسن هذا التعريض في قوله تعالى : ﴿ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ وما بعده . أما التعريض في قوله : ﴿ لَعَنَ أَشْرَكَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ فيفيد نسبته إليهم على وجه أبلغ من التصريح بنسبته إليهم .

(٦) أى قبول الحق . (٧) سورة سبأ : الآية ٢٥ .

(٨) الضمير في قوله « قبله » يعود إلى قوله ﴿ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ ﴾ الآية .

(٩) ١٣٣ - المفتاح .

(١٠) سورة الممتحنة : الآية ٢ .

وقال : الماضى وإن كان يجرى فى باب الشرط مجرى المضارع فى علم الإعراب (١) فإن فيه نكتة ، كانه قيل : وودوا قبل كل شىء كفركم وارتدادكم ؛ يعنى أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعاً من قتل الأنفس وتمزيق الأعراض وردكم كفاراً . وردكم كفاراً أسبق المضار عندهم وأولها ؛ لعلمهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم ؛ لأنكم بذالون لها دونه ، والعدو أهم شىء عنده أن يقصد أعز شىء عند صاحبه . هذا كلامه ، وهو حسن دقيق ، لكن فى جعل ﴿ وودوا لو تكفرون ﴾ عطفاً على جواب الشرط نظر ؛ لأن واداتهم أن يرتدوا كفاراً حاصلة وإن لم يظفروا بهم ؛ فلا يكون فى تقييدها بالشرط فائدة ؛ فالأولى أن يجعل قوله : ﴿ وودوا لو تكفرون ﴾ عطفاً على الجملة الشرطية كقوله تعالى : ﴿ وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون ﴾ (٢) .

لو : وأما « لو » فهى للشرط فى الماضى مع القطع بانتفاء الشرط ؛ فيلزم انتفاء الجزاء (٣) كانتفاء الإكرام فى قولك « لو جئتنى لأكرمك » ولذلك قيل : هى لامتناع الشىء لامتناع غيره (٤) ، ويلزم كون جملتيها فعليتين وكون

(١) لأنه ينقلب فيه من المضى إلى المستقبل .

(٢) آية ١١١ سورة آل عمران فإن قوله : ﴿ لا ينصرون ﴾ معطوف على الجملة الشرطية .

(٣) يعنى أن « لو » موضوعة للدلالة على امتناع الجزاء ، وعلى أن امتناعه ناشئ عن امتناع الشرط ، ولا يريد أن دلالتها على امتناع الشرط بالوضع وعلى امتناع الجزاء باللزوم ، فلا يعترض عليه بأن الشرط سبب فى الجزاء ، ولا يلزم من انتفاء السبب انتفاء المسبب ؛ لأنه يجوز أن يكون له سبب آخر غيره ، وإذا كان هذا معنى « لو » بالوضع فإنه يلزمه أن العلم بامتناع الشرط لأجل العلم بامتناع الجزاء ، وبهذا يكون لها معنيان : أحدهما وضعى ، وهو الشائع فى القرآن والحديث وأشعار العرب ، كقول الحماسى :
ولو طار ذو حافر قبـلها
لطار ولكنه لم يطـر

وقول أبى العلاء :
ولو دامت الدُّولاتُ كانوا كغيرهم
رعايا ولكن ما لهنَّ دوام

وثانيهما عقلى ، وهو المعتمد فى علم المنطق والشائع فى مقام الاستدلال العقلى ، وعليه قوله تعالى : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ آية ٢٢ سورة الأنبياء ؛ لأن الغرض منه الاستدلال بامتناع الفساد على امتناع تعدد الآلهة دون العكس .

(٤) أى لامتناع الجزاء لامتناع الشرط ؛ لأن « لو » فى كلامهم إنما تستعمل فى الشرط الذى لا سبب سواه لجزائه ، فإذا حصل حصل ، وإذا انتفى انتفى .

الفعل ماضياً (١) ؛ فدخلوها على المضارع (٢) فى نحو قوله تعالى : ﴿ لَوْ يُطِيعُكُمْ فى كثير من الأمر لعنتُمْ ﴾ (٣) لقصد استمرار الفعل فيما مضى وقتاً فوقتاً (٤) ، كما فى قول الله تعالى : ﴿ الله يستهزئ بهم ﴾ (٥) بعد قوله : ﴿ إنما نحن مُستهزئون ﴾ (٦) وفى قوله تعالى : ﴿ فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون ﴾ (٧) .

ودخلوها عليه فى نحو قوله : ﴿ ولَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ ﴾ (٨) وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ (٩) لتنزيله منزلة الماضى لصدوره عَمَّنْ لا خلاف فى إخباره ، كما نزل ﴿ يودُ ﴾ ﴿ منزلة ﴾ « وُدَّ » فى قوله تعالى : ﴿ ربما يودُّ الذين كفروا ﴾ (١٠) . ويجوز أن يُردَّ الغرض من لفظ « ترى ويود » إلى استحضر صورة (١١) رؤية المجرمين ناكسي الرؤوس قائلين لما يقولون ، وصورة رؤية الظالمين موقوفين عند ربهم متقاولين بتلك المقالات ، وصورة ودادة

(١) ذهب المبرد إلى أنها قد تستعمل وضعاً فى المستقبل ، فلا يلتبس لها فيه نكتة ، كقول الشاعر :

ولو تلتقى أصدأؤنا بعد موتنا من دون رمسينا من الأرض سبب
لظلُّ صدَى صوتى وإن كنتُ رمةً لصوتِ صدَى ليلَى يَهْشُ وَيُطْرَبُ

(٢) هذا هو الذى يدخل فى معنى البلاغة من استعمال « لو » وغيره استعمالاً وضعى لا

بلاغى . (٣) سورة الحجرات : الآية ٧ .

(٤) فيكون المعنى فى الآية أن امتناع عنتهم بسبب امتناع استمراره على إطاعتهم .

(٥) سورة البقرة : الآية ١٥ .

(٦) فلم يقل « الله مستهزئ بهم » كما قالوا « نحن مستهزئون » لأن المضارع يفيد استمرار الاستهزاء على سبيل التجدد ، وهو أبلغ من الاستمرار والثبوت الذى تفيد الجملة الاسمية .

(٧) آية ٧٩ سورة البقرة . إذ لم يقل « مما كسبوا » كما قال « مما كتبت أيديهم » لأن

كسبهم يتجدد ، بخلاف ما كتبه .

(٨) سورة السجدة : الآية ١٢ . (٩) سورة سبأ : الآية ٣١ .

(١٠) آية ٢ سورة الحجر ؛ لأن الفعل الواقع بعد « رب » المكفوفة يجب أن يكون ماضياً

عند ابن السراج وأبى على ، والجمهور لا يوجبون ذلك .

(١١) الحق أن هذا إنما يكون فى حكاية الحال الماضية ، كما فى قوله تعالى : ﴿ ونقلبهم

ذات اليمين وذات الشمال ﴾ آية ١٨ سورة الكهف . ولم يثبت فى كلامهم حكاية الحال المستقبلية كما هنا ، وقيل : إن ما هنا من حكاية الحال الماضية بعد تنزيل المضارع منزلة الماضى ، وهو تكلف ظاهر .

الكافرين لو أسلموا كما فى قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَثِيرَ سَحَابًا فُسْقَنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ (١) إِذْ قَالَ ﴿ فَتَثِيرَ سَحَابًا ﴾ استحضاراً (٢) لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة ، من إثارة السحاب مستخراً بين السماء والأرض ، تبدو فى الأول كأنها قطنٌ مندوف ، ثم تتضامٌ متقلبة بين أطوار حتى يعدن ركاماً . وكقول تأبط شراً (٣) :

أَلَا مَنْ مُبْلَغُ فُتَيَانَ فَهَـمَّ بِمَا لَاقَيْتُ عِنْدَ رَحَا بَطَانَ (٤)
بَأْنَى قَدْ لَقَيْتُ الْغُولَ تَهْوَى بِسَهْبٍ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانَ (٥)
فَقُلْتُ لَهَا كَلَانَا نَضُو أَرْضَ أَخُو سَفَرٍ فَخَلَّى لِي مَكَانِي (٦)
فَشَدَّتْ شِدَّةً نَحْوَى فَأَهْوَتْ لَهَا كَفَى بِمَصْقُولٍ يَمَانِي
فَأَضْرَبَهَا بِلَا دَهَشٍ فَخَرَّتْ صَرِيْعًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجِرَانِ (٧)

إِذْ قَالَ « فَأَضْرِبْهَا » ليصور لقومه الحالة التى تشجع فيها على ضرب الغول كأنه يُبصرهم إياها ، ويتطلب منهم مشاهدتها تعجباً من جرائته على كل هول وثباته عند كل شدة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٨) إِذْ قَالَ : ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ دون « كُنْ فَكَانَ » وكذا قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (٩) .

* * *

(١) سورة فاطر : الآية ٩ .

(٢) هذا من استحضار الحال الماضية ، فلا يصح قياس ما سبق عليه .

(٣) هذا لقب غلب عليه ، واسمه ثابت بن جابر بن سفيان ، وقيل : إن الأبيات لأبى

الغول الطهوى .

(٤) فهم : قبيلة تأبط شراً ، ورحا بطان : موضع .

(٥) قوله « تهوى » بمعنى تسرع ، والسهب : الفلاة ، والصحصحان : ما استوى من الأرض .

(٦) النضو : المهزول من كل شيء ، فعل بمعنى مفعول ، كأنه نُضِيَ وأُخرج عن لحمه من

جذبها .

(٧) صريعاً : فعيل بمعنى مفعول يستوى فيه الذكر والمؤنث ، والجران : فى الأصل مقدم

عنق البعير من مذبحة إلى منحره .

(٨) سورة آل عمران : الآية ٥٩ . (٩) سورة الحج : الآية ٣١ .

تمرينات على إفراد المسند واسميته وفعليته وتقييده وترك تقييده

تمرين - ١

- ١ - بين الداعى إلي فعلية المسند وظرفيته في قوله تعالى : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ آية ٣٩ سورة الرعد .
- ٢ - لِمَ أَتَى الْمُتَنَبِّى بِالْمَسْنَدِ فَعَلًا ثُمَّ ظَرْفًا فِي قَوْلِهِ :
تُدَبِّرُ شَرْقَ الْأَرْضِ وَالْغَرْبَ كَفَّهُ وَلَيْسَ لَهَا يَوْمًا عَنِ الْجُودِ شَاغِلٌ

تمرين - ٢

- بين ما يستفاد من اسمية المسند وفعليته في قول الشاعر :
- ١ - سَلَامٌ عَلَى الْقَبْرِ الَّذِي لَا يَجِيبُنَا وَنَحْنُ نَحْيَى تَرْبُهُ وَنَخَاطِبُهُ
 - ٢ - يَهْوَى الثَّنَاءَ مُبْرَزٌ وَمَقْصَرٌ حُبُّ الثَّنَاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ

تمرين - ٣

- ١ - افرق بين الدوام الذى تفيده اسمية المسند بمعونة القرائن ، والدوام الذى تفيده فعليته بمعونة القرائن .
- ٢ - أيهما أحسن في تقدير متعلق الظرف والجار والمجرور ؟ وهل يدخل هذا في البلاغة أو لا يدخل ؟

تمرين - ٤

- ١ - لِمَ عَبَّرَ بِإِنْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سَحَرٌ مُسْتَمَرٌّ ﴾ آية ٢ سورة القمر .
- ٢ - لِمَ عَبَّرَ بِإِذَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ﴾ آية ١ - ٣ سورة النصر .

* * *

أغراض التنكير

وأما تنكيره : فإما لإرادة عدم الحصر والعهد ^(١) كقولك « زيد كاتب ، وعمرو شاعر » ، وإما للتنبيه على ارتفاع شأنه أو انخفاضه على ما مر في المسند إليه كقوله تعالى : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٢) أى : هُدًى لَا يُكْتَنَهُ كنهه ^(٣) .

أغراض التخصيص بالإضافة والوصف وتركه : وأما تخصيصه بالإضافة أو الوصف فلتكون الفائدة أتم كما مر ^(٤) ، وأما ترك تخصيصه بهما فظاهر مما سبق ^(٥) .

غرض التعريف : وأما تعريفه ^(٦) فلإفادة السامع إما حكماً على أمر معلوم له

(١) لأن تعريف المسند إذا كان بأداة عهدية أو بمضمرة أو اسم إشارة أفاد العهد ، وإذا كان بأداة جنسية أو بموصول أفاد الاستغراق المستلزم للحصر ، وقد يفيد في هذا غير الحصر كما سيأتى .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢ .

(٣) فالتنكير في ذلك للتعظيم ، ومن التنكير للتحقير. قول قيس بن جروة يخاطب عمرو

ابن هند :

غدرت بأمر كنت أنت دعوتنا إليه وبئس الشئمة الغدرُ بالعهد

وقد يترك الغدرُ الفتى ، وطعامه إذا هو أمسى ، حلبة من دم الفصد

(٤) من أن زيادة الخصوص توجب تمام الفائدة ، وإنما ذكر الإضافة هنا مع الوصف لاتحادها معه في ذلك الغرض ، وقد ذكر السعد أن جعل معمولات المسند كالحال ونحوه من التقييد ، وجعل الإضافة والوصف من التخصيص إنما هو مجرد اصطلاح ؛ لأنه لا فرق بينهما في ذلك ، ولا يخفى أن أغراض الإضافة والوصف في المسند إليه تأتي هنا أيضاً . - ومن التخصيص بالإضافة قول الشاعر :

حمى الحديدُ عليهم فكأنه ومضانُ برق أو شعاع شمس

ومن التخصيص بالوصف قول الشاعر :

وكنْتُ امرأ لا أسمعُ الدهرُ شُبةً أُسبُّ بها إلا كشفتُ غطاءها

(٥) أى في ترك تقييد المسند من أنه يكون مانع من تربية الفائدة ، وذلك كقصد الإخفاء

عن السامعين ونحو ذلك .

(٦) أخرة هنا عن الكلام على التنكير ، وذكر بينهما للتخصيص بالإضافة والوصف ، ولا

يخفى أن أغراض الإضافة من أغراض التعريف ، وأن أغراض الوصف من أغراض التوابع ، وما كان

أحسن لو رتب الكلام هنا كما رتب في باب المسند إليه .

بطريق من طرق التعريف بأمر آخر معلوم له كذلك (١) . وإما لازم حكم بين أمرين كذلك (٢) - تفسير هذا أنه قد يكون للشيء صفتان من صفات التعريف ويكون السامع عالماً باتصافه بإحدهما دون الأخرى (٣) - فإذا أردت أن تخبره بأنه متصف بالأخرى تعمد إلى اللفظ الدال على الأولى وتجعله مبتدأ ، وتعمد إلى اللفظ الدال على الثانية وتجعله خبراً ، فتفيد السامع ما كان يجهله من اتصافه بالثانية كما إذا كان للسامع أخ يسمى زيداً وهو يعرفه بعينه واسمه ، ولكن لا يعرف أنه أخوه ، وأردت أن تعرفه أنه أخوه ، فتقول له « زيد أخوك » سواء عرف أن له أخاً ولم يعرف أن زيداً أخوه ، أو لم يعرف أن له أخاً أصلاً (٤) ، وإن عرف أن له أخاً في الجملة (٥) وأردت أن تُعينه عنده قلت « أخوك زيد » ، أما إذا لم يعرف أن له أخاً أصلاً فلا يقال ذلك ؛ لامتناع الحكم بالتعين على من لا يعرفه المخاطب أصلاً ؛ فظهر الفرق بين قولنا « زيد أخوك » وقولنا « أخوك زيد » .

وكذا إذا عرف السامع إنساناً يسمى زيداً بعينه واسمه ، وعرف أنه كان من إنسان انطلق ، ولم يعرف أنه كان من زيد أو غيره ، فأردت أن تعرفه أن زيداً هو ذلك المنطلق (٦) فتقول « زيد المنطلق » ، وإن أردت أن تعرفه أن ذلك المنطلق هو زيد قلت : « المنطلق زيد » (٧) .

(١) لا يقال : إنه يلزم من علم السامع بكل منهما أن يكون هذا إخباراً بمعلوم له ؛ لأن المراد أنه يعلم كلا منهما ويجهل إسناد أحدهما إلى الآخر ، وإنما جعل الحكم في ذلك على أمر معلوم لوجوب تعريف المسند إليه عند تعريف المسند ، ولهذا حكم بالقلب في قول القطامي السابق : * ولا يك موقف منك الوداعا * .

(٢) لازم الحكم هو ما سماه في باب الإسناد الخبري لازم فائدة الخبر ؛ كأن تقول لمن مدحك أمس في غيبتك : أنت المادح لي أمس .

(٣) هذا لا يمنع علمه بالأخرى في ذاتها كما سبق .

(٤) هذا ينافي ما سبق له من وجوب أن يعرف السامع كلا من المسند إليه والمسند بإحدى طرق التعريف ؛ لأن هذا يلزمه أن يعرف أن له أخاً في الجملة ، فإذا لم يعرف ذلك قيل له « زيد أخ منك » بالتكثير .

(٥) أي وكان يعرف زيداً بعينه واسمه .

(٦) على هذا تكون « ال » في المنطلق للعهد الذهني ، أما فيما بعده فهي فيه للجنس كما صرح به .

(٧) ضابط هذا أن ما يعرف السامع اتصاف الذات به منهما يجب تقديمه وجعله مسنداً إليه ، وقد اختلف النحويون في إعراب ذلك على أربعة مذاهب : فقليل وهو المشهور : إن الأول =

وكذا إذا عرف السامع إنساناً يسمى زيداً بعينه واسمه ، وهو يعرف معنى جنس المنطلق ، وأردت أن تعرفه أن زيداً متصف به ، فتقول « زيد المنطلق » ، وإن أردت أن تعين عنده جنس المنطلق قلت « المنطلق زيد » .

لا يقال : « زيد » دالٌّ على الذات فهو متعين للابتداء تقدم أم تأخر ، والمنطلق دالٌّ على أمر نسبي فهو متعين للخبرية ، تقدم أو تأخر ؛ لأننا نقول : المنطلق لا يجعل مبتدأ إلا بمعنى الشخص الذى له الانطلاق ، وإنه بهذا المعنى لا يجب أن يكون خبراً وزيد لا يجعل خبراً إلا بمعنى صاحب اسم زيد ، وإنه بهذا المعنى لا يجب أن يكون مبتدأ ، ثم التعريف بلام الجنس ^(١) قد لا يفيد قصر المعرفة على ما حكم عليه به كقول الخنساء :

إذا قُبِحَ البكاء على قتيلٍ رأيتُ بكاءك الحسنَ الجميلاً ^(٢)

وقد يفيد قصره ^(٣) إما تحقيقاً ، كقولك « زيد الأمير » إذا لم يكن أمير سواه ، وإما مبالغةً لكمال معناه فى المحكوم عليه ^(٤) كقولك « عمرو الشجاع » ، أى الكامل فى الشجاعة ، فتخرج الكلام فى صورة توهم أن الشجاعة لم توجد إلا فيه ؛ لعدم الاعتداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال .

= هو المبتدأ ، وقيل : إن المبتدأ أعرفهما ، وقيل : إن المبتدأ هو المعلوم عند السامع منهما ، وقيل : إن كلا منهما يجوز أن يكون مبتدأ وخبراً .

(١) أى فى المسند ؛ لأن الكلام فيه . وإن كان التعريف بلام الجنس فى المسند إليه يفيد القصر أيضاً كما سيأتى .

(٢) هو لتماض ربنت عمرو المعروفة بالخنساء ، وتريد بقولها « على قتيل » كل قتيل بقرينة المقام ؛ لأن النكرة فى سياق الإثبات لا تعم فى أصل الوضع ، وإنى أرى أنه لا حاجة إلى هذا العموم ، ويكفى أن يراد « إذا قبح البكاء على أى قتيل » . وإنما لم يفد تعريف « الحسن » القصر لأن كلامها للرد على من يتوهم قبح البكاء على قتيلها كغيره ، والرد عليه يكفى فيه إخراج البكاء على قتيلها من القبح إلى الحسن ، وإنما يصح القصر إذا كان الكلام للرد على من يسلّم حسن البكاء على قتيلها ، ولكنه يدعى أن بكاء غيره حسن أيضاً ، وهذا لا يلائمه أول البيت ، وفائدة تعريف « الحسن » ادعاء أنه معلوم لا ينكره أحد ، لأن « ال » الجنسية تفيد هذا كما سبق .

(٣) أى قصره على المسند إليه .

(٤) فالأول قصر تحقيقى والثانى ادعائى ، وتعريف المسند إليه بلام الجنس يفيد القصر كما سبق ، ولكنه يفيد قصر المسند إليه على المسند ، كقولك « الأمير زيد ، والشجاع عمرو » وتعريف المسند بالمسند بالعكس كما سبق ، ولهذا لا يتفاوت المعنى فيهما من جهة القصر .

ثم المقصور قد يكون نفس الجنس مطلقاً ، أى من غير اعتبار تقييده بشيء كما مر ، وقد يكون الجنس باعتبار تقييده بظرف أو غيره ، كقولك « هو الوفى حين لا تظن نفس بنفس خيراً » فإن المقصور هو الوفاء فى هذا الوقت لا الوفاء مطلقاً ، وكقول الأعشى :

هو الواهب المائة المصطفاة إما مخاضاً وإما عشاراً (١)

فإنه قصر هبة المائة من الإبل فى إحدى الحالتين ، لا هبتها مطلقاً ، ولا الهبة مطلقاً . وهذه الوجوه الثلاثة - أعنى العهد ، والجنس للقصر تحقيقاً ، والجنس للقصر مبالغة - تمنع جواز العطف بالفاء ونحوها (٢) على ما حكم عليه بالمعروف بخلاف المنكر ، فلا يقال « زيد المنطلق وعمرو » ولا « زيد الأمير وعمرو » ولا « زيد الشجاع وعمرو » .

أغراض كون المسند جملة : وأما كونه جملة (٣) فإما لإرادة تقوى الحكم بنفس التركيب كما سبق (٤) ، وإما لكونه سببياً ، وقد تقدم بيان ذلك (٥) ، وفعليتها لإفادة التجدد (٦) ، واسميتها لإفادة الثبوت ؛ فإن من شأن الفعلية أن تدل على التجدد ، ومن شأن الاسمية أن تدل على الثبوت ، وعليهما قول رب العزة : ﴿ وإذا

(١) هو لميمون بن قيس المعروف بالأعشى فى مدح قيس بن معديكرب أبى الأشعب الكندى ، والمخاض : الحوامل من النوق اسم جمع ، والعشار : جمع عشاراء وهى من النوق كالنساء من النساء ، أو التى مضى حملها عشرة أشهر .

(٢) أى مما يفيد الجمع من حروف العطف كالواو وثم ، وإنما امتنع العطف بذلك لأنه ينافى القصر .

(٣) هذا يقابل قوله فيما سبق « وأما إفراده » ، وقد سَطَّ بينهما الأحوال السابقة لدخولها فى حال الإفراد .

(٤) أى فى الكلام على الخبر الفعلى فى تقديم المسند إليه ، نحو « هو يعطى الجزيل » .

(٥) أى بيان كونه سببياً عند قوله « وأما إفراده » وقيل : إن كل ما خبره جملة يفيد التقوى ولو كانت اسمية ، وعلى هذا تكون الجملة المسببية مفيدة للتقوى أيضاً ، فيفيد قولك « زيد أبوه منطلق » تقوى الحكم بخلاف « أبو زيد منطلق » ولا يرد على الحصر فى الغرضين أن خبر ضمير الشأن جملة وليس للتقوى ولا للسببية ؛ لأن جملة الخبر عن ضمير الشأن فى حكم المفرد لتفسيرها له ، وقيل : إنها تفيد التقوى لما فيها من البيان بعد الإبهام .

(٦) الضمير فى قوله « وفعليتها » يعود إلى الجملة الواقعة مسنداً ، فليس فى هذا تكرار مع ما سبق ؛ لأنه كان فى الفعل الواقع مسنداً ، وهو مفرد لا جملة ، وفى هذا إشارة إلى أن الجملة الاسمية إذا كان خبرها فعلياً تفيد التجدد .

لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴿١﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قَالُوا سَلَامًا ، قَالَ سَلَامٌ ﴾ (٢) إِذَا أَصَلَ الْأَوَّلُ « نُسَلِّمُ عَلَيْكَ سَلَامًا » وَتَقْدِيرُ الثَّانِي : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، كَانَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَصْدُ أَنْ يُحْيِيَهُمْ بِأَحْسَنِ مِمَّا حَيَّوَهُ بِهِ (٣) أَخْذًا بِأَدَبِ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا ﴾ (٤) وَقَدْ ذَكَرَ لَهُ وَجْهٌ آخَرُ فِيهِ دَقَّةٌ غَيْرُ أَنَّهُ بِأَصُولِ الْفَلَّاسِفَةِ أَشْبَهَ ، وَهُوَ أَنَّ التَّسْلِيمَ دَعَاءٌ لِلْمُسَلِّمِ عَلَيْهِ بِالسَّلَامَةِ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ ، وَلِهَذَا أُطْلِقَ ، وَكَمَالُ الْمَلَائِكَةِ لَا يَتَصَوَّرُ فِيهِ التَّجَدُّدُ لِأَنَّ حَصُولَهُ بِالْفِعْلِ مَقَارِنُ لَوْجُودِهِمْ ، فَنَاسِبٌ أَنْ يُحْيُوا بِمَا يَدُلُّ عَلَى الثَّبُوتِ دُونَ التَّجَدُّدِ ، وَكَمَالُ الْإِنْسَانِ مُتَجَدِّدٌ لِأَنَّهُ بِالْقُوَّةِ وَخُرُوجِهِ إِلَى الْفِعْلِ بِالتَّدْرِجِ ، فَنَاسِبٌ أَنْ يُحْيَا بِمَا يَدُلُّ عَلَى التَّجَدُّدِ دُونَ الثَّبُوتِ . وَفِيهِ نَظَرٌ (٥) . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴾ (٦) أَيْ أَأَحْدَثْتُمْ دَعَاءَهُمْ أَمْ اسْتَمَرَّ صِمْتُكُمْ عَنْهُ؟ فَإِنَّهُ كَانَتْ حَالُهُمُ الْمُسْتَمِرَّةُ أَنْ يَكُونُوا صَامِتِينَ عَنْ دَعَائِهِمْ ، فَقِيلَ : لَمْ يَفْتَرِقِ الْحَالُ بَيْنَ إِحْدَاثِكُمْ دَعَاءَهُمْ وَمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ عَادَةِ صِمْتِكُمْ عَنْ دَعَائِهِمْ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴾ (٧) أَيْ أَأَحْدَثْتَ عِنْدَنَا تَعَاظِي الْحَقِّ فِيمَا نَسْمَعُهُ مِنْكَ أَمْ اللَّعِبُ أَيْ أَحْوَالُ الصَّبَا بَعْدَ مُسْتَمِرَّةِ عَلَيْكَ؟ وَأَمَّا قَوْلُهُ ﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ فِي جَوَابِ ﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (٨) فَلِإِخْرَاجِ ذَوَاتِهِمْ مِنْ جَنْسِ الْمُؤْمِنِينَ مَبَالِغَةً فِي تَكْذِيبِهِمْ ،

(١) آيَةُ ١٤ سُورَةِ الْبَقَرَةِ . وَيُرِيدُ بِهِذَا وَمَا بَعْدَهُ الْاسْتِشْهَادَ عَلَى إِفَادَةِ الْفِعْلِيَّةِ التَّجَدُّدِ ، وَالْإِسْمِيَّةِ الثَّبُوتِ بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْ أَصْلِ الْمَوْضُوعِ ؛ لِأَنَّ أَصْلَهُ فِيهِمَا إِذَا كَانَا مُسْنَدِينَ ، وَهُمَا فِيمَا ذَكَرَهُ مِنَ الشَّوَاهِدِ لَيْسَا كَذَلِكَ ، وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ (آمَنَّا) وَقَوْلِهِ (إِنَّا مَعَكُمْ) .

(٢) سُورَةُ هُودَ : الْآيَةُ ٦٩ .

(٣) لِأَنَّ الْجُمْلَةَ الْإِسْمِيَّةَ فِي ذَلِكَ تَفِيدُ الثَّبُوتَ وَالِدَوَامَ بِخِلَافِ الْفِعْلِيَّةِ .

(٤) سُورَةُ النِّسَاءِ : الْآيَةُ ٨٦ .

(٥) وَجْهُهُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ وَقْتُ السَّلَامِ أَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٍ مُنْكَرُونَ ﴾ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ رَفْعُ « سَلَامٍ » فِي تَحِيَّةِ الْبَشَرِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ غَيْرُ بَلِيغٍ ، وَلَا يَقُولُ بِهِذَا أَحَدٌ .

(٦) سُورَةُ الْأَعْرَافِ : الْآيَةُ ١٩٣ .

(٧) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ : الْآيَةُ ٥٥ .

(٨) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : الْآيَةُ ٨ .

ولهذا أطلق قوله : ﴿ مؤمنين ﴾ وأكد نفيه بالباء ^(١) ، ونحوه : ﴿ يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ﴾ ^(٢) .
وشرطيتها لما مر ^(٣) ، وظرفيتها لاختصار الفعلية ؛ إذ هي مقدرة بالفعل على الأصح ^(٤) .

* * *

(١) فكل هذا كان له أثره في أنه لم يقل « ولم يؤمنوا » مع أنه هو المطابق لقولهم (آمنّا) .

(٢) سورة المائدة : الآية ٣٧ .

(٣) أى في الكلام على تقييد المسند إذا كان فعلاً بالشرط ، ولا تكرار في هذا أيضاً مع ما سبق ؛ لأن الكلام هنا في شرطية الجملة الواقعة مسنداً ، وفيما سبق في تقييد الفعل إذا كان مسنداً بالشرط .

(٤) كان الأحسن (إذ الظرف) ؛ لأن ظاهر عبارته يقتضى أن الجملة الظرفية مقدرة باسم الفاعل في غير الأصح ، ولا يخفى فساده ، وقد سبق توجيه الأصح في الكلام على أفراد المسند .

تمريبات على تعريف المسند وتنكيره وكونه جملة

تمرين - ١

- ١ - لِمَ نَكَرَ الْمُسْنَدُ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ :
أَرَاؤُهُ وَعَطَايَاهُ وَنِعْمَتُهُ وَعَفْوُهُ رَحْمَةً لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ
- ٢ - لِمَ عُرِفَ الْمُسْنَدُ بِالْإِضَافَةِ أَوَّلًا وَنَكَرَ ثَانِيًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ آية ٢٩ سورة الفتح .

تمرين - ٢

- ١ - لِمَ كَانَ الْمُسْنَدُ جُمْلَةً اِسْمِيَّةً فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ آية ٢ سورة آل عمران .
- ٢ - لِمَ كَانَ الْمُسْنَدُ جُمْلَةً فِعْلِيَّةً فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ آية ٥ سورة طه .

تمرين - ٣

- ١ - لِمَ نَكَرَ الْمُسْنَدُ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ :
لئن صدفت عنا فُزيتَ أنفُسٍ صَوَادٍ إِلَى تِلْكَ النَفُوسِ الصَّوَادِفِ
وَلَمْ جَاءَتْ الْجُمْلَةُ الْأُولَى فِيهِ فِعْلِيَّةً وَالْجُمْلَةُ الثَّانِيَّةُ اِسْمِيَّةٌ ؟
- ٢ - بَيْنَ الْغُرُضِ مِنْ تَعْرِيفِ الْمُسْنَدِ بِالِ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ :
وَإِنَّ سَنَامَ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بَنُو أُمٍّ مَخْزُومٍ ، وَوَالِدُكَ الْعَبْدُ

تمرين - ٤

- ١ - لِمَ نَكَرَ الْمُسْنَدُ وَأَضْيَفَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ آية ٤٠ سورة الأحزاب .
- وَلِمَ عُرِفَ بِالْإِضَافَةِ فِي الْمَعْطُوفِ بَعْدَ تَنْكِيرِهِ فِي الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ ؟
- ٢ - بَيْنَ الْمُسْنَدِ وَالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ :
أَبُوكَ حُبَابٌ سَارِقُ الضَّيْفِ بُرْدُهُ وَجَدِّي يَا حِجَّاجُ فَارِسُ شَمْرَا

تمرين - ٥

١ - ما هو الضابط الذى يميز بين المسند والمسند إليه فى حال تعريفهما ؟ وما الفرق بين نظر علم المعانى وعلم النحو فى هذه الحالة ؟

٢ - لم عرف المسند فى قول الشاعر :

كُلُّكُمْ ، أَنْتِ الْهَمُّ يَا كُلُّكُمْ وَأَنْتِ دَائِى الَّذِى أَكْتَمُ
ولم نكر فى قول الآخر :

خَيْرُ الصَّنَائِعِ فِي الْأَنَامِ صَنِيعَةُ
وقول الآخر :

وَكُنْتُ فُتًى مِنْ جُنْدِ إِبْلِيسَ فَارْتَقَى بِنِى الْحَالِ حَتَّى صَارَ إِبْلِيسُ مِنْ جُنْدِى

* * *

أغراض التأخير والتقديم

أغراض التأخير : وأما تأخيره فلأن ذكر المسند إليه أهم كما سبق (١) .

أغراض التقديم : وأما تقديمه فإما لتخصيصه بالمسند إليه (٢) كقوله تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (٣) وقولك « قائم هو » لمن يقول « زيد إما قائم أو قاعد » فيرده بين القيام والقعود من غير أن يخصصه بأحدهما ، ومنه قولهم « تميمي أنا » ، وعليه قوله تعالى : ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ (٤) أى بخلاف خمور الدنيا فإنها تغتال العقول (٥) ، ولهذا لم يُقدّم الظرف في قوله تعالى : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (٦) لئلا يفيد ثبوت الريب في سائر كتب الله تعالى (٧) .

وإما للتنبيه من أول الأمر على أنه خبر لا نعت (٨) كقوله :

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر (٩)

(١) أى فى الكلام على تقديم المسند إليه ، فأغراض تأخير المسند هى ما سبق من أغراض

تقديم المسند إليه .

(٢) الباء داخله على المقصور ، فيكون المسند إليه فى ذلك مقصوراً والمسند مقصوراً

عليه .

(٣) سورة الكافرون : الآية ٦ . (٤) سورة الصافات : الآية ٤٧ .

(٥) فالمعنى أن عدم الغول مقصور على الكون فى خمور الجنة ، أو أن الغول مقصور على

عدم الحصول فيها ، وهذا على ما قيل من اعتبار النفى فى جانب المسند أو المسند إليه .

(٦) سورة البقرة : الآية ٢ .

(٧) لأنها المعتبرة فى مقابلة القرآن ، والقصر إنما يكون باعتبار النظير الذى يتوهم فيه

المشاركة ، والمراد أن التقديم يوهم ذلك باعتبار الغالب ؛ لأنه قد يكون للاهتمام لا للتخصيص ،

ومن تقديم المسند للتخصيص قول الشاعر :

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللأعداء مال

وقول الآخر :

لك القلم الأعلى الذى بشباته يصاب من الأمر الكلى والمفاصل

(٨) لأن النعت لا يتقدم على المنعوت بخلاف الخبر مع المبتدأ .

(٩) هو ليكر بن النطاح فى مدح أبى دلف العجلي وقيل : إنه لحسان بن ثابت فى مدح

النبي ﷺ ، والشاهد فى قوله « له همم » لأنه لو عكس لأوهم أن الجار والمجرور صفة ، والجملة

بعده هى الخبر ، مع أن الكلام مسوق لمدحه لا لمدح هممه ، ويصح أن يكون التقديم لإفادة

التخصيص ، وهو أبلغ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ (١) .

وإما للتفاؤل (٢) .

وإما للتشويق إلى ذكر المسند إليه ، كقوله :

ثلاثة تشرق الدنيا بهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر (٣)

وقوله :

وكانت الحياة فمن رماذ أو آخرها وأولها دخان (٤)

قال السكاكي رحمه الله (٥) : « وحق هذا الاعتبار تطويل الكلام في

المسند (٦) وإلا لم يحسن ذلك الحسن » .

* * *

(١) سورة الأعراف : الآية ٢٤ .

(٢) كقول ابن الرومي :

يَمَنَّ اللَّهُ طُلْعَةَ الْمَهْرَجَانِ كُلُّ يَمْنٍ عَلَى الْأَمِيرِ الْهَجَانِ

وقول الآخر :

سَعِدْتُ بَعْرَةً وَجْهَكَ الْأَيَّامُ وَتَزِينَتْ بِبَقَائِكَ الْأَعْوَامُ

(٣) هو لمحمد بن وهيب في مدح أبي إسحاق المعتصم ، وإنما لم يجعل (ثلاثة) مبتدأ وشمس الضحى وما عطف عليه خبراً ، لأنه لا يخبر بمعرفة عن نكرة .

(٤) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبي العلاء المعري ، يعني أن أول الحياة وآخرها وهو الصبا والشيب ، وليس بشيء ، وأن وسطها وهو الشباب هو المعتد به ، وقد شبهها في ذلك بالنار في أحوالها الثلاث .

(٤) ١١٩ - المفتاح .

(٥) كما في بيت ابن وهيب ، وكما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأولى الأبواب ﴾ آية ١٩٠ سورة آل عمران . وقد يكون تقديم المسند لمجرد الاهتمام ، كقول الشاعر :

سَلَامُ اللَّهِ يَا مَطَرٌ عَلَيْهَا وَلَيْسَ عَلَيْكَ يَا مَطَرُ السَّلَامُ

وقد يكون لإظهار التألم ، كقول المتنبي :

وَمِنْ نَكْدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحَرِّ أَنْ يَرَى عَدُوَّهُ لَهُ مَا مِنْ صِدَاقَتِهِ بُدُّ

تنبيه

كثير (١) مما فى هذا الباب والذى قبله غير مختص بالمسند إليه والمسند ، كالذكر والحذف وغيرهما مما تقدمت أمثله ، والفطن إذا اتقن اعتبار ذلك فيهما لا يخفى عليه اعتباره فى غيرهما (٢) .

* * *

(١) أما القليل منه فيختص بالباين ؛ كضمير الفصل وكون المسند فعلا ، والذى لا يختص بهما لا يلزم أن يجرى فى كل ما عداهما ؛ كالتعريف ، فإنه لا يجرى فى الحال والتمييز .
(٢) أى من المفعولات ونحوهما ، وسيأتى بيان شىء من هذا فى أحوال متعلقات الفعل .

تمرينات على التقديم والتأخير وغيرهما

تمرين - ١

١ - لماذا قدم المسند في قولهم : « ثلاثة يذهبن الغم والحزن : الماء والخضرة

والوجه الحسن » .

٢ - لماذا عبر بإن دون « إذا » في قول الشاعر :

إن دام هذا ولم تحدث له غيرٌ لم يبك ميتٌ ولم يفرح بمولود

تمرين - ٢

١ - هل تأخير المسند للتخصيص أو لتقوية الحكم في قول الشاعر :

ريمٌ على القاع بين البان والعلم أحلٌ سفك دمي في الأشهر الحرم

٢ - لماذا قدم المسند في قول الشاعر :

ثلاثة ليس لها إيابٌ الوقتُ والجمالُ والشبابُ

تمرين - ٣

١ - هل تقديم المسند للتخصيص أو لمجرد الاهتمام في قول الشاعر :

وليس بمغنٍ في المودة شافعٌ إذا لم يكن بين الضلوع شفيح

٢ - لماذا قدم المسند في قوله تعالى : ﴿ ولم يكن له كفواً أحدٌ ﴾ آية ٤ سورة

الإخلاص .

تمرين - ٤

١ - هل تقديم المسند للتخصيص أو لمجرد الاهتمام في قوله تعالى : ﴿ وإن

كذبوك فقل لي عملى ولكم عملكم ﴾ آية ٤١ سورة يونس .

٢ - لماذا قدم المسند في قول الشاعر :

إذا نطق السفية فلا تُجبه فخيرٌ من إجابته السكوتُ

تمرين - ٥

١ - لماذا عبر بإذا دون « إن » في قوله تعالى : ﴿ وإذا الموعودة سئلت بأى ذنب

قتلت ﴾ آية ٨ و ٩ سورة التكوير .

٢ - كيف صحت التثنية في قوله ﷺ : « اللهم أعز الإسلام بأحبَّ العمرين

إليك » مع أنها تثنية عمر وعمره ؟ ولماذا أوثرت تثنية الأول على الثانى ؟

* * *

الباب الرابع : القول في أحوال متعلقات الفعل (١)

حال الفعل مع المفعول والفاعل : حال الفعل مع المفعول كحاله مع الفاعل (٢)
فكما أنك إذا أسندت الفعل إلى الفاعل كان غرضك أن تفيد وقوعه منه ، لا أن تفيد وجوده في نفسه فقط ، كذلك إذا عدّيته إلى المفعول كان غرضك أن تفيد وقوعه عليه ، لا أن تفيد وجوده في نفسه فقط ، فقد اجتمع الفاعل والمفعول في أن عمل الفعل فيهما إنما كان ليُعلم التباسه بهما ، فعملُ الرفع في الفاعل ليُعلم التباسه به من جهة وقوعه منه ، والنصب في المفعول ليُعلم التباسه به من جهة وقوعه عليه . أما إذا أريد الإخبار بوقوعه في نفسه من غير إرادة أن يُعلم ممن وقع في نفسه (٣) أو على من وقع ، فالعبرة عنه أن يقال : كان ضربٌ ، أو وقع ، أو وجد ، أو نحو ذلك من ألفاظ تفيد الوجود المجرد .

أغراض حذف المفعول به : وإذا تقرر هذا فنقول :

الفعل المتعدى إذا أسند إلى فاعله ولم يُذكر له مفعول فهو على ضربين :
الأول أن يكون الغرض إثبات المعنى في نفسه للفاعل على الإطلاق أو نفيه عنه كذلك ، وقولنا « على الإطلاق » من غير اعتبار عمومه وخصوصه ولا اعتبار تعلقه بمن وقع عليه ، فيكون المتعدى حينئذ بمنزلة اللازم ، فلا يُذكر له مفعول ، لئلا يتوهم السامع أن الغرض الإخبار به باعتبار تعلقه بالمفعول (٤) ، ولا يقدر أيضا لأن المقدر في حكم المذكور (٥) .

(١) يلحق بالفعل ما في معناه كاسم الفاعل واسم المفعول ونحوهما .
(٢) يريد بهذا أن يمهّد للكلام على المفعول به . وقد ذكر في هذا الباب ثلاثة أحوال لمتعلقات الفعل : أولها حذف المفعول به ، ومثله في ذلك باقى المتعلقات في المفعولات ، والحال والتمييز وغيرها ، وثانيها تقديم المفعول ونحوه من المتعلقات على الفعل ، وثالثها تقديم بعض معمولات الفعل على بعض . وقد ترك الكلام على غير هذه الأحوال الثلاثة اكتفاء بما ذكره في التنبيه الواقع في آخر القول في أحوال المسند ؛ فقد ذكر فيه أن أمرها يجري في غير المسند إليه والمسند كما يجري فيهما .
(٣) لا داعي إلى لفظ « في نفسه » هنا ، ولهذا حذفها السعد في شرحه على التلخيص .

(٤) مع أنه في هذا الضرب يقصد إثباته في نفسه من غير اعتبار تعلقه بمفعول ، ولكل منهما مقام خاص به ، فإذا قيل : فلان يعطى ؛ كان هذا لمن يجهل إعطاءه ، وإذا قيل : فلان يعطى الدنانير ، كان هذا لمن يعلم إعطاءه ويجهل أنه يعطى الدنانير .
(٥) قيل إنه في هذه الحالة لا يسمى المفعول محذوفا ، ولكن هذه نظرة نحوية ، أما هنا فيعد محذوفا ويبحث عن نكته ، بدليل أنه لا يبحث عن مثل هذا في اللازم .

وهذا الضرب قسمان (١) : لأنه إما أن يجعل الفعل مطلقاً كنايةً (٢) عن الفعل متعلقاً بمفعول مخصوص دلت عليه قرينة ، أو لا (٣) .

الثاني (٤) كقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥) أى من يحدث له معنى العلم ومن لا يحدث .

قال السكاكى (٦) : ثم إذا كان المقام خطابياً لا استدلالياً (٧) أفاد العموم فى أفراد الفعل بعله إيهام أن القصد إلى فرد دون فرد آخر مع تحقق الحقيقة فيهما تحكّم ، ثم جعل قولهم فى المبالغة « فلان يعطى ويمنع ، ويصل ويقطع » محتملاً لذلك (٨) ، ولتعميم المفعول (٩) كما سيأتى .

وعده الشيخ عبد القاهر (١٠) مما يفيد أصل المعنى على الإطلاق من غير إشعار بشىء من ذلك (١١) .

(١) جرى عبد القاهر على حصر هذا الضرب فى القسم الثانى ، وجعل القسم الأول من الضرب الثانى الآتى ؛ لأن له عنده مفعولاً مقصوداً محذوفاً لدلالة الحال ونحوه عليه ، ولا يؤثر فى ذلك محاولة المتكلم أن ينسبه نفسه لغرض من الأغراض الآتية ، فلا يرى عبد القاهر فيه الكناية ما يراه الخطيب ، كما يأتى .

(٢) الكناية فى هذا من باب إطلاق الملزوم وإرادة اللزوم على سبيل الادعاء لأن المقيد لا يكون لازماً للمطلق إلا على هذا التقدير .

(٣) يعنى أو لا يجعل الفعل كذلك .

(٤) أى من الضرب الأول ، وهو الذى لا يجعل الفعل فيه مطلقاً ، كناية عن الفعل ، متعلقاً بمفعول مخصوص .

(٥) سورة الزمر : الآية ٩ .

(٦) ١١٦ و ١٢٣ المفتاح .

(٧) المقام الخطابى هو الذى يكتفى بالظن كالممدح والفخر ونحوهما ، والاستدلالى هو الذى يطلب فيه اليقين .

(٨) أى لتعميم أفراد الفعل ، فيكون المعنى يفعل كل إعطاء وكل منع وكل صلة وكل قطع .

(٩) فى قوله تعالى : ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ﴾ آية ٢٥ سورة يونس من الضرب الثانى ، أى كل أحد ، فيكون المعنى عليه فى ذلك يعطى كل أحد . إلخ .

(١٠) ١٠١ ، ١٠٢ - دلائل الإعجاز .

(١١) أى من شمول أفراد الفعل أو المفعول ، وهذا هو المختار ؛ لأنه المفهوم فيما بين الناس ، وما ذكره السكاكى تكلف لا وجه له .

والأول (١) كقول البحرى يمدح المعتز ويعرض بالمستعين بالله :

شَجَوُ حَسَّادِهِ وَغِيْظُ عَدَاةٍ أَنْ يَرَى مَبْصُرٌ وَيَسْمَعُ وَاعَى (٢)

أى أن يكون ذا رؤية وذا سمع ، يقول : محاسن الممدوح وآثاره لم تخف على من له بصر لكثرتها واشتهارها ، ويكفى فى معرفة أنها سبب لاستحقاقه الإمامة دون غيره أن يقع عليها بصر ويعيها سمع ، لظهور دلالتها على ذلك لكل أحد ، فحساده وأعداؤه يتمنون ألا يكون فى الدنيا من له عين يبصر بها وأذن يسمع بها كى يخفى استحقاقه للإمامة فيجدوا بذلك سبيلا إلى منازعته إياها ، فجعل كما ترى مطلق الرؤية كناية عن رؤية محاسنه وآثاره ، ومطلق السماع كناية عن سماع أخباره (٣) . وكقول عمرو بن معديكرب :

فلو أن قومى أنطقتنى رماحهم نطقْتُ ولكنَّ الرماحَ أجرت (٤)

لأن غرضه أن يثبت أنه كان من الرماح إجرار وحبس للألسن عن النطق بمدحهم والافتخار بهم حتى يلزم منه بطريق الكناية مطلوبه وهو أنها أجرت (٥) .

وكقول طفيل الغنوى لبني جعفر بن كلاب :

جزى الله عنا جعفراً حين أزلقت بنا نعلنا فى الواطئين فرلّت
أبوا أن يملّونا ولو أن أمتنا تلاقى الذى لاقوه منا لملّت

(١) أى من الضرب الأول وهو الذى يجعل الفعل فيه مطلقا ، كناية عن الفعل ، متعلقا بمفعول مخصص .

(٢) هو للوليد بن عبيد المعروف بالبحرى ، والشجو : الحزن ، وهو مصدر بمعنى اسم الفاعل ليصح حمل الخبر عليه .

(٣) هذا بادعاء الملازمة بينهما كما سبق ، وفائدة ذلك الإشارة إلى شهرة محاسنه مبالغة فى مدحه ، ومثل هذا يفوت بالتصريح بالمفعول وترك الكناية بذلك عنه ، وعلى مذهب عبد القاهر فى هذا القسم لا يكون فى البيت كناية ، وإنما يكون قصده من أول الأمر أن يرى مبصر محاسنه ، ولكنه حذفها ادعاء لشهرتها وأن رؤية البصر لا تقع إلا عليها ، وهو معنى حسن أيضا .

(٤) قوله « أجرت » من الإجرار ، وهو فى الأصل شق لسان الفضيل لثلا يرضع ، والمراد أنها حبست لسانه عن مدحهم ، على سبيل الاستعارة ، وإنما حبست لسانه عن مدحهم لأنها لم تبل فى الحرب بلاء حسنا .

(٥) قال عبد القاهر فى بيان معناه على مذهبه : إنه يقصد أجرتنى ، ولكنه حذف المفعول لتوافر العناية على إثبات الفعل للفاعل ، ويوهم أن إجرارها كان عاما له ولغيره .

هم خلطونا بالنفوس وألجأوا إلى حجرات أدفأت وأظلت (١)

فإن الأصل « لَمَلَّتْنَا ، وأدْفَأْتْنَا » إلا أنه حذف المفعول من هذه المواضع ليدل على مطلوبه بطريق الكناية (٢) فإن قلت لا شك أن قوله « ألجأوا » - أصله ألجأونا فلأى معنى حذف المفعول منه ؟ قلت : الظاهر أن حذفه لمجرد الاختصار ؛ لأن حكمه حكم ما عطف عليه ، وهو قوله « خلطونا » (٣) .

الضرب الثاني (٤) : أن يكون الغرض إفادة تعلقه بمفعول ، فيجب تقديره بحسب القرائن (٥) .

ثم حذفه من اللفظ : إما للبيان بعد الإبهام ، كما في فعل المشيئة إذا لم يكن في تعلقه بمفعوله غرابة (٦) كقولك : لو شئتُ جئتُ ، أو لم أجيء . أى لو شئتُ الجيء أو عدم الجيء ، فإنك متى قلت « لو شئتُ » علم السامع أنك عقلت المشيئة بشيء ، فيقع في نفسه أن هنا شيئاً تعلقت به مشيئتُك بأن يكون أو لا يكون ، فإذا قلت « جئتُ أو لم أجيء » عُرِفَ ذلك الشيء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قُلُوا شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٧) وقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتَمْ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ (٨) وقوله تعالى : ﴿ مِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضِلَّهُ ﴾ (٩) وقول طرفة :

فإن شئتُ لم تُرقل ، وإن شئتُ أُرقلتُ مخافة ملوئ من القدِّ محصد (١٠)

(١) هي لطفي بن عوف الغنوي يمدح بني جعفر ، وقوله « أزلقت » بمعنى زلت ولم تثبت ، وعلى هذا يتحد معناه ومعنى قوله : فزلت . ويجوز أن يكون المراد زلق ما تحتها ، فيتغايران ، وكلاهما كناية عن سوء حالهم .

(٢) جعل عبد القاهر حذف المفعول في ذلك لتتوفر الغاية على إثبات الفعل للفاعل .

(٣) جعله عبد القاهر مثل الحذف في « وأدْفَأْتْنَا وأظلت » . وما ذهب إليه الخطيب أقوى وأدق .

(٤) أى من الفعل المتعدي الذي لم يذكر له مفعول .

(٥) يشير بهذا إلى أن حذف المفعول لا بد فيه من قرينة تدل عليه .

(٦) مثله فعل الإرادة والمحبة ونحوهما ، نحو « لو أحب لأعطاكم » ولا يلزم أن يكون شرطاً كما ذكر في هذه الأمثلة ، ومن مجيئه غير شرط قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ آية ٢٥٥ سورة البقرة ، ولكن الظاهر أن الحذف في الآية ليس للبيان بعد الإبهام . (٧) سورة الأنعام : الآية ١٤٩ . (٨) سورة الشورى : الآية ٢٤ .

(٩) سورة الأنعام : الآية ٣٩ .

(١٠) هو لعمر بن العبد المعروف بطرفة ، وقوله : لم تُرقل ، بمعنى لم تسرع ، والضمير لناقته ، والمملوئ : السوط المفتول ، والقد : الجلد المشقوق ، والحصد : المفتول المحكم .

وقول البحتري :

لو شئت عدت بلاد نجد عودةً فحللت بين عقيقه وزروده (١)

وقوله :

لو شئت لم تفسد سماحة حاتم كرمًا ولم تهدم مآثر خالد (٢)

فإن كان في تعلق الفعل به غرابة ذكرت المفعول لتقرره في نفس السامع وتؤنس به ، يقول الرجل يخبر عن عزه : لو شئت أن أرد على الأمير رددت ، وإن شئت أن ألقى الخليفة كل يوم لقيته . وعليه قول الشاعر :

ولو شئت أن أبكى دماً لبكيتُهُ عليه ولكن ساحة الصبر أوسع (٣)

فأما قول أبي الحسين علي بن أحمد الجوهرى أحد شعراء الصاحب ابن عباد :

فلم يبق منى الشوق غير تفكرى فلو شئت أن أبكى بكيتُ تفكرًا

فليس منه ؛ لأنه لم يرد أن يقول : فلو شئت أن أبكى تفكرًا بكيتُ تفكرًا ، ولكنه أراد أن يقول : أفناني النحول فلم يبق منى وفى غير خواطر تجول حتى لو شئت البكاء فمررت جفونى وعصرت عينى ليسيل منها دمع لم أجده ، ولخرج منها بدل الدمع التفكير ؛ فالمراد بالبكاء فى الأول الحقيقى ، وفى الثانى غير الحقيقى ، فالثانى لا يصلح لأن يكون تفسيراً للأول (٤) .

(١) هو للوليد بن عبيد المعروف بالبحتري ، وقوله : عدت بلاد نجد - بمعنى عدت إليها ، وعقيق نجد وزروده : موضعان به ، وخطابه للسحاب الوارد فى قوله قبل هذا البيت فى مطلق القصيدة :

يا عارضاً متلفعاً ببروده يختال بين بروفه ورعوده

(٢) هو للبحتري أيضا ، والمراد بحاتم : حاتم الطائي ، وبخالد : خالد بن إصبع النبهاني الذى نزل عليه امرؤ القيس الشاعر .

(٣) هو لأبى يعقوب إسحاق بن حسان الحرىمى « بالراء » فى رثاء أبى الهيثم عامر بن عمارة الحرىمى كما فى « البيان والتبيين ونهاية الأرب » وهو من قصيدة له مطلعها :

قضى وطراً منك الحبيب المودع وجل الذى لا يستطاع فيدفع

والشاهد فى قوله « لو شئت أن أبكى دماً » لأن بكاء الدم غريب .

(٤) لهذا ذكر الأول ولم يُحذف .

وإما لدفع أن يتوهم السامع في أول الأمر إرادة شيء غير المراد ، كقول
البحترى :

وكم دُدتَ عني من تحامل حادث وسورة أيام حَزَنَ إلى العظم (١)

إذ لو قال « حزن اللحم » لجاز أن يتوهم السامع قبل ذكر ما بعده أن الحز كان
في بعض اللحم ولم ينته إلى العظم ، فترك ذكر اللحم ليبرىء السامع من هذا
الوهم ، ويصور في نفسه من أول الأمر أن الحز مضى في اللحم حتى لم يردّه إلا
العظم (٢) .

وإما لأنه أريد ذكره ثانيا على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظه إظهاراً
لكمال العناية بوقوعه عليه (٣) كقول البحترى أيضاً :

قد طلبنا فلم نجد لك في السو دد والمجد والمكارم مثلاً (٤)

أى قد طلبنا لك مثلاً في السؤدد والمجد والمكارم ، فحذف المثل إذ كان غرضه
أن يوقع نفى الوجود على صريح لفظ المثل (٥) ولأجل هذا المعنى بعينه عكس ذو
الرمة في قوله :

ولم أمدح لأرضيه بشعري لئيماً أن يكون أصاب مالا (٦)

(١) هو للوليد بن عبيد المعروف بالبحترى بمدح أبا الصقر الشيباني ، وقوله ددت : بمعنى
دفعت ، وكم خبرية في موضع نصب مفعول به مقدم ، ومميزها « من تحامل حادث » وقيل : إن
التقدير كم مرة ، فتكون « من » زائدة في الإثبات على قول بعض النحاة ، والسورة : الشدة
والصولة .

(٢) لاشك أنه يمكن تأدية هذا الغرض بتأخير المفعول ، بأن يقول حزن إلى العظم
اللحم ، ولكن تأخير المفعول لا يجعل لذكره فائدة .

(٣) هذه نكتة الإتيان بصريح اسم المفعول ثانيا ، وأما نكتة حذفه أولاً فهي لزوم التكرار
مع ذكره ثانيا .

(٤) المثل : الشبيه والنظير ، والبيت من قصيدة له في مدح المعتز .

(٥) إنما كان هذا غرضه لأنه أكد في كمال المدح ، ولو عكس فصرح أولاً وأضمر ثانيا
لفات هذا الغرض ؛ لأنه قد يتوهم عود الضمير على غيره .

(٦) هو لغيلان بن عقبة المعروف بذي الرمة بمدح بلال بن أبي بردة ، وبعده :

ولكن الكرام لهم ثنائى فلا أجزى إلى ما قيل قالوا

والضمير في قوله « لأرضيه » يعود إلى لئيماً ، وقوله « أن يكون » في تأويل مصدر
مجرور بلام التعليل المحذوفة .

فإنه أعمل الفعل الأول الذى هو « أمدح » فى لفظ اللئيم ، والثانى الذى هو « أرضى » فى ضميره ؛ إذ كان غرضه إيقاع نفى المدح على اللئيم صريحاً دون الإرضاء . ويجوز أن يكون سبب الحذف فى بيت البحتري قصداً المبالغة فى التأدب مع الممدوح بترك مواجهته بالتصريح بما يدل على تجويز أن يكون له مثل ؛ فإن العاقل لا يطلب إلا ما يجوز وجوده (١) .

وإما للقصد إلى التعميم (٢) فى المفعول والامتناع عن أن يقصره السامع على ما يذكر معه دون غيره مع الاختصار ، كما تقول « قد كان منك ما يؤلم » أى ما الشرط فى مثله أن يؤلم كل أحد وكل إنسان (٣) ، وعليه قوله تعالى : ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ﴾ (٤) أى يدعو كل أحد (٥) .

وإما لرعاية الفاصلة (٦) كقوله سبحانه وتعالى : ﴿ والضحى ، والليل إذا سجدى ما ودّعك ربك وما قلى ﴾ (٧) أى وما قلاك (٨) .
وإما لاستهجان ذكره ، كما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت :
« ما رأيتُ منه ولا رأى منى » (٩) تعنى العورة .

وإما مجرد الاختصار ، كقولك « أصغيت إليه » : أى أذنى ، « وأغضيت عليه » : أى بصرى . ومنه قوله تعالى : ﴿ أرنى أنظر إليك ﴾ (١٠) أى ذاتك . وقوله تعالى :

- (١) يجوز أيضاً أن يكون الحذف فيه لقصد البيان بعد الإبهام .
(٢) التعميم يؤخذ فى الحقيقة من قرينة المقام ، ولا يؤخذ من الحذف لوجوده مع الذكر ، ولكن الحذف له فيه تأثير فى الجملة ؛ لأن تقدير مفعول خاص فيه دون آخر ترجيح بلا مرجح ، وبهذا يحمل على العموم ، وهذا إلى ما فيه من الاختصار كما ذكره بعد .
(٣) بقرينة أن المقام مقام مبالغة ، (٤) سورة يونس : الآية ٢٥ .
(٥) الآية تفيد العموم تحقيقاً ، والمثال يفيد مبالغة .
(٦) لا يخفى أن هذا يقصد لحسن بديعى فيكون مطلوباً من أجله ، ويقدر فى البلاغة بقدره .

- (٧) سورة الضحى : الآية ١ ، ٣ .
(٨) سيأتى أنه حذف أيضاً لصونه عن نسبة (قلى) إليه ، وهذا إلى أن ذكره فى (ودّعك) يعنى عن ذكره فى (قلى) فلا يكون حذفه لمجرد ذلك المحسن البديعى .
(٩) هو من قولها : « كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد ، فما رأيت منه ولا رأى منى » .

- (١٠) سورة الأعراف : الآية ١٤٣ .

﴿ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ (١) أَيْ بَعَثَهُ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) أَيْ أَنَّهُ لَا يَمِثُّهُ أَوْ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا مِنَ التَّفَاوُتِ ، أَوْ أَنَّهَا لَا تَفْعَلُ كَفَعْلِهِ ، كَقَوْلِهِ : ﴿ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (٣) وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ نَفْسَ الْفِعْلِ مِنْ غَيْرِ تَعْمِيمٍ ، أَيْ وَأَنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ (٤) ثُمَّ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ فِي أَمْرِ دِيَانَتِكُمْ - مِنْ جَعْلِ الْأَصْنَامِ لِلَّهِ أَنْدَادًا - غَايَةُ الْجَهْلِ .

وَمَا عَدَّ السَّكَاكِي (٥) الْحَذْفَ فِيهِ لِمَجْرَدِ الْاِخْتِصَارِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءٌ مَدِينٍ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ، وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ، قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ؟ ۝ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدَرَ الرِّعَاءُ ، وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ﴾ (٦) وَالْأَوَّلَى أَنْ يُجْعَلَ لِإِثْبَاتِ الْمَعْنَى فِي نَفْسِهِ لِلشَّيْءِ عَلَى الْإِطْلَاقِ كَمَا مَرَّ (٧) وَهُوَ ظَاهِرٌ قَوْلِ الزَّمَخَشَرِيِّ ، فَإِنَّهُ قَالَ : تَرَكَ الْمَفْعُولَ لِأَنَّ الْغَرَضَ هُوَ الْفِعْلُ لَا الْمَفْعُولَ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ رَحِمَهُمَا لِأَنَّهُمَا كَانَتَا عَلَى الذِّيَادِ وَهَمَّ عَلَى السَّقَى ، وَلَمْ يَرَحِمَهُمَا لِأَنَّ مَذُودَهُمَا غَنَمٌ وَمُسْقِيَهُمْ إِبِلٌ مِثْلًا ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمَا : ﴿ لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدَرَ الرِّعَاءُ ﴾ الْمَقْصُودُ مِنْهُ السَّقَى لَا الْمُسْقَى .

* وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ يَشْتَبِهُ الْحَالُ فِي أَمْرِ الْحَذْفِ وَعَدَمِهِ لِعَدَمِ تَحْصُلِ مَعْنَى الْفِعْلِ ، كَمَا فِي قَوْلِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ (٨) فَإِنَّهُ يُظَنُّ أَنَّ الدِّعَاءَ فِيهِ بِمَعْنَى النِّدَاءِ فَلَا يَقْدَرُ فِي الْكَلَامِ مَحْذُوفٌ ، وَلَيْسَ بِمَعْنَاهُ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ بِمَعْنَاهُ لَزِمَ إِمَّا الْإِشْرَاقَ أَوْ عَطْفَ الشَّيْءِ عَلَى نَفْسِهِ ؛ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ مَسْمًى أَحَدَهُمَا غَيْرَ مَسْمًى الْآخَرِ لَزِمَ الْأَوَّلُ ، وَإِنْ كَانَ مَسْمَاهُمَا وَاحِدًا لَزِمَ الثَّانِي ، وَكِلَاهُمَا بَاطِلٌ ، تَعَالَى كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ ذَلِكَ ؛ فَالدِّعَاءُ فِي الْآيَةِ بِمَعْنَى

(١) سورة الفرقان : الآية ٤١ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٢ .

(٣) آية ٤٠ سورة الروم ، والكاف للتنظير للوجه الأخير وهو أنها لا تفعل كفعله .

(٤) فيكون من القسم الثاني من الضرب الأول .

(٥) ١٣٣ - المفتاح .

(٦) آية ٢٣، ٢٤ سورة القصص ، ومحل الشاهد فيه (يسقون ، تذودان ، نسقى) .

(٧) فيكون من القسم الثاني من الضرب الأول ، وجعله عبد القاهر مما قصد فيه إلى

مفعول خاص ثم حذف لتتوفر العناية على إثبات الفعل للفاعل .

(٨) سورة الإسراء : الآية ١١٠ .

التسمية التي تتعدى إلى مفعولين ، أى سموه الله أو الرحمن أيًا ما تسموه فله الأسماء الحسنى (١) كما يقال « فلان يدعى الأمير » أى يسمى الأمير » وكما فى قراءة من قرأ : ﴿ وقالت اليهود عزيز ابن الله ﴾ (٢) بغير تنوين على القول بأن سقوط التنوين لكون الابن صفة واقعة بين علمين كما فى قولنا « زيد بن عمرو قائم » فإنه قد يظن أن فعل القول فيه لحكاية الجملة كما هو أصله (٣) فقليل : تقدير الكلام « عزيز بن الله معبودنا » ، وهذا باطل ؛ لأن التصديق والتكذيب إنما ينصرفان إلى الإسناد لا إلى وصف ما يقع فى الكلام موصوفا بصفة ، كما إذا حكيت عن إنسان أنه قال : « زيد بن عمرو سيد » ثم كذبت فيه ، ولم يكن تكذيبك أن يكون زيد بن عمرو ، ولكن أن يكون زيد سيداً ، فلو كان التقدير ما ذكر لكان الإنكار راجعاً إلى أنه معبودهم وفيه تقرير أن عزيزاً ابن الله ، تعالى عن ذلك ، فالقول فى الآية بمعنى الذكر (٤) لأن الغرض الدلالة على أن اليهود قد بلغوا فى الرسوخ فى الجهل والشرك إلى أنهم كانوا يذكرون عزيزاً هذا الذكر ، كما تقول فى قوم تريد أن تصفهم بالغلو فى أمر صاحبهم وتعظيمه : « إني أراهم قد اعتقدوا أمراً عظيماً ؛ فهم يقولون أبداً : زيد الأمير » تريد أنه كذلك يكون ذكرهم له إذا ذكروه .

واعلم أن لحذف التنوين من « عزيز » فى الآية وجهين (٥) :

أحدهما أن يكون لمنعه من الصرف لعجمته وتعريفه كعازر (٦) .

والثانى أن يكون لالتقاء الساكنين كقراءة (٧) من قرأ : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ . الله الصمد ﴿ بحذف التنوين من (أحد) ، وكما حكى عن عمارة بن عقيل أنه قرأ : ﴿ ولا الليل سابق النهار ﴾ (٨) بحذف التنوين من (سابق) ونصب (النهار)

(١) الحذف فيه لمجرد الاختصار .

(٢) آية ٣٠ سورة التوبة ، وهذا من باب التنظير فى اشتباه الحال فى أمر الحذف وعدمه ؛

لأن ما هنا ليس من حذف المفعول به .

(٣) أى كما هو الأصل فى القول لأن الأصل فيه أن يكون لحكاية الجملة .

(٤) أى على قراءة (ابن) بغير تنوين ، وعلى هذا لا يحتاج إلى تقدير محذوف فى ذلك

ليكون جملة .

(٥) أى غير الوجه السابق وهو أن حذف تنوينه لكون الابن صفة واقعة بين علمين

فيحذف تنوين العلم قبله . فتكون الوجه فى ذلك ثلاثة .

(٦) من يصرف عزيزاً مع عجمته وتعريفه يرى أن خفته عارضت ذلك فصرفته .

(٧) آية ١ ، ٢ سورة الإخلاص . (٨) سورة يس : الآية ٤٠ .

فقليل له : وما تريد ؟ » . . فقال : « سابقُ النهار » . فالمعنى على هذين الوجهين
كالمعنى على إثبات التنوين ، فعزير مبتدأ وابن الله خبره ، و « وقال » على
أصله (١) . والله أعلم .

* * *

(١) من الدخول على الجملة ، ولا حاجة إلى تأويله بمعنى الذكر ، كما أول به في الوجه
السابق الذى جعل فيه الابن صفة لا خبراً .
هذا ، وقد يكون حذف المفعول لأغراض أخرى : منها إخفاؤه خوفاً عليه ، ومنها تعيينه
حقيقة أو ادعاء ، ومنها صونه عن اللسان أو صون اللسان عنه . وقد قيل فى قوله تعالى آية ٣
سورة الضحى ﴿ ما ودعك ربك وما قلى ﴾ إنه يجوز أن يكون حذف مفعول (قلى) لصونه
ﷺ عن التصريح بتعلقه به وإن كان جهة النفى ، وهذا بخلاف (ودعك) لأنه يدل على الترك
فقط ، ولا يدل على البغض كما يدل عليه (قلى) ، وقد تقول « نحمد ونشكر » أى الله ،
فتحذفه لتعيينه ، وتقول « لعن الله وأخزى » أى الشيطان ، فتحذفه لصون لسانك عنه .

تمرينات على الذكر والحذف

تمرين - ١

١ - لماذا حذف المفعول في قوله تعالى : ﴿ لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ﴾ آية ٢ سورة الكهف .

٢ - من أى ضربى حذف المفعول قول الشاعر :
برء حشائى إن استطعت بلفظة فلقد تضر إذا تشاء وتنفع

تمرين - ٢

١ - لماذا ذكر الحال في قوله تعالى : ﴿ فتبسم ضاحكاً من قولها ﴾ آية ١٩ سورة النمل .

٢ - من أى ضربى حذف المفعول حذفه أولاً وثانياً في قوله تعالى : ﴿ إنك لا تهدى من أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء ﴾ آية ٥٦ سورة القصص .

تمرين - ٣

١ - لماذا ذكر المفعول المطلق في قوله تعالى : ﴿ لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً ﴾ آية ٢١ سورة الفرقان .

٢ - لماذا حذف وصف المضاف إلى المفعول في قوله تعالى : ﴿ وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ﴾ آية ٧٩ سورة الكهف .

٢ - لماذا حذف المفعول في قول الشاعر :
إذا بعدت أبلت وإن قربت شفت فهجرائها يُبلى ولقيانها يشفى

تمرين - ٤

١ - من أى ضربى حذف المفعول حذفه في قول الشاعر :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألقيت كل تميمه لا تنفع

٢ - لماذا حذف المفعول في قول الشاعر :

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يُفقر والإقدام قتال

* * *

أغراض تقديم المتعلقات

أغراض تقديم المتعلقات على الفعل : وأما تقديم مفعوله ونحوه ^(١) عليه فلردّ الخطأ فى التعيين ^(٢) كقولك « زيداً عرفت » لمن اعتقد أنك عرفت إنساناً وأنه غير زيد ، وأصاب فى الأول دون الثانى ، وتقول لتأكيدهِ وتقريرهِ « زيداً عرفت لا غيره » ولذلك لا يصح أن يقال « ما زيداً ضربت ولا أحداً من الناس » ؛ لتناقض دلالتى الأول والثانى ^(٣) ولا أن تعقب الفعل المنفى بإثبات ضده ، كقولك « ما زيداً ضربت ولكن أكرمته » ؛ لأن مبنى الكلام ليس على أن الخطأ فى الضرب فترده إلى الصواب فى الإكرام ، وإنما هو على أن الخطأ فى المضروب حين اعتقد أنه زيد ، فردّه إلى الصواب أن تقول : ولكن عمراً ^(٤) .

وأما نحو قولك : زيداً عرفته ^(٥) فإن قدر المفسر المحذوف قبل المنصوب ؛ أى عرفت زيداً عرفته . فهو من باب التوكيد ، أعنى تكرير اللفظ ، وإن قدر بعده أى زيداً عرفت عرفته ، أفاد التخصيص ، وأما نحو ^(٦) قوله تعالى : ﴿ وأما ثمود فهديناهم ﴾ ^(٧) فيمن قرأ بالنصب ^(٨) فلا يفيد إلا التخصيص ؛ لامتناع تقدير : أما فهدينا ثمود ^(٩) .

(١) من كل متعلقات الفعل التى يجوز تقديمها عليه ، وذلك كالظرف والجار والمجرور والحال ونحوها .

(٢) أو فى اعتقاد الشركة ، وذلك كقولك « زيداً عرفت وحده » كما سبق فى تقديم المسند إليه .

(٣) يريد بالأول « ما زيداً ضربت » وبالثانى « ولا أحداً من الناس » لأن الثانى يناقض ما يفيدهِ الأول من ضرب غير زيد من الناس ، وإنما لا يصح أن يقال إذا كان التقديم للتخصيص لا لمجرد الاهتمام .

(٤) هذا أيضاً على أن التقديم للتخصيص لا لمجرد الاهتمام .

(٥) نحوه كل ما يكون التقديم فيه من باب الاشتغال ، وقد ذهب الزمخشري إلى أن التقديم فيه للتخصيص مطلقاً ، وإنى أرى أنه لا يفيد إلا التوكيد لأنه يفيد التخصيص من غير الاشتغال ، فالعدول إليه لا يكون إلا لغرض غير التخصيص ، ولأنه يجب تقدير الفعل قبل الاسم الظاهر ليوافق مفسره فى تقدمه على الضمير .

(٦) يريد بهذا تقييد ما ذكره من حكم التقديم فى الاشتغال .

(٧) سورة فصلت : الآية ١٧ . (٨) يعنى نصب (ثمود) .

(٩) لوجوب الفصل بين أما والفاء ، وإنما التقدير : أما ثمود فهدينا هديناهم ، وقد =

وكذلك إذا قلت « بزيد مررت » أفاد أن سامعك كان يعتقد مرورك بغير زيد ، فأزلت عنه الخطأ مخصصاً مرورك بزيد دون غيره (١) .

والتخصيص فى غالب الأمر لازم للتقديم ، ولذلك يقال فى قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٢) معناه نخصك بالعبادة لا نعبد غيرك ، ونخصك بالاستعانة لا نستعين غيرك . وفى قوله تعالى : ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (٣) معناه إن كنتم تخصونه بالعبادة . وفى قوله تعالى : ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ (٤) أخرت صلة الشهادة فى الأول وقدمت فى الثانى ؛ لأن الغرض فى الأول إثبات شهادتهم على الأمم ، وفى الثانى اختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم ، وفى قوله تعالى : ﴿لِإِلَهِ اللَّهِ تَحْشُرُونَ﴾ (٥) معناه إليه لا إلى غيره ، وفى قوله تعالى : ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً﴾ (٦) معناه لجميع الناس من العرب والعجم ؛ على أن التعريف للاستغراق ، لا لبعضهم المعين على أنه للعهد ، أى للعرب ، ولا لمسمى الناس على أنه للجنس ؛ لئلا يلزم من الأول (٧) اختصاصه بالعرب دون العجم لانحصار الناس فى الصنفين ، ومن الثانى (٨) اختصاصه بالإنس دون الجن لانحصار من يتصور الإرسال إليهم من أهل الأرض فيهما . وعلى تقدير الاستغراق لا يلزم شىء من ذلك ؛ لأن التقديم لما كان مفيداً لثبوت الحكم للمقدم ونفيه عما يقابله كان تقديم (للناس) على (رسولا) مفيداً لنفى كونه رسولا لبعضهم خاصة (٩) ؛ لأنه هو المقابل لجميع الناس ، لا لبعضهم مطلقاً ولا لغير جنس الناس (١٠) .

= يقال : إن هذا إنما يقتضى امتناع ذكره لامتناع تقديره ؛ لأن كثيراً مما يقدر يمتنع ذكره ولا يمنع تقديره ، كالضمير المستتر وجوباً ونحوه ، والحق أن التقديم فى ذلك لإصلاح اللفظ لا للتخصيص ؛ لأن غير ثمود مثلها فى ذلك الحكم .

(١) مثل تقديم الجار والمجرور فى ذلك : تقديم غيره ، كقولك : يوم الجمعة سرت ، وتأديباً ضربت ، وماشياً حجاجت ، ومن تقديم الجار والمجرور للتخصيص قوله تعالى : ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسَاقُ﴾ آية ٣٠ سورة القيامة .

(٢) سورة الفاتحة : الآية ٥ . (٣) سورة البقرة : الآية ١٧٢ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٤٣ . (٥) سورة آل عمران : الآية ١٥٨ .

(٦) سورة النساء : الآية ٧٩ . (٧) هو أنه للعهد .

(٨) هو أنه للجنس .

(٩) يعنى قومه من العرب ؛ لأنهم هم الذين يتوهم أنه أرسل إليهم دون غيرهم .

(١٠) لأن كلا منهما لا يقابل جميع الناس ، وإنما يقابل الأول تعريف العهد ، =

وكذلك يُذهب فى معنى قوله تعالى (١) : ﴿ وبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ إلى أنه تعريض بأن الآخرة التى عليها أهل الكتاب فيما يقولون « إنه لا يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، وإنه لا تمسهم النار إلا أياماً معدودات ، وإن أهل الجنة لا يتلذذون فى الجنة إلا بالنسيم والأرواح العَبَقَةُ والسماع اللذيد (٢) » ليست الآخرة (٣) وإيقانهم بمثلها ليس من الإيقان بالتى هى الآخرة عند الله فى شىء ، أى بالآخرة يوقنون لا بغيرها كأهل الكتاب .

ويفيد التقديم فى جميع ذلك - وراء التخصيص - اهتماماً بشأن المقدم ؛ ولهذا قدر المحذوف فى قوله ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ مؤخراً ، وأورد قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ (٤) فإن الفعل فيه مقدم ، وأجيب بأن تقديم الفعل هناك (٥) أهم لأنها أول سورة نزلت . وأجاب السكاكى (٦) بأن ﴿ باسم ربك ﴾ متعلق باقراً الثانى (٧) ، ومعنى الأول : افعِل القراءة وأوجدِها ، على نحو ما تقدم فى قولهم « فلان يعطى ويمنع » يعنى إذا لم يُحمل على العموم (٨) . وهو بعيد (٩) .

أغراض تقديم بعض المعمولات على بعض :

وأما تقديم بعض معمولاته على بعض فهو :

= ويقابل الثانى تعريف الجنس . هذا ويجوز أن يكون (للناس) متعلقاً بقوله (وأرسلناك) فلا يكون فيه تقديم ، ولا تعين اللام فيه للاستغراق وإن كان هو الظاهر .

- (١) سورة البقرة : الآية ٤ .
- (٢) لأنهم ينكرون أن تكون فيها لذائذ جسمانية .
- (٣) جملة (ليس) واسمها وخبرها خبر (أن) فى قوله - بأن الآخرة الخ .
- (٤) سورة العلق : الآية ١ . (٥) أى فى قوله ﴿ اقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ ﴾
- (٦) ١٢٧ - المفتح .
- (٧) فى قوله بعده ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ .
- (٨) أى العموم فى المفعول ، فإن السكاكى يجعله محتملاً للعموم فى المفعول ، وللعموم فى أفراد الفعل ، وعلى هذا يكون (اقْرَأْ) الأول منزلاً منزلة اللازم .
- (٩) لأنه خلاف ظاهر نظم الآيتين ، لبعد ما بين (اقْرَأْ) الثانى والجار والمجرور الذى يرد تعليقه به .

هذا ، وقد يأتى التقديم لأغراض أخرى : منها مجرد الاهتمام ، وقصد التبرك ، والالتذاذ ، وموافقته كلام السامع ، ونحو ذلك ، كقولك « العلم طلبت ، ومحمداً اتبعت . وليلى أحببت » ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ، كُلًّا هَدَيْنَا ، وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ آية ٨٤ سورة الأنعام .

إما لأن أصله التقديم ولا مقتضى للعدول عنه (١) كتقديم الفاعل على المفعول (٢) نحو « ضرب زيد عمراً » وتقديم المفعول الأول على الثانى ، نحو : أعطيت زيدا درهما .

وإما لأن ذكره أهم والعناية به أتم (٣) .

فيقدم المفعول على الفاعل إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه لا وقوعه ممن وقع منه ؛ كما إذا خرج رجل على السلطان وعاث في البلاد وكثر منه الأذى فقتل وأردت أن تخبر بقتله ، فتقول « قتل الخارجى فلان » ؛ بتقديم « الخارجى » ؛ إذ ليس للناس فائدة فى أن يعرفوا قاتله ، وإنما الذى يريدون علمه هو وقوع القتل به ليخلصوا من شره .

ويقدم الفاعل على المفعول إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل ممن وقع منه ، لا وقوعه على من وقع عليه ، كما إذا كان رجل ليس له بأس ولا يُقدَّرُ فيه أن يُقتل ، فقتل رجلا وأردت أن تخبر بذلك ، فتقول « قتل فلان رجلا » بتقديم القاتل ؛ لأن الذى يعنى الناس من شأن هذا القتل ندوره وبعده من الظن ، ومعلوم أنه لم يكن نادراً ولا بعيداً من حيث كان واقعاً على من وقع عليه ، بل من حيث كان واقعاً ممن وقع منه .

وعليه قوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إِملاق نحن نرزقكم وإياهم ﴾ (٤) وقوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إِملاق نحن نرزقهم وإياكم ﴾ (٥) قدم المخاطبين (٦) فى الأولى دون الثانية ؛ لأن الخطاب فى الأولى للفقراء ، بدليل قوله تعالى ﴿ من إِملاق ﴾ فكان رزقهم أهم عندهم من رزق أولادهم ، فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم ، والخطاب فى الثانية للأغنياء بدليل قوله ﴿ خشية إِملاق ﴾ فإن الخشية إنما تكون مما لم يقع ، فكان رزق

(١) قد سبق أن مثل هذا لا يصح أن يعد فى وجوه البلاغة ؛ لأن الكلام معه لا يفيد معنى ثانوياً يعتد به .

(٢) تقديم الفاعل على المفعول لا يدخل فى تقديم المعمولات ؛ فذكره هنا استطراد ، وليبان اختلاف الغرض عند تقديم كل منهما على الآخر .

(٣) لا بد أن يكون هذا الغرض من الأغراض كما سيأتى فى الأمثلة ، لأنه لا يكفى كما ذكر عبد القاهر أن يقال قُدِّم للعناية من غير معرفة وجهها .

(٤) سورة الأنعام : الآية ١٥١ . (٥) سورة الإسراء : الآية ٣١ .

(٦) يعنى غيرهم فى قوله : « نرزقكم » فى الأولى ، وقوله « وإياكم » فى الثانية .

أولادهم هو المطلوب دون رزقهم لأنه حاصل ، فكان (١) أهم ، فقدم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم .

وإما لأن في التأخير إخلالا ببيان المعنى ، كقوله تعالى : ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ﴾ (٢) فإنه لو أخر ﴿ من آل فرعون ﴾ عن ﴿ يكتم إيمانه ﴾ لتوهم أن ﴿ من ﴾ متعلقة بـ ﴿ يكتم ﴾ ، فلم يفهم أن الرجل من آل فرعون (٣) .

أو التناسب كمرعاة الفاصلة ، نحو ﴿ فأوجس في نفسه خيفة موسى ﴾ (٤) .

وإما لاعتبار آخر مناسب (٥) .

وقسم السكاكي (٦) التقديم للعناية مطلقاً (٧) قسمين :

أحدهما أن يكون أصل ما قدم في الكلام هو التقديم ولا مقتضى للعدول عنه ، كالابتداء المعروف (٨) فإن أصله التقديم على الخبر نحو « زيد عارف » ، وكذا الحال المعروف فإن أصله التقديم على الحال ؛ نحو « جاء زيد راكباً » ، وكالعامل فإن أصله التقديم على معموله ، نحو « عرف زيد عمراً » ، وكان زيد عارفاً ، وإن زيدا عارف ، وكالفاعل ؛ فإن أصله التقديم على المفعولات وما يشبهها من الحال والتمييز ، نحو « ضرب زيد الجاني بالسوط يوم الجمعة أمام بكر ضرباً شديداً تأديباً له ممتلئاً من الغضب » ، وامتناء الإناء ماءً » وكذلك يكون في حكم المبتدأ من مفعولي باب علمت (٩) نحو « علمتُ زيدا منطلقاً » ، أو في حكم الفاعل من مفعولي باب أعطيت وكسوت (١٠) ؛ نحو « أعطيت زيدا درهما وكسوت عمرا »

(١) أى رزق أولادهم . (٢) سورة غافر : الآية ٢٨ .

(٣) فالتقديم في ذلك لدفع اللبس ؛ لأن الأصل عند اختلاف النعوت تقديم النعت المفرد ثم الظرف ثم الجملة .

(٤) آية ٦٧ سورة طه ، وقد سبق أن مثل هذا إنما يفوت به محسنٌ بديعى ، فتكون منزلته في البلاغة بقدر الغرض منه ، ويمكن أن يكون تقديم (في نفسه) على (خيفه) لأنه لو أخر عنه لتوهم تعلقه به لا بقوله (فأوجس) وهو المقصود .

(٥) كإفادة التخصيص في نحو « جاء راكباً زيد » كما ذهب إليه ابن الأثير ، وهو خلاف مذهب الجمهور .

(٦) ١٢٧ - المفتاح . (٧) أى في المعمولات وغيرها .

(٨) أما المنكر فإنه يتقدم عليه الخبر لتسوية الابتداء به ، وكذلك صاحب الحال المنكر .

(٩) بابه كل مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر .

(١٠) بابه كل مفعولين أولهما فاعل في المعنى .

جبة (١)، وكالمفعول المتعدى إليه بغير واسطة فإن أصله التقديم على المتعدى إليه بواسطة ، نحو « ضربت الجاني بالسوط » ، وكالتوابع فإن أصلها أن تذكر بعد المتبوعات (٢) .

ثانيهما أن تكون العناية بتقديمه والاعتناء بشأنه لكونه في نفسه نصب عينك ، والتفات خاطرك إليه في التزايد ، كما تجددك قد منيت بهجر حبيبك وقيل لك : ما تتمنى ؟ . . . تقول « وجه الحبيب أتمنى » وعليه قوله تعالى : ﴿ وجعلوا لله شركاء ﴾ (٣) أى على القول (٤) بأن ﴿ لله شركاء ﴾ مفعولا (جعلوا) .

أو لعارض يورثه ذلك (٥) : كما إذا توهمت أن مخاطبك ملتفت الخاطر إليه ينتظر أن تذكره ، فيبرز في معرض أمر يتجدد في شأنه التقاضى ساعة فساعة ، فمتى تجد له مجالا للذكر صالحا أوردته ، نحو قوله تعالى : ﴿ وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى ﴾ (٦) قدم فيه المجرور لاشتمال ما قبله على سوء معاملة أهل القرية الرسل من إصرارهم على تكذيبهم ، فكان مظنة أن يلعن السامع - على مجرى العادة - تلك القرية ، ويبقى مجيلا في فكره : أكانت كلها كذلك أم كان فيها قطر - دان أم قاص - منبت خير ؟ منتظرا لإمام الحديث به ، بخلاف ما في سورة القصص (٧) .

أو كما إذا وعدت (٨) ما تستبعد وقوعه من جهتين ؛ إحداهما أدخل في تبعيده من الأخرى ، فإنك حال التفات خاطرك إلى وقوعه باعتبارهما تجد تفاوتاً في

(١) فكل من زيد وعمر في حكم الفاعل ؛ لأن زيدا هو الآخذ ، والدرهم مأخوذ ، وعمر هو اللابس والجبة ملبوسة .
(٢) فلا تتقدم عليها ولا يتقدم عليها غيرها بعدها ؛ كالحال في نحو « جاء زيد الطويل راكبا » .

(٣) سورة الأنعام : الآية ١٠٠ .
(٤) هناك قول في هذه الآية : ﴿ وجعلوا لله شركاء الجن ﴾ بأن « شركاء الجن » هما المفعولان ، والجار والمجرور متعلق بشركاء ، ولا يخفى أن الاستشهاد جار عليه أيضا ؛ لأن الشاهد في تقديم « الله » لكونه في نفسه مما يلتفت إليه .
(٥) معطوف على قوله : لكونه في نفسه . والمقابلة ظاهرة .

(٦) سورة يس : الآية ٢٠ .
(٧) هو قوله تعالى في قصة موسى : ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ﴾ آية ٢٠ سورة القصص . وقد جاء الكلام فيها على أصله من تأخير الجار والمجرور لأنه ليس فيها من ذلك ما يقتضى تقديمهما في الآية الأولى لتبكيك أولئك القوم بكون البعيد عما شاهدوا ينصح لهم ما لم ينصحوه لأنفسهم .

(٨) معطوف على قوله : كما إذا توهمت .

إنكارك إياه قوةً وضعفاً بالنسبة ، ولا ممتناع إنكاره بدون القصد إليه يستتبع تفاوته ذلك تفاوتاً في القصد إليه والاعتناء بذكره ، فالبلاغة توجب أنك -إذا أنكرت- تقول في الأول (١) : شيء حاله في البعد عن الوقوع هذه أنى يكون ؟ ٠٠٠ لقد وعدت هذا أنا وأبى وجدى : فتقدم المنكر على المرفوع (٢) وفى الثانى : لقد وعدت أنا وأبى وجدى هذا : فتؤخر ، وعليه قوله تعالى فى سورة النمل : ﴿ لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا ﴾ (٣) وقوله تعالى فى سورة المؤمنون : ﴿ لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا ﴾ (٤) فإن ما قبل الأولى : ﴿ إذا كنا تراباً وآباؤنا أئنا لمخرجون ﴾ وما قبل الثانية : ﴿ إذا متنا وكنا تراباً وعظاما أئنا لمبعوثون ﴾ فالجهة المنظور فيها هناك كونهم أنفسهم وآباؤهم تراباً ، والجهة المنظور فيها هنا كونهم تراباً وعظاماً ، ولا شبهة أن الأولى أدخل عندهم فى تبعيد البعث (٥) .

أو كما إذا عرفت فى التأخير مانعاً (٦) كما فى قوله تعالى فى سورة المؤمنون : ﴿ وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم ﴾ (٧) بتقديم المجرور على الوصف (٨) لأنه لو أخر عنه - وأنت تعلم أن تمام الوصف بتمام ما يدخل فى صلة الموصول ، وتمامه ﴿ وأترفناهم فى الحياة الدنيا ﴾ - لاحتصل أن يكون من صلة الدنيا ، واشتبه الأمر فى القائلين ، أنهم من قومه أم لا . بخلاف قوله تعالى فى موضع آخر منها : ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ﴾ (٩) فإنه جاء على

(١) أى فى الحال الأول ، وهو ما كانت جهته أدخل فى تبعيد ذلك ، فتجعل العناية بذكره أهم ، والثانى هو ما كانت جهته أضعف فى تبعيد ذلك ، فلا تكون هناك عناية بذكره قبل غيره .

(٢) المنكر هو اسم الإشارة « هذا » لأنه هو المستبعد ، والمرفوع هو مؤكد نائب الفاعل « أنا » وما عطف إليه .

(٣) سورة النمل : الآية ٦٨ . (٤) سورة المؤمنون : الآية ٨٣ .

(٥) لأنهم صاروا فيها إلى تراب ولم يبق لهم فيها عظام ، وقد قيل فى سر التقديم والتأخير فى الآيتين : إن قوله : ﴿ لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا ﴾ جاء على أسلوبه ما قبله ﴿ إذا كنا تراباً وآباؤنا ﴾ فقدم المفعول الثانى لـ (وعد) ، كما قدم خبر كان على المعطوف على اسمها ، ولا شك أن الخبر كمفعول لها .

(٦) معطوف على قوله : كما إذا أوعدت .

(٧) سورة المؤمنون : الآية ٣٣ . (٨) المجرور « قومه » ، والوصف « الذين » .

(٩) سورة المؤمنون : الآية ٢٤ .

الأصل (١) لعدم المانع ، وكان فى قوله تعالى فى سورة طه : ﴿ آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ (٢) للمحافظة على الفاصلة بخلاف قوله تعالى فى سورة الشعراء : ﴿ رَبُّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ (٣) .

وفيما ذكره نظر من وجوه :

أحدها : أنه جعل تقديم (الله) على (شركاء) للعناية والاهتمام ، وليس كذلك ؛ فإن الآية مسوقة للإنكار التوبيخى ، فيمتنع أن يكون تعلق (جعلوا) بـ (الله) منكراً اعتبار تعلقه بشركاء ؛ إذ لا يُنكر أن يكون جعل « ما » متعلقاً به ، فيتعين أن يكون إنكار تعلقه به باعتبار تعلقه بشركاء ، وتعلقه بشركاء كذلك منكر باعتبار تعلقه بالله ، فلم يبق فرق بين التلاوة وعكسها (٤) .

وقد علم بهذا أن كل فعل متعد إلى مفعولين لم يكن الاعتناء بذكر أحدهما إلا باعتبار تعلقه بالآخر إذا قدم أحدهما على الآخر لم يصح تعليل تقديمه بالعناية .
وثانيها : أنه جعل التقديم للاحتراز عن الإخلال ببيان المعنى والتقديم للرعاية على الفاصلة من القسم الثانى ، وليساً منه (٥) .

-
- (١) من تقديم الصفة على الحال وهو الجار والمجرور لأنه متأخر الرتبة على التابع .
(٢) سورة طه : الآية ٧٠ . (٣) سورة الشعراء : الآية ٤٨ .
(٤) يعنى من هذه الجهة ، فلا ينافى هذا ما سبق له فى الكلام على حذف المسند وهو أن تقديم « الله » على « شركاء » لإفادة استعظام أن يتخذ له شريك ملكاً كان أو جناً أو غيرهما . ويمكن الجواب عن السكاكى بأنه جعل تقديم « الله » لكونه نصب العين ، وهذا يوجب تقديمه عنده ، وإن كان ما سبقت له الآية من الإنكار التوبيخى يحصل عند تأخيره .
(٥) لأن المراد به تقديم ما حقه التأخير ، الجار والمجرور فى قوله : ﴿ وقال الملائكة من قومه الذين كفروا ﴾ الآية ، حال من الملائكة ، واسم الموصول صفة لقومه لا للملائكة كما ذهب إليه السكاكى . فلا يكون الحال حقه فى التأخير عنها ؛ لأنها ليست صفة لصاحبه ، وكذلك تقديم هارون على موسى فى قوله : ﴿ آمنا برب هارون وموسى ﴾ لأن المتعاطفين بالواو ليس من حق أحدهما التأخير عن الآخر . وقد أجيب عن السكاكى بأن تقسيمه التقديم للعناية مبني على أن العناية فى القسم الأول ترجع إلى مجرد أن التقديم فيه هو الأصل ، وفى القسم الثانى ترجع إلى الأمور التى ذكرها ، وليس مبني على أن التقديم فى القسم الأول تقديم ما أصله التقديم ، وفى القسم الثانى تقديم ما حقه التأخير حتى يصح الاعتراض عليه بذلك .

وثالثها : أن تعلق (من قومه) بـ (الدنيا) على تقدير تأخره غير معقول
المعنى إلا على وجه بعيد (١) .

* * *

(١) أجيب عن هذا بأن احتمال ذلك فيه ، ولو كان بعيداً ، يكفي في إثبات ما ذكره
السكاكي في نكتة تقديمه ، ولكن الأوجه من هذا أن يجعل المانع من تأخير طوله الصفة بالصلة
وما عطف عليها ، فلو أخر عنها لطال الفصل بين ضمير « قومه » ومرجعه .

تمرينات على التقديم والتأخير

تمرين - ١

(١) لماذا قدم الظرف على الفعل في قول الشاعر :

أبعد المشيب المنقضى في الذوائب تحاول وصل الغانيات الكواعب

٢ - هل تقديم الجار والمجرور للتخصيص أو لمجرد الاهتمام في قول الشاعر :

على الأخلاق خطوا الملك وابنوا فليس وراءها للعز ركن

تمرين - ٢

(١) لماذا قدم المفعول الثاني على نائب الفاعل في قول الشاعر :

أفى الحق أن يعطى ثلاثون شاعراً ويحرم ما دون الرضا شاعر مثلى ؟

(٢) لماذا قدم الجار والمجرور على متعلقه وعلى الفاعل في قوله تعالى : ﴿ قالوا

لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴾ آية ٩١ سورة طه .

تمرين - ٣

(١) ما الغرض من تقديم المفعول على الفعل في قول الشاعر :

صهوة الجو اعتلوا تحسبهم جمع أفلاك على الخيل تسامى

(٢) ما الغرض من تقديم الجار والمجرور على الفعل في قول الشاعر :

إذا شئت يوماً أن تسود عشيرة فبالحلم سد لا بالتسرع والشتم

تمرين - ٤

(١) لماذا قدم المفعول على الفعل في قوله تعالى : ﴿ وربك فكبر ﴾ وثيابك

فطهر ﴾ آية ٣ ، ٤ سورة المدثر .

(٢) هل تقديم الجار والمجرور للاهتمام أو للتخصيص في قول الشاعر :

بك اقتدت الأيام في حسناتها وشيمتها لولاك هم وتكريب

(٣) ما الغرض من تقديم بعض المفعولات على بعض في قول الشاعر :

ألقمت مقاليدها الدنيا إلى رجل ما زال وقفاً عليه الجود والكرم

* * *

(تم بحمد الله الجزء الأول من بغية الإيضاح)

بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح فى علوم البلاغة

تأليف

عبد المتعال الصّعيدى

الأستاذ بكلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر

الجزء الثانى

من القصر فى علم المعانى إلى آخر علم المعانى

طبعة نهاية القرن : ١٤٢٠ - ١٤٢١ هـ / ١٩٩٩ - ٢٠٠٠ م

الناشر مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة ت ٣٩٠٠٨٦٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الخامس القول فى القصر

أقسام القصر :

القصر حقيقى ، وغير حقيقى (١) . وكل واحد منهما ضربان :

(١) القصر فى اللغة: الحس، وفى الاصطلاح: تخصيص شىء بشىء بطريق مخصوص، والشىء الأول هو المقصور، والثانى هو المقصور عليه، والطريق المخصوص هو أدوات القصر، والمراد بتخصيص الشىء بالشىء إثبات أحدهما للآخر ونفيه عن غيره، وبهذا تكون جملة القصر فى قوة جملتين، ويكون القصر طريقاً من طرق الإيجاز، ويكون الإيجاز من أهم أغراضه. وقد يصرح فى القصر بالجملتين معاً كما سيأتى فى القصر ولكن ببل وليس. ومن أغراض القصر أيضاً أنه قد يقصد به تمكين الكلام وتقريره فى الذهن؛ لدفع ما فيه من إنكار أو شك، ولا يخفى أن هذه المزايا إنما هى للقصر بأدواته الآتية، وبهذا يبطل ما ذهب إليه بعض مؤلفى عصرنا من التعميم فى تعريف القصر، ليشمل نحو قول الشاعر:

أرونى أمةً بلغتُ منها
بغير العلم أو حدّ اليمانى

وقوله تعالى: آية ١٠٥ سورة البقرة ﴿والله يختص برحمته من يشاء﴾ وقولك: «زيد مقصور على الكتابة» مع أن القصر فى الآية والمثال معنى أولى لا ثانوى، والبيت من الاستثناء فى الإثبات، وسيأتى.

والقصر الحقيقى هو ما يكون فيه النفى لكل ما عدا المقصور عليه، كقولك «ما خاتم الرسل إلا محمد». والقصر غير الحقيقى هو ما يكون فيه النفى لبعض ما عدا المقصور عليه، كقولك «زيد كاتب لا شاعر» فهو يفيد نفى الشعر فقط لا كل ما عدا الكتابة من أكل وشرب وغيرهما، القصر غير الحقيقى هو الذى يُسمى القصر الإضافى.

قصر الموصوف على الصفة ، وقصر الصفة على الموصوف^(١) . والمراد الصفة المعنوية^(٢) لا النعت .

والأول من الحقيقي كقولك « ما زيد إلا كاتب » إذا أردت أنه لا يتصف بصفة غير الكتابة ، وهذا لا يكاد يوجد في الكلام ؛ لأنه ما من متصور إلا وتكون له صفات تتعذر الإحاطة بها أو تتعسر^(٣) .

والثاني منه كثير ؛ كقولنا « ما في الدار إلا زيد »^(٤) والفرق بينهما ظاهر ؛

(١) قصر الموصوف على الصفة هو ما لا يتجاوز فيه الموصوف صفته وإن جاز أن تكون لموصوف آخر ، وقصر الصفة على الموصوف هو ما لا تتجاوز فيه الصفة موصوفها وإن جاز أن يكون له صفة أخرى .

(٢) هي كل أمر قائم بغيره ، وكذلك يراد بالموصوف كل ما قام به غيره ، وإن كان هو صفة في نفسه ؛ فيدخل في ذلك نحو « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » من قصر الموصوف على الصفة ، أي ما الصبر إلا الكائن عند هذه الصدمة ، وكذلك قوله تعالى : آية ٣ سورة الزمر ﴿ ما نعبدُهم إلاَّ ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ وإنما لم يكن المراد بالصفة النعت النحوي ؛ لأنه لا يتأتى قصر بينه وبين موصوفه خلوهما عن الحكم ، ولا يمكن أن يخرج قصر عن كونه قصر موصوف على صفة أو صفة على موصوف ، سواء أكان قصر مبتدأ على خبر أم كان قصر فاعل على مفعول أم كان غيرهما ، فقصر الفاعل على المفعول معناه في الحقيقة قصر الفعل الصادر من الفاعل على المفعول ، لا قصر ذات الفاعل عليه ، وإذا كان كل من المبتدأ والخبر يدل على ذات نحو « ما الباب إلا ساج » أوّل في أحدهما حتى يكون صفة ، فالمراد في هذا المثال قصر الباب على الاتصاف بكونه ساجاً ، وهكذا .

(٣) قد يوجد هذا النوع من القصر في الكلام عند قصد الادعاء والمبالغة في مقام المدح والفخر ونحوهما ، كقوله تعالى في آية ٩٠ سورة المائدة : ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان ﴾ وقول الشاعر :

هل الجود إلا أن تجود بأنفس
على كل ماضى الشفرتين صقيل
وقد تكلفوا هذا المثال - إنما الله تعالى متصف بكل كمال منزّه عن كل نقص - لقصر الموصوف على الصفة قصرًا تحقيقيًا صادقًا .

(٤) يعني من البشر ، لأنه هو المقصود في مثل هذا ، وإلا فالدار يوجد فيها متاعها وغيره ، ولكن مثل هذا لا ينظر إليه في ذلك الكلام ، فلا يجعله من القصر الإضافي ، ومن ذلك قول الشاعر :

ولا ينال العلا إلا فتى شرفت
خلاله فأطاع الدهر ما أمرا

فإن الموصوف في الأول لا يمتنع أن يشاركه غيره في الصفة المذكورة ، وفي الثاني يمتنع ، وقد يُقصد به^(١) المبالغة لعدم الاعتداد بغير المذكور ، فينزل منزلة المعدوم .

والأول من غير الحقيقي : تخصيص أمر بصفة دون أخرى^(٢) أو مكان أخرى ، والثاني منه : تخصيص صفة بأمر دون آخر^(٣) أو مكان آخر . فكل واحد منهما ضربان ، والمخاطب بالأول من ضربَي كل (أعنى تخصيص أمر بصفة دون أخرى وتخصيص صفة بأمر دون آخر) من يعتقد الشركة^(٤) ، أى اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة وغيرها جميعاً في الأول ، واتصاف ذلك الأمر وغيره جميعاً بتلك الصفة في الثاني ؛ فالمخاطب بقولنا : « ما زيد إلا كاتب » من يعتقد أن زيداً كاتب وشاعر ، وبقولنا « ما شاعر إلا زيد » من يعتقد أن زيداً شاعر لكن يدعى أن عمرًا أيضاً شاعر ، وهذا يسمى قصر أفراد ؛ لقطعه الشركة بين الصفتين في الثبوت للموصوف ، أو بين الموصوف وغيره في الاتصاف بالصفة .

والمخاطب بالثاني من ضربَي كل (أعنى تخصيص أمر بصفة مكان أخرى وتخصيص صفة بأمر مكان آخر) إما من يعتقد العكس ؛ أى اتصاف ذلك الأمر بغير

(١) أى بقصر الصفة على الموصوف ، وهذا يسمى قصرًا ادعائياً ، أما قصر الموصوف على الصفة فلا يوجد إلا على سبيل الادعاء ، كما سبق ، والمراد المبالغة في كمال الصفة في الموصوف بها ، ومن قصر الصفة على الموصوف قصرًا حقيقياً ادعائياً قول الله تعالى آية ٢٨ سورة فاطر : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ؛ لأن غيرهم قد يخشاه أيضاً ولكن لا اعتداد بخشيته ، وكذلك قول الفرزدق :

أنا الذائد الحامى الذمار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

(٢) أى دون صفة أخرى ، والمعنى دون جنسها ؛ فيشمل الصفة الواحدة ، ويشمل أيضاً ما فوقها بشرط أن يكون على التفصيل ؛ ليفترق القصر الإضافي عن الحقيقي ، فلا يكون من الإضافي نحو « إنما زيد كاتب لا شاعر » ولا غير ذلك من الصفات - والباء في التعريف داخلية على المقصور عليه .

(٣) أى دون موصوف آخر ، والمعنى دون جنسه ، فيشمل الموصوف الواحد ويشمل أيضاً ما فوق ذلك بشرط أن يكون على التفصيل أيضاً ؛ فلا يكون من الإضافي نحو « إنما الكاتب زيد لا غيره من الناس » .

(٤) مثل اعتقاد الشركة في ذلك ظنّها وتجويزها مطلقاً ، وكذلك يقال في اعتقاد العكس الآتى ؛ لأن كل هذا يقابل التساوى الآتى في قصر التعيين .

تلك الصفة عوضاً عنها في الأول ، واتصاف غير ذلك الأمر بتلك الصفة عوضاً عنه في الثاني ، وهذا يُسمَّى قصر القلب ؛ لقلبه حُكم السامع ، وإما من تساوى الأمران عنده ؛ أى اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة واتصافه بغيرها في الأول ، واتصافه بها واتصاف غيره بها في الثاني ، وهذا يُسمَّى قصر تعيين ؛ فالمخاطب بقولنا « ما زيد إلا قائم » من يعتقد أن زيدا قاعد لا قائم ، أو يعلم أنه إما قاعد أو قائم ولا يعلم أنه بماذا يتصف منهما بعينه، وبقولنا « ما قائم إلا زيد » من يعتقد أن عمراً قائم لا زيدا ، أو يعلم أن القائم أحدهما دون كل واحد منهما ، لكن لا يعلم من هو منهما بعينه^(١) .

* وشرط قصر الموصوف على الصفة إفراداً عدم تنافى الصفتين^(٢) ؛ حتى تكون المنفية في قولنا « ما زيد إلا شاعر » كونه كاتباً أو منجماً أو نحو ذلك ، لا كونه مفحماً لا يقول الشعر ؛ ليتصور اعتقاد المخاطب اجتماعهما . وشرط قصره قلباً تحقق تنافيهما ؛ حتى تكون المنفية في قولنا « ما زيد إلا قائم » كونه قاعداً أو جالساً أو نحو ذلك ، لا كونه أسود أو أبيض أو نحو ذلك ؛ ليكون إثباتها مشعراً بانتفاء

(١) على هذا يكون قصر التعيين كقصر القلب من الضرب الثاني في القصر الإضافي ، وهو التخصيص بشيء مكان شيء ، وقد جعل السكاكي قصر التعيين من الضرب الأول وهو التخصيص بشيء دون شيء ، فجعله شاملاً لقصر الأفراد وقصر التعيين ، وجعل الضرب الثاني خاصاً بقصر القلب ، والخطب في ذلك سهل .

هذا والمقام الداعي إلى القصر في الأقسام الثلاثة هو الرد على المخاطب في قصر الأفراد والقلب ، وتعيين المبهم عند المخاطب في قصر التعيين ، وإنما لم تجر هذه الأقسام في القصر الحقيقي ؛ لأن القصر فيه بالنسبة إلى كل ما عدا المقصور عليه على الإطلاق فلا يتصور فيه اعتقاد شركة أو غيرها ، وقد تكلف بعضهم تقسيم الحقيقي إلى ذلك أيضاً ، والقصر الادعائي لا يجرى في الإضافي كما جرى في الحقيقي ؛ لأنه فيما قيل لم يقع في كلام البلغاء ، وإن لم يكن هناك مانع عقلي من إتيانه في الإضافي، ويمكن أن يكون من الإضافي الادعائي قول الشاعر :

هَلِ الْجُودُ إِلَّا أَنْ تَجُودَ بِنَفْسٍ عَلَى كُلِّ مَاضِي الشَّفَرَتَيْنِ صَقِيلٍ

إذا كان يريد قصر الجود على الجود بالنفس لا الجود بالمال على سبيل المبالغة ، والرد على من يعتقد خلاف ذلك .

(٢) لم يذكر هذا الشرط في قصر الصفة على الموصوف ؛ لأن الموصوفات لا تكون إلا

متنافية .

غيرها^(١) . وقصر التعيين أعم ؛ لأن اعتقاد كون الشيء موصوفاً بأحد أمرين معينين على الإطلاق لا يقتضى جواز اتصافه بهما معاً ولا امتناعه ، وبهذا علم أن كل ما يصلح أن يكون مثلاً لقصر الأفراد أو قصر القلب يصلح أن يكون مثلاً لقصر التعيين ، من غير عكس^(٢) . وقد أهمل السكاكي^(٣) القصر الحقيقي ، وأدخل قصر التعيين فى قصر الأفراد^(٤) ، ولم يشترط فى قصر الموصوف أفراداً عدم تنافى الصفتين^(٥) ، ولا فى قصره قلباً تحقق تنافيهما^(٦) .

* * *

-
- (١) تكون فائدة القصر مع ذلك ما فيه من التنبيه على رد الخطأ فى اعتقاد العكس ؛ لأن ذلك الإشعار لا يستفاد منه هذا التنبيه .
- (٢) أى لغوى ، وهو أن كل ما يصلح أن يكون مثلاً لقصر التعيين يصلح أن يكون مثلاً لقصر الأفراد أو القلب .
- (٣) ص ١٥٦ - المفتاح .
- (٤) لأنه جعله لمن يعتقد الشركة ومن لا يعتقد شيئاً ، وقد سمي ذلك قصر أفراد ، ولم يتعرض لما يدخل فيه مما سماه غيره قصر تعيين ، وهذه كلها اصطلاحات لا مشاحة فيها .
- (٥) لدخول ما يسمى قصر التعيين عند غيره فى قصر الأفراد عنده ، وقصر التعيين لا يشترط فيه ذلك .
- (٦) لأنه قد يأتي فى نحو « ما زيد إلا شاعر » لمن اعتقد أنه كاتب لا شاعر ، ولا تنافى بين الشعر والكتابة ، وما ذكره الخطيب فى تعليل ذلك الشرط مردود بأن أداة القصر فيها ذلك الإشعار ؛ فلا حاجة إلى إفادته بذلك الشرط .

تمريبات على أقسام القصر

تمرين - ١

(١) هل القصر فى البيت الآتى حقيقى أو إضافى ؟

قد علمت سلمى وجاراتها ما قطر الفارس إلا أنا

(٢) بأى اعتبار ينقسم القصر إلى حقيقى وغير حقيقى ؟ وما فائدة هذا التقسيم بلاغة ؟ ولماذا أهمله السكاكى ؟

تمرين - ٢

(١) من أى القصرين - قصر الموصوف على الصفة أو العكس ؟ - قول الشاعر

وما المرء إلا هالك وابن هالك وذو نسب فى الهالكين عريق

(٢) بأى اعتبار ينقسم القصر إلى قصر صفة على موصوف وبالعكس ؟ وما فائدة ذلك بلاغة ؟

تمرين - ٣

(١) هل القصر فى البيت الآتى قصر أفراد أو قصر تعيين ؟

فإن كان فى لبس الفتى شرف له فما السيف إلا غمده والحمائل

(٢) بأى اعتبار ينقسم القصر إلى قصر أفراد وقصر قلب وقصر تعيين ؟ وما فائدة ذلك بلاغة ؟ وما هو الحال ومقتضى الحال فى الأقسام الثلاثة ؟

تمرين - ٤

(١) هل من القصر الحقيقى أو الادّعاى قول الشاعر ؟

وما البأس إلا حمل نفس على السرى وما العجز إلا نومة وتشمس

(٢) هل يأتى القصر الادّعاى فى القصر الإضافى ؟ وأيها أبلغ : الحقيقى أم الادّعاى ؟

طُرُقُ القصر

وللقصر طرق ؛ منها :

١ - العطف^(١) كقولك في قصر الموصوف على صفة أفراداً : « زيد شاعر لا كاتب » ، أو « ما زيد كاتباً بل شاعر »^(٢) وقلباً : « زيد قائم لا قاعد » ، أو « ما زيد قاعداً بل قائم »^(٣) ، وفي قصر الصفة على الموصوف أفراداً أو قلباً بحسب المقام : « زيد قائم لا عمرو » أو « ما عمرو قائماً بل زيد »^(٤) .

(١) إنما قدم العطف لأنه أقوى دلالةً على القصر للتصريح فيه بالإثبات والنفي ، وبإليه النفي والاستثناء ، فإنما ، فالتقديم . وإنما كان التقديم آخرها ؛ لأن دلالاته على القصر ذوقية لا وضعية كما يأتي . ولا تنحصر طرق القصر في هذه الطرق التي ذكرها ؛ لأن منها ضمير الفصل وتعريف المسند بالجنسية كما سبق في الكلام عليه في الجزء الأول .

(٢) إنما ذكر « بل » بعد النفي لأنها بعد الإثبات تجعل ما قبلها في حكم المسكوت عنه فقط ، فلا تفيد بعده القصر كما تفيد بعد النفي .

(٣) جرى في هذا على مذهبه من اشتراط التنافي بين الصفتين في قصر القلب واشتراط عدمه في قصر الأفراد ؛ فلا يمكن اجتماعهما في مثال واحد ، والخطب في ذلك سهل .

(٤) إنما جمع قصر الصفة على الموصوف أفراداً أو قلباً في مثال واحد ؛ لأنه لا يشترط في قصر الأفراد فيه عدم تنافي الاتصافين اتفاقاً ، فلا يتنافى هو وقصر القلب في ذلك ، ويصح اجتماعهما بحسب المقام في مثال واحد ، وإنما لم يذكر مثلاً لقصر التعيين في الموضوعين ؛ لأن كل ما يصلح مثلاً لقصر الأفراد أو القلب يصلح مثلاً له كما سبق ، وقد ادعى عبد القاهر أن قصر التعيين لا يأتي في طريق العطف ، وذكر عبد القاهر أن « لا » لا تنفي عن الثاني أن يكون قد شارك الأول في الفعل ، بل تنفي عنه أنه قد كان منه دون الأول : فهي عنده لقصر القلب دون الأفراد . والحق أن أنواع القصر الثلاثة تأتي كلها فيما ذكر من حروف العطف ، وأن القصر الحقيقي يأتي فيها أيضاً ، كما تقول : « محمد خاتم الأنبياء لا غيره » ، وأن « لكن » العاطفة تفيد القصر أيضاً ، نحو : « ما الشاعر أبو تمام والمتنبى لكن البحترى » وقد تأتي لكن للاستدراك كما في قول الشاعر :

إن ابن ورقاء لا تُخشى بواردهُ لكن وقائعهُ في الحرب تُنتظرُ

لأنها لا تعطف جملة على جملة . وكذلك « بل » قد تأتي للإضراب لا العطف ولكنهما مع هذا يحملان في إفادة القصر على « بل ولكن » العاطفتين كما ذكره ابن يعقوب ؛ لإفادتهما معنى العطف أيضاً . ولا يخفى أن مزية الإيجاز في القصر تتضاءل في طريق العطف .

٢ - النفي والاستثناء :

ومنها النفي والاستثناء^(١) كقولك في قصر الموصوف على الصفة **إفراداً** : « ما زيد إلا شاعر » ، **وقلباً** : « ما زيد إلا قائم » ، **وتعييناً** كقوله تعالى : ﴿ وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون ﴾^(٢) أى لستم في دعواكم للرسالة عندنا بين الصدق والكذب^(٣) كما يكون ظاهر حال المدعى إذا ادعى ، بل أنتم عندنا كاذبون فيها . وفى قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارين^(٤) : « ما قائم » أو « ما من قائم » أو « لا قائم إلا زيد » .

وتحقيق وجه القصر فى الأول^(٥) أنه متى قيل « ما زيد » توجه النفي إلى صفته

= للتصريح فيه بالإثبات والنفي ، فتكون بلاغة القصر فيه أقل منها فى غيره ، وإن كانت فائدة التأكيد فيه أقوى . وما ورد فى الشعر من القصر بالعطف هذه الأبيات :

ليس اليتيم الذى قد مات والده بل اليتيم يتيم العلم والأدب
إن الجديدين فى طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس
كان دثــــاراً حلت بلبونه عقاب تنوفى لا عقاب القواعل

(١) بخلاف الاستثناء من الإثبات فإنه ليس بقصر عندهم ، وقيل : إنه قصر أيضاً ، لأنك إذا قلت « قام القوم إلا زيداً » قصرت عدم القيام على زيد ، ومن يذهب إلى أنه ليس بقصر يرى أنه قيد مصحح للحكم لا غير . فكأنك فى هذا المثال قلت « جاء القوم المغايرون لزيد » ، كما تقول « جاء القوم الصالحون » ، وهذا بخلاف قولك « ما جاءنى إلا زيد » فإن الغرض منه النفي والإثبات المحققان للقصر ؛ ولهذا يستعمل النفي والاستثناء عند الإنكار بخلاف الاستثناء من الإثبات .

(٢) آية ١٥ سورة يس .

(٣) أى مترددين بينهما ، ولهذا كان القصر على الكذب قصر تعيين ، ولكن هذا لا يصح إلا بتزليل المشركين للرسول منزلة المترددين مبالغة فى إنكارهم لدعواهم وإعراضهم عنها ، والظاهر أن القصر فى ذلك قصر قلب لا تعيين .

(٤) كان عليه أن يكتفى أيضاً فى قصر الموصوف على الصفة بمثال واحد للاعتبارين ؛ لأن المنفى فى النفي والاستثناء غير مصرح به ، فيجوز فى قولك « ما زيد إلا شاعر » أن يكون لنفى أنه كاتب فيكون قصر أفراد ، وأن يكون لنفى أنه مفحم فيكون قصر قلب ، وكذلك القصر فى إنما وفى التقديم الآتين .

(٥) أى قصر الموصوف على الصفة .

لا ذاته ؛ لأن أنفُسَ الذوات يمتنع نفياً وإنما تنفى صفاتها كما بين ذلك فى غير هذا العلم ، وحيث لا نزاع فى طوله وقصره وما شاكل ذلك ، وإنما النزاع فى كونه شاعراً أو كاتباً تناولهما النفى ، فإذا قيل « إلا شاعر » جاء القصر (١) .

وفى الثانى (٢) أنه متى قيل « ما شاعر » فأدخل النفى على الوصف المسلم بثبوته - أعنى الشعر - لغير من الكلام فىهما كزيد وعمر مثلاً توجه النفى إليهما فإذا قيل « إلا زيد » جاء القصر (٣) .

٣ - إنما :

ومنها إنما ؛ كقولك فى قصر الموصوف على الصفة **إفراداً** (٤) « إنما زيد كاتب » ، **وقلباً** « إنما زيد قائم » ، وفى قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارين « إنما قائم زيد » . والدليل على أنها تفيد القصر كونها متضمنة معنى « ما وإلا » (٥) لقول المفسرين (٦) فى

(١) لتحقق النفى والإثبات المحقق للقصر .

(٢) أى قصر الصفة على الموصوف .

(٣) لتحقق النفى والإثبات كما سبق ، ولا يخفى أن دلالة النفى والإثبات على القصر بالوضع ، فلا يحتاج إلى تكلف ما ذكره فى تحقيق إفادته القصر ، هذا ولا فرق فى إفادة النفى والاستثناء القصر بين أداة وأداة ، ومن ذلك قول الشاعر فى « ما » ، « ولا » ، « وإلا » :
وما الخوف إلا ما تخوفه الفتى ولا الأمن إلا ما رآه الفتى أمناً

وقول الآخر فى « لا وغير » :

ولا عيب فىهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

(٤) يرى عبد القاهر أن « إنما » لا تستعمل فى الكلام البليغ إلا فى قصر القلب . والحق أنها تستعمل فيه وفى غيره ، ومن قصر الأفراد فيها قوله تعالى : آية ٦٠ سورة التوبة ﴿ إنما الصدقات للفقراء ٠٠ الآية ﴾ إذ ليس هناك من يعتقد عدم استحقاق الفقراء ونحوهم الصدقة ؛ فلا يكون القصر فى ذلك قصر قلب .

(٥) لا يخفى أن دلالة « إنما » على القصر بالوضع ، فلا يحتاج إلى دليل فى دلالتها عليه ، وإنما جعلها متضمنة معنى « ما وإلا » ولم يجعلها مرادفة لهما ، لما سيأتى من الفرق بينها وبينهما ، وشرط المترادفين أن يكونا متحدين معنى وإفراداً وتركيباً .

(٦) أى من الذين يحتج بهم فى اللغة كابن عباس ومجاهد ونحوهما من الصحابة والتابعين .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ 》^(١) بالنصب: معناه ما حرم عليكم إلا الميته ، وهو المطابق لقراءة الرفع^(٢) لما مرَّ في باب « المنطلق زيد » ، ولقول النحاة^(٣) : « إِنَّمَا » لإثبات ما يذكر بعدها ونفى ما سواه ، ولصحة انفصال الضمير معها^(٤) كقولك : « إِنَّمَا يضرب أنا » كما تقول : « ما يضرب إلا أنا » ، قل الفرزدق :
أنا الذائدُ الحامي الذَّمارَ وإنَّما يدافعُ عن أحسابهم أنا أو مثلى^(٥)
وقال عمرو بن معديكرب :

قد علمت سَلَمَى وجاراتُها ما قَطَّرَ الفارسَ إلا أنا^(٦)

قال السكاكي^(٧) : ويُذكرُ لذلك وجه لطيف يُسندُ إلى علي بن عيسى الربيعي وهو أنه لما كانت كلمة « إن » لتأكيد إثبات المسند للمسند إليه ، ثم اتصلت بها « ما » المؤكدة لا النافية - كما يظنه من لا وقوف له على علم النحو - ناسب أن يُضمَّن

(١) آية ١٧٣ سورة البقرة .

(٢) هي قراءة ﴿ إِن ما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ 》 وعليها يتعين أن تكون « ما » موصولة اسم إن؛ أى إن الذى حرم عليكم الميته ، وهى جملة مُعرِّفة الطرفين فتفيد القصر كما مر في الجزء الأول في نحو « المنطلق زيد » وهناك قراءة أخرى بالرفع على بناء « حَرَّمَ » للمفعول ، وهى غير مرادة له؛ لأن « ما » فيها يصح أن تكون كافة وأن تكون موصولة ، فلا يتم بها الدليل الذى يريده .

(٣) أى الذين أخذوا اللغة من كلام العرب مشافهةً ، وبهذا يحتج بقولهم .

(٤) فلا يجب فصله خلافاً لابن مالك . بدليل قوله تعالى : آية ٨٦ سورة يوسف ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ 》 والحق أن الضمير إذا كان محصوراً فيه وجب فصله وتأخيرهُ ، وإلا أتى به متصلاً كما فى الآية ؛ لأن الجار والمجرور فيها هو المحصور فيه لا الضمير ، ووجه الاستدلال بذلك أن وصل الضمير ممكن فى إنما ، والانفصال إنما يجوز عند تعذر الاتصال ، ولا تعذر هنا إلا بكونها فى معنى « ما » ، و « إلا » .

(٥) هو لهما بن غالب المعروف بالفرزدق ، والذائد : من الذود وهو الدفع . والذمار : ما يلزم الشخص حمايته من أهل ومال ونحوهما ، مأخوذ من الذمر وهو الحث ؛ لأن ما تجب حمايته كانوا يتذامرون أى يحث بعضهم بعضاً على حمايته ، والأحساب : جمع حسب وهو ما يعده الشخص من مفاخر نفسه وآبائه ، والمراد أنه لا يدفع عن أحسابهم إلا هو ؛ ولهذا فصل الضمير وأخره لأنه المحصور فيه .

(٦) قوله « قطر » مضعف قطر كنصر بمعنى صرعه صرعة شديدة . والشاهد فى فصله الضمير بعد « إلا » ، وأن « إنما » يفصل الضمير بعدها مثلها .

(٧) ص ١٥٨ - المفتاح .

معنى القصر ؛ لأن القصر ليس إلا تأكيداً على تأكيد^(١) ؛ فإن قولك « زيد جاء لا عمرو » - لمن يردد المجيء الواقع بينهما - يفيد إثباته لزيد فى الابتداء صريحاً وفى الآخر ضمناً .

٤ - التقديم : ومنها التقديم^(٢) كقولك فى قصر الموصوف على الصفة **إفراداً** : « شاعر هو » لمن يعتقد شاعراً وكاتباً ، **وقلباً** : « قائم هو » لمن يعتقد قاعداً^(٣) ، وفى قصر الصفة على الموصوف **إفراداً** : « أنا كفيت مهمك » بمعنى وحدى ، لمن يعتقد أنك وغيرك كفيتماه مهمه ، **وقلباً** : « أنا كفيت مهمك » بمعنى لا غيرى ، لمن يعتقد أن غيرك كفى مهمه دونك كما تقدم^(٤) .

(١) ردُّ هذا بأنه لو كان اجتماعُ تأكيدين يفيد القصر لإفاده نحو « إن زيدا لقائم » واللازم باطل ؛ فبطل اللازم .

هذا وقد اختلف فى إفادة « أنما » بفتح الهمزة القصر ؛ ف قيل : إنها تفيد مثل المكسورة الهمزة ، وقد اجتمعا فى قوله تعالى : آية ١١٠ سورة الكهف ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىَّ أنما إلهكم إلهٌ واحدٌ ﴾ وهو من القصر الإضافى ، والمعنى : ما أوحى إلىَّ إلا التوحيد أى لا الشرك . ومن القصر بإنما قول الشاعر :

وإنما المرء حديثٌ بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

وقول الآخر :

وما لأمري طول الخلود وإنما يخلّده طول الثناء فيخلد

(٢) هو ثلاثة أقسام : أولها تقديم المسند إليه على نحو ما سبق فى بابه فى الجزء الأول كقول المتنبى :

وما أنا أسقمتُ جسمى به ولا أنا أضمرتُ فى القلب ناراً

وثانيها تقديم المسند على نحو ما سبق فى بابه فى الجزء الأول ، كقول عمرو بن كلثوم :

لنا الدنيا ومن أضحى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا

وثالثها تقديم بعض المفعولات على نحو ما سبق فى باب متعلقات الفعل ، كقول الشاعر :

إلى الله أشكو لا إلى الناس أننى أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب

وأما تقديم بعض المفعولات على بعض فقد سبق الخلاف فى إفادته القصر بين الجمهور وابن الأثير فى الجزء الأول .

(٣) المثالان من تقديم الخبر على المبتدأ ، وهو إنما يفيد القصر إذا كان المبتدأ معرفة

والخبر نكرة .

(٤) فى الكلام على تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى فى الجزء الأول .

فروق طرق القصر : وهذه الطرق تختلف من وجوه :

الأول : أن دلالة الثلاثة الأولى بالوضع دون الرابع^(١) .

الثاني : أن الأصل في الأول أن يدل على المثبت والمنفى جميعاً بالنص ؛ فلا يترك ذلك إلا كراهة الإطناب في مقام الاختصار ، كما إذا قيل : « زيد يعلم النحو والتصريف والعروض والقوافي » ، أو « زيد يعلم النحو وعمرو وبكر و خالد » فتقول فيهما « زيد يعلم النحو لا غير »^(٢) ، وفي معناه « ليس إلا » أى لا غير النحو أو لا غير زيد . وأما الثلاثة الباقية فتدل بالنص على المثبت دون المنفى^(٣) .

الثالث : أن النفي^(٤) لا يجمع الثاني ؛ لأن شرط المنفى بـ (لا) ألا يكون منفياً قبلها بغيرها ، ويجمع الأخيرين ، فيقال : « إنما زيد كاتب لا شاعر ، وهو يأتينى لا عمرو » لأن النفي فيهما غير مصرح به^(٥) كما يقال « امتنع زيد عن المجيء لا عمرو » .

(١) فدلالته على القصر بالذوق والبحث في سر التقديم حتى يفهم بالقرائن الحالية أنه للتخصيص لا لغيره من أغراض التقديم ، ولا تنافي الدلالة الوضعية في الثلاثة الأولى البحث عنها في علم المعاني ؛ لأنه لا يبحث فيه عن دلالتها على القصر وإنما يبحث فيه عن مزايا القصر وأحواله وعن المقامات التي تدعو إليها ولا شك أن هذا من صميم علم المعاني .
(٢) ببناء « غير » على الضم ، وقيل : إنها لا تستعمل كذلك إلا بعد « ليس » وهو مردود بقول الشاعر :

جواباً به تنجو اعتمد فوربتنا لعن عمل أسلفت لا غير تُسأل

وقيل : إن « لا » في ذلك لنفي الجنس لا للعطف ، وخبرها محذوف أى لا غيره معلوم أو عالم في المثالين ، وتكون مع هذا للقصر حملاً على « لا » العاطفة لأنها بمعناها .

(٣) أى بحسب الأصل ، وقد تجيء على خلافه ، كما تقرأ في التقديم : « ما أنا قلت هذا » بالنص على المنفى دون المثبت ، وكما يقال في النفي والاستثناء : « ما قام القوم إلا زيد » بالنص على المثبت والمنفى معاً ، والاستثناء المفرغ هو الأصل في القصر .

(٤) يعنى النفي « بلا » كما يؤخذ من توجيهه له ، ولأن المراد أن طريق القصر بلا - لا يجمع طريق النفي والاستثناء ، وقد جاء ذلك في كلام المولدين كقول الحريري :

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه على ما تجلّى يومه لا ابن أمسه

أما النفي بغير « لا » فيجمع النفي والاستثناء ولا وجه للفرق بينهما إلا السماع .

(٥) بخلاف الثاني لأنه يصرح فيه بأداة النفي ، وإن لم يصرح فيه بالمنفى .

قال السكاكي^(١) : « شرطُ مجامعته للثالث ألا يكون الوصف مختصاً بالموصوف^(٢) كقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾^(٣) فَإِنَّ كُلَّ عَاقِلٍ يَعْلَمُ أَنَّ الاستجابة لا تكون إلا ممن يسمع . وكذا قولهم « إِنَّمَا يُعَجِّلُ مَنْ يَخْشَى الْفُوتَ » ، قال الشيخ عبد القاهر^(٤) : « لا تحسن مجامعته له في المختص كما تحسن في غير المختص ، وهذا أقرب^(٥) ، قيل : ومجامعته له إما مع التقديم كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصِطَرٍّ ﴾^(٦) ، وإما مع التأخير ، كقولك : « مَا جَاءَنِي زَيْدٌ وَإِنَّمَا جَاءَنِي عَمْرُو » وفي كون نحو هذين مما نحن فيه نظر^(٧) .

الرابع : أن أصل الثاني أن يكون ما استعمل له مما يجهله المخاطب وينكره^(٨) كقولك لصاحبك وقد رأيت شبحاً من بعيد : « ما هو إلا زيد » إذا وجدته يعتقده غير زيد ويُبصرُ على الإنكار ، وعليه قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ﴾^(٩) وقد يُنزَلُ المعلوم منزلة المجهول لا اعتبار مناسب فيُستعمل له الثاني إفراداً ، نحو : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾^(١٠) أى أنه ﷺ مقصور على الرسالة لا يتعدها إلى

(١) ص ١٥٩ . المفتاح .

(٢) أى بالنظر إلى الوصف في نفسه وإن كان مختصاً بالموصوف بحسب المقام الذي اقتضى قصره عليه .

(٣) آية ٣٦ سورة الأنعام .

(٤) ص ٢٢٩ - دلائل الإعجاز .

(٥) لأنه لا دليل على امتناع ذلك عند قصد زيادة التأكيد ، هذا والسكاكي يناقض هنا ما سبق له في الكلام على تقديم المسند إليه ؛ لأنه هنا أجاز التخصيص مع اختصاص الوصف في نفسه بالموصوف ، وهناك منعه في نحو قولهم « شر أهرّ ذا ناب » لأن المهرّ لا يكون إلا شراً ، أى لأن الوصف في نفسه مختص بالموصوف ؛ فلا فائدة فيه للتخصيص .

(٦) آية ٢١ ، ٢٢ سورة الغاشية .

(٧) لأن النفي فيهما بغير « لا » .

(٨) المراد بذلك أن يكون شأنه مما يجهله المخاطب وينكره ، لا الجهل بالفعل لأن الجهل

بالفعل شرط في القصر مطلقاً .

(٩) آية ٦٢ سورة آل عمران .

(١٠) آية ١٤٤ سورة آل عمران .

التبرُّى من الهلاك ؛ نزل استعظامهم هلاكه منزلة إنكارهم إياه^(١) . ونحوه : ﴿ وما أنت بمسمع من في القبور ، إن أنت إلا نذير ﴾^(٢) ؛ فإنه ﷺ كان لشدة حرصه على هداية الناس يكرر دعوة الممتنعين عن الإيمان ولا يرجع عنها ، فكان فى معرض من ظن أنه يملك مع صفة الإنذار إيجاد الشيء فيما يمتنع قبوله إياه ، أو قلباً ؛ كقوله تعالى حكاية عن بعض الكفار : ﴿ إن أنتم إلا بشر مثلاً ﴾^(٣) أى أنتم بشر لا رسل ، نزلوا المخاطبين^(٤) منزلة من ينكر أنه بشر لاعتقاد القائلين^(٥) أن الرسول لا يكون بشراً مع إصرار المخاطبين على دعوى الرسالة . وأما قوله تعالى^(٦) حكاية عن الرسل : ﴿ إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يَمُنُّ على من يشاء من عباده ﴾ فمن مجازاة الخصم للتبكيك والإلزام والإفحام^(٧) ؛ فإن من عادة من ادعى عليه خصمه الخلاف فى أمر هو

(١) فكأنهم يعتقدون الشركة بين الرسالة والتبرُّى من الهلاك ، وبهذا كان القصر على الرسالة قصر أفراد ، والاعتبار المناسب فى ذلك هو الإشعار بعظم ذلك الأمر فى نفوسهم وشدة حرصهم على بقاءه بينهم ، وقيل : إن ذلك قصر قلب ؛ لأن محطَّ القصر هو الجملة الواقعة بعد المستثنى لكونها صفة له ، والمعنى أنه رسول يخلو كما خلت الرسل من قبله ، لا رسول لا يخلو كما هو لازم استعظامهم هلاكه .

(٢) آية ٢٢ ، ٢٣ سورة فاطر . (٣) آية ١٠ سورة إبراهيم .

(٤) هم الرسل لأنهم مخاطبون فى الآية ﴿ قالوا إن أنتم إلا بشر مثلاً ﴾ .

(٥) هم المشركون ، وهذا هو الاعتبار المناسب فى الآية لتزليل المعلوم فيها عندهم منزلة المجهول ؛ فصفة الرسالة تنافى عندهم صفة البشرية ، ولهذا كان القصر فى كلامهم قصر قلب ، وقد روعى فيه حال المتكلم مع المخاطب على خلاف الأصل فى القصر من مراعاة حال المخاطب فقط ، وقيل : إن ذلك يمكن ألا يكون من تنزيل المعلوم منزلة المجهول ، بأن يجعل قصر أفراد على معنى أن الرسل لم تجتمع لهم الرسالة والبشرية كما يدعون فى زعمهم ، أو قصر قلب على معنى ما أنتم إلا بشر مثلاً ، أى لا بشر أعلى منا بالرسالة .

(٦) أى بعد قول المشركين السابق - آية ١١ سورة إبراهيم .

(٧) مجازاة الخصم على وجهين : أحدهما اعتراف المجارى بمقدمة فاسدة ليرتب عليها ما يخالف مقصود الخصم ، وثانيهما اعترافه بمقدمة صحيحة ليبين أنها لا تستلزم مقصود الخصم ، وما هنا من الوجه الثانى - . القصر فى قول الرسل ﴿ إن نحن إلا بشر مثلكم ﴾ قصر صورى يقصد منه المشاكلة اللفظية لقول المشركين لتكون أقوى فى المجازاة ، ولا يراد منه إلا أصل الإثبات على سبيل التجرد ، وقيل : إنهم يريدون حقيقة القصر ، لأن المشركين يريدون من قصرهم أن الرسل بشر لا ملائكة ، فجاءهم الرسل بتسليم أنهم كذلك ، ويكون المقصود من القصر هذه المجازاة لا الرد عليهم ؛ لأنهم لا ينكرون بشرية الرسل بل هى ثابتة عندهم .

لا يخالف فيه ؛ أن يعيد كلامه على وجهه ، كما إذا قال لك من ينظرك : « أنت من شأنك كَيْتَ وكَيْتَ » فتقول : « نعم أنا من شأنى كيت وكيت ، ولكن لا يلزمنى من أجل ذلك ما ظننت أنه يلزم » ، فالرسل عليهم السلام كأنهم قالوا : « إن ما قلت من أنا بشر مثلكم هو كما قلت لا ننكره ، ولكن ذلك لا يمنع أن يكون الله تعالى قد منّ علينا بالرسالة » . وأصل الثالث أن يكون ما استعمل له مما يعلمه المخاطب ولا ينكره ، على عكس الثانى ، كقولك « إنما هو أخوك ، وإنما هو صاحبك القديم » لمن يعلم ذلك ويُقرُّ به ، تريد أن ترقِّقه عليه وتنبهه لما يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب^(١) وعليه قول أبى الطيب :

إنما أنت والد والأبُّ القَا طعُ أحنى من واصل الأولاد^(٢)

لم يُرد أن يُعلمَ كافوراً أنه بمنزلة الوالد ، ولا ذاك مما يحتاج كافر فيه إلى الإعلام ، ولكنه أراد أن يذكره منه بالأمر المعلوم لىبنى عليه استدعاء ما يوجهه .

وقد ينزل المجهول منزلة المعلوم لادعاء المتكلم ظهوره فيستعمل له الثالث^(٣) نحو : ﴿ إنما نحن مُصلِحون ﴾^(٤) ادعوا أن كونهم مُصلِحين ظاهر جليّ ، ولذلك جاء ﴿ ألا إنهم همُ المُفسِدون ﴾^(٥) للردّ عليهم مؤكداً بما ترى : من جعل الجملة اسمية وتعريف الخبر باللام وتوسيط الفصل^(٦) والتصدير بحرف التنبيه^(٧) ثم بـ « إن » .

(١) هذا هو المقصود من « إنما » التعريض به ، وتكون فائدة القصر المبالغة فى التريق لما فيه من زيادة التأكيد .

(٢) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى ، والخطاب لكافور الإخشيدى ، يعنى أنه بمنزلة الولد لمولاه ابن الإخشيد . والأب القاطع : هو الذى لا يصل أولاده ، وإنما كان أحنى من الأولاد الواصلين لأبيهم لأن حنو الأب على أولاده أشد من حنو الأولاد على أبيهم بمقتضى الفطرة والطبيعة .

(٣) يقصد من استعماله هنا الرد على المخاطب كغيره من أدوات القصر ولا يقصد منه التعريض كما قصد منه فى أصل استعماله .

(٤) آية ١١ سورة البقرة . (٥) آية ١٢ سورة البقرة .

(٦) هو « هم » .

(٧) هو « ألا » .

ومثله قول الشاعر :

إنما مُصْعَبٌ شهابٌ من الله تجلّت عن وجهه الظّلماء^(١)

ادّعى أن كون مصعب كما ذهب جليّ معلوم لكل أحد على عادة الشعراء إذا مدحوا أن يدّعوا في كل ما يصفون به ممدوحهم الجلاء ، وأنهم قد شُهِروا به حتى إنه لا يدفعه أحد؛ كما قال الآخر :

وتعدّلني أفناءُ سعدٍ عليهم وما قلتُ إلا بالتي علمتُ سعد^(٢)

وكما قال البحترى :

لا أدعى لأبى العلاء فضيلةً حتى يُسلّمها إليه عداه^(٣)

واعلم أن لطريق « إنما » مزية^(٤) على طريق العطف ، وهى أنه يُعقلُ منها إثبات الفعل لشيء ونفيه عن غيره دفعةً واحدة بخلاف العطف ، وإذا ما استقرتْ وجدتها أحسن ما تكون موقعاً إذا كان الغرض بها التعريض بأمر هو مقتضى معنى الكلام بعدها^(٥) كما فى قوله تعالى : ﴿ إنما يتذكر أولو

(١) هو لعبد الله بن قيس الرقيّات فى مدح مصعب بن الزبير بن العوام . وقوله « تجلّت » بمعنى تكشفت ، وهذا من أبلغ المدح ، ولذلك فضله عبد الملك بن مروان على مدحه له بقوله :
يأتلج التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

(٢) هو الخطيئة جرول بن أوس فى مدح بغيض بن شماس وقومه بنى أنف الناقة وذم الزبرقان بن بدر وقومه ، وجميعهم ينتمون إلى سعد بن مناة ، والأفناء جمع فن : وهو الجماعة ، والشاهد فى دعواه أن ما قاله فى حق ممدوحه لا يدفعه أحد من سعد ، وقيل : إن الرواية « أبناء سعد » لأن أفناء الناس أخلاطهم ، ولا يريده الخطيئة ، وكذلك روى « الذى » بدل « التى » والشاهد فى دعواه عليهم بذلك .

(٣) هو للوليد بن عبّيد المعروف بالبحترى من أبيات له فى مدح أبى العلاء صالح بن مخلد وابنه أبى عيسى ، والشاهد فيه كالذى قبله .

(٤) توجد هذه المزية أيضاً فى طريق النفى والاستثناء وطريق التقديم .

(٥) هذا إنما يكون إذا استعملت فى أصلها وهو ما يعلمه المخاطب ولا ينكره كما سبق ؛ لأنه إذا كان ذلك معلوماً له فلا يهتم المتكلم إفادته له ، وإنما يهتم المعنى الآخر الملوّح إليه بالتعريض ؛ لأنه هو الذى يجهره المخاطب ويصّر على إنكاره .
هذا وقد قيل : إن عبد القاهر يرى أن « إنما » يقصد منها دائماً التعريض ولو استعملت =

الألباب ﴿١﴾ فإنه تعريض بزم الكفار وأنهم من فرط العناد وغلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذي عقل ؛ فأنتم في طمعكم منهم أن ينظروا ويتذكروا كمن طمع في ذلك من غير أولى الألباب ، وكذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ يَخْشَاهَا ﴾ ﴿٢﴾ وقوله : ﴿ إِنَّمَا تَنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ ﴾ ﴿٣﴾ المعنى على أن من لم تكن له هذه الخشية فكأنه ليس له أذن تسمع ، وقلب يعقل ، فالإنذار معه كلا إنذار ، قال الشيخ عبد القاهر ﴿٤﴾ ومثال ذلك من الشعر قوله :

أنا لم أرزق محبتها وإنما للعبد ما زُرَقا ﴿٥﴾

فإنه تعريض بأنه قد علم أنه لا مطمع له في وصلها ، فيئس من أن يكون منها إسعاف به . وقوله :

وإنما يعذرُ العشاقَ من عَشَقا ﴿٦﴾

يقول : ينبغي للعاشق ألا ينكر لوم من يلومه ؛ فإنه لا يعلم كُنه بلوى العاشق ، ولو كان قد ابتلى بالعشق مثله لعرف ما هو فيه فيعذره . وقوله :

ما أنت بالسبب الضعيف وإنما نُجِّحُ الأمور بقوة الأسباب

= في المجهول المنزَّل منزلة المعلوم ، ولا يقصد منها الرد على المخاطب إذا استعملت هذا الاستعمال ، مع أن عبد القاهر قد ذكر أنها تأتي في كثير منها الكلام والقصد بالخبر بعدها أن تُعلم السامع أمراً قد غلط فيه بالحقيقة واحتاج إلى معرفته ، ولكن لا بد مع ذلك من أن يدعى هناك فضل انكشاف وظهور في أن الأمر كالذي ذكر .

(١) آية ١٩ سورة الرعد .

(٢) آية ٤٥ سورة النازعات .

(٣) آية ١٨ سورة فاطر .

(٤) ٢٣٠ دلائل الإعجاز .

(٥) هو للعباس بن الأحنف ، وفي رواية « مودتكم » بدل « محبتها » ، والإضافة في ذلك من إضافة المصدر إلى فاعله ، وقبل البيت :

كان لى قلبٌ أعيش به فاصطلى بالنار فاحترقا

(٦) هو من قول العباس بن الأحنف أيضاً :

يلوم في الحب من لم يَدِرْ طعمَ هوى وإنما يعذرُ العشاقَ من عَشَقا

فاليومَ حاجتُنَا إليك وإنمَّا ————— يُدعى الطبيبُ لساعة الأوصاب^(١)

يقول فى البيت الأول : إنه ينبغي أن أنجح فى أمرى حين جعلتك السبب إليه ،
وفى الثانى : إنا قد طلبنا الأمر من جهته حين استعنا بك فيما عرض لنا من الحاجة
وعوّلنا على فضلك ، كما أن من يعول على الطبيب فيما يعرض من السقم كان قد
أصاب فى فعله .

ثم القصر كما يقع بين المبتدأ والخبر كما ذكرنا^(٢) يقع بين الفعل والفاعل
وغيرهما^(٣) ؛ ففى طريق النفى والاستثناء يؤخر المقصور عليه مع حرف الاستثناء ،
كقولك فى قصر الفاعل على المفعول إفراداً أو قلباً بحسب المقام : « ما ضرب زيد إلا
عمراً »^(٤) وعلى الثانى لا الأول قوله تعالى : ﴿ ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن
اعبدوا الله ربى وربكم ﴾^(٥) لأنه ليس المعنى أنى لم أزد على ما أمرتنى به شيئاً ؛ إذ
ليس الكلام فى أنه زاد شيئاً على ذلك أو نقص منه ، ولكن المعنى أنى لم أترك ما
أمرتنى به أن أقوله لهم إلى خلافه^(٦) لأنه قاله فى مقام اشتمل على معنى أنك يا
عيسى تركت ما أمرتك أن تقوله إلى ما لم أمرك أن تقوله ؛ فإنى أمرتك أن تدعوا

(١) هما كما فى - معجم الشعراء - لمحمد بن أحمد العمروانى فى عبيد الله بن يحيى
ابن خاقان ، وقيل : إنهما للزبير بن بكار ، وقيل : إنهما للباخرزى . والسبب : كل ما يتوصل
به إلى غيره ، والأوصاب : جمع وصب وهو المرض .

هذا وإنما ترك الكلام على أصل الطريق الأول والطريق الرابع من جهة استعمالها فيما
يجهله المخاطب أو يعلمه ؛ لأنهما كما قال صاحب الأطول : مستويا النسبة إلى المعلوم والمجهول .
(٢) فى التمثيل لأقسام القصر وطرقه ؛ لأن ما ذكره فى ذلك من باب المبتدأ والخبر إلا ما

ندر .

(٣) مما سيذكره وما يذكره كالتمييز والظرف وسائر المتعلقات إلا المصدر المؤكّد والمفعول

معه .

(٤) يجوز فى هذا ونحوه أن يكون الفعل المسند إلى الفاعل مقصوراً على المفعول ، فيكون
من قصر الصفة على الموصوف ، وأن يكون الفاعل مقصوراً على الفعل المتعلق بالمفعول ، فيكون
من قصر الموصوف على الصفة ، وكذلك يقال فى قصر المفعول على الفاعل ونحوهما .

(٥) آية ١١٧ سورة المائدة .

(٦) بهذا يكون قصر قلب لا إفراد .

الناس إلى أن يعبدوني ثم إنك دعوتهم إلى أن يعبدوا غيري ، بدليل قوله تعالى ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ (١) .

وفي قصر المفعول على الفاعل : « ما ضربَ عمرًا إلا زيد » .

وفي قصر المفعول الأول على الثاني في نحو (٢) « كسوت وظننت » ، « ما

كسوت زيدًا إلا جبة » ، و « ما ظننت زيدًا إلا منطلقًا » .

وفي قصر الثاني على الأول « ما كسوتُ جبةً إلا زيدًا » ، و « ما ظننت

منطلقًا إلا زيدًا » . وفي قصر ذي الحال على الحال (٣) : « ما جاء زيد إلا راكبًا » .

وفي قصر الحال على ذي الحال : « ما جاء راكبًا إلا زيد » .

والوجه في جميع ذلك (٤) أن النفي في الكلام الناقص - أعني الاستثناء المفرغ -

يتوجه إلى مقدّر هو مستثنى منه عام (٥) مناسب للمستثنى في جنسه وصفته ، أما

توجهه إلى مقدّر هو مستثنى منه فلكون « إلا » للإخراج واستدعاء الإخراج مُخرَجًا

منه ، وأما عمومته فليتحقق الإخراج منه ؛ ولذلك قيل : تأنيث المضمر في « كانت »

على قراءة أبي جعفر المدني : ﴿إن كانت إلا صيحة﴾ (٦) بالرفع ، وفي « ترى » مبنيا

للمفعول في قراءة الحسن ﴿فأصبحوا لا تَرَى إلا مساكنهم﴾ (٧) برفع مساكنهم ، وفي

« بقيت » في بيت ذي الرمة :

* فما بقيت إلا الضلوعُ الجراشعُ (٨) *

(١) آية ١١٦ سورة المائدة .

(٢) نحو « كسوت » كل فعل ينصب مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر ، ونحو « ظننت »

كل فعل ينصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر .

(٣) هو من قصر الموصوف على الصفة ، فيقال في هذا المثال : إن زيدًا قصر على المجيء

حال الركوب ، وقيل : إن المجيء هو الذي قصر على الركوب ، أما قصر الحال على ذي الحال

فهو من قصر الصفة على الموصوف .

(٤) هذا عود إلى ما سبق من توجيه إفادة النفي والاستثناء القصر ، وقد سبق أن دلّته

على القصر بالوضع ، فلا تحتاج إلى توجيهها بما ذكر .

(٥) لا فرق في هذا بين القصر الحقيقي والإضافي إلا بأن الإضافي يقدر فيه عام يراد به

الخاص الذي يكون القصر بالإضافة إليه .

(٦) آية ٢٩ سورة يس . (٧) آية ٢٥ سورة الأحقاف .

(٨) هو لغيلان بن عتبة المعروف بذي الرمة من قوله :

طوى النحر والأجزاء ما في غروضها

= فما بقيت إلا الضلوعُ الجراشعُ

للنظر إلى ظاهر اللفظ ، والأصل التذكير لاقتضاء المقام معنى شيء من الأشياء . وأما مناسبتة في جنسه وصفته فظاهرة ؛ لأن المراد بجنسه أن يكون في نحو « ما ضرب زيد إلا عمرًا » : أحدًا^(١) ، وفي نحو قولنا « وما كسوت زيدًا إلا جبة » لباسًا ، وفي نحو : « ما جاء زيد إلا راكبًا » كائنًا على حال من الأحوال ، وفي نحو « ما اخترت رفيقًا إلا منكم » : من جماعة من الجماعات . ومنه قول السيد الحميري :

لو خير المنبرُ فرسانه ما اختار إلا منكمُ فارسًا^(٢)

لما سيأتى إن شاء الله تعالى أن أصله : ما اختار فارسًا إلا منكم .

* والمراد بصفته كونه فاعلاً أو مفعولاً أو ذا حال أو حالا ، وعلى هذا القياس ، إذا كان النفي متوجهاً إلى ما وصفناه فإذا أوجب منه شيء جاء القصر^(٣) .

* ويجوز تقديم المقصور عليه مع حرف الاستثناء بحالهما على المقصور ، كقولك « ما ضرب إلا عمرًا زيد ، وما ضرب إلا زيد عمرًا ، وما كسوت إلا جبة زيدًا ، وما ظننت إلا زيدًا منطلقًا ، وما جاء إلا راكبًا زيد ، وما جاء إلا زيد راكبًا » . وقولنا « بحالهما » احتراز عن إزالة حرف الاستثناء عن مكانه بتأخيرها عن المقصور عليه ؛ كقولك في الأول : « ما ضرب عمرًا إلا زيد » فإنه يختل المعنى^(٤) ؛ فالضابط

= يصف بذلك ناقلته . وقوله « طوى » بمعنى أضمر ، « والنحز » الدفع والنخس ، و«الأجراز » جمعُ جرز وهي الأرض اليابسة التي لا نبات فيها ، و« الغروض » جمع غرض وهو الحزام ، والجراشع : المتفخة الغليظة جمع جُرْشَع .

(١) هو خبر يكون ، وكذلك نظائره مما بعده .

(٢) هو لإسماعيل بن محمد المعروف بالسيد الحميري ، وتقدير الشطر الثاني : « ما اختار فارسًا من جماعة من الجماعات إلا فارسًا منكم » والفارس ، في الأصل : راكب الفرس ، استعير في البيت لخطيب المنبر ، وإسناد الاختيار إلى المنبر مجاز عقلي ، وكان السفاح العباسي قد خطب يوماً فأحسن ، فمدحه بذلك .

(٣) لتحقق النفي والإثبات المحققين لمعنى القصر .

(٤) لأنه ينقلب المقصور مقصوراً عليه ، وهو خلاف المراد ، ومن تقديم المقصور عليه مع

حرف الاستثناء قول الشاعر :

الناسُ لبُّ علينا فيك ليس لنا إلا السيوفُ وأطرافُ القنا زُرْدُ

أن الاختصاص إنما يقع في الذي يلي إلا^(١) ولكن استعمال هذا النوع - أعنى تقديمها - قليل ؛ لاستلزامه قصر الصفة قبل تمامها^(٢) كالضرب الصادر من زيد في « ما ضرب زيد إلا عمرًا » والضرب الواقع على عمرو في « ما ضرب عمرًا إلا زيد » وقيل^(٣) : « إذا أُخِّرَ المقصور عليه والمقصور عن « إلا » ، وقُدِّمَ المرفوع كقولنا « ما ضرب إلا عمرو زيدًا » فهو على كلامين ، و« زيدًا » منصوب بفعل مضمر ؛ فكأنه قيل « ما ضرب إلا عمرو » أى ما وقع ضرب إلا منه ، ثم قيل : مَنْ ضَرَبَ ؟ فقيل « زيدًا » أى ضرب زيدًا . وفيه نظر ؛ لاقتضائه الحصرَ في الفاعل والمفعول جميعًا^(٤) .

* وأما في « إنما » فيؤخر المقصور عليه^(٥) ، تقول « إنما زيد قائم » ، وإنما ضرب زيد ، وإنما ضرب زيد عمرًا ، وإنما ضرب زيد عمرًا يوم الجمعة ، وإنما ضرب زيد عمرًا يوم الجمعة في السوق » أى « ما زيد إلا قائم » ، وما ضرب إلا زيد ، وما ضرب زيد إلا عمرًا ، وما ضرب زيد عمرًا إلا يوم الجمعة ، وما ضرب زيد عمرًا يوم الجمعة إلا في السوق » ؛ فالواقع أخيرًا هو المقصور عليه أبدًا^(٦) ولذلك تقول : « إنما هذا لك ، وإنما لك هذا » أى ما هذا إلا لك ، وما لك إلا هذا ، حتى إذا

(١) فيكون هو المقصور عليه تأخرًا معًا أو تقدّمًا معًا .

(٢) إنما جاز التقديم مع استلزامه ذلك ؛ لأنه في نية التأخير ، فكأنه مؤخر فعلاً .

(٣) على هذا لا يلزم قصر الصفة قبل تمامها ، ولا يكون في الكلام تقديم وتأخير .

(٤) أجيب عن هذا بأنه إنما يلزم من يجوز أن يستثنى شيئًا أو أكثر بأداة واحدة دون

عطف ، ولعل من قال إن نحو « ما ضرب إلا عمرو زيدًا » على كلامين لا يجوز ذلك ، فلا يقتضى ما ذهب إليه الحصر في الفاعل والمفعول جميعًا ويؤيد هذا أنه لو كان ممن يجوز ذلك لم يحتج إلى تقدير الفعل ثانيًا ، بدليل أن من لا يجوز ذلك يرى في قوله تعالى : آية ٢٧ سورة هود ﴿ وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي ﴾ أنه لم يستثن فيه الموصول والظرف جميعًا بإلا . وإنما الظرف منصوب مضمر تقديره اتبعوك بادي الرأي ، والراجع أن الكلام على التقديم والتأخير وليس على تقدير كلامين ؛ لما يظهر فيه من التكلف .

(٥) فلا يجوز تقديمه لئلا يلتبس بالمقصور ، وقد يعرض ما يوجب تقديم المقصور عليه فيتقدم ، كقولك « إنما قمت » قصر فيه المتكلم على القيام ، فقدم الفعل مع أنه هو المقصور عليه لعدم صحة تقديم الفاعل عليه .

(٦) إنما يكون الواقع أخيرًا هو المقصور عليه إذا كان جزءًا مستقلًا في آخر الكلام ولو كان فضلة ؛ فالمقصور عليه في قولك « إنما جاء الذى أكرمته يوم الجمعة » ، هو الموصول مع =

أردت الجمع بين إنما والعطف فقل « إنما هذا لك لا لغيرك ، وإنما لك هذا لا ذاك ، وإنما أخذ زيد لا عمرو ، وإنما زيد يأخذ لا يعطى »^(١) . ومن هذا تعثر على الفرق بين قوله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾^(٢) وقولنا « إنما يخشى العلماء من عباد الله الله » ؛ فإن الأول يقتضى قصر خشية الله على العلماء ، والثانى يقتضى قصر خشية العلماء على الله^(٣) .

=صلته ، وفى قولك « إنما جاءنى رجل عالم » هو الموصوف مع صفته ، وهكذا . وقد اعترض على ذلك بموضع لا يظهر فيها أن الواقع أخيراً هو المقصور عليه . كقوله ﷺ : « إنما يأكل آل محمد من هذا المال ليس لهم فيه إلا المأكّل » أى لا يقع إلا أكلهم منه ، وليس المعنى لا يأكلون إلا منه ، وكقوله تعالى : آية ٩١ سورة المائدة ﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ﴾ ويمكن أن يجاب عن هذا بأن هذه المواضع جاءت على خلاف الأصل فى « إنما » ؛ لأن اللبس فيها بقرينة من القرائن ، كقوله فى الحديث « ليس لهم فيها إلا المأكّل » فإنه يدل على أن المراد أنه لا يقع إلا أكلهم منه .

(١) لأنه إذا اجتمع طريق « إنما » وطريق العطف يكون القصر مستفاداً من « إنما » والعطف مؤكّداً له ، ولا ينسب القصر إليه لأنه تابع من التوابع ، وعلى هذا يكون المقصور عليه هو الواقع أخيراً قبل العطف ، وقد ذهب بعض مؤلفى عصرنا إلى أن القصر ينسب فى ذلك إلى العطف لأنه الأقوى ؛ فأجاز أن يقال « إنما محمود شاعر لا على » بتقديم المقصور عليه ، وإنى أرى أن الحجة فى ذلك يجب أن يعتمد فيها على أساليب البلغاء لا على نحو هذا المثال ، على أن كون العطف أقوى من غيره فى الدلالة على القصر لا يذكر مع ما له من رتبة التابع فى الكلام ؛ لأن هذا يجعله تابعا فى إفادته بلا نزاع .

وقد يجتمع طريق « إنما » وطريق التقديم ، فقليل : إن الذى يفيد القصر فى هذه الحالة التقديم ، وقيل إن الذى يفيد « إنما » ؛ وهذا كما فى قول الشاعر :

ألا فليمت من شاء بعدك إنما عليك من الأقدار كان حذاريا

وقول الآخر :

أسامياً لم ترده معرفة وإنما لذة ذكرناها

والمقصود عليه فى ذلك هو المقدم كما هو ظاهر .

(٢) آية ٢٨ سورة فاطر ، وقرئ برفع لفظ الجلالة ونصب العلماء فتكون الخشية مجازاً

بمعنى الإجلال لا بمعنى الخوف ، كما قال الشاعر :

أهابك إجلالاً وما بك قدرة على ولكن ملء عين حبيبها

(٣) هذا والمقصود عليه فى العطف « ببل ولكن » هو ما بعدهما ، وفى العطف « بلا »

هو المعطوف عليه قبلها ، وفى « التقديم » هو المقدم ، وقد يجتمع العطف والتقديم ، كقولك =

* واعلم أن حُكْمَ « غير » ^(١) حُكْمُ « إلا » فى إفادة القصرين ؛ أى قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف ، وفى امتناع مجامعة « لا » العاطفة ؛ تقول فى قصر الموصوف إفراداً : « ما زيد غير شاعر » ، وقلباً : « ما زيد غير قائم » ، وفى قصر الصفة بالاعتبارين بحسب المقام : « لا شاعر غير زيد » . ولا تقول : ما زيد غير شاعر لا كاتب ، ولا شاعر غير زيد ولا عمرو .

* * *

= هو يأتينى لا أخوه « فينسب القصر فى ذلك إلى التقديم لأن العطف تابع كما سبق ، وقيل هنا أيضاً : إنه ينسب إلى العطف ، وإنه يجوز على هذا أن يقال « فى الدار سعيد لا محمود » وهو مردود بمثل ما سبق .

(١) مثلها « سوى » ونحوه من أدوات الاستثناء ؛ لأنه لا فرق بينها جميعاً فى إفادة القصر كما سبق ، ومثال ذلك فى « سوى » قول الشاعر :

أترك ليلى ليس بينى وبينها سوى ليلةٍ إنى إذن لصبور !!

تمرينات على طرق القصر

تمرين - ١

(١) بين لماذا أوتر القصر بالعطف على غيره في قوله تعالى : آية ٤٠ سورة الأحزاب ﴿ ما كان محمدٌ أباً أحَدٍ من رجالكم ولكن رسولَ اللَّهِ ﴾ ، وبين ما فيه من مزايا القصر .

(٢) بين طريق القصر ، والمقصور ، والمقصور عليه في قول الشاعر :
بك اجتمع الملكُ المبددُ شملهُ وضُمَّتْ قواصٍ منه بعد قواصِي

تمرين - ٢

(١) لماذا أوتر القصر بإنما في قول الشاعر :
وإنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيتُ فإن همُ ذهبتُ أخلاقهم ذهبوا

(٢) من أى طرق القصر قول الشاعر :
وإنَّ سنَّامَ المجدِ من آلِ هاشم بنو أم مخزومٍ ووالدك العبدُ
وما هو المقصور فيه ؟ وما هو المقصور عليه ؟

تمرين - ٣

(١) لماذا لم يفد تعريف المسند بـ (ال) القصر في قول الخنساء :

إذا قُبِحَ البكاءُ على قتيلٍ وجدتُ بكاءك الحسنَ الجميلاً

(٢) لماذا أوتر القصر بالنفي والاستثناء في قوله تعالى : آية ١٨ سورة العنكبوت ﴿ وإن تكذَّبوا فقد كذبَ أممٌ من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغُ المبين ﴾ وإنما في قوله : آية ٢١ سورة الغاشية ﴿ فذكرٌ إنما أنتَ مذكرٌ ﴾ .

تمرين - ٤

(١) ما هو طريق القصر ؟ وما هو المقصور عليه في قول الشاعر :

ما افترينا في وصفه بل وصفنا بعض أخلاقه وذلك يكفي

(٢) بين كيف اختصت المزايا البلاغية بالقصر بطرقه من العطف وغيره ؟

تمرين - ٥

(١) لماذا قال الله تعالى : آية ١٠٥ سورة البقرة ﴿ والله يختص برحمته من يشاء ﴾ ولم يُقدِّم الاختصاص بطريق من طرقه المعروفة .

(٢) يأتي التوكيد لدفع التردد في نحو « إن زيدا شاعر » ، ويأتي قصر التعيين لدفع التردد في نحو « إنما زيد شاعر » ، فما هو الفرق بين دفع التردد فيهما ؟

تمرين - ٦

(١) لماذا قدم المقصور عليه في قول الشاعر :

وما لي إلا آل أحمد شيعه وما لي إلا مذهب الحق مذهب

(٢) بين موقع المقصور عليه في جملتيه في قول الشاعر :

ما بعثكم مهجتي إلا بوصلكم ولا أسألمها إلا يدا بيد

تمرين - ٧

(١) هل من قصر الفعل على الفاعل أو من قصر المفعول عليه قول الشاعر :

في ليلة لا نرى بها أحداً يحكي علينا إلا كواكبها

(٢) بين الذي أفاد القصر من التقديم أو العطف في قول الشاعر :

للفتي من ماله ما قدمت يداه قبل موته لا ما اقتنى

(٣) هل من القصر قول الشاعر :

وكل أخ مفارقه أخوه لعمرك أبوك إلا الفرقدان

(٤) اختلف في إفادة الاستثناء من الإثبات بالقصر ، فبين ما تختاره في ذلك .

* * *

الباب السادس القول فى الإنشاء

أقسام الإنشاء : الإنشاء ضربان : طلب ، وغير طلب •

الطلب يستدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب ؛ لامتناع تحصيل الحاصل^(١) ، وهو المقصود بالنظر ههنا^(٢) . وأنواعه كثيرة :

أنواع الطلب :

التمنى : منها التمنى^(٣) ، واللفظ الموضوع له « ليت » ، ولا يشترط فى التمنى الإمكان ، تقول : « ليت زيدا يجرى » ، ولت الشباب يعود » ، قال الشاعر :

(١) إذا استعمل الطلب فيما هو حاصل وجب تأويله ، كقوله تعالى آية ١٣٦ سورة النساء : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ، وقوله : آية ١ سورة الأحزاب ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ﴾ فالمعنى فيهما على طلب دوام الإيمان والتقوى للترقى فى مراتب الكمال فيهما .

(٢) أما الإنشاء غير الطلبى فلا يقصد بالنظر ها هنا ؛ لقلة المباحث البلاغية المتعلقة به ، ولأن أكثر أنواعه فى الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء ، ومن الإنشاء غير الطلبى الترجى ، ويرى كثير من العلماء أنه من الإنشاء الطلبى ، والحق أنه لا طلب فيه بدليل أنه يأتى فى المكروه ، نحو « لعل الحبيب مريض » ولا طلب فى مكروه ، وإنما فيه مجرد ترقب وإشفاق ، ومنه أفعال المدح والذم ، كنعم وبئس ، وأفعال التعجب ، فهى لإنشاء المدح والذم والتعجب ، وقبل : إنها أخبار تحتل الصدق والكذب ؛ ولهذا بُشِّرَ أعرابى ببنت فقيـل له : نعمت المولودة ، فقال : والله ما هى بنعمت المولودة . ومنه القَسَمُ وصيغ العقود كبعت واشتريت ، ومنه « رَبِّ » و « كم » الخبرية ؛ لدلالتهما على إنشاء الكثير أو التقليل ، وقيل : إنهما خبر لا إنشاء .

(٣) هو طلب المحبوب الذى لا طمع فيه ؛ بأن يكون غير ممكن أو يكون بعيد الحصول ؛ فالأول كقول الشاعر :

لَيْتَ الْكَوَاكِبَ تَدْنُو لِي فَأَنْظِمَهَا عَقُودَ مَدْحٍ فَمَا أَرْضَى لَكُمْ كَلِمِي

والثانى كقول الآخر :

فِيَا لَيْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَبَّتِي مِنْ الْبَعْدِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَصَائِبِ

* يا ليت أيام الصبا راجعا (١) *

* وقد يُتمنى بـ « هل » (٢) كقول القائل « هل لى من شفيح » فى مكان يعلم أنه لا شفيح له فيه (٣) لإبراز التمنى - لكمال العناية به - فى صورة الممكن (٤) .
وعليه قوله تعالى حكاية عن الكفار : « فهل لنا من شُفعاء فيشفعوا لنا » (٥) وقد يتمنى بـ « لو » (٦) كقولك « لو تأتيتنى فتحدثنى » بالنصب (٧) .

قال السكاكى (٨) : وكأن حروف التنديم والتحضيض « هلا » ، وألاً بقلب الهاء همزة ، ولولا ، ولوما « مأخوذة منهما (٩) مركبتين مع « لا » و « ما » المزيديتين ، لتضمينهما معنى التمنى (١٠) ليتولد منه فى الماضى التنديم ، نحو « هلا أكرمت زيدا » وفى المضارع التحضيض ، نحو « هلا تقوم » .

(١) هو من أرجوزة لعبد الله بن رؤية المعروف بالعجاج ، وقد نصب الجزأين بليت على مذهب الكوفيين ، والبصريون على أن خبرها محذوف وتقديره « أقبلن راجعا » ، أو تكون راجعا » .

(٢) استعمالها فى التمنى مجاز بالاستعارة التبعية كما سيأتى فى علم البيان .

(٣) فتحمل على التمنى ؛ لأن الاستفهام لا يكون مع الجزم بانتفاء الشيء ، بل مع

الجهل به .

(٤) هذا هو الحال الداعى إلى استعمال « هل » فى التمنى .

(٥) آية ٥٣ سورة الأعراف .

(٦) استعمالها فى التمنى مجاز أيضا ، ونكتته الإشعار بعزة التمنى بإبرازه فى صورة ما لم

يوجد ؛ لأن « لو » فى أصلها حرف امتناع لامتناع ، ومن ذلك قول مهلهل :

فلو نُشِرَ المقابرُ عن كليب فيخبرَ بالذئاب أى زير

(٧) أى نصب « تحدث » لأنه إنما يكون بعد الطلب .

(٨) ١٦٦ - المفتاح .

(٩) أى من « هل ولو » اللتين للتمنى ، وهذا تكلف من السكاكى ، والنحويون على أنها

موضوعة للتحضيض والتنديم من أول الأمر .

(١٠) يريد بتضمينهما ذلك : جعلهما دالّين عليه مطابقة لا تضمنا .

وقد يتمنى بـ « لعل » فتعطي حكم ليت^(١) نحو « لعلنى أحج فأزورك » بالنصب ، لبعد المرجو عن الحصول^(٢) ، وعليه قراءة عاصم^(٣) فى رواية حفص : « لعلنى أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فاطَّلَعَ إلى إله موسى » بالنصب .
الاستفهام : ومنها الاستفهام^(٤) .

والألفاظ الموضوعة له : « الهمزة » ، و « هل » ، و « ما » ، و « مَنْ » ، و « أى » ، و « كم » ، و « كيف » ، و « أين » ، و « أنى » ، و « متى » ، و « أيان » .

• فالهمزة لطلب التصديق^(٥) كقولك « أقام زيد ؟ وأزيد قائم ؟ » . أو التصور^(٦) كقولك : « أدبَس فى الإناء أم عسل ؟ » أو : « أفى الخابية دبسك أم فى الزَّق ؟ » ولهذا لم يقبح « أزيد قام ؟ » و « أعمراً عرفت ؟ »^(٧) .

(١) هو نصب المضارع بالفاء بعدها . وهذا مبنى على مذهب البصريين لأنهم لا ينصبونه بعد الترجى ، واستعمالها فى التمنى مجاز أيضاً ، ومنه قول الشاعر :

أَسْرَبَ القَطَا ، هل مَنْ يُعِيرُ جناحه لعلنى إلى من قد هويتُ أطيرُ ؟

(٢) لا يخفى أن « لعل » لا تدل على بُعد المرجو حتى يشار بها إلى ذلك ، فالأحسن أن تجعل نكتته إظهار التمنى فى صورة الممكن المتوقع الحصول لشدة الرغبة فيه .

هذا ولا يخفى أن الحروف السابقة بعضها يستعمل فى التمنى حقيقةً ، وبعضها يستعمل فيه مجازاً ، وعلى هذا لا يكون هناك محلٌ لذكرها فى علم المعانى ، وما ذكر لذلك من النكت والأعراض شأنه فيها كشأن سائر المجازات .

(٣) آية ٣٦ ، ٣٧ سورة غافر .

(٤) هو طلب حصول صورة الشيء فى الذهن بأدوات مخصوصة ؛ كالهمزة ونحوها مما

يأتى .

(٥) فى هذه الحال لا يذكر معها معادل ، وإذا جاءت (أَمْ) بعدها كانت منقطعة بمعنى

« بل » ، كقول الشاعر :

ولستُ أبالى بَعْدَ فَقْدَى مالكا أموتى ناء أمْ هُوَ الآن واقعُ

(٦) ذكر له مثالين : أحدهما لطلب تعيين المسند إليه ، والثانى لطلب تعيين المسند ، وقد

يكون المطلوب تعيين المفعول أو نحوه من متعلقات الفعل كما سيأتى فى الأمثلة ، ويكون الجواب هنا بتعيين المستؤل عنه ، وفى طلب التصديق بنعم ، أو لا .

(٧) لأنه إذا كان التقديم للتخصيص استدعى حصول التصديق بنفس الفعل ويكون المستؤل

عنه زيدا بخصوصه وعمراً بخصوصه ، وذلك تصور ، وإذا كان لتقوية الحكم كان المستؤل عنه التصديق به ، وكل منهما تصلح له الهمزة ، وهذا بخلاف « هل » كما سيأتى .

المسئول عنه بها هو ما يليها ، فتقول « أضربت زيدا ؟ » إذا كان الشك في الفعل نفسه وأردت بالاستفهام أن تعلم وجوده^(١) ، وتقول « أأنت ضربت زيدا ؟ » إذا كان الشك في الفاعل من هو ؟ وتقول « أزيداً ضربت ؟ » إذا كان الشك في المفعول من هو ؟^(٢) .

• و « هل » لطلب التصديق فحسب ، كقولك « هل قام زيد ؟ وهل عمرو قاعد ؟ » ؛ ولهذا امتنع « هل زيد قام أم عمرو ؟ »^(٣) وقُبِحَ « هل زيدا ضربت ؟ » ؛ لما سبق أن التقديم يستدعى حصول التصديق بنفس الفعل والشك فيما قُدِّم عليه^(٤) . ولم يقيح « هل زيدا ضربته ؟ » ؛ لجواز تقدير المحذوف المفسر مقدما كما مر ، وجعل السكاكي^(٥) قُبِحَ نحو « هل رجل عرف » لذلك ، أى لما قبح له « هل زيدا ضربت » ، ويلزمه ألا يقيح نحو « هل زيد عرف » ؛ لامتناع تقدير التقديم والتأخير فيه عنده لما سبق^(٦) . وعَلَّلَ غيره^(٧) القبح فيهما بأن أصل « هل » أن تكون بمعنى « قد » إلا أنهم تركوا الهمزة قبلها لكثرة وقوعها في الاستفهام .

(١) على هذا تكون إذا وليها الفعل لطلب التصديق ، وقد تقوم في ذلك قرينة على خلافه ؛ كذكر المعادل في نحو « أجاء زيد أم عمرو ؟ » ، فيكون المطلوب بها التصور ويكون المسئول عنه غير ما يليها .
(٢) أما إذا وليتها جملة اسمية خبرها ليس فعلاً فيكون المطلوب بها التصديق نحو « أزيد قائم ؟ » .

هذه أبيات للهمزة في هذه الأحوال :

إذن ألاقى الذى لاقاه أمئالى	ألا اضطبار لسلمى أم لها جلدٌ ؟
بسبع رمين الجمـر أم بثمان ؟	فوالله ما أدري وإن كنت دارياً
ويُحرم ما دون الرضا شاعر مثلى ؟!	أفى الحق أن يُعطى ثلاثون شاعراً
أطنينُ أجنحة الذباب يضير ؟!	فدع الوعيد فما وعيدك ضائرى

(٣) لأن وقوع المفرد فيه بعد « أم » دليل على أنها متصلة يطلب بها تعيين أحد الشيئين مع العلم بنبوت الحكم ، فلا يصح اجتماعها و « هل » ، ويصح اجتماعها و « أم » المنقطعة لأنها بمعنى « بل » كقول الشاعر :

ألا ليت شعرى هل تغيرت الرِّحا رجا الحرب أم أضحت بفلج كما هيا

(٤) إنما لم يمتنع لجواز أن يكون « زيدا » مفعولاً لفعل محذوف ، أو أن يكون تقديمه

(٥) ١٦٧ - المفتاح .

للاهتمام لا للتخصيص .

(٦) فى الكلام على تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى ، فيكون التقديم عنده فيه للاهتمام

لا للتخصيص ، ولا يخفى أن كل ما ذكر هنا أحكام نحوية لا يصح ذكرها فى هذا العلم .

(٧) هو الزمخشري فى المفصل .

و « هل » تخصص المضارع بالاستقبال ؛ فلا يصح أن يقال « هل تضرب زيداً وهو أخوك؟ »^(١) كما تقول « أتضرب زيداً وهو أخوك؟ » ولهذين^(٢) - أعنى اختصاصها بالتصديق وتخصيصها المضارع بالاستقبال - كان لها مزيد اختصاص بما كونه زمانياً أظهر ، كالفعل^(٣) ، أما الثاني^(٤) فظاهر، وأما الأول^(٥) فلأن الفعل لا يكون إلا صفة ، والتصديق حكمٌ بالثبوت أو الانتفاء ، والنفي والإثبات إنما يتوجهان إلى الصفات لا الذوات ؛ ولهذا^(٦) كان قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾^(٧) أدلّ على طلب الشكر من قولنا : « فهل تشكرون؟ » وقولنا : « فهل أنتم تشكرون؟ »^(٨) لأن إبراز ما سيتجدد في معرض الثابت أدلّ على كمال العناية بحصوله من إبقائه على أصله^(٩)

(١) أى على أن الضرب واقع فى الحال كما يفهم عرفاً من تقييده بالأخوة لأنها حالية لا مستقبلية .

(٢) لا يخفى أن كون « هل » لها مزيد اختصاص بالفعل يرجع فيه إلى استعمال العرب ، ولا حاجة إلى تكلف تعليله بذلك ؛ لأنه فى الحقيقة لا تأثير له فيه .

(٣) الكاف فى ذلك استقصائية ؛ لأن الفعل وحده هو المقصود بذلك الحكم .

(٤) هو تخصيصها المضارع بالاستقبال ، والمراد أن اقتضاءه لاختصاصها بالفعل ظاهر .

(٥) هو اختصاصها بالتصديق .

(٦) أى لكونها لها مزيد اختصاص بالفعل .

(٧) آية ٨٠ سورة الأنبياء .

(٨) مع ما فيه من التأكيد بالتكرير ؛ لأنه على تقدير « فهل تشكرون » ، ثم حذف الفعل

الأول فانفصل ضميره .

(٩) يمكن أن يؤخذ من هذا أن « هل » لا يعدل بها عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية

إلا لهذه النكتة ، وهذا هو الذى له صلة بعلم المعانى من كل هذه المباحث التى لا صلة لها به ، ومثله فى ذلك ما قيل فى الفرق بين الاستفهام بالهمزة وبهل ؛ من أن الهمزة لا يستفهم بها حتى يهجس فى النفس إثبات ما يستفهم عنه ، أما « هل » فإنه لا يترجح فيها إثبات ولا نفي ، ويمكنك أن تدرك هذا السؤال بهل فى هذه الآيات :

هل بالطلول لسائل ردُّ	أم هل لها بتكلم عهد
ألا أبلغ الأحلاف عنى رسالة	وذبيان هل أقسمتم كل مفسم
ليت شعرى هل ثم هل آتينهم	أو يحولنّ دون ذاك حمام

• وكذا من قولنا : « أفأنتم شاكرون » وإن كانت صيغته للثبوت ؛ لأن « هل » أدعى للفعل من الهمزة ، فتركه معها أدل على كمال العناية بحصوله ، ولهذا لا يحسن « هل زيد منطلق ؟ » إلا من البليغ^(١) .

*وهي قسمان : بسيطة ؛ وهي التي يطلب بها وجود الشيء ؛ كقولنا « هل الحركة موجودة ؟ » • ومركبة ، وهي التي يطلب بها وجود شيء لشيء ؛ كقولنا « هل الحركة دائمة ؟ »^(٢) .

• والألفاظ الباقية لطلب التصور فقط^(٣) .

أما « ما » فقليل : يطلب به إما شرح الاسم^(٤) كقولنا « ما العنقاء ؟ » ، وإما ماهية المسمى ؛ كقولنا « ما الحركة ؟ » • والقسم الأول يتقدم على قسمي « هل » جميعاً ، والثاني يتقدم على « هل » المركبة دون البسيطة ؛ فالبسيطة في الترتيب واقعة بين قسمي « ما »^(٥) .

وقال السكاكي^(٦) : يُسأل بما عن الجنس^(٧) ؛ تقول « ما عندك ؟ » أى أى أجناس

(١) لأنه هو الذى يراعى دقائق النكت ، ويأتى بالكلام على مقتضى المقام .

(٢) الحق أن هذا التقسيم لا يختص بهل ؛ لأن الهمزة مثلها فيه ، على أن البحث فيه لا شأن لعلم المعانى به .

(٣) لكنه تصور مشوب بشيء من التصديق ؛ لأن هذا شأن التصور المطلوب فى الاستفهام ، ولهذا يصح الجواب عنه أحياناً بالتصديق ، كقوله تعالى آية ١٤ سورة الصف : ﴿ كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله ؟ قال الحواريون نحن أنصار الله ﴾ .

(٤) أى بيان مدلوله الإجمالى الذى يعرف منه حقيقته .

(٥) فيطلب أولاً شرح الاسم ، ثم وجود المفهوم فى نفسه ، ثم حقيقته ، ثم ما يعرض لها ، وهو الذى يُسأل عنه بهل المركبة ، وقد قال بعضهم : إن هذا الترتيب مستحب لا واجب ؛ لأنه لا مانع مثلاً من طلب وجود المفهوم قبل معرفته .

(٦) ١٦٧ - المفتاح .

(٧) يعنى به الحقيقة الكلية ، فيشمل جميع أقسام ما يقال فى جواب « ما هو ؟ » من النوع والجنس والحقيقة الإجمالية والتفصيلية . كما يشمل الجنس من ذوى العلم وغيرهم .

الأشياء عندك^(١) ؟ وجوابه : إنسان أو فرس أو كتاب أو نحو ذلك . كذلك تقول : « ما الكلمة ؟ وما الكلام ؟ » وفي التنزيل ﴿ فَمَا خَطْبُكُمْ ﴾^(٢) أى : أى أجناس الخطوب خطبكم ؟ وفيه ﴿ ما تعبدون من بعدى ﴾^(٣) أى أى من فى الوجود تؤثرونه للعبادة ؟ أو عن الوصف^(٤) تقول : ما زيد ؟ وما عمرو ؟ وجوابه : الكريم أو الفاضل ، ونحوهما^(٥) . وسؤال فرعون ﴿ وما رب العالمين ﴾^(٦) إما عن الجنس لاعتقاده لجهله بالله تعالى أن لا موجود مستقلاً بنفسه سوى الأجسام ، كأنه قال : أى أجناس الأجسام هو ؟ وعلى هذا جواب موسى عليه السلام بالوصف^(٧) للتنبية على النظر المؤدى إلى معرفته ، لكن لما لم يطابق السؤال عند فرعون عجب الجهلة الذين حوله من قول موسى بقوله لهم ﴿ ألا تستمعون ﴾ ثم لما وجده مصراً على الجواب بالوصف إذ قال فى المرة الثانية ﴿ ربكم ورب آبائكم الأولين ﴾ ؛ استهزأ به وجنّته بقوله ﴿ إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون ﴾ ، وحين رآهم موسى عليه السلام لم يفطنوا لذلك فى المرتين ، غلظ عليهم فى الثالثة بقوله : ﴿ إن كنتم تعقلون ﴾ . وإما عن الوصف^(٨) طمعاً فى أن يسلك موسى عليه السلام فى الجواب معه مسلك الحاضرين^(٩) ولو كانوا هم المسئولين مكانه ؛ لشهرته بينهم برب العالمين إلى درجة

(١) فى هذه العبارة تساهل من وجهين : أولهما أن « ما » يسأل بها عن جنس واحد لا عن جمع من الأجناس ؛ فالمراد أى جنس من أجناس الأشياء عندك ؟ وثانيهما أن السؤال بما غير السؤال بأى ، ففى تفسيرها بها تساهل .

(٢) آية ٥٧ سورة الحجر .

(٣) آية ١٣٣ سورة البقرة .

(٤) هذا خلاف ما عليه علماء المنطق ؛ لأن الذى يسأل به عن الوصف عندهم هو « أى » ، ولعل السكاكى ينظر فى ذلك إلى أصل اللفظة ؛ لأنها لا تمتنع أن يسأل « بما » عن الوصف على سبيل الحقيقة أو المجاز ، والفرق بين مذهب السكاكى فى « ما » وما قيل فيها قبله أنها على ما قبله يطلب بها شرح الاسم ولو كان جزئياً ، ولا يسأل بها عن الوصف ، أما عنده فيسأل بها عن الوصف ولا يطلب بها إلا الكلى .

(٥) الأحسن أن يقال فى الجواب : كريم أو فاضل بالتذكير .

(٦) آية ٢٣ سورة الشعراء والآيات الآتية تقع بعدها فى الترتيب .

(٧) هو قوله تعالى ﴿ قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ﴾ .

(٨) معطوف على قوله « إما » عن الجنس .

(٩) فيجيب بأن فرعون رب العالمين مثلهم .

دعت السحرة إذ عَرَفُوا الحق أن عَقَبُوا قولهم : ﴿ آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) بقولهم : ﴿ رب موسى وهارون ﴾ نفياً لاتهمهم أَنهم عَنَوْهُ ، ولجهله ^(٢) بحال موسى إذ لم يكن جمعهما قبل ذلك مجلساً ؛ بدليل ^(٣) : ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبين ، قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ ﴾ ^(٤) فحين سمع الجواب تعدّاه عَجَبٌ وَجَنٌّ وتفهيّق بما تفهيّق من قوله : ﴿ لئن اتَّخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ ^(٥) .

• وأما « مَنْ » فقال السكاكي ^(٦) : هو للسؤال عن الجنس من ذوى العلم ^(٧) تقول « مَنْ جبريل ؟ بمعنى أبشَرٌ هو أم ملكٌ أم جنٌّ ؟ » وكذا : « مَنْ إبليس ؟ وَمَنْ فلان ؟ » ومنه قوله تعالى حكايةً عن فرعون : ﴿ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴾ ^(٨) أى أَمَلِكُ هو أم بشر أم جنى ؟ مُنْكَرًا لأن يكون لهما ربٌّ سواه ؛ لادّعاءه الربوبية لنفسه ، ذاهبًا فى سؤاله هذا إلى معنى « ألكما رب سواى ؟ » فأجاب موسى عليه السلام بقوله : ﴿ ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ﴾ كأنه قال : نَعَمْ لنا رب سواك هو الصانع الذى إذا سلكت الطريق الذى يَبِينُ بإيجاده لما أوجَدَ ، وتقديره إياه على ما قدره ، واتبعت فيه الحُرِّيَّة الماهر ، وهو العقل الهادى عن الضلال ؛ لزمك الاعترافُ بكونه ربًّا ، وأن لا ربَّ سواه ، وأن العبادة له مِنِّى وَمِنْكَ وَمِنَ الْخَلْقِ أَجْمَعٍ حقٌّ لا مَدْفَعَ له .

وقيل : هو للسؤال عن العارض المُشَخَّص لذى العِلْم ^(٩) ، وهذا أظهر ؛ لأنه

(١) آية ٤٧ ، سورة الشعراء .

(٢) معطوف على قوله « لشهرته بينهم » يعنى جهله بعلو شأن موسى ، والظاهر أنه فى جعل السؤال عن الوصف يكون مراده سؤال موسى عن صفة ربه ، كما أنه فى جعل السؤال عن الجنس كان مراده سؤاله عن جنسه ، وما ذكره السكاكى هنا فى غاية التكلف .

(٣) يستدل بهذا على أنهما لم يجمعهما قبل هذا مجلس .

(٤) آية ٣٠ ، ٣١ سورة الشعراء . (٥) آية ٢٩ سورة الشعراء .

(٦) ١٦٨ - المفتاح .

(٧) أى العقل ، والمراد بالجنس ما يشمل النوع والصفة ؛ لأنه يطلق عليهما فى اللغة

اسم الجنس .

(٨) آية ٤٩ سورة طه .

(٩) أى العقل ، يريد بذلك ما يتعلق به من علمه ووصفه الخاص به ، فإذا قيل : من

فلان ؟ صحَّ فى جوابه (زيد) كما ذكره ، وصحَّ أن يجاب بوصف خاص به .

إذا قيل « من فلان ؟ » يجاب « بزيد » ونحوه مما يفيد التشخيص ، ولا نسلم صحة الجواب بنحو : بشر أو جنى كما زعم السكاكى^(١) .

• أما « أى » فللسؤال عما يميز أحد المتشاركين فى أمر يعمهما^(٢) ؛ يقول القائل « عندى ثياب » فتقول : « أى الثياب هى ؟ » فتطلب منه وصفًا يميزها عندك عما يشاركها فى الثوبية ، وفى التنزيل : ﴿ أى الفريقين خيرٌ مقامًا ﴾^(٣) أى أنحن أو أصحاب محمد عليه السلام ؟^(٤) وفيه : ﴿ أيكم يأتينى بعرشها ﴾^(٥) أى الإنسى أم الجنى ؟ .

• وأما « كم » فللسؤال عن العدد ؛ فإذا قلت « كم درهماً لك ؟ وكم رجلاً رأيت ؟ » فكأنك قلت « عشرون أم ثلاثون أم كذا كذا ؟ » وتقول : « كم درهمك ؟ وكم مالك ؟ أى كم دانقاً^(٦) أو كم ديناراً ؟ وكم ثوبك ؟ أى كم شبراً أو كم ذراعاً ؟ وكم زيد ماكت ؟ أى كم يوماً أو كم شهراً ؟ وكم رأيتك ؟ أى كم مرة ؟ وكم سرت ؟ أى كم فرسخاً ، أو كم يوماً ؟ قال الله تعالى : ﴿ قال قائلٌ منهم كم لبثتم ﴾^(٧) أى كم يوماً أو كم ساعة ؟ وقال : ﴿ كم لبثتم فى الأرض عدداً سنين ﴾^(٨) وقال : ﴿ سل بنى إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ﴾^(٩) . ومنه قول الفرزدق :

(١) أما قول الشاعر :

أتوا نارى فقلتُ مُتُونُ أَنتُمْ فقالوا : الجن ، قلتُ عموا ظلام
فيحتمل أنه من أسلوب الحكيم ، وذلك أنه سأل عن مشخصهم لظنه أنهم من البشر ، فأجابوه بذلك لتخطئته فيه ، فلا يكون إذن السؤال بها عن الجنس فى البيت ولكن لا يخفى ما فى حمل ذلك على الأسلوب الحكيم من البعد .

(٢) هو مضمون ما تضاف إليه كالثوبية فى المثال الأول ، فيكون السؤال بها عن الوصف المميز لهما ، ومثل المتشاركين المتشاركون والمتشاركات .

(٣) آية ٧٣ سورة مريم .

(٤) فى هذا تساهل ؛ لأن السؤال عن الوصف المميز لأفضل الفريقين لا عن ذات كل

منهما .

(٥) آية ٣٨ سورة النمل .

(٦) يشير بهذا وما بعده إلى أن الشيء قد يكون واحداً والتمييز لأجزائه ، وإلى أن المميز

قد يحذف للعلم به .

(٧) آية ١٩ سورة الكهف .

(٨) آية ١١٢ سورة المؤمنون .

(٩) آية ٢١١ سورة البقرة .

كم عمّة لك يا جريرُ وخالّةٌ فدعاءٌ قد حلّبتُ على عشاري^(١)

فيمن روى بالنصب ، وعلى رواية الرفع تحتمل الاستفهامية والخبرية^(٢) .

• وأما « كيف » فللسؤال عن الحال ، إذا قيل « كيف زيد ؟ » فجوابه : صحيح أو سقيم أو مشغول أو فارغ ونحو ذلك .

• وأما « أين » فللسؤال عن المكان . إذا قيل « أين زيد ؟ » فجوابه في الدار أو في المسجد أو في السوق أو نحو ذلك .

• وأما « أنى » فتستعمل تارة بمعنى « كيف » قال الله تعالى « ﴿ فَأَتُوا حَرثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾^(٣) أى كيف شِئْتُمْ ، وأخرى بمعنى « من أين »^(٤) قال الله تعالى : « ﴿ أَنَّى لَكَ هَذَا ﴾^(٥) أى من أين لك هذا .

• وأما « متى ، وأيان » ، فللسؤال عن الزمان إذا قيل « متى جئت ؟ » ، أو أيان جئت ؟ » قيل : يوم الجمعة أو يوم الخميس أو شهر كذا أو سنة كذا ، وعن على بن عيسى الربعي : أن « أيان » تستعمل في مواضع التفتيح^(٦) كقوله تعالى : « ﴿ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴾^(٧) وقال تعالى : « ﴿ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ ﴾^(٨) .

ثم هذه الألفاظ كثيراً ما تستعمل في معان غير الاستفهام بحسب ما يناسب

(١) هو لهما بن غالب المعروف بالفردق . والفدعاء : مشتقة من الفدع وهو عوج في المفاصل كأنها قد زالت عن مواضعها ، والعشار : جمع عشاء وهي النفساء أو الناقة التي مضى لحملها عشرة أشهر .

(٢) وعلى رواية الجر تتعين للخبرية ، وقيل : إن « كم » الخبرية تنصب المميز أيضاً .

(٣) آية ٢٢٣ سورة البقرة .

(٤) الفرق بين « أين » و « من أين » : أن « أين » للسؤال عن المكان الذي حل فيه الشيء ، و « من أين » للسؤال عن المكان الذي برز منه .

(٥) آية ٣٧ سورة آل عمران .

(٦) كذلك تستعمل في الاستبعاد ، وهو الأظهر في الآيتين ؛ لأن السؤال فيهما من لا

يؤمن بيوم القيامة ولا بيوم الدين ؛ فالظاهر في سؤاله الاستبعاد لا التفتيح .

(٧) آية ٦ سورة القيامة .

(٨) آية ١٢ سورة الذاريات .

المقام^(١) منها الاستبطاء^(٢) نحو « كم دعوتك ؟ » وعليه قوله تعالى : ﴿ حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ؟ ﴾^(٣) .

ومنها التعجب^(٤) نحو قوله : ﴿ ما لي لا أرى الهدهد ! ﴾^(٥) .

ومنها التنبيه على الضلال^(٦) نحو : ﴿ فأين تذهبون ﴾^(٧) .

ومنها الوعيد^(٨) كقولك لمن يسئ الأدب : « ألم أؤدب فلاناً ؟ » ، إذا كان عالماً بذلك ، وعليه قوله تعالى : ﴿ ألم نهلك الأولين ﴾^(٩) .

(١) لأن دلالتها عليها من قبيل المجاز ، ولكل مجاز مقام يناسبه ، وإرجاع هذه المعانى إلى ما يناسبها من المقام هو الذى يجعل لها صلة المعانى ، وهى صلة ضعيفة كما سبق فى نحو ذلك ، وقيل : إن دلالتها على هذه المعانى من الكناية ، وقيل : إنها من مستبغات الكلام .

(٢) دلالتها عليه من إطلاق اسم المسبب وإرادة السبب على سبيل المجاز المرسل ؛ لأن الاستفهام عن عدد الدعاء مثلاً مسبب عن تكرير الدعوة ، وتكريرها مسبب عن الاستبطاء فى إجابتها .

(٣) آية ٢١٤ سورة البقرة .

(٤) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم على سبيل المجاز المرسل ؛ لأن سؤال العاقل فى الآية عن حال نفسه مثلاً يستلزم جهله به ، وجهله به يستلزم التعجب منه .

(٥) آية ٢٠ سورة النمل .

(٦) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم أيضاً ؛ لأن الاستفهام عن الطريق فى الآية مثلاً يستلزم تنبيه المخاطب إليه ، وتنبيهه إليه يستلزم تنبيهه على ضلاله فى غفلته عن ذلك الطريق وسلوكه طريقاً واضح الضلالة ، وقيل : إنه يجوز أن يكون اللفظ مستعملاً فى الاستفهام ليتوصل به إلى ذلك على طريق الكناية . وقيل : إنه يجوز أن يجعل من مستبغات الكلام ، ولا يخفى أن الحمل على ذلك يجوز فى كل هذه المعانى كما سبق .

(٧) آية ٢٦ سورة التكوين .

(٨) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم أيضاً ؛ لأن الاستفهام فى المثال ينبيه المخاطب إلى جزاء إساءة الأدب ، وهذا يستلزم وعيده لاتصافه بها .

(٩) آية ١٦ سورة المرسلات .

ومنها الأمر^(١) نحو قوله تعالى^(٢) : ﴿ فهِلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ونحو : ﴿ فهِلْ مِنْ مُدَّكَرٍ ﴾^(٣) .

ومنها التقرير^(٤) : ويشترط في الهمزة أن يليها المقرّر به^(٥) كقولك : أفعلت ؟ إذا أردت أن تقرره بأن الفعل كان منه ، وكقولك ، « أَنْتَ فعلت ؟ » إذا أردت أن تقرره بأنه الفاعل ، وذهب الشيخ عبد القاهر والسكاكي^(٦) وغيرهما إلى أن قوله : ﴿ أَنْتَ فعلتَ هذا بآلهتنا يا إبراهيم ﴾^(٧) من هذا الضرب ؛ قال الشيخ^(٨) : لم يقولوا ذلك له عليه السلام وهم يريدون أن يقرّ لهم بأن كسر الأصنام قد كان ، ولكن أن يقرّ بأنه منه كان ، وكيف وقد أشاروا له إلى الفعل في قوله : ﴿ أَنْتَ فعلتَ هذا ﴾ وقال عليه السلام : ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ ولو كان التقرير بالفعل في قولهم : ﴿ أَنْتَ فعلتَ ﴾ لكان الجواب « فعلتُ أو لم أفعل »^(٩) وفيه نظر ؛ لجواز أن تكون الهمزة فيه على أصلها^(١٠) ؛ إذ ليس في السياق ما يدل على أنهم كانوا عالمين بأنه عليه السلام هو الذي كسر الأصنام ، وكقولك « أزيداً ضربت ؟ » إذا أردت أن تقرره بأن مضروبه زيد .

(١) دلالتها عليه من باب الإطلاق والتقييد على سبيل المجاز المرسل ؛ لأن الاستفهام طلب الإقرار بالجواب مع سبق جهل المستفهم ، فاستعمل في مطلق الطلب ، ثم استعمل في الطلب على سبيل الاستعلاء وهو الأمر .

(٢) آية ١٤ سورة هود . (٣) آية ١٥ سورة القمر .

(٤) دلالتها عليه من باب الإطلاق والتقييد أيضاً ؛ وذلك باستعمال الاستفهام في مطلق

طلب الإقرار ، ثم طلب الإقرار من غير سبق جهل .

(٥) بخلاف « هل » فإنها للتقرير بالنسبة ، وبخلاف باقى الأدوات فإنها للتقرير بما يطلب

تصوره بها .

(٦) ١٧٠ المفتاح .

(٧) آية ٦٢ سورة الأنبياء .

(٨) ص ٧٨ دلائل الإعجاز .

(٩) أى ولم يكن ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ .

(١٠) من الاستفهام ، وقد أجيب عن هذا النظر بأن قوله قبل كسرها : ﴿ لا كيداً

أصنامكم ﴾ وقولهم : ﴿ سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ﴾ فيهما دلالة على علمهم بأنه هو الذى كسرها ؛ فلا يصح حمل استفهامهم على حقيقته .

ومنها **الإنكار** ^(١) إمّا للتوبيخ بمعنى - ما كان ينبغى أن يكون ^(٢) نحو « أعصيت ربك؟ » ، أو بمعنى لا ينبغى أن يكون ؛ ^(٣) كقولك للرجل يضيع الحق « أنتسى قديم إحسان فلان ؟ » وكقولك هذا للرجل يركب الخطر : أتخرج فى هذا الوقت ؟ أتذهب فى غير الطريق ؟ والغرض بذلك تنبيه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل أو يرتدع عن فعل ما هم به . وإمّا للتكذيب بمعنى « لم يكن » كقوله تعالى : ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ﴾ ^(٤) وقوله : ﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴾ ^(٥) أو بمعنى - لا يكون ، نحو : ﴿ أَنْزَلْنَاهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ ^(٦) وعليه قول امرئ القيس ^(٧) :

أَيَقْتَلْنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زُرْقُ كَأَيَابِ أَغْوَالِ ؟!

فيمن روى « أَيْقَتَلْنِي ؟ » ^(٨) . وقول الآخر :

أَتَرَكْتُ أَنْ قَلْتُ دِرَاهِمُ خَالِدٍ زِيَارَتَهُ ؟ إِنْ إِيذَنَ لِلثِّمِّ ^(٩) !!

* والإنكار كالتقرير يشترط أن يلى المنكر الهمزة ، كقوله تعالى : ﴿ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ ﴾ ^(١٠) ﴿ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا ﴾ ^(١١) ﴿ أَبَشْرًا مَنَا وَاحِدًا تَتَّبِعُهُ ﴾ ^(١٢) وكقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ﴾ ^(١٣) أى ليسوا هم المتخيرين للنبوة من يصلح لها ، المتولين لقسم رحمة

(١) دلالتها عليه من إطلاق اسم اللازم وإرادة الملزوم ؛ لأن إنكار الشيء يستلزم عدم توجه الذهن إليه ، وهذا يستلزم الجهل به والجهل به يستلزم الاستفهام عنه .

(٢) إذا كان الموبخ عليه قد وقع فى الماضى .

(٣) إذا كان الموبخ عليه واقعاً فى الحال أو بصدد الوقوع فى المستقبل .

(٤) آية ٤٠ سورة الإسراء (٥) آية ١٥٣ سورة الصافات (٦) آية ٢٨ سورة هود .

(٧) هو لخدج بن حُجر المعروف بامرئ القيس ، والمشرفى : السيف المنسوب إلى مشارف

الشام ، والمسنونة : السهام المحدودة النصال ، والزرق : الصافية فى خضرة .

(٨) لعل الرواية الأخرى « لَيَقْتَلْنِي » كما فى البيت قبله .

(٩) هو لعمارة بن عقيل ، « أن قلت » يجوز روايته « أن وإن » وتقديره على الأول :

«لأن قلت» وهو الأظهر ، والمراد بخالد : خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى .

(١٠) آية ٤٠ سورة الأنعام (١١) آية ١٤ سورة الأنعام .

(١٢) آية ٢٤ سورة القمر (١٣) آية ٣١ ، ٣٢ سورة الزخرف .

الله التي لا يتولاها إلا هو بياهر قدرته وبالغ حكمته ، وعدَّ الزمخشري قوله : ﴿ أفأنت تكروه الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ ^(١) وقوله : ﴿ أفأنت تُسمع الصمَّ أو تهدى العمى ﴾ ^(٢) من هذا الضرب ، على أن المعنى : أفأنت تقدر على إكراههم على الإيمان ؟ أو أفأنت تقدر على هدايتهم ؟ على سبيل القصر والإلجاء أى : إنما يقدر على ذلك الله لا أنت . وحمل السكاكى ^(٣) تقديم الاسم فى هذه الآيات الثلاث ^(٤) على البناء على الابتداء دون تقدير التقديم والتأخير كما مر ^(٥) فى نحو « أنا ضربت » فلا يفيد إلا تقوى الإنكار ^(٦) .

ومن مجيء الهمزة للإنكار نحو قوله تعالى : ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾ ^(٧)

وقول جرير :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحِ ^(٨)

أى : الله كاف عبده ، وأنتم خير من ركب المطايا ؛ لأن نفى النفى إثبات ، وهذا مراد من قال إن الهمزة فيه للتقرير ، أى للتقرير بما دخله النفى لا للتقرير بالانتفاء ^(٩) . وإنكار الفعل مختص بصورة أخرى ^(١٠) وهى نحو قولك : « أزيداً ضربت أم عمراً ؟ » لمن يدعى أنه ضرب إما زيداً وإما عمراً دون غيرهما ؛ لأنه إذا لم يتعلق الفعل

(١) آية ٩٩ سورة يونس . (٢) آية ٤٠ سورة الزخرف . (٣) ١٧٠ ، ١٧١ المفتاح .

(٤) هى آية ﴿ أَمْ يَقْسِمُونَ ﴾ والآيتان بعدها .

(٥) أى فى الكلام على تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى .

(٦) على هذا لا يكون للتخصيص كما ذهب إليه الزمخشري .

(٧) آية ٣٦ سورة الزمر .

(٨) هو من قصيدة له فى مدح عبد الملك بن مروان ، وأندى : أفعل تفضيل من الندى ، والراح : واحده راحة وهى باطن الكف ، ويجوز أن يراد بها الكف على سبيل المجاز كما فى البيت ، بقرينة إضافة بطون إليها .

(٩) لأن التقرير فى مثل هذا لا يجب أن يكون بالحكم الذى دخلت الهمزة عليه ، وإنما يكون بما يعرفه المخاطب فيه من إثبات أو نفى ، كقوله تعالى آية ١١٦ سورة المائدة ﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ .

(١٠) هذه الصورة لا يكون الفعل فيها والياً للهمزة كالصور السابقة ، ومع هذا يكون هو المنكر ، وهذه الصورة أبلغ فى نفى الفعل كما سيأتى تقريره .

بأحدهما والتقدير أنه لم يتعلق بغيرهما فقد انتفى من أصله لا محالة، وعليه قوله تعالى: ﴿ قُلِ الذَّكِرِينَ حَرَّمَ أُمُّ الْأُنثِيِّن أَمْ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيِّن ﴾ (١) أخرج اللفظ مُخرجه ؛ إذ كان قد ثبت تحريمٌ في أحد الأشياء ثم أريد معرفة عين المحرم ، مع أن المراد إنكار التحريم من أصله . وكذا قوله ﴿ اللَّهُ أَذُنُ لَكُمْ ﴾ (٢) إذ معلوم أن المعنى على إنكار أن يكون قد كان من الله تعالى إذنٌ فيما قالوه ، من غير أن يكون هذا الإذن قد كان من غير الله فأضافوه إلى الله ، إلا أن اللفظ أُخرج مُخرجه إذا كان الأمر كذلك ؛ ليكون أشدَّ لنفي ذلك وإبطاله ؛ فإنه إذا نفى الفعل عما جُعِلَ فاعلاً له في الكلام ولا فاعل له غيره لزم نفيه من أصله .

قال السكاكي رحمه الله (٣): « وإياك أن يزول عن خاطرك التفصيل الذي سبق (٤) في نحو : أنا ضربت ، وأنت ضربت ، وهو يضرب - من احتمال الابتداء واحتمال التقديم وتفاوت المعنى في الوجهين ، فلا تحمل نحو قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ أَذُنُ لَكُمْ ﴾ على التقديم ، فليس المراد أن الإذن يُنكر من الله دون غيره (٥) ؛ ولكن أحمله على الابتداء مراداً منه تقوية حكم الإنكار . »

وفيه نظر ؛ لأنه إن أراد أن نحو هذا التركيب - أعنى ما يكون الاسم الذي يلي الهمزة فيه مظهراً - لا يفيد توجه الإنكار إلى كونه فاعلاً للفعل الذي بعده فهو ممنوع (٦) ، وإن أراد أنه يفيد ذلك إن قُدِّرَ تقديم وتأخير وإلا فلا على ما ذهب إليه فيما سبق ، فهذه الصورة مما منع هو ذلك فيه على ما تقدم (٧) .

(١) آية ١٤٣ سورة الأنعام .

(٢) آية ٥٩ سورة يونس .

(٣) ١٧١ : المفتاح .

(٤) أى في الكلام على تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى .

(٥) لأنه بهذا يكون مفيداً للتخصيص ، وليس مراداً .

(٦) لأن المعنى على هذا قطعاً في المظهر والمضمر .

(٧) لأن البناء فيها على المظهر فلا تحتمل تقدير التقديم والتأخير ، والحق أن السكاكي لا

يخالف غيره في توجه الإنكار في الآية إلى الفاعل على أن المراد منه إنكار الفعل ، وإنما ينكر أن يكون التقديم في ذلك للتخصيص ، وهذا موافق لمذهبه السابق في الفرق بين البناء على المضمر والبناء على المظهر ، وما ذكره في منع تقدير التقديم هنا لا يمنع أنه ممنوع عنده أيضاً لأن البناء فيه على المظهر .

لا يقال : قد بلى الهمزة غير المنكر في غير ما ذكرتم ، كما في قوله :

* أَيْقَتْنِي والمشرقي مضاجعي * (١)

فإن معناه أنه ليس بالذى يجيء منه أن يقتل مثلى (٢) بدليل قوله :

يغَطُّ غَطِيطَ الْبَكْرِ شُدَّ خَنَاقَهُ لِيَقْتَلَنِي وَالْمَرْءُ لَيْسَ بِقَتَّالٍ (٣)

لأننا نقول : ليس ذلك معناه ؛ لأنه قال « والمشرقي مضاجعي » فذكر ما يكون منعاً من الفعل ، والمنع إنما يحتاج إليه مع مَنْ يتصور صدور الفعل منه دون من يكون في نفسه عاجزاً عنه .

ومنها التهكم (٤) نحو : ﴿ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ (٥) .

ومنها التحقير (٦) كقولك : مَنْ هَذَا ؟ وما هذا ؟ .

ومنها التهويل (٧) كقراءة ابن عباس (٨) : ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ

(١) انظر ص ٤٠ .

(٢) فيكون لانكار الفاعل لا الفعل .

(٣) هذا البيت قبل البيت السابق ، والبكر : الفتى من الإبل ، وغطيطه : هديره في شقشقته ، والخناق : ما يخنق به من حبل ونحوه .

(٤) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللزوم ؛ لأن الاستفهام عن الشيء يستلزم الجهل به ، وبفائدته ، والجهل بذلك يستلزم التهكم به .

(٥) آية ٨٧ سورة هود .

(٦) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللزوم ؛ لأن الاستفهام عن الشيء يستلزم الجهل به ، والجهل به يستلزم تحقيره ، والفرق بين التحقير والتهكم أن التهكم قد يكون بمن هو عظيم في نفسه بخلاف التحقير ، ومن التحقير قول الشاعر :

مِنْ أَيْةِ الطَّرْقِ يَأْتِي نَحْوُكَ الْكَرْمُ أَيْنَ الْمَحَاجِمِ يَا كَافُورَ الْجَلْمِ ؟

(٧) دلالتها عليه من إطلاق اسم المسبب وإرادة السبب ؛ لأن الاستفهام عن الشيء ينشأ عن الجهل به ، والجهل به ينشأ عن كونه هائلاً لا يُدْرَك كنهه .

(٨) آية ٣٠ ، ٣١ سورة الدخان .

العذاب المهيّن . مَنْ فرعون ﴿ بلفظ الاستفهام ، لَمَّا وصف الله تعالى العذاب بأنه مهين لشدة وفظاعة شأنه أراد أن يصور كنهه فقال : ﴿ من فرعون ﴿ أى أتعرفون من هو فى فرط عتوه وتجبره ؟ ما ظنكم بعذاب يكون هو المَعذَّب به ؟ ثم عرّف حاله بقوله . ﴿ إنه كان عالياً مِنَ المسرفين ﴿ .

ومنها الاستبعاد^(١) نحو : ﴿ أَنَّى لهم الذِّكْرَى وقد جاءهم رسولٌ مبينٌ . ثم تولوا عنه وقالوا معلّمٌ مجنون ﴿^(٢) .

ومنها التوبيخ والتعجيب جميعاً^(٣) كقوله تعالى : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم ميّتكم ثم يُحييكم ثم إليه ترجعون ﴿^(٤) أى كيف تكفرون والحال أنكم عالمون بهذه القصة ؟ أما التوبيخ فلأن الكفر مع هذه الحال يُنبئ عن الانهماك فى الغفلة أو الجهل . وأما التعجيب فلأن هذه الحال تأبى ألا يكون للعاقل علم بالصانع ، وعلمه به يأبى أن يكفر . وصدور الفعل مع الصارف القوى مظنة تعجب ، ونظيره : ﴿ أأأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴿^(٥) .

* * *

(١) دلالتها عليه كدلالتها على الاستبطاء السابق للقرب بين معنيهما ، والفرق بينهما أن الاستبطاء يتوقّع ما يتعلق به بخلاف الاستبعاد .

(٢) آية ١٣ ، ١٤ سورة الدخان .

(٣) دلالتها عليهما كدلالتها على الإنكار من إطلاق اسم اللازم وإرادة الملزوم ؛ لأنهما يستلزمان إنكار الموبخ عليه والمتعجب منه ، وإنكارهما يستلزم عدم توجه الذهن إليهما ، وهذا يستلزم الجهل بهما ، والجهل بهما يستلزم الاستفهام عنهما .

هذا ولا يخفى أنّ البحث هنا عن الاستفهام وأدواته كالبحث عن التمنى وأدواته ، فليس له كبير علاقة بعلم المعانى ، ولا وجه للاشتغال به فيه .

(٤) آية ٢٨ سورة البقرة .

(٥) آية ٤٤ سورة البقرة .

تمرينات على التمنى والاستفهام

تمرين - ١

(١) لماذا أثار الشاعر فى التمنى « ليت » على غيرها فى قوله :

ليت الكواكب تدنو لى فأنظّمها

عُقودَ مدحٍ فما أرضى لكم كلمى

(٢) لماذا أوثرت « لو » فى التمنى على « ليت » فى قوله تعالى : آية ١٠٢

سورة الشعراء ﴿ فلو أن لنا كرةً فكنونَ من المؤمنين ﴾ .

تمرين - ٢

(١) بين ما تدل عليه « هل » فى قوله تعالى حكايةً عن أهل النار آية ٤٤ سورة

الشورى ﴿ هل إلى مردٍ من سبيل ﴾ ؟ وما الداعى إلى إثارها على غيرها فيه ؟ .

(٢) بين معنى الاستفهام فى قول الشاعر :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريمةٍ وسدادٍ ثغر

تمرين - ٣

(١) هل الإنكار بالاستفهام فى البيت الآتى للتوبيخ أو للتكذيب ؟ وهل

المقصود به الفعل أو غيره ؟ .

أعندى وقد مارستُ كلَّ خفيةٍ يُصدّق واشٍ أو يُخيّبُ سائلُ

(٢) بين ما يدلُّ عليه الاستفهام فى قول الشاعر :

فدع الوعيدَ فما وعيدك ضائرى أطنينُ أجنحةِ الذبابِ يَضِيرُ !!

تمرين - ٤

(١) بين معنى « هل » فى قول الشاعر :

هل الدهرُ إلا ساعةٌ ثم تنقضى بما كان فيها من بلاءٍ ومن خَفَضَ

(٢) بين معنى « ليت » فى قول الشاعر :

فليت لى بهم قوماً إذا ركبوا شئوا الإغارةَ فرساناً وركبانا

الأمر

الأمر : ومن أنواع الإنشاء الأمر ، والأظهر أن صيغته - من المقترنة باللام ؛ نحو : « لِيَحْضُرَ زَيْدٌ » وغيرها ، نحو « أَكْرَمَ عَمْرًا » و « رَوَيْدٌ بَكْرًا » - موضوعة لطلب الفعل استعلاء ؛ لتبادُر الذهن عند سماعها إلى ذلك وتوقف ما سواه على القرينة . قال السكاكي^(١) : « ولإطباق أئمة اللغة على إضافتها إلى الأمر بقولهم « صيغة الأمر ومثال الأمر ولام الأمر » . وفيه نظر لا يخفى على المتأمل^(٢) .

* ثم إنها - أعني صيغة الأمر - قد تستعمل في غير طلب الفعل استعلاءً بحسب مناسبة المقام^(٣) كالإباحة^(٤) كقولك في مقام الإذن : « جالس الحسن أو ابن سيرين » . ومن أحسن ما جاء فيه قول كثير :

أَسْنِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةً لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتِ^(٥)

أى لا أنت ملومة ولا مقلية ، ووجه حسنه : إظهار الرضا بوقوع الداخل تحت لفظ الأمر حتى كأنه مطلوب ، أى مهما اخترت في حقى من الإساءة والإحسان فأنا راض به غاية الرضا ، فعاملينى بهما وانظرى هل تتفاوت حالى معك فى الحالين ؟

(١) ١٧١ - المفتاح .

(٢) لأن أئمة اللغة لا يريدون بالأمر فى هذا طلب الفعل استعلاءً ، وإنما يريدون الأمر فى نحو : قم وليقم ، ولو لم يكن على جهة الاستعلاء ؛ لأنهم يقولون ذلك فى مقابلة الماضى والمضارع .

(٣) استعمالها فى ذلك مجاز إن منعت قرينة من إرادة الأمر ، وإلا فكناية ، وتبعية ذلك للمقام هى التى تجعل له صلةً بعلم المعانى ، وهى صلة لا تقتضى ذكره فيه كما سبق فى التمنى والاستفهام .

(٤) استعمالها فيها يكون فى مقام يتوهم السامع فيه حظر شئ عليه ؛ لاشتراكها فى والأمر فى مطلق الإذن ؛ فهو مجاز مرسل من إطلاق اسم الأخص على الأعم .

(٥) هو لكثير بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزة ، والخطاب لعزة محبوبته ، وملومة : خبر مبتدأ تقديره لا أنت ملومة ، والمقلية : اسم مفعول من القلى وهو البغض ، وقوله « تَقَلَّتْ » فعل ماض منه مسند إلى ضمير المؤنث المستتر ، وأصله « تَقَلَّيْتُ » فالتفت من الخطاب إلى الغيبة ، ومفعوله محذوف أى تَقَلَّيْتُ .

والتهديد^(١) كقولك لعبد شتم مولاه وقد أدبته : « اشم مولاك » . وعليه قوله تعالى : ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾^(٢) .

والتعجيز^(٣) كقولك لمن يدعى أمراً تعتقد أنه ليس فى وسعه : « افعله » ، وعليه : ﴿ فأتوا بسورةٍ من مثله ﴾^(٤) .

والتسخير^(٥) نحو : ﴿ كونوا قردةً خاسئين ﴾^(٦) .

والإهانة^(٧) نحو : ﴿ كونوا حجارةً أو حديدًا ﴾^(٨) وقوله تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾^(٩) .

والتسوية^(١٠) كقوله تعالى : ﴿ أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبلَ منكم ﴾^(١١) وقوله تعالى : ﴿ فاصبروا أو لا تصبروا ﴾^(١٢) .

(١) تستعمل فيه صيغة الأمر فى مقام عدم الرضا بالمأمور به ، واستعمالها فيه مجاز لعلاقة شبه التضاد بينه وبين الأمر .

(٢) آية ٤٠ سورة فصلت .

(٣) تستعمل فيه صيغة الأمر فى مقام إظهار عجز من يدعى القدرة على ما يعجز عنه ، واستعمالها فيه لعلاقة شبه التضاد أيضاً .

(٤) آية ٢٣ سورة البقرة .

(٥) تستعمل فيه صيغة الأمر فى مقام انقياد المأمور للأمر من غير قدرة له فيه ، واستعمالها فيه لعلاقة المشابهة بينه وبين الأمر فى مطلق الإلزام .

(٦) آية ٦٥ سورة البقرة .

(٧) تستعمل فيها صيغة الأمر فى مقام عدم الاعتداد بشأن المأمور ، واستعمالها فيها لعلاقة اللزوم ؛ لأن طلب الشيء من غير قصد حصوله لعدم القدرة عليه مع خسته يستلزم إهانة المأمور ، والفرق بين الإهانة والتسخير أن الإهانة لا يحصل فيها المأمور به بخلاف التسخير .

(٨) آية ٥٠ سورة الإسراء .

(٩) آية ٤٩ سورة الدخان .

(١٠) تستعمل فيها صيغة الأمر فى مقام توهم رجحان أحد الأمرين على الآخر ، واستعمالها فيه لعلاقة التضاد بينها وبين الأمر ، وقيل : إن صيغة التسوية خبر لا إنشاء .

(١١) آية ٥٣ سورة التوبة .

(١٢) آية ١٦ سورة الطور .

والتمنى^(١) كقول امرئ القيس :

* ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي^(٢) *

والدعاء : إذا استعملت في طلب الفعل على سبيل التضرع^(٣) نحو : ﴿ رب اغفر لي ولوالدي ﴾^(٤).

والالتماس : إذا استعملت فيه على سبيل التلطف^(٥) كقولك لمن يساويك في الرتبة : « افعل » بدون الاستعلاء .

والاحتقار^(٦) نحو : ﴿ ألقوا ما أنتم ملقون ﴾^(٧).

ثم الأمر : قال السكاكي^(٨) : « حقه الفور ؛ لأنه الظاهر من الطلب ، ولتبادر الفهم عند الأمر بشيء بعد الأمر بخلافه إلى تغيير الأمر الأول دون الجمع وإرادة التراخي » والحق خلافه لما تبين في أصول الفقه^(٩).

* * *

(١) تستعمل فيه صيغة الأمر في مقام طلب شيء محبوب لا قدرة للطالب عليه ، واستعمالها فيه لعلاقة التضاد أيضاً .

(٢) هو لحنديج بن حجر المعروف بامرئ القيس من قوله :

ألا أيها الليل ألا انجل بصبح وما الإصباح منك بأمثل

وقوله « انجلي » بمعنى انكشف ، والأمثل : الأفضل ، وإنما طلب انجلاء الليل مع هذا لأن في تغيير الزمن راحة على كل حال .

(٣) هو طلب الأدنى من الأعلى ، وقيل : إن استعمال صيغة الأمر فيه حقيقة لا مجاز ، وكذلك استعمالها في الالتماس .

(٤) آية ٢٨ سورة نوح . (٥) هو الطلب مع المساواة .

(٦) هو قريب من الإهانة أو هما بمعنى واحد .

(٧) آية ٤٣ سورة الشعراء .

(٨) ١٧٢ المفتاح .

(٩) الحق أنه لا معنى لذكر مثل هذا هنا ؛ لأنه من خلط مسائل علم بمسائل علم آخر .

النَّهْيُ

ومنها **النهي**، وله حرف واحد؛ وهو « لا » الجازمة في نحو قولك « لا تفعل »؛ وهو كالأمر في الاستعلاء ، وقد يستعمل في غير طلب الكف أو الترك^(١) كالتهديد^(٢) كقولك لعبد لا يمتثل أمرك: « لا تمتثل أمري » .

* واعلم أن هذه الأربعة - أعنى التمنى والاستفهام والأمر والنهي - تشترك في كونها قرينة دالة على تقدير الشرط بعدها^(٣) كقولك « ليت لى مالا أنفقَه » أى إن أرزقَه ، وقولك: « أين بيتك أزرك » أى إن تُعرفنيَه ، وقولك: « أكرمنى أكرمك » أى إن تكرمنى ، قال: ﴿ فهب لى من لدنك ولياً يرثنى ﴾^(٤) بالجزم ، فأما قراءة

(١) يشير بهذا إلى الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة فى أن المطلوب فى النهى الكف أو الترك ، وهو خلاف أصولى لا معنى لذكره هنا .

(٢) استعمال النهى فيه مجاز مرسل علاقته السببية ؛ لأن النهى عن الشئ يترتب عليه التخويف على مخالفته .

وقد يستعمل النهى فى الدعاء ، كقوله تعالى آية ٢٨٦ سورة البقرة ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ وفى الالتماس : كقول الشاعر :

لا تطويا السر عنى يوم نائبة فإن ذلك ذنب غير مغتفر

وفى التمنى كقول الشاعر :

يا ليل ، طُل ، يا نوم ، زُلْ يا صبح ، قِفْ لا تطلّع

وفى الإرشاد ، كقول بشار :

ولا تحسب الشورى عليك غضاضة فإن الخوافى قوة للقصود

وذكرُ النهى فى علم المعانى كذكر التمنى والاستفهام والأمر .

(٣) وجه ذلك : أن الحامل على الطلب إما كون المطلوب مقصوداً لذاته أو لغيره لتوقفه

عليه ، أى على ذلك المطلوب ، فإذا كان مقصوداً لغيره وذكره بعده : تبادر إلى الذهن أن المطلوب شرط فيه ، فيكون الطلب متضمناً لشرطه ومغنياً عن ذكره ، ولا يخفى أن ذكر هذا فى باب الإيجاز الآتى أليق من ذكره هنا .

(٤) آية ٥ سورة مريم .

الرفع فقد حملها الزمخشري على الوصف^(١) ، وقال السكاكي^(٢) الأولى حَمَلُهَا عَلَى الاستئناف دون الوصف ؛ لهلاك يحيى قبل زكريا عليهما السلام ، وأراد بالاستئناف أن يكون جواب سؤال مقدر تضمنه ما قبله ، فكأنه لما قال : ﴿ فهب لى من لذك ولياً ﴾ قيل : ما تصنع به ؟ فقال (يرثنى) فلم يكن داخلاً فى المطلوب بالدعاء^(٣) . وقولك : « لا تشتم يكن خيراً لك » ؛ أى إلا تشتم .

* وأما العَرَضُ كقولك لمن تراه لا ينزل « ألا تنزل تُصَبُّ خيراً » أى إن تنزل ، فمولد من الاستفهام^(٤) وليس به ؛ لأن التقدير أنه لا ينزل ؛ فالاستفهام عن عدم النزول طلب للحاصل ، وهو محال .

* وتقدير الشرط فى غير هذه المواضع لقرينة جائز أيضاً ؛ كقوله تعالى : ﴿ فإله هو الولي ﴾ أى إن أرادوا أولياء بالحق فالله هو الولي بالحق لا ولي سواه^(٥) . وقوله : ﴿ ما اتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إلهٍ إذن لذهب ﴾^(٦) أى لو كان معه إله إذن لذهب .

* * *

(١) أى للنكرة قبله .

(٢) ١٧٢ المفتاح .

(٣) فلا يقدح تخلفه فى دعائه عدم إرثه له مع أنه نبي مستجاب الدعاء . أو قد أجاب عن ذلك من حملها على الوصف بأن المراد بالإرث إرث العلم والنبوة ، وقد حصل ليحيى فورث قبل موته أباه فيهما .

(٤) فهو مثله فى كونه قرينة دالة على شرط ، والترجى فى ذلك أيضاً مثل التمنى ، والدعاء ونحوه مثل الأمر والنهى .

(٥) لأنه من قوله تعالى : آية ٩ سورة الشورى ﴿ أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي ﴾ وقيل : إن قوله : ﴿ أم اتخذوا ﴾ إنكار وتوبيخ بمعنى أنه لا ينبغي لهم أن يتخذوا من دونه أولياء لأن الله هو الولي ، فتكون الفاء للتعليل لا للشرط ، وهو ضعيف لأن المألوف فى ذلك أن يقال - والله هو الولي - كما يقال - أتضرب زيداً وهو أخوك ؟ .

(٦) آية ٩١ سورة المؤمنون . وتام الآية : ﴿ كل إله بما خلق ﴾ .

النداء

ومنها النداء^(١) : وقد تستعمل صيغته في غير معناه ؛ كالإغراء في قولك لمن أقبل يتظلم^(٢) : يا مظلوم .

والاختصاص^(٣) في قولهم « أنا أفعل كذا أيها الرجل »^(٤) ونحن نفعل كذا أيها

(١) هو طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو ؛ وهو « يا » أو إحدى أخواتها ، ودلالة النداء على الطلب التزامية ؛ لأنه بمقتضى تعريفه في معنى « أدعو » وهو فعل مضارع لا أمر ، ولكن الدعاء يتضمن طلب الإقبال ، فلهذا جعل النداء من أقسام الطلب ، وقيل : إنه مجرد تنبيه لا طلب فيه ، وقيل : إنه بمعنى « أقبل » فيدل على الطلب مطابقة لا التزاماً .

(٢) بهذا لا تكون « يا » في ذلك للنداء ؛ لأن الإقبال حاصل فلا معنى لطلبه ، بل يكون المراد بها الإغراء على طلب الأمر الذي ينادى له . واستعمال النداء في الإغراء مجاز مرسل علاقته الإطلاق والتقييد .

(٣) استعمال النداء فيه مجاز مرسل علاقته الإغراء ، وهو في الحقيقة صورة نداء كما سيأتى .

(٤) يريد بالرجل نفسه ، فهو في الحقيقة صورة نداء لا نداء ، ولكن أداة الاختصاص لما كثر استعمالها مع أدوات النداء نزلت منزلتها ، وقيل إن الاختصاص نداء حقيقى لا مجازى ؛ لأنه لا مانع من نداء الشخص نفسه ؛ كما قال عمر رضي الله عنه : كل الناس أقره منك يا عمر . فنادى نفسه : وقد تستعمل صيغة النداء في الاستغاثة ، كقول الشاعر :

يا للرجال ليسوم الأربعاء أما يتفكّ يحدث لى بعد النهى طرباً
وفي التعجب ، كقول الشاعر :

يا لك من قُبْرَةٍ بمعمر خلا لكِ الجو فيضى واصفرى !!
وفي التحسر والتوجع ، كقول الشاعر :

أيا منازل سلمى ، أين سلماك من أجل هذا بكيناها بكيناك
وذكر النداء في علم المعانى كذكر التمنى والاستفهام والأمر والنهى ، وما له صلة وثيقة منه بعلم المعانى استعمال نداء القريب في البعيد وبالعكس لتنزيل كل منهما منزلة الآخر ، كما قيل في نداء القريب المنزل منزلة البعيد :

يأيها السادر المزور من صلف مهلاً فإنك بالأيام منخدع
وكما قيل في نداء البعيد المنزل منزلة القريب :

أسكان نعمان الأراك تيقنوا بأنكم في ربع قلبى سكان

القوم ، واغفر اللهم لنا أيتها العصابة ؛ أى متخصصاً من بين الرجال ، ومتخصصين من بين الأقوام والعصائب .

* ثم الخبر قد يقع موقع الإنشاء^(١) ، إما للتفاؤل ، أو لإظهار الحرص فى وقوعه كما مر^(٢) ، والدعاء بصيغة الماضى من البليغ يحتمل الوجهين^(٣) ، أو للاحتراز عن صورة الأمر ؛ كقول العبد للمولى إذا حوّل عنه وجهه « ينظر المولى إلى ساعة » ، أو لحمل المخاطب على المطلوب ؛ بأن يكون المخاطب ممن لا يحب أن يكذّب الطالب^(٤) أو لنحو ذلك^(٥) .

* * *

(١) استعمال الخبر إذا كان ماضياً فى الطلب مجازاً مرسلاً علاقته الضدية ، أو استعارة بتشبيه غير الحاصل بالحاصل للتفاؤل أو الحرص على وقوعه ، واستعماله إذا كان مستقبلاً فى الطلب مجاز أيضاً ، ويجوز أن يكون كناية بجعل حصول الفعل فى المستقبل لازماً لطلبه فى الحال ، ثم يطلق اللارم ويراد الملزوم ، وقيل : إنه لا يصح أن يكون كناية ؛ لأنه عليها يكون خبراً لفظاً ومعنى مع أنه قد جعل إنشاء بصيغة الخبر .

(٢) فى الكلام على الشرط فى باب المسند .

(٣) يعنى التفاؤل ، وإظهار الحرص فى الوقوع . ومن ذلك قول الشاعر :

إن الثمانين - وبلّغتها - قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

(٤) كأن تقول لصاحبك « تأتبنى غداً » بدل ائتنى ، لتحمله بلطف على الإتيان ؛ لأنه إذا

لم يأتك صرت كاذباً وهو لا يجب تكذيبك .

(٥) كالتنبية على سرعة الامتثال فى قولك « أخذت عليكم عهداً لا تختلفون فى أمركم »

مكان (لا تختلفوا) .

وقد يقع الإنشاء موقع الخبر لأغراض : منها الاهتمام بالشئ ، كقوله تعالى : آية ٢٩ سورة الأعراف ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ ومنها الرضا بالواقع حتى كأنه مطلوب كقوله ﷺ : « من كَذَبَ عَلَىَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » . ومنها الاحتراز عن مساواة اللاحق بالسابق ، كقوله تعالى : آية ٥٤ سورة هود ﴿ قَالَ إِنِّى أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّى بَرِّىُّ مَا تَشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ .

ولا يخفى أن مثل هذا يمكن ذكره فى أحوال الإسناد الخبرى .

تنبيه

ما ذكرناه فى الأبواب الخمسة السابقة ليس كله مخصصاً بالخبر ، بل كثير منه حكمُ الإنشاء فيه حكمُ الخبر^(١) يظهر ذلك بأدنى تأمل ، فليعتبره الناظر .

* * *

(١) كالذكر والحذف ونحوهما ، وقليل منه يختلف فيه حكم الإنشاء والخبر كالتأكيد ونحوه ؛ فإنه لا يكون فى الإنشاء للشك أو الإنكار من المخاطب ، وإنى أرى أن ذلك الكثير هو الذى يعد فى الإنشاء من علم المعانى ، أما الكلام على أنواعه فهو قليل الجدوى فيه ؛ فالأحسن الاستغناء عن هذا الباب من أبوابه ، وأن يلحق ما ذكره فيه بما يليق به من علم البيان وغيره .

تمرينات على الأمر والنهي والنداء

تمرين - ١

- (١) ما يراد بالنهي فى قول الشاعر ؟ .
لا تحسب المجدَ تمرًا أنتَ آكلُهُ لن تبلغَ المجدَ حتى تلحقَ الصبرًا !!
(٢) ما يراد بالأمر فى قول الشاعر ؟ :
أرى ما ترين أو بخيلاً مُخلِّداً أرىنى جواداً مات هزلاً لعلنى

تمرين - ٢

- (١) ما يراد بالنداء فى قول الشاعر ؟ :
يا دُرَّةً نَزَعْتَ من تاجٍ والدها فأصبحتُ حليَّةً فى تاجِ رضوان
(٢) لماذا أتى بنداء القريب فى قول الشاعر ؟ :
أبىُّ لا تَبْعُدْ وليس بخالدٍ حىٌّ ومَنْ تُصَبِّحُ المُنُونُ بعيدُ

تمرين - ٣

- (١) لَأى شىء استعمل الأمر باللام فى قوله تعالى : آية ٩ سورة النساء
﴿وليش الذين لو تركوا من خلفهم ذريةً ضعاءً خافوا عليهم﴾ ؟ .
(٢) لماذا أتى بنداء البعيد فى قوله تعالى : آية ٧٧ سورة الزخرف ﴿ونادوا يا مالك ليقتض علينا ربك قال إنكم ماكثون﴾ وما يراد بالأمر فيه ؟

تمرين - ٤

- (١) لماذا عبّر بالخبر عن الطلب فى قوله تعالى : آية ٨٤ سورة البقرة ﴿واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم﴾ ؟ .
(٢) ما يراد بالأمر فى قول الشاعر :
أولئك آبائى فجئنى بمثلهم إذا جمعتنا يا جريرُ المجمعُ

الباب السابع : القول فى الوصل والفصل

تعريف الوصل والفصل :

الوصلُ: عطفُ بعضِ الجمل على بعض ، والفصل : تركهُ^(١) . وتمييز موضع

(١) جرى الخطيب فى جعل كل من الوصل والفصل خاصاً بالجمل على ما جرى عليه عبد القاهر فى « دلائل الإعجاز » والعلوى « فى الطراز » وابن قيم الجوزية فى « الفوائد » بل الذى جرى عليه علماء البلاغة أن كلا منهما خاص بالعطف بالواو وتركه دون غيره من حروف العطف ، وبالجمل التى لا مجل لها من الإعراب ؛ لأن دقة الوصل والفصل إنما تظهر فى ذلك ، أما عطف المفرد على المفرد فإنه يأتى للتشريك فى الحكم ، فأمره سهل ، وكذلك الجمل التى لها محل من الإعراب لوقوعها موقع المفرد ، ومثلها العطف بغير الواو لأنه يأتى لمعانيه النحوية المعروفة ، وليس كذلك العطف بالواو فى الجمل التى لا محل لها من الإعراب ؛ لأنك إذا قلت - زيد قائم ، وعمرو قاعد - لم يكن معك حكم تدعى أن الواو أشركت بين الجملتين فيه ، فيشكل فى ذلك أمرها ، وتحتاج إلى اعتبار آخر من الاعتبارات الآتية ، وظاهر كلام عبد القاهر أن واو الوصل يؤتى بها لاعتبارات الوصل فقط ، وأنها تفيد من ذلك غير ما تفيده واو العطف .

وقد ذهب السكاكى إلى أن كلا من الوصل والفصل يأتى فى عطف الجمل والمفردات ، وفى العطف بالواو وغيره من حروف العطف ، وأن المعول عليه فى ذلك هو الجهة الجامعة ؛ فمتى وجدت صبح العطف فى الجمل وغيرها ؛ كما تقول « الشمس والقمر والسماء والأرض والجن والإنس كل ذلك مُحدثٌ » . ومتى فقدت امتنع العطف ، فلا تقول « الشمس ومראה الأرنب ودين المجوس كلها محدثة » . وقد انتصر للسكاكى فى هذا بعض مؤلفى عصرنا ، والحق ما جرى عليه عبد القاهر وغيره ؛ لأنه إذا كان هناك اشتراك فى الحكم بين المفردات وأردت أن تخبر عنه لم يجز أن يمنعك من ذلك فقد الجهة الجامعة بينها ، وقد يُشبهه فى ذلك بما حكى عن نصيب أنه اجتمع بالكميت فأنشده :

أم هل ظعائنٌ بالغلياء واقعةٌ وإن تكامل فيها الدل والشب

فعقد نصيب واحدة ، فقال الكميت : ماذا تُحصى ؟ فقال : خطأك ، فإنك تباعدت فى القول ، أين الدل من الشب ؟ ألا قلت كما قال ذو الرمة :

لماء فى شفتيها حوةٌ لعس وفى اللثات وفى أنيابها برد

فالدل يذكر مع الغنج وما أشبهه ، والشب يذكر مع اللعس وما أشبهه ، ولكن ما ذكره نصيب يرجع إلى محسنٍ بديعى يسمى مراعاة النظير . وعلم المعانى لا شأن له بالمحسنات البديعية ، ولهذا لم يعطف ذو الرمة (حوة) على (لعس) مع المناسبة بينهما .

أحدهما من موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة . وهو فن منها عظيم الخطر ، صعب المسلك ، دقيق المأخذ ، لا يعرفه على وجهه ولا يحيط علماً بكنهه إلا من أوتى في فهم كلام العرب طبعاً سليماً ، ورزق في إدراك أسرارهِ ذوقاً صحيحاً ، ولهذا قصر بعض العلماء البلاغة على معرفة الفصل من الوصل ، وما قصرها عليه لأن الأمر كذلك^(١) ؛ وإنما حاول بذلك التنبيه على مزيد غموضه ، وأن أحداً لا يكمل فيه إلا كمل في سائر فنونها ؛ فوجب الاعتناء بتحقيقه على أبلغ وجه في البيان ، فنقول والله المستعان :

أحوال الوصل والفصل للاشتراك في الحكم :

إذا أتت جملة بعد جملة فالأولى منهما إما أن يكون لها محل من الإعراب أو لا ، وعلى الأول إن قصد التشريك بينها وبين الثانية في حكم الإعراب عطفت عليها^(٢) . وهذا كعطف المفرد على المفرد^(٣) لأن الجملة لا يكون لها محل من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد ، فكما يشترط في كون العطف بالواو ونحوه^(٤) مقبولا في المفرد أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة^(٥) كما

(١) أى لأن الأمر في البلاغة مقصور على معرفة الوصل والفصل ؛ لأنه لا يقتصر عليها ، بل يشمل الإيجاز ونحوه من فنونها .
(٢) أى وجوباً .

(٣) فإنه واجب عند قصد الشريك ، ولكن يجوز تركه في الأخبار والصفات المتعددة ، وقد بين هذا في علم النحو .

(٤) قيل : إنه يريد بنحو الواو ما يدل على التشريك كالفاء ، وثم ، وحتى ، ورد بأن هذا الحكم مختص بالواو ؛ لأن لكل من الفاء وثم وحتى معنى محصلاً غير التشريك ، فإن تحقق هذا المعنى حسن العطف وإن لم توجد جهة جامعة ؛ كما تقول « إن تخرج من المنزل فتمطر السماء تبطل » . أما الواو فلا بد فيه من تلك الجهة ، وقيل : إنه يريد بنحو الواو ما يأتي بمعناه من حروف العطف ، وذلك نحو « أو » في قول توبة :

وقد زعمت ليلي بأننى فاجرٌ لنفسى ثقاها أو عليها فُجورُها

وربما يؤيد هذا ما سيأتى من تفرقه بين الواو وغيره في عطف الجمل التي لا محل لها من

الإعراب .

(٥) المراد بالجهة الجامعة الجامع الآتى بيانه ، واشتراط ذلك في عطف المفرد على المفرد إنما

يوافق مذهب السكاكي ، ولا يوافق ما سبق له في تعريف الوصل والفصل من تخصيصهما بالجمل .

﴿الله يستهزئ بهم﴾ على ﴿إنا معكم﴾ لأنه لو عطف عليه ؛ لكان من مقول المنافقين ؛ وليس منه ، وكذا قوله تعالى^(١) :

﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون﴾ * ألا إنهم هم المفسدون ﴿ وكذا قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ﴾^(٢) .

الوصل بغير الواو من حروف العطف :

وعلى الثانى إن قصد بيان ارتباط الثانية بالأولى على معنى بعض حروف العطف سوى الواو عطف عليها بذلك الحرف^(٣) فتقول « دخل زيد فخرج عمرو » إذا أردت أن خروج عمرو كان بعد دخول زيد من غير مهلة ، وتقول « خرجت ثم خرج زيد » إذا أردت أن تخبر أن خروج زيد كان بعد خروجك بجملة ، وتقول « يعطيك زيد ديناراً أو يكسوك جبة » إذا أردت أن تخبر أنه يفعل واحداً منها لا بعينه ، وعليه قوله تعالى^(٤) : ﴿ سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين » .

الفصل لعدم الاشتراك فى القيد :

وإن لم يقصد ذلك ، فإن كان للأول حكمٌ ولم يقصد إعطاؤه للثانية تعين الفصل^(٥) كقوله تعالى^(٦) : ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن

(١) آية ١١ ، ١٢ سورة البقرة .

(٢) آية ١٣ سورة البقرة .

(٣) أى من غير اشتراط جهة جامعة ، فلا يشترط ذلك فى عطف هذه الحروف للجمل ، كما لا يشترط فى عطفها للمفردات ، وعلى هذا يصح أن تقول « خرجت من المنزل فأمرت السماء » مع أنه لا يصح فيه العطف بالواو ؛ لعدم الجهة الجامعة وقيل : إنه تشترط الجهة الجامعة فى عطف الجمل بهذه الحروف ؛ بدليل أنه لا يصح أن تقول « جاليتوس طيب ، ثم سورة الإخلاص من القرآن ، ثم إن القرد يشبه آدمى » ولا يخفى أن فساد هذا ليس لفقد الجهة الجامعة الآتية « لأنه لا يصح من غير العطف أيضاً ، وهذا لأن كل كلام لا بد فيه من ارتباط ما بين أجزائه ، ثم يأتى بعد ذلك اعتبار الوصل والفصل بالنظر إلى الجامع الخاص الآتى وغيره من الاعتبارات الآتية .

(٤) آية ٢٧ سورة النمل .

(٥) أى بلاغة لا نحواً ؛ لأن العطف يقتضى التشريك فى حكم الإعراب لا فى القيود فإذا قيل « ضربت زيدا يوم الجمعة وعمرًا » لا يلزم أن يكون ضرب عمر يوم الجمعة أيضاً ، ولكن ذلك هو الظاهر من العطف وإن لم يقتضه ، فلهذا تعين الفصل بلاغة فيما هنا دفعا لإرادة ذلك الظاهر .

(٦) آية ١٤ ، ١٥ سورة البقرة .

مستهزئون * الله يستهزىء بهم ﴿ لم يعطف ﴾ الله يستهزىء بهم ﴿ على ﴾ قالوا ﴿ لئلا يشاركه فى الاختصاص بالظرف المقدم ^(١) وهو قوله: ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم ﴾ فإن استهزاء الله بهم - وهو أن خذلهم فخلأهم وما سولت لهم أنفسهم مستدرجاً إياهم من حيث لا يشعرون - متصل لا ينقطع بكل حال ، خلوا إلى شياطينهم أم لم يخلوا إليهم ، وكذلك فى الآيتين الأخيرتين ^(٢) فإنهم مفسدون فى جميع الأحيان قيل لهم لا تفسدوا أو لا ، وسفهاء فى جميع الأوقات قيل لهم آمنوا أو لا .

أحوال أخرى للفصل :

وإن لم يكن للأولى حكمٌ كما سبق ، فإن كان بين الجملتين كمال الانقطاع وليس فى الفصل إيهام خلاف المقصود كما سيأتى ، أو كمال الاتصال ، أو كانت الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى ، أو بمنزلة المتصلة بها - فكذاك يتعين الفصل ^(٣) ؛ أما فى الصورة الأولى فلأن الواو للجمع والجمع بين الشيئين يقتضى مناسبةً بينهما كما مر ، وأما فى الثانية فلأن العطف فيها بمنزلة عطف الشيء على نفسه مع أن العطف يقتضى المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه ^(٤) ، وأما فى الثانية والرابعة فظاهر مما مر ^(٥) .

(١) لأن هذا هو ظاهر العطف وإن لم يقتضيه كما سبق ، والمراد باختصاصه بالظرف أنه قيد فيه لكونه شرطاً له ، والشرط قيد فى الجواب كما هو معلوم .

(٢) هما قوله : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض ﴾ الآية - وقوله : ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس ﴾ الآية ، والمراد أنهما أخيرتان باعتبار ترتيبهما فيما ذكره سابقاً ، وإن كانتا فى التنزيل قبل هذه الآية .

(٣) هذه أربع حالات للفصل : كمال الانقطاع بلا إيهام ، وكمال الاتصال ، وشبه كمال الانقطاع ، وشبه كمال الاتصال ، ويضاف إليها الحالة السابقة التى تتناسب فيها الجملتان ويوجد فى أولاهما حكم لا يقصد إعطاؤه للثانية ، وتسمى التوسط بين الكمالين مع وجود المانع من العطف فيكون الفصل خمس حالات .

(٤) ولا يرد على هذا عطف التفسير ؛ لأنه ليس من أسلوب البلغاء ، وإنما هو من أسلوب المؤلفين وأشباههم ، وقيل : إن الواو فيه حرف تفسير لا عطف وقد وردت هذه الواو فى قول الشاعر :
وقدّدت الأديم لراهشيه وألقى قولها كذباً ومينا
فإن كانت لتفسير فأمرها ظاهر ، وإن كانت للعطف فذلك حشو كما سيأتى فى باب الإيجاز والإطناب والمساواة .

(٥) لأن حكم كل واحدة منهما حكم ما هى بمنزلة من كمال الانقطاع أو الاتصال .

الأول : كمال الانقطاع :

وأما كمال الانقطاع فيكون لأمر يرجع إلى الإسناد ، أو إلى طرفيه :
الأول : أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً **لفظاً ومعنى** ؛ كقولهم « لا تدن من الأسد يأكلك » ، « وهل تصلح لى كذا أدفعُ إليك الأجرة ؟ » بالرفع فيهما .
وقول الشاعر :

وقال رائدهم : أرسوا نزاولها فكلُّ حَتَفٍ امرئٍ يجرى بمقدار^(١)
أو معنى لا لفظاً ؛ كقولك « مات فلان رحمه الله »^(٢) .

أما قول اليزيدى :

ملَّكْتُهُ حُبْلَى وَلَكِنِّي هُ
ألقاه من زُهْدٍ على غارِبِ
وقال : إني في الهوى كاذبٌ انتقم الله من الكاذب^(٣)

فعدَّه السكاكى^(٤) - رحمه الله - من هذا الضرب ، وحمله الشيخ عبد
القاهر^(٥) رحمه الله على الاستئناف بتقدير « قلت »^(٦) .

(١) كما نسبته سيبويه إلى الأخطل غياث بن غوث ولكنه لا يوجد في ديوانه . والرائد:
هو من يتقدم القوم لطلب الماء ونحوه، والمراد به عريفهم وقائدهم، وقوله «أرسوا» بفتح الهمزة أو
ضمها من أرسى أو رسا بمعنى أقيموا، وقوله « نزاولها » بمعنى نحاولها، والضمير للحرب .
والحتف : الهلاك ، والمقدار : مصدر بمعنى القدر . وفي العبارة قلب ؛ والأصل : فحتف كل
امرئ ، وقيل : إنه لا قلب فيها لأن الحتف يتنوع بتنوع أسبابه ، والشاهد في قوله « أرسوا
نزاولها » ، ويجوز أن يكون الفصل فيه شبه كمال الاتصال، لجواز كون الجملة الثانية « نزاولها »
مبنية على سؤال مقدر ، والاستشهاد بذلك لما لا محل له من الإعراب منظور فيه إلى ما قبل
تسليط القول عليه .

(٢) فإذا اختلفنا لفظاً لا معنى ، لم يكن عندهم من كمال الانقطاع كما سيأتى فى أحوال
الوصل .

(٣) هو ليحيى بن المبارك المعروف باليزيدى ، وقيل إنه لإبراهيم بن المدثر . والحبل فى
الأصل الرباط أو الرسن والمراد به عهد الود ، والغارب : الكاهل ، والمراد بإلقاء عهد الود عليه :
تركه له ، والشاهد فى البيت الثانى بين جملة « قال » وجملة « انتقم » على ما سيأتى .
(٤) ١٤٦ المفتاح . (٥) ١٥٥ - دلائل الإعجاز .

(٦) أى قلت : انتقم الله ، فيكون من شبه كمال الاتصال ، ورجح هذا بأن ما ذهب إليه
السكاكى لا يأتى إلا بجعل « انتقم الله من الكاذب » من كلام المحكى عنه وهو بعيد ، ويمكن أن
يجاب عنه بأن الفصل عنده أيضاً بين جملة « انتقم الله » وجملة « قال إني فى الهوى كاذب » لا=

الثانى : ألا يكون بين الجملتين جامعٌ كما سيأتى (١) .

= جملة « إنى فى الهوى كاذب » من غير « قال » ولكنه لا يقدر قلت ، ولا مانع من الجمع بين كونه لكمال الانقطاع والاستئناف .

* هذا وإنى أرى أن ترك العطف فى هذا الضرب لمانع نحوى ؛ فلا يصح أن يُعدَّ من الفصل المحدود من أبواب البلاغة ، على أن سيبويه يجيز العطف فى نحو « هذا زيد ومن عمرو؟ » مع اختلافهما خبراً وإنشاءً ، ومن ذلك قوله تعالى آية ١٧٣ سورة آل عمران : ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ .

(١) انتفاء الجامع بين الجملتين قد يكون بسبب انتفائه عن المسند إليه فيهما ؛ كقولك « زيد طويل ، وعمرو قصير » إذا لم يكن بينهما جامع من صداقة ونحوها ، وقد يكون بسبب انتفائه عن المسند فيهما ؛ كقولك « زيد طويل وعمرو نائم » فى حال وجود صداقة بينهما ، وهذا ما يريده القوم بكمال الانقطاع فى هذا الضرب ، فلا يريدون به إلا انتفاء الجامع الخاص الآتى ، ولا يعنون به أن يتفكك الكلام بحيث لا يكون فيه ارتباطٌ ما يجمع بين أجزائه ، وإذا كان هذا هو ما يريدونه من ذلك فلا معنى لاعتراض بعض مؤلفى عصرنا عليهم فى تلك التسمية ، ولا لما ذكره من أنها توهم جواز تفكيك الكلام ، ولا لما بناه على ذلك من وجوب أن يكون ما يسمونه كمال الانقطاع وشبه كمال الانقطاع وغيرهما وجوه ارتباط واتصال بين الجمل ، ولا ضير بعد هذا فى كون الاتصال بالواو أو بتركه . ولست أدري كيف يكون الاتصال بترك الواو ؟! ولا كيف يكون الاختلاف خبراً وإنشاءً مثلاً وجهاً من وجوه الارتباط ؟! ولا أية فائدة للاشتغال بمثل هذا فى علم المعانى ؟! وكل ما أتى به لم يغير شيئاً من مواضع الوصل ، ولا شيئاً من مواضع الفصل . وهذه أبيات من الشعر يتبين منها كيف يوجد كمال الانقطاع بمعناه الاصطلاحى فى الكلام ، وهو مع هذا متسق تتلاقى أجزاؤه فى غرض من الأغراض :

سَلِمْتُ وما الديارُ بِسالمات	على عنتِ البلى يا دار هند
ولا زالت مَفْوَقَةُ الغوادي	تُصيب ربّك من خطأ وعمد
على أنى متى مطرُ تيك	ففضل ما سقاك الغيث بعدى

* * *

أرى بصبرى عن كل يومٍ وليلة	يكلُّ وخطوى عن مدى الخطو يقصّر
ومن يصحب الأيام تسعين حجة	يُغيرنه ، والدهر لا يتغير
لعمري لئن أمسيتُ أمشى مقيداً	لما كنتُ أمشى مطلق القيّد أكثر

وقد يبلغ من تلاقى الجملتين مع ما بينهما من كمال الانقطاع بمعناه الاصطلاحى أن تكون الثانية منهما مفرغة على الأولى ، وفى هذه الحالة يصح عطف الثانية على الأولى بالفاء ، ويصح الاكتفاء بالإتيان بها بعدها من غير عطف كقول الشاعر :

الشيب كرهه وكـرهه أن يفارقنى عجبٌ لشيءٍ على البغضاء مردود

وقد روى بالفاء : « فاعجب لشيء » .

الثاني : كمال الاتصال :

وأما كمال الاتصال فيكون لأمر ثلاثة :

الأول : أن تكون الثانية مؤكدة للأولى ، والمقتضى للتأكيد دفعُ توهم التجوُّز والغلط . وهو قسمان :

أحدهما : أن تُنزَل الثانية من الأولى منزلة التأكيد المعنوي من متبوعه في إفادة التقرير مع الاختلاف في المعنى ^(١) كقوله تعالى ^(٢) : ﴿ الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ فإن وزانَ ﴿ لا ريب فيه ﴾ في الآية وزانُ « نفسه » في قولك : « جاءني الخليفة نفسه » ^(٣) ؛ فإنه لما بولغ في وصف الكتاب ببلوغه الدرجة القصوى من الكمال بجعل المبتدأ « ذلك » وتعريف الخبر باللام ^(٤) كان عند السامع قبل أن يتأمله مظنة أن يرمى به جزافاً من غير تحقق ^(٥) فأتبعه ﴿ لا ريب فيه ﴾ نفيًا لذلك ^(٦) إتباع الخليفة « نفسه » إزالة لما عسى أن يتوهم السامع أنك في قولك « جاءني الخليفة » متجوِّز أو ساه ، وكذا قوله : ﴿ كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرأ ﴾ ^(٧) ؛ الثاني مقرر لما أفاده

(١) ضابط ذلك : أن يختلف مفهوم كل منهما ولكن يلزم من ثبوت معنى أحدهما ثبوت معنى الأخرى ، ومقتضى تنزيله منزلة التأكيد المعنوي أنه ليس منه وإنما هو تأكيد لغوى لا اصطلاحى ، وقيل : إن المراد تنزيله منزلة التأكيد في المفرد ؛ فيكون من التأكيد الاصطلاحي .
(٢) آية ١ ، ٢ سورة البقرة .

(٣) هذا إنما يأتي بجعل ﴿ الم ﴾ طائفة من الحروف أو جملة مستقلة حذف أحد جزءيها ، وجعل ﴿ ذلك الكتاب ﴾ جملة ثانية ، وجعل ﴿ لا ريب فيه ﴾ جملة ثالثة . ويجوز أن يجعل ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ جملة واحدة ، وعلى هذا لا شاهد فيه للتأكيد المعنوي بين جملتين .

(٤) لأن « ذلك » إشارة إلي بُعد المنزلة ، وتعريف الخبر باللام يقتضى الحصر ، أى : ذلك الكتاب لا غيره .

(٥) هذا بقطع النظر عن كونه كلام الله تعالى ؛ لأنه يجرى في ذلك على أساليب البشر .

(٦) فكأنه قيل : لا ريب في بلوغه تلك الغاية من الكمال ، وهذا المعنى يخالف معنى ﴿ ذلك الكتاب ﴾ لكنهما متلازمان كما هو ظاهر .

(٧) آية ٧ سورة لقمان .

الأول^(١) ، وكذا قوله : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴾^(٢) لأن قوله : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ معناه الثبات على اليهودية ، وقوله : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴾ ردٌ للإسلام ودفعٌ له منهم ؛ لأن المستهزىء بالشئ المستخف به منكرٌ له ودافع له لكونه غير معتد به ، ودفعٌ نقيض الشئ تأكيدٌ لثباته^(٣) . ويحتمل الاستئناف^(٤) أى : فما بالكم إن صح أنكم معنا توافقون أصحاب محمد ؟ .

وثانيهما : أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد اللفظي من متبوعه فى اتحاد المعنى^(٥) كقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾^(٦) فَإِنَّ ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ معناه أنه فى الهداية بالغ درجة لا يدرك كنهها حتى كأنه هداية محضة^(٧) وهذا معنى قوله : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ ؛ لأن معناه - كما مر - الكتاب الكامل ، والمراد بكماله كماله فى الهداية^(٨) ؛ لأن الكتب السماوية بحسبها تتفاوت فى درجات

(١) لأن معنى الجملة الأولى أنه لم يسمعها مُصادفةً أو قصدًا إلى عدم سماعها ، ومعنى الثانية أنه لم يسمعها لفساد سمعه ، والمقصود من التشبيهين فى الجملتين هو عدم التأثير بسماع الآيات . وهذا هو ما يتلزمان فيه مع اختلاف معنهما ، وعلى هذا تكون الجملتان مستأنفتين ، وقد قيل : إن قوله : ﴿ كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا ﴾ حالٌ من قوله قبله ﴿ وَلَّى مُسْتَكْبِرًا ﴾ وقوله : ﴿ كَانَ فى أذنيه وقرًا ﴾ حالٌ من قوله : ﴿ لَمْ يَسْمَعْهَا ﴾ وعلى هذا يكون لها محل من الإعراب فلا يكونان مما نحن فيه ، وهما الجملتان اللتان لا محل لهما من الإعراب .

(٢) آية ١٤ سورة البقرة .

(٣) هذا والاستشهاد بذلك لما لا محل له من الإعراب منظور فيه إلى حاله قبل الحكاية ؛ لأنه فى محل نصب بقوله قبله ﴿ قَالُوا ﴾ .

(٤) فيكون من شبه كمال الاتصال .

(٥) مع هذا قد يختلفان فى اللفظ كما فى الأمثلة التى ذكرها ، وقد يتحدان فى المعنى واللفظ كما فى قوله تعالى : آية ١٧ سورة الطارق ﴿ فَمَهَّلُ الْكَافِرِينَ أَمَلَهُمْ رُويْدًا ﴾ واستحسن بعضهم قصر التأكيد اللفظي على ما اتحد لفظه ومعناه ، فيكون كل ما اختلف لفظه من التأكيد المعنوى ، والخطب فى ذلك سهل .

(٦) آية ٢ سورة البقرة .

(٧) هذا مأخوذ من تنكير « هدى » وأنه لم يقل هاد ، وهدى على هذا خير مبتدأ محذوف تقديره « هو » .

(٨) يجوز أن يراد به الكمال الأعم ، فيكون ذلك من التأكيد المعنوى لاختلاف معنى الجملتين .

الكمال ، وكذلك قوله تعالى (١) : ﴿ سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ فإن معنى قوله : ﴿ لا يؤمنون ﴾ معنى ما قبله (٢) ، وكذا ما بعده (٣) تأكيدٌ ثانٍ ؛ لأنَّ عدم التفاوت بين الإنذار وعدمه لا يصح إلا في حق من ليس له قلب يخلص إليه حقٌ ، وسمعٌ تدركُ به حجةٌ ، وبصرٌ تثبت به عبرةٌ ، ويجوز أن يكون ﴿ لا يؤمنون ﴾ خبراً لـ (إنَّ) (٤) فالجمله قبلها اعتراضٌ .

الثاني (٥) : أن تكون الثانية بدلاً من الأولى ، والمقتضى للإبدال كونُ الأولى غيرَ وافيةٍ بتمام المراد بخلاف الثانية ، والمقام يقتضى اعتناءً بشأنه لنكتة ؛ ككونه مطلوباً في نفسه أو فظيماً أو عجيباً أو لطيفاً ، وهو ضربان :

أحدهما : أن تنزلَ الثانية من الأولى منزلة بدل البعض من متبوعه (٦) كقوله تعالى (٧) : ﴿ أمَدَّكُمْ بما تعلمون . أمَدَّكم بأنعامٍ وبنين . وجناتٍ وعيون ﴾ فإنه مسوقٌ للتنبيه على نعم الله تعالى عند المخاطبين ، وقوله : ﴿ أمَدَّكم بأنعامٍ وبنين وجناتٍ وعيون ﴾ أوفى بتأديته مما قبله (٨) لدلالته عليها بالتفصيل من غير إحالة على

(١) آية ٦ سورة البقرة .

(٢) قيل : إنه غيره ، وهو الظاهر ؛ فيكون ذلك من التأكيد المعنوي .

(٣) هو قوله : ﴿ ختمَ اللهُ على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ والظاهر أنه تأكيد معنوي .

(٤) في قوله قبل ذلك ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ .

هذا وكما يجب الفصل بين الجملة المؤكدة لأخرى ، يجب الفصل بين الجملتين المؤكدتين لجملة قبلهما كما سبق في قوله تعالى : ﴿ ألم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ وقد تعطف الجملة المؤكدة بالفاء أو ثم ، كقوله تعالى : آية ٣٤ و ٣٥ سورة القيامة ﴿ أولى لك فأولى ، ثم أولى لك فأولى ﴾ وقيل : إن ذلك عطف صوري لا حقيقي ، وقيل : إنه تأسيس لا تأكيد ؛ لأن الجملة الثانية أبلغ في الإنذار من الأولى .

* والحق أن ترك العطف في الجملة المؤكدة لجملة قبلها لمانع نحوي ، فلا يصح أن يعد من الفصل كما سبق . (٥) أى من الأمور التى يكون بها كمال الاتصال .

(٦) أى فى المفرد ، فىكون ذلك بدلاً اصطلاحياً على ما سبق فى التأكيد .

(٧) آية ١٣٢ و ١٣٣ و ١٣٤ سورة الشعراء .

(٨) فنكتته كونه مطلوباً فى نفسه .

عملهم مع كونهم معاندين ، والإمداد بما ذكر من الأنعام وغيرها بعض الإمداد بما يعلمون^(١) ، ويحتمل الاستئناف^(٢) .

وثانيهما : أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل الاشتمال من متبوعه ؛ كقوله تعالى : ﴿ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ · اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مَهْتَدُونَ ﴾^(٣) فإن المراد به حمل المخاطبين على اتباع الرسل ، وقوله تعالى : ﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مَهْتَدُونَ ﴾ أوفى بتأدية ذلك ؛ لأن معناه : لا تخسرون معهم شيئاً من دنياكم ، وتربحون صحة دينكم ، فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة .

وقول الشاعر :

أقول له : ارحلْ لا تُقيمَنَّ عندنا وإلا فكنْ في السر والجاهر مُسلماً^(٤)

فإن المراد به كمال إظهار الكراهة لإقامته بسبب خلاف سره العلن ، وقوله « لا تقيمَنَّ عندنا » أوفى بتأديته ؛ لدلالته عليه بالمطابقة مع التأكيد^(٥) بخلاف « ارحلْ »^(٦)

(١) يعني أنه بعضه في الظاهر، وإن كان المراد منهما واحداً؛ كالمراد من قولك : « أكلت الرغيف ثلثه » .

(٢) فيكون من شبه كمال الاتصال ، ورُدَّ بأنه لو كان منه لكان التأكيد مستحسنًا كما سيأتى ، مع أن الجملة الثانية قد أعيدت من غير تأكيد .

(٣) آية ٢٠ و ٢١ سورة يس .

(٤) لا يُعرف قائله ، ويريد بقوله « مسلماً » أن يكون معه كالمسلم في استواء ظاهره وباطنه ، ويجوز أن يكون المراد به مُسالماً ، والاستشهاد بقوله « ارحلْ لا تقيمَنَّ » بالنظر إلى حاله قبل حكايته بالقول كما سبق في نظائره .

(٥) كون هذه الدلالة مطابقةً منطوقاً فيه إلى العُرف ؛ لأنك إذا قلت لآخر « لا تقم عندى » لم تقصد كفه من الإقامة ، وإنما تقصد إظهار الكراهة لإقامته .

(٦) لأن دلالته عليه بالالتزام ، وهى باعتبار العرف أيضاً ؛ لأن طلب الارتحال يقتضى عرفاً محبته ، ومحبته تقتضى كراهة ضده؛ وهو الإقامة .

ووزان الثانية من كل واحد من الآية والبيت وزان « حسنُها » فى قولك : « أعجبتنى الدارُ حسنُها » ؛ لأن معناها مغاير لمعنى ما قبلها ، وغير داخل فيه ، مع ما بينهما من الملايسة (١) .

الثالث (٢) أن تكون الثانية بياناً للأولى ، وذلك بأن تنزلَ منها منزلة عطف البيان مع متبوعه ؛ فى إفادة الإيضاح ، والمقتضى للتبيين أن يكون فى الأولى نوعٌ خفاء مع اقتضاء المقام إزالته . كقوله تعالى (٣) : ﴿ فوسوس إليه الشيطانُ قال يا آدمُ هل أدلك على شجرة الخلد ومُلْك لا يَبْلَى ﴾ . فصلَ جملة (قال) عما قبلها ؛ لكونها تفسيراً له وتبييناً (٤) . ووزانه وزانُ « عُمَر » فى قوله :

أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ (٥)

(١) يريد بهذا تحقيق كون ذلك بدل اشتمال لا تأكيداً ولا بدل بعض من كل ، ولكنه لا يمنع إلا أن يكون تأكيداً لفظياً كما هو ظاهر ؛ ولهذا قيل : إنه يصح أن يكون ما فى البيت تأكيداً معنوياً ؛ لأن عدم الإقامة مغاير للارتحال بحسب المفهوم ، ولكنه ملازم له فى الوجود .

هذا وما نكتة البذل فيه كونه عجيباً قوله تعالى : آية ٨١ ، ٨٢ سورة المؤمنون ﴿ بل قالوا مثل ما قال الأولون : قالوا أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون ﴾ . وما نكتة البذل فيه كونه فظيماً قولك لمن تزنى وتتصدق : « اتجمعين بين قبيح وحسن : تزنين وتتصدقين ؟ ! » . وما نكتة البذل فيه كونه لطيفاً قولك : « زيد جمع أمرين : جمع اللطف والاستقامة » ، وهذا من البذل المطابق على أنه يأتى هنا أيضاً ، وقد تركه الخطيب لما سيأتى ، وأمر البذل بعد هذا عندى كأمر التأكيد فى أن ترك العطف فيه لمانع نحوى لا لمانع بلاغى ، فلا يصح أن يُعدَّ من الفصل أيضاً .

(٢) أى من الأمور التى بها يكون كمال الاتصال . (٣) آية ١٢٠ سورة طه .

(٤) أورد على الاستشهاد به أن جملة ﴿ وسوس ﴾ معطوفة على جملة ﴿ قلنا ﴾ فى قوله قبل ذلك : ﴿ وإذ قلنا للملائكة الآية ، فتكون فى محل جر مثلها ، ولا يصح الاستشهاد بذلك لما معنا من الجمل التى لا محل لها من الإعراب ، وقد سبق أن الاستشهاد بهذا منظور فيه إلى ما قبل تسليط (قالوا) عليه .

(٥) هو لعبد الله بن كيسان من قوله :

أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ

ما مسَّها من نقب ولا دبر

فاغفر له اللهم إن كان فجر

والنقب : ضعف أسفل الخف ، والدبر : جراحة الظهر ، وقوله « فجر » بمعنى : حنث =

وأما قوله^(١) : ﴿ ما هذا بشراً إن هذا إلا مَلَكٌ كريم ﴾ . فيحتمل التبيين والتأكيد ؛ أما التبيين فلأنه يمتنع أن يخرج من جنس البشر ولا يدخل في جنس آخر ، فإثبات الملكية له تبيين لذلك الجنس وتعيين ، وأما التأكيد فلأنه إذا كان ملكاً لم يكن بشراً ، ولأنه إذا قيل في العرف لإنسان : « ما هذا بشراً » . حال تعظيم له وتعجب مما يشاهد منه من حسن خلق أو خلق كان الغرض أنه مَلَكٌ بطريق الكناية .

فإن قيل : هلاً نزلتم الثانية منزلة الكل من متبوعه في بعض الصور ، ومنزلة النعت من متبوعه في بعض ؟ . قلنا : لأن بدل الكل لا ينفصل عن التأكيد إلا بأن لفظه غير لفظ متبوعه ، وأنه مقصود بالنسبة دون متبوعه بخلاف التأكيد ، والنعت لا ينفصل عن عطف البيان إلا بأنه يدل على بعض أحوال متبوعه ؛ لا عليه ، وعطف البيان بالعكس ، وهذه كلها اعتبارات لا يحقق شيء منها فيما نحن بصدده^(٢) .

الثالث : شبه كمال الانقطاع : وأما كون الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى ؛ فلكون عطفها عليها مؤهلاً لعطفها على غيرها^(٣) ويسمى الفصل لذلك قطعاً ، مثاله قول الشاعر :

وتظنُّ سلمى أنى أبغى بها بدلاً أراها في الضلال تهيم^(٤) .

= وكان قد أتى عمر فشكا له بعد أهله وضعف ناقته ، وطلب منه أن يستحمله غيرها ، فلم يصدقه وقال : والله ما نبت ، فلما قال ذلك حملة عمر على بغير وزوده وكساه . هذا ولا يخفى أن ترك العطف في عطف البيان مانع نحوي أيضاً ؛ فلا يصح عده من الفصل كالتأكيد والبدل .

(١) آية ٣١ سورة يوسف .

(٢) أى من الجمل التي لا محل لها من الإعراب ؛ وبهذا يستغنى فيها بعطف البيان عن النعت ، وبالتأكيد عن بدل الكل من الكل ، وأما بدل الغلط فلا يقع في فصيح الكلام ؛ كما سبق في باب المسند إليه ، عند الكلام على الإبدال منه ؛ فلهذا لم يتعرض له هنا أيضاً .

هذا ، والظاهر من كلام عبد القاهر أنه يجعل كل كمال الاتصال من باب التأكيد ، وإن كان قد يشتمل أحياناً على نوع من البيان ، ولعل هذا أسهل من تكلف ما سبق من الفروق بين التوابع في الجمل .

(٣) هذه نكتة الفصل هنا ، يجب بها ترك العطف بلاغة لا نحواً ؛ لأنه لا مانع من العطف من جهة النحو .

(٤) لا يعلم قائله ، وقوله : « أراها » بمعنى : أظنها ؛ على صورة المبني للمفعول ، وهو للفاعل ، وقوله : « تهيم » مأخوذ من « هام على وجهه » ؛ إذا مشى من غير قصد .

لم يعطف «أراها» على «تظن» ؛ لئلا يتوهم السامع أنه معطوف على «أبغى» ؛ لقربه منه ، مع أنه ليس بمراد ، ويحتمل الاستئناف^(١) .

وقسم السكاكى^(٢) القطع إلى قسمين : أحدهما القطع للاحتياط ؛ وهو ما لم يكن مانع من العطف ؛ كما فى هذا البيت . والثانى القطع للوجوب ؛ وهو ما كان مانع ، ومثله بقوله تعالى^(٣) : ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِءُ بِهِمْ﴾ . قال : لأنه لو عطف لعطف إما على جملة ﴿قالوا﴾ وإما على جملة ﴿إنا معكم﴾ ، وكلاهما لا يصح لما مر^(٤) . وكذا قوله : ﴿ألا إنهم هم المفسدون﴾ . وقوله : ﴿ألا إنهم هم السفهاء﴾^(٥) . وفيه نظر ؛ لجواز أن يكون المقطوع فى المواضع الثلاثة معطوفاً على الجملة المصدرية بالظرف^(٦) وهذا القسم^(٧) لم يبين امتناعه .

الرابع : شبه كمال الاتصال :

وأما كونها بمنزلة المتصلة بها ؛ فلكونها جواباً عن سؤال اقتضته الأولى ؛ فتَنَزَّلَ منزلته فتفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال^(٨) . وقال السكاكى^(٩) : فينزل ذلك منزلة الواقع^(١٠) .

(١) فيكون من شبه كمال الاتصال . (٢) ١٣٦ : المفتاح . (٣) آية ١٥ سورة البقرة .

(٤) فى الفصل لعدم الاشتراك فى الحكم أو القيد . (٥) آية ١٢ ، ١٣ سورة البقرة .

(٦) هى جملة الشرط وجوابه . وإذا جاء العطف عليها نحواً ؛ كان القطع فيه من القسم الأول ؛ وهو القطع للاحتياط ، وإذن يكون الفصل لشبه كمال الانقطاع منحصرًا فى هذا القسم ، أما الفصل فى القسم الثانى فهو للتوسط بين الكمالين مع وجود المانع من العطف ؛ كما سبق . (٧) أى كون العطف على جملة الشرط وجوابه .

ومن الفصل لشبه كمال الانقطاع قول الشاعر :

يقولون : إني أحمل الضيمَ عندهم أعوذ بربى أن يضام نظيرى

لم يعطف جملة «أعوذ» على جملة «يقولون» ؛ لئلا يتوهم عطفها على جملة «أحمل» ؛ فتكون من مقولهم ، مع أنها ليست منه ؛ وإنما هى من مقوله .

(٨) كما فى قوله تعالى آية ١٠ ، ١١ سورة القارعة : ﴿وما أدراك ما هيه ؟ نار حامية﴾ .

وفصل الجواب عن السؤال قيل : إنه لكمال الاتصال ، وقيل : إنه لكمال الانقطاع وهو الظاهر ؛ لأن جملة السؤال إنشاءً وجملة الجواب خبرٌ . (٩) ١٢٧ : المفتاح .

(١٠) أن ينزل السؤال المقدر منزلة السؤال الواقع ، فيكون من فصل الجواب عن السؤال ؛

بخلاف ما ذهب إليه الخطيب .

ثم قال : وتنزيل السؤال بالفحوى^(١) منزلة الواقع لا يُصار إليه إلا لجهات لطيفة : إما لتنبه السامع على موقعه ، أو لإغناؤه أن يسأل ، أو لئلا يُسمع منه شيء ، أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه ، أو للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ ؛ وهو تقدير السؤال وترك العاطف ، أو لغير ذلك مما ينخرط في هذا السلك .

ويسمى الفصل لذلك : استثنافاً ، وكذا الجملة الثانية أيضاً تسمى : استثنافاً .

والاستثناف ثلاثة أضرب :

لأن السؤال الذى تضمنته الجملة الأولى : إما عن سبب الحكم فيها مطلقاً كقوله :

قال لى : كيف أنت ؟ قلتُ : عليلٌ سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طويلٌ^(٢)

أى ما بالك عليلًا ؟ أو ما سبب علتك ؟ وكقوله :

وقد غرضتُ من الدنيا فهل زمني معط حياتي لغرٍّ بعد ما غرضاً ؟!

جربتُ دهرى وأهليه فما تركت لى التجاربُ فى ود امرئ غرضاً^(٣)

أى لم تقول هذا ويحك ؟ وما الذى اقتضاك أن تطوى عن الحياة - إلى هذا

الحد - كشحك ؟ .

وإما عن سبب خاص له^(٤) ؛ كقوله تعالى^(٥) ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة

(١) هو السؤال المقدّر .

(٢) لا يعرف قائله ، وقد سبق فى الكلام على حذف المسند إليه من الجزء الأول ، وإنما يكون من الفصل للاستثناف ؛ إذا جعل « سهر » خبر مبتدأ تقديره « حالى سهر » ؛ أما إذا جعل خبراً بعد خبر على المبالغة فلا شاهد فيه للفصل ، ولا شاهد فى قوله : « قال لى كيف أنت قلت عليل » ، للاستثناف ؛ للتصريح فيه بالسؤال .

(٣) هما لأحمد بن عبد الله المعروف بأبى العلاء المعرى ، وقوله « غرضت » بمعنى : ضجرت ، والغر : الغافل ، وقوله « ما غرضاً » ألفه للإطلاق ، والظرف قبله متعلق به ؛ أى لم يضجر الحياة بعد ما ضجرت . ومعنى البيت الثانى : أن تجربته للناس لم تترك له غرضاً أى حاجة فى ودهم ، وجعلته يسأم الحياة معهم . والشاهد فى فصل « جربت دهرى » عن جملة « وقد غرضت » .

(٤) ضابط هذا وما قبله : أن الجملة السابقة أو سياقها إذا لوحا بالاستثناف ؛ فالسؤال المقدّر عن سبب خاص ، وإلا فهو عن سبب عام ؛ فقول الشاعر فى البيت السابق « قال لى كيف أنت قلت عليل » ؛ لا يدل إلا على وجود علة مستدعية لسبب ما ، وقوله تعالى فى الآية : ﴿ وما أبرئ نفسي ﴾ . ينصرف الذهن فيه إلى سبب خاص هو أنها أمارة بالسوء .

(٥) آية ٥٣ سورة يوسف . حكاية عن امرأة العزيز .

بالسوء . كأنه قيل : هل النفس أمارة بالسوء ؟ فقيل : إن النفس لأمارة بالسوء .
وهذا الضرب يقتضى تأكيد الحكم^(١) ؛ كما مر فى باب أحوال الإسناد .

وإما عن غيرهما^(٢) كقوله تعالى : ﴿ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ﴾^(٣) كأنه قيل :
فماذا قال إبراهيم عليه السلام ؟ فقيل : قال سلام . ومنه قول الشاعر :

زعمَ العواذلُ أننى فى غمرةٍ صدقوا ولكن غمرتى لا تنجلي^(٤)

فإنه لما أبدى الشكاية من جماعات العدّال ؛ كان ذلك مما حرك السامع ليسأل :
أصدقوا فى ذلك أم كذبوا ؟ فأخرج الكلام مُخرّجه إذا كان ذلك قد قيل له ففصل .

ومثله قول جندب بن عمار :

(١) لأن السؤال فيه عن حكم تصديقى ؛ أما السؤال العام فهو سؤال عنه ما هو ؟ وذلك
تصور لا يأتى فيه شك حتى يُؤتى بالتأكيد من أجله ، وقد يؤكد فى السؤال عن السبب العام
ويترك التأكيد فى السؤال عن السبب الخاص ؛ لإمكان رد التصور إلى التصديق ، وبالعكس . ومن
ترك التأكيد فى السؤال عن السبب الخاص قول الشاعر :

إذا ما الدهر جرّ على أناسٍ كلاكله أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا : أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

(٢) أى عن شىء آخر له تعلق بالجملة الأولى غير التعلق بالسببية . وهو أيضاً إما عام
كما فى المثال الأول ، وإما خاص كما فى المثال الثانى ، وهو يقتضى التأكيد أيضاً ؛ كالسؤال عن
السبب الخاص ، ومنه قول الشاعر :

فغَنّها وهى لك الفداءُ إن غناء الإبل الحداءُ

فتقدير السؤال فيه : هل غناء الإبل الحداء ؟ لأنه هو الذى تتجه إليه النفس بعد الأمر
بالغناء للإبل ، وكذلك قول الشاعر :

يرى البخيل سبيلَ المال واحدةً إن الكريم يرى فى ماله سُبُلاً

(٣) آية ٦٩ سورة هود .

(٤) لا يُعلم قائله . وقوله « زعم » بمعنى قال ؛ لأنه قد يستعمل فى القول مطلقاً كما
هنا ، والعواذل : جمع عاذل وإن كان صفةً لعاقل ؛ لأنه جائر سماعاً كفارس وفوارس ، وقيل :
إنه جمع عاذلة بمعنى جماعة عاذلة من الذكور ؛ ليوافق قوله « صدقوا » ، وهو الذى جرى عليه
الخطيب فى تفسيره للبیت ، والغمرة : الشدة ، وقد ترك التأكيد هنا مع أن السؤال تصديقى ؛
لتزيله ذلك منزلة الظاهر الذى لا يعتريه شك .

زعم العواذلُ أنَّ ناقةَ جُنْدُبَ بجنوبِ خَبْتٍ عُرِّيَتْ وأُجْمَتْ

كذب العواذلُ لو رأين مُناخنا بالقادسية قُلْنَ لَجَّ وذلتُ^(١)

وقد زاد هنا أمر الاستئناف تأكيداً؛ بأن وضع الظاهر^(٢) موضع المضمَر؛ من حيث وضعه وضعاً لا يحتاج فيه إلى ما قبله ، وأتى به مكاتى ما ليس قبله كلام .
ومن الأمثلة قول الوليد :

عرفتُ المنزلَ الخاليَ عفا من بعد أحوالِ

عَفَاهُ كلُّ حَنَّانٍ عَسُوفِ الرِّبْلِ هَطَّالٍ^(٣)

فإنه لما قال « عفا » وكان العفاء مما لا يحصل للمنزل بنفسه ؛ كان مظنة أن يسأل عن الفاعل . ومثله قول أبي الطيب :

وما عَفَتِ الرياحُ له محلاً عفاه من حدا بهم وساقاً^(٤)

فإنه لما نفى الفعل الموجود عن الرياح كان مظنة أن يسأل عن الفاعل .

وأيضاً من الاستئناف ما يأتي بإعادة اسم ما استؤنف عنه ؛ كقولك :
« أحسنت إلى زيد ، زيدٌ حقيقٌ بالإحسان » ، ومنه ما بينى على صفته ؛ كقولك :
« أحسنت إلى زيد ، صديقك القديمُ أهلٌ لذلك » ؛ وهذا أبلغ لانطوائه على بيان

(١) خبت : من ديار كلب . وقوله « عريت » : بمعنى أزيل عنها رحلها .
وقوله « أُجْمَتْ » بمعنى : تركت فلم تركب ، وهنا كناية عن قعوده بهذا المكان دون غرضه ،
والقادسية : بالعراق ، وقوله : « لَجَّ وذلتُ » بمعنى : جدَّ في السير وانقادت ناقته له .
(٢) أى في جملة الاستئناف ، وهو العواذل في قوله : « كذب العواذل » ؛ لأن حقه الإضمار ؛ لسبق ذكره .
(٣) هما كما في « الأغاني » للوليد بن يزيد الأموى . وقوله « عفا » بمعنى : درس ،
والمراد بأحوال في قوله « من بعد أحوال » : الأحوال التي سعد فيه بسكانه من أحبابه . والحنان :
السحاب . وعسوف الربل : شديد المطر .

(٤) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبي الطيب المتنبي ، وقوله « عفت » بمعنى : محت ،
وضمير « له » يعود إلى الربيع ، وقوله « حدا » من الحدا ؛ وهو غناء الإبل ، والمراد بها الإبل
التي سارت بهم وجعلتهم يهجرونها .

السبب^(١) ، وقد يُحذفُ صدر الاستئناف لقيام قرينة ، كقوله تعالى : ﴿ يَسِّحْ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ رجال^(٢) فيمن قرأ ﴿ يَسِّحْ ﴾ مبنياً للمفعول^(٣) وعليه نحو قولهم : « نعم الرجل أو رجلاً زيد ، وبئس الرجل أو رجلاً عمرو » ؛ على القول بأن المخصوص خبر مبتدأ محذوف ؛ أى هو زيد ، كأنه لما قيل ذلك فأبهم الفاعل بجعله معهوداً ذهنياً مظهراً^(٤) أو مضمراً^(٥) ؛ سئل عن تفسيره ف قيل : « هو زيد » ، ثم حذف المبتدأ .

وقد يُحذفُ الاستئناف كله ويقام ما يدلُّ عليه مقامه ؛ كقول الحماسي :

زعمتم أن إخوتكم قریشٌ لهم ألفٌ وليس لكم إلفٌ^(٦)

(١) هو صفة الصداقة التى دعت إلى الإحسان ، أما الأول ففيه بيان سبب لا يشتمل على مثل تلك الصفة .

(٢) آية ٣٦ ، ٣٧ سورة النور .

(٣) فالتقدير يسِّح فيها رجال ، والفعل المبني للفاعل هو صدر الاستئناف المحذوف ، وعلى قراءته مبنياً للفاعل يكون (رجال) فاعلاً له .

(٤) فى « نعم الرجل زيد » ، « وبئس الرجل عمرو » .

(٥) فى « نعم رجلاً زيد » ، و « وبئس رجلاً عمرو » وإذا قدر المخصوص فى ذلك مبتدأ محذوف الخبر ؛ كان ذلك من حذف عجز الاستئناف .

(٦) هو لمساور بن هند العبسى فى هجاء بنى أسد وتكذيبهم فى انتسابهم إلى قریش . والإلف : مصدر « ألف » ، والإلاف مصدر « ألف » ، يريد بذلك ألف قریش رحلتى الشتاء والصيف إلى اليمن والشام ، ويجوز أن يكون الفصل لدفع إيهام العطف على قوله : « أن إخوتكم قریش » ؛ فيكون لشبه كمال الانقطاع .

هذا وقد يدخل على الاستئناف لامُ التعليل أو فاؤه كقول أبى تمام :

لا تنكرى عطلَ الكريم من الغنى فالسيل حربٌ للمكان العالى

وقد تأتى الواو فى ذلك بدل الفاء واللام فتكون للاستئناف لا للعطف ؛ كقول الشاعر :

أرى بصرى عن كل يوم وليلة يكلُّ وخطوى عن مدى الخطو يقصر

ومن يصحب الأيام تسعين حجةً يُغيرنه والدهر لا يتغير

وقيل : إن الواو فى هذا للعطف على محذوف مفعول عما قبله ؛ كأنه قيل : من يقاسى

أحوالى ؛ يكن حاله كحالى ، ومن يصحب الأيام إلخ ، والاستئناف من غير أداة أدقُّ وأبلغ من الاستئناف بها واورا كانت أو لاما أو فاء ؛ لأنه يؤدى معناها من غير ذكرها ، ويشير إلى السؤال المقدّر مثلها .

حذف الجواب الذى هو « كذبتُم فى زعمكم » ، وأقام قوله : « لهم إلفٌ وليس لكم إلفٌ » مقامه ؛ لدلالته عليه ، ويجوز أن يقدَّرَ قوله : « لهم إلفٌ وليس لكم إلفٌ » جواباً لسؤال اقتضاه الجواب المحذوف ؛ كأنه لما قال المتكلم : كذبتُم ، قالوا : « لم كذبنا ؟ » ، قال : « لهم إلفٌ وليس لكم إلفٌ » ؛ فيكون فى البيت استئنافان .
وقد يحذف ولا يقام شىء مقامه ^(١) كقوله تعالى ^(٢) : ﴿ نَعَمْ الْعَبْدُ ﴾ أى أيوب ، أو هو لدلالة ما قبل الآية وما بعدها عليه ، ونحوه قوله : ﴿ فَنَعَمْ الْمَاهِدُونَ ﴾ ^(٣) ؛ أى : نحن ^(٤) .

الوصل لدفع الإيهام :

وإن لم يكن بين الجملتين شىءٌ من الأحوال الأربع ؛ تعيَّن الوصلُ ؛ إما لدفع إيهام خلاف المقصود ^(٥) ؛ كقول البلغاء : « لا ، وأيدك الله » . ^(٦) ، وهذا عكس الفصل للقطع ^(٧) .

الوصل للتوسط بين الكمالين :

وإما للتوسط بين حالتى كمال الانقطاع وكمال الاتصال ، وهو ضربان :

(١) لوجود قرينة تدل عليه ؛ لأنه لا بد فى كل حذف من قرينة .

(٢) آية ٣٠ سورة ص .

(٣) آية ٤٨ سورة الذاريات .

(٤) تقديره : « هم نحن » ؛ على ما سبق .

(٥) الوصل فى ذلك يجب بلاغة لا نحواً ، وهو إنما يكون فى كمال الانقطاع بين الجملتين عند إيهام الفصل فيه خلاف المقصود ، وقيل : إنه يأتى فى كمال الاتصال أيضاً عند ذلك الإيهام ؛ كما تقول لمن سألك : « هل تشرب خمرًا ؟ » : « لا ، وتركت شربه » . وقيل : إنه يتعين الفصل فى مثل هذا فيه ، ويدفع الإيهام بطريق آخر ؛ فيقال مثلاً : « لا قد تركت شربه » ، « أو يسكت قليلاً بعد « لا » » .

(٦) أى : ليس الأمر كذلك وأيدك الله . وقد اختلف فى هذه الواو ؛ فقيل : إنها عاطفة ،

وقيل : إنها زائدة ، وقيل : إنها استئنافية .

(٧) لأن هذه الصورة من الوصل تقابل ما اشترط فى الفصل لكمال الانقطاع من عدم

تأديته إلى إيهام خلاف المقصود .

أحدهما : أن تتفقا خبراً وإنشاء^(١) ، لفظاً ومعنى ؛ كقوله تعالى^(٢) : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ ، وقوله : ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾^(٣) وقوله : ﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾^(٤) وقوله تعالى : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾^(٥) **والثاني :** أن يتفقا كذلك معنى لا لفظاً ؛ كقوله تعالى^(٦) : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلَّهِ عِظْفٌ قَوْلَهُ﴾ وقولوا ﴿عَلَىٰ قَوْلِهِ﴾ : ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ ؛ لأنه بمعنى لا تعبدوا . وأما قوله : ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ فتقديره : إما : وتحسنون بمعنى وأحسنوا ، وإما : وأحسنوا^(٧) ، وهذا^(٨) أبلغ من صريح الأمر والنهي ؛ لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والانتفاء فهو يخبر عنه . وأما قوله تعالى^(٩) في سورة البقرة : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فقال الزمخشري فيه : فإن قلت : علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمرٌ ولا نهى يصح عطفه عليه^(١٠) ؟ قلت : المراد ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مُشاكل من أمر أو نهى يعطف عليه ، إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين ؛ فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين^(١١) كما تقول : « زيد يعاقب بالقيد والإرهاق ، وبشّرُ عمرًا بالعمو والإطلاق » . ولك أن تقول : هو معطوف على ﴿فانقوا﴾ ؛ كما تقول : « يا بني تميم ، احذروا عقوبة ما جنيتم ، وبشّرُ يا فلان بني أسد بإحسانى إليهم » . هذا كلامه ، وفيه نظر لا

(١) أى مع وجود الجامع الآتى ، وهو شرط فى الضرب الثانى أيضاً ؛ لأن هذه الصورة من الوصل بضربها تقابل صورة الفصل فى كمال الانقطاع لعدم وجود الجامع .

(٢) آية ١٣ و ١٤ سورة الانفطار . (٣) آية ٣١ سورة يونس . (٤) آية ١٤٢ سورة النساء .

(٥) آية ٣١ سورة الأعراف . (٦) آية ٨٣ سورة البقرة .

(٧) على التقدير الأول يكون من الضرب الأول ، وعلى التقدير الثانى يكون من الضرب

الثانى .

(٨) أى صورة الخبر فى قوله : ﴿لا تعبدوا﴾ وفى تقديره « وتحسنون » أبلغ من صريح

النهى والأمر ؛ أى : لا تعبدوا وأحسنوا . (٩) آية ٢٥ سورة البقرة .

(١٠) أى فى قوله قبله : ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس

والحجارة أعدت للكافرين﴾ .

(١١) هذا هو ما يسمى عطف قصة على قصة أو عطف مضمون كلام على مضمون كلام

آخر ؛ فتعتبر فيه المناسبة بين القصتين ، ولا يمنع اختلافهما فى ذلك كمن عطف إحداهما على الأخرى .

يخفى على المتأمل^(١) . وقال أيضاً في قوله تعالى في سورة . الصف : ﴿ وبشّر المؤمنين ﴾^(٢) : إنه معطوف على ﴿ تؤمنون ﴾^(٣) لأنه بمعنى آمنوا^(٤) ، وفيه أيضاً نظر . لأن المخاطبين في ﴿ تؤمنون ﴾ هم المؤمنون ، وفي ﴿ بشر ﴾ هو النبي عليه السلام^(٥) ثم قوله ﴿ تؤمنون ﴾ بيان لما قبله^(٦) على سبيل الاستئناف ، فكيف يصح عطف ﴿ بشر المؤمنين ﴾ عليه^(٧) ؟! وذهب السكاكي^(٨) إلى أنهما معطوفان على « قل » مراداً قبل ﴿ يأياها الناس ﴾^(٩) و ﴿ يأياها الذين آمنوا ﴾^(١٠) لأن إرادة القول بواسطة انصباب الكلام إلى معناه غير عزيزة في القرآن ، وذكر صوراً كثيرة منها قوله تعالى^(١١) : ﴿ وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا ﴾ ، وقوله : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ﴾^(١٢) وقوله : ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأماناً واتخذوا ﴾^(١٣) أى وقتلنا أو قائلين^(١٤) والأقرب أن يكون الأمر في الآيتين معطوفاً على مقدر يدل عليه ما قبله ، وهو في الآية الأولى « فأندر أو نحوه » ، أى « فأندرهم وبشر الذين آمنوا » وفي الآية الثانية « فأبشّر أو نحوه » أى « فأبشّر يا محمد وبشر المؤمنين » ، وهذا كما قدر الزمخشري قوله تعالى : ﴿ واهجرني ملكاً ﴾^(١٥) معطوفاً على محذوف يدل عليه قوله : ﴿ لأرجمنك ﴾ أى فاحذرنى واهجرنى ؛ لأن ﴿ لأرجمنك ﴾ تهديدٌ وتقريعٌ .

(١) هذا النظر يرجع إلى تجويزه العطف على قوله : ﴿ فاستقوا ﴾ في الآية قبلها ؛ لأنه لا مناسبة بينهما ؛ لاختلاف المخاطب في الأمرين ، ولأن الأمر الأول مقيد بالشرط قبله فلا يصح عطف الثانى عليه لاقتضائه تقييده بما قيد به ، وقد أوجب عن الأول بأن اختلاف المخاطب لا يمنع التناسب ؛ لما فيه من التقابل ، وعن الثانى بأنه لا ضرر فى تقييد الأمر الثانى بما قيد به الأول ؛ لأن الأول مقيد بعدم فعلهم ما أمروا به مما لا يمكنهم أن يفعلوه ، وهو الإتيان بسورة من مثل القرآن ، ولا ضرر فى تقييد الأمر بالبشارة بذلك .

(٢) آية ١٣ سورة الصف . (٣) أى فى الآية قبلها .

(٤) لهذا جزم قوله ﴿ يغفر ﴾ فى الآية بعده فى جوابه .

(٥) أوجب عن ذلك بما سبق أن اختلاف المخاطب لا يمنع تناسب الجملتين .

(٦) هو قوله : ﴿ يأياها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ﴾ . آية

١٠ سورة الصف .

(٧) أوجب عن ذلك بأن مضمون قوله : ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ مما يصح الاستئناف به أيضاً

عن ذلك . (٨) ١٤١ - المفتاح . (٩) آية ٢١ سورة البقرة . (١٠) آية ١٠ سورة الصف .

(١١) آية ٥٧ سورة البقرة . (١٢) آية ٩٣ سورة البقرة . (١٣) آية ١٢٥ سورة البقرة .

(١٤) المقول : « كلوا » و « خذوا » و « اتخذوا » فى الآيات الثلاث .

(١٥) آية ٤٦ سورة مريم .

الجامع بين الجملتين وأقسامه :

والجامع بين الجملتين يجب أن يكون باعتبار المسند إليه في هذه ، والمسند إليه في هذه ، وباعتبار المسند في هذه ، والمسند في هذه جميعاً^(١) كقولك : « يشعر زيد ويكتب ، ويعطى ويمنع » ، وقولك : « زيد شاعر » ، « وعمرو كاتب » ، « وزيد طويل » ، « وعمرو قصير » إذا كان بينهما مناسبة ؛ كأن يكونا أخوين أو نظيرين ، بخلاف قولنا : « زيد شاعر ، وعمرو كاتب » إذا لم يكن بينهما مناسبة ، وقولنا : « زيد شاعر ، وعمرو طويل » كان بينهما مناسبة أو لا ، وعليه قوله تعالى^(٢) : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ قطع عما قبله ؛ لأنه كلام في شأن الذين كفروا ، وما قبله كلام في شأن القرآن^(٣) .

وأما ما يُشعر به ظاهر كلام السكاكي^(٤) في موضع من كتابه أنه يكفي أن يكون الجامع باعتبار المخبر عنه أو الخبر أو قيد من قيودهما فإنه منقوض بما مر^(٥) ونحو قولك : هزم الأمير الجند يوم الجمعة ، وخاطب زيد ثوبى فيه^(٦) . ولعله سهو ؛ فإنه صرح في موضع آخر منه^(٧) بامتناع عطف قول القائل : « خُفِّ ضيق » على قوله : « خاتى ضيق » مع اتحادهما في الخبر^(٨) .

(١) ظاهر هذا أنه لا يجب أن يكون باعتبار متعلقاتهما ، وقيل : إنه يعتبر ذلك فيهما أيضاً . والحق أنه لا يعتبر فيهما إلا إذا كانت المتعلقات مقصودة بالذات من الجملتين ؛ كقوله تعالى آية ٤١ سورة غافر : ﴿ يا قوم ما لى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار ﴾ . وقول الشاعر :

ظلَّ يسعى إلى المعالى بجدٍّ والعلا لا يُنال إلا بكـد

وقول الآخر :

أريد حيااته ويريد قتلـى عذرك من خليلك من مراد

(٢) آية ٦ سورة البقرة .

(٣) هو قوله : ﴿ الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ . الآيات إلى هذه

الآية .

(٤) ١٣٧ - المفتاح .

(٥) من الأمثلة التى امتنع فيها الوصل مع وجود الجامع فى المخبر عنه أو الخبر ، وإنما

احتج بها - مع أنها ليست من كلام من يحتج به من البلغاء - لأنها محل اتفاق .

(٦) فالوصل ممتنع فيه أيضاً مع الاتحاد فى القيد .

(٧) ١٤٧ - المفتاح .

(٨) قيل : إنه لا سهو من السكاكى فى ذلك ؛ لأن الظاهر من كلامه وكلام غيره أن

الجامع يكفى فيه التناسب بين الجملتين لا غير ، وهذا التناسب له سبب وله مظنة ، فسيبه اجتماع =

ثم قال^(١): الجامع بين الشيئين عقلى ووهمى وخيالى :

أما العقلى^(٢) فهو أن يكون بينهما اتحاد^(٣) أو تماثل^(٤) ؛ فإن العقل بتجريده المثلين عن الشخص فى الخارج يرفع التعدد بينهما ، أو تضاييف^(٥) كما بين

= الجملتين فى القوة المفكرة بطريق العقل أو الوهم أو الخيال؛ على ما يأتى، ومظنة حصول الاتحاد بين الطرفين حقيقة أو بتأويل قريب أو بعيد ، ولكن المظنة غير ملازمة للمظنون ؛ فقد يحصل التناسب مع الاتحاد فى الطرفين ؛ كقولك: « زيد يعطى ويمنع » ، وقد يحصل مع الاتحاد فى أحدهما دون الآخر؛ كمن يذكر فى مجلسه الحركة والبياض فتقول له: « الحركة عرض نقلة ، والبياض لون مفرق للبصر »؛ فالتناسب موجود ولم يحصل إلا باتحاد المسند إليه فى الجامع الخيالى ، وقد يحصل الاتحاد فى الطرفين ولا يحصل التناسب؛ كقولك: « انظر إلى علم زيد ، وانظر إلى هذا القطع فى ثوبك » وإنما منع السكاكى نحو « خاتى ضيق ، وخفى ضيق »؛ حيث لم يجمع بينهما ذكر فى مجلس أو نحو ذلك كما صرح به ، وما يؤيد ذلك قوله تعالى آية ٨٨ سورة يوسف ﴿ مَسْنَا وَأَهْلُنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُرْجَاةٍ ﴾ فالمسندان: المس والمجئ ، والمسند إليه فيهما: الضر وإخوة يوسف ، وهما مختلفان لا يتحدثان فى شئ ، ومع هذا حصل الوصل بوجود التناسب بين المسنتين ؛ لأن المس سبب فى المجئ .

وقد ذهب السيد إلى أن مجرد الاتحاد أو التناسب فى الغرض الذى تصاغ له الجملة يكفى فى صحة الوصل ولو لم يتحد الطرفان ، وهذا كما يأخذ شخص فى ذكر ما وقع فى يوم من الأفعال « انطلق زيد ، وطاب الطعام ، وصليت الظهر . إلخ » وإنى أرى أن هذا يصح نحواً لا بلاغة ؛ لأنه فى تأويل « حصل كذا وكذا »؛ على معنى واو العطف لا واو الوصل ؛ لأن واو الوصل لا يؤتى بها لمثل هذا ، وإنما يؤتى بها لدفع الإيهام أو للدلالة على التناسب البلاغى بين الجملتين . والاتحاد فى الغرض الذى تصاغ له الجملة لا يكفى فى الوصل ؛ لأنه يجب فى حال الفصل أيضاً كما سبق .

(١) ١٢٧ - المفتاح .

(٢) ضابطه: أن يكون الجمع بين الشيئين فيه حقيقياً . بأن يكون فى الواقع ونفس الأمر :

(٣) بأن يكونا شيئاً واحداً حقيقة بالشخص والنوع ، كقول الشاعر :

سافر تجد عوضاً عمّن تفارقه وانصب فإن لذى العيش فى النصب

(٤) بأن يتفقا فى الحقيقة ويختلفا بالشخص مع اشتراكهما فى وصف له نوع اختصاص

بهما من صداقة أو نحوها ؛ كما سبق فى نحو : « زيد شاعر ، وعمرو كاتب » ، وكتماثل المسند فى قول الشاعر :

فيكى إن نأوا شوقاً إليهم ويكى إن دنوا خوفاً الفراق

العلة والمعلول ، والسبب والمسبب ، والسفل والعلو ، والأقل والأكثر ؛ فإن العقل يأبى ألا يجتمعا في الذهن^(١).

وأما الوهمي^(٢) فهو أن يكون بين تصوريهما شبهً تماثل ؛ كلون بياض ولون صفرة ، فإن الوهم يبرزهما في معرض المثلين^(٣) ، ولذلك حسن الجمع بين الثلاثة التي في قوله :

ثلاثة تشرق الدنيا بهجتها — شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر^(٤).

أو تضاد^(٥) كالسواد والبياض ، والهمس والجهارة ، والطيب والنق ، والحلاوة والحموضة ، والملاسة والخشونة ، وكالتحرك والسكون ، والقيام والقعود ، والذهاب والمجيء ، والإقرار والإنكار ، والإيمان والكفر ، وكالمتصفات بذلك كالأسود والأبيض ، والمؤمن والكافر . أو شبه تضاد^(٦) كالسما والأرض ، والسهل والجبل ، والأول والثاني ؛ فإن الوهم ينزل المتضادين والشيئين بهما منزلة المتضايين ؛ فيجمع بينهما في الذهن ، ولذلك نجد الضد أقرب خطوراً بالبال مع الضد .

(١) فالمراد بالتضاييف أن يكونا بحيث لا يمكن أن تعقل كلا منهما من غير الآخر ؛ كما بين المبادرة إلى الفرصة والتهوؤ في قول الشاعر :

بادر إلى الفرصة وانهض لما تريد فيها فهي لا تلبث

(٢) ضابطه : أن يكون الجمع بين الشيئين فيه اعتبارياً غير محسوس بإحدى الحواس

الظاهرة .

(٣) أما العقل فيدرك أنهما نوعان متباينان داخلان في جنس اللون كالبياض والسواد .

(٤) هو لمحمد بن وهيب ، وقد سبق في الكلام على تقديم المسند في الجزء الأول .
والبيت في عطف المفردات ، وقد سبق أنه ليس من الوصل في رأى الجمهور ؛ وإنما هو من مراعاة النظر ، والثلاثة بينهما تماثل في الإشراق .

(٥) المراد به ما يشمل تقابل الضدين كالسواد والبياض ، وتقابل الإيجاب والسلب ، وتقابل العدم والملكة . والجمع بين ذلك باعتبار الوهم أيضاً ، أما العقل فيدرك كل متقابلين فيه من غير الآخر .

(٦) معطوف على « تضاد » والمراد بشبه التضاد تقابل الشيئين اللذين لا يتنافيان في ذاتهما ولكن يستلزم كل منهما معنى يناهى ما يستلزمه الآخر ، ومن الوصل للجامع الوهمي قوله تعالى آية ٨٢ سورة التوبة : ﴿ فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً ﴾ ، وقوله تعالى آية ١٣ و ١٤ سورة الانفطار : ﴿ إن الأبرار لفي نعيم ﴾ * وإنَّ الفجار لفي جحيم * .

والخيالي^(١) أن يكون بين تصوّرَيْهِمَا تقارنٌ في الخيال سابق^(٢) ، وأسبابه مختلفة، ولذلك اختلفت الصور الثابتة في الخيالات ترتيباً ووضوحاً ؛ فكم صور تتعاقب في خيال وهى فى آخر لا تتراءى ، وكم صورة لا تكاد تلوح فى خيال وهى فى غيره نار على علم .

كما يُحكى أن صاحب سلاح ملك ، وصائغاً ، وصاحب بقر ، ومعلم صبية سافروا ذات يوم ، وواصلوا سير النهار بسير الليل ، فبينما هم فى وحشة الظلام ومقاساة خوف التخبط والضلال طلع عليهم البدر بنوره ، فأفاض كل منهم فى الشئ عليه ، وشبهه بأفضل ما فى خزانة صورهِ ؛ فشبهه السلاحى بالترس المذهب يرفع عند الملك ، والصائغ بالسبيكة من الإبريز تفتت عن وجهها البوتقة ، والبقر بالجن الأبيض يخرج من قلبه طرياً ، والمعلم برغيف أحمر يصل إليه من بيت دى مروءة .

وكما يُحكى عن وراق يصف حاله : عيشى أضيق من محبرة ، وجسمى أدق من مسطرة ، وجاهى أرق من الزجاج ، وحظى أخفى من شق القدم ، وبدنى أضعف من قصبة ، وطعامى أمر من العفص ، وشرابى أشد سواداً من الخبر ، وسوء الحال لى ألزم من الصمغ .

ولصاحب علم المعانى^(٣) فضلٌ احتياج إلى التنبه لأنواع الجامع لا سيما الخيالى ؛ فإن جمعه على مجرى الإلف والعادة بحسب ما تتعقد الأسباب فى ذاك ؛ كالجمع بين الإبل والسماء ، والجبال والأرض فى قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ * وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نُصبت * وإلى الأرض كيف سُطحت ﴿ (٤) ﴾ بالنسبة إلى أهل الوبر ، فإنَّ جُلَّ انتفاعهم فى معاشهم من الإبل فتكون عنايتهم مصروفةً إليها ، وانتفاعهم منها لا يحصل إلا بأن ترعى وتشرب وذلك بنزول المطر ، فيكثر تقلب وجوههم فى السماء ، ثم لا بد لهم من مأوى يؤويهم وحصن

= وقول الشاعر :

إِنْ كُنْتُ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ وَلَا تَكُ بِالْتَرَدَادِ لِلرَّأْيِ مَفْسِدًا

(١) ضابطه : أن يكون الجمع بين الشيئين فيه اعتبارياً مسنداً إلى إحدى الحواس الظاهرة .

(٢) أى على الوصل ، فيأتى الوصل باعتباره .

(٣) هذا أيضاً من كلام السكاكى .

(٤) آية ١٧ و ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ سورة الغاشية .

يتحصنون به ، ولا شيء لهم فى ذلك كالجبال ، ثم لا غنى لهم لتعذر طول مكثهم فى منزل عن التنقل من أرض إلى سواها ؛ فإذا فتش البدوى فى خياله وجد صور هذه الأشياء حاضرة فيه على الترتيب المذكور ، بخلاف الحضرى ، فإذا تلا قبل الوقوف على ما ذكرنا؛ ظن النسق (لجهله) معيياً (١) .

محسنات الوصل :

ومن محسنات الوصل (٢) تناسب الجملتين فى الاسمية والفعلية ، وفى المضى والمضارعة (٣) إلا لمانع ؛ كما إذا أريد بإحدهما التجدد وبالأخرى الثبوت ؛ كما إذا كان زيد وعمرو قاعدين ثم قام زيد دون عمرو ، وقلت : « قام زيد ، وعمرو قاعد » . كما سبق (٤) .

(١) من الوصل للجامع الخيالى قول الأرجاني :

فبت من وصلك فى لذة حتى جلا الصبح محياء
والنجم قد أطبق أجفانه والنوم قد أطلق أسراه
والليل سيف الفجر فى فرقه يقتله والديك ينعه

وقول الشاعر :

أعز مكان فى الدنى سرج سابح وخير جليس فى الزمان كتاب

(٢) حسن الوصل فى ذلك لا ينافى أنه واجب بلاغة عند اقتضاء الحال له فإنه إذا كان المقام للثبوت فى الجملتين وجب تناسبهما فى الاسمية ، وإذا كان للتجدد وجب تناسبهما فى الفعلية ؛ لأن ما يجب بلاغة يستند أكثره إلى التحسين ؛ ولهذا كان كل ما وجب لغة وجب بلاغة من غير عكس ، وقيل : إن ذلك من الحسن البديعى ؛ لأن محله عند قصد النسبة فى الجملتين فى ضمن أى خصوصية كانت ، فيكون التناسب جائزاً لا واجباً .

(٣) من تناسبهما فى الاسمية قول الشاعر :

أسود إذا ما أبدت الحرب نابها وفى سائر الدهر الغيوث المواطر

ومن تناسبهما فى المضى قول الشاعر :

أعطيت حتى تركت الريح حاسرة وجدت حتى كأن الغيث لم يجد

ومن تناسبهما فى المضارعة قول الشاعر :

نروح ونغدو لحاجتنا وحاجة من عاش لا تنقضى

(٤) فى الكلام على اسمية الجملة وفعليتها فى باب المسند ، ومن ذلك قوله تعالى : آية

١٧٨ سورة آل عمران : ﴿ ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم إنما نملى لهم =

فروق الجملة الحالية :

ومما يتصل بهذا الباب القول فى الجملة إذا وقعت حالاً منتقلة^(١) فإنها تجيء تارةً بالواو ، وتارةً بغير الواو^(٢) فنقول :

أصل الحال المنتقلة أن تكون بغير واو لوجوه :

الأول : أن إعرابها ليس يتبع^(٣) ؛ وما ليس إعرابه يتبع لا يدخله الواو ، وهذه وإن كانت تسمى واو الحال فإن أصلها العطف .

= ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين ، وقوله آية ٨٧ سورة البقرة : ﴿ ففريقاً كذَّبْتُمْ وفريقاً تقتلون ﴾ .
ومن محسنات الوصل أيضاً التناسب فى الإطلاق والتقييد ، والتناسب فى الإطلاق كثير ، أما التناسب فى التقييد ؛ فمنه قول الشاعر :

دنوت تواضعاً وعلوت مجداً
فشأنك انحدار وارتفاع

وقول الآخر :

تنام عيني وعين الليل ساهرة
وتستحيل وصيغ الليل لم يحل

(١) يريد بها الحال المؤسّسة ، وكان الواجب أن يقول مؤسّسة بدل المنتقلة لأن الحال تنقسم باعتبار إلى لازمة ومنتقلة ، كقولك « خلق الله الزرافة يديها أطول من رجلها » ، و « جاء زيد يضحك » . وباعتبار آخر إلى مؤسّسة ومؤكّدة ؛ كقولك « جاء زيد راكباً » و « هو الحق لا ريب فيه » والحال المؤسّسة هى التى أصلها أن تكون بغير واو منتقلة كانت أو لازمة ، والحال المؤكّدة هى التى يمتنع الواو فيها .

(٢) ذكر بعض مؤلفى عصرنا أن الحال يجىء كذلك على مقتضى أحكامه النحوية ؛ فلا يصح الاشتغال به فى هذا العلم ، والحق أن ذلك قد يجرى على مقتضى مقامات يجب بها بلاغة ما لا يجب نحواً ؛ فكل جملة وقعت حالاً ثم امتنعت من الواقع فهذا كما ذكر عبد القاهر لأنك عمدت إلى الفعل الواقع فى صدرها فضمته إلى الفعل الأول فى إثبات واحد ؛ كقولك : « جاءنى زيد يسرع » ؛ فهو بمنزلة قولك « جاءنى زيد مسرعاً » ، وهذا بخلاف كل جملة وقعت حالاً ثم اقتضت الواو ، فإنها لا تكون إلا حيث تريد أن تستأنف بها خبراً ، ولا تقصد أن تضمها إلى الفعل الأول فى إثبات واحد ، وهذا إنما يكون عند قصد الاهتمام بها أو إزالة شك أو إنكار ، أو نحو ذلك .

(٣) يريد تبعية عطف النسق ؛ لأنها هى التى تقتضى الواو ؛ بخلاف تبعية غيرها كالنعت .

الثانى : أن الحال فى المعنى حُكْمٌ على ذى الحال ؛ كالخبر بالنسبة إلى المبتدأ ، إلا أن الفرق بينه وبينها أن الحكم به يحصل بالأصالة لا فى ضمن شىء آخر ، والحكم بها إنما يحصل فى ضمن غيرها ؛ فإن الركوب مثلاً فى قولنا : « جاء زيد راکباً » محكوم به على زيد لكن لا بالأصالة بل بالتبعية ؛ بأن وُصِلَ بالمجىء ، وجُعِلَ قيداً له ، بخلافه فى قولنا : « زيد راکب » .

الثالث : أنها فى الحقيقة وصفٌ لذى الحال ؛ فلا يدخلها الواو كالنعت ؛ فثبت أن أصلها أن تكون بغير واو ، ولكن خُوِّلَ هذا الأصل فيها إذا كانت جملة ؛ لأنه بالنظر من حيث هى جملة^(١) مستقلة بالإفادة ، فحتاج إلى ما يربطها بما جُعِلَتْ حالا عنه ، وكل واحد من الضمير والواو صالح للربط ، والأصل للضمير^(٢) ؛ بدليل الاقتصار عليه فى الحال المفردة والخبر والنعت . وإذا تمهد هذا فنقول : الجملة التى تقع حالا ضربان : خالية عن ضمير ما تقع حالا عنه ، وغير خالية :

أما الأول : فيجب أن تكون بالواو ؛ لئلا تصير منقطعة عنه غير مرتبطة به ، وكل جملة خالية عن ضمير ما يجوز أن يُتَّصَبَ عنه حالٌ ؛ يصح أن تقع حالا عنه إذا كانت مع الواو ، إلا المصدرة بالمضارع المثبت ، كقولك : « جاء زيد ويتكلم عمرو » على أن يكون « ويتكلم عمرو » حالا عن زيد ؛ لما سيأتى أن ارتباط مثلها يجب أن يكون بالضمير وحده .

وأما الثانية : فتارة يجب أن تكون بالواو ، وتارة يمتنع ذلك ، وتارة يترجح أحدهما ، وتارة يستوى الأمران ، والواو غير مُنافٍ للضمير فى إفادة الربط^(٣) ؛ فتعين التنبيه على أسباب الاختلاف ؛ فنقول :

الجملة إن كانت فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع الواو ؛ كقوله تعالى^(٤) :

(١) أى لا حال .

(٢) يعنى فى نظر البلغاء ؛ فلا يُعَدَّلُ عنه إلا لئلا تدعو إلى زيادة ارتباط الحال بصاحبها ؛ كقصد الاهتمام أو نحوه ، فيؤتى بها عند ذلك جملةً مستقلة وتربط بالواو وحدها أو مع الضمير ، أما النحاة فيستوى عندهم الحال المفردة والجملة المرتبطة بالضمير والواو .

(٣) لأنه يجوز الربط بهما معاً ؛ كقولك : « جاء زيد وهو يضحك » .

(٤) آية ١١٠ سورة الأنعام .

﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ، وقوله : ﴿وَلَا تَمَنَّيَنَّ تَسْتَكْثِرُ﴾^(١) وقوله : ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾^(٢) لأن أصل الحال المفردة أن تدل على حصول صفة غير ثابتة^(٣) مقارنة لما جُعِلَ قيداً له^(٤) ، والمضارع المثبت كذلك . أما دلالة على حصول صفة غير ثابتة فلأنه فعل مثبت ، والفعل المثبت يدل على التجدد وعدم الثبوت كما مر^(٥) . وأما دلالة على المقارنة فلكونه مضارعاً^(٦) فوجب أن يكون بالضمير وحده كالحال المفردة ، وبهذا امتنع نحو : «جاء زيد ويتكلم عمرو » كما مر ، وأما ما جاء من نحو قول بعض العرب « قمت وأصك عينه أو وجهه » ، وقول عبد الله بن همام السلولي :

فلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُمْ فَجَوْتُ وَأَرَهْنُهُمْ مَالَكَ^(٧)

ف قيل : هو على حذف المبتدأ ؛ أى أصك عينه وأنا أرهنهم ، وقيل : الأول شاذ والثاني ضرورة ، وقال الشيخ عبد القاهر^(٨) : ليست الواو فيهما للحال بل هي

(١) آية ٦ سورة المدثر برفع تستكثر ، وقرئ بجزمه على أنه بدل اشتمال لا حال .

(٢) آية ١٧ و ١٨ سورة الليل .

(٣) هذا مبني على جعله أصل الكلام هنا في الحال المنتقلة ، والحق كما سبق أنه في الحال المؤسسة منتقلة كانت أو لازمة .

(٤) ما جعلت قيداً له هو العامل .

(٥) في الكلام على أحوال المسند ، ودلالته على الحصول بكونه مثبتاً ، وعلى التجديد بكونه فعلاً ، والمراد بالتجدد : حصوله بعد أن لم يكن . كما سبق .

(٦) لأن المضارع يدل على الحال فيدل على تلك المقارنة ، وقد ردّ هذا بأن تلك المقارنة معناها مقارنة الحال لزمان عاملها ماضياً كان أو حالاً أو استقبالياً . وهذا غير دلالة المضارع على الحال ، والحق أن هذه النكتة (على طولها ومع ورود هذا عليها) نكتة نحوية لا يصح ذكرها في هذا العلم وقد سبقت نكتة ذلك بلاغة عن عبد القاهر من أنك لا تقول « جاءني زيد يسرع » إلا وأنت تريد أن تضم الفعلين في إثبات واحد . ولا تُعْنَى بالحال كما تعنى بها في قولك « جاءني زيد وهو يسرع » وهذا لا يمنع أن يكون أقوى في الإثبات من قولك « جاءني زيد مسرعاً » .

(٧) الأظافر : جمع أظفار جمع ظفر ، وهذا كناية عن خوفه من تمكنهم منه . وكان عبيد الله بن زياد توعده فهرب منه إلى الشام ، ومالك : هو عريفه الوارد في قوله بعد هذا البيت :

عريقاً مقيماً بدار الهوان أهون على به هالكا

(٨) ١٢٦ - دلائل الإعجاز .

للعطف ، وأصك وأرهن؛ بمعنى: صككت ورهنت . ولكن الغرض من إخراجهما على لفظ الحال أن يحكي الحال في أحد الخبرين، ويدعا الآخر على أصله كما في قوله :

ولقد أمرُ على اللئيم يسبنى فمضيتُ ثمّت قلت لا يعنيني^(١)

يبين ذلك أن الفاء قد تجيء مكان الواو في مثله ، كما في خبر عبد الله بن عتيك ، فإنه ذكر دخوله على أبي رافع اليهودي حصنه ثم قال : فانتھيتُ إليه فإذا هو في بيت مظلم لا أدرى أين هو من البيت ، قلت : أبا رافع ، قال : من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف وأنا دهش . فإن قوله « فأضربه » مضارع عطفه بالفاء على ماض ؛ لأنه في المعنى ماض .

وإن كان الفعل مضارعاً منفياً فيجوز فيه الأمران من غير ترجيح ؛ لدلالته على المقارنة لكونه مضارعاً ، وعدم دلالاته على الحصول لكونه منفياً^(٢) أما مجيئه بالواو فكقراءة ابن ذكوان ﴿ فاستقيما ولا تتبعان ﴾ بتخفيف النون^(٣) وقول بعض العرب : « كنت ولا أخشى بالذيب » ، وقول مسكين الدارمي :

أكسبته الورقُ البيضُ أباً ولقد كان ولا يدعى لأب^(٤)

وقول مالك بن ربيع وكان قد جنى جنايةً فطلبه مُصعَّبُ بن الزبير :

(١) هو لعميرة بن جابر ، وقد سبق في الكلام على تعريف المسند إليه باللام في الجزء

الأول ، ومحل الشاهد هنا قوله « أمر » بالمضارع مع قوله « مضيت » بالماضي .

(٢) هذه النكتة ضعيفة أيضاً كنكتة المضارع المثبت ، والحق أن المضارع المنفى كالمضارع

المثبت في امتناع دخول الواو كما هو مذهب جمهور النحاة ، وقد خالفهم الزمخشري في ذلك ،

والجمهور يؤولون ما ورد بالواو من المنفى كتأويل المثلث ، وإذا جربنا على مذهب الزمخشري

فنكتته أن حرف النفي أبعد عن الدخول مع الفعل الأول في إثبات واحد .

(٣) آية ٨٩ سورة يونس . أما بتشديدها فهو نهى معطوف على ما قبله ، والحق أن الواو

مع التخفيف للعطف أيضاً ؛ لأنه نفى في معنى النهى ، ولا يصح أن تكون لحال ؛ لأنها تكون

حالاً مؤكدة ، وقد سبق أنها لا يصح دخول الواو عليها .

(٤) الورق : المال من الدراهم ويُجمع على أوراق ، وقد وُصف بالجمع في البيت كما

يقال : « الدرهم البيض » ؛ لتعددته في المعنى . يعنى أنه أكسبه نسباً معروفاً بعد أن كان مجهولاً .

بَغَانِي مُصْعَبٌ وَبَنُو أَبِيهِه فَأَيْنَ أَحِيدٌ عَنْهُمْ لَا أَحِيدُ
 أَقَادُوا مِنْ دَمِي وَتَوَعَّدُونِي وَكُنْتُ وَمَا يَنْهَنِي الْوَعِيدُ^(١)
 وَأَمَّا مَجِيئُهُ بَغِيرٍ وَأَوْ فَكَقُولُهُ تَعَالَى^(٢) : ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴾
 وَقَوْلِ عَكَرِشَةَ الْعَبْسِي :

مَضَوْا لَا يَرِيدُونَ الرُّوْحَ وَغَالَهُمُ مِنْ الدَّهْرِ أَسْبَابٌ جَرَيْنَ عَلَى قَدَرِ^(٣)
 وَقَوْلِ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ :

لَوْ أَنَّ قَوْمًا لَا رَتْفَاقَ قَبِيلَةٍ دَخَلُوا السَّمَاءَ دَخَلْتُهَا لَا أَحْجَبَ^(٤)
 وَقَوْلِ الْأَعْشَى :

أَتَيْنَا أَصْبَهَانَ فَهَزَلْتَنَا وَكُنَّا قَبْلَ ذَلِكَ فِي نَعِيمٍ
 وَكَانَ سَفَاهَةً مِنِّي وَجْهًا لَا مَسِيرِي لَا أَسِيرَ إِلَى حَمِيمٍ^(٥)
 كَأَنَّهُ قَالَ : وَكَانَ سَفَاهَةً مِنِّي وَجْهًا لَا أَسِيرَ غَيْرَ سَائِرٍ إِلَى حَمِيمٍ .
 وَإِنْ كَانَ مَاضِيًا لَفْظًا أَوْ مَعْنَى فَكَذَلِكَ يَجُوزُ الْأَمْرَانِ مِنْ غَيْرِ تَرْجِيحٍ . أَمَّا

(١) قوله « أَحِيد » بمعنى أُنْتَحَى وَأُنْجُو مِنْهُمْ ، وقوله « أَقَادُوا مِنْ دَمِي » بمعنى قَتَلُوا بَدَلَ قَتِيلِهِمْ ، وقوله « يَنْهَنِي » بمعنى يَزْجُرْنِي ، وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا يَنْهَنِي الْوَعِيدُ ﴾
 (٢) آيَةُ ٨٤ سُورَةِ الْمَائِدَةِ .

(٣) هُوَ لِأَبِي شُعْبٍ عَكَرِشَةُ الْعَبْسِي مِنْ شَعْرِهِ فِي رِثَاءِ ابْنِهِ شُعْبٍ ، وَقَبْلَهُ :
 سَقَى اللَّهُ أَجْدَانًا وَرَائِي تَرْكُهَا بِحَاضِرِ قَسْرِينَ مِنْ سَبِيلِ الْقَطْرِ
 الرُّوْحَ : الرَّجُوعَ آخِرَ النَّهَارِ وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا مَطْلَقُ الرَّجُوعِ ، وَقَوْلُهُ « غَالَهُمْ » بِمَعْنَى أَهْلَكَهُمْ ، وَالْقَدَرُ مُصْدَرٌ « قَدْرَتُهُ قَدْرًا » بِمَعْنَى قَدْرَتُهُ تَقْدِيرًا ، أَيْ جَرَيْنَ عَلَى أَسْبَابٍ مُقَدَّرَةٍ .
 وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ : « لَا يَرِيدُونَ الرُّوْحَ » .
 (٤) قَوْلُهُ « لَا رَتْفَاقَ قَبِيلَةٍ » تَعْلِيلٌ لِقَوْلِهِ « دَخَلُوا السَّمَاءَ » وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ « دَخَلْتُهَا لَا أَحْجَبَ » .

(٥) هُمَا لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَعْرُوفِ بِأَعْشَى هَمْدَانٍ ، وَكَانَ قَدْ صَحِبَ عِبَادَ بَنِ رِزْقٍ إِلَى أَصْبَهَانَ فَلَمْ يَحْمَدْ صَحْبَتَهُ ، وَقَوْلُهُ « هَزَلْتَنَا » بِمَعْنَى أَضْعَفْتَنَا ، وَالْحَمِيمُ : الصَّدِيقُ .
 وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ « لَا أَسِيرَ إِلَى حَمِيمٍ » وَهُوَ حَالٌ مِنْ بَيِّاتِ الْمُتَكَلِّمِ .

مجيئه بالواو فكقوله تعالى حكاية^(١) : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ ﴾
وقوله تعالى : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾^(٢) .

وقول امرئ القيس :

أَيَقْتَلَنِي وَقَدْ شَعَفْتُ فُؤَادَهَا

كما شَعَفَ المهنوءَ الرَّجُلُ الطَّالِي^(٣)

وقوله :

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضَّتْ لَنَوْمِ ثِيَابِهَا لَدَى السَّيْرِ إِلَّا لِبَسَةِ الْمُتَفَضَّلِ^(٤) .
وقوله تعالى^(٥) ﴿ قَالَ أَوْحَى إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ وقوله : ﴿ أَنَّى يَكُونُ
لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشْرٌ ﴾^(٦) . وقول كعب :
لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوَشَاةِ وَلَمْ أَذْنَبْ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ^(٧)
وقوله تعالى^(٨) : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ
قَبْلِكُمْ ﴾ . وقول الشاعر :

(١) آية ٤٠ سورة آل عمران .

(٢) آية ٨ سورة مريم .

(٣) هو لخنديج بن حُجْر المعروف بامرئ القيس ، وقوله « شَعَفْتُ فُؤَادَهَا » بمعنى غلب
حبها لى على قلبها وخالطه ، وشَعَفَةُ القلب : رأسه ، والمهنوءة : المطلية بالقطران . وشَعَفَهَا
بمعنى طلائها ، والمعنى : أن حبها له بلغ ما يبلغ القطران من الناقة المهنوءة ، فإنه يسرى فى
جسمها حتى يوجد طممه فى لحمها ، والشاهد فى قوله « وقد شَعَفْتُ » .

(٤) هو لامرئ القيس أيضاً ، وقوله « نَضَّتْ » بمعنى نزعَتْ ، والمتفضل : الذى يبقى فى
ثوب واحد لينام أو يعمل عملاً ، والشاهد فى قوله « قد نَضَّتْ » .

(٥) آية ٩٣ سورة الأنعام . وهذه الآية وما بعدها من أمثلة الماضى معنًى ؛ وهو المضارع
المنفى بلم ولما .

(٦) آية ٢٠ سورة مريم .

(٧) هو لكعب بن زهير ، والوشاة : جمع واشٍ وهو النمام ، والأقاويل : جمع أقوال
وهى جمع قول . والشاهد فى قوله « ولم أذنب وإن كثرت » .

(٨) آية ٢١٤ سورة البقرة .

بانت قطام ولما يحظ ذو مقّة منها بوصلٍ ولا إنجاز ميعاد (١)
وأما مجيئه بلا واو فكقوله تعالى: ﴿أو جاءوكم حصرت صدورهم﴾ (٢).

وقول الشاعر:

وإني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر (٣)
وقوله:

أئيناكم قد عمكم حذر العدى فنلتم بنا أمنا و لم تعدموا نصرا (٤)
وقوله:

متى أرى الصبح قد لاحت مخايله والليل قد مزقت عنه السرايل (٥)
وكقوله تعالى: ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء﴾ (٦).
وقوله: ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا﴾ (٧). وقول امرئ

القيس:

فأدرك لم يجهد ولم يثن شأوه (٨)

(١) لا يُعرف قائله . وقطام : اسم محبوبته ، والمقة : مصدر ومقه يمقه ومقا ومقة «
بمعنى أحبه . والشاهد فى قوله : ولما يحظ .

(٢) آية ٩٠ سورة النساء .

(٣) هو لعبد الله بن مسلم المعروف بأبى صخر الهذلى ، والهزة : بكسر الهاء : اسم
الهيئة من « هز » . والشاهد فى قوله « بلله القطر » .

(٤) لا يُعرف قائله ، والحذر : الخوف . وإضافته إلى العدى من إضافة المصدر إلى
المفعول . والعدى : الأعداء . والشاهد فى قوله « قد عمكم » .

(٥) هو لحنديج بن حنديج المرمى ، ومخايل الصبح : طلائعه ، والسرايل : جمع سرايل
وهو القميص ؛ استعيرت لظلام الليل . والشاهد فى قوله « قد لاحت ، وقد مزقت » .

(٦) آية ١٧٤ سورة آل عمران .

(٧) آية ٢٥ سورة الأحزاب .

(٨) هو لحنديج بن حجر المعروف بامرئ القيس من قوله :

فأدرك لم يجهد ولم يثن شأوه يمر كخذروف الوليد المثقب

يصف بذلك فرسه . والشأو : الطلق ، والخذروف : الدوارة التى يلعب بها الصبى ،
والمعنى : أنه يدرك طريدته بغير مشقة فى أول شأوه . والشاهد فى قوله « لم يجهد » .

وقول زهير :

كَأَنَّ فُتَاتَ الْعِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْفَنَاءِ لَمْ يُحَطَّمْ^(١)

والسبب في أن جاز الأمران فيه إذا كان مثبتاً دلالتُهُ على حصول صفة غير ثابتة لكونه فعلاً مُثَبَّتاً ، وعدم دلالتِهِ على المقارنة لكونه ماضياً^(٢) لهذا اشترط أن يكون مع «قد» ظاهرةً أو مقدرةً حتى تقربهُ إلى الحال فيصح وقوعه حالا ، وظاهرُ هذا يقتضي وجوب الواو في المنفى لانتفاء المعنيين^(٣) لكنه لم يجب فيه بل كان مثله ؛ أما المنفى بلمّا فلأنها للاستغراق^(٤) وأما المنفى بغيرها فإنه لما دل على انتفاء متقدم^(٥) وكان الأصل استمرار ذلك^(٦) حصلت الدلالة على المقارنة عند إطلاقه^(٧) بخلاف المثبت فإن وضع الفعل على إفادة التجدد^(٨) وتحقيق هذا أن استمرار العدم لا يفتقر إلى سبب بخلاف استمرار الوجود كما بين في غير هذا العلم^(٩).

وإن كانت الجملة اسمية فالمشهور أنه يجوز فيها الأمران ، ومجيء الواو أولى ؛ أما الأول^(١٠) فلعكس ما ذكرناه في المصدرة بالماضي المثبت^(١١) ؛ فمجيء الواو كقوله

(١) الفتات : اسم لما انفت وتقطع من الشيء ، والعهن : الصوف المصبوغ ، والفنا : عنب الثعلب . شبه فتات الصوف المصبوغ الذي زين به الهوادج بحبّ الفناء في حمرة قبل تحطيمه ؛ لأنه إذا حطم تزول حمرة ، والشاهد في قوله « لم يحطم » .

(٢) هذه النكتة ضعيفة كما سبق ، والحق أن دخول « قد » أو حرف النفي على الماضي أبعد عن دخوله مع الفعل الأول في إثبات واحد .

(٣) هما الدلالة على حصول صفة غير ثابتة ، والدلالة على المقارنة .

(٤) يعني به امتداد النفي من زمن الانتفاء إلى زمن التكلم .

(٥) أي على زمن التكلم . (٦) أي استمرار الانتفاء .

(٧) بعدم ذكر قرينة تدل على الانقطاع ؛ كقولك : « لم يضرب زيد أمس لكنه ضرب

اليوم » . (٨) أي من غير أن يكون الأصل استمراره .

(٩) بيانه أن استمرار الوجود عبارة عن وجود عقيب وجود ، أو لا بد للوجود الحادث من

سبب ، أما استمرار العدم فهو عدم لا يحتاج إلى وجود سبب بل يكفي مجرد انتفاء سبب الوجود ، ويكون الأصل فيه الاستمرار عند الإطلاق . (١٠) هو جواز الأمرين .

(١١) عكس ذلك هو أن الجملة الاسمية تدل على المقارنة لكونها مستمرة ، ولا تدل على

حصول صفة غير ثابتة لدالاتها على الدوام ، وقد سبق بيان ضعف هذه النكتة .

تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ (١) وقوله : ﴿ ولا تبشروهن بأنتم عاكفون في المساجد ﴾ (٢) .

وقول امرئ القيس :

أَيَقْتُلُنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زَرْقُ كَأَنِّيَابِ أَغْوَالِ (٣)
وقوله :

لِيَالِي يَدْعُونِي الْهَوَى فَاجْبِيهِ وَأَعَيْنُ مَنْ أَهْوَى إِلَى رَوَانِ (٤)
والخلو منها كما رواه سيبويه « كَلَّمْتُهُ فَوَه إِلَى فِي ، وَرَجَعَ عَوْدَهُ عَلَى بَدْنِهِ »
بالرفع (٥) . وما أنشده أبو علي في الإغفال :
وَلَوْلَا جَنَانُ اللَّيْلِ مَا أَبَّ عَامِرٌ إِلَى جَعْفَرٍ سَرِبَالَهُ لَمْ يُمَزَّقْ (٦)
وقول الآخر :

مَا بَالُ عَيْنِكَ دَمَعُهَا لَا يَرَقًا ؟! (٧)

وقول الآخر :

ثُمَّ رَاحُوا عَبَقَ الْمَسْكِ بِهِمْ (٨)

(١) آية ٢٢ سورة البقرة . (٢) آية ١٨٧ سورة البقرة .

(٣) انظر ص ٤٦ ، والشاهد في قوله « والمشرفي مضاجعي » .

(٤) هو لامرئ القيس أيضاً ، والرواني : جمع رائية وهن مديمت النظر ، والجار والمجرور قبله متعلق به ، الشاهد في قوله « وأعين من أهوى إلى روان » .

(٥) أما النصب وهو « فاه إلى في ، وعوده إلى بدئه » فيكون الحال فيه مفرداً لا جملة ؛ لأنه يكون كل من « فاه وعوده » هو الحال .

(٦) هو لسلامة بن جندل ، وجنان الليل : ظلمته ، والسربال : القميص وقد استعاره لنفس عامر أو هو كناية . يعني أنه لولا ظلمة الليل لقتل ، والشاهد في قوله : « سرباله لم يمزق » .

(٧) لا يعلم قائله ، والبال : الحال ، وقوله : « لا يرقاً » مأخوذ من : « رقا الدمع أو الدم » جف وانقطع . والشاهد في قوله « دمعها لا يرقاً » .

(٨) هو من قول عمرو بن العبد المعروف بطرفة :

ثُمَّ رَاحُوا عَبَقَ الْمَسْكِ بِهِمْ يُلْحِفُونَ الْأَرْضَ هَدَابَ الْأُزْرِ

والعبق : مصدر « عبق » بمعنى فاحت رائحته ، وهذاب الأزر : ما استرسل منها إلى الأرض فتكون لها كالحاف وغطاء ، والشاهد في قوله « عبق المسك بهم » . وقبل البيت :

فَإِذَا مَا شَرَبُوهَا وَانْتَشَوْا وَهَبُوا كُلُّ أُمُومٍ وَطُمُرٍ

وأما الثاني^(١) ؛ فلعدم دلالة الاسمىة على عدم الثبوت مع ظهور الاستئناف فيها لاستقلالها بالفائدة^(٢) فتحسن زيادة رابط ليتأكد الربط .

وقال الشيخ عبد القاهر^(٣) : « إن كان المبتدأ ضمير ذى الحال وجب الواو ؛ كقولك : « جاء زيد وهو يسرع ، أو وهو مسرع » ، ولعل السبب فيه أن أصل الفائدة كان يحصل بدون هذا الضمير ؛ بأن يقال « جاءنى زيد يسرع أو مسرعاً » ؛ فالإتيان به يشعر بقصد الاستئناف المنافى للاتصال ، فلا يصلح لأن يستقل بإفادة الربط فتجب الواو » . وقال أيضاً : « إن جعل نحو « على كتفه سيف »^(٤) (بتقديم الظرف) حالاً عن شيء ، كما فى قولنا « جاء زيد على كتفه سيف » ؛ كثر فيها أن تجيء بغير واو ، كقول بشار :

إذا أنكرتنى بلدةً أو نكرتها خرجتُ مع البازى على سواد^(٥)

يعنى : على بقية من الليل . وقول أبى الصلت عبد الله الشقفى يمدح ابن ذى يزن : واشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً فى رأس عُمدان داراً منك محلاً^(٦)

(١) هو كون مجيء الواو أولى .

(٢) المهم فى هذه النكتة هو ظهور قصد الاستئناف فى الجملة الاسمىة ؛ أما دلالتها على الثبوت فلا شأن له فى ذلك كما سبق .

(٣) ١٣٣ - دلائل الإعجاز .

(٤) نحوه كل جملة اسمىة خبرها جارٌ ومجرور ومتقدم .

(٥) قوله « أنكرتنى أو نكرتها » بمعنى كرهتنى أو كرهتها ، والبازى : الباز ؛ وهو ضرب من الصقور ، والشاهد فى قوله « على سواد » ولكن قد يقال : إن خروجه مع الباز كناية عن تبكيه ؛ وعلى هذا تكون جملة « على سواد » حالاً مؤكدة ، وقد سبق أن أصل الكلام فى الحال المؤسسة .

(٦) هو لأبى الصلت عبد الله بن أبى ربيعة الشقفى ، وقيل : إنه لأمية ابنه ، والأقرب أنه لأبيه ، والمرتفق : الواقف الثابت الدائم أو المتكئ ، وداراً : منصوب به على الظرفية ، وعمدان : قصر باليمن يشمل على دور قصور تحملها ملوكه ، ومحلاً : بمعنى كثير حلولها لكرم صاحبها . والشاهد فى قوله « عليك التاج » . والخطاب لسيف بن ذى يزن ، وهو الذى أخرج الحبشة من اليمن .

وقول الآخر :

لقد صيرت للذل أعواد منبر تقوم عليها في يديك قضيب^(١)

ثم قال^(٢) : والوجه أن يقدر الاسم في الأمثلة مرتفعاً بالظرف ؛ فإنه جائز باتفاق من صاحب الكتاب وأبي الحسن^(٣) لاعتماده على ما قبله^(٤) ثم اختار أن يكون الظرف هنا خاصة في تقدير اسم فاعل ، وجوز أيضاً أن يكون في تقدير فعل ماض مع « قد » ، ومنع أن يكون في تقدير فعل مضارع ، ولعله إنما اختار تقديره باسم فاعل لرجوع الحال حينئذ إلى أصلها في الأفراد ، ولهذا كثر مجيئها بلا واو ، وإنما جوز التقدير بفعل ماض أيضاً لمجيئها بالواو قليلاً ، وإنما منع التقدير بفعل مضارع ؛ لأنه لو جاز التقدير به لامتنع مجيئها بالواو^(٥).

ثم قال^(٦) : وربما يحسن مجيء الاسمية بلا واو لدخول حرف على المبتدأ ؛ كما في قوله :

فقلت عسى أن تبصريني كأنما بنى حوالى الأسود الحوارد^(٧)

فإنه لولا دخول « كأن » عليه لم يحسن الكلام إلا بالواو ؛ كقولك : عسى أن تبصريني وبنى حوالى الأسود .

-
- (١) هو لأبى وائلة بن خليفة السدوسي في هجاء عبد الملك بن المهلب . والقضيب : السيف أو الغصن المقطوع . والشاهد في قوله « في يديك قضيب » .
(٢) ١٤٤ - دلائل الإعجاز .
(٣) صاحب الكتاب : سيبويه ، وأبو الحسن : هو سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط .

- (٤) ما قبله هو صاحب الحال ؛ لأن الظرف يكون على هذا متعلقاً بمحذوف منصوب على الحالية ؛ فيعتمد على صاحبه اعتماد الصفة على موصوفها .
(٥) الحق أنه يجوز تقديره بالمضارع ؛ لأنه لا فرق بينه وبين المفرد في امتناع الواو .
(٦) ١٤٠ - دلائل الإعجاز .

- (٧) هو لهمام بن غالب المعروف بالفردق يخاطب امرأة عذلته في اعتنائه ببنيه ، وقيل : إنه يقول ذلك لامرأته حين قالت له : ليس لك ولد ، وإن مت ورثك قومك . والحوارد : الغضاب جمع حارد ، والشاهد في قوله « كأنما بنى حوالى إلخ » وحوالى من « بنى » .

ثم قال ^(١) : وشبيه بهذا أن تقع حالاً بعقب المفرد فيلطف مكانها ^(٢) بخلاف ما لو أفردت ^(٣) كقول ابن الرومي :

والله يقيقك لنا سالماً برداك تبجيل وتعظيم ^(٤)

فإنه لو قال « والله يقيقك لنا برداك تبجيل » ؛ لم يحسن .

هذا كله إذا لم يكن صاحبها نكرة مقدّمة عليها ؛ فإن كان كذلك نحو : « جاء رجل وعلى كتفه سيف » ؛ وجب الواو لثلاث تشبّه بالنعت :

وأما نحو قوله تعالى ^(٥) : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتابٌ معلوم ﴾ فقال السكاكي ^(٦) : الوجه فيه عندي هو أن ﴿ ولها كتابٌ معلوم ﴾ حال لقرية لكونها في حكم الموصوف نازلة منزلة « وما أهلكنا قرية من القرى » لا وصف ، وحمله على الوصف سهوٌ لا خطأ ، ولا عيب في السهو للإنسان ولا دام ، والسهو ما يتنبه له صاحبه بأدنى تنبيه ، والخطأ ما لا يتنبه له صاحبه أو يتنبه ولكن بعد تعب . وكأنه عرض بالزمخشري حيث قال في تفسيره ﴿ لها كتاب ﴾ جملة واقعة صفة لقرية ،

(١) ١٤٠ - دلائل الإعجاز . (٢) أي مكان الاسم بلا واو .

(٣) يعني لم تقع عقب مفرد .

(٤) هو لعلي بن العباس المعروف بابن الرومي ، والبرد : في الأصل : ثوب مخطط ، وقد ثناه هنا باعتبار لفظ التبجيل والتعظيم وإن كان معناهما واحداً ، وهو يدعو لممدوحه أن يبقى سالماً مشتملاً عليه ذلك اشتمال البرد على لابس . والشاهد في قوله سالماً برداك تبجيل وتعظيم ؛ لأن الأول « حال مفرد » ، والثاني « جملة اسمية » من غير واو لوقوعها عقبه . هذا والحق أن طريقة عبد القاهر في الجملة الاسمية تنظر إليها من جهة البلاغة ، أما تجويز الأمرين فيها على الإطلاق فهو مذهب علماء النحو ، ومثل هذا لا يعني به هنا ، بنى عبد القاهر مجيء الواو وتركها في الجملة الاسمية على قصد الاستئناف وعدمه كما سبق في الجملة الفعلية ، ولكن الأصل عنده في الجملة الاسمية أن تكون مبنية على قصد الاستئناف ، وقد أوجب الواو فيها إذا كانت مبتدأة بضمير ذي الحال ؛ لأنها يقصد منها الاستئناف دائماً ، أما غيرها فيجوز أن تأتي على خلاف الأصل في الجملة الاسمية ، فتكون في تأويل المفرد ؛ نحو : « كلمته فؤه إلى في » وكل هذا يجري على ما يقتضيه حال المخاطب في الشك والإنكار وغيرهما .

(٥) آية ٤ سورة الحجر (٦) ١٣٥ : المفتاح

والقياس ألا يتوسط الواو بينهما كما فى قوله تعالى : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ﴾ ^(١) وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف ؛ كما يقال فى الحال « جاءنى زيد وعليه ثوب » ، « وجاءنى رجلٌ وعليه ثوب » ، ثم قال السكاكى ^(٢) :

« من عرف السبب فى تقديم الحال إذا أريد إيقاعها عن النكرة ؛ تنبه لجواز إيقاعها عن النكرة مع الواو فى مثل : « جاءنى رجل وعلى كتفه سيف » ولمزيد جوازه فى قوله عز اسمه : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ﴾ ^(٣) على ما قدمت .

﴿ واعلم أن السكاكى بنى كلامه فى الجملة الواقعة حالاً على أصول مضطربة لا يخفى حالها على الفطن ، لا سيما إذا أحاط علماً بما ذكرناه وأتقنه ؛ فأثرنا الإعراض عن نقل كلامه والتعرض لما فيه من الخلل ؛ لئلا يطول الكتاب من غير طائل .

* * *

(٢) ١٥٠ - المفتاح .

(١) آية ٢٠٨ سورة الشعراء .

(٣) الحجر : ٤ .

تمرينات على الوصل والفصل

تمرين - ١

(١) لماذا فصل الشاعر بين الجملتين في قوله :

جزى الله الشدائد كلَّ خير عرفتُ بها عدوى من صديقي

(٢) لماذا وصل الشاعر بين الجملتين في قوله :

سافر تجد عوضاً عمّن تفارقه وانصب فإن لذيد العيش في النصب

تمرين - ٢

(١) بين موضع الوصل والفصل في قوله تعالى آية ١ ، ٢ سورة الكوثر: ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ، فصلٌ لربك وانحر ﴾ .

(٢) بين الفصل لكمال الانقطاع ولشبه كمال الاتصال في قوله الشاعر :

قال لي كيف أنت ؟ قلتُ عليلٌ سهرٌ دائمٌ وحُزنٌ طويلٌ

تمرين - ٣

(١) بين سبب الفصل في موضعيه من قوله تعالى آية ٢ سورة الرعد: ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يَفْصِلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تَوْقِنُونَ ﴾ .

(٢) لأي جامع وُصل في قول الشاعر :

ولستُ بهيَّابٍ لمن لا يهابُنِي ولستُ أرى للمرء ما لا يرى ليا

تمرين - ٤

(١) لماذا فصل الشاعر بين الجملتين مع كونهما خبريتين في قوله :

الفقر فيما جاوزَ الكفافا من اتقى الله رجا وخافا

(٢) مر أبو بكر رضي الله عنه برجل في يده ثوب فقال له : أتبيع هذا ؟ فقال : لا

يرحمك الله ، فقال له : لا تقل هكذا ، وقل : ويرحمك الله . فأمره بزيادة « واو » بين لا ، وقوله « يرحمك الله » ؛ ليكون وصلاً لا فصلاً ؛ فما هو السبب فى أمر أبى بكر له بالوصل بين الجملتين ؟ وهل الوصل يجب فى ذلك بلاغاً أو نحواً ؟ وهل الجملة الثانية خبر أو إنشاء ؟ .

تمرين - ٥

(١) لماذا فصل بين الجملتين فى قول الشاعر :

قُمْ للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

(٢) بين سبب الوصل والفصل فى قوله تعالى آية ١١ ، ١٢ ، ١٣ سورة المزمل ﴿ واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرًا جميلاً ، وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلاً ، إن لدينا أنكالاً وجحيماً وطعاماً ذا غُصَّةٍ وعذاباً أليماً ﴾ .

تمرين - ٦

(١) بين موضع الوصل للتناسب فى الاسمية والفعلية ، ولم وصل مع عدمه فى قوله تعالى آية ١١ سورة سبأ : ﴿ ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ﴾ . وبين لم فصل فيه الحال أيضاً ؟ .

(٢) لماذا أتت الجملة الحالية من غير واو فى قول الشاعر :

ألا ليت شعرى هل أبين ليلة بمكة حولى إذخر وجليل

(٣) لماذا عطف « يذبّحون » فى قوله تعالى : آية ٦ سورة إبراهيم : ﴿ وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ﴾ ولم يعطف فى قوله تعالى آية ٤٩ سورة البقرة ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ﴾ ؟ .

* * *

الباب الثامن القول في الإيجاز والإطناب والمساواة

تعريف السكاكى للإيجاز والإطناب والمساواة :

قال السكاكى^(١): «أما الإيجاز والإطناب فلكونهما نسبين^(٢) لا يتيسر الكلام فيهما إلا بترك التحقيق^(٣) والبناء على شئ عرفى^(٤) مثل جعل كلام الأوساط على مجرى متعارفهم فى التأدية للمعانى فيما بينهم - ولا بد من الاعتراف بذلك^(٥) - مقيساً عليه^(٦) ولنسمه «متعارف الأوساط» وأنه فى باب البلاغة لا يُحمد منهم ولا يُذم .

فالإيجاز : هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط^(٧) ، **والإطناب** : هو أدائه بأكثر من عباراته ، سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل^(٨) ثم قال^(٩) : « الاختصار لكونه من الأمور النسبية يُرجع فى بيان

(١) ١٥٠ - المفتاح .

(٢) إنما كانا نسبين ؛ لأن إيجاز الكلام إنما هو بالنسبة إلى كلام أزيد منه ، وإطنابه إنما هو بالنسبة إلى كلام أنقص منه ، وكذلك المساواة نسبية أيضاً .

(٣) يعنى بالتحقيق التعيين ، وإنما لم يتيسر الكلام فيهما إلا بتركه ؛ لأنه لما كان ذلك شأنهما لم يمكن تعيين مقدار من الكلام للإيجاز ومقدار منه للإطناب ، فربّ كلام موجز يكون مطلباً بالنسبة إلى كلام آخر وبالعكس .

(٤) أى وإلا بالبناء على شئ عرفى وهو ما يعرفه أهل العرف فى الجملة ؛ لأن هذا أقرب شئ يُرجع إليه فى مثل ذلك .

(٥) جملة معترضة ، أى ولا بد من الاعتراف بكلام الأوساط لأن أكثر الناس منهم ، وأوساط الناس هم الذين لم يصلوا إلى رتبة البلاغة ولم ينحطوا إلى حال الفهافة ، فيكون كلامهم صحيح الإعراب من غير مراعاة ما يقتضيه الحال فى الكلام .

(٦) أما المقيس فهو الإيجاز والإطناب ، ولا شك أن قياسهما بذلك يعينهما فى الجملة ؛ لانضباطه وقلة التفاوت فيه .

(٧) يسمى الإيجاز باسم الإشارة فى بعض كتب البلاغة .

(٨) لم يذكر تعريف المساواة لأنها على ذلك تكون عبارة عن متعارف الأوساط ، وهو يرى أنه لا فضيلة له لأنه لا يحمد ولا يذم ، فما يحصل من البليغ مساوياً له لا يكون بليغاً مثله لعدم اشتماله على نكتة يعتد بها ، وقيل : إن المساواة من البليغ تعد بليغة إذا اقتضاها المقام بأن يكون من يخاطبه من الأوساط . والحق أنه لا يعتد بمثل ذلك كما سيأتى .

(٩) ١٥٦ - المفتاح .

دعواه^(١) إلى ما سبق تارة ، وإلى كون المقام خليقاً بأبسط مما ذكر أخرى^(٢) . وفيه نظر ؛ لأن كون الشيء نسبياً لا يقتضى ألاّ يتيسر الكلام فيه إلا بترك التحقيق والبناء على شيء عرفى^(٣) ثم البناء على متعارف الأوساط والبسط الذى يكون المقصود جديراً به ردّ إلى جهالة^(٤) فكيف يصلح للتعريف ؟ !

تعريف الخطيب :

والأقرب أن يقال : المقبول من طرق التعبير عن المعنى : هو تأدية الأصل المراد^(٥) بلفظ مساوٍ له^(٦) أو ناقص عنه وافٍ ، أو زائد عليه لفائدة ، والمراد بالمساواة أن

(١) أى مسماه ، مأخوذ من « دعاه بكذا » بمعنى سماه به .

(٢) هذا عندما يكون أقل مما يقتضيه المقام بحسب الظاهر؛ كقوله تعالى آية ٤ : سورة مريم ﴿ رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ﴾ هو إيجاز بالقياس إلى ما يقتضيه ظاهر مقام انقراض الشيب من بسط الكلام فيه غاية البسط ، وليس بإيجاز بالقياس إلى متعارف الأوساط فى ذلك ؛ وهو قولهم « يا رب شخْتُ » بل هو إطناب بالقياس إليه ، وإنما اعتبر فى ذلك أن يكون أقل ما يقتضيه المقام فى الظاهر ؛ لأنه إذا كان أقل مما يقتضيه تحقيقاً لم يكن بليغاً .

(٣) يعنى أن كونه كذلك لا يقتضى تعسر تحقيق معناه ، وأجيب عنه بأنه لا يريد بذلك تعسر بيان معنى الإيجاز والإطناب لأنه بينه بما سبق ، وإنما يريد تعسر تعيين أن هذا القدر إيجاز وذاك إطناب ، وبهذا وجب الرجوع فى بيان معناهما إلى القياس على متعارف الأوساط .

(٤) أجيب عنه بأنه يراد من متعارف الأوساط الكلام الذى تكون فيه الألفاظ على قدر المعانى الأصلية مع صحة الإعراب وعدم مراعاة مقتضى الحال ، ومع هذا لا يكون البناء عليه ردّاً إلى جهالة ، أما المعنى الثانى للإيجاز وهو المبنى على البسط المذكور فالظاهر أنه معنى مجازى له ، وليس معنى حقيقياً يراد به ضبط الإيجاز وتمييزه .

(٥) إضافة أصل إلى المراد بيانية ، وأصل المراد هو المعنى الأول الذى يقصد التكلم به إفادته للمخاطب ولا يتغير بتغير العبارات واعتبار الخصوصيات .

(٦) على هذا تكون المساواة داخلية فى المقبول من طرق التعبير عن المعنى ، وقد قيل : إن هذا يخالف ما سبق عن السكاكى من أنها لا تحمد ولا تدم ، والحق أنه لا خلاف بين السكاكى والخطيب فى ذلك ؛ لأن ما ذكره السكاكى هو أنها لا تحمد فى باب البلاغة ، وهذا لا ينافى قبولها من أوساط الناس ؛ ولهذا حكم فيما سبق بأنه لا بد من الاعتراف بكلام هؤلاء الأوساط ، والخطيب يعنى بالمقبول من طريق التعبير ما يشمل قبول هذا من الأوساط ، ولا يريد به ما يقبل فى البلاغة فقط .

يكون اللفظ بمقدار أصل المراد؛ لا ناقصاً عنه بحذف أو غيره ، كما سيأتى ، ولا زائداً عليه بنحو تكرير أو تتميم أو اعتراض ، كما سيأتى .

الإخلال : وقولنا « واف » احتراز عن الإخلال ، وهو أن يكون اللفظ قاصراً عن أداء المعنى ؛ كقول عروة بن الورد :

عجبتُ لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أعذراً^(١)

فإنه أراد « إذ يقتلون نفوسهم فى السلم » ، وقول الحارث بن حِزْزَةَ :

والعيشُ خيرٌ فى ظلالِ النَّوكِ ممن عاش كذاً^(٢)

فإنه أراد « العيش الناعم فى ظلال النوك خيرٌ من العيش الشاق فى ظلال العقل » ؛ فأخلَّ كما ترى .

التطويل والحشو :

وقولنا « لفائدة » احتراز من شيئين : أحدهما : التطويل ؛ وهو ألا يتعين الزائد فى الكلام ؛ كقوله :

وألْفَى قولها كذباً وميناً^(٣)

فإن الكذب والمين واحد .

وثانيهما : ما يشتمل على الحشو ؛ والحشو ما يتعين أنه الزائد ؛ وهو ضربان :

أحدهما : ما يفسد المعنى ؛ كقول أبى الطيب :

(١) يعنى بقتلهم نفوسهم : موتهم على فراشهم جبناً عن القتال ، والوغى : الحرب ، وأفعل التفصيل فى قوله « أعذرا » ليس على بابه ؛ لأنه يريد نفى العذر عنهم فى قتلهم نفوسهم .

(٢) النوك : الحلق ، والكد : مصدر « كد » إذا اشتد فى العمل .

(٣) هو لعدى بن زيد العبادى من قوله :

وفاجأها وقد جمعتُ جموعاً على أبواب حصن مصلتيناً

وقدّدت الأديم لراهِشِيه وألْفَى قولها كذباً وميناً

وقيل : إنه لعدى بن الأبرش ، وقوله : « قدّدت » بمعنى قطعت ، وضميره للزباء ملكة

تدمر ، والأديم : الجلد ، والراهِشان : عرقان فى باطن الذراع ، والضمير المضاف إليه لجزيمة بن

الأبرش ملك الحيرة وقصتهما معروفة . وقد روى « كذباً مُبيناً » فلا يكون فيه تطويل ، وقيل :

إنه لا تطويل فى الرواية الأولى ؛ لأن القصد منه التأكيد ، والمقام يقتضيه .

ولا فضلَ فيها للشجاعة والندى وصبر الفتى لولا لقاء شعوب^(١)

فإن لفظ « الندى » فيه حشو يفسد المعنى ؛ لأن المعنى أنه لا فضل في الدنيا للشجاعة والصبر والندى لولا الموت ، وهذا الحكم صحيح في الشجاعة^(٢) دون الندى ؛ لأن الشجاع لو علم أنه يخلد في الدنيا لم يخش الهلاك في الإقدام فلم يكن لشجاعته فضل ، بخلاف باذل ماله ، فإنه إذا علم أنه يموت هان عليه بذله ؛ ولهذا يقول إذا عوتب فيه : كيف لا أبذل ما لا أبقى له ؟ أنى أثق بالتمتع بهذا المال ؟ وعليه قول طرفة :

فإن كنتَ لا تَسْطِيعُ دفعَ مَنِيَّتِي فذرني أبادرها بما ملكتَ يدي^(٣)

وقول مهيار :

فكلَّ إن أكلتَ وأطعمَ أخاك فلا الزادُ يبقى ولا الأكلُ^(٤)

فلو علم أنه يخلد ثم جاد بماله كان جوده أفضل ، فالشجاعة لولا الموت لم تُحمد ، والندى بالضد ، وأجيب عنه بأن المراد بالندى في البيت : بذل النفس لا بذل المال ؛ كما قال مسلم بن الوليد :

(١) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبي الطيب المشبى . والندى : الكرم . وشعوب : علم جنس للمنية وهي الموت ، وقد جر بالكسر لأجل الروى ؛ لأنه مما لا ينصرف فيجر بالفتحة .
(٢) كذلك الصبر ليتقن الصابر زوال المكروه في العادة على تقدير الخلود : فلا يكون في صبره فضل أيضاً .

(٣) هو لعمر بن العبد المعروف بطرفة وقبله :

ألا أيهذا اللائمي أحضر الوغى وأن أحضر اللذات هل أنت مخلصي ؟
والمنية : الموت ، وقوله « ذرني أبادرها » بمعنى اتركني أسبقها بالتمتع بمالي قبل أن تحرمني منه ، وهذا هو معنى قول من يعاتب في بذل ماله : كيف لا أبذل إلخ .
(٤) هو لمهيار بن مرزويه الديلمي . وقوله « إن أكلت » بمعنى إن قدرت على الأكل ، أو التقدير « فكل وأفضل إن أكلت » .

يُجود بالنفس إن ضَنَّ الجَوَادُ بها والجودُ بالنفس أقصى غاية الجود
ورُدَّ بأن لفظ « الندى » لا يكاد يُستعمل في بذل النفس ، وإن استعمل فعلى
وجه الإضافة ، فأما مطلقاً فلا يفيد إلا بذل المال .

والثاني ما لا يفسد المعنى كقوله :

ذكرتُ أخى فعاودنى صداعُ الرأس والوصبُ^(١)

فإن لفظ (الرأس) فيه حشو لا فائدة فيه ؛ لأن الصداع لا يستعمل إلا في
الرأس ، وليس بمفسد للمعنى . وقول زهير :

وأعلمُ علمَ اليوم والأمس قبله ولكننى عن علمٍ ما فى غدٍ عمى

فإن قوله « قبله » مستغنى عنه غير مفسد . وقول أبى عدى :

نحن الرءوس وما الرءوس إذا سمّتْ فى المجد للأقوام كالأذنان^(٢)

فإن قوله « للأقوام » حشو لا فائدة فيه مع أنه غير مفسد^(٣) .

* وأعلم أنه قد تشبه الحال على الناظر لعدم تحصيل معنى الكلام وحقيقته فيعد
من الزائد على أصل المراد ما ليس منه ، كما مثله بعض الناس^(٤) بقول القائل :

(١) هو لأبى العيال بن أبى عنترة الخفاجى من قصيدته في رثاء أخ له ، والصداع : وجع
الرأس ، والوصب : المرض والوجع الدائم . وأخذ عليه أيضاً أن الذاكر لما فات من محبوب
يوصف بألم القلب واحتراقه لا بالصداع .

(٢) هو كما فى « حُسن التوسل » لأبى عدى عبد الله بن عمر بن عبد الله العبلى الأموى
القرشى ، والمراد بالرءوس : أشرف الناس ورؤساؤهم ، والمراد بالأذنان : سفلتهم . وكان أبو
عدى من بنى أمية ملوك المسلمين بعد الخلفاء الراشدين .

(٣) هذا وقد قيد ابن مالك قبَحَ الحشو غير المفسد بما ليس فيه بديع ؛ فإن كان فيه بديع
حسن ؛ كقول المتنبى :

وخفوقُ قلبٍ لو رأيتَ لهيبه يا جتنى لرأيتَ فيه جهنما

فقوله « يا جتنى » حشو ولكنه حسن ؛ لما فيه من المطابقة لجهنم ، والمطابقة من المحسنات

البديعية .

(٤) منهم ابن قتيبة ؛ إذ يقول فى هذه الأبيات : إنها كفارغ بندق ، وليس فيها على

ضحامة لفظها كبير معنى . فهى عنده من التطويل الذى لا فائدة فيه .

ولمَّا قضينا مِن منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح
وشدَّت على دُهم المهارى رحالنا ولم ينظر الغادى الذى هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح^(١)

يُبين أنه ليس منه ما ذكره الشيخ عبد القاهر فى شرحه^(٢) قال : أول ما يتلقاك من محاسن هذا الشعر أنه قال « ولما قضينا من منى كل حاجة » فعبّر عن قضاء جميع المناسك فرائضها وسننها بطريق العموم الذى هو أحد طرق الاختصار ، ثم نبّه بقوله « ومسح بالأركان من هو ماسح » على طواف الوداع الذى هو آخر الأمر ودليل المسير الذى هو مقصوده من الشعر ، ثم قال « وشدت » البيت ، فوصل بذكر مسح الأركان ما وليه من ذم الركاب وركوب الركبان . ثم دل بلفظ « الأطراف » على الصفة التى تختص بها الرفاق فى السفر من التصرف فى فنون القول وشجون الحديث ، أو ما هو عادة المتطرفين من الإشارة والتلويح والرمز والإيماء^(٣) وأنبأ بذلك عن طيب النفوس وقوة النشاط وفضل الاغتباط ، كما توجه ألفة الأصحاب ، وأنسج الأحاب ويلىق بحال من وفقّ لقضاء العبادة الشريفة ورجا حسن الإياب ، وتنسم روائح الأحبة والأوطان ، واستماع التهاني والتحيات من الخلان والإخوان ، ثم زان ذلك كله باستعارة لطيفة حيث قال « وسالت بأعناق المطى الأباطح » فنبه بذلك على سرعة السير ووطأة الظَّهر ، وفى ذلك ما يؤكد ما قبله ؛ لأن الظهور إذا كانت وطيفة وكان سيرها سهلاً سريعاً زاد ذلك فى نشاط الركبان ، فيزداد الحديث طيباً ، ثم قال « بأعناق المطى » ولم يقل بالمطى ؛ لأن السرعة والبطء فى سير الإبل يظهران

(١) هى لكثير بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزة ، وقيل : لابن الطثرية ، وقيل : لعقبة ابن كعب بن زهير المعروف بالضرَب ، والأركان : أركان الكعبة ، والدُّهم : السود ، والمهارى : جمع مهريّة وهى نوق منسوبة إلى مهرة ، والغادى : السائر فى أول النهار ، والرائح : ضده ، والأباطح : جمع بطحاء وهى مسيل واسع فيه رمل ودقائق الحصى . وقد ذكر من عهد هذه الأبيات رائدة على أصل المراد أن أصله فيها « ولما رجعنا من منى أخذنا فى الكلام » والزائد على هذا فيها تطويل عنده لا فائدة فيه .

(٢) ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ أسرار البلاغة .

(٣) فأطراف الحديث جمع طرف وهو مختارها .

غالبًا فى أعناقها ، ويتبين أمرهما من هواديهما^(١) وصدورها ، وسائر أجزائها تستند إليها فى الحركة ، وتتبعها فى الثقل والخفة^(٢) .

* * *

(١) جمع هادية وهى العنق .

(٢) ظاهر كلام عبد القاهر أن الأبيات الثلاثة من الإيجاز ، وقيل : إنها من المساواة ، وكان على الخطيب أن يذكر مقامات الإيجاز والإطناب والمساواة ؛ لأن هذا من أهم ما يعنى به فى علم المعانى ، ومقام الإيجاز هو مقام الحذف السابق فى المسند إليه والمسند ومتعلقات الفعل ، ومقام الإطناب هو قصد التأكيد أو زيادة الإيضاح أو بسط الكلام حيث الإصغاء مطلوب أو نحو ذلك . وللإيجاز مواضع ثلاثه كالحكم والأمثال ، وللإطناب مواضع ثلاثه كالمدح والفخر والوعظ ، أما مقام المساواة فهو مقام الإتيان بالأصل حيث لا مقتضى للعدول عنه ، وهذه النكتة لا يعتمد بها فى البلاغة كما سبق ؛ ولهذا كانت المساواة غير محمودة ولا مذمومة .

القسم الأول - المساواة

كقوله تعالى: ﴿ولا يحق المكر السيء إلا بأهله﴾^(١) وقوله: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾^(٢)
وقول النابغة الذبياني:

فإنك كالليل الذي هو مُدركي وإن خلت أن المتأى عنك واسع^(٣)

* * *

(١) آية ٤٣ سورة فاطر ، ولا يقدح في عده من المساواة ما فيه من حذف المستثنى منه ؛ لأن اعتبار الحذف في ذلك لرعاية الإعراب ولا يفتقر إليه في تأدية أصل المراد ؛ حتى إنه لو صرح به يكون من الحشو ، نعم يقدح في عده من المساواة أنه يقع تذييلاً في آية ﴿استكباراً في الأرض ومكر السيء ، ولا يحق المكر السيء إلا بأهله﴾ اللهم إلا أن ينظر في عده من المساواة إليه في ذاته بقطع النظر عما قبله ، ولكنه إذا نظر إليه في ذاته فهو من القصر الذي سبق أنه نوع من الإيجاز ، وقد عد العسكري الآية من الإيجاز في كتاب : « الصناعتين » وقد قيل : كيف تقع المساواة في القرآن وهي لا تصل إلى رتبة البلاغة كما سبق ؟ وأجيب بأن وقوعها في موضع من القرآن لا يمنع اشتماله على وجوه أخرى من البلاغة . ولا يخفى ضعف هذا الجواب ؛ لأنه يشترط في المساواة أن تكون خالية من جميع الاعتبارات البلاغية كما سبق في تعريفها ، والحق أنها نادرة الوقوع في الكلام البليغ ، وإنما تقع في كلام الأوساط كما سبق .

(٢) آية ٦٨ سورة الأنعام .

(٣) هو لزياد بن عمرو المعروف بالنابغة الذبياني ، والخطاب فيه للنعمان بن المنذر ، والمتأى : مكان الانتباء وهو البعد ، وإطلاق السعة عليه مجاز مرسل علاقته المجاورة ؛ لأن الواسع في الحقيقة هو مسافة ما بين المخاطب ومكان البعد الذي لجأ إليه النابغة ، ولا يقدح في عد البيت من المساواة ما فيه من حذف جواب الشرط ؛ لأنه تقدير إعراب لا يقدح فيها .
وعما يُعدُّ من المساواة قول زهير :

ومهما يكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وقول بعضهم :

إذا أنت لم تقصر عن الجهل والحنأ أصبت حليماً أو أصابك جاهل

القسم الثانى - الإيجاز

وهو ضربان :

إيجاز القصر :

أحدهما إيجاز القصر^(١) وهو ما ليس بحذف ؛ كقوله تعالى : ﴿ ولکم فی القصاص حیاة ﴾^(٢) فإنه لا حذف فيه^(٣) مع أن معناه كثير يزيد على لفظه ؛ لأن المراد به أن الإنسان إذا علم أنه متى قُتل قُتل كان ذلك داعياً له قوياً إلى ألا يُقدم على القتل ، فارتفع بالقتل الذى هو القصاص كثيرٌ من قتل الناس بعضهم لبعض ، فكان ارتفاع القتل حياةً لهم ، وفضلهُ - على ما كان عندهم أوجز كلام فى هذا المعنى ؛ وهو قولهم : « القتل أنفى للقتل » - من وجوه :

أحدها : أن عدة حروف ما يناظره منه وهو ﴿ فى القصاص حیاة ﴾ عشرة فى التلفظ^(٤) وعدة حروفه أربعة عشر .

وثانيها : ما فيه من التصريح بالمطلوب الذى هو الحياة بالنص عليها ؛ فيكون أجزر عن القتل بغير حق لكونه أدعى إلى الاقتصاص .

وثالثها : ما يفيد تنكير (حیاة) من التعظيم أو النوعية كما سبق^(٥) .

ورابعها : أطراد ، بخلاف قولهم ؛ فإن القتل الذى ينفى القتل هو ما كان على وجه القصاص لا غيره .

(١) بكسر القاف وفتح الصاد ، وإن كان المشهور فتح القاف وسكون الصاد . وكثرة المعانى مع قصر الألفاظ تأتى من كون اللفظ لا يقتصر على دلالة واحدة ، بل تتنوع دلالاته ويدل بالتضمن والالتزام على أكثر مما يدل عليه بالمطابقة .

(٢) آية ١٧٩ سورة البقرة .

(٣) أى لم يحذف فيه شيء مما يؤدى به من أصل المراد ، أما متعلق الجار والمجرور بتقديره لرعاية الإعراب فقط .

(٤) هى الفاء واللام والقاف والصاد والألف والصاد والحاء ، والياء ، والألف ، والتاء ،

ولم يضاف التنوين إليها لسقوطه فى الوقف .

(٥) فى الكلام على تنكير المسند إليه فى الجزء الأول .

وخامسها : سلامته من التكرار الذى هو من عيوب الكلام ، بخلاف قولهم .
وسادسها : استغناؤه عن تقدير محذوف ، بخلاف قولهم ؛ فإن تقديره « القتل
أنفى للقتل من تركه » (١) .

وسابعها : أن القصاص ضد الحياة ؛ فالجمع بينهما طباق كما سيأتى (٢) .
وثامنها : جعل القصاص كالمنبع والمعدن للحياة بإدخال « فى » عليه على ما
تقدم .

ومنه قوله تعالى : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣) أى هُدًى للضالين الصائرين إلى
الهدى بعد الضلال (٤) وحسنه التوصل إلى تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه (٥) وإلى
تصدير السورة بذكر أولياء الله تعالى ، وقوله : ﴿ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ ﴾ (٦) أى بما
لا ثبوت له ولا علم لله متعلق بثبوت نفيًا للملزوم بنفى اللازم (٧) وكذلك قوله تعالى :
﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (٨) أى لا شفاعاة ولا طاعة على أسلوب
قوله :

على لاجب لا يَهْتَدَى بمناره (٨)

(١) قيل : هذا تقدير إعرابى كما فى الآية ، وقيل : إن أفعل التفضيل فيه ليس على بابه
فلا يحتاج إلى تقديره ، ولا يخفى ضعف هذا التقدير ، والحق أنه يراد من قولهم إن القتل أنفى
للقتل من كل راجر ، وهذا هو الذى يجب أن يقدر لا ما قدره الخطيب وهو ليس تقدير إعراب ،
وأفعل التفضيل فيه على بابه .

(٢) فى علم البديع . (٣) آية ٢ سورة البقرة .
(٤) فلا يراد « المتقون » بالفعل لأنهم مهتدون ، وقد يقال : إن الهدى يقبل الزيادة
والنقصان ؛ فلا مانع من إرادة المتقين بالفعل .

(٥) فيكون مجازاً مرسلأ . (٦) آية ١٨ سورة يونس .

(٧) الملزوم الثبوت واللازم العلم . (٨) آية ١٨ سورة غافر .

(٨) هو لحنج بن حجر المعروف بامرىء القيس من قوله :

على لاجب لا يَهْتَدَى بمناره إذا ساقه العودُ النباطى جرّجراً

واللاجب : الطريق يمشى على جهة ، والمنارة : ما يجعل عليه من علامة ، وقوله « ساقه »

بمعنى شمه ، والعود : الجمل المسن ، والنباطى : الضخم منسوب إلى النبط ، وقوله « جرّجراً »

بمعنى : رغا وضج ، وإنما يرغو الجمل لمعرفته ببعده الطريق .

أى لا مناز ولا اهتداء ، وقوله :

ولا ترى الضبَّ بها ينجر^(١)

أى لا ضب ولا انجحر .

ومن أمثلة الإيجاز أيضاً قوله تعالى^(٢) فيما يخاطب به النبي عليه الصلاة والسلام : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین ﴾ فإنه جمع فيه مكارم الأخلاق ؛ لأن قوله ﴿ خذ العفو ﴾ أمرٌ بإصلاح قوة الشهوة^(٣) ؛ فإن العفو ضد الجهل ؛ قال الشاعر :

خذى العفو منى تستدعى مودتى^(٤)

أى خذى ما تيسر أخذه وتسهّل ، قوله : ﴿ وأعرض عن الجاهلین ﴾ أمر بإصلاح قوة الغضب^(٥) ، أى أعرض عن السفهاء واحلم عنهم ولا تكافئهم على أفعالهم . هذا ما يرجع إليه منها ، وأما ما يرجع إلى أمته فدلّ عليه بقوله : ﴿ وأمر بالعرف ﴾ أى بالمعروف والجميل من الأفعال ؛ ولهذا قال جعفر الصادق عليه السلام فيما روى عنه : أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق ، وليس فى القرآن آية أجمع لها من هذه الآية .

(١) هو لأوس بن حجر :

لا يفزع الأرنب أهوالها ولا ترى الضبَّ بها ينجر

يصف مفازة بأنها غير مطروقة للناس ، فلا يوجد ما يفزع أرنبها ، أو ينجر به ضبها أى يدخل جحره ، والشاهد فى البيتین ورود النفى على المقيد وقيده معاً ، لا وروده على القيد فقط .

(٢) آية ١٩٩ سورة الأعراف .

(٣) هى قوة النفس تبعث على جانب المنافع ، وإصلاحها بجعلها تطلب ما تيسر لا ما

تعسر .

(٤) هو لأسماء بن خارجة الفزارى من قوله :

خذى العفو منى تستدعى مودتى ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب

يخاطب بذلك امرأته ، وسورة الشىء : شدته .

(٥) هى قوة النفس تبعث على دفع المضار .

ومنها قول الشريف الرضى :

مالوا إلى شُعب الرُّحال وأسندوا أيدي الطَّعان إلى قلوب تخفق^(١)

فإنه لما أراد أن يصف هؤلاء القوم بالشجاعة فى أثناء وصفهم بالغرام عبّر عن ذلك بقوله « أيدي الطعان » .

ومنها ما كتب عمرو بن مسعدة عن المأمون لرجل يُعنى به إلى بعض العمال حيث أمره أن يختصر كتابه ما أمكن : « كتابى إليك كتاب واثق بمن كتّب إليه ، معنّى بمن كتّب له ، ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله » .

• إيجاز الحذف :

والضرب الثانى إيجاز الحذف ؛ وهو ما يكون بحذف ، والمحذوف إما جزء جملة أو أكثر من جملة .

والأول : إما مضاف ؛ كقوله تعالى : ﴿ وأسأل القرية ﴾^(٢) أى أهلها ، وكقوله تعالى : ﴿ حرمت عليكم الميتة ﴾^(٣) أى تناولها ؛ لأن الحكم الشرعى إنما يتعلق بالأفعال دون الأجرام ، وقوله تعالى : ﴿ حرمت عليهم طيبات أحلت لهم ﴾^(٤) أى تناول طيبات أحل لهم تناولها ، وتقدير التناول أولى من تقدير الأكل ؛ ليدخل فيه شرب ألبان الإبل ؛ فإنها من جملة ما حرمت عليهم ، وقوله تعالى : ﴿ وأنعام حرمت ظهورها ﴾^(٥) ؛ أى منافع ظهورها وتقدير المنافع أولى من تقدير الركوب ؛ لأنهم حرّموا ركوبهم وتحميلها ، وكقوله تعالى : ﴿ لمن كان يَرجو الله ﴾^(٦) أى رحمة الله ، وقوله تعالى : ﴿ يخافون ربهم ﴾^(٧) أى عذاب ربهم ، وقد ظهر هذان المضافان فى قوله تعالى : ﴿ ويرجون رحمته ويخافون عذابه ﴾^(٨) .

(١) هو لمحمد بن الحسين المعروف بالشريف الرضى ، وشعب الرحال : خشبها . وميلهم إليها : كناية عن ارتحالهم وركوبهم عليها ، وقوله « تخفق » بمعنى تضطرب لفراق الأحبة .

(٢) آية ٨٢ سورة يوسف . (٣) آية ٣ سورة المائدة .

(٤) آية ١٦٠ سورة النساء . (٥) آية ١٣٨ سورة الأنعام .

(٦) آية ٢١ سورة الأحزاب . (٧) آية ٥٠ سورة النمل .

(٨) آية ٥٧ سورة الإسراء .

وإما موصوف ؛ كقوله :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا^(١)

أى أنا ابن رجلٍ جلا^(٢)

وإما صفة ؛ نحو : ﴿ وكان وراءهم ملكٌ يأخذُ كلَّ سفينة غصباً ﴾^(٣) أى كل سفينة صحيحة أو سالحة أو نحو ذلك ؛ بدليل ما قبله^(٤) وقد جاء ذلك مذكوراً فى بعض القراءات ؛ قال سعيد بن جبیر : كان ابن عباس رضي الله عنه يقرأ ﴿ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة سالحة غصباً ﴾ . وإما شرط كما سبق^(٥) .

وإما جواب شرط ، وهو ضربان :

أحدهما : أن يحذف لمجرد الاختصار^(٦) كقوله تعالى^(٧) : ﴿ وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون ﴾ أى أعرضوا بدليل^(٨) قوله بعده ﴿ إلا

(١) هو لسُحيم بن وثيل :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى

والثنايا : جمع ثنية وهى الطريق فى أعلى الجبل أو الطريق الصعب منه ، ويعنى بكونه طلاعاً للثنايا أنه ركاب لصعاب الأمور ، والمراد بالعمامة : عمامة الحرب وهى البيضة ، يعنى أنه متى يضعها على رأسه يعرفوا شجاعته .

(٢) جلا : إما بمعنى انكشف أى منكشف الأمر ، أو بمعنى « كشف الأمور » وهذا مبنى على القول بجواز حذف موصوف الجملة مطلقاً ، وقيل : إنه لا يجوز إلا إذا كان بعض اسم مجرور بمن أو فى كقولهم « منا ظعن ومنا أقام » أى فريق ظعن وفريق أقام ، وقيل : إن « جلا » عكس لرجل فلا يكون فيه حذف ، وعلى هذا يكون منقولاً عن جملة ، ولهذا لم يصرف .

(٣) آية ٧٩ سورة الكهف .

(٤) هو قوله : ﴿ فأردت أن أعيبها ﴾ .

(٥) فى آخر باب الإنشاء من هذا الجزء من تقدير الشرط فى جواب التمنى والاستفهام

والأمر والنهى .

(٦) هذه نكتة لفظية .

(٧) آية ٤٥ سورة يس .

(٨) قيل : إنه على هذا يكون تقدير الجواب للإعراب كما سبق فى بيت النابغة فيكون من المساواة مثله ، وأجيب بأن جواب الشرط فى البيت سابق عليه فأغنى عنه عرفاً ؛ حتى إن الكوفيين يرون فى مثله أن الجواب هو السابق ، وجواب الشرط فى الآية بخلاف ذلك .

كانوا عنها معرضين ﴿ وكقوله تعالى (١) : ﴿ ولو أن قرآنًا سُرِّت به الجبالُ أو قُطِّعَتْ به الأرض أو كُلُّم به الموتى ﴾ أى لكان هذا القرآن ، وكقوله تعالى (٢) : ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهدٌ من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ﴾ أى أَلستم ظالمين ؟ بدليل قوله بعده ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

والثانى : أن يحذف للدلالة على أنه شىء لا يحيط به الوصف (٣) أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن (٤) فلا يتصور مطلوباً أو مكروهاً إلا ويجوز أن يكون الأمر أعظم منه ، ولو عُنِ شىء اقتصر عليه وربما خف أمره عنده (٥) كقوله (٦) ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفُتِحَتْ أَبوابُها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طِبْتُمْ فادخلوها خالدين ﴾ وقوله : ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار ﴾ (٧) ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على ربهم ﴾ (٨) ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ﴾ (٩) .

قال السكاكى رحمه الله (١٠) : « ولهذا المعنى حُذِفَت الصلة من قولهم : جاء بعد

-
- (١) آية ٣١ سورة الرعد . (٢) آية ١٠ سورة الأحقاف .
(٣) هذه النكتة معنوية . وهى أهم مما قبلها ، والمقام الذى يقتضيها قصد المبالغة فى أمر ؛ لكونه مرغوباً فيه أو مرهوباً منه .
(٤) هذا فى الحقيقة لازماً لكونه لا يحيط به الوصف ، ولهذا لم يذكر لكل منهما مثالا خاصاً به ، ولكنه عطف « بأو » نظراً إلى أن مفهوماً مختلفاً ؛ فتارة يقصدهما البليغ معاً ، وتارة يخطر بباله أحدهما فقط .
(٥) قيل : إنهم يقدرونه فى ذلك بما لو صرح به لم تفد هذه النكتة ، كما سيأتى فى نحو قوله تعالى آية ٢٧ سورة الأنعام ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار ﴾ فالتقدير لرأيت أمراً عظيماً ، وأجيب بأن هذا تقدير تقريبي ، والجواب الحقيقى شىء مخصوص حذف لإظهار فظاعته .
(٦) آية ٧٣ سورة الزمر ، ويقدر جواب « إذا » بعد قوله ﴿ خالدين ﴾ والتقدير : - لرأوا فيها من النعيم ما لا يحيط به الوصف .
(٧) آية ٢٧ سورة الأنعام .
(٨) آية ٣٠ سورة الأنعام .
(٩) آية ١٢ سورة السجدة . وجواب « لو » فى الآيات الثلاثة : لرأيت أمراً عظيماً أو فظيعاً .
(١٠) ١٥٢ - المفتاح .

اللتيا والتي^(١) أى المشار إليه بهما ، وهى المحنة والشدائد قد بلغت شدتها وفظاعة شأنها مبلغاً يهتُ الواصف معه حتى لا يجيب بنت شقة .

وإما غير ذلك^(٢) كقوله تعالى : ﴿ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ﴾^(٣) أى ومن أنفق من بعده وقاتل^(٤) بدليل ما بعده^(٥) .

ومن هذا الضرب قوله تعالى : ﴿ رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ﴾^(٦) لأن أصله « يا رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس مني شيباً » وعده السكاكى من القسم الثانى من الإيجاز على ما فسر^(٧) ؛ ذهاباً إلى أنه وإن اشتمل على بسط فإن انقراض الشباب وإلام المشيب جديران بأبسط منه ، ثم ذكر فيه لطائف يتوقف بيانها على النظر فى أصل المعنى ومرتبته الأولى ، ثم أفاد أن مرتبته الأولى « يا ربى قد شخت » فإن الشيوخوخة مشتملة على ضعف البدن وشيب الرأس ، ثم تركت هذه المرتبة لتوخي مزيد التقرير إلى تفصيلها فى « ضعف بدنى وشاب رأسى » ثم ترك التصريح بضعف بدنى إلى الكناية بـ « وهنت عظام بدنى » لما سيأتى أن الكناية أبلغ من التصريح ، ثم لقصد مرتبة رابعة أبلغ فى التقرير بنيت الكناية على المبتدأ^(٨) فحصل « أنا وهنت عظام بدنى » ثم لقصد مرتبة خامسة أبلغ أدخلت « إن » على المبتدأ فحصل « إني وهنت عظام بدنى » ثم لطلب تقرير أن الواهن عظام بدنه قُصد مرتبة سادسة ، وهى سلوك طريقى الإجمال والتفصيل ، فحصل « إني وهنت العظام من بدنى » ثم لطلب مزيد اختصاص العظام به قصدت مرتبة سابعة ؛ وهى ترك

(١) اللتيا تصغير التى ، ويكنى بها عن الداهية الكبيرة ، وبالتى عن الداهية الصغيرة وهو مثل أصله أن رجلاً من جدّيس تزوج امرأة قصيرة فقاسى منها شدائد ، وكان يعبر عنها بالتصغير ، ثم تزوج امرأة طويلة فقاسى منها شدائد أيضاً . فطلقها وقال : بعد اللتيا والتي لا أتزوج أبداً .

(٢) أى من أجزاء الجملة كالمسند إليه والمسند والمفعول ونحو هذا مما سبق فى أبوابه .

(٣) آية ١٠ سورة الحديد .

(٤) فالمحذوف فى ذلك الواو مع ما عطفت .

(٥) هو قوله : ﴿ أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ﴾ .

(٦) آية ٤ سورة مريم .

(٧) هو الذى يكون مقامه خليفاً بأبسط مما ذكر فيه - ١٥٥ ، ١٥٦ : المفتاح .

(٨) لأن ذلك من تقديم المبتدأ على الخبر الفعلى فيفيد تقوية الحكم .

توسيط البدن ، فحصل « إني وهنت العظام مني » ثم لطلب شمول الوهن العظام فرداً فرداً قصدت مرتبة ثامنة ، وهى ترك الجمع إلى الأفراد لصحة حصول وهن المجموع بوهن البعض دون كل فرد^(١) فحصل ما ترى^(٢) وهكذا تركت الحقيقة فى « شاب رأسى » إلى الاستعارة فى « اشتعل شيب رأسى » لما سيأتى أن الاستعارة أبلغ من الحقيقة ، ثم تركت هذه المرتبة إلى تحويل الإسناد إلى الرأس وتفسيره بـ « شيباً » ؛ لأنها أبلغ من جهات :

إحداها : إسناد الاشتمال إلى الرأس لإفادة شمول الشيب الرأس ؛ إذ وزان « اشتعل شيب رأسى » ، واشتعل رأسى شيباً « وزان » اشتعل النار فى بيتى ، واشتعل بيتى ناراً « والفرق بين نيرٍ .

وثانيها : الإجمال والتفصيل فى طريقي التمييز .

وثالثها : تنكير ﴿ شيباً ﴾ لإفادة المبالغة ، ثم ترك « اشتعل رأسى شيباً » لتوخى مزيد التقرير إلى « اشتعل الرأس منى شيباً » على نحو : ﴿ وهن العظم منى ﴾ ثم ترك لفظ ﴿ منى ﴾ لقرينة عطف ﴿ اشتعل الرأس ﴾ على ﴿ وهن العظم منى ﴾ لمزيد التقرير ، وهو إيهام حوالة تأدية مفهومة على العقل دون اللفظ .

ثم قال عقب هذا الكلام :

واعلم أن الذى فتق أكمام هذه الجهات عن أزاخير القبول فى القلوب هو مقدمة هاتين الجملتين ، وهى ﴿ رب ﴾ اختصرت ذلك الاختصار ؛ بأن حذفت كلمة النداء وهى « يا » وحذفت كلمة المضاف إليه وهى ياء المتكلم ، واقتصر من مجموع الكلمات على كلمة واحدة فحسب وهى المنادى ، والمقدمة لكلام كما لا يخفى على من له قدم صدق فى نهج البلاغة نازلة منزلة الأساس للبناء ، فكما أن البناء الحاذق لا يرى الأساس إلا بقدر ما يُقدَّر من البناء عليه ، كذلك البليغ يصنع مبدأ كلامه ، فمتى رأيت أنه قد اختصر المبدأ فقد آذنتك باختصار ما يورد « انتهى كلامه » .

(١) يعنى أنه لو قيل « وهن العظام منى » لصح مع وهن بعضها ؛ لأنه يكفى فى وهن المجموع وهن بعضه ، بخلاف ﴿ وهن العظم ﴾ لأن « ال » فيه للاستغراق فلا يخرج منه فرد من الأفراد .

(٢) أى قوله تعالى : ﴿ رب إني وهن العظم منى ﴾ .

وعليك أن تتنبه لشيء ، وهو أن ما جعله سبباً للعدول عن لفظ العظام إلى لفظ العظم فيه نظر ؛ لأننا لا نسلم بصحة حصول وهن المجموع بوهن البعض دون كل فرد^(١) فالوجه في ذكر العظم دون سائر ما تتركب منه البدن وتوحيده ما ذكره الزمخشري ؛ قال : إنما ذكر العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه ، وإذا وهن تداعى وتساقطت قوته ، ولأنه أشد ما فيه وأصلبه ، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن ، ووحده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية^(٢) وقصده إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تتركب منه الجسد قد أصابه الوهن ، ولو جمع لكان قصداً إلى معنى آخر ، وهو أنه لم يهن بعض عظامه ولكن كلها ، واعلم أن المراد بشمول الشيب الرأس أن يعم جملة ؛ حتى لا يبقى من السواد شيء أو لا يبقى منه إلا ما لا يعتد به .

والثاني :- أعني ما يكون جملة - إما مسببٌ ذكر سببه ، كقوله تعالى^(٣) ﴿ لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ ﴾ أى فعل ما فعل^(٤) وقوله : ﴿ وما كنت بجانب الطُّور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك ﴾^(٥) أى اخترناك ، وقوله : ﴿ ليدخل الله في رحمته من يشاء ﴾^(٦) أى كان الكف ومنع التعذيب ، ومنه قول أبي الطيب :

أتى الزمان بنوه فى شببته فسرهم وأتيناها على الهرم^(٧)

أى : فساءنا .

(١) لأنه إذا كانت « ال » فيه للاستغراق فلا فرق بين دخولها على الجمع ودخولها على المفرد ؛ لما سبق من أنه لا فرق بين استغراق الفرد واستغراق الجمع فى الإثبات .
(٢) بهذا يكون الحكم على حقيقة العظم وإن لزمه الحكم على أفرادها ، والحكم عليها لأجل إفادة ما ذكره الخطيب من أن قصده إلخ ، أما جمع العظام فيجعل الحكم على الأفراد من أول الأمر ، وتفوت به إفادة ذلك .

(٣) آية ٨ سورة الأنفال .

(٤) يجوز تعليق قوله : ﴿ ليحق ﴾ بيقطع من قوله قبله ﴿ يريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ﴾ فلا يكون فيه حذف .

(٥) آية ٤٦ سورة القصص .

(٦) آية ٢٥ سورة الفتح .

(٧) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبي الطيب المتنبي ، والضمير فى « بنوه » للزمان وأضافهم إليه لإقباله عليهم ، وشببته : أوله وهو مقبل ، وهرمه : آخره وهو مدبر .

أو بالعكس^(١) كقوله تعالى^(٢) : ﴿ فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم ﴾ أى فامتثلتم فتاب عليكم ، وقوله : ﴿ فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت ﴾^(٣) أى فضربه بها فانفجرت ، ويجوز أن يقدر « فإن ضربت بها فقد انفجرت »^(٤) .

أو غير ذلك^(٥) كقوله تعالى^(٦) : ﴿ فنعم الماهدون ﴾ على ما مر^(٧) .
والثالث^(٨) كقوله تعالى^(٩) : ﴿ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ﴾ أى فضربوه ببعضها فحيى فقلنا ﴿ كذلك يحيى الله الموتى ﴾ وقوله : ﴿ أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون ، يوسف ﴾^(١٠) أى فأرسلوني إلى يوسف لاستعبره الرؤيا ، فأرسلوه إليه فأتاه وقال له يا يوسف ، وقوله : ﴿ اذهبوا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً ﴾^(١١) . أى فأتيهم فأبلغاهم الرسالة فكذبوهما فدمرناهم ، وقوله : ﴿ فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين * أن أرسل معنا بنى إسرائيل * قال ألم نربك ﴾^(١٢) . أى فأتياه فأبلغاه ذلك ، فلما سمعه قال ﴿ ألم نربك ﴾ . ويجوز أن يكون التقدير : فأتياه فأبلغاه ذلك ، ثم يقدر : فماذا قال ؟ فيقع قوله ﴿ ألم نربك ﴾

(١) عكسه سبب ذكر مسبه .

(٢) آية ٥٤ سورة البقرة .

(٣) آية ٦٠ سورة البقرة .

(٤) فيكون المحذوف جزء جملة هو الشرط وأداته ، وإنما قدر « قد » فى الجواب لأجل

الفاء ، ولكن يلزم على مثل هذا التقدير أن يكون الجواب ماضياً لفظاً ومعنى مع أن الشرط مستقبل فى المعنى . اللهم إلا أن يكون ذلك على معنى فقد حكمنا بأنها انفجرت .

(٥) أى غير المسبب والسبب . (٦) آية ٤٨ سورة الذاريات .

(٧) فيكون التقدير « هم نحن أو نحن هم » وهذا على القول بأن المخصوص خبر مبتدأ

محذوف أو مبتدأ محذوف الخبر ، بخلاف قول من يجعله مبتدأ والجملة قبله خبره ، فإن المحذوف عليه فى الآية جزء جملة .

(٨) هو ما يكون أكثر من جملة .

(٩) آية ٧٣ سورة البقرة .

(١٠) آية ٤٥ ، ٤٦ سورة يوسف .

(١١) آية ٣٦ سورة الفرقان .

(١٢) آية ١٦ ، ١٧ ، ١٨ سورة الشعراء .

استثناءً ، ونحوه قوله : ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ * قالت يا أيها الملأ ﴿ (١) ﴾ أى ففعل ذلك فأخذت الكتاب فقرأته ، ثم كأن سائلا سأل فقال : فماذا قالت ؟ فقيل : ﴿ قالت يا أيها الملأ ﴾ وأما قوله تعالى ﴿ (٢) ﴾ : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ فقال الزمخشري فى تفسيره : هذا موضع الفاء ، كما يقال « أعطيته فشكر ومنعته فصبر » ، وعطفه بالواو إشعاراً بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما العلم ، كأنه قال : فعلا به وعلمنا وعرفنا حق النعمة فيه والفضيلة ﴿ وقالوا الحمد لله ﴾ وقال السكاكى ﴿ (٣) ﴾ : يحتمل عندى أنه تعالى أخبر عما صنع بهما وعمّا قالاه ؛ كأنه قال : نحن فعلنا إيتاء العلم ، وهما فعلا الحمد من غير بيان ترتبه عليه اعتماداً على فهم السامع ﴿ (٤) ﴾ كقولك « قم يدعوك » بدل : قم فإنه يدعوك .

واعلم أن الحذف على وجهين : أحدهما : ألا يُقام شيء مقام المحذوف كما سبق (٥) . والثانى : أن يقام مقامه ما يدل عليه ؛ كقوله تعالى ﴿ (٦) ﴾ : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ﴾ ليس الإبلاغ هو الجواب لتقدمه على توليهم ؛ والتقدير « فَإِنْ تَوَلَّوْا فَلَا لَوْمَ عَلَى لَأْنِي قَدْ أَبْلَغْتُكُمْ » ، أو فلا عذر لكم عند ربكم لأننى قد أبليتكم . وقوله : ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ ﴿ (٧) ﴾ أى فلا تحزن واصبر فإنه قد كذبت رسل من قبلك ، وقوله : ﴿ وَإِنْ يَعْزُبُوا عَنْكَ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿ (٨) ﴾ أى فيصيبهم مثل ما أصاب الأولين ﴿ (٩) ﴾ .

وأدلة الحذف (١٠) كثيرة : منها أن يدل العقل على الحذف والمقصود الأظهر (١١)

(١) آية ٢٨ ، ٢٩ سورة النمل .

(٢) آية ١٥ سورة النمل .

(٣) ١٥١ : المفتاح .

(٤) على هذا لا يكون فيه حذف .

(٥) فيكفى فيه القرينة الدالة عليه ، والأمثلة السابقة كلها على هذا الوجه .

(٦) آية ٥٧ سورة هود . (٧) آية ٤ سورة فاطر .

(٨) آية ٣٨ سورة الأنفال .

(٩) أى فإنه قد قضت سنتهم ، كما صنع فى الآيتين السابقتين .

(١٠) يعنى الحذف الذى لا يقام فيه شيء مقام المحذوف ، لأنه هو الذى يحتاج إلى ذلك ،

بخلاف الحذف الذى يقام فيه شيء مقام المحذوف ، فإن ما يقام مقامه يدل عليه .

(١١) أى بحسب العرف المقرر فى استعمال الكلام .

على تعيين المحذوف ، كقوله تعالى^(١) : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَقَاتُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ ﴾ الآية ، وقوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْهَاتُكُمْ ﴾ الآية^(٢) فإن العقل يدل على الحذف لما مر^(٣) والمقصود الأظهر يرشدك إلى أن التقدير : حرم عليكم تناول الميتة وحرم عليكم نكاح أمهاتكم ؛ لأن الغرض الأظهر من هذه الأشياء تناولها ومن النساء نكاحهن .

ومنها أن يدل العقل على الحذف والتعيين ؛ كقوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾^(٤) أى أمر ربك أو عذابه أو بأسه ، وقوله ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾^(٥) أى عذاب الله أو أمره .

ومنها أن يدل العقل على الحذف والعادة على التعيين^(٦) كقوله تعالى^(٧) حكاية عن امرأة العزيز : ﴿ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴾ دل العقل على الحذف لأن الإنسان إنما يلام على كسبه ، فيحتمل أن يكون التقدير : فى حبه ، لقولهن^(٨) : ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ وأن يكون : فى مراودته ، لقولهن : ﴿ تَرَاوَدُّ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ وأن يكون : فى شأنه وأمره فيشملهما ، والعادة دلت على تعيين المراودة ؛ لأن الحب المفرط لا يلام الإنسان عليه فى العادة لقهره صاحبه وغلبته ، وإنما يلام على المراودة الداخلة تحت كسبه التى يقدر أن يدفعها عن نفسه .

ومنها أن تدل العادة على الحذف والتعيين ، كقوله تعالى^(٩) : ﴿ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَانَاكُمْ ﴾ مع أنهم كانوا أخبر الناس بالحرب ، فكيف يقولون إنهم لا يعرفونها ، فلا بد من حذف ؛ قدره مجاهد رحمه الله ؛ مكان قتال ، أى إنكم تقاتلون فى

(١) آية ٣ سورة المائدة .

(٢) آية ٢٣ سورة النساء .

(٣) من أن التحريم يتعلق بالأفعال لا بالذوات .

(٤) آية ٢٢ سورة الفجر . (٥) آية ٢١٠ سورة البقرة .

(٦) المراد بالعادة الأمر المقرر فى نفسه من غير نظر إلى دلالة الكلام عليه عرفاً ، كتقرر كون الحب المفرط لا يلام عليه ، وبهذا تفرق دلالة العادة على التعيين عن دلالة المقصود الأظهر عليه .

(٧) آية ٣٢ سورة يوسف .

(٨) آية ٣٠ سورة يوسف وكذلك ما بعده .

(٩) آية ١٦٧ سورة آل عمران .

موضع لا يصلح للقتال ويخشى عليكم منه ، ويدلُّ عليه أنهم أشاروا^(١) على رسول الله ﷺ ألا يخرج من المدينة وأن الحزم البقاء فيها .

ومنها الشروع فى الفعل ؛ كقول المؤمن « بسم الله الرحمن الرحيم » كما إذا قلت عند الشروع فى القراءة « بسم الله » فإنه يفيد أن المراد « بسم الله أقرأ » ، وكذا عند الشروع فى القيام أو القعود أو أى فعل كان ، فإن المحذوف يُقدَّر ما جعلت التسمية مبدأ له^(٢) .

ومنها اقتران الكلام بالفعل^(٣) فإنه يفيد تقديره ؛ كقولك لمن أعرس : « بالرفاء والبنين » فإنه يفيد : بالرفاء والبنين أعرست .

* * *

(١) الضمير فى هذا وفيما قبله للمنافقين المتخلفين عن غزوة أُحُد .

(٢) الحق أن الشروع فى الفعل يدل على تعيين المحذوف فقط ، والذى يدل على الحذف هو أن الجار والمجرور لا بد لهما من متعلِّق ، وهذا يرجع إلى العقل لا إلى الشروع فى الفعل .

(٣) هو كالشروع فى الفعل يدل على تعيين المحذوف فقط ، والعقل هو الذى يدل على الحذف كما دل عليه فى الشروع الفعل .

هذا وكل ما ذكره من الأدلة يدخل فى نوع القرائن الحالية ، وهناك أدلة أخرى منها القرائن اللفظية ، وهى أكثر وقوعاً من غيرها ، وقد سبقت أمثلتها فى أقسام الإيجاز بالحذف .

وهذه أمثله شعرية لبعض ما سبق من الإيجاز :

أرى بصرى قد خاننى بعد صحبة	وحسبك داء أن تصحَّ وتسلما
وإن هو لم يُحمَلْ على النفس ضيمها	فليس إلى حُسن الثناء سبيل
الأم مدرسة إذا أعددتها	أعددت شعباً طيب الأعراق

القسم الثالث : الإطناب

أقسام الإطناب : الإيضاح بعد الإبهام وفروعه : وهو إما بالإيضاح بعد الإبهام ؛ ليرى المعنى فى صورتين مختلفتين ، أو ليتمكن فى النفس فضل تمكن فإن المعنى إذا ألقى على سبيل الإجمال والإبهام ، تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح ، فتوجه إلى ما يرد بعد ذلك ، فإذا ألقى كذلك تمكن فيها فضل تمكن ، وكان شعورها به أتم ، أو لتكمل اللذة بالعلم به ، فإن الشئ إذا حصل كمال العلم به دفعة لم يتقدم حصول اللذة به ألم ، وإذا حصل الشعور به من وجه تشوقت النفس إلى العلم بالمجهول ، فيحصل لها بسبب المعلوم لذة ، وبسبب حرمانها من الباقي ألم ، ثم إذا حصل لها العلم به حصلت لها لذة أخرى ، واللذة عقيب الألم أقوى من اللذة التى لم يتقدمها ألم ، أو لتفخيم الأمر وتعظيمه ؛ كقوله تعالى (١) : ﴿ قال ربّ اشرح لى صدرى ﴾ ويسر لى أمرى ﴿ فإن قوله : ﴿ اشرح لى ﴾ يفيد طلب شرح لشيء ما له (٢) وقوله ﴿ صدرى ﴾ يفيد تفسيره وبيانه (٣) وكذلك قوله : ﴿ ويسر لى أمرى ﴾ والمقام مقتضى للتأكيد ، للإرسال (٤) المؤذن بتلقى المبكّره والشدائد ، وكقوله تعالى (٥) : ﴿ وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ﴾ ففى إبهامه (٦) وتفسيره تفخيم الأمر وتعظيم له .

(١) آية ٢٥ ، ٢٦ سورة طه .

(٢) لأن قوله ﴿ اشرح لى ﴾ فى تقدير : اشرح شيئاً لى ، ويجوز تعليق « لى » بأشرح ، فلا يكون فيه شاهد ، وهو الظاهر .

(٣) لو لم يطنب بهذا لقال « اشرح صدرى » ، والإطناب فى الآية يفيد ما سبق من الأغراض بقطع النظر عن كونه المخاطب به الله .

(٤) أى فى قوله قبله : ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى ﴾ واللام فى « الإرسال » للتعليل .

(٥) آية ٦٦ سورة الحجر .

(٦) أى إبهام الأمر ، وتفسيره بالمصدر المنسبك من « أن » واسمها وخبرها لأنه عطف بيان

أو بدل ، ولو لم يطنب لقال : « وقضينا إليه أن دابر إلخ » .

ومن الإيضاح بعد الإبهام باب « نعم وبئس » على أحد القولين^(١) إذ لو لم يُقصد الإطناب لقليل : « نعم زيد وبئس عمرو »^(٢) ووجه حسنه سوى الإيضاح بعد الإبهام أمران آخران :

أحدهما : إبراز الكلام في معرض الاعتدال نظراً إلى إطنابه من وجه وإلى اختصاره من آخر ، وهو حذف المبتدأ في الجواب^(٣) .

والثاني : إبهام الجمع بين المتنافيين^(٤) .

ومنه التوشيع ، وهو أن يؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين أحدهما معطوف على الآخر^(٥) كما جاء في الخبر : « يشيب ابن آدم ويشيب فيه خصلتان : الحرص وطول الأمل » ، وقول الشاعر :

سقتني في ليلٍ شبيهٍ بشعرها — شبيهةٌ خديها — بغير رقيب
فما زلتُ في ليلين : شعرٍ وظلمةٍ — وشمسين : من خمرٍ ووجهٍ حبيب^(٦)
وقول البحري :

لما مشين بذى الأراك تشابهاً — أعطافٌ قضيباً — إن به وقدود

(١) هو قول من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف ، ومثله قول من يجعله مبتدأ محذوف الخبر ، أما قول من يجعله مبتدأ والجملة قبله خبره فلا يكون عليه من الإيضاح بعد الإبهام ؛ لأن المخصوص فيه مقدم في التقدير .

(٢) الصواب « نعم الرجل وبئس الرجل » لأن فاعلها يجب أن يكون بال أو مضافاً إلى ما فيه « ال » أو ضميراً مفسراً بتميز .

(٣) لأنها جملة استئنافية واقعة في جواب سؤال مقدر كما سبق في الوصل والفصل :

(٤) هما الإيجاز بحذف المبتدأ والإطناب بالإيضاح بعد الإبهام ، وإنما كان ذلك إبهاماً لأنه لا تنافي بينهما في الحقيقة لعدم اتحادهما من كل وجه .

(٥) تقييد الإتيان بكونه في عجز الكلام وكونه بمثنى غير صحيح ؛ لأن التوشيع قد يأتي في أول الكلام وفي وسطه ، وقد يكون في الجمع ، وهذا والتوشيع مأخوذ من التوشيع وهي الطريقة في البرد . فكان الشاعر أهمل البيت كله إلا آخره فأتى فيه بطريقة تعد من المحاسن ، ولهذا يعده بعضهم من أنواع البديع .

(٦) هما لعبد الله بن المعتز ، وشبيهة خديها : الخمر في إشراقها ، والرقيب هو الذي يرقبهما ليكدر صفوهما ، والشاهد في قوله : (في ليلين) وفي قوله : (وشمسين) .

فى حَلَّتْى حَبِرُ وروضِ فالتقى وشيان : وَشَى رَبَّى ووشى بُرود

وسفرنَ فامتلات عيونَ راقها وَردان : ورد جنى وورد حدود (١)

ذكر الخاص بعد العام : وإما بذكر الخاص بعد العام (٢) للتنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنسه تنزيلاً للتغاير فى الوصف منزلة التغاير فى الذات؛ كقوله تعالى : ﴿ من كان عدواً لله وملائكته ورُسُلِهِ وجِبْرِيلَ ومِيكَالَ ﴾ (٣) وقوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمةٌ يدعونَ إلى الخيرِ ويأمرونَ بالمعروفِ وينهونَ عن المنكرِ ﴾ (٤) وقوله : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾ (٥) .

التكرير : وإما بالتكرير ، لنكتة ؛ كتأكيد الإنذار فى قوله تعالى (٦) : ﴿ كلا سوف تعلمون ﴾ ثم كلاً سوف تعلمون ﴿ وفى « ثم » دلالة على أن الإنذار الثانى أبلغ وأشد (٧) وكزيادة التنبيه على ما ينفى التهمة ليكمل تلقى الكلام بالقبول كما فى قوله تعالى (٨) : ﴿ وقال الذى آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد . يا قوم إنما

(١) هى للوليد بن عبيد المعروف بالبحترى ، وذو الأراك موضع ، والأعطاف جمع عطف وهو الجنب ، والقضبان : الأغصان ، والقُدود : القامات ، قوله « فى حلتى » متعلق بمحذوف تقديره « مشين » بدليل ما قبله ، والحلة كل ثوب جديد أو الثوب عموماً ، والخبر . ضرب من برود اليمن ، والوشى : النقش ، والربرى : جمع ربوة وهى ما ارتفع من الأرض ، ووشىها : نبثها ، والبرود جمع برد وهو ثوب مخطط وقوله « سفرن » بمعنى أظهرن الوجوه معطوف على مشين المحذوف فى البيت قبله ، والجنى مصدر « جنى الثمر » تناوله من شجرته ، وورد حدود من إضافة المشبه به للمشبه ، والشاهد فى قوله (وشيان) فى البيت الثانى وفى قوله (وردان) فى البيت الثالث .

(٢) يجب أن يكون هذا بطريق العطف ، وإلا كان من باب الإيضاح بعد الإبهام .

(٣) آية ٩٨ سورة البقرة . (٤) آية ١٠٤ سورة آل عمران .

(٥) آية ٢٣٨ سورة البقرة .

(٦) آية ٣ و ٤ سورة التكاثر .

(٧) سبق فى الفصل أن الزمخشري جعله تأسيساً لا تأكيداً ليصح عطفه على ما قبله ، ولكن هذا لا يمنع أنه مع مغايرته له يفيد تأكيده ؛ لأنه يكفى فيه التكرير فى اللفظ ، والتغاير بينهما ليس إلا بأن الثانى أبلغ فى الإنذار ، وقد نزل فى ذلك بعد المرتبة منزلة بعد الزمان ، واستعملت فيه « ثم » للدلالة على التدرج فى الارتقاء .

(٨) آية ٣٨ و ٣٩ سورة غافر .

هذه الحياة الدنيا متاعٌ ﴿ وقد يكرر اللفظ لطول في الكلام ؛ كما في قوله تعالى (١) : ﴿ ثم إن ربك للذين عملوا السوءَ بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ﴾ وفي قوله تعالى (٢) : ﴿ ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما قُتِلُوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ﴾ وقد يكرر لتعدد المتعلق ؛ كما كرره الله تعالى من (٣) قوله : ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ (٤) لأنه تعالى ذكر نعمةً بعد نعمة وعقب كل نعمة بهذا القول (٥) ومعلوم أن الغرض من ذكره عقيب نعمة غير الغرض من ذكره عقيب نعمة أخرى ، فإن قيل : قد عقب بهذا القول ما ليس بنعمة ، كما في قوله : ﴿ يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ﴾ (٦) وقوله : ﴿ هذه جهنم التي يكذبُ بها المجرمون ، يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ (٧) قلنا : العذاب وجهنم وإن لم يكونا من آلاء الله تعالى فإن ذكرهما ووصفهما - على طريق الزجر عن المعاصي والترغيب في الطاعات - من آلائه تعالى (٨) ونحوه قوله : ﴿ ويلٌ يؤمئذ للمكذبين ﴾ (٩) لأنه تعالى ذكر قصصاً مختلفة وأتبع كل قصة بهذا القول ، فصار كأنه قال عقب كل قصة : ويل يؤمئذ للمكذبين بهذه القصة .

(والإيغال) : وإما بالإيغال ، واختُلف في معناه ، فقليل : هو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها ؛ كزيادة المبالغة في قول الخنساء :

وإن صخرًا لتأتُم الهدأةُ به كأنه علمٌ في رأسه نارٌ (١٠)

-
- (١) آية ١١٩ سورة النحل .
(٢) آية ١١٠ سورة النحل .
(٣) من : بيان لما في قوله « كما كرره » لأنها اسم موصول .
(٤) آية ١٣ سورة الرحمن .
(٥) أى قوله : ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ (٦) آية ٣٥ سورة الرحمن .
(٧) آية ٤٣ ، ٤٤ سورة الرحمن .
(٨) يمكن أن يجاب أيضاً بأن الاستفهام في قوله ﴿ فبأى آلاء ﴾ ليس استفهاماً حقيقياً عن نعمة سابقة ، وإنما هو تهديد على جهة نعمة مطلقاً ، فتكون مناسبتة لما قبله من ترهيب أقوى من غيره .

- (٩) آية ١٥ سورة المرسلات .
(١٠) هو لثماضر بنت عمرو المعروفة بالخنساء ، وقولها « لتأتُم » بمعنى لتقتدى ، والهدأة: الذين يهدون الناس ، وإذا اقتدت الهدأة به فالمهتدون بهم من باب أولى . وهذا البيت من قصيدة لها في رثاء أخيها صخر .

لم ترض أن تشبهه بالعلم الذى هو الجبل المرتفع المعروف بالهداية حتى جعلت
فى رأسه ناراً^(١) وقول ذى الرمة :

قف العيس فى أطلال مية وأسأل رسوماً كأخلاق الرداء المسلسل^(٢)
أظن الذين يُجدى عليك سؤالها دموعاً كتبذير الجمال المفصل^(٣)

وكتحقيق التشبيه^(٤) فى قول امرئ القيس :

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذى لم يُثقب^(٥)

فإنه لما أتى على التشبيه قبل ذكر القافية واحتاج إليها جاء بزيادة حسنة فى قوله
« لم يثقب » لأن الجزع إذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون . ومثله قول زهير :

كأن فتات العهن فى كل منزل نزلن به حبُّ الفنا لم يحطم^(٦)

فإن حب الفنا أحمر الظاهر أبيض الباطن ، فهو لا يشبه الصوف الأحمر إلا ما
لم يحطم . وكذا قول امرئ القيس :

(١) فقولها « فى رأسه نار » محل الشاهد ؛ لأن قوله « كأنه علم » وافٍ بالمقصود وهو
تمثيل المعقول بالمحسوس ، فزيد عليه ذلك لزيادة المبالغة فى التشبيه .

(٢) هو لعلان بن عقبة المعروف بذى الرمة ، والعيس : الإبل يخالط بياضها سواد خفيف
جمع أعيس ، والأطلال : جمع طلل وهو الشاخص من الآثار بخلاف الرسوم ، والأخلاق :

جمع خلق وهو البالى ، والمسلسل : الردىء النسج .

(٣) قوله « يجدى » بمعنى يعطى ويفيد ، وعائد الموصول محذوف والتقدير : يجديه ،
والتبذير : التفريق ، والجمال المفصل : اللؤلؤ المنظم . يعنى أنها لا تحجب سؤاله ، فيكى لأنه لم
يعلم مكان محبوبته ، وزيادة المبالغة بالوصفين (المسلسل والمفصل) .

(٤) المراد به إثبات التساوى بين الطرفين ، وبهذا يختلف عن زيادة المبالغة فى بيت
الخنساء ؛ لأن الغرض منها بيان علو المشبه به فى وجه الشبه ليعلو المشبه الملحق به .

(٥) هو لحنج بن حُجر المعروف بامرئ القيس ، والمراد بالوحش : الظباء وبقر الوحش
التي يصيدونها ويرمون عيونها حول خبائهم ، والخباء : ما كان من وبر أو صوف لا شعر وقام
على عمودين أو ثلاثة ، وما فوق هذا يقال له بيت ، والأرحل : جمع رحل وهو المنزل
والمأوى . والجزع : خرز فيه سواد وبياض على شكل دوائر .

(٦) سبق هذا البيت فى ص ١٠٢ من هذا الجزء .

حَمَلْتُ رُدَيْنِيَا كَانَ سَنَانُهُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانٍ^(١)

كما سيأتي (٢) .

وقيل : لا يختص بالنظم ، ومثّل بقوله تعالى^(٣) ﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ .

(التذييل) : وإما بالتذييل وهو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها^(٤) للتوكيد^(٥) وهو ضربان :

* ضرب لا يخرج مخرج المثل لعدم استقلاله بإفادة المراد وتوقفه على ما قبله ، كقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ جَزِينَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾^(٦) « إِن قُلْنَا : إن المعنى وهل نُجَازِي ذلك الجزء^(٧) وقال الزمخشري : وفيه وجه آخر وهو أن الجزء عام لكل مكافأة ، ويستعمل تارة في معنى العقوبة ، وأخرى في معنى الإثابة ، فلما استعمل في معنى العقوبة في قوله : ﴿ جَزِينَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا ﴾ بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل : ﴿ وهل نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ بمعنى وهل نعاقب^(٨) ، فعلى هذا يكون من الضرب الثاني^(٩) .

(١) هو لحنج بن حُجر المعروف بامرئ القيس ، والرديني : رمح منسوب إلى رُدَيْنَة وهي امرأة كانت تقوّم الرماح ، وسنا اللهب : ضوءه ، والشاهد في قوله « لم يتصل بدخان » .
(٢) في التشبيه من علم البيان .

(٣) آية ٢١ سورة يس فقوله ﴿ وهم مهتدون ﴾ إيغال ؛ لأنه يتم المعنى بدونه لاهتداء الرسل قطعاً ، والغرض منه زيادة الحث على اتباعهم .

(٤) المراد باشتغالها على معناها : إفادتها بفحواها لما هو مقصود من الأولى لا دلالتها عليه بالمطابقة ، إن هذا هو التكرير السابق ، ويشترط في الجملة الثانية ألا يكون لها محل من الإعراب ، وقيل : إن هذا غير شرط ، والفرق بين التذييل والإيغال : أن التذييل لا يكون إلا بجملة ويقصد منه التوكيد خاصة ، بخلاف الإيغال .

(٥) المراد بالتوكيد هنا معناه اللغوي وهو التقوية ، أما التوكيد في التكرير السابق فهو بمعناه الاصطلاحي .
(٦) آية ١٧ سورة سبأ .

(٧) أي السابق وهو جزء الاستئصال لوروده في أهل سبأ الذين استئصلوا بالعقوبة ، فهو جزء خاص بخلافه على ما سينقله عن الزمخشري .

(٨) فالجزء بمعنى العقاب عام هنا بخلافه على الوجه الأول .

(٩) لاستقلاله عما قبله . وقيل : إنه على هذا من الضرب الأول أيضاً .

وقول الحماسى :

فدعوا : نزال ، فكنت أول نازل وعَلامَ أركبُه إذا لم أنزل^(١)

وقول أبى الطيب :

وما حاجة الأظعان حولك فى الدجى إلى قمرٍ ما واجدٌ لك عادمه^(٢)

وقوله أيضاً :

تُسمى الأمانى صَرَعى دون مبلغه فما يقول لشيء : لَيْتَ ذلك لى^(٣)

وقول ابن نباتة السعدى :

لم يُبق جودك لى شيئاً أوْملُه تركتني أصحاب الدنيا بلا أمل^(٤)

قيل : نظر فيه إلى قول أبى الطيب ، وقد أربى عليه فى المدح والأدب مع الممدوح ؛ حيث لم يجعله فى حيز من تمنى شيئاً^(٥) .

(١) هو لريعة بن مقروم الضبى ، وقوله « نزال » اسم فعل أمر بمعنى أنزل ، والمراد النزول إلى الحرب ، والتذييل بقوله : « وعَلامَ الخ » .

(٢) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى ، و « ما » نافية ، والأظعان جمع ظعينة وهى المرأة فى اليهودج ، والدجى : جمع دجية وهى الظلمة ، وعادمه : فاقده ، والمعنى : أنهم لا يحتجن فى الدجى إلى قمر مع وجودها لأنها تقوم مقامه ، والتذييل بقوله : « ما واجد لك عادمه » و « ما » فيه مصدرية ظرفية ، وواجد خبر مقدم ، وعادمه مبتدأ مؤخر .

(٣) الأمانى : جمع أمنية وهى ما يتمنى ويطلب ، وصرعى : جمع صريع من « صرعه » بمعنى طرحه على الأرض ، وقوله « دون مبلغه » بمعنى دون بلوغها له يعنى أن ممدوحه سيف الدولة لا يحتاج أن يتمنى شيئاً لأنه لا ينقصه شيء . والتذييل : بقوله : « فما يقول » إلخ .

(٤) هو لعبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد بن نباتة التميمى السعدى . وهذا هو نسبه فى « وفيات الأعيان » وفى « اليتيمة » أنه عبد العزيز بن محمد بن نباتة ، ووفيات الأعيان أدق فى باب النسب ، وقوله « أصحاب الدنيا » بمعنى أعيش فيها ، أو هى استعارة بالكناية بتشبيه الدنيا برجل يصاحب .

(٥) فهو لم يجعل لممدوحه أمانى ، أما أبو الطيب فقد جعل لممدوحه أمانى وإن جعلها غير متعذرة عليه ، ويجوز أن تكون الأمانى فى بيته بمعناها المصدرى وأن يكون قوله « دون مبلغه » بمعنى دون بلوغها له ، فلا يكون ممدوحه أيضاً فى حيز من تمنى شيئاً .

* وضربٌ يخرج مخرج المثل ؛ كقوله تعالى : ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطلُ إن الباطل كان زهوقاً ﴾ ^(١) وقول الذبياني :

ولست بمستبقٍ أخاً لا تلمهُ على شعثٍ ، أى الرجال المهذب؟ ^(٢)
وقول الخطيئة :

تزور فتى يعطى على الحمد ماله ومن يعطى أثمان المكارم يحمد ^(٣)
وقد اجتمع الضربان فى قوله تعالى ^(٤) : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ﴾ * كل نفس ذائقة الموت ﴿ فإن قوله : ﴿ أفإن مت فهم الخالدون ﴾ من الأول ، وما بعده ^(٥) من الثانى ، وكل منهما تذييل على ما قبله .
وهو أيضاً إما لتأكيد منطوق كلام ^(٦) كقوله تعالى : ﴿ وقل جاء الحق ﴾ الآية ^(٧) .
وإما لتأكيد مفهومه ^(٨) كبيت النابغة ^(٩) : فإن صدره دل بمفهومه على نفى الكامل من الرجال ، فحقق ذلك وقرره بعجزه .

(١) آية ٨١ سورة الإسراء .

(٢) هو لزيادة بن عمرو المعروف بالنابغة الذبياني يخاطب النعمان بن المنذر ، وقوله « لا تلمه » بمعنى لا تصمه . والشعث : فى انتشار شعر الرأس وتغيره فتكثر أوساخه ، والمراد به هنا العيب على سبيل الاستعارة ، والشاهد فى قوله « أى الرجال المهذب؟ » وهو استفهام إنكارى .
(٣) هو لجروول بن أوس المعروف بالخطيئة ، وضمير « تزور » لناقته ، فى قوله قبله :
فما زالت العوجاء تجرى ضفورها إليك ابن شماس تروح وتغتدى
ويريد بالحمد : الثناء عليه ، وبالمكارم : المحامد من الشعراء له ، وهو من قصيدة له فى مدح بغيص بن عامر بن شماس ، ومطلعها :

أثرت إدلاجى على ليل حرة مضمين الحشا حسنة المتجرد
(٤) آية ٣٤ ، ٣٥ سورة الأنبياء . (٥) هو ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ .

(٦) المراد بالمنطوق المعنى الذى نطق بلفظه ، بأن تشترك ألفاظ الجملتين مع اختلاف النسبة فيهما حتى لا يكون من التكرير السابق . (٧) آية ٨١ سورة الإسراء .
(٨) المراد بالمفهوم المعنى الذى لم يُنطق بلفظه ، وهذا اصطلاح فى المنطوق والمفهوم غير اصطلاح الأصوليين .
(٩) هو قوله السابق :

ولست بمستبقٍ أخاً لا تلمه على شعثٍ أى الرجال المهذب ؟

(التكميل) : وإما بالتكميل ويسمى الاحتراس أيضاً ، وهو أن يؤتى في كلام
يُوهِمُ خلاف المقصود بما يدفعه ، وهو ضربان :

* ضرب يتوسط الكلام ؛ كقول طرفه :

فسقى ديارك - غير مفسدها - صوب الربيع وديمة تهمة (١)

وقول الآخر :

لو أن عزة خاصمت شمس الضحى في الحُسن عند موقِّ لقضى لها (٢)

إذ التقدير : « عند حاكم موق » ؛ فقوله « موق » تكميل (٣)

وقول ابن المعتز :

صَبَّيْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سَيَاطِنًا فطارت بها أيد سراعٍ وَأَرْجُلُ (٤)

* وضرب يقع في آخر الكلام ، كقوله تعالى : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم
ويحبونه أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٥) فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة

(١) هو لعمر بن العبد المعروف بطرفة ، والخطاب في قوله « ديارك » لممدوحه وهو قتادة
بن مَسْلَمَةَ الحنفي ، والصوب : المطر ، والديمة : المطر المسترسل ، وقوله « تهمة » بمعنى
تسيل . والاحتراس في قوله « غير مفسدها » لأن المطر المسترسل قد يُخرب الديار ، ومن أجل
هذا عيب قول الشاعر :

أَلَا يَا اسْلَمَى يَا دَارَ مَيِّ عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مِنْهَا لَاجِرُ عَائِكَ الْقَطَرُ

وقيل : إنه لا عيب فيه لأن الدعاء قرينة على إرادة ما لا يضر ، وللشاعر أن يكتفى بذلك
فلا يحترس وألاً يكتفى به فيضم إليه الاحتراس .

(٢) هو لكثير بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزة ، وقوله « لقضى لها » بمعنى حكم لها
بأنها أحسن من الشمس . (٣) إذ ليس كل من يحاكم إليه موقفاً .

(٤) هو لعبد الله بن المعتز ، والضمير في « عليها » للخيل في قوله قبله :

وخیل طواها السیر حتی کأنها أنابی سمر من قنا الخط ذبل

والسياط : جمع سوط ، وصبها عليها استعارة لضربها بها ، والاحتراس في قوله « ظالمين »
لأن ضربها يكون غالباً من ثقل في السير فدفعه بذلك . وقوله « وأرجل » أي سريعة ، فحذف
من الثاني لدلالة الأول على سبيل الاكتفاء .

(٥) آية ٥٤ سورة المائدة .

على المؤمنين لُتُوهُمْ أن ذلتهم لضعفهم، فلما قيل «أعزة على الكافرين» علم أنها منهم تواضع لهم، ولذا عدى الذل بعلی^(١) لتضمنيه معنى العطف ؛ كأنه قيل : عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع، ويجوز أن تكون التعدية بعلی لأن المعنى أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم^(٢) .

ومنه قول ابن الرومي فيما كتب به إلى صديق له : « إني وليك الذي لا يزال تنقاد إليك مودته عن غير طمع ولا جزع ، وإن كنت لذى الرغبة مطلبا ، ولذى الرهبة مهربا » .

وكذلك قول الحماسي :

رهنتُ يدي بالعجز عن شكر برِّه وما فوقَ شكرى للشُّكور مزيدٌ^(٣)

وكذا قول كعب بن سعد الغنوي :

حليمٌ إذا ما الحلمُ زين أهله مع الحلم في عين العدو مهيبٌ^(٤)

فإنه لو اقتصر على وصفه بالحلم لأوهم أن حلمه عن عجز فلم يكن صفة مدح، فقال « إذا ما الحلم زين أهله » فأزال هذا الوهم ، وأما بقية البيت فتأكيد للآزم ما يفهم من قوله « إذا ما الحلم زين أهله » من كونه غير حليم حين لا يكون الحلم

(١) مع أنه يتعدى باللام ، فيقال « ذلَّ له » .

(٢) على هذا لا يكون في « أدلة » تضمين كما في الأول ، وإنما يكون التجوز في استعمال « على » موضع اللام ، للإشارة إلى أن لهم رفعة واستعلاء على غيرهم من المؤمنين ، وأن تذللهم تواضع منهم لا عجز .

(٣) هو من أبيات « الحماسة » ولا يعلم قائله وبعده :

ولو كان مما استطاع استطعته ولكنَّ ما لا استطاع شديدٌ

والرهن بمعنى الحبس . والمراد أنه حبس نفسه من إطلاق الجزء وإرادة الكل . والبر : الإحسان ، والاحتراس في قوله « وما فوق شكرى الخ » لأنه دفع به ما يوهم عجزه عن شكره من أنه لم يقيم بشيء منه ، فأفاد أن شكره مع هذا ليس للمبالغة في الشكر زيادة فوقه .

(٤) حليم : خبر مبتدأ تقديره هو . وقوله « إذا ما الحلم زين أهله » يريد به أنه لا يحلم إلا في موطن الحلم ، ومهيب خبر ثان ، وما قبله متعلق به . والتقدير : « مهيب مع الحلم ، في عين العدو » والبيت من قصيدة له في رثاء أخيه أبي المغوار . وفيها يقول :

فقلتُ ادعُ أخرى وارفع الصوتَ جهره لعلَّ أبا المغوار منك قريبٌ

زِينًا لِأَهْلِهِ ، فَإِنَّهُ مَنْ لَا يَكُونُ حَلِيمًا حِينَ لَا يَحْسُنُ الْحَلْمَ لِأَهْلِهِ يَكُونُ مَهِيًّا فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ لَا مُحَالَةً ، فَعَلِمَ أَنَّ بَقِيَّةَ الْبَيْتِ لَيْسَتْ تَكْمِيلًا كَمَا زَعَمَ بَعْضُ النَّاسِ (١) .
وَمِنْهُ قَوْلُ الْحَمَاسِيِّ :

وَمَا مَاتَ مَنْ سَيِّدٌ فِي فِرَاشِهِ وَلَا طُلَّ مَنْ أَمَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلًا (٢)
فَإِنَّهُ لَوْ اقْتَصَرَ عَلَى وَصْفِ قَوْمِهِ بِشُمُولِ الْقَتْلِ إِيَّاهُمْ ؛ لِأَوْهَمَ أَنَّ ذَلِكَ لَضَعْفُهُمْ وَقَتْلُهُمْ ؛ فَأَزَالَ هَذَا الْوَهْمَ بِوَصْفِهِمْ بِالْإِنْتِصَارِ مِنْ قَاتِلِهِمْ .
وَكَذَا قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ :

أَشَدُّ مِنَ الرِّيحِ الْهُوجُ بِطُشًا وَأَسْرَعُ فِي الْبُغْيِ مِنْهَا هُبُوبًا (٣)
فَإِنَّهُ لَوْ اقْتَصَرَ عَلَى وَصْفِهِ بِشِدَّةِ الْبُطْشِ لِأَوْهَمَ ذَلِكَ أَنَّهُ عَنُفٌ كُلُّهُ وَلَا لُطْفَ عِنْدِهِ ، فَأَزَالَ هَذَا الْوَهْمَ بِوَصْفِهِ بِالسَّمَاخَةِ ، وَلَمْ يَتَجَاوَزْ فِي ذَلِكَ كُلِّ صِفَةِ الرِّيحِ الَّتِي شَبَّهَ بِهَا ، وَقَوْلُهُ « وَأَسْرَعُ فِي الْبُغْيِ مِنْهَا هُبُوبًا » ؛ كَأَنَّهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) : « كَانَ عِلْوُ النَّاسِ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ كَانَ كَالرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ » (٤) .

(التَّمْيِيمُ) : وَإِنَّمَا بِالْتَّمْيِيمِ ، وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى فِي كَلَامٍ لَا يَوْهَمُ خِلَافَ الْمَقْصُودِ

(١) عَلَى هَذَا تَكُونُ مِنَ التَّذْيِيلِ ، وَلَعَلَّهُ يَعْنِي بِيَعُضِ النَّاسِ صَاحِبَ « حَسَنِ التَّوَسُّلِ » فَقَدْ ذَكَرَ أَنَّهُ رَأَى أَنَّ مَدْحَهُ بِالْحَلْمِ وَحْدَهُ غَيْرُ كَامِلٍ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَعْرِفْ مِنْهُ إِلَّا الْحَلْمَ طَمَعَ فِيهِ عَدُوُّهُ ، فَقَالَ « مَعَ الْحَلْمِ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ مَهِيٌّ » .

(٢) هُوَ لِلْسُّمُوءِ بَنِ عَادِيَاءَ ، وَقَوْلُهُ « وَمَا مَاتَ مَنْ سَيِّدٌ فِي فِرَاشِهِ » كَنَائِيَةٌ عَنْ كَوْنِهِ لَمْ يَمُتْ إِلَّا مُقْتُولًا فِي الْحَرْبِ ، وَقَوْلُهُ « طُلَّ » : بِمَعْنَى أَهْدَرَ دَمَهُ وَلَمْ يَقْتَصِرْ لَهُ ، وَقَدْ كَمَلَ حَسَنُ مَا أَتَى بِهِ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ « حَيْثُ كَانَ » لِأَنَّهُ أَبْلَغَ فِي الشَّجَاعَةِ .

(٣) هُوَ لِأَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمَعْرُوفِ بِأَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ ، وَأَشَدُّ : خَيْرٌ مُبْتَدَأُ مُحَذُوفٍ تَقْدِيرُهُ هُوَ أَيْ الْمَمْدُوحُ ، وَالْهُوجُ : جَمْعُ هُوجَاءَ وَهِيَ الرِّيحُ الَّتِي لَا تَسْتَوِي فِي هُبُوبِهَا وَتَقْلَعُ الْبُيُوتَ مِنْ شِدَّتِهَا .

وَالْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ فِي مَدْحِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ سِيَّارٍ وَمُطْلَعُهَا :

ضُرُوبُ النَّاسِ عَشَاقُ ضُرُوبٍ فَأَعْذَرُهُمْ أَشْفَهُهُمْ حَبِيبًا

(٤) عَلَى هَذَا يَكُونُ فِي الْبَيْتِ اقْتِبَاسٌ ، وَهُوَ مِنَ الْمُحْسِنَاتِ الْآتِيَةِ فِي عِلْمِ الْبَدِيعِ .

بفضلة تفيد نكتة^(١) كالمبالغة في قوله تعالى : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ﴾^(٢) أى مع حبه ، والضمير للطعام أى مع اشتهاؤه والحاجة إليه ، ونحوه : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾^(٣) وكذا : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ ﴾^(٤) وعن فضيل بن عياض : « على حب الله^(٥) فلا يكون مما نحن فيه^(٦) .

وفى قول الشاعر :

إِنِّي عَلَى مَا تَرَيْنَ مِمَّنْ كَبَرَى أَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ تَوَكَّلَ الْكَتْفُ^(٧)

وفى قول زهير :

مَنْ يَلْقَى يَوْمًا - عَلَى عِلَاتِهِ - هَرِمًا يَلْقَى السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا^(٨)

(١) المراد بالفضلة المفعول ونحوه لا يتم أصل المعنى بدونه ؛ لأن هذا لا بد منه فى كل أنواع الإطناب ولا يختص بالتميم ، وبهذا يكون التتميم أخص من الإيغال من هذه الناحية لأنه لا يتقيد بها ، ويكون أعم منه من ناحية أنه قد يكون فى غير الآخر بخلاف الإيغال ، ويسمى التتميم « التمام » أيضاً .

(٢) آية ٨ سورة الانسان

(٣) آية ١٧٧ سورة البقرة .

(٤) آية ٩٢ سورة آل عمران .

(٥) فيكون الضمير لله لا للطعام .

(٦) لأن معناه على هذا يدخل فى أصل المراد فلا يكون إطناباً ، وإنما دخل فى أصل المراد لأن الإنفاق لا يمدح شرعاً إلا إذا كان لله لا لرباء ونحوه ، ولا يرد مثل هذا فى الآية الثالثة ؛ لأن أصل المعنى يتم عند قوله : ﴿ حَتَّى تُنْفِقُوا ﴾ .

(٧) لا يعلم قائله ، وقوله « أَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ تَوَكَّلَ الْكَتْفُ » خبر « إن » وهو كناية عن أنه داهية ؛ لأن الكتف تؤكل من أسفلها ويشق أكلها من أعلاها ، وقوله « على ما ترين من كبر » تميم يقصد منه المبالغة أيضاً .

(٨) هو من قصيدة له فى مدح هَرَمِ بن سنان ، والشاهد فى قوله « على علاته » والعلات جمع علة ، هى ما ينوبه من قلة ذات يد وعوز ، وعطف الندى على السماحة عطف تفسير ، ومن ينكر عطف التفسير يجعل ذلك حشواً ، وقوله « خُلُقًا » بمعنى الطبع الذى لا تكلف فيه .

الاعتراض :

وإما بالاعتراض ، وهو أن يؤتى فى أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى^(١) بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة سوى ما ذكر فى تعريف التكميل^(٢) كالتنزيه والتعظيم^(٣) فى قوله تعالى :

﴿ ويجعلون لله البنات - سبحانه - ولهم ما يشتهون ﴾^(٤).

والدعاء فى قول أبى الطيب :

وتحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل ما فيها - وحاشاك - فانيا^(٥)

فإن قوله « وحاشاك » دعاء حسن فى موضعه .

ونحوه قول عوف بن محمّل الشيبانى :

(١) بأن يكون ثانيهما تأكيداً للأول أو بياناً له أو بدلاً منه أو معطوفاً عليه .

(٢) ما ذكر فى تعريف التكميل هى نكتة دفع الإيهام ، وغير دفع الإيهام يشمل التوكيد ، فيدخل فيما يأتى له الاعتراض ، والاعتراض على هذا التعريف يبين الإيغال لأنه لا يكون إلا فى آخر الكلام ، وكذلك التتميم لأنه فضلة فله محل من الإعراب ، وكذلك التكميل ؛ لأنه لنكتة دفع الإيهام ، ويشمل الاعتراض بعض صورة التذيل ؛ فيجتمعان فى كل جملة معترضة مشتملة على معنى ما قبلها ؛ لأنها تكون لنكتة التوكيد فتكون من الاعتراض والتذيل .

(٣) مثال للنكتة التى هى غير ما ذكر فى تعريف التكميل .

(٤) آية ٥٧ سورة النحل والاعتراض فى الآية : بقوله : ﴿ سبحانه ﴾ وهو جملة لأنه

مصدر نائب عن فعله .

(٥) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى ، والضمير فى قوله « تحتقر »

لكافور الإخشيدى ، والمجرب : الذى جرب الأمور وعرفها ، والاستثناء اعتراض بين المفعولين ، وهو استثناء لممدوحه مما يقضى ؛ لأن ذكره يبقى فى الدنيا والمستثنى منه « ما فيها » ، و« حاشا »

على هذا فعلية فتكون جملة ، والبيت من قصيدة له فى مدح كافور ، وقبلة :

فقد تهب والجيش الذى جاء غازياً لسائلك الفرد الذى جاء عافياً

إن الثمــــــــــــــــانين - وبلغتها - قد أحوجتُ سَمْعِي إلى تَرْجُمان^(١)

والتنبيه في قول الشاعر :

واعلم - فعلمُ المرء ينفعه أن سوف يأتي كلُّ ما قدرا^(٢)

وتخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد في أمر عُلّق بهما كقوله تعالى^(٣) :
﴿ووصّينا الإنسان بوالديه ، حملته أمه وهنّاً على وهن وفصاله في عامين ، أن اشكركم لي ولوالديك﴾ .

والمطابقة مع الاستعطاف ، في قول أبي الطيب :

وخفوق قلبٍ لو رأيتَ لهيبه « يا جنتي » لرأيتَ فيها جهنما^(٤)

والتنبيه على سبب أمرٍ فيه غرابة ؛ كما في قول الآخر :

فلا هجره يبدو وفي اليأس راحة ولا وصله يبدو لنا فنكارمه^(٥)

فإن قوله « فلا هجره يبدو » يُشعر بأن هجر الحبيب أحد مطلوبيه ، وغريب أن

(١) نسبة عوف إلى شيبان خطأ ؛ لأنه خزاعي من بني سعد ، والشيباني غيره ، كما جاء في طبقات ابن المعتز ، وهو يخاطب بذلك عبد الله بن طاهر ، وكان قد دخل عليه فسلم عليه عبد الله فلم يسمع لضعفه وكبره ، والترجمان : في الأصل الذي يفسر لغة بأخرى ، والمراد به هنا مطلق المفسر والمكرر . والشاهد في قوله « وبلغتها » لأنها دعاء أيضاً .

(٢) أنشد هذا البيت أبو علي الفارسي ولم يعزه لأحد ، والشاهد في قوله « فعلم المرء ينفعه » . وأن : مخففة من الثقيلة ، وهي وما بعدها في تأويل مصدر مفعول « اعلم » .

(٣) آية ١٤ سورة لقمان . والمذكوران في الآية الوالدان ، وأحدهما الأم .

(٤) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبي الطيب المتنبي . وخفوق القلب : اضطرابه من الحب ونحوه ، والواو للعطف على « هم » في قوله قبل البيت :

كفى أراني ويك لومك ألوما هم أقام على فؤاد أنجما

وخيالُ جسم لم يُخلّ له الهوى لحماً فينحله السقام ولا دما

والشاهد في قوله « يا جنتي » والمطابقة بينه وبين « جهنم » وستأتي في علم البديع .

(٥) هو للرمّاح بن أبرد المعروف بابن ميادة . واليأس : قطع الأمل من وصله ، وقوله « فنكارمه » بمعنى نباده التكرم بالوصل .

يكون هجر الحبيب مطلوباً للمحب ؛ فقال : « وفي اليأس راحة » لينبئه على سببه .

وقوله تعالى : ﴿ لو تعلمون ﴾ ^(١) في قوله : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ﴾ .
وإنه لقسمٌ لو تعلمون عظيمٌ * إنه لقرآنٌ كريمٌ ﴿ اعترض في اعتراض ؛ لأنه اعترض به بين الموصوف والصفة ^(٢) ، واعترض بقوله : ﴿ وإنه لقسمٌ لو تعلمون عظيم ﴾ بين القسم والمقسم عليه ^(٣) .

ومما جاء بين كلامين متصلين معنًى قوله : ﴿ فأتوهنَّ من حيث أمركم الله ﴾ . إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين * نساؤكم حرثٌ لكم فأتوا حرثكم ﴿ ^(٤) فإن قوله ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾ بيان لقوله : ﴿ فأتوهنَّ من حيث أمركم الله ﴾ يعنى أن المأتى الذى أمركم به هو مكان الحرث ؛ دلالة على أن الغرض الأصلي فى الإتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة ، فلا تأتوهن إلا من حيث يتأتى فيه هذا الغرض ، وهو مما جاء أكثر من جملة أيضاً ^(٥) ونحوه فى كونه أكثر من جملة قوله تعالى : ﴿ قالت ربِّ إني وضعتها أنثى * والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأُنثى ﴾ . وإني سميتها مريم ﴿ ^(٦) فإن قوله : ﴿ والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأُنثى ﴾ ليس من قول أم مريم ^(٧) وكذا قوله : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وكفى بالله نصيراً ﴾ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ﴿ ^(٨) إن جعل ﴿ من الذين ﴾ بيانا للذين أوتوا نصيباً من الكتاب لأنهم يهود ونصارى ، أو لأعدائكم ؛ فإنه

(١) آية ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ سورة الواقعة .

(٢) هما : قسم عظيم .

(٣) هو (إنه لقرآن ﴾ .

(٤) آية ٢٢٢ ، ٢٢٣ سورة البقرة .

(٥) هذا على أن قوله : ﴿ ويحب المتطهرين ﴾ معطوف على مجموع « إن » واسمها

وخبرها ؛ وإلا كان من الاعتراض بجملة واحدة .

(٦) آية ٣٦ سورة آل عمران .

(٧) فهو اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه فى قولها .

(٨) آية ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ سورة النساء .

على الأول يكون قوله : ﴿ والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً ﴾
اعتراضاً ، وعلى الثاني يكون ﴿ وكفى بالله ﴾ اعتراضاً ، ويجوز أن يكون ﴿ من
الذين ﴾ صلة لنصيراً ^(١) أى ينصركم من الذين هادوا ، كقوله : ﴿ ونصرناه من
القوم الذين كذبوا ﴾ ^(٢) وأن يكون كلاماً مبتدأ على أن ﴿ يحرفون ﴾ صفة مبتدأ
محذوف تقديره : « من الذين هادوا قوم يحرفون » ؛ كقوله :

وما الدهرُ إلا تارتان فمنهما أموتُ وأخرى أبتغى العيش أكدحُ ^(٣)

* وقد عُلِمَ مما ذكرنا أن الاعتراض كما يأتى بغير واو ولا فاء قد يأتى
بأحدهما ^(٤) .

* ووجه حسن الاعتراض على الإطلاق : حُسْنُ الإفادة ، مع أن مجيئة مجيء
ما لا معول عليه فى الإفادة ، فيكون مثله مثل الحسنة تأنيك من حيث لا ترتقبها ^(٥) .
* من الناس من لا يقيد فائدة الاعتراض بما ذكرناه ، بل يُجوز أن تكون دفع
توهم ما يخالف المقصود ، وهؤلاء فرقتان :

(١) يعنى أن الجار والمجرور متعلق به ، وعلى هذا الوجه والذي بعده لا يكون فى الآية
اعتراض .

(٢) آية ٧٧ سورة الأنبياء ؛ فالجار والمجرور متعلق بقوله : ﴿ ونصرناه ﴾ كما جعل صلة
« لنصيراً » فى الآية السابقة .

(٣) هو لتميم بن أبى بن مقبل ، وقوله « أكدح » بمعنى أجهد نفسى فى العمل .
والشاهد فى أن قوله « منهما » صفة مبتدأ محذوف كما فى الآية على الوجه الأخير ، وتقديره :
فتارةً منهما أموت أى فيها ليربط الضمير الخبر بالمبتدأ ، وكذلك قوله « وأخرى أبتغى » فتقديره :
« وأخرى أبتغى العيش فيها ، وجملة « أكدح » فى موضع نصب على الحالية .

(٤) يسمى كل منهما واواً أو فاء اعتراضية ، وهى غير واو العطف وواو الحال . وقد
تشبه بالثانية فى نحو قوله تعالى : آية ٥١ ، ٥٢ سورة البقرة ﴿ ثم اتخذتم العجل من بعده ،
وأنتم ظالمون ﴾ ثم عفونا عنكم ﴿ فتصلح لكل منهما بالقصد فإن قصد تقييد العامل بالجملة كانت
حالية ، وإن لم يقصد كانت اعتراضية ، والمعنى على الأول ﴿ ثم اتخذتم العجل حال كونكم
ظالمين باتخاذها . وعلى الثانى « وأنتم قوم عادتكم الظلم » فيكون اعتراضاً أتى به تأكيداً لظلمهم
بأمر مستقل لم يقصد ربطه بالعامل قبله .

(٥) هذه نكتة بدعية للاعتراض ويمكن أن يعد بها من المحسنات البديعية كما جرى عليه
بعضهم .

فرقة لا تشترط فيه أن يكون واقعاً في أثناء كلام أو بين كلامين متصلين معنًى ؛ بل يجوز أن يقع في آخر كلام لا يليه كلام أو يليه كلام غير متصل به معنًى ، وبهذا يشعر كلام الزمخشري في مواضع من الكشف : « فالاعتراض عند هؤلاء يشمل التذييل »^(١) ومن التكميل ما لا محل له من الإعراب جملةً كان أو أكثر من جملة^(٢) .

وفرقه تشترط فيه ذلك ، لكن لا تشترط أن يكون جملة أو أكثر من جملة ؛ فالاعتراض عند هؤلاء يشمل من التتميم ما كان واقعاً في أحد الموقعين^(٣) ، ومن التكميل ما كان واقعاً في أحدهما ولا محل له من الإعراب^(٤) جملةً كان أو أقل من جملة أو أكثر .

الإطناب بغير هذه الأنواع : وإما بغير ذلك^(٥) كقولهم « رأيتُه بعيني » ومنه قوله تعالى^(٦) : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ﴾ أى هذا الإفك ليس إلا قولاً يجرى على ألسنتكم ويدور فى أفواهكم من غير ترجمة عن علم فى القلب ، كما هو شأن المعلوم إذا ترجم عنه اللسان ، وكذا قوله ﴿ تلك عشرة كاملة ﴾^(٧) لإزالة توهم الإباحة^(٨) كما فى نحو قولنا « جالس الحسن وابن سيرين »

(١) أى مطلقاً ، لأن التذييل يجب أن يكون بجملة لا محل لها من الإعراب كما سبق فى أمثله ، كما أن الاعتراض يجب فيه ذلك ، فىكون التذييل أخص منه ؛ لأنه لنكتة التوكيد فقط ، والاعتراض عندهم أهم ؛ لأنه يكون لنكتة التوكيد وغيرها كما سبق .
(٢) فىكون بينهما عموم وخصوص من وجه ، وقد أطالت حواشى التلخيص فى بيان النسب بين أقسام الإطناب بشكل يفسد الذوق البلاغى ، فلا تفسده بهذا مثلاً .
(٣) يعنى بأحدهما أن يقع فى أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين .

(٤) إنما قيده بهذا لأنه لا خلاف بينهم فى تقييد الاعتراض به ، فلا يشمل من التكميل إلا ما كان كذلك ، ولكن الظاهر أن هذه الفرقة لا تقييد الاعتراض بما قيده به غيرها من كونه لا محل له من الإعراب ، لأنها تجوز أن يكون مفرداً ، ومن شأن المفرد أن يكون له محل من الإعراب .
(٥) عطف على قوله فيما سبق « إما بالإيضاح بعد الإبهام » .

(٦) آية ١٥ سورة النور ، ومحل الشاهد ﴿ وتقولون بأفواهكم ﴾ لأن القول لا يكون إلا بالأفواه ، فذكرها بعده إطناب .
(٧) آية ١٩٦ سورة البقرة .
(٨) أى فى قوله قبله : ﴿ فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعت ﴾ ولكنه على هذا يكون من التكميل ، مع أنه بصدد ذكر أقسام أخرى للإطناب .

وليعلم العددُ جملةً كما عُلِمَ تفصيلاً ؛ ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم ، وفي أمثال العرب « علماَن خيرٌ من عَلم » وكذا قوله ﴿ كاملة ﴾ تأكيد آخر ، وقيل : أى كاملةً فى وقوعها بدلا من الهدى ، وقيل : أريد به تأكيد الكيفية لا الكمية ، حتى لو وقع صوم العشرة على غير الوجه المذكور (١) لم تكن كاملة (٢) وكذا قوله : ﴿ الذين يحملون العرشَ ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ (٣) فإنه لو لم يقصد الإطناب لم يذكر ﴿ ويؤمنون به ﴾ لأن إيمانهم (٤) ليس مما ينكره أحد من مشيئهم ، وحسن ذكره إظهارُ شرف الإيمان ترغيباً فيه (٥) وكذا قوله : ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله ، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ (٦) فإنه لو اختصر (٧) لترك قوله : ﴿ والله يعلم إنك لرسوله ﴾ لأن مساق الآية لتكذيبهم فى دعوى الإخلاص فى الشهادة كما مر (٨) وحسنه دفع توهم أن التكذيب للمشهود به فى نفس الأمر (٩) ونحوه قول البلغاء « لا وأصلحك الله » (١٠) وكذا قوله تعالى (١١) إخباراً عن موسى ﴿ هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها ماربٌ أخرى ﴾ وحسنه أنه عليه السلام فهم أن السؤال يعقبه أمرٌ عظيم يحدثه الله تعالى فى العصا ؛ فينبغى أن يتنبه لصفاتها حتى يظهر له

-
- (١) هو أن يكون ثلاثة منها فى الحج وسبعة عند الرجوع إلى الأهل .
 (٢) أى شرعاً وإن كانت كاملة عدداً .
 (٣) آية ٧ سورة غافر .
 (٤) أى الذين يحملون العرش وهم الملائكة .
 (٥) إنما لم يكن اعتراضاً بين ما قبله وما بعده لأن الواو فيه عاطفة لا اعتراضية ، ولأن له محلاً من الإعراب ، والاعتراض لا محل له .
 (٦) آية ١ سورة المنافقون .
 (٧) يريد بالاختصار ترك الإطناب فيشمل المساواة ؛ لأنه عند ترك هذا يكون الكلام من المساواة لا من الإيجاز ، والاختصار كما يطلق على الإيجاز يطلق على ما يشمل المساواة .
 (٨) أى فى الكلام على صدق الخبر وكذبه فى الجزء الأول ، فقد سبق فيه أن مساقها لتكذيبهم فى ذلك لا لتكذيبهم فى قولهم : ﴿ والله يعلم إنك لرسوله ﴾ .
 (٩) إنما دفع ذكره توهم ذلك لأن التكذيب لا يرجع إليه ، فيبقى دالاً على صحة المشهد به فى نفس الأمر .
 (١٠) فالواو فيه إطناب لدفع توهم خلاف المراد .
 (١١) آية ١٨ سورة طه .

التفاوت بين الحالين^(١) وكذا قوله تعالى^(٢) : ﴿ نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين ﴾ وحسنه إظهار الابتهاج بعبادتها والافتخار بمواظبتها ليزداد غيظ السائل^(٣) .

الإيجاز والإطناب النسبيان : واعلم أنه قد يوصف الكلام بالإيجاز والإطناب^(٤) باعتبار كثرة حروفه وقلتها بالنسبة إلى كلام آخر مساوٍ له في أصل المعنى^(٥) كالشطر الأول من قول أبي تمام :

يَصْدُ عَنْ الدِّنْيَا إِذَا عَنْ سَوْدَدٍ وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زِيٍّ عِذْرَاءَ نَاهِدٍ^(٦)

وقول الآخر :

وَلَسْتُ بِنَظَّارٍ إِلَى جَانِبِ الْغَنَى إِذَا كَانَتْ الْعِلْيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ^(٧)

(١) لو اختصر لقال (هي عصاي) ولم يزد عليه ، لأن الجواب يكون حيثنذ على قدر السؤال ، وهو قوله قبله : ﴿ وما تلك بيمينك يا موسى ؟ ﴾ .

(٢) آية ٧١ سورة الشعراء .

(٣) لو اختصروا لقالوا ﴿ نعبد أصناماً ﴾ ولم يزيدوا عليه لأن الجواب يكون حيثنذ على قدر السؤال ، وهو قول إبراهيم لهم قبله ﴿ ما تعبدون ﴾ .

(٤) الواو بمعنى « أو » كما هو ظاهر .

(٥) فيقال للأكثر حروفاً : إنه مُطَنَّبٌ وإن كان على التفسير السابق مساواة أو إيجازاً . ويقال للأقل حروفاً : إنه موجز ، وإن كان على التفسير السابق مساواة أو إطناباً :

(٦) هو لحبيب بن أوس المعروف بأبي تمام من قصيدة له في مدح محمد بن الهيثم

ومطلعها :

قفوا جددوا من عهدكم بالمعاهد وإن هي لم تسمع لنشدان ناشد

وقوله « عن » بمعنى ظهر ، والعذراء : البكر ، والناهد : بارزة الثدي؛ يعنى أنه لا يهمه

أمر الدنيا في مواطن الجود بالمال .

(٧) هو للمعدّل بن غيلان القيصى ، وقيل : إنه لأبى سعيد المخزومي ، وقد نسب في

طبقات الشعراء لابن المعتز إلى أبى يعقوب الخزيمى ، وهو من قصيدة له في الفخر مطلعها :

ثقى بجميل الصبر منى على الدهر ولا تنفى بالصبر منى على الهجر

والنظار : صيغة مبالغة ، ولكن النفى وارد على أصلها ، فلا يقتضى أن يكون أصل النظر

إلى الغنى موجوداً ، ويجوز أن تكون صيغة نسب كعطار ونحوه ، وهذا البيت إطناب بالنسبة

للشطر الأول من بيت أبى تمام ، كما أن هذا الشطر إيجاز بالنسبة إليه ، وإن كان كل منهما على

التفسير السابق للثلاثة من المساواة ؛ لأن مثل هذه العبارة فيهما يجرى في متعارف الأوساط .

ومنه قول الشماخ :

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجدٍ تلقّاها عرابةٌ باليمن^(١)

وقول بشر بن أبي خازم :

إذا ما المكرّماتُ رُفعن يوماً وقصّر مبتغوها عن مداها
وضاقت أذرع المثرين عنها سما أوسٌ إليها فاحتواها^(٢)

ويقرب من هذا الباب^(٣) قوله تعالى^(٤) : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ .

وقول الحماسي :

وننكرُ إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول^(٥)

وكذا ما ورد في الحديث : « الخزم سوء الظن » .

وقول العرب : « الثقة بكل أحد عجز »^(٦) .

(١) هو لمعل بن ضرار الغطفاني المعروف بالشماخ في مدح عرابة الأوسى وقوله « تلقّاها عرابة باليمن » تمثيل لأخذه لها بقوة ، والمراد بالراية راية الحرب .

(٢) مبتغوها : طالبوها ، ومداها : غايتها ، والمثرون : أصحاب الثروة والغنى ، وقوله « احتواها » بمعنى اشتمل عليها ، وهو يمدح بهذا أوس بن حارثة بن لأم الطائي ، والشاهد في أن بيت الشماخ إيجاز بالنسبة إلى هذين البيتين وإن كان في ذاته مساواة .

(٣) فالآية إيجاز بالنسبة إلى قول الحماسي : وإنما جعله قريباً منه ولم يجعله منه ؛ لأن ما في الآية يشمل كل فعل حتى القول ، وما في البيت خاص بالقول فقط ، فلم يتساويا في أصل المعنى مساواة تامة ، وهذا إلى أن ما في الآية نفى السؤال ، وما في البيت نفى الإنكار ، والأول أبلغ من الثاني .

(٤) آية ٢٣ سورة الأنبياء .
(٥) للسموءل بن عاديا ، وال في « القول » للعهدي ؛ أي قولنا ، وهو من قصيدة له مطلعها :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميـلٌ

(٦) هو من حكم أكثم بن صيفي ، والحديث إيجاز بالنسبة إليه .

هذا وقد يتقارب اللفظان في الإيجاز فيكون أجودهما أشدهما أيضاً للمعنى ؛ كقول أبي القاسم البغدادي :

وردتُ وقد حلّ لي ماءهُ فلماً بكيتُ عليه حرماً

وقول مهيار الديلمي :

بكيت على الوادي فرمتُ ماءهُ وكيف يحلّ الماءُ أكثره دمٌ

فقد تقاربت ألفاظ البيتين ، ولكن زاد الثاني بذلك التفسير البديع ، فكان أفضل وأرق من الأول .

تمرينات على الإيجاز والإطناب والمساواة

تمرين - ١

(١) بين موضع الإطناب والداعى إليه فى قول الشاعر :

تأمل من خلال السَّجْفِ وانظر بعينك ما شربتُ ومن سقانى

تجد شمس الضحى تدنو بشمسٍ إلى من الرحيق الخسروانى

(٢) من أى أنواع الإيجاز قول بعض الأعراب : إن شككت فى فاسأل قلبك

عن قلبى ؟

تمرين - ٢

(١) بين نوع الإيجاز والداعى إليه فى قوله تعالى آية ٣ ، ٤ ، ٥ سورة الفجر

﴿ والشفع والوتر * والليل إذا يسر * هل فى ذلك قسم لذي حجر ﴾ .

(٢) لماذا كان من المساواة قول بعض البلغاء : علمتنى نبوتك سلوتك أسلمنى

يأسى منك إلى الصبر عنك .

تمرين - ٣

(١) يعدون من المساواة قوله تعالى آية ٢١ سورة الطور ﴿ كلُّ امرئ بما كسب

رهين ﴾ فهل ترى أنها منها أو من إيجاز القصر ؟

(٢) هل من المساواة أو الإيجاز أو الإطناب قول الشاعر :

يقول أناسٌ : لا يضيرُك فقدُها بلى كل ما شَفَ النفوس يضير

تمرين - ٤

(١) من أى أنواع الإيجاز قوله تعالى آية ٢٢ سورة الزمر : ﴿ أفمن شرح الله

صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى

ضلال مبين ﴾ .

(٢) من أى أنواع الإطناب قول الشاعر :

المشرقان عليك ينتحبان قاصيهما فى مآتم والدانى

تمرين - ٥

(١) بين موضع الإطناب ونوعه فى قوله تعالى آية ٥ ، ٦ سورة الانشراح ﴿فَإِنَّ
مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * .

(٢) كيف يكون من الإيجاز قوله تعالى آية ٣ سورة الطلاق ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى
اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ مع أنها جملة مستوفية كل أجزائها ؟

تمرين - ٦

(١) لماذا عدّ من الإخلال قول بعضهم : « فَإِنَّ الْمَعْرُوفَ إِذَا زَجَا ، كَانَ أَفْضَلَ
مِنْهُ إِذَا تَوَفَّرَ وَأَبْطَأَ » « زجا » بمعنى تيسر ، وفى رواية « وَحَى » بمعنى أسرع .

(٢) من أى أنواع الإطناب قول الشاعر :

لَوْ أَنَّ الْبَاخِلِينَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْمَطَالَا

تمرين - ٧

(١) أيهما أعلى مقاماً فى البلاغة : الإيجاز أو الإطناب ؟ وهل هناك فرق بين
الإيجاز فى غير موضعه والإخلال ؟ وبين الإطناب فى غير موضعه والتطويل ؟ .

(٢) بين خلافهم فى منزلة المساواة من البلاغة ، واذكر رأيك فيه .

* * *

بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح فى علوم البلاغة

تأليف
عبد المتعال الصعدي
الأستاذ بكلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر

الجزء الثالث فى علم البيان

الطبعة العاشرة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م وتمتاز بكثير من الزيادات والتنقيحات والضبط

تنبيه : قد وضعنا « الإيضاح » للخطيب القزوينى بأعلى الصفحة
ووضعنا شرحه « بغية الإيضاح » لعبد المتعال الصعدي بأسفلها

ملتزم الطبع والنشر
الناشر مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة ت ٨٦٨ ٠٠ ٣٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفن الثاني : علم البيان

تعريف علم البيان : وهو علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد ^(١) بطرق

(١) قيده السعد بأن يكون مدلولاً عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال ، وإنما قيده بهذا لأن اعتبار علم البيان إنما يكون بعد اعتبار علم المعاني ؛ فلا بد من مراعاة علم المعاني في علم البيان ؛ فإذا أنكر شخص كرم زيد مثلاً قلت له بطريق الكناية : « إن زيدا كثير الرماد » ، فإذا لم تأت بالتأكيد لم يعتد بهذه الكناية . وقيل المراد جنس المعنى من غير تقييد بشيء ؛ لأن وظيفة علم البيان غير وظيفة علم المعاني ؛ فوظيفة الأول ترجع إلى البلاغة ، ووظيفة الثاني ترجع إلى الفصاحة ، وقد سبق في المقدمة أنه لا بد من اعتبار الفصاحة في البلاغة ، فإذا نظر إلى هذا كان الأمر في العلمين بعكس ما ذكره السعد فيهما ، والحق أن علم البيان لا ينظر في قول امرئ القيس مثلاً :

ألم تسأل الربيع القديم بعسعسا كأنى أنادى إذ أكلم آخرسا

من جهة مطابقتها لمقتضى الحال أو عدمها ، وإنما ينظر إليه من جهة فساد التشبيه ؛ لأنه لا يقال : « كلمت حجراً فلم يجب » فكأنه كان حجراً ؛ وإنما الجيد في ذلك قول كثير :

فقلت لها يا عز كل مصيبة إذا وطئت يوماً لها النفس ذلت
كأنى أنادى صخرة حين أعرضت من الصم لو تمشى بها العصم زلت

وهذا لا يمنع مراعاة الأحوال والظروف في أبواب علم البيان ، كما أتى القدماء بتشبيهات رغب المحدثون عنها استبشاعاً لها ؛ كقول امرئ القيس :

وتعطو برخص غير شئن كأنه أساريع طبى أو مساويك إسحل

فشبه البنان بالأسروعة ؛ وهى دودة تكون في الرمل ، وقال ابن المعتز :

أشرن علي خوف بأغصان فضة مقومة أثمارهن عقيق

وهذا أحب من تشبيه امرئ القيس ، وإن كان أشد إصابة ، ولكن يجب أن نقبل من هذا ما لا يمحجه الذوق ؛ مثل قولهم : « أعط القوس باريها » ؛ كما يقال في الإنجليزية الآن لمن يبالغ في كلامه : « ينزع في القوس الطويلة » ، وفي الفرنسية لمن يتوسل إلى غايته بكل وسيلة : « يبرى سهاماً من كل خشب » .

مختلفة في وضوح الدلالة عليه (١) .

أقسام الدلالة : ودلالة اللفظ إما على ما وُضع له ، أو على غيره ، والثاني إما داخل في الأول دخول السقف في مفهوم البيت أو الحيوان في مفهوم الإنسان ، أو خارج عنه خروج الحائط عن مفهوم السقف ، أو الضاحك عن مفهوم الإنسان . وتُسمّى الأولى دلالةً وضعيّة ، وكلُّ واحدة من الأخيرتين دلالةً عقلية ، وتختص الأولى بدلالة المطابقة ، والثانية بالتضمن ، والثالثة بدلالة الالتزام . وشرط الثالثة اللزوم الذهني ؛ أي أن يكون حصول ما وُضع اللفظ له في الذهن ملزوماً لحصول الخارج فيه (٢) ؛ لئلا يلزم ترجيح أحد المتساويين على الآخر ، لكون نسبة الخارج إليه حيثئذ كنسبة سائر المعاني الخارجيّة ، ولا يُشترط في هذا اللزوم أن يكون مما يُثبت العقل (٣) ؛ بل يكفي أن

(١) بأن يكون بعض الطرق واضح الدلالة عليه وبعضها أوضح ، وبهذا يكون الاختلاف بينها في حدود وضوح الدلالة ؛ لأن علم البيان يقصد منه الاحتراز عن التعقيد المعنوي فلا يُطلب فيه إلا وضوح الدلالة ؛ وقيل : إنه يريد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة وخفائها ؛ فحذف الثاني على سبيل الاكتفاء ، وقد رجّح هذا بأن المطلوب في علم البيان هو خفاء الدلالة لا وضوحها ؛ لأنه كلما كان الكلام خفيّ الدلالة كانت منزلته أعلى ، ولا شك أن المراد بهذا الخفاء ما يكون بسبب دقة المعنى لا بسبب التعقيد ، واختلاف تلك الطرق في ذلك يكون باعتبار قرب المعنى المجازي وبعده من المعنى الحقيقي ، وباعتبار اختلاف القرينة المنسوبة في دلالتها على المراد . وقد خرج بذلك عن تعريف علم البيان إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في اللفظ والعبارة ؛ كقولك : زيد أسدٌ . زيد ليثٌ .

ومن الاختلاف في طرق الدلالة أن يقال في الكناية عن الجود : « مهزولُ الفصيل ، جبانُ الكلب ، كثيرُ الرماد » ، وفي إيراده بطريق التشبيه : « وهو كالبحر في السخاء . أو بحرٌ في السخاء . أو بحرٌ » ؛ من غير ذكر وجه التشبيه ، وفي إيراده بطريق الاستعارة : « رأيت بحراً في دارنا . رأيت بحراً طمّ بإنعامه جميع الأنام » .

(٢) يعني بالخارج : المعنى الخارجى ، وهو اللازم ، وقد يكون حصول ذلك فوراً أو بعد التأمل في القرائن والأمّارات .

(٣) يعنى اللزوم البين المعتبر في علم المنطق ، وإنما لم يُعتبر هنا لأن اعتباره يُخرج =

يكون مما يُثبت اعتقادُ المخاطب إما لعرف عام أو لغيره ^(١) لإمكان الانتقال حينئذ من المفهوم الأصلي إلى الخارجي ، وقد وقع في كلام بعض العلماء ^(٢) ما يُشعر بالخلاف في اشتراط اللزوم الذهني في دلالة الالتزام ، وهو بعيد جداً ، وإن صحَّ فلعلَّ السبب فيه توهمٌ أنَّ المراد باللزوم الذهني اللزوم العقلي ^(٣) ؛ لإمكان الفهم بدون اللزوم الذهني بهذا المعنى حيثئذ كما سبق .

ثم إيرادُ المعنى الواحد على الوجه المذكور لا يتأتى بالدلالة الوضعية ^(٤) ؛ لأنَّ السامعَ إن كان عالماً بوضع الألفاظ ؛ لم يكن بعضها أوضح دلالةً من بعض ، وإلاَّ لم يكن كلُّ واحد منها دالاً ، وإنما يتأتى بالدلالات العقلية ؛ لجواز أن يكونَ للشيء لوازمٌ بعضها أوضح لزوماً من بعض ^(٥) .

= كثيراً من المعاني المجازية عن أن تكون مدلولات التزامية ، ولا يتأتى معه الاختلاف في وضوح الدلالة ؛ لأنه لا يمكن فيه انفكاك تعقل اللازم عن تعقل الملزوم في الذهن أصلاً .
(١) يعنى بغير العرف العام العرف الخاص ودلالة المقام ، والتأمل في القرينة ، ومثال العرف العام : لزوم الشجاعة للأسد ، ومثال الخاص : لزوم عدم قبول النجاسة لبلوغ الماء قُلَّتَيْن .

(٢) هو ابنُ الحاجب .

(٣) هو اللزومُ البينُ المعتبرُ في علم المنطق كما سبق .

(٤) أى في دلالتها على معنى واحد بطرق متعددة كما في الألفاظ المترادفة ، وقد يتأتى فيها الاختلاف في الوضوح بالتعقيدات اللفظية ، ولكن هذا ليس من الاختلاف في طرق الدلالة ، واعتُرض على ذلك بأنه يلزم عليه خروج التشبيه من علم البيان ؛ لأنَّ دلالةً وضعيةً ، وقد أجاب بعضهم بالتزام خروج التشبيه من علم البيان وأنه إنما يذكر فيه من أجل بناء الاستعارة عليه . والحق أن الإيراد المذكور يتأتى في التشبيه أيضاً كما سبق ؛ فلا يصح إخراجه من علم البيان ، وإنما أتى فيه الإيراد المذكور ؛ لأنَّ التشبيه في نحو : «زيد كالبدْر» له دالتان : إحداهما وضعية في دلالة على تشبيه وجهه بالبدْر في الاستدارة والاستنارة ، والثانية التزامية في دلالة على أنه غاية في الحسن ، بهذه الثانية يأتى فيه الإيراد المذكور . وقيل : إنَّ المراد بآتيان ذلك في العقلية ما يشمل إتيانه فيها وحدها أو مع الوضعية ؛ لأنَّ الدلالة الوضعية فيه إحدى الدلالات المتفاوتة .

(٥) يكون هذا باعتبار قلة الوسائط وكثرتها بين اللازم والملزوم ونحو ذلك مما يختلف به وضوح الدلالة ، وكذلك دلالة التضمن ؛ لأنها قد تدل على جزء الشيء أو جزء =

أبواب علم البيان :

ثم اللفظ المراد به لازم ما وضع له : إن قامت قرينة على عدم إرادة ما وضع له فهو مجاز ، وإلا فهو كناية . ثم المجاز منه الاستعارة ، وهى ما تبين على التشبيه ، فيتعين التعرض له (١) .

فانحصر المقصود فى : التشبيه ، والمجاز ، والكناية .

وقدّم التشبيه على المجاز ؛ لما ذكرنا من ابتناء الاستعارة التى هى مجاز على التشبيه ، وقدّم المجاز على الكناية ؛ لتزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكل (٢) .

= جزئه ، ودلالتها على الأول كدلالة الحيوان على الجسم أوضح من دلالتها على الثانى كدلالة الإنسان على الجسم .

هذا وإنما ذكر هنا مبحث الدلالة ؛ ليرتب عليه بيان أبواب علم البيان ، ولأن علم البيان ترجع مباحثه إلى دلالة اللفظ ، أما علم المعانى فترجع إلى نظم الكلام وأسلوبه . (١) هذا ظاهر فى أن التشبيه لا يدخل فى البيان إلا تبعاً للاستعارة ، وقد سبق بيان الحق فى ذلك ، على أن ابن الأثير قد ذكر أن الجمهور على أن التشبيه مجاز ؛ لأن المتشابهين كما ذكر ابن رشيّق إنما يتشابهان بالمقاربة وعلى المسامحة ، وقد نازعه بعضهم فى صحة هذا النقل عن الجمهور .

وقد قسم الرّمانيّ التشبيه إلى حقيقى ومجازى ؛ فالأول تشبيه المتفقين بأنفسهما ؛ كتشبيه حمرة الخد بحمرة الورد ، والثانى تشبيه المختلفين بالذات ؛ كتشبيه زيد بالأسد .

(٢) إنما لم يكن جزءاً حقيقياً ؛ لأن الكناية ليس معناها مجموع اللازم والملزوم ، وإنما هو اللازم مع جواز إرادة الملزوم كما سيأتى .

هذا وقد ذكر السعد أن الأولى أن يعرف البيان بأنه « علم يُبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية ثم يشتغل بتفصيل هذه المباحث ، فلا يكون هناك حاجة إلى تفصيل الكلام فى الدلالة وما ترتب عليه » . وفى نفسى شئ من هذا التعريف ؛ إذ أن التعريف يُبنى على الشمول ، ولا يكون بهذا التفصيل . ويجب أن يعلم أن هذه الأبواب كانت تعد قديماً من البديع ، وكان يجرى عليها حكم أبوابه ، فلا يصح أن يزدحم الكلام بها ؛ لأنها لا تُطلب لذاتها كما سبق ، وإنما تحسن عند اقتضاء المقام لها .

الباب الأول : القول فى التشبيه

تعريف التشبيه : التشبيه : الدلالة على مشاركة أمر لآخر فى معنى ^(١) ، والمراد بالتشبيه ههنا ^(٢) ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية ولا الاستعارة بالكناية ولا التجريد ^(٣) ؛ فدخل فيه ما يسمى تشبيهاً بلا خلاف ؛ وهو ما ذكرت فيه أداة التشبيه ؛ كقولنا : « زيدٌ كالأسد ، أو كالأسد » بحذف زيد لقيام قرينة ، وما يسمى تشبيهاً على المختار كما سيأتى ^(٤) وهو ما حُذفت فيه أداة التشبيه وكان اسمُ المشبه به خبراً للمشبه أو فى حكم الخبر ^(٥) كقولنا : « زيد أسد » ، وكقوله تعالى ﴿ صَمِّ بِكُمْ عُمَى ﴾ ^(٦) أى هم . ونحوه قول من يخاطب الحجاج :

أسدٌ على وفى الحروب نعمةً فتخاء تنفر من صغير الصافر ^(٧)
وكقولنا : « رأيتُ زيداً بحراً »

تأثير التشبيه : وإذا قد عرفت معنى التشبيه فى الاصطلاح ؛ فاعلم أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره فى فن البلاغة ^(٨) ، وأن تعقيب المعانى به لا سيما قسم التمثيل منه يضاعف قواها فى تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحاً كانت أو ذمماً أو افتخاراً أو غير ذلك ، وإن أردت تحقيق هذا ، فانظر إلى قول البحرى :

(١) هذا معنى التشبيه فى اللغة ، ويرد على هذا أنه يشمل نحو : « قاتل زيد عمراً ، وجاءنى زيد وعمر » ؛ فالأحسن أن يقال فى معناه لغةً : إنه مصدر «شبهته بكذا» إذا جمعت بينهما بوصف جامع وهذا لا يرد عليه ذلك ؛ لأن الجمع فيه بصيغة المشاركة وواو العطف ، لا بذلك الوصف الجامع . (٢) يعنى التشبيه الاصطلاحي .

(٣) فهو فى الاصطلاح : الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى بالكاف ونحوها ، لا على وجه الاستعارة التحقيقية والاستعارة بالكناية والتجريد ، وإنما لم يذكر الاستعارة التخيلية مع الثلاثة لأنها عنده فى الإثبات كما سيأتى ؛ فهي خارجة عن جنس التعريف ، وخروج التجريد من التشبيه إذا لم يكن على وجه ينبنى عن التشبيه كقولك : « لى من فلان صديق حميم » ، فإذا كان على وجه ينبنى عنه فالأقرب جعله منه ؛ كقولك : « لئن سألت فلانا لتسألن به البحر » . (٤) فى تعريف الاستعارة .

(٥) كالحال ونحوه ؛ كقولك : « رأيتُ زيداً بحراً » . (٦) البقرة آية ١٨ .

(٧) نسب فى الأغنى لعمران بن حطان ، ونسب فى حماسة البحرى لأسامة بن سفيان البجلي ، وفيه « ربداء » بدل «فتخاء» والفتح : استرخاء المفاصل ولينها ، والريدة : لون يميل إلى الغبرة ، والشاهد فى أنه على تقدير : هو أسد . (٨) يريد بالبلاغة ما يرادف الفصاحة .

دان على أيدي العفاة وشاسع^(١) عن كل ند في الندى وضريب^(١)
 كالبدر أفرط في العلو وضوءه^(٢) للعصبة السارين جد قريب^(٢)
 أو قول ابن لنكك :

إذا أحر الحسن أضحي فعله سمجاً رأيت صورته من أقبح الصور^(٣)
 وهبه كالشمس في حسن ألم ترنا نفر منها إذا مالت إلى الضرر؟^(٤)
 أو قول ابن الرومي :

بذل الوعد للأخلاء سمحاً وأبى بعد ذلك بذل العطاء
 فعدا كالحلاف يورق للعين من ويأبى الإثمار كل الإباء^(٥)
 أو قول أبي تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود^(٦)
 لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود^(٧)

(١) العفاة : جمع عاف وهو طالب الفضل أو الرزق ، والد : المثل والنظير ،
 وعطف ضريب عليه عطف تفسير

(٢) السارون : السائرون ليلاً ، وقوله « جد قريب » صفة لمحذوف أي قريب جد
 قريب بمعنى بالغ الغاية في القرب ، وهو مصدر جد أي اجتهد وبالع في أمره ، شبه هيئة
 رفعة الممدوح مع قرب نفعه للسائلين بهيئة ارتفاع البدر مع قرب ضوئه والارتفاع به ،
 والجامع : الهيئة الحاصلة من بعد المنال مع قرب النوال (٣) السمج : القبيح .

(٤) قوله « هبه » بمعنى أحسبه وأعدده ينصب مفعولين ولم يأت منه إلا الأمر ،
 وروى « وهبك » ؛ شبه حال من حسنت صورته وقبح فعله فكرهه الناس بحال الشمس
 نفر منها إذا اشتد حرها ، والجامع أن كلا يكره لأذاه وإن حسن منظره . وابن لنكك هو
 محمد بن محمد بن لنكك .

(٥) الحلاف : صنف من الصفصاف وليس به ، سمي خلافاً لأن السيل يأتي به
 سبباً فينب من خلاف أصله ، شبه حال من وعد شخصاً بقضاء حاجة ثم أخلف بحال
 الحلاف في ذلك ، والجامع : ما في كل منهما من اليأس بعد الطمع .

(٦) قوله « طويت » بمعنى أخفيت ، وقوله « أتاح » بمعنى هيا .
 (٧) العرف : الرائحة ، والعود : ضرب من الطيب يتبخر به ، والمراد تشبيه هيئة
 الفضيلة مع الحسود بهيئة العود مع النار على سبيل التمثيل ، والجامع ما في كل من ترتب
 النفع على محاولة الضرر .

وقوله أيضاً :

وَطُولُ مُقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلَقٌ لِدَيَّابَجَتِيهِ فَاغْتَرَبَ يَتَجَدَّدُ^(١)

فإني رأيت الشمس زِيدَتْ مَحَبَّةً إلى الناس أن ليست عليهم بِسَرْمَدٍ^(٢)

وَقِسْ حَالَكَ - وأنت في البيت الأول ولم تنته إلى الثاني - على حالك وأنت قد انتهيت إليه ووقفت عليه ، تعلم بُعد ما بين حالتك في تمكّن المعنى لديك ، وكذا تعهد الفرق بين أن تقول « الدنيا لا تدوم » وتسكّت وأنت تذكر عقبه ما روى عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنْ فِي الدُّنْيَا ضَيْفٌ ، وَمَا فِي يَدِهِ عَارِيَةٌ ، وَالضَّيْفُ مَرْتَحِلٌ وَالْعَارِيَةُ مُدَّةٌ » . أو تنشّد قول لبيد :

وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعُ وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ^(٣)

وبين أن تقول : « أرى قوماً لهم منظر ، وليس لهم مخبر » وتقطع الكلام ، وأن تتبعه نحو قول ابن لنكك :

فِي شَجَرِ السَّرْوِ مِنْهُمْ مِثْلٌ لَهُ رِوَاءٌ وَمَا لَهُ ثَمَرٌ^(٤)

وانظر في جميع ذلك إلى المعنى في الحالة الثانية كيف يتزايد شرفه عليه في الحالة الأولى .

أسباب تأثير التشبيه : ولذلك أسباب : منها ما يحصل للنفس من الأتس بإخراجها من خفي إلى جلي ؛ كالانتقال مما يحصل لها بالفكرة إلى ما يعلم بالفطرة ، أو بإخراجها مما لم تألفه إلى ما ألفته . كما قيل :

(١) الْمُخْلَقُ : المُبْلَى ، والديباجة : الوجه ، والمراد بديباجتيه : صفحته ، ولهذا أعاد الضمير عليهما في « يتجدد » مفرداً . وفي رواية « تتجدد » بالياء .

(٢) السرمد : الدائم ، والمراد تشبيه هيئة المرء في اكتسابه المحبة بالاغتراب بهيئة الشمس في اكتسابها المحبة بطلوعها وغروبها .

(٣) هو للبيد بن ربيعة العامري ، ويعنى أن ذلك ودائع الله عندنا .

(٤) الرواء : المنظر الحسن ، والمراد أنهم مثله في حسن المنظر وقبح المخبر .

* ما الحُبُّ إلَّا للحبيبِ الأوَّلِ (١) *

أو مما تعلمه إلى ما هي به أعلم ، كالانتقال من المعقول إلى المحسوس؛ فإنك قد تعبر عن المعنى بعبارة تؤديه وتبالغ ، نحو أن تقول وأنت تصف اليوم بالقصر : « يومٌ كأقصر ما يتصور » ، فلا يجد السامع له من الأُنس ما يجده لنحو قولهم « أيامٌ كأباهيم القطا » (٢) ، وقول الشاعر :

ظَلَلْنَا عند بابِ أبي نُعَيْمٍ بيومٍ مثلِ سالفَةِ الذُّبابِ (٣)

وكذا تقول : « فلانٌ إذا همَّ بالشئِ لم يزل عن ذكره » ، وقصر خواطره على إمضاء عزمه فيه ، ولم يشغله عنه شئٌ « فلا يصادف السامع له أريحيةً » ، حتى إذا قلت :

* إذا همَّ ألقى بين عينيه عزمه (٤) *

(١) هو من قول أبي تمام :

كَمْ منزلٍ في الأرض يَأْلِفُهُ الفتى وَحَنِينُهُ أبداً لأوَّلِ مَنْزِلٍ
نَقَلَ فؤادَكَ ما استطعتَ من الهوى ما الحُبُّ إلَّا للحبيبِ الأوَّلِ
يريد أن الفؤاد لا يعيل إلَّا للحبيب الأوَّل لِإلفه له ، وهذا هو محل الشاهد .

(٢) الأباهيم : جمع إبهام وهو الإصبع المعروف .

(٣) سالفَةُ الذُّباب : مقدم عنقه ، والمراد أنه مثلها في القصر ، وقد قال ثعلب :

كنا عند ابن الأعرابي فأنشد قول جرير :

ويومٍ كابِهامِ القِطَاةِ تخايَلْتُ ضُحاهُ وطابتْ بالعِشِيِّ أَصائِلُهُ
فعجبنا من تشبيهه قصر النهار بإبهام القِطَاة ، فقال ابن الأعرابي : أحسن منه - وهو الذي أخذ منه جرير - قول الآخر :

ويومٍ عند دارِ أبي نُعَيْمٍ قصيرٌ مثلِ سالفَةِ الذُّبابِ

وقد قال الزجاج : إن هذا نهاية في الإفراط ، وخروج عن حدود التشبيه

المصيب ، وأنشد في «ديوان المعاني» لعون بن محمد بن إسحاق الموصلي :

ظَلَلْنَا في جوارِ أبي الجَنابِ بيومٍ مثلِ سالفَةِ الذُّبابِ

(٤) هو من قول سعد بن ناشب :

إذا همَّ ألقى بين عينيه عزمه ونكَبَ عن ذكرِ العواقبِ جانباً =

امتلات نفسه سرورا ، وأدركته هزة لا يمكن دفعها عنه ، ومن الدليل على أن للإحساس من التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس لغيره أنك إذا كنت أنت وصاحب لك يسعى في أمر على طرف نهر ، وأنت تريد أن تقرر له أنه لا يحصل من سعيه على طائل ، فأدخلت يدك في الماء ثم قلت له : « أنظر هل حصل في كفى من الماء شيء ؟ فكذلك أنت في أمرك » كان لذلك ضرب من التأثير في النفس وتمكين المعنى في القلب زائد على القول المجرد .
ومنها الاستطراف كما سيأتي (١) .

ومن فضائل التشبيه أنه يأتيك من الشيء الواحد بأشياء عدة (٢) : نحو أن يعطيك من الزند بإيرائه (٣) : شبه الجواد والذكي والنجح في الأمور ، وبإصلاحه (٤) : شبه البخيل والبليد والخيبة في السعي ، ومن القمر : الكمال عن النقصان ، كما قال أبو تمام :

لهفى على تلك الشواهد فيهما لو أمهلت حتى تصير شمائلًا (٥)
لغدا سكونهما حجى وصباهما حلماً وتلك الأريحية نائلًا (٦)
ولأعقب النجم المرد بديمة ولعاد ذاك الطل جوداً وإبلاً (٧)

= والشاهد في تشبيهه العزم بشئ محسوس يلقي أمام العينين بجامع العناية التامة بكل ، ولكن هذا من الاستعارة بالكناية لحذف المشبه به فيه وإثبات لازمه للمشبه .
(١) في بيان الغرض من التشبيه .

(٢) هذا يدخل في سبب من أسباب تأثير التشبيه ، هو جمعه بين الأمور المتنافرة والمختلفة ؛ لأنه فيما ذكره يشبه أشياء مختلفة بشئ واحد .

(٣) إخراج النار . (٤) صوت ولم يخرج ناراً .

(٥) اللهف : الحسرة ، والشواهد : أمارات الفضائل فيهما ، وكان يرثى ولدين لعبد الله بن ظاهر ماتا في يوم واحد ، والشمائيل : السجايا .

(٦) الحجى : العقل ، والصبا : الفتوة ، والأريحية : خصلة تجعل صاحبها يرتاح إلى الأفعال الحميدة ، والنائل : العطاء ، ويروى « وصباهما كرمًا » ولكنه يتكرر مع قوله « نائلًا » .

(٧) المرد : اسم فاعل من أرد بمعنى أمطر رذاذاً وهو المطر الخفيف ، والدئمة : المطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق . والطل : المطر الضعيف ، والجود : المطر الغزير ، والوابل : المطر الشديد .

إِنَّ الْهَلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نُمُوَّهُ أَيقَنْتَ أَنْ سَيَصِيرُ بَدْرًا كَامِلًا^(١)

والنقصان عن الكمال ؛ كقول أبي العلاء المعري :

وإن كنت تبغى العيش فابغِ توسطًا فعند التناهي يقصر المتطاول^(٢)

توق البدور النقص وهي أهلة^(٣) ويدركها النقصان وهي كوامل

وتتفرع من حالتى كماله ونقصه فروع لطيفة ؛ كقول ابن بابك فى الأستاذ أبى على - وقد استوزره وأبا العباس الضبى فخر الدولة بعد وفاة ابن عباد - :

وأعرت ثوب الملك شطر كماله والبدور فى شطر المسافة يكمل^(٤)

وقول أبى بكر الخوارزمى :

أراك إذا أيسرت خيمت عندنا مقيما وإن أعسرت زرت لاما

فما أنت إلا البدر إن قل ضوءه أغب وإن زاد الضياء أقاما^(٥)

المعنى لطيف وإن لم تساعده العبارة على ما يجب ؛ لأن الإغباب أن

(١) هذا البيت محل الشاهد ؛ لأنه يشبه ما كانا سيصيران إليه بحال الهلال فيما

يصير إليه من الكمال بعد النقصان .

(٢) التناهى : بلوغ النهاية ، والمتطاول : اسم فاعل من تطاول بمعنى تمدد .

(٣) هذا البيت محل الشاهد ، لأنه يشبه حال الشخص فى أمنه من النقص عند

التوسط فى العيش وعدم أمنه منه إذا بلغ نهايته بحال البدور فى أمنها من النقص وهي أهلة وإدراكه لها بعد كمالها .

(٤) قوله « أعرت » بمعنى أعطيت ، والشطر : النصف ، يعنى بذلك تدبيره نصف

المملكة مع أبى العباس الضبى ، والمراد تشبيه حال الملك فى كماله بذلك بحال البدر فى كماله عند بلوغه نصف مسافته ، وقيل : المراد تشبيه حال الممدوح نفسه فى كماله بتدبير نصف المملكة . وابن بابك : هو عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك .

(٥) قوله « خيمت » بمعنى أقمت ، وأصل خيم نصب الخيمة أو أقام فيها . وقوله

« زرت » لاما : بمعنى وقتا بعد وقت ، وذلك لإظهار التعفف عند العسر . ووجه الشبه إطالة المكث عند كثرة النفع وإقلاله عند قلته .

يتخلل بينَ وَقْتَي الحضور وقتٌ يخلو منه ، فإنما يصلح لأن يراد أن القمر إذا نقص نوره لم يوال الطلوع في كل ليلة ، بل يظهر في بعض الليالي دون البعض ، وليس الأمر كذلك لأنه على نقصانه يطلع كل ليلة حتى تكون السرار . وكذا ينظر إلى بعده وارتفاعه وقرب ضوئه وشعاعه في نحو ما مضى من بيتي البحرى^(١) وإلى ظهوره في كل مكان ، كما في قول أبي الطيب :

كالبدر من حيث التفت وجدته يهدي إلى عينك نوراً ثاقباً^(٢)

إلى غير ذلك^(٣) .

أركان التشبيه : ثم النظر في أركان التشبيه ، وهي أربعة : (طرفاه ، ووجهه ، وأداته) ، وفي الغرض منه . وفي تقسيمه بهذه الاعتبارات .

طرفا التشبيه : أما طرفاه فهما إما حسيان ، كما في تشبيه الخد بالورد ، والقَدَّ بالرمح ، والفيل بالجليل في المبصرات ، والصوت الضعيف بالهمس في المسموعات ، والنكهة بالعنبر في المسمومات ، والريق بالخمر في المذوقات ، والجلد الناعم بالحرير في الملموسات^(٤) .

(١) قد سبقا في ص ٧ ، ٨ .

(٢) الثاقب: المضى أو النافذ في كل مكان ، وقوله « كالبدر » يتعلق بالبيت قبله : هذا الذي أبصرت منه حاضراً مثل الذي أبصرت منه غائباً

(٣) أى مما ينظر فيه إلى حالات القمر . هذا ومن فضائل التشبيه الكشف عن المعنى المقصود مع ما يكتسب من فضيلة الإيجاز ، كقولك « زيد أسد » تريد أنه متصف بالشجاعة وشهامة النفس وقوة البطش وغير ذلك مما يجمعه هذا التشبيه على إيجازه .

وقد قال ابن الأثير : إن التشبيه يجمع صفات ثلاثة : المبالغة ، والبيان ، والإيجاز . ويجب أن يراعى ما سبق من أن التشبيه كغيره من أبواب البيان لا يحسن مع فضله إلا عند اقتضاء المقام له ، وأنه في هذا يتأثر بحال الزمان والمكان ، ويتسع فيه المجال للتهذيب والتجديد ، وقد كان القدماء يشبهون الحدود بالورود ، فخالفهم المحدثون وشبهوا الورود بالحدود ، كما في قول بعضهم (على بن الجهم) :

عشية حياني بورد كأنه حدود أضيفت بعضهن إلى بعض

(٤) هذه أمثلة من الشعر لتشبيه الحسى بالحسى :

الخد ورد والصدغ غالية	والريق خمر والثغر كالدرر
هزّن من القدود لنا رماحاً	فخلين القلوب لها درأيا
لها بشر مثل الحرير ومنطق	رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر

ولما عقليان ؛ كما في تشبيه العلم بالحياة^(١) .
ولما مختلفان ؛ والمعقول هو المشبه ؛ كما في تشبيه الميتة بالسبع^(٢) ، أو
العكس ؛ كما في تشبيه العطر بخلق كريم^(٣) .
والمراد بالحسي المدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة ؛
فدخل فيه الخيالي^(٤) كما في قوله :

وَكأنَّ مُحَمَّرَ الشَّقِيِّ ق إذا تَصَوَّبَ أو تَصَعَّدَ
أعلامُ ياقوتٍ نُشِرَ ن على رماحٍ مِنْ زَبْرَجَدٍ^(٥)
وقوله :

كُلُّنا باسطُ اليدِ نحو نيلوفرٍ نَدَى

(١) من ذلك قول الشاعر :
تُشرقُ أعراضُهُمُ وأوجُهُهُمُ كأنَّها في نفوسِهِم شِيمُ
في تشبيه الأعراض بالشيم ، أما تشبيه الوجوه بها فمن الحسي بالعقلي .
(٢) من ذلك قول الشاعر :
الرأى كالليل مسودَّ جَوَابُهُ والليل لا يَنْجَلِي إلا بِاصْبَاحِ
(٣) سيأتى في قول صاحب :
أهديتُ عطراً مثل طيب ثنائهِ فكأنما أهدى له أخلاقه

وقد تشبه الأرض بذلك أيضاً ، كما في قول الشاعر :
وأرض كَأَخلاقِ الكرامِ قَطَعَتْها وقد كَحَلَّ الليلُ السماك فأبصرها
ومن العلماء من ينكر تشبيه المحسوس بالمعقول ؛ لأن المشبه به يجب أن يكون أظهر
من المشبه ، وقد حمل ما جاء منه على المبالغة فيكون من التشبيه المقلوب الآتي ، ومن
العلماء من يستحسنه لما فيه من اللطافة والرقّة فلا يكون عنده دائماً من التشبيه المقلوب .
هذا وكان من الواجب أن يعنى ببيان منزلة تلك الأقسام في التشبيه ؛ لأن سردها من غير
بيان ذلك ليس فيه فائدة ، والمقرر في ذلك أن التشبيه كلما كان أدخل في باب المعنويات
كان أكمل .

(٤) هو المركب الذي توجد أجزاؤه في الخارج دون صورته المركبة ، فتكون مادته
مدرّكة بالحس دون صورته لعدم وجودها .

(٥) هما لأبي بكر أحمد بن محمد بن الحسن الضبّحى المعروف بالصنوبرى ،
والشقيق : نبات أحمر الزهر يسمى شقائق النعمان ، وقد أفرده لضرورة الشعر ، وقوله
« تصوب أو تصعد » بمعنى مال إلى أسفل وإلى أعلى فـ «أو» فيه بمعنى الواو ، والياقوت :
حجر نفيس تختلف ألوانه والمراد هنا الأحمر ، والزبرجد : حجر نفيس أشهره الأخضر
وهو المراد هنا ، والخيالي في ذلك هو المشبه به .

كذباً بيبس عَسَجَدَ قُضِبُهَا مِنْ زَبَرَجَدٍ (١)
والمراد بالعقل ما عدا ذلك ، فدخل فيه الوهمي ؛ وهو ما ليس مدركاً
بشيء من الحواس الخمس الظاهرة مع أنه لو أدرك لم يدرك إلا بها (٢) كما في
قول امرئ القيس :

ومسنونة زرق كأنياب أغوال (٣)
وعليه قوله تعالى : ﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ (٤) ، وكذا ما
يدرك بالوجدان (٥) كاللذة والألم والشبع والجوع .
وجه التشبيه : وأما وجهه فهو المعنى الذي يشترك فيه الطرفان تحقيقاً أو
تخيلاً ، والمراد بالتخييل ألا يمكن وجوده في المشبه به إلا على تأويل (٦) كما
في قول القاضي التنوخي :

وكان النجوم بين دجائها سنن لآح يَنهنَّ ابتداءً (٧)

(١) هما للصنوبري أيضاً ، والنيلوفر : هو البشني ، وهو نبات ذو رائحة ينبت
في الماء الراكد أصله كالجزر وساقه أملس أخضر فإذا ساوى سطح الماء أورد وأزهر وزهره
أحمر مشوب بصفرة ، والدبابيس : جمع دبوس وهو عصا في رأسها كالكرة ويسمى
مقمعة ، والعسجد : الذهب أو جوهر كالدر والياقوت . والخيالي هو المشبه به أيضاً .
(٢) فعدم إدراكه بها إنما هو لعدم وجوده ، وبهذا يمتاز عن العقلي الخالص .
(٣) هو من قوله :

أَيَقْتَلْنِي وَالْمُشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زُرُقٍ كَأَنْيَابِ أَغْوَالٍ

وقد مضى في الكلام على الاستفهام في باب الإنشاء ، والوهمي في ذلك هو

المشبه به .

(٤) آية ٦٥ سورة الصافات . والشاهد في الآية على أن المراد بالشياطين : الجن ،
وقيل إن رؤوس الشياطين ثمر شجر منكر الصورة يسمى الأستن .

(٥) هو ما يدرك بالحواس الباطنة من المعاني الجزئية .

(٦) التأويل بمعنى التخييل وهو جعله غير المحقق محققاً ، ولم يقيد السعد ذلك

بالمشبه به بل جعله عاماً في أحد الطرفين أو كليهما .

(٧) الدجى : جمع دجية وهي الظلمة ، والضمير المضاف إليه يعود إلى النجوم ،

وفي الشطر الثاني قلب ، والأصل سنن لاحت بين ابتداء ؛ لأن هذا هو الموافق لوجود
النجوم بين الدجى . والقاضي التنوخي هو على بن محمد بن داود بن فهم .

فإن وجه الشبه فيه الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مُشْرِقة بيض في جوانب شيء مظلم أسود ؛ فهي غير موجودة في المشبه به إلا على طريق التخيل ، وذلك أنه لما كانت البدعة والضلالة وكل ما هو جهلٌ يجعل صاحبها في حكم من يمشى في الظلمة ، فلا يهتدى إلى الطريق ولا يفصل الشيء من غيره ، فلا يأمن أن يتردّى في مهوأة أو يعثر على عدو قاتل أو آفة مُهلكة ، شُبّهت بالظلمة ، ولزم على عكس ذلك أن يُشبه السنة والهدى وكل ما هو علمٌ بالنور ، وعليهما قوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾^(١) وشاع ذلك حتى وُصفِ الصنفُ الأول بالسواد ، كما في قول القائل : « شاهدت سواد الكفر من جبين فلان » والصنف الثاني بالبياض و كما في قول النبي ﷺ : « أتيتكم بالحنيفة البيضاء » وذلك لتخيل أن السنن ونحوها من الجنس الذي هو إشراق أو ابيضاضٌ في العين ، وأن البدعة ونحوها على خلاف ذلك ، فصار تشبيه النجوم ما بين الدياجي بالسنن ما بين الابتداع كتشبيه النجوم في الظلام ببياض الشيب في سواد الشباب ، وبالأنوار^(٢) مؤتلفة بين النبات الشديد الخضرة ؛ فالتأويل فيه أنه تخيل ما ليس بمتلون متلوناً ، ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يتأوّل بأنه أراد معنى قولهم « إن سواد الظلام يزيد النجوم حسناً » فإنه لما كان وقوف العاقل على عوَار الباطل يزيد الحق نُبلًا في نفسه وحسناً في مرآة عقله ، جعل هذا الأصل من المعقول مثلاً للمشاهد البَصَر هناك ، غير أنه لا يخرج مع هذا عن كونه على خلاف الظاهر ؛ لأن الظاهر أن يمثّل المعقول في ذلك بالمحسوس^(٣) كما فعل البحترى في قوله :

وقد زادها إفراط حسن جوارها خلّات أصفار من المجد خيب^(٤)

(١) البقرة : ٢٥٧ .

(٢) جمع نور بفتح النون وهو الزهر الأبيض أو الزهر مطلقاً .

(٣) المعقول هو زيادة حسن الحق ، والمحسوس هو زيادة حسن النجوم .

(٤) تقدير البيت : وقد زادها جوارها خلّات أصفار من المجد خيب إفراط حسن ؛ إفراط مفعول ل زاد مقدم على فاعله وهو جوارها ، وخلّات مفعول لجوارها ، ومن المجد متعلق بأصفار لأنها بمعنى خالية جمع صفر .

وَحُسْنُ دَرَارَى الْكَوَاكِبِ أَنْ تُرَى طَوَّالِعَ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْهَبٍ (١)

ومن التشبيه التخيلي قول أبي طالب الرقي :

ولقد ذكرتُكَ والظلامُ كأنَّه يومُ النَّوَى وفؤادُ مَنْ لَمْ يَعْشَقِ (٢)

فإنه لما كانت أيام المكاره توصف بالسواد توسعاً ؛ فيقال : « اسودَّ النهار في عيني وأظلمت الدنيا عليَّ » ، وكان الغزل يدعى القسوة على من لم يعشق ، والقلب القاسي يُوصف بالسواد توسعاً ، تَحَيَّلَ يَوْمَ النَّوَى وفؤادُ مَنْ لَمْ يَعْشَقِ شيئين لهما سواد ، وجعلهما أعرف وأشهر من الظلام ، فشبه بهما .

وكذا قول ابن بابك :

وأرض كَأَخْلَاقِ الْكَرَامِ قَطَعَتْهَا وَقَدْ كَحَلَ اللَّيْلُ السَّمَاءَ فَأَبْصَرَ (٣)

فإن الأخلاق لما كانت توصف بالسعة والضيق تشبيهاً لها بالأماكن الواسعة والضيقة ، تخيل أخلاق الكرام شيئاً له سعة وجعل أصلاً فيها ، فشبه الأرض الواسعة بها . وكذا قول التَّوْخِي :

فانهضُ بِنَارٍ إِلَى فَحْمٍ كَأَنَّهُمَا فِي الْعَيْنِ ظَلَمٌ وَإِنْصَافٌ قَدْ اتَّفَقَا (٤)

فإنه لما كان يقال في الحق : « إنه منير واضح » ، فيستعار له صفة الأجسام المنيرة ، وفي الظلم خلاف ذلك ، تخيَّلَهُمَا شيئين لهما إنارة وإظلام ؛ فشبه

(١) الدراري : جمع درى وهو الكوكب الثاقب المضيء كالدر ، والداجى :

المظلم ، والغيب : الشديد السواد . والمراد تشبيه هيئة وجود خلائق لها مجد بين خلائق خالية منه بهيئة وجود درارى الكواكب فى ليل غيب ، فشبه المعقول فى هذا بالمحسوس

(٢) هو من تشبيه المحسوس بالمعقول ، وأبو طالب الرقي من شعراء اليتيمة : يتيمة

الدهر للثعالبي .

(٣) السماك : الأعزل . والرامي : نيمان نيران ، وضمير « أبصرا » يعود إليه ،

يعنى أنه فتح وظهر ، وفى البيت تشبيه محسوس بمعقول ، وابن بابك هو عبد الصمد ابن منصور .

(٤) هو من قطعة له فى وصف البرد ، وفيه تشبيه محسوس بمعقول ، وقد سبق

التعريف بالقاضى التوخي .

النار والفحم مجتمعين بهما مجتمعين . وكذا ما كتب به الصاحب إلى
القاضي أبي الحسن (١) وقد أهدى له الصاحب عطر القُطر :

يا أيها القاضي الذي نفسي له مع قُرب عهد لقائه مُشتاقه
أهديتُ عطرًا مثل طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقه

فإنه لما كان الثناء يُشبه بالعطر ويشتق له منه ، تخيله شيئاً له رائحة طيبة ،
وشبه العطر به ليوهم أنه أصل في الطيب وأحق به منه . وكذا قول الآخر :

كأن انتضاء البدر من تحت غيمه نجاء من البأساء بعد وقوع (٢)

فإنه لما رأى الخلاص من شدة يشبه بخروج البدر من تحت الغيم بانحساره
عنه ؛ قلب التشبيه ليرى أن صورة النجاء من البأساء - لكونها مطلوبة فوق كل
مطلوب - أعرف من صورة انتضاء البدر من تحت غيمه .

وإذا علم أن وجه الشبه هو ما يشترك فيه الطرفان علم فساد جعله في
قول القائل : « النحو في الكلام كالمالح في الطعام » كون القليل مصلحاً والكثير
مفسداً ؛ لأن القلة والكثرة إنما يتصور جريانها في المالح - وذلك بأن يجعل
منه في الطعام القدر المصلح أو أكثر منه - دون النحو ، فإنه إذا كان من حكمه
رفع الفاعل ونصب المفعول مثلاً فإن وجد ذلك في الكلام فقد حصل النحو فيه
وانتفى الفساد عنه وصار منتفعاً به في فهم المراد منه ، وإلا لم يحصل وكان
فاسداً لا ينتفع به ، فالوجه فيه هو كون الاستعمال مصلحاً والإهمال مفسداً
لاشتراكهما في ذلك .

ومما يتصل بهذا ما حكى أن ابن شرف القيرواني أنشد ابن رشيق قوله :

غَيْرِي جَنَى وَأَنَا الْمُعَاقَبُ فِيكُمْ فَكَأَنِّي سَبَابَةُ الْمُتَنَدِّمِ (٣)

(١) يعنى الصاحب إسماعيل بن عباد ، والقاضي على بن عبد العزيز .

(٢) نسيه ابن المعتز في البديع للعلوي الأصفهاني وهو محمد بن أحمد المعروف
بابن طباطبا ، والانتضاء : الانكشاف ، والنجاء : الخلاص ، والبأساء : الشدة ، وهو
من تشبيه المحسوس بالمعقول أيضاً .

(٣) السبابة : إصبع معروف ، يعنى أن الشخص يعضها إذا ندم على شيء فاته
ولا ذنب لها في ذلك . وابن رشيق اسمه الحسن ، وابن شرف البقرواني هو اسمه
محمد بن سعيد .

وقال له : هل سمعتَ هذا المعنى ؟ فقال ابن رشيقي : سمعته وأخذته أنت وأفسدته ؛ أما الأخذ فمن النابعة الذُّيَّاني يقول :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسِك ربةً وهل يَأْتَمَنُ ذو إمَّةٍ وهو طائع (١)

لكَلَفْتَنِي ذَنْبَ أَمْرِي وتركتُهُ كَذَى العَرِّ يَكْوَى غيره وهو راتع (٢)

وأما الإفساد؛ فلأن سبابة المتندم أول شيء يتألم منه؛ فلا يكون المعاقب غير الجاني ، وهذا بخلاف بيت النابعة؛ فإن المكوى من الإبل يألم وما به عُرُّ أَلْبَتَّة ، وصاحب العرِّ لا يألم جملة (٣) .

الوجه الداخِل في الطرفين والخارج عنهما :

وهو إما غيرُ خارجٍ عن حقيقة الطرفين، أو خارج . والأول إما تمام حقيقتهما كما في تشبيه إنسان بإنسان في كونه إنساناً، أو جزئهما؛ كما في تشبيه بعض الحيوانات العجم بالإنسان في كونه حيواناً. والثاني صفة إما حقيقة أو إضافية (٤)، والحقيقة إما حسية؛ وهي الكيفيات الجسمية مما يدرك بالبصر من الألوان والأشكال والمقادير والحركات وما يتصل بها من الحُسْن والقبح وغير ذلك، أو بالسمع من الأصوات القوية والضعيفة والتي يَبِينُ بَيْنَ، أو بالذوق من أنواع الطعوم، أو بالشم من أنواع الروائح، أو باللمس من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والخشونة والملاسة واللين والصلابة والخفة والثقل وما ينضاف

(١) الإمة : الدين أو النعمة أى ذو نعمة أسديت إليه ، وقد تضم همزته .

(٢) العر : بضم العين وفتحها الجرب ، وقيل إنه بالفتح : الجرب ، وبالضم : قروح مثل القوباء ، وهى التى يَكْوَى منها لذلك لا الجرب ، وقد كان العرب يفعلون ذلك قديماً لجهلهم ثم تركوه ، وقيل : إنه مثل لا حقيقة . والراتع : اسم فاعل من رتع بالمكان؛ إذا أقام فيه وأكل وشرب .

(٣) الحق أن هذا النقد يقوم على تعمق في التدقيق لا يحتمله مقام الأدب ، وكلام

العرب يقوم كثير منه على التوسع والتجوز .

(٤) الصفة الحقيقية كل هيئة متمكنة فى الذات متقررّة فيها ، والصفة الإضافية كل

معنى يتعلق بشيئين بحيث يتوقف تعقله على تعقلهما .

إليها ، وإما عقلية كالكيفيات النفسية من الذكاء والتيقظ والمعرفة والعلم والقدرة والكرم والسخاء والغضب والحلم وما جرى مجراها من الغرائز والأخلاق : والإضافية كإزالة الحجاب في تشبيه الحجة بالشمس (١) .

الوجه الواحد وغيره والحسى والعقلي :

تقسيم آخر باعتبار آخر : وجه الشبه إما واحد أو غير واحد ؛ والواحد إما حسى أو عقلى ، وغير الواحد إما بمنزلة الواحد لكونه مركباً من أمرين أو أمور ، أو متعدد غير مركب ، والمركب إما حسى أو عقلى ، والمتعدد إما حسى أو عقلى أو مختلف .

والحسى لا يكون طرفاه إلا حسيين ؛ لامتناع أن يدرك بالحس من غير الحسى شئاً ، والعقلي طرفاه إما عقليان أو حسيان أو مختلفان ؛ لجواز أن يدرك بالعقل من الحسى شئاً ، ولذلك يقال : التشبيه بالوجه العقلى أعم من التشبيه بالوجه الحسى .

قال الشيخ صاحب المفتاح (٢) : « وها هنا نكتة لا بد من التنبيه لها ؛ وهى أن التحقيق فى وجه الشبه يأبى أن يكون غير عقلى ؛ وذلك أنه متى كان حسيّاً - وقد عرفت أنه يجب أن يكون موجوداً فى الطرفين ، وكل موجود فله تعين - فوجه الشبه مع المشبه متعين ، فيمتنع أن يكون هو بعينه موجوداً مع المشبه به ؛ لامتناع حصول المحسوس المعين ههنا مع كونه بعينه هناك بحكم الضرورة ، وبحكم التنبيه على امتناعه إن شئت ، وهو استلزامه إذا عُدّت حمرة الخد دون حمرة الورد ، أو بالعكس كون الحمرة معدومة موجودة معاً ، وهكذا فى أخواتها ، بل يكون (٣) مثله مع المشبه به ، لكن المثلين لا يكونان

(١) فإزالة الحجاب أمر نسى يتعلق بالزليل والمزال ، والأول هو الشمس أو الحجة ، والثانى هو الحجاب الحسى أو المعنوى .

ولهذا التقسيم فائدة فى الفرق بين التشبيه والتمثيل عند عبد القاهر ، كما سيأتى فى تقسيم التشبيه إلى تمثيل وغير تمثيل .

(٢) ١٧٩ - المفتاح - المطبعة الأدبية .

(٣) معطوف على قوله « فيمتنع أن يكون هو بعينه موجوداً مع المشبه به » .

شيئاً واحداً ، ووجه الشبه بين الطرفين كما عرفت واحد ، فيلزم أن يكون أمراً كلياً مأخوذاً من المثليين بتجريدهما عن التعين ، لكن ما هذا شأنه فهو عقلي ، ويمتنع أن يقال : فالمراد بوجه الشبه حصول المثليين في الطرفين ^(١) ؛ فإن المثليين متشابهان فمعهما وجه تشبيه ؛ فإن كان عقلياً كان المرجع في وجه الشبه العقل في المأل ، وإن كان حسيّاً استلزم أن يكون مع المثليين مثلاً آخران ، وكان الكلام فيهما كالكلام فيما سواههما ويلزم التسلسل . « هذا لفظه ، ويمكن أن يقال : المراد بكونه حسيّاً أن تكون أفرادهُ مدركةً بالحس ^(٢) كالسواد ، فإن أفرادهُ مدركةً بالبصر وإن كان هو نفسه غير مدرك به ولا بغيره من الحواس .

الواحد الحسيّ : الواحد الحسي كالحمرة والخفاء وطيب الرائحة ولذة الطعم ولين الملمس في تشبيه الخد بالورد ، والصنوت الضعيف بالهمس ، والنكهة بالعنبر ، والريق بالخمر ، والجلد الناعم بالحرير ، كما سبق ^(٣) .

الواحد العقلي : والواحد العقلي كالعراء عن الفائدة في تشبيه وجود الشيء العديم النفع بعدمه ، وجهة الإدراك في تشبيه العلم بالحياة - فيما طرفاه معقولان - والجرأة في تشبيه الرجل الشجاع بالأسد ، ومطلق الاهتداء في تشبيه أصحاب النبي ﷺ ورضي عنهم بالنجوم ^(٤) فيما طرفاه محسوسان - والهداية في تشبيه العلم بالنور ^(٥) ، وتحصيل ما بين الزيادة والنقصان في تشبيه العدل بالقسطاس - فيما المشبه فيه معقول والمشبه به محسوس - ، واستطابة

(١) أي من غير أن يكون هناك وجه مشترك بينهما .

(٢) أعترض على هذا بأنه في الحقيقة اعتراف بأن وجه الشبه عقلي كما قال السكاكي ، وإنى أرى أن هذا البحث كله مباحكة لفظية لا يحتمل مثلها هذا العلم .

(٣) فيما طرفاه محسوسان ، ومن ذلك قول الشاعر :

فوجهك كالنار في ضوءها وقلبي كالنار في حرّها

(٤) في قوله ﷺ : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم »

(٥) كما قال الإمام الشافعي :

شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأنَّ العلمَ نورٌ ونورُ الله لا يهدي لِعاصي

النفس فى تشبيه العطر بخلق كريم (١) ، وعدم الخفاء فى تشبيه النجوم بالسُّن (٢) فيما المشبه فيه محسوس والمشبه به معقول - قال الشيخ صاحب المفتاح (٣) : « وفى أكثر هذه الأمثلة فى معنى وحدتها تسامح » (٤) .

المُرْكَب الحَسِّى : والمركب الحسى طرفاه إما مفردان ؛ كالهَيْئَة الحاصلة من الحمرة والشكل الكرِّى ، والمقدار المخصوص فى قول ذى الرُّمَّة :
وَسَقَطَ كَعَيْنِ الدِّيكِ عَاوَرَتْ صَاحِبِي أَبَاهَا وَهَيَّأْنَا لِمَوْعِدِهَا وَكُرَّا (٥)
وكالهَيْئَة الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرة الصغار المقادير فى المراءى على كيفية مخصصة إلى مقدار مخصص فى قول أحيحة بن الجلاح أو أبى قيس بن الأسلت :

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحية حين نورا (٦)

(١) أى فى قول الشاعر فيما سبق :

أهديت عطراً مثل طيب ثنائته فكأنما أهدى له أخلاقه

(٢) أى فى قول الشاعر فيما سبق :

وكان النجوم بين دجأها سنن لاح بينهن ابتدأ

(٣) ١٨٠ - المفتاح .

(٤) لأن فيه نوع تركيب إضافى ، وهذا كخفاء الصوت ولذة الطعم واستطابة

النفس . وأجيب عن ذلك بأن الكلام فى مطلق المفرد لا فى المفرد المحض .

(٥) السقط : النار الساقطة من الزند ، وهى تنزل منه ووسطها أسود وحافتها

حمراء كعين الديك ، وقوله - عاورت : بمعنى ناورت ، وكان من عادتهم عند استخراج النار أن يأتوا بعودين فيضعوا أحدهما أسفل ويسموه أنثى ، ثم يقرضوا فيه فرضاً ويجروا فيه عوداً آخر يسمونه أبا ، فإذا طال الزمن ولم تخرج النار تناوبوه . والوكر : ما تودع فيه النار بعد خروجها . وذو الرمة : هو غيلان بن عقبة بن مسعود .

(٦) الملاحية : غيب أبيض فى حبه طول . وقوله « نورا » بمعنى أدرك نضجه ،

وكاف التشبيه هى التى فى قوله « كعنقود » أما الكاف قبلها فبمعنى على ، وتقييد كل من المشبه والمشبه به بما قيد به لا ينافى كونه مفرداً ؛ لأن المراد بالمفرد ما ليس هيئة متزعة من متعدد . وأبو قيس : هو صيفى بن عامر ، والأسلت لقب أبيه ، وقيل : إن البيت لقيس ابن الخطيم .

وإما مركبان ؛ كالهَيئة الحاصلة من هَوَى أَجْرامٍ مشرقة مستطيلة متناسبة
المقدار متفرقة في جوانب شيء مظلم في قول بشار :

كَأَنَّ مِثَارَ النَّعَمِ فَوْقَ رُءُوسِنَا وَأُسَيْفَانَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ (١)

وكالهَيئة الحاصلة من تفرُّق أَجْرامٍ متألّثة مستديرة صغار المقادير في
المَرَأَى على سطح جسم أزرق صافى الزرقة في قول أبى طالب الرّقّى :

وَكَأَنَّ أَجْرامَ النُّجُومِ لَوَامِعًا دُرَّرَ نَثْرُنٌ عَلَى بُسَاطٍ أَزْرَقِ (٢)

وإما مختلفان ، كما في تشبيه الشاة الجبلية (٣) بحمار أتر مشقوق الشفة
والخوافر نابت على رأسه شجرتا غضا ، وكما مر في تشبيه الشقيق
والتيلوفر (٤) .

ومن بديع هذا النوع - أعنى المركب الحسى - ما يجيء في الهيئات التي
تقع عليها الحركة ، ويكون على وجهين : أحدهما أن يُقَرَّنَ بالحركة غيرها من
أوصاف الجسم كالشكل واللون ؛ كما في قوله :
والشمسُ كالمرآة في كفِّ الأثل (٥)

(١) هو لبشار بن برد . ومثار : اسم مفعول من أثاره بمعنى هيجه ، والنفع :
الغبار ، وقوله تهاوى : بمعنى تتساقط أصله تهاوى ، والواو في قوله « وأسيافنا » إما واو
المعية أو عاطفة متضمنة معنى مع ؛ لأن الواو التي لخالص العطف لا تكون في المركب ،
وإنما تكون في المتعدد .

(٢) يريد لوامعاً في السماء حتى يكون هناك زرقة في المشبه أيضاً ، وقد حذف
للعلم به . وقد سبق التعريف بأبى طالب الرّقّى .

(٣) هو الثور الوحشى . (٤) انظر ص ١٤ .

(٥) قيل : إنه من قول عبد الله بن المعتز أو أبى النجم :

والشمسُ كالمرآة في كفِّ الأثل كَمَا رَأَيْتَهَا بَدَتْ فَوْقَ الْجَبَلِ

وقد ورد في الخزانة - شاهد ٢٩١ - منسوباً إلى جبار بن جزء ، والمراد بالأثل
المرتعش اليد ؛ لأن المرأة إنما تؤدي هذه الحركة في كفّه ، والشلل في الأصل ييس اليد
أو ذهابها ، وقد يطلق على ارتعاشها ، وهو يشبه الشمس بذلك عند طلوعها .

من الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق والحركة السريعة المتصلة ، وما يحصل من الإشراق بسبب تلك الحركة من التمزج والاضطراب ، حتى يرى الشعاع كأنه يهيم بأن ينسبط حتى يفيض من جوانب الدائرة ، ثم يبدو له فيرجع من الانبساط الذي بدا له إلى الانقباض كأنه يجتمع من الجوانب إلى الوسط ؛ فإن الشمس إذا أهد الإنسان النظر إليها لتبين جرمها ، وجديها مؤدية لهذه الهيئة ، وكذا المرأة إذا كانت في يد الأشل .

ومثله قول المهلبى الوزير :

والشمس من مشرقها قد بدت مشرقاً ليس لها حاجب^(١)
كأنها بوثقة أحميت يجول فيها ذهب ذائب^(٢)

فإن البوتقة إذا أحميت وذاب فيها الذهب تشكّل بشكلها في الاستدارة ، وأخذ يتحرك فيها بجملته تلك الحركة العجيبة ، كأنه يهيم بأن ينسبط حتى يفيض من جوانبها لما في طبعه من النعومة ، ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض لما بين أجزائه من شدة الاتصال والتلاحم ، ولذلك لا يقع فيه غليان على الصفة التي تكون في الماء ونحوه مما يتخلله الهواء . وكما في قول الصنوبرى :

كأن في غدرانها حواجباً ظلت تمط^(٣)

أراد ما يبدو في صفحة الماء من أشكال كأنصاف دوائر صغار ، ثم تمتد امتداداً ينقص من انحنائها فينقلها من القوس إلى الاستواء ، وذلك أشبه شئ

(١) المراد بالحاجب السحاب لأنه يمنع الشمس من الإشراق .

(٢) البوتقة : ما يذيب فيه الصائغ الذهب والفضة . والمهلبى الوزير : هو

الحسن بن محمد ، ينتهى نسبه إلى المهلب بن أبى صفرة .

(٣) الغدران : الأنهار ، وقوله « تمط » بمعنى تمد ، يصف أرضاً بأن أنهارها تهب عليها الرياح فيظهر على صفحاتها أشكال كأنها حواجب لها تقوس وامتداد . والصنوبرى هو أبو بكر أحمد بن محمد .

بالحواجب إذا امتدت؛ لأن للحاجب كما لا يخفى تقويساً، ومده يُنقص من تقويسه .

والوجه الثانى أن تُجَرَّدَ هيئةُ الحركة عن كل وصف غيرها للجسم ، فهناك أيضاً لا بد من اختلاط حركات كثيرة للجسم إلى جهات مختلفة له ، كأن يتحرك بعضه إلى اليمين وبعضه إلى الشمال وبعضه إلى العلوّ وبعضه إلى السفلى ، فحركة الرِّحَا والدُّوَلاب (١) والسهم لا تركيب فيها لاتحاد الحركة ، وحركة المصحف فى قول ابن المعتز :

وكأن البرق مصحفٌ قارٍ فانطباقاً مرةً وانفتاحاً (٢)

فيها تركيب؛ لأنه يتحرك فى الحالتين إلى جهتين (٣) فى كل حالة إلى جهة .

وكلما كان التفاوت فى الجهات التى تتحرك أبعاد الجسم إليها أشد كان التركيب فى هيئة المتحرك أكثر . ومن لطيف ذلك قول الأعشى (٤) يصف السفينة فى البحر وتقاذف الأمواج بها :

تَقْصُ السَّفِينُ بِجَانِبِيهِ كَمَا يَنْزُو الرِّيحُ خَلَا لَهُ كَرَعٌ (٥)

قال الشيخ عبد القاهر (٦) : الرياح : الفصيل ، والكرعُ : ماء السماء ؛

(١) الدُّوَلاب : الساقية وهى آلة يستعملها الفلاح المصرى فى سقى الأرض والزرع .

(٢) هو لعبد الله بن المعتز ، و (قار) مخفف قارىء قلبت همزته ياء ثم أعلّ إعلال قاض ، والفاء فى قوله « فانطباقاً » للتفريع ، وتحرك المصحف فى حالة الانطباق إلى جهة العلو وفى حالة الانفتاح إلى جهة السفلى ، ووجه الشبه تقارن هذه الحركات مع تكررها .

(٣) جهة العلو فى حالة الانطباق ، وجهة السفلى فى حالة الانفتاح .

(٤) هو الأعشى الكبير ميمون بن قيس .

(٥) قوله تقص : بمعنى تشبُّ ، والسفين : اسم جنس واحده سفينة ، وكرع :

فاعل خلا ، وقيل إنه بكسر الخاء والأصل خلال الكرع ، فيكون فى البيت قلب .

(٦) ٢١ - أسرار البلاغة - مطبعة الاستقامة .

شبه السفينة في انحدارها وارتفاعها بحركات الفصيل في نزوه ؛ فإنه يكون له حينئذ حركات متفاوتة تصير لها أعضاؤه في جهات مختلفة ، ويكون هناك تسفلٌ وتصعدٌ على غير ترتيب ، وبحيث يدخل أحدهما في الآخر ، فلا يتبينه الطرفُ مرتفعاً حتى يراه مُتسفلًا ، وذلك أشبهُ شيء بحال السفينة وهيئة حركتها حين تتدافعها الأمواج . ومنه قول الآخر :

حُفَّتْ بِسُرُو كَالْقِيَانِ تَلَحَّفَتْ خُضِرَ الْحَرِيرُ عَلَى قِوَامٍ مُعْتَدِلٍ
فَكَأَنَّهَا وَالرَّيْحُ جَاءَ يُمِيلُهَا تَبَغَى التَّعَاتُقَ ثُمَّ يَمْنَعُهَا الْخَجْلُ^(١)

فإن فيه تفصيلاً دقيقاً ؛ وذلك أنه راعى الحركتين : حركة التهيز للذنو والعناق ، وحركة الرجوع إلى أصل الافتراق ، وأدّى ما يكون في الثانية من سرعة زائدة تأديةً لطيفة ؛ لأن حركة الشجرة المعتدلة في حال رجوعها إلى اعتدالها أسرع لا محالة من حركتها في حال خروجها عن مكانها من الاعتدال ، وكذلك حركة من يدركه الخجل فيرتدع أسرع من حركة من يهيم بالذنو ؛ لأن إزعاج الخوف أقوى أبداً من إزعاج الرجاء .

ومما مذهبه السهل الممتنع من هذا الضرب قول امرئ القيس :

مِكرٌ مِقْرٌ مُقْبِلٌ مَدْبِرٌ مَعَاً كَجَلْمُودٍ صَحَرَ حَطَّةَ السَّيْلِ مِنْ عِلٍ^(٢)

يقول : إن هذا الفرس لفرط ما فيه من لين الرأس وسرعة الانحراف ترى

(١) هما للأخطل الأهوازي الملقب ببرقوقا . وقيل إنهما لأحمد بن سليمان بن وهب . وقيل إنهما لابن المعتز . والضمير في « حفت » لروضة يصفها ، والقيان : جمع قينة وهي الجارية ، وهن يُشَبَّهْنَ في اعتدال القد بالسرو ، وقد يشبه السرو بهن في ذلك فيكون من التشبيه المقلوب ، وقوله « تلحفت » بمعنى اتخذت لحافاً ، والخجل : الحياء .

(٢) المكر : السريع الكر . يقال « كر الفارس على العدو » بمعنى حمل وانقض ، والمقر : السريع الفر ، وعلى : بمعنى فوق .

كَفَّلَهُ فِي الْحَالِ الَّتِي تَرَى فِيهَا لَبَّيْهِ ، فَهُوَ كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ دَفَعَهُ السَّيْلُ مِنْ مَكَانٍ عَالٍ ؛ فَإِنْ الْحَجَرُ بَطَعَهُ يَطْلُبُ جِهَةَ السَّفَلِ لِأَنَّهَا مَرَكِزُهُ ، فَكَيْفَ إِذَا أَعَانَتْهُ قُوَّةُ دَفْعِ السَّيْلِ مِنْ عُلٍ ، فَهُوَ لِسُرْعَةِ تَقْلِبِهِ يُرَى أَحَدُ وَجْهَيْهِ حِينَ يُرَى الْآخَرُ .

وَكَمَا يَقَعُ التَّرَكِيبُ فِي هَيْئَةِ الْحَرَكَةِ قَدْ يَقَعُ فِي هَيْئَةِ السَّكُونِ ؛ فَمِنْ لَطِيفِ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ فِي صِفَةِ الْكَلْبِ :

يُقَعِي جُلُوسَ الْبَدْوِيِّ الْمُصْطَلِي (١)

وَأَمَّا لَطْفٌ مِنْ حَيْثُ كَانَ لِكُلِّ عَضْوٍ مِنَ الْكَلْبِ فِي إِقْعَائِهِ مَوْقِعٌ خَاصٌّ ، وَلِلْمَجْمُوعِ صُورَةٌ خَاصَّةٌ مُؤَلَّفَةٌ مِنْ تِلْكَ الْمَوَاقِعِ .

وَمِنْهُ الْبَيْتُ الثَّانِي مِنْ قَوْلِ الْآخَرِ فِي صِفَةِ مُصْلُوبٍ :

كَأَنَّهُ عَاشِقٌ قَدْ مَدَّ صَفْحَتَهُ يَوْمَ الْوَدَاعِ إِلَى تَوْدِيعِ مُرْتَحِلٍ

أَوْ قَائِمٌ مِنْ نَعَاسٍ فِيهِ لُوثَتُهُ مُوَاصِلٌ لِمَتَمِّطِيهِ مِنَ الْكَسَلِ (٢)

وَالْتَفْصِيلُ فِيهِ أَنَّهُ شَبَّهَ بِالْمَتَمِّطِيِّ إِذَا وَاصَلَ تَمْطِيَهُ مَعَ التَّعَرُّضِ لِسَبَبِهِ وَهُوَ اللَّوْثَةُ وَالْكَسَلُ فِيهِ ، فَنَظَرَ إِلَى هَذِهِ الْجِهَاتِ الثَّلَاثِ (٣) ، وَلَوْ اقْتَصَرَ عَلَى أَنَّهُ كَالْمَتَمِّطِيِّ كَانَ قَرِيبَ التَّنَازُلِ ؛ لِأَنَّ هَذَا الْقَدْرَ يَقَعُ فِي نَفْسِ الرَّائِي لِلْمُصْلُوبِ ابْتِدَاءً ؛ لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ الْجَمْلَةِ .

(١) هُوَ مِنْ قَوْلِهِ :

يُقَعِي جُلُوسَ الْبَدْوِيِّ الْمُصْطَلِي بِأَرْبَعِ مَجْدُولَةٍ لَمْ تَجْدَلْ
وَقَوْلُهُ « يَقَعِي » بِمَعْنَى يَجْلِسُ عَلَى أَلْيَيْهِ ، وَالْمُصْطَلِي : الْمُسْتَدْفِي ، وَالْمَجْدُولَةُ :
الْمَحْكَمَةُ الْخَلْقُ ، وَقَوْلُهُ « لَمْ تَجْدَلْ » بِمَعْنَى لَمْ تَجْمَعْ كَمَا يَكُونُ فِي غَيْرِ صُورَةِ الْإِقْعَاءِ ،
يُقَالُ - جَدَلَ الشَّعْرَ - بِمَعْنَى ضَيَّفَهُ ، وَوَجْهَ الشَّبْهِ هُوَ الْهَيْئَةُ الْحَاصِلَةُ مِنْ وَقُوعِ كُلِّ عَضْوٍ
مِنْهُمَا فِي مَوْقِعٍ خَاصٍّ .

(٢) هُمَا لِلْأَخِيضِ الْأَهْوَازِيِّ الْمَلَقْبِ بِبِرْقُوقَا ، وَالصَّفْحَةُ : بَاطِنُ الْكَفِّ ،
وَاللَّوْثَةُ : الْإِسْتِرْخَاءُ ، وَهَذَا مِثَالُ لِهَيْئَةِ السَّكُونِ الْمُضَافِ إِلَيْهَا غَيْرُهَا مِنْ أَوْصَافِ الْجِسْمِ .

(٣) هِيَ التَّمْطِي ، وَمَوَاصِلَتُهُ ، وَالتَّعَرُّضُ لِسَبَبِهِ .

وشبيه بهذا القول قول الآخر :

لم أرَ صَفًّا مثلَ صَفِّ الزُّطِّ تسعين منهم صُلبوا في خَطِّ
مِن كلِّ عالٍ جَذَعُهُ بالشُّطِّ كأنه في جِذْعِهِ المَشْتَطِّ
أخو نَعاسٍ جَدَّ في التَّمْطِي قد خامره النومُ ولم يَغُطِّ (١)

والفَرْقُ بين هذا والأول (٢) أن الأول صريحٌ في الاستمرار على الهيئة والاستدامة لها دون بلوغ الصفة غاية ما يمكن أن يكون عليها ، والثاني بالعكس .

قال الشيخ عبد القاهر (٣) : «وشبيه بالأول في الاستقصاء قول ابن الرومي في المصلوب أيضاً :

كأن له في الجَوْ حَبلاً يَبُوعُهُ إذا ما انقضى حَبْلٌ أُتِيحَ له حَبْلٌ (٤)

فقوله « إذا ما انقضى حبل أُتِيحَ له حبل » كقوله « مواصل لتمطيه من الكسل » في التنبيه على استدامة الشبه ؛ لأنه إذا كان لا يزال يبيع حَبلاً لم يقبض باعه ولم يرسل يده ، وفي ذلك بقاء شبه المصلوب على الاتصال .

الركب العقلي : والركب العقلي كالمنظر المُطْمَع مع المخبر المؤيس الذي هو على عكس ما قدّر في قوله تعالى (٥) : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ

(١) الآيات لدعبل بن علي الخزاعي ، والزط : طائفة من الهند صُلبَ منهم هذا العدد في خط مؤلف من أشجار عالية الجذوع ، وكانوا قد خرجوا على المعتصم فشردهم ، ويعرفون بالنَّور أو بالعُجْر ، فقوله « من كل عال » صفة لخط ، وقوله « جذعه » فاعل عال ، وقوله « بالشط » صفة له ، والضمير في قوله « كأنه » للواحد من المصلوبين ، والمشتط : الخارج في طوله عن الحد ، وقوله « خامر » بمعنى خالط أي خالطه النوم ، وقوله « لم يغط » بمعنى لم ينخر ويتردد نفسه صناعداً إلى حلقه حتى يسمعه من حوله .

(٢) يعني بهذا قول دعبل ، وبالأول قول الأخيطل . (٣) ٢١٦ - أسترار البلاغة .

(٤) هو لعل بن العباس المعروف بابن الرومي . وقوله « يبعه » : بمعنى يقيسه

بالباع ، وقوله « أُتِيحَ » بمعنى هُبِّي . (٥) سورة التور : ٣٩ .

بقية يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاء لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوقه حسابه ﴿ شبه ما يعمل من لا يقرن الإيمان بالمعبر بالأعمال التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم يخيب في العاقبة أمله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة ^(١) وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماءً ، فيأتيه فلا يجد ما رجاه ، ويجد زبانية الله عنده فيأخذونه فيغلونه ^(٢) إلى جهنم ، فيسقونه الحميم والغساق ، فهو كما ترى منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها إلى بعض ، وذلك أنه روى من الكافر فعل مخصوص وهو حساب الأعمال نافعة له ، وأن تكون للأعمال صورة مخصوصة وهي صورة الأعمال الصالحة التي وعد الله تعالى بالثواب عليها بشرط الإيمان به وبرسلة عليهم السلام ، وأنها لا تفيدهم في العاقبة شيئاً ، وأنهم يلقون فيها عكس ما أملوه وهو العذاب الأليم ، وكذا في جانب المشبه به ^(٣) .

وكحرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب في استصحابه ، كما في قوله تعالى : ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً ﴾ ^(٤) فإنه أيضاً منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها إلى بعض ، وذلك أنه روى من الحمار فعل مخصوص وهو الحمل ، وأن يكون المحمول شيئاً مخصوصاً وهي الأسفار التي هي أوعية العلوم ، وأن الحمار جاهل بما فيها ، وكذا في جانب المشبه .

● **دقيقة في الوجه المركب :** واعلم أنه قد تقع بعد أداة التشبيه أمور يُظن أن المقصود أمر منتزع من بعضها ، فيقع الخطأ لكونه أمراً منتزعا من جميعها ،

(١) الساهرة : الأرض البيضاء المستوية ، سُميت بذلك لأن السراب يجري فيها ، من قولهم « عين ساهرة » جارية الماء .

(٢) يقودونه بعنف وغلظة ، وهو أن يؤخذ بتليب الرجل فيجر إلى حس أو قتل .

(٣) فالجامع كون الشيء على صفة توهم نفعه وهو في الباطن غير نافع بل

ضار .

(٤) سورة الجمعة : ٥ .

كقوله :

كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامةً فلَمَّا رأوها أقشعت وتجلت (١)

فإنه ربما يُظن أن الشطر الأول منه تشبيه مستقل بنفسه لا حاجة به إلى الثاني ، على أن المقصود به ظهور أمر مطمع لمن هو شديد الحاجة إليه (٢) ، ولكن بالتأمل يظهر أن مغزى الشاعر فى التشبيه أن يُثبت ابتداءً مطمعاً متصلاً بانتهاء مؤيس ، وذلك يتوقف على البيت كله . فإن قيل : هذا يقضى أن يكون بعض التشبيهات المجتمعة كقولنا « زيد يصفو ويكدر » تشبيهاً واحداً (٣) لأن الاختصار على أحد الخبرين يظل الغرض من الكلام ؛ لأن الغرض منه وصف المخبر عنه بأنه يجمع بين الصفتين ، وأن إحداهما لا تدوم ، قلنا : الفرق بينهما أن الغرض فى البيت أن يُثبت ابتداءً مطمع متصل بانتهاء مؤيس كما مر ، وكون الشيء ابتداءً لآخر زائد على الجمع بينهما ، وليس فى قولنا « يصفو ويكدر » أكثر من الجمع بين الصفتين ، ونظير البيت قولنا « يصفو ثم يكدر » لإفادة « ثم » الترتيب المقتضى ربط أحد

(١) قبله :

لقد أطمعتنى بالوصال تبسماً وبعد رجائى أعرضت وتولت

وقوله « أبرقت » بمعنى تحسنت وتعرضت لهم ، فما بعده منصوب بتزع الخافض ، والغمامة : السحابة ، وقوله « أقشعت وتجلت » بمعنى تفرقت وانكشفت . وقد نسب بعضهم البيت إلى كثير ، ولكنه لا يوجد فى تائيته .

(٢) فيكون وجه الشبه غير مركب مع أنه مركب . وبهذا يعلم أن الغرض من التعقيب بقوله « واعلم أنه قد تقع الخ » التنبيه على هذا الاشتباه بين الوجه المركب وغير المركب .

(٣) أى مركباً ، وبهذا لا يكون هناك فرق بين التشبيهات المجتمعة أى المتعددة والتشبيه المركب مع ظهور الفرق بينهما ؛ لأن التشبيه المركب وجه واحد وإن كان متزعا من متعدد ، والمراد فى المثال تشبيهه فى حال رضاه بالماء الصافى ، وفى حال غضبه بالماء الكدر ، وهذا استعارة لا تشبيه ، فهو يقصد من التشبيه فى هذا ما هو أعم من الاصطلاحى ؛ لأن الاستعارة كالتشبيه تكون مفردة ومركبة ومتعددة أيضا .

الوصفين بالآخر ، وقد ظهر مما ذكرنا أن التشبيهات المجتمعة تفارق التشبيه المركب في مثل ما ذكرنا بأمرين : أحدهما أنه لا يجب فيها ترتيب ، والثاني أنه إذا حُذِف بعضها لا يتغير حال الباقي في إفادة ما كان يفيد قبل الحذف ، فإذا قلنا « زيد كالأسد بأساً والبحر جوداً والسيف مضاءً » لا يجب أن يكون لهذه التشبيهات نسقٌ مخصوص ، بل لو قُدِّم التشبيه بالبحر أو التشبيه بالسيف جاز ، ولو أُسقط واحد من الثلاثة لم يتغير حال غيره في إفادة معناه (١) .

المتعدد الحسى : والمتعدد الحسى كاللون والطعم والرائحة في تشبيه فاكهة

بأخرى .

المتعدد العقلى : والمتعدد العقلى كحدة النظر وكمال الحذر وإخفاء السفاد

في تشبيه طائر بالغراب .

المتعدد المختلف : والمتعدد المختلف كحسن الطلعة ونباهة الشأن في تشبيه

إنسان بالشمس .

واعلم أن الطريق في اكتساب وجه الشبه أن يُمَيِّزَ عما عداه ، فإذا أردت أن تشبه جسماً بجسم في هيئة حركة وجب أن تطلب الوفاق بين الهيئة والهيئة مجردتين عن الجسم وسائر أوصافه من اللون وغيره ، كما فعل ابن المعتز في تشبيه البرق (٢) ؛ فإنه لم ينظر إلى شيء من أوصافه سوى الهيئة التى تجدها العين من انبساط يعقبه انقباض .

أداة التشبيه : وأما أدواته **فالكاف** فى نحو قولك «زيد كالأسد»، «وكان» (٣)

(١) من وجوه الفرق أيضاً بين التشبيه المتعدد والمركب أن المتعدد يعطف فيه كل تشبيه على الآخر عطف المستقل على المستقل ، أما المركب فإنه فى الغالب يذكر فيه أحد أجزائه على وجه التبعية للآخر ، كأن يكون فى صفته أو صلته أو حالاً منه أو معطوفاً عليه بالفاء أو ثم ، فإذا توسطته الواو كانت للمعية أو عاطفة متضمنة لها أو للحال

(٢) انظر ص ٢٥

(٣) قد تستعمل - كان - لإفادة الظن إذا كان خبرها مشتقاً فلا تفيد التشبيه ، =

فى نحو قولك « زيد كأنه أسد » ، و (مثل) فى نحو قولك « زيد مثل الأسد » . وما فى معنى (مثل) كلفظة (نحو) ، وما يشتق من لفظة (مثل وشبه) ونحوهما (١) .

والأصل فى الكاف ونحوها (٢) أن يليها المشبه به (٣) ، وقد يليها مفرد لا يتأتى التشبيه به (٤) .

وذلك إذا كان المشبه به مركباً ؛ كقوله تعالى : ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح ﴾ (٥) إذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل

= كقولك « كأن زيداً أخوك ، وكأنه قائم » - وقد تفيد التشبيه الضمنى ، كما فى قول الشاعر :

كَأَنَّ دَنَائِرًا عَلَى قِسْمَاتِهِمْ وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الْوُجُوهَ لِقَاءَ
فَإِنَّهُ لَا تَكُونُ الدَّنَائِرُ عَلَى قِسْمَاتِهِمْ إِلَّا إِذَا كَانَتْ تَشْبِيهًا .

(١) كالمشتق من المضاهاة والمقاربة والموازنة والمعادلة والمحاكاة ، ومن ذلك قول الشاعر :

وَصَبَغُ شَفَاقِ النُّعْمَانِ يَحْكِي بِوَأَقْبِنَا نُظْمَنَ عَلَى اقْتِرَانِ
وقول الآخر :

تَشَابَهَ دِمْعَى إِذْ جَرَى وَمُدَامَتَى فَمِنْ مِثْلِ مَا فِى الْكَأْسِ عَيْنَى تَسْكُبُ
(٢) نحو الكاف كل ما يدخل على المفرد كلفظ (مشابه ومماثل) ، أما غير الكاف ونحوها وهو ما يدخل على الجملة أو يكون جملةً بنفسه فالأصل فيه أن يدخل على المشبه ، كلفظ (كأن) مما يدخل على الجملة ، وكلفظ (يشابه) مما يكون جملةً بنفسه ، والمشبه فى نحو « زيد يشابه عمراً » هو الضمير العائد على زيد لا زيد .

(٣) إما لفظاً نحو « زيد كأسد » أو تقديرًا نحو قوله تعالى : ﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ﴾ البقرة الآية ١٩ ، تقديره أو كمثل ذوى صيب ؛ بدليل قوله بعده ﴿ يجعلون ﴾ .

(٤) لكن لا بد أن يكون له اتصال بالمشبه به كالماء فى الآية ؛ فإنه بعض ما تنتزع منه هيئة المشبه به .
(٥) سورة الكهف : ٤٥ .

لتقديره^(١) بل المراد تشبيه حالها في نصارتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارقاً ثم يهيجُ فتُطيرهُ الرياح كأن لم يكن .
وأما قوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾^(٢) فليس منه ؛ لأن المعنى كونا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم : من أنصاري إلى الله^(٣) .

وقد يُذكر فعل^(٤) ينبيء عن التشبيه ؛ كعلمت في قولك : « علمت زيداً أسداً » ، ونحوه^(٥) هذا إذا قرب التشبيه ، فإن بعد أدنى تباعد قيل : « خلته وحسبته » ، ونحوهما^(٦) .

الغرض من التشبيه :

وأما الغرض من التشبيه فيعود في الأغلب إلى المشبه ، وقد يعود إلى المشبه به .

ما يعود إلى المشبه من أغراض التشبيه : أما الأول فيرجع إلى وجوه مختلفة : منها بيان أن وجود المشبه ممكن ، وذلك في كل أمر غريب يمكن أن يخالف فيه ويدعى امتناعه ؛ كما في قول أبي الطيب :

(١) بأن يقدر كنيات ماء ؛ لأن المعتبر هو الهيئة الحاصلة من مضمون الكلام المذكور بعد الكاف ، فيكون تقدير ذلك تمحلاً .

(٢) سورة الصف : ١٤ .

(٣) فهو مما يلي المشبه به الأداة تقديرأ .

(٤) يعنى فعلاً غير الأفعال السابقة الموضوع من أصلها للدلالة على التشبيه ؛ فأداة التشبيه هنا مقدرة ، والفعل إنما يدل على قرب التشبيه أو بعده ، ومن ذلك قول أبي نواس في تشبيه الحبيب :

فإذا ما اعترضته العيب من حيث استدّارا

خلته في جنبات الـ كأس واوات صغاراً

أى : كواوات صغيرة .

(٥) من كل ما يفيد اليقين . (٦) من كل ما يفيد الظن .

فَإِنْ تَفَقَّى الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمَسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ (١)

أراد أنه فاق الأنام في الأوصاف الفاضلة إلى حدٍّ بل معه أن يكون واحداً منهم ، بل صار نوعاً آخر برأسه أشرف من الإنسان ، وهذا - أعنى أن يتناهى بعض أفراد النوع في الفضائل إلى أن يصير كأنه ليس منها - أمرٌ غريبٌ يفتقر من يدعيه إلى إثبات جواز وجوده على الجملة ، حتى يجيء إثبات وجوده في الممدوح ، فقال « فإن المسك بعض دم الغزال » أى ولا يعدّ في الدماء لما فيه من الأوصاف الشريفة التى لا يوجد منها شيء في الدم ، وخلوه من الأوصاف التى لها كان الدم دماً ، فأبان أن لما ادعاه أصلاً في الوجود على الجملة .

ومنها بيان حاله ؛ كما في تشبيه ثوب بثوب آخر في السواد إذا علِمَ لون المشبه به دون المشبه (٢) .

ومنها بيان مقدار حاله في القوة والضعف والزيادة والنقصان ؛ كما في قوله :

مَدَادٌ مِثْلُ خَافِيَةِ الْغُرَابِ (٣)

(١) الفاء في قوله « فإن المسك » للتعليل ، والجواب محذوف تقديره : فلا غرابة في ذلك . والتشبيه في البيت يسمى معنوياً وضمنياً ومكنياً عنه ؛ لأنه ذُكر في الكلام لازم التشبيه وهو وجه الشبه - فَوْقَانِ الْفَرْعِ الْأَصْلَ - وأريد الملزوم وهو التشبيه ، ومن ذلك قول ابن الرومي :

قَالُوا أَبُو الصَّقَرِ مِنْ شَيْبَانَ قُلْتُ لَهُمْ كَلَّا لَعَمْرَى وَلَكِنْ مِنْهُ شَيْبَانُ
كَمْ مِنْ أَبٍ قَدْ عَلَا بِابْنِ ذُرَى شَرَفٍ كَمَا عَلَا بِرَسُولِ اللَّهِ عَدْنَانُ
(٢) مما جاء لبيان حال المشبه قول الشاعر :

كَانَ سَهِيلاً وَالنَّجُومُ وَرَاءَهُ صِفُوفُ صَلَاةٍ قَامَ فِيهَا إِمَامُهَا
(٣) هو من قول الحسن بن وهب :

مَدَادٌ مِثْلُ خَافِيَةِ الْغُرَابِ وَأَقْلَامٌ كَمَرْهَقَةِ الْحِدَادِ
والخافية : إحدى ريشات عشر في مقدم الجناح يقال لها حَوَافٍ ، والمرهقة : =

وعليه قول الآخر :

فأصبحتُ من ليلَى الغدَاة كقابضٍ على الماءِ خانتَهُ فُرُوجُ الأصابعِ (١)
أى بلغتُ فى بوار سعى فى الوصول إليها وأن أمتّع بها أقصى الغايات ،
حتى لم أحظَ منها بما قلَّ ولا بما كثر .

ومنها تقرير حاله فى نفس السامع ؛ كما فى تشبيه من لا يحصل من
سعيه على طائل بمن يرقم على الماء (٢) . وعليه قوله عز وجل : ﴿ وإذ نتقنا
الجبَل فوقهم كأنه ظلَّة ﴾ (٣) فإنه بين ما لم تجر به العادة بما جرت به
العادة (٤) .

وهذه الوجوه تقتضى أن يكون وجه الشبه فى المشبه به أتمَّ وهو به
أشهر (٥) ؛ ولهذا ضعف قول البحرى :

= المدقة ، والحداد : جمع حديد وهو القاطع يعنى السيوف القواطع ، وروى « الحراب »
بدل الحداد جمع حربة وهى آلة قصيرة محدّدة ، وربما استعملت للرمح ، وروى لأبى
تمام :

مدادٌ مثل خافية الغراب وقرطاسٌ كرقراق السحاب

(١) قيل : إنه للمجنون ، والفروج : جمع فرج وهو الخلل بين الشيتين ، وقيل :
إن التشبيه فى البيت يُقصد منه تقريرُ حال المشبه ، وروى الشطر الأخير : « على الماء لا
يدرى بما هو قابض » .

(٢) من قول الشاعر :

إذا أنا عاتبتُ الملولَ كأنما أخطُ بأقلامى على الماء أرقما
(٣) سورة الأعراف : ١٧١ .

(٤) قيل : إن هذا يفيد أنه لبيان حال المشبه أو لبيان إمكانه لا لتقرير حاله فى
نفس السامع كما ذكر .

(٥) يريد بكونه أتمَّ أن يكون أقوى وأكمل ، وبكونه أشهر أن يكون أعرف ،
واقتضاء تلك الوجوه للأعرافية ظاهر لأن المشبه به كالمُبين المعروف للمشبه ، فيجب أن يكون
أعرف بوجه الشبه ؛ لأن التعريف إنما يكون بالأوضح ، أما اقتضاؤها للأتمية فإنما يظهر
فى غرض التقرير دون غيره ولا سيما بيان المقدار ، لأنه يقتضى أن يكون المشبه به على
حد مقدار المشبه لا أزيد ولا أنقص ، ومن التشبيه ما يكون المشبه فيه أتم من المشبه به ، =

على باب قنسرين والليل لاطخ^(١) جوانبه من ظلمة بمداد^(٢)
فإنه رب مداد فاقد اللون والليل بالسواد وشدته أحق وأحرى ؛ ولهذا قال
ابن الرومي :

حبر أبي حفص لعاب الليل يسيل للإخوان أي سيل^(٣)
فبالغ في وصف الحبر بالسواد حين شبهه بالليل ، فكأنه^(٤) نظر إلى قول
العامّة في الشيء الأسود « هو كالنفس »^(٥) ثم تركه للقافية إلى المداد .
ومنها تزيينه للترغيب فيه ، كما في تشبيهه وجه أسود بمقلة الطي .

ومنها تشويبه للتنفير عنه ، كما في تشبيهه وجه مجدور بسلحة جامدة قد
نقرتها الديكة ، وقد أشار إلى هذين الغرضين ابن الرومي في قوله :
= كقوله تعالى : ﴿ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ﴾ سورة
النور : ٣٥ ، لأن الغرض منه بيان الحال لا تقريره ، ومن ذلك قول أبي تمام في أحمد بن
المعتصم :

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أخف في ذكاء إياس
وقد أخذ عليه أن الأمير أكبر من أن يشبه في ذلك بالثلاثة فقال :
لا تُنكروا ضربى له من دونه مثلاً شروداً في الندى والبأس
فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس
والحق أن اقتضاء التشبيه للأعرافية لا يختص بهذه الوجوه الأربعة كما هو ظاهر من
تعليله .

(١) الجار والمجرور في أول البيت متعلق بقوله قبله :
وما بلغ النوم المسامح لذة سوى أرقى في جنبها وسهادي
وقنسرين : كورة مشهورة بالشام قرب حلب ، والشاهد في قوله « من ظلمة بمداد »
إذ بين فيه المشبه به شبهه والتقدير بمداد من ظلمة .
(٢) هو لعلى بن العباس المعروف بابن الرومي من قوله في مدح عمر بن حفص
الوراق ، وكان الأدباء يستشهدون منه حبراً :

حبر أبي حفص لعاب الليل كأنه ألوان دهم الخيل
يسيل للإخوان أي سيل بغير وزن وبغير كيل
والمراد بلعاب الليل ظلمته ، ودهم الخيل سوادها .
(٣) الضمير للبحر أي : الخيل .
(٤) أي : الخيل .

تَقُولُ هَذَا مَجَاجُ النَحْلِ تَمْدَحُهُ وَإِنْ تَعِبَ قَلْبَ ذَا قِيءِ الزَّنَابِيرِ (١)

ومنها استطرافه (٢) كما في تشبيهه فحم فيه جمر موقد ببحر من المسك موجه الذهب لإبرازه في صورة الممتنع عادة ، وللاستطراف وجه آخر وهو أن يكون المشبه به نادر الحضور إما مطلقاً كما مر (٣) وإما عند حضور المشبه ؛ كما في قوله :

وَلَا زَوْرَدِيَّةَ تَرَهُوْ بِزُرْقَتِهَا بَيْنَ الرِّيَاضِ عَلَى حُمْرِ الْيَوَاقِيْتِ

كَأَنَّهَا فَوْقَ قَامَاتٍ ضَعُفْنَ بِهَا أَوَائِلُ النَّارِ فِي أَطْرَافِ كِبْرِيتِ (٤)

فإن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لا يندر حضورها في الذهن ندرة صورة بحر من المسك موجه الذهب ، وإنما النادر حضورها عند حضور صورة البنفسج ، فإذا أحضر مع صحة الشبه استطرف لمشاهدة عناق بين صورتين لا تتراءى ناراها ، وما يؤيد هذا ما يحكى أن جريراً قال : « أنشدني عدى » :

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوَهُماً فَاعْتَادَهَا

فلما بلغ إلى قوله :

تَرْجِي أَعْنَ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ

رحمته وقلت : قد وقع ؛ ما عساه يقول وهو أعرابي جلفٌ جاف ؟

(١) المجاج : الريق ترمى به من فمك ، ومجاج النحل : العسل ، والزنابير : جمع زنبور وهو كل ذباب أليم اللسع من النحل وغيره .

(٢) أى جعله طريفاً بديعاً جديداً ، ويجوز أن يكون بالظاء أى جعله طريفاً جميلاً

(٣) في تشبيهه فحم فيه جمر موقد ببحر من المسك موجه الذهب ، فهو مستطرف

من ناحية امتناعه في الخارج ومن ناحية ندرة حضوره في الذهن .

(٤) هما لعبد الله بن المعتز ، وقيل لغيره . واللازوردية : البنفسج وهي نسبة

تشبيهية إلى حجر يسمى اللازورد ، والمراد تشبيه أزهارها ، وقوله « ترهؤ » بمعنى تتكبر ،

وقوله « حمر اليواقيت » من إضافة الصفة إلى الموصوف ، وإنما جعل التشبيه بأوائل النار

في أطراف كبريت لأنها في أعلاها تكون حمراء صافية لا زرقاء .

فلما قال :

قَلَمُ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مَدَادَهَا (١)

استحالت الرحمةُ حسداً « فهل كانت رحمته في الأولى والحسد في الثانية إلا لأنه رآه حين افتتح التشبيه قد ذكر ما لا يحضر له في أول الفكر شبهً ، وحين أتمه صادفه قد ظفر بأقرب صفة من أبعد موصوف .

وذكر الشيخ عبد القاهر رحمه الله للاستطراف في تشبيه البنفسج بنار الكبريت وجهاً آخر (٢) ، وهو أنه أراك شبهاً لنبات غصّ يرفُّ وأوراق رطبة من لهب نار في جسم مُستَوِّل عليه اليبس ، ومبنى الطباع وموضوع الجبلة على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يُعْهَد ظهوره منه ، وخرج من موضع ليس بمعدن له : كانت صباغة النفوس به أكثر ، وكان الشغف به أجدر .

ما يعود إلى المشبه به من أغراض التشبيه : وأما الثاني فيكون في الغالب إيهام أن المشبه به أتم من المشبه في وجه الشبه ، وذلك في التشبيه المقلوب ، وهو أن يكون الأمر بالعكس (٣) كقول محمد بن وهيب :

وبدا الصباحُ كأنْ غُرَّتْهُ وَجْهُ الخليفة حينَ يُمْتَدِّحُ (٤)

فإنه قصدَ إيهام أن وجهَ الخليفة أتمُّ من الصباح في الوضوح والضياء ،

(١) هذا البيت من قصيدة لعدى بن الرِّقَاع مطلعها :

عَرَفَ الدِّيارَ تَوْهَمًا فاعتادَهَا مِنْ بعد ما شَمِلَ البَلَى أَبْلاَدَهَا

والأبلاد : قطع الأرض عامرة أو غامرة وقيل هي الآثار . وقوله « تزجى » بمعنى تسوق ، والضمير للظبية ، والأغن : الذي في صوته غنة وهو ولدها ، ويقال طير أغن أى يتكلم من قبل خياشيمه ، والرووق : القرن ، وإبرته : طرفه . ورواية الكامل أن عدياً كان ينشد القصيدة أمام الوليد بن عبد الملك وجريير حاضر .

(٢) ١٤٧ - أسرار البلاغة .

(٣) بأن يجعل فيه المشبه مشبهاً به قصداً إلى ادعاء أنه أكمل منه في وجه الشبه ، وبهذا لا يدخل فيه تشبيه المحسوس بالمعقول كما قيل فيما سبق ؛ لأن كلاً من المشبه والمشبه به فيه كذلك في الحقيقة ولا قلب فيهما .

(٤) الغرة : في الأصل البياض في جبهة الفرس ، وقد استعيرت لبياض الصبح ، والمراد تشبيه وجه الخليفة بها ، ولهذا كان التشبيه مقلوباً .

واعلم أن هذا وإن كان في الظاهر يشبه قولهم: « لا أدري أوجهُ أنور أم الصبح ، وغرته أضوأ أم البدر ؟ » وقولهم إذا أفرطوا : « نور الصباح يخفى في ضوء وجهه ، أو نور الشمس مسروق من نور جبينه » ونحو ذلك من وجوه المبالغة ، فإن في الأول خلافةً وشيئاً من السحر ليس في الثاني ، وهو أنه كأنه يستكثر للصباح أن يُشَبَّه بوجه الخليفة ، ويوهم أنه احتشد له واجتهد في تشبيهه يُفخِّم به أمره ، فيوقع المبالغة في نفسك من حيث لا تشعر ، ويفيدكها من غير أن يظهر ادعاؤه لها ؛ لأنه وضع كلامه وضع من يقبس على أصل مُتَّفَق عليه ، لا يُشْفِق من خلافٍ مخالف وتهكُّم متهمك ، والمعاني إذا وردت على النفس هذا المورد كان لها نوع من السرور عجيب ، فكانت كالنعمة التي لا تكدرها المنة ، وكالغنيمة من حيث لا تحتسب ، وفي قوله « حين يمتدح » فائدة شريفة ، وهي الدلالة على اتصاف الممدوح بما لا يوجد إلا فيمن هو كامل في الكرم ، من معرفة حق المادح على ما احتشد له من تزيينه وما قصده من تفخيم شأنه في عيون الناس ، بالإصغاء إليه والارتياح له والدلالة بالبشر والطلاقة على حسن موقعه عنده .

ومنه قوله تعالى حكايةً عن مستحلِّ الربا : ﴿ إِنَّمَا السَّبِّعُ مِثْلُ الرَّبَا ﴾ ^(١) فإن مقتضى الظاهر أن يقال : إنما الربا مثل البيع - إذ الكلام في الربا لا في البيع ، فخالقوا لجعلهم الربا في الحلِّ أقوى حالاً من البيع وأعرف به .
ومنه قوله عز وجل ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾ ^(٢) فإن مقتضى الظاهر العكس ؛ لأن الخطاب للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيهاً بالله سبحانه وتعالى ؛ فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق ، فخولف في خطابهم لأنهم بالغوا في عبادتها وغلَّوْا حتى صارت عندهم أصلاً في العبادة ^(٣) والخالق

(١) سورة البقرة : ٢٧٥ .

(٢) سورة النحل : ١٧ .

(٣) اعترض على هذا بأنه يخالف قولهم في سورة الزمر آية ٣ ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا =

سبحانه وتعالى فرعاً ، فجاء الإنكار على وفق ذلك ، وقال السكاكي (١) :
 « عندى أن المراد بـ « من لا يخلق » الحىُّ العالم القادر من الخلق (٢) تعريضاً
 بإنكار تشبيه الأصنام بالله عز وجل ، وقوله ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (*) تنبيه توبيخ
 عليه ، ونحوه (٣) قوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ ﴾ (٤) بدل
 « أَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ هَوَاهُ إِلَهُهُ » .

وقد يكون الغرضُ العائد إلى المشبه به بيان الأهتمام به ، كتشبيه الجائع
 وجهاً كالبدن في الإشراف والاستدارة بالرغيف إظهاراً للاهتمام بشأن الرغيف لا
 غير ، وهذا (٥) يسمى إظهار المطلوب ، قال السكاكي (٦) : « ولا يحسن
 المصير إليه إلا في مقام الطمع في تسنى المطلوب ، كما يُحكى عن الصاحب
 أن قاضى سجستان دخل عليه فوجده الصاحب متفتناً ، فأخذ يمدحه حتى
 قال :

وعالمٌ يَعْرِفُ بالسَّجَزَى (٧)

= ليقربونا إلى الله زُلْفَى ﴿ فيكون الأحسن في توجيه ذلك أنهم حين جعلوهم مثل الله في
 العبادة قد جعلوا الله تعالى من جنس المخلوق وشبيهاً به ، فأنكر ذلك بقوله ﴿ أَفَمَنْ
 يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾ وعلى هذا لا يكون من التشبيه المطلوب . ويمكن أن يجاب عن ذلك
 بأن الشُّرك مختلف المذاهب ، فيجوز أن يكون من المشركين من يعبد الأصنام لا لتقربه إلى
 الله زُلْفَى .

(١) ١٨٤ - المفتاح .

(٢) لأن (مَنْ) موضوعة للعاقل ، وغير السكاكي يحملها على الأوثان تشبيهاً لها
 بالعاقل لعبادتهم لها . والفرق بين القولين أن إنكار تشبيه الأصنام بالله يكون مستفاداً من
 ذلك على سبيل التعريض عند السكاكي وعلى سبيل التصريح عند غيره .

(٣) أى نحو ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾ (٤) الفرقان : ٤٣ .

(٥) يعنى بيان الأهتمام بالمشبه به . (٦) ١٨٥ - المفتاح .

(٧) نسبة غير قياسية إلى سجستان ، وهو: أبو الحسن عمر السجزي .

(*) قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ وردت في يونس آية ٣ ، وفي هود ٢٤ ،

٣٠ ، والنحل ١٧ .

وأشار للندماء أن ينظموا على أسلوبه ، ففعلوا واحداً بعد واحد ، إلى أن انتهت النوبة إلى شريف في البين ، فقال :

أشهى إلى النفس من الخُبز ^(١)

فأمر الصاحب أن تُقدَّم له مائدة .

هذا ^(٢) كله إذا أريد إلحاق الناقص في وجه الشبه حقيقةً أو ادعاءً ^(٣) بالزائد ، فإن أريد مجرد الجمع بين شيئين في أمر ^(٤) ، فالأحسن تركُّ التشبيه إلى الحكم بالتشابه ^(٥) ليكون كل واحد من الطرفين مشبهاً ومشبهاً به احترازاً من ترجيح أحد المتساويين على الآخر ، كقول أبي إسحاق الصابى :

تشابه دَمعى إذ جرى ومُدَامتى

فَمِنْ مِثْلِ مَا فِي الْكَأْسِ عَيْنِي تَسْكُبُ ^(٦)

فوالله ما أدرى أبالخمَرِ أسبَلت

جفونى أم مِنْ عِبْرَتِي كُنتَ أَشْرَبُ ^(٧)

(١) اعترض على التمثيل بهذا للتشبيه بأنه أفعال تفضيل لا تشبيه ، وأجيب عنه بأنه لا يقصد به التمثيل للتشبيه بل لإظهار المطلوب مطلقاً ، وقد قيل : إن أفعال التفضيل كله من التشبيه . وهو بعيد .

(٢) اسم الإشارة يعود إلى ما مضى عليه الكلام في التشبيه من جعل أحد الطرفين مشبهاً والآخر مشبهاً به على التعيين وما تفرَّع على ذلك من الكلام .

(٣) هذا في التشبيه المقلوب لأنه يدعى فيه ذلك .

(٤) هذا إما لأن المقام يقتضى المبالغة في ادعاء التساوى ، وإما لأن الغرض إفادة أصل الاشتراك ، فيكون المقصود إفادة التساوى ادعاءً أو حقيقةً .

(٥) مثله الحكم بالتساوى ونحوه ، وليس من ذلك نحو « شابه زيد عمراً » إن كان من صيغ المشاركة ؛ لأن صيغة « تفاعل » تدل على إسناد الفعل ابتداءً لاثنتين .

أما صيغة « فاعل » فتدل على الإخبار بوقوع الفعل من الفاعل على المفعول ، ولا يفهم منها وقوعه من المفعول على الفاعل إلا بالالتزام .

(٦) المدامة : الخمر سميت بذلك لأنه لا شراب يستطيع إدامة شربه غيرها ، وسبق

ذكر البيت في ص ٣٤ في الحاشية .

(٧) العبرة : الدمع . والتساوى في قوله « تشابه دَمعى ومُدَامتى » ادعائى إذا =

وكقول الآخر :

رَقَّ الزُّجَاجُ وراقَتِ الخمرُ فتشابهها فتشاكل الأمرُ
فكأنما خمرٌ ولا قَدَحٌ وكأنما قدحٌ ولا خمرٌ^(١)

ويجوز التشبيه أيضاً^(٢) كتشبيه غرة الفرس بالصبح وتشبيه الصبح بغرة الفرس ، متى أريد ظهور منير في مظلم أكثر منه^(٣) ، وتشبيه الشمس بالمرأة المجلوة أو الدينار الخارج من السكة ، كما قال :

وكانَ الشمسُ المنيرةَ دينا رُجِلَتْهُ حدائدُ الضَّرَابِ^(٤)

وتشبيه المرأة المجلوة أو الدينار الخارج من السكة بالشمس ، متى أريد استدارة متألئي متضمن لخصوص في اللون ، وإن عظم التفاوت بين بياض الصبح وبياض الغرة ونور الشمس ونور المرأة والدينار وبين الجرمين ، فإنه ليس شئ من ذلك بمنظور إليه في التشبيه ، وعلى هذا ورد تشبيه الصبح في الظلام بعلم أبيض على ديباج أسود في قول ابن المعتز :

والليل كالحلَّة السوداء لاح به من الصباح طراز غير مرقوم^(٥)

= كان المراد تشابههما في الحمرة ، ويجوز أن يكون أنهما تشابهها في الصفاء . وأبو إسحاق الصابي هو إبراهيم بن هلال .

(١) هما للصاحب إسماعيل بن عباد ، والقَدَح : الكأس ، والمراد تشابههما في الصفاء ، وقوله « فكأنما خمر الخ » لتأكيد ادعاء التساوي ، و(كأنما) فيه للشك لا للتشبيه ؛ لأن التقدير فكأنما خمر موجود .

(٢) لأنه يجوز مع قصد التساوي أن يجعل أحد الطرفين مشبها لغرض من الأغراض كأن يكون الكلام فيه ، فيتقدم لهذا الغرض وتدخل أداة التشبيه على الطرف الآخر فيكون مشبها به .

(٣) فلا يكون هناك قصد إلى المبالغة في وصف غرة الفرس بالضياء لأنه مع هذا يكون ذلك من التشبيه الذي يراد به إلحاق الناقص بالكامل .

(٤) هو لعبد الله بن المعتز ، والمراد بحدائد الضراب آلات السك .

(٥) الحلّة : كل ثوب جديد أو الثوب مطلقاً ، والطراز : علم الثوب ، والمرقوم :

المخطّط .

فإنه تشبيه حسن مقبول ، وإن كان التفاوت في المقدار بين الصبح والطرز في الامتداد والانسياط شديداً .

أقسام التشبيه باعتبار طرفيه - :

وأما تقسيم التشبيه فباعتبار طرفيه فأربعة أقسام :

الأول: تشبيه المفرد بالمفرد : وهو ما طرفاه مفردان : إما غير مُقَيَّدَيْن ، كتشبيه الخد بالورد ونحوه ، وعليه قوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ ^(١) فإن قلت : ما وجه الشبه في الآية ؟ قلت : جعله الزمخشري حَسْبًا ، فإنه قال : لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كلُّ واحد منهما على صاحبه في عناقه شَبَّه باللباس المشتمل عليه ، قال الجعدى :

إذا ما الضَّجِيعُ ثَنَى عَظْفَهَا تَثَنَّتْ فَكَانَتْ عَلَيْهِ لِبَاسًا ^(٢)

وقيل : شَبَّه كلُّ واحد منهما باللباس للآخر ؛ لأنه يصونه من الوقوع في فضيحة الفاحشة كاللباس الساتر للعورة ^(٣) .

وإما مقَيَّدَان ^(٤) كقولهم لمن لم يحصل من سعيه على شيء : « هو كالقابض على الماء ، وكالراقم في الماء » ؛ فإن المشبه هو الساعى لا مطلقاً بل مقيداً بكون سعيه كذلك ، والمشبه به هو القابض أو الراقم لا مطلقاً بل مقيداً

(١) سورة البقرة : ١٨٧ .

(٢) هو للناطقة الجعدى حسان بن قيس ، والضجيج : المضاجع من ضجع بمعنى وضع جنبه على الأرض وتمدد ، وقوله « ثنى عطفها » بمعنى ردَّ جنبها إليه .

(٣) على هذا يكون وجهُ الشبه عقلياً .

(٤) أى بجار ومجرور أو مفعول أو نحوهما ، بشرط أن يكون القيد معتبراً في التشبيه ، وبهذا لا يكون من ذلك قوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ ﴾ لأن الجار والمجرور غير معتبر في تشبيههن باللباس ، والفرق بين الطرف المقيد والطرف المركب أن المركب يكون كل واحد من أجزائه جزءاً من الطرف ، أما المقيد فقيده شرط في الطرف لا جزء منه ، وإنى أرى أن مثل هذا لا يصح مراعاته في علم البيان ، والأحسن إدخال المقيد في المركب .

بكون قبضه على الماء أو رَقْمه فيه ؛ لأن وجه الشبه فيهما هو التسوية بين الفعل وعدمه في عدم الفائدة ، والقبض على الماء والرقم فيه كذلك ؛ لأن فائدة قبض اليد على الشيء أن يحصل فيها ، فإذا كان مما لا يماسك فقبضها عليه وعدمه سواء ، وكذلك القصد بالرقم في الشيء أن يبقى أثره فيه ، فإذا فعل فيما لا يقبله كان فعله كعدمه ، فالقيد في هاتين الصورتين هو الجارّ والمجرور . ونحوهما قولهم : « هو كمن يجمع سيفين في غمد »^(١) وقولهم « كمتغى الصيد في عريسة الأسد »^(٢) وقد يكون حالاً ، كقولهم : « هو كالحادي وليس له بعير »^(٣) .

ومما طرفاه مقيدان قول الشاعر :

إني وتزيني بمدحى معشراً كمثلُ درأ على خنزير^(٤)

فإن المشبه فيه هو المتكلم بقيد اتصافه بتزيينه بمدحه معشراً ، فمتعلقُ التزين أعنى قوله « بمدحى » داخلٌ في المشبه ، والمشبه به من يعلق درأً بقيد أن يكون تعليقهِ إياه على خنزير ، فالشبه مأخوذ من مجموع المصدر وما في صلتِهِ ، وهو أن كل واحد منهما يضع الزينة حيث لا يظهر لها أثر ؛ لأن الشيء غير قابل للتزين ؛ فالواو في قوله « وتزيني » بمعنى مع ؛ إذ لا يمكن أن يقال إني كذا وإن تزيني كذا^(٥) لأنه ليس معنا شيئان يكون أحدهما خبراً

(١) يُضْرَبُ مثلاً للمستحيل .

(٢) يُضْرَبُ مثلاً لمن يطلب الشيء من غير موضعه .

(٣) يُضْرَبُ مثلاً للرجل يتنفخ بما لا يملك .

(٤) هو لعلی بن العباس المعروف بابن الرومی ، والواو في قوله « إني وتزيني » للمعية ، وما بعدها مفعول معه كما ذهب إليه الخطيب في تحقيق التشبيه في البيت ، وقيل : إنه يجوز أن تكون عاطفة مع إفادتها المعية ؛ لأنه ليس من شرط العاطفة ألا تفيد هذا المعنى ، وعلى كونها عاطفة يكون الطرف مركباً لا مقيداً .

(٥) يريد بهذا أن يثبت أن الواو ليست عاطفة ، وقد عرفت أن إفادتها للمعية لا يمنع أن تكون للعطف .

عن ضمير المتكلم والآخر عن تزييني ، لا يقال تقديره : إني كمعلق درأً على خنزير ، وإن تزييني بمدحى معشراً كتعليق در على خنزير ؛ لأنه لا يتصور أن يشبه المتكلم نفسه - من حيث هو هو - بمعلق درأً على خنزير ، بل لا بد أن يكون يشبه نفسه باعتبار تزيينه بمدحه معشراً .

واما مختلفان ، والمقيّد هو المشبّه به ، كقوله :

* والشمس كالمرأة في كف الأشل (١) *

فإن المشبه هو الشمس على الإطلاق ، والمشبّه به هو المرأة لا على الإطلاق بل بقيد كونها في يد الأشل .

أو على عكس ذلك ؛ كتشبيه المرأة في كف الأشل بالشمس .

تشبيه المركب بالمركب : الثاني تشبيه المركب بالمركب ، وهو ما طرفاه كثرتان مجتمعتان ، كما في قول البحترى :

ترى أحجاله يصعدن فيه صُعودَ البرق في الغيم الجَهم (٢)

لا يريد به تشبيه بياض الحُجُول على الانفراد بالبرق ، بل مقصوده الهيئة الخاصة الحاصلة من مخالطة أحد اللونين (٣) بالآخر ، وكذلك المقصود في بيت بشار (٤) ، ولذلك وجب الحكم بأن (أسيفنا) في حكم الصلة للمصدر (٥) ، ونصب الأسيف لا يمنع من تقدير الاتصال ؛ لأن الواو فيها بمعنى مع (٦) ،

(١) انظر ص ٢٣ .

(٢) الأحجال : جمع حجل وهو البياض في رجل الفرس ويجمع أيضاً على حجول . والجهم : السحاب الذي لا ماء فيه ، يشبه الفرس أثناء عدوه بذلك .

(٣) البياض والسواد .

(٤) انظر ص ٢٥ : كأن مثار التفع فوق رؤوسنا وأسيفنا ليل تهاوى كواكبه

(٥) هو « مثار » لأنه مصدر ميمي .

(٦) يجوز جر الأسيف عطفاً على قوله : رؤوسنا .

كقولهم « لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها ». وما ينبّه على ذلك أن قوله « تهاوى كواكب » جملة وقعت صفةً لليل ؛ فإن الكواكب مذكورة على سبيل التبع لليل ، ولو كانت مستبدة بشأنها لقال : « ليل وكواكب » .

وأما بيت امرئ القيس :

كأنّ قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالى^(١)

فهو على خلاف هذا ؛ فإن أحد الشئين فيه فى الطرفين معطوف على الآخر ، أما فى طرف المشبه به فيين^٢ ، وأما فى طرف المشبه فلا أن الجمع^(٢) فى المتفق كالعطف فى المختلف ؛ فاجتماع شيئين أو أشياء فى لفظ تثنية أو جمع لا يوجب أن أحدهما أو أحدها فى حكم التابع للآخر ، كما يكون ذلك إذا جرى الثانى صفةً للأول أو حالاً منه أو ما أشبه ذلك ، وقد صرح بالعطف فيما أجراه بياناً له من قوله « رطباً ويابساً »^(٣) .

وهذا القسم ضربان : أحدهما ما لا يصح تشبيه كل جزء من أحد طرفيه بما يقابله من الطرف الآخر ، كقوله :

غدا والصبحُ تحت اللَّيْلِ بادٍ كطُرفٍ أشهبٍ مُلقَى الجلال^(٤)

(١) يصف عقاباً بكثرة الصيد ، والوكر : عش الطائر ، والعناب : شجر حبه كحب الزيتون أحمر ، والحشف : أردأ التمر ، شبه الرطب من القلوب بالعناب ، واليابس بالحشف البالى .

(٢) يعنى الجمع فى قوله « قلوب » .

(٣) فالتشبيه فى البيت ليس من تشبيه المركب بالمركب ، وإنما هو من التشبيه المتعدد الطرف كما سيأتى .

(٤) هو لعبد الله بن المعتز ، والضمير فى قوله « غدا » يرجع إلى الساقى فى قوله قبله :

وساقٍ يجعل المنديل منه مكانَ حمائل السيف الطوال

والبادى : الظاهر ، والطرف : الفرس الكريم ، والأشهب : الأبيض ، والجلال : جمع جلّ وهو للدابة كالثوب للإنسان ، والمراد أنه أدير عن ظهره حتى تكشف أكثر =

الآخر : فإن الجلال فيه فى مقابلة الليل ، ولو شبهه به لم يكن شيئاً . وكقول

كأنما المَرِيخُ والمُشْتَرَى قُدَّامَهُ فى شَامِخِ الرَّفْعَةِ
منصرفٌ بالليل عن دعوةٍ قد أُسْرِجَتْ قُدَّامَهُ شَمْعُهُ (١)
فإن المَرِيخَ فى مقابلة المنصرف عن الدعوة ، ولو قيل : « كأن المَرِيخَ
منصرف بالليل عن دعوة » كان خلفاً من القول (٢) .

والثانى : ما يَصَحُّ تشبيه كل جزء من أجزاء أحد طرفيه بما يقابله من
أجزاء الطرف الآخر ، غير أن الحال تتغير ، ومثاله قوله :
وكأن أجرام النجوم لوامعاً دُرٌّ تُثْرَنَ على بساط أزرق (٣)

فإنه لو قيل : كأن النجوم درر ، وكأن السماء بساط أزرق ، كان تشبيهاً
صحيحاً ، لكن أين يقع من التشبيه الذى يربك الهيئة التى تملأ القلوب سروراً
وعجباً من طلوع النجوم مؤتلفة متفرقة فى أديم السماء وهى زرقاء زرقتها
الصفافية ؟ .

تشبيه المفرد بالمركب : الثالث تشبيه المفرد بالمركب ، كما مرَّ من تشبيه
الشاة الجبلى والشقيق والنيلوفر (٤) .

= جسده ، لا أنه رمى به جملةً حتى انفصل منه ؛ لأنه مع هذا لا يأتى ذلك التشبيه ؛
لأن المراد تشبيه هيئة حاصلة من اختلاط بياض بسواد ، وقد أخذ ابن المعتز ذلك من قول
ذى الرمة فى وصف الصبح :

وقد لاح للساوى الذى كَمَلَ السُّرى على أُخْرِيَّاتِ الليل فتقُّ مُشَهَّرٌ
كمثل الحصان الأنبط البطن قائماً تمايلُ عنه الجُلُّ واللونُ أَشَقَرُ
(١) هما لعلى بن محمد المعروف بالقاضى التنوخى ، والمريخ : من النجوم السيارة
وهو أقربها إلى الشمس ، والمشتري : من النجوم السيارة أيضاً .

(٢) الخلف : الردى من القول .

(٣) انظر ص ٢٣ .

(٤) انظر ص ١٤ ، ١٥ .

تشبيه المركب بالمفرد : الرابع تشبيه المركب بالمفرد ، كقول أبي تمام :

يا صاحبيَّ تَقْصِيًا نَظْرِيكُمَا تَرَيَا وَجْهَ الْأَرْضِ كَيْفَ تُصَوِّرُ (١)

تريا نهاراً مُشَمَّساً قد شابههُ زَهْرُ الرُّبَا فكأنما هو مُقَمَّرُ (٢)

يعنى أن النبات من شدة خضرته مع كثرتة وتكاثفه قد صار لونه إلى الاسوداد ، فنقص من ضوء الشمس حتى صار كضوء القمر .

التشبيه الملفوف والمفروق : وأيضاً إن تعدد طرفاه (٣) فهو إما ملفوف أو مفروق ؛ فالملفوف ما أتى فيه بالمُشَبَّهَيْنِ ثم بالمُشَبِّه بهما ، كقول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لَدَى وَكْرِهَا العُنَابُ والحشفُ البالى (٤)

وغير الملفوف بخلاف ذلك (٥) كقول المرقش الأكبر :

النَّشْرُ مسكٌ والوجوهُ دنا نيرٌ وأطرافُ الأكفِّ عَنَمٌ (٦)

ومنه قول أبي الطيب :

(١) قوله « تقصياً نظريكما » بمعنى أبلغاه أقصاه ، وقوله « تصور » أصله تتصور بمعنى تشكّل ، والمراد تريها قائلين ذلك على وجه التعجب ، فالاستفهام مقول لقول محذوف :

(٢) النهار المشمس : الذى لا غيم فيه ، وقوله « شابه » بمعنى خالطه ، والربا : جمع ربوة وهى الأرض المرتفعة ، ومقمر : صفة لمحذوف تقديره ليل مقمر . وإنى أرى أنه لا حاجة إلى تقدير هذا المحذوف ، والمراد أن نبات الربا مع زهره قد خالط النهار المشمس ؛ لأن خضرة النبات داخلة أيضاً فى ذلك التشبيه .

(٣) إنما يستحق التشبيه المتعدد الطرفين الفضيلة من حيث اللفظ وحسن الترتيب فيه ، لا لأن للجمع فائدة فى عين التشبيه ؛ ولهذا كان التشبيه المركب أفضل من المتعدد .

(٤) انظر ص ٤٦ .

(٥) هو أن يؤتى بمشبه ومشبه به ثم بمشبه ومشبه به أو بأكثر من ذلك .

(٦) النشر : الرائحة الطيبة أو الرائحة عموماً ، والعنم : شجر له ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب ، وقد قيل : إن مثل هذا فى الحقيقة تشبيهات متعددة ، وليس تشبيهاً واحداً متعدد الطرفين ، ومثله كل ما يقال له تشبيه مفروق ، ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن مثل هذه التشبيهات تكون متعلقة بشيء واحد كالنسوة فى هذا البيت ، فيمكن جعلها تشبيهاً واحداً من هذه الجهة .

بَدَتْ قَمراً ومالتْ خُوطَ بانٍ وفاحتْ عنبراً ورَّتْ غَزَلاً^(١)
تشبيه التسوية والجمع : وإن تعدد طرفه الأول ، أعنى المشبه دون
الثانى ، سُمى تشبيه التسوية ، كقول الآخر : *فاحتْ عنبراً ورَّتْ غَزَلاً*
صدغ الحبيب وحالى كلاهما كالليالى
وشغره فى صفاء وأدمعى كاللآلى^(٢)
وإن تعدد طرفه الثانى - أعنى المشبه به دون الأول - سُمى تشبيه الجمع ،
كقول البحترى :

كأنما يبسم عن لؤلؤٍ منضدٍ أو بردٍ أو أفاح^(٣)
ومثله قول امرئ القيس :

كأن المدام وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر^(٤)
يعلُّ به برد أنيابها إذا طرب الطائر المستحر^(٥)

(١) الخوط : الغصن الناعم ، والبان : شجر معتدل القوام لين ورقه كورق
الصفصاف . وقوله « رنت » بمعنى نظرت ، والمراد أنها بدت بوجه كقمر ، ومالت بقوام
كخوط بان ، وفاحت برائحة كعنبر ، ونظرت بعين كعين غزال .
(٢) الصدغ : ما بين الأذن والعين ، ويطلق على الشعر المتدلى من الرأس على
هذا الموضع وهو المراد هنا ، والشعر : الفم أو مقدم الأسنان ، والثانى هو المراد هنا .
وتشبيه أدمعه بذلك يدل على كثرتها ؛ لأنه إذا كثرت ماء المنبع صفا عما فيه من الكدر .
(٣) المنضد : المنظم ، والبرد : حب الغمام ، والأفاح : جمع أقحوان وهو ورد
له نور أوراقه فى شكلها أشبه شئ بالأسنان ، والمشبه محذوف تقديره كأنما يبسم عن ثغر
كلؤلؤ ، وهذا استعارة لا تشبيه .

(٤) المدام : الخمر ، وصوب الغمام : مطره ، والخزامى : نبت زهره من أطيب
الزهر ، والقطر : عود يتجر به .

(٥) قوله « يعل به » بمعنى يسقى مرة بعد مرة . والضمير فى « به » للمذكور من
المدام وما عطف عليه ، والجملة حال منه ، وقوله « برد أنيابها » خبر كان ، والطائر
المستحر : هو الديك الذى يصوت بالسحر ، يعنى أنها طيبة الفم فى الوقت الذى تتغير فيه
الآفواه بعد النوم ، والمراد تشبيه برد أنيابها بالمدام وما عطف عليه ؛ فالتعدد هو المشبه =

إلا أن فيه شوباً من القصد إلى هيئة الاجتماع^(١)

أقسام التشبيه باعتبار وجهه :

وأما باعتبار وجهه فله ثلاث تقسيمات : تمثيل وغير تمثيل ، ومُجمل ومُفصل ، وقريب وبعيد .

التمثيل :

التمثيل ما وجهه وصفٌ منتزَع من متعدد؛ أمرين أو أمور^(٢)، وقيد السكاكي بكونه غير حقيقي^(٣) ومثّل بصورٍ مثّل بها غيره أيضاً، منها قول ابن المعتز :

أصبر على مضض الحسو د فإن صبرك قاتله
فالنارُ تأكلُ نفسها إن لم تجد ما تأكله^(٤)

فإن تشبيه الحسود المتروك مقاولته مع تطّلبه إليها لينال بها نفثة مصدور بالنار التي لا تُمدُّ بالخطب في أمر غير حقيقي^(٥) منتزَع من متعدد ، وهو إسراع الفناء لانقطاع ما فيه مدد البقاء .

= به ، ولكنه قلب التشبيه للمبالغة ، وقيل : إن « برد » نائب فاعل يعلّ ، على معنى أنه يظن أن برد أنيابها مُزج بالغمام وما عطف عليه لأنه يشبهها ، فيكون تشبيهاً ضمناً . هذا اللف والتفريق والتسوية والجمع في تلك الأقسام الأربعة من المحسنات البديعية ، وبهذا تظهر تلك الأقسام في ذلك الشكل البديع .

(١) فيكون بهذا قريباً من التشبيه المركب .

(٢) يعنى أن يكون وجهه مركباً مطلقاً ، وهذا هو مذهب الخطيب والجمهور ؛ فلا فرق عندهم بين الوجه الحقيقي وغيره .

(٣) أى مع كونه مركباً ، وهو عند عبد القاهر ما كان وجهه غير حقيقي ولو كان مفرداً ، وعند الزمخشري يرادف التشبيه ، والمراد بالحقيقي الحسى كالحمرة ، والعقلى الغريزى كالشجاعة ونحوها من الغرائز ، ولا بدّ عند عبد القاهر من التأول في التمثيل كما وضحه في أسرار البلاغة ، فلا يكفي فيه مجرد كونه غير حقيقي .

(٤) هما لعبد الله بن المعتز ، والمضض : مصدر مض من الشيء بمعنى شق عليه وآله ، والتشبيه في البيتين ضمناً .

(٥) في نسخة شرواح التلخيص « في أمر حقيقي » وكذلك فيما سيأتى ، ولعله فهم من قوله « غير حقيقي » أنه يريد به ما كان وهمياً كما توهمه بعض عبارات المفتاح ، فاعترض عليه بذلك ؛ لأنه مثّل بصورٍ مثّل بها غيره عن خالف مذهبه .

ومنها قول صالح بن عبد القدوس :

وإنَّ مَنْ أدَّبَتْهُ فِي الصَّبَا كالعود يُسْقَى الماءَ فِي غَرْسِهِ

حَتَّى تَرَاهُ مُونِقاً نَاصِراً بعد الذى أبصرتَ مِنْ يُسِّهِ (١)

فإن تشبيه المؤدب في صباه بالعود المسقى أو أن غرسه فيما يلزم كل واحد من كون المؤدب في صباه مهذب الأخلاق حميد الفعال لتأديبه المصادف وقته ، وكون العود المسقى أو أن غرسه مونقاً بأوراقه ونضرت له لسقيه المصادف وقته من تمام الميل (٢) وكمال الاستحسان بعد خلاف ذلك .

ومنها قوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمِثْلٍ كَمِثْلٍ الذِّى اسْتَوْفَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (٣) فإن تشبيه حال المنافقين بحال الموصوف بصلة الموصول في الآية في أمر غير حقيقى متزع من متعدد ، وهو الطمع في حصول مطلوب لمباشرة أسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الأسباب .

غير التمثيل : وغير التمثيل ما كان بخلاف ذلك ، كما سبق في الأمثلة المذكورة (٤) .

المجمل : والمجمل ما لم يذكر وجهه ؛ فمنه ما هو ظاهر يفهمه كل أحد حتى العامة ، كقولنا « زيد أسد » ؛ إذ لا يخفى على أحد أن المراد به التشبيه في الشجاعة دون غيرها .

(١) المونق : تخفيف مؤنق ، يقال « أنق أنقاً » إذا كان حسناً معجباً ، وفي رواية :

مورقا ، والناصر : اسم فاعل من نصر بمعنى نعم وحسن وكان جميلاً .

(٢) هذا بيان لما في قوله « فيما يلزم كل واحد » ومن قوله « من كون المؤدب

إلخ » بيان لكل واحد ، وعبرة السكاكى في ذلك أوضح من هذه العبارة .

(٣) سورة البقرة : ١٧ .

(٤) أى للتشبيه قبل التمثيل .

ومنه ما هو خفي لا يدركه إلا من له ذهن يرتفع عن طبقة العامة ،
 كقول من وصف^(١) بنى المهلب للحجاج لما سأله عنهم وأن أيهم أنجد :
 « كانوا كالحلقة المفرغة^(٢) لا يُدرى أين طرفاها » . أى لتناسب أصولهم
 وفروعهم فى الشرف يمتنع تعيين بعضهم فاضلاً وبعضهم أفضل منهم ، كما أن
 الحلقة المفرغة لتناسب أجزائها يمتنع تعيين بعضها طرفاً وبعضها وسطاً^(٣) هكذا
 نسبة الشيخ عبد القاهر إلى من وصف بنى المهلب^(٤) ، ونسبه الشيخ جار الله
 العلامة^(٥) إلى الأمازيغية ، قيل : هى فاطمة بنت الخربش سلت عن بنيتها أيهم
 أفضل ؟ فقالت : عمارة ، لا ، بل فلان ، لا بل فلان ، ثم قالت :
 « ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل^(٦) » ؛ هم كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين
 طرفاها .

وأيضاً منه ما لم يُذكر فيه وصف المشبه ولا وصف المشبه به^(٧) كالمثال
 الأول^(٨) . ومنه ما ذكر فيه وصف المشبه به وحده كالمثال الثانى^(٩) ونحوه
 قول زياد الأعجم :

(١) هو كعب الأشقرى .

(٢) أى التى أذيب معدنها وأفرغ فى قالب .

(٣) ما ذكره من الأمرين يتضمن وجه المشبه ، وليس به ؛ لأن الأول مختص
 بالمشبه ، والثانى مختص بالمشبه به ، وإنما وجه الشبه هو الأمر الكلى الخالى عن التفاوت ،
 ولا شك أن الانتقال من تناسب أجزاء الحلقة إلى تناسبهم فى الشرف غاية فى الدقة ؛
 فالوجه بين الطرفين لا يدركه إلا الخاصة ، أما العامة فيتبادر إليهم تناسبهم فى الصورة .

(٤) ١٠٦ - أسرار البلاغة .

(٥) هو الزمخشري ، وعلى هذا يكون كعب الأشقرى قد أخذه من الأغاربة .

(٦) « أى » فى قولها « أيهم » يجوز أن تكون استفهامية عقلت « أعلم » عن

العمل فى معموليها ، وأن تكون موصولة فى محل نصب مفعول أول ، و « أفضل » خبر
 مبتدأ محذوف ، والجملة صلة ، والمفعول الثانى محذوف تقديره كائناً منهم .

(٧) يعنى وصفهما الذى يكون فيه إيماء إلى وجه الشبه لا مطلق وصف .

(٨) هو : زيد أسد .

(٩) هو : هم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها .

وإِنَّا وَمَا تُلْقِي لَنَا إِنْ هَجَوْتَنَا لَكَالْبَحْرِ مَهْمَا تُلْقِ فِي الْبَحْرِ يَغْرُقُ^(١)
وكذا قول النابغة الذبياني :

فإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمَلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَدُ مِنْهُمْ كَوْكَبُ^(٢)
ومنه ما ذُكر فيه وصف كل واحد منهما ، كقول أبي تمام :

صَدَفْتُ عَنْهُ وَلَمْ تَصْدَفْ مَوَاهِبُهُ عَنِّي وَعَاوَدَهُ ظَنِّي فَلَمْ يَخِبِ^(٣)

كَالغَيْثِ إِنْ جِئْتُهُ وَأَفَاكَ رَيْقُهُ وَإِنْ تَرَحَّلْتَ عَنْهُ لَجَّ فِي الطَّلَبِ^(٤)
المفصَّل : والمفصل ما ذُكر وجهه^(٥) ، كقول ابن الرومي :

يَا شَبِيهَ الْبَدْرِ فِي الْحَسَنِ نِ وَفِي بُعْدِ الْمَنَالِ^(٦)

جُدْ فَقَدْ تَنْفَجِرُ الصُّخْرُ رُةً بِالْمَنَاءِ الزُّلَالِ^(٧)

وقول أبي بكر الخالدي :

يَا شَبِيهَ الْبَدْرِ حُسْنًا وَضِيَاءً وَمَنَالًا

(١) فالمشبه به البحر ، والجُملة بعده حال منه فهي صفة له ، ووجه الشبه عدم ظهور الأثر في كل منهما ، وفي وصف البحر بذلك إشارة إليه ، وفي رواية : مهما يلتقي .

(٢) هو لزياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبياني ، والخطاب فيه للنعمان بن المنذر ، والمشبه به فيه الشمس والكواكب ، وجُملة « إذا طلعت لم يد منهن كوكب » صفة تنبئ عن وجه الشبه .

(٣) قوله « صدفت » بمعنى أعرضت ، والمواهب : الهبات .

(٤) قوله « أفاك » بمعنى أذاك ، ريقه : أوله أو أفضله ، وقوله « لج » بمعنى ألح . وصفة المشبه به يتضمنها البيت الثاني ، وفيهما إشارة إلى وجه الشبه وهو الإفاضة في حال الإعراض وفي حال الطلب .

(٥) أي بنفسه أو بما يستتبعه كما سيأتي .

(٦) هما لعلى بن العباس المعروف بابن الرومي ، والمنال : مصدر ميمي بمعنى التناول أو اسم مكان ، يعني بذلك بُعد وصاله وأنه كالبدري في بعد مناله .

(٧) قوله « جد » يعني بالوصال ، والماء الزلال : هو العذب الصافي الذي يمر

سريعاً في الخلق .

وشبيه الغصن ليناً وقواماً واعتدالاً

أنت مثلُ الورد لوناً ونسيماً وبلالاً^(١)

زارناً حتى إذا ما سرَّنا بالقرب زالا

وقد يتسامح بذكر ما يستتبعه مكانه^(٢) كقولهم في وصف الألفاظ إذا وجدوها لا تشغل على اللسان لتتأخر حروفها أو تكرارها ، ولا تكون غريبة وحشية تُستكره لكونها غير مألوفة ، ولا مما تبعُد دلالتها على معانيها : « هي كالعسل في الحلاوة ، وكالماء في السلاسة ، وكالنسيم في الرقة » وقولهم في الحُجة إذا كانت معلومة الأجزاء يقينية التأليف بينة الاستلزام للمطلوب : « هي كالشمس في الظهور » ، والجامع في الحقيقة لازم الحلاوة وهو ميل الطبع ، ولأزم السلاسة والرقة وهو إفادة النفس نشاطاً وروحاً^(٣) ، ولأزم الظهور وهو إزالة الحجاب^(٤) ؛ فإن شأن النفس مع الألفاظ الموصوفة بتلك الصفات كشأنها مع العسل الذي يلذ طعمه فتتهشُّ النفس له ، ويميل الطبع إليه ، ويحب وروده عليه ، أو كشأنها مع الماء الذي يسوغ في الخلق ، ومع النسيم الذي يسرى في البدن فيتخلل المسالك اللطيفة منه ، فيفيدان النفس نشاطاً وروحاً ، وشأنها مع الشبهة التي تمنع القلب إدراك ما هي شبهة فيه ، كشأنها مع الحجاب الحسي الذي يمنع أن يرى ما يكون من ورائه ، ولذلك توصف بأنها اعترضت دون الذي يروم القلب إدراكه .

(١) البلال : بثليث الباء النُدوة ، ويروى « ملالا » فيكون من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم وهو سرعة الزوال والمفارقة . وأبو بكر الخالدي هو محمد بن هاشم .
(٢) ذهب السبكي إلى أن المذكور هو وجه الشبه ، ولا داعي إلى ذلك التأوُّل ؛ لأنه إذا لم يكن موجوداً في المشبه حقيقة فهو موجود بالتخييل ، ولكن هذا التأوُّل لا بد منه عند عبد القاهر ؛ لأنه هو المعولُّ عليه عنده في الفرق بين التمثيل والتشبيه .
(٣) أي راحة .

(٤) أي المانع حسياً كان أو عقلياً ، وإنما كان وجه الشبه لازماً ذلك لأنه هو المشترك بين الطرفين .

قال الشيخ صاحب المفتاح^(١): «وتسامحهم هذا لا يقع إلا حيث يكون التشبيه في وصف اعتباري كالذي نحن فيه^(٢)، وأقول: يشبه أن يكون تركهم التحقيق في وجه التشبيه على ما سبق التنبيه عليه من تسامحهم هذا^(٣). انتهى كلامه .

القريب المُبتدل :

والقريب المبتدل ، وهو ما ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق نظر ؛ لظهور وجه في بادئ الرأي ، وسبب ظهوره أمران :
الأول : كون الشبه أمراً جُملياً^(٤) ؛ فإن الجملة أُسبِقُ أبداً إلى النفس من التفصيل ؛ ألا ترى أن الرؤية لا تصل في أول أمرها إلى الوصف على التفصيل لكن على الجملة ثم على التفصيل ، ولذلك قيل : « النظرة الأولى حمقاء ، وفلان لم يُنعم النظر » وكذا سائر الحواس ؛ فإنه يُدرك من تفاصيل الصوت والذوق في المرة الثانية ما لم يدرك في الأولى ، فمن يروم التفصيل كمن يتغنى الشيء من بين جملة يريد تمييزه مما اختلط به ، ومن يروم الإجمال كمن يريد أخذ الشيء جزأفاً ، وكذا حكم ما يُدرك بالعقل ، ترى الجُمْلَ أبداً تسبق إلى الذهن ، والتفاصيل مغمورة فيها لا تحضر إلا بعد إعمال الرؤية .
والثاني كونه قليل التفصيل مع غلبة حضور المشبه به في الذهن إما عند حضور المشبه لقرب المناسبة بينهما ، كتشبيه العنبة الكبيرة السوداء

(١) ص ١٨٢ - المفتاح .

(٢) هو كل من ميل الطبع وإفادة النفس نشاطاً وروحاً وإزالة الحجاب .

(٣) يعني بذلك أن ما سبق من تقسيمهم وجه الشبه إلى حسي وعقلي وهو في التحقيق عنده لا يكون إلا عقلياً مبنياً على هذا التسامح ؛ لأنهم لما جعلوا ملزوم وجه الشبه من وجه الشبه ، جاز أن يكون وجه الشبه حسياً ؛ لأن ملزوم العقلي قد يكون حسياً .

(٤) بأن يكون أمراً واحداً لا تركيب فيه ، كتشبيه الخد بالورد في الحمرة ، أو يكون مركباً لم ينظر إلى أجزائه ، كتشبيه رجل بالفرس في الحيوانية ، والقرب والابتدال ، وكذا البعد والغربة يرجع كل منها فيما ذكر إلى أمور ذاتية لا تتأثر بكثرة الاستعمال أو قلته ؛ فالقريب قريب وإن قل استعماله ، والبعيد بعيد وإن كثر استعماله .
٥٥

بالإجاصة^(١) فى الشكل وفى المقدار ، والجرة الصغيرة بالكوز كذلك . وإما مطلقاً لتكرره على الحس ، كما مر من تشبيه الشمس بالمرأة المجلوة فى الاستدارة والاستتارة ؛ فإن قرب المناسبة والتكرّر كل واحد منهما يعارض التفصيل لاقتضائه سرعة الانتقال .

البعيد الغريب : والبعيد الغريب ؛ وهو ما لا ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به إلا بعد فكر لحفاء وجهه فى بادىء الرأى ، وسبب خفائه أمران : أحدهما : كونه كثير التفصيل كما سبق من تشبيه الشمس بالمرأة فى كف الأشل^(٢) ؛ فإن ما ذكرناه من الهيئة^(٣) لا يقوم فى نفس الرأى للمرأة الدائمة الاضطراب إلا أن يستأنف تأملاً ، ويكون فى نظره متمهلاً .

والثانى : ندور حضور المشبه به فى الذهن إمّا عند حضور المشبه ؛ لبعده المناسبة بينهما ، كما تقدّم من تشبيه البنفسج بنار الكبريت^(٤) وإمّا مطلقاً لكونه وهمياً أو مركباً خيالياً أو مركباً عقلياً ، كما مضى من تشبيه نبال السهام بأنياب الأغوال^(٥) ، وتشبيه الشقيق بأعلام ياقوت منشورة على رماح من الزبرجد^(٦) ، تشبيه مثل أحبار اليهود بمثل الحمار يحمل أسفاراً^(٧) ؛ فإن كلاً سبب لندرة حضور المشبه فى الذهن ، أو لقلة تكرره على الحس ، كما مر من تشبيه الشمس بالمرأة فى كف الأشل^(٨) ؛ فإنه ربما يقضى الرجل دهره ولا يتفق له أن يرى امرأة فى يد الأشل ، فالغربة فى هذا التشبيه من وجهين^(٩) .

(١) الإجاصة : واحدة الإجاص ، وهو شجر ثمره لذيد حلو .

(٢) انظر ص ٢٣ ، والشمس كالمرأة فى كف الأشل .

(٣) يعنى وجه الشبه فيه .

(٤) انظر ص ٣٧ .

(٥) انظر ص ٣٧ ، وهو مثال للوهمى .

(٦) انظر ص ١٤ ، وهو مثال للمركب الخيالى .

(٧) انظر ص ٢٩ ، وهو مثال للمركب العقلى .

(٨) انظر ص ٢٣ .

(٩) هما كثرة التفصيل ، وندرة الحضور فى الذهن .

والمراد بالتفصيل أن يُنظر في أكثر من وصف واحد لشيء واحد أو أكثر، وذلك يقع على وجوه كثيرة ، والأغلبُ الأعرفُ منها وجهان :
أحدهما أن تأخذَ بعضاً ^(١) وتدعَ بعضاً ، كما فعل امرؤ القيس في قوله :

حملتُ رُدَيْنِيَا كَانَ سَنَانُهُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِ ^(٢)

ففصلَ السَّنا عن الدخان وأثبتته مفرداً ^(٣) .

والثاني أن يعتبر الجميع ، كما فعل الآخر في قوله :

وقد لاحَ في الصبحِ الثُّرَيَّا كما تَرَى كَعُنُقُودٍ مُلَاحِيَةٍ حِينَ تَوَرَّا ^(٤)

فإنه اعتبر من الأنجم الشكلَ والمقدارَ واللونَ واجتماعها على المسافة المخصوصة في القرب ، ثم اعتبر مثل ذلك في العنقود المنور من الملاحية .

وكلما كان التركيب من أمور أكثر كان التشبيه أبعد وأبلغ ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَظْنَ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ ﴾ ^(٥) فإنها عشر جمل إذا فصلت ^(٦) ، وهى وإن دخل بعضها في بعض حتى صارت كلها كأنها جملة واحدة ، فإن ذلك لا يمنع من أن تُشير إليها واحدةً واحدةً ، ثم إن الشبه منتزَعٌ من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض ، حتى لو حُذِفَ منها جملة أُخِلَ ذلك بالمغزى من التشبيه .

(١) أى من الأوصاف .

(٢) قد سبق هذا البيت في الكلام على الإيغال من الإطناب في الجزء الثاني ، وقد فضله عبد القاهر من ناحية التفصيل والإجمال على قول عنترة : يُتَابِعُ لَا يَتَبَعْنِي غَيْرُهُ بِأَبْيَضِ كَالْقَبَسِ الْمُلْتَهَبِ .

(٣) فزاد السنا بهذا تألفاً وضياءً . (٤) انظر ص ٢٢ . (٥) سورة يونس : ٢٤ .

(٦) وتفصيلها - أنزلناه . فاختلط . مما يأكل . حتى إذا أخذت . وازيدت وظن .

أنهم قادرون . أتاه . فجعلناها . كأن لم تغن .

ومن تمام القول فى هذه الآية ونحوها أن الجملة إذا وقعت فى جانب المشبه به تكون على وجوه : أحدها أن تلى نكرة فتكون صفة لها ، كما فى هذه الآية ، وعليه قول النبى ﷺ : « الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة ^(١) » والثانى أن تلى معرفة هى اسم موصول فتكون صلة له ، كقوله تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً ﴾ ^(٢) الآية ، والثالث أن تلى معرفة ليست باسم موصول فتقع استئنافاً ^(٣) كقوله عز وعلا : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ﴾ ^(٤) .

ومن أبلغ الاستقصاء فى التفصيل وعجيبه قول ابن المعتز :

كأننا وضوءُ الصبح يستعجل الدجى نُطِيرُ غُرَاباً ذَا قِوَادِمٍ جُونٍ ^(٥)

شبه ظلام الليل حين يظهر فيه ضوء الصبح بأشخاص الغربان ، ثم شرط أن تكون قوادم ريشها بيضاء ؛ لأن تلك الفرق من الظلمة تقع فى حواشيها من حيث يلى معظم الصبح وعموده لُمعُ نورٍ ^(٦) يُتَخِيلُ منها فى العين كشكل قوادم بيض ، وتمام التدقيق فى هذا التشبيه أن جعل ضوء الصبح لقوة ظهوره ودفعه لظلام الليل كأنه يحفز الدجى ويستعجلها ولا يرضى منها بأن تتمهل فى

(١) الإبل فى اللغة : اسم جمع لا واحد له من لفظه ، والراحلة : الناقة الكريمة ؛ فالناس كهذه الإبل لا يكاد يوجد فى كل مائة منهم رجل كريم ، ويجوز رفع مائة على أنه مبتدأ ، أى مائة منها ، فتكون جملة مستأنفة .

(٢) سورة البقرة : ١٧ .

(٣) لأن قوله تعالى فى الآية الآتية : ﴿ كمثل العنكبوت ﴾ يشير إلى سؤال

تقديره : ما مثله ؟ فيكون قوله تعالى : ﴿ اتخذت بيتاً ﴾ جوابه .

(٤) سورة العنكبوت : ٤١ .

(٥) هو لعبد الله بن المعتز ، والدجى : جمع دجية وهى الظلمة . والقوادم :

أوائل ريش الطائر ، والجون : جمع جون وهو الأبيض أو الأسود ، والمراد هنا الأبيض .

(٦) « لمع نور » فاعل « تقع » ، ومعظم الصبح : فاعل « بلى » ، يعنى أن هذه

اللمع تكون قبل ظهور معظم الصبح ، وفى بعض النسخ « تلى » ففاعله يعود على الفرق ، ومعظم الصبح مفعوله .

حركاتها ، ثم لما راعى ذلك فى التشبيه ابتداءً راعاه آخرًا حيث قال « نُطِير غراباً » ولم يقل « غراب يطير ونحوه » لأن الطائر إذا كان واقعاً فى مكان فأزعج وأطير منه ، أو كان قد حبس فى يد أو قفص فأرسل ، كان ذلك لا محالة أسرع لطيرانه ، وأدعى له أن يستمر على الطيران حتى يصير إلى حيث لا تراه العيون ، بخلاف ما إذا طار على اختيار ؛ فإنه حينئذ يجوز ألا يسرع فى طيرانه ، وأن يصير إلى مكان قريب من مكانه الأول .

وكذا قول أبى نواس فى صفة منقار البازى :

كَعُطْفَةِ الْجَيْمِ بِكَفٍّ أَعْسَرَا (١)

غير خاف أن الجيم خطآن : أولهما الذى هو مبدؤه ، وهو الأعلى ، والثانى الذى يذهب إلى اليسار . وإذا لم يوصل بها (٢) فلها تعريق (٣) . والمنقار إنما يشبه الخط الأعلى فقط ، فلهذا قال « كعطفة الجيم » ولم يقل كالجيم ، ثم دقق بأن جعلها بكف أعسر ؛ لأن جيم الأعسر يقال إنه أشبه بالمنقار من جيم الأيمن (٤) ، ثم أراد أن يؤكد أن الشبه مقصور على الخط الأعلى من الجيم ، فقال :

(١) قبله :

كَأَنَّ عَيْنَهُ إِذَا مَا أَثَارَا فَصَّانَ قِيضًا مِنْ عَقِيٍّ أَحْمَرَا
فِي هَامَةِ غَلْبَاءٍ تَهْدَى مَنْسَرَا

وقوله - أثار - بمعنى أدرك ثأره ، وقوله « قِيضًا » بمعنى شقًا ، والهامة : رأس كل شئ وتطلق على الجثة . والغلباء : القوية . ويروى « علياء » . وقوله « تَهْدَى » بمعنى تتقدم ، والمنسر : كمجلس ومنبر : منقار الطير الجارح ، وعطفة الجيم : خطها الأعلى ، والأعسر : الذى يعمل بشماله .

(٢) يعنى إذا لم يوصل بها حرف آخر بأن كانت مفردة أو آخر كلمة .

(٣) التعريق : هو أن يُعطف بالخط الأسفل إلى اليمين على هيئة قوس كما هو الشأن دائماً فى الجيم المفردة .

(٤) لأن الحركة فى جيم الأعسر أكثر انحرافاً .

يقولُ مَنْ فيها بعقلٍ فكراً

لو زادها عيناً إلى فاءٍ وراً فاتصلت بالجيم صارت جعفرًا (١)

فأبان أنه لم يدخل التعريقُ في التشبيه لأن الوصل يُسقطه أصلاً ، ولا الخطَّ (٢) الأسفل وإن كان لا بد منه مع الوصل ، لأنه قال « فاتصلت بالجيم » أى بالعطفة المذكورة ولم يقتصر على قوله « لو زادها عيناً إلى فاء ورا » ؛ ولأجل هذا التدقيق قال : « يقول مَنْ فيها بعقلٍ فكراً » ؛ فنبه على أن بالمشبه حاجة إلى فضل فكر ، وأن يكون فكره فكر من يراجع عقله .

وإذ قد تحققت ما ذكرنا من التفصيل علمت أن قول امرئ القيس في وصف السنان (٣) أعلى طبقة من قول الآخر :

يتابعُ لا يتغنى غيرهُ بأبيض كالقبس الملهب (٤)

لخلو الثاني عن التفصيل الذي تَضَمَّنَه الأول ، وهو قصرُ التشبيه على مجرد السنا وتصويره مقطوعاً عن الدخان ، ومعلوم أن هذا لا يقع في الخاطر أول وهلة ، بل لا بد فيه من أن يثبت وينظر في حال كل من الفرع والأصل ،

(١) را : مقصور راء ، وفاعل « اتصلت » يعود إلى العين ، وقوله « صارت جعفرًا » يعنى صارت كلمة جعفر ، ولو أنه اقتصر على ما قبل قوله « يقول من فيها بعقل فكراً » لكان أجود وأرشق وأدخل في مذاهب الفصحاء ؛ لأنه لا يجهل أحد أن الجيم إذا أضيفت إليها العين والفاء والراء تصير جعفرًا ، ثم إن هذا لا يدخل في صفة البازي ، وقد اعتذر له بأنه أراد أنها تشبه الجيم لا تغادر من شبهها شيئاً ، حتى إنها لو زيدت عليها هذه الأحرف صارت جعفرًا لشدة شبهها بها .

(٢) فلو كان الخط الأسفل داخلاً في التشبيه لم يقل ذلك ؛ لأن العطفة مع ذلك الخط لا تحتاج في اتصالها بغيرها إلى واسطة .

(٣) انظر ص ٥٧ .

(٤) هو لعنترة العبسي ، والضمير في قوله « يتابع » لورد بن حابس ، وفي قوله « غيره » لنضلة الأسدي ، وكان لورد ثارٌ عنده ، والقبس الملهب : هو النار الموقدة فالشبه به واحد في البيتين .

حتى يقع في النفس أن في الأصل شيئاً يقدح في حقيقة التشبيه؛ وهو الدخان الذي يعلو رأس الشعلة .

وكذا قوله :

وكان أجرام النجوم لواصعاً درر نثرن على بساط أزرق^(١)
أفضل من قول ذي الرمة :

كانها فضة قد مسها ذهب^(٢)

لأن الأول مما يندر وجوده دون الثاني ؛ فإن الناس أبداً يرون في الصياغات فضة قد موهت بذهب ، ولا يكاد يتفق أن يوجد درر قد نثرن على بساط أزرق .

وكذا بيت بشار^(٣) أعلى طبقة من قول أبي الطيب :

يزور الأعادي في سماء عجاجة أسنته في جانبيها الكواكب^(٤)
وكذا من قول الآخر :

تبني سنابكها من فوق رؤسهم سقفاً كواكبها البيض المبائر^(٥)

(١) انظر ص ٢٣ ، ٤٧ .

(٢) هو من قوله :

كحلأ في برج صفراء في نعج كأنها فضة قد مسها ذهب
والبرج : أن يكون بياض العين محدقاً بالسواد كله لا يغيب من سوادها شيء ، أو نجل العين وسعتها ، والنعج : البياض الخالص ، والمراد أن صفرتها يشوبها بياض خالص ، وهو محمود عندهم .

(٣) انظر ص ٢٣ .

(٤) العجاجة : الغبار ، والأسنة : جمع سنان وهو نصل الرمح .

(٥) هو لكلثوم بن عمرو العتابي ، وفي أسرار البلاغة أنه لعمر بن كلثوم ، ولعله تحريف من الناسخ ، والسنابك : جمع سنبك وهو طرف الحافر ، وقوله « سقفاً » بمعنى غبار كالسقف فهو استعارة ، والبيض المبائر : هي السيوف القواطع ، والمبائر : جمع مبتار صيغة مبالغة من « بتر » بمعنى قطع .

لأن كل واحدٍ منهما وإن راعى التفصيل في التشبيه فإنه يقتصر على أن أراك لمعان الأسنة والسيوف في أثناء العجاجة ، بخلاف بشار فإنه لم يقتصر على ذلك ، بل عبر عن هيئة السيوف وقد سلّت من أغمادها وهي تعلو وترسب وتجيء وتذهب ، وهذه الزيادة زادت التفصيل تفصيلاً ؛ لأنها لا تقع في النفس إلا بالنظر إلى أكثر من جهة واحدة ، وذلك أن للسيوف عند احتدام الحرب واختلاف الأيدي بها في الضرب اضطراباً شديداً وحركات سريعة ، ثم لتلك الحركات جهات مختلفة تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة والارتفاع والانخفاض ، ثم هي باختلاف هذه الأمور تتلاقى ويصدم بعضها بعضاً ، ثم أشكالها مستطيلة ، فبته على هذه الدقائق بكلمة واحدة وهي قوله « تهاوى » لأن الكواكب إذا تهاوت اختلفت جهات حركتها ثم كان لها في التهاوى توقع وتداخل ، ثم استطالت أشكالها .

وكذا قول الآخر في الآذريون :

مدهن من ذهب فيها بقايا عاليه (١)

أعلى وأفضل من قوله فيه :

ككأس عقيق في قراراتها مسك (٢)

(١) هو لعبد الله بن المعتز ، وقد جاء قبله :

سقياً لروضات لنا من كل نور حاله
عيون آذريونها للشمس فيها كاليه

والنور : الزهر ، والآذريون : ورد له أوراق حمراء في وسطه سواد له نبوءة وارتفاع وقد يكون أصفر ، وهو معرب آذرجون أى لون النار . وكالية : اسم فاعل من - كالأ - ومعنى كلاءتها للشمس أنها تدور معها حيث دارت . والمدهن : جمع مدهن وهو حق الدهن ، والغالية : أحلاط من الطيب .

(٢) هو من قول عبد الله بن المعتز أيضاً :

وطاف بها ساق أديب بميزل كخنجر عيار صناعته الفتك

وحمل آذريونه فوق أذنه ككأس عقيق في قراراتها مسك

والميزل : ما يصفى به الشراب ، وهو شبه حلقة الضرع في الدن ونحوه ، يسيل =

لأن السواد الذى فى باطن الأذريونة - الموضوعه بإزائه الغالية والمسك - فيه أمران : أحدهما أنه ليس بشامل لها ، والثانى أنه لم يستدر فى قعرها ، بل ارتفع منه حتى أخذ شيئاً من سُمكها من كل الجهات ، وله فى منقّطه هيئة تشبه آثار الغالية فى جوانب المدهن إذا كانت بقيت بقية عن الأصابع ، وقوله « فى قرارتها مسك » يبين الأمر الأول ويؤمن من دخول النقص عليه كما كان يدخل لو قال : « فيها مسك » ولم يشترط أن يكون فى القرارة ، وأما الثانى فلا يدل عليه كما يدل قوله « بقايا غالية » ؛ لأن من شأن المسك والشيء اليابس إذا حصل فى شيء مستدير له قعر أن يستدير فى القعر ولا يرتفع فى الجوانب الارتفاع الذى فى سواد الأذريونة ، بخلاف الغالية فإنها رطبة ، ثم تؤخذ بالأصابع فلا بد فى البقية منها أن ترتفع عن القرارة ذلك الارتفاع ، ثم هى لنعومتها ترق فتكون كالصبغ الذى لا يظهر له حرم ، وذلك أصدق للشبه .

التشبيه البعيد هو التشبيه البليغ : والبليغ من التشبيه ما كان من هذا النوع - أعنى البعيد - لغرابته ^(١) ؛ ولأن الشيء إذا نيل بعد الطلب له والاشتياق إليه كان نيله أحلى ، وموقعه من النفس أطف وبالمسرة أولى ، ولهذا ضرب المثل لكل ما لطف موقعه ببرد الماء على الظمأ ، كما قال :

وهنَّ ينبذن من قولٍ يُصبَن به مواقع الماء من ذى الغلة الصادى ^(٢)

= الشراب منه ، والعيار : الكثير التجول والطواف أو الذى يتردد بلا عمل ، ووجه الشبه بين الميزل والخنجر : الاعوجاج فيهما ، وقد روى « وجول أذريونة » يعنى أنه أدار هذا الورد فوق أذنه ، وهذه عادة الفرس يحملون الورد فوق آذانهم . والعقيق : حرز أحمر .

(١) يريد بهذا أن البليغ من التشبيه هو هذا النوع ، وهذه التسمية مأخوذة من البلاغة بمعنى اللطف والحسن لا من البلاغة بمعنى المطابقة لمقتضى الحال ؛ لأن التشبيه لا يتفاوت هذا التفاوت من هذه الناحية ، وهذه طريقة بعض علماء البيان فى التشبيه البليغ ، والمشهور أنه هو التشبيه المحذوف الأداة .

(٢) هو لعمير بن شييم القطامى ، وقوله « ينبذن » بمعنى يرمين ويطحرن . ومن تبعيضية ، والغلة : الحرقه ، والصادى : الشديد العطش ، ومواقع : مفعول يصبَن .

لا يقال : عدمُ الظهور ضربٌ من التعقيد ، والتعقيدُ مذموم ؛ لأنَّنا نقول : التعقيد كما سبق له سبيان : سوء ترتيب الألفاظ ، واختلال الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثانى الذى هو المراد باللفظ . والمراد بعدم الظهور فى التشبيه ما كان سببه لطف المعنى ودقته أو ترتيب بعض المعانى على بعض ، كما يشعر بذلك قولنا ^(١) « فى بادىء الرأى » ؛ فإن المعانى الشريفة لا بدَّ فيها فى هالب الأمر من بناء ثان على أول وردَّ تال إلى سابق ، كما فى قول البحرى « دان على أيدى العفاة » البيتين ^(٢) . فإنك تحتاج فى تعريف معنى البيت الأول إلى معرفة وجه المجاز فى كونه دانيًا وشاسعًا ، ثم تعود إلى ما يعرض البيت الثانى عليك من حال البدر ، ثم تُقابل إحدى الصورتين بالأخرى ، وتنظر كيف شرط فى العلو الإفراط ليشاكل قوله « شاسع » لأن الشسوع هو الشديد من البعد ، ثم قابله بما يشاكله من مراعاة التناهى فى القرب ، فقال : « جد قريب » فهذا ونحوه هو المراد بالحاجة إلى الفكر ، وهل شىء أحلى من الفكر إذا صادف نهجاً قويمًا إلى المراد ، قال الجاحظ فى أثناء فصل يذكر فيه ما فى الفكر من الفضيلة : « وأين تقع لذة البهيمية بالعلوفة ، ولذة السبع بلطع الدم وأكل اللحم من سرور الظفر بالأعداء ، ومن انفتاح باب العلم بعد إدمان قرعه ؟ »

تحول القريب إلى بعيد : وقد يتصرف فى القريب المبتذل بما يخرج من الابتذال إلى الغرابة ، وهو على وجوه : منها أن يكون كقوله :

لَمْ تَلَقْ هَذَا الْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِنَا إِلَّا بِوَجْهِ لَيْسَ فِيهِ حَيَاءٌ ^(٣)

(١) أى فى تعريف البعيد الغريب فيما سبق .

(٢) انظر ص ٨ .

(٣) هو لأبى الطيب فى مدح هارون بن عبد العزيز ، والتشبيه فيه ضمنى ؛ لأن وجه المدح إذا كان أعظم من الشمس فى الضياء لزم اشتراكهما فى أصله ، فيثبت التشبيه ضمناً ، وكأنه قال : هذا الوجه كالشمس فى أصل الحسن فقط .

وقوله :

فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْخِدرِ تَطْلَعُ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى أَحْلَامُ نَائِمٍ أَلَمْتُ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرِّكْبِ يَوْشَعُ^(١)

فإن تشبيهه وجوه الحسان بالشمس مبتذل ، لكن كل واحد من حديث
الحياة في الأول والتشكيك مع ذكر يوشع عليه السلام في الثاني أخرجه من
الابتذال إلى الغرابة . وشبيهه بالأول قول الآخر :

إِنَّ السَّحَابَ لَتَسْتَحِي إِذَا نَظَرْتُ إِلَى نَدَاكَ فَقَاسَتْهُ بِمَا فِيهَا^(٢)
ومنها أن يكون كقوله :

عَزَمَاتُهُ مِثْلُ النُّجُومِ ثَوَاقِبًا لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلثَّاقِبَاتِ أَقْوَالُ^(٣)
وقوله :

مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنَّ هَاتَا أَوَانِسُ قَنَا الْخَطُّ إِلَّا أَنْ تِلْكَ ذَوَابِلُ^(٤)

(١) هما لأبى تمام . والرغم : اسم فاعل من « رغم » كفرح وكرم بمعنى ذل .
وإنما حصل هذا لليل لزواله بطلوعها ، والضمير في « لهم » للخليط في البيت قبلهما
وهو يُطلق على الواحد والجمع ، والخدر : الممر الذي يُمَدُّ للجارية أو ما يُفَرَّد لها من
السكن أو كل ما يتوارى به ، وقوله « ألت » بمعنى نزلت ، وهو يشير بقوله « أم كان في
الركب يوشع » إلى قصة يوشع مع الشمس ، وسبأني تفصيلها في الكلام على التلميح في
علم البديع ، والشاهد في قوله « بشمس لهم » : لأن تقديره : بجارية لهم كالشمس ،
وهذا استعارة لا تشبيه .

(٢) هو للحسن بن هانيء المعروف بأبى نواس . والندى : الكرم ، ورواية
الديوان : « نداء » . وما في السحاب هو المطر ، يعنى أنها تستحي إذا شَبَّهَتْ نَدَاكَ بمطرها
لأنه أعظم منه ، وفي هذا تشبيه ضمنى أيضاً .

(٣) هو لمحمد بن محمد بن عبد الجليل المعروف برشيد الدين الوطواط ، والثواقب
: النوافذ ، والأقوال : الغروب .

(٤) هو لأبى تمام ، والمها : بقر الوحش واحدة مهاة ، واسم الإشارة « هاتا »
يعود إلى النسوة المشبهات ، والقنا : الرماح واحدة قنأة ، والخط : اسم بلد تُصنع فيها ،
والذوابل : الجافة ، واسم الإشارة « تلك » يعنى أن قدودهن تفضلها بالطراوة والنضارة .

وقوله :

يكادُ يحكيك صَوْبُ الغيثِ منسكباً لو كانَ طَلَقَ المِحياءُ يُمْطرُ الذَّهبا
والبدو لو لم يَغِبْ والشمسُ لو نطقتْ والأسدُ لو لم تُصدِّ والبحرُ لو عَذَّباً^(١)

وهذا يُسمَّى التشبيه المشروط^(٢)

ومنها أن يكون كقوله :

في طلعةِ البدرِ شيءٌ من محاسنها وللقضيبِ نصيبٌ من تشيئها^(٣)

وقول ابن بابل :

ألا يا رياضَ الحزنِ من أبرقَ الحمى نسيمُك مَبروقٌ ووصفُك متحل^(٤)

حكيت أبا سعد فَنَشْرُكُ نَشْرَهُ ولكن له صدقُ الهوى ولكِ المللُ^(٥)

وقد يخرج من الابتذال بالجمع بين عدة تشبيهات ، كقوله :

كأنما ييسمُ عن لؤلؤٍ منضدٍ أو بردٍ أو أقاحٍ^(٦)

(١) هما لأحمد بن الحسين المعروف بديع الزمان الهمداني ، والغيث : المطر ، وصوبه : عطاؤه ، والمحياء : الوجه ، وطلق الوجه : ضاحكه .

(٢) إنما سُمِّيَ هذا الوجه بذلك لما فيه من الشرط ، والغربة فيه ناشئة من كونه مشروطاً ، والشرط قد يكون في المشبه أو المشبه به أو فيهما .

(٣) هو للبحتري ، والمحاسن : جمع حُسْن على غير قياس ؛ لأنه لا واحد له من لفظه ، والقضيب : الغصن ، والغربة في التشبيهين ناشئة من قلب التشبيه فيهما ، ويريد بتشبيها : تمايلها وتبخترها .

(٤) الحزن : الأرض الغليظة ، وأبرق الحمى : موضع ، وتسيمها : رائجتها ، ووصفها : نضارتها وبهجتها ، والمتحل : اسم مفعول من « انتحل كذا » بمعنى ادعاه لنفسه وهو لغيره . وابن بابل هو عبد الصمد بن منصور .

(٥) النسر : الرائحة ، وصدق الهوى : ثباته ، والملل : السأم . يريد به سرعة زوال نضرتها من إطلاق السبب وإرادة المسبب ، والغربة فيه ناشئة من قلب التشبيه أيضاً . وأبو سعد هو علي بن محمد بن خلف الهمداني .

(٦) انظر ص ٤٩ .

كما يزداد بذلك لطفاً و غرابة ، كقوله :
 له أَيْطَلَا ظَنِّي وساقاً نعاماً وإرخاءُ سُرْحَانٍ وتقريبُ تَنْفُلٍ (١)
 أقسام التشبيه باعتبار أدواته :
 وأما باعتبار أدواته فإما مؤكّدٌ أو مرسلٌ :
 والمؤكد: ما حذفت أدواته ، كقوله تعالى : ﴿ وهى تمرُّ مرَّ السَّحابِ ﴾ (٢)
 وقوله : ﴿ يَأْيُهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ، وداعياً إِلَى اللَّهِ يَأْذَنُهِ
 وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴾ (٣) وقول الحماسى :
 هُمُ الْبَحُورُ عَطَاءٌ حِينَ تَسْأَلُهُمْ وَفِي اللَّقَاءِ إِذَا تَلَقَّى بِهِمْ بُهُمْ (٤)
 إلى غير ذلك كما سبق (٥) . ومنه نحو قول الشاعر :
 وَالرَّيْحُ تَعَبَتْ بِالْغُصُونِ وَقَدْ جَرَى ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ (٦)
 وقول الآخر يصف القمرَ لآخر الشهر قبل السَّرَارِ :
 كَأَنَّمَا أَدْهَمُ الْإِظْلَامُ حِينَ نَجَا مِنْ أَشْهَبِ الصَّبْحِ أَلْقَى نَعْلَ حَافِرِهِ (٧)

(١) هو لامرئ القيس فى وصف فرسه ، وأَيْطَلَا الظبى : حاصرتاه ،
 والسُرْحَانُ : الذئب ، وإرخاؤه : جريه فى سهولة ، والتنفل : ولد الثعلب ، وتقريبه :
 عدوه ، وإنما زاد التشبيه هنا لطفاً لتعدد المشبه والمشبّه به فيه ، أما التشبيه قبله فلم يتعدد
 فيه إلا المشبه به .

(٢) النمل : ٨٨ . (٣) الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦ .

(٤) هو لزياد بن حمل ، والبهم : واحد بهمة وهو الشجاع الذى لا يُدْرَى كيف
 يُوْتَى لاستبهام شأنه .

(٥) فى أمثلة التشبيه من أول بابهِ إلى هنا ، فقد ورد فيها كثير من التشبيه المؤكّد .
 (٦) هو لإبراهيم بن أبى الفتح المعروف بابن خفاجة الأندلسى . والأصيل : ما بين
 العصر والمغرب ، واللجين : الفضة ، وقد جرى التشبيه المؤكّد هنا على طريقة مخالفة لما
 سبق من أمثلة ، وهى إضافة المشبه به إلى المشبه فى قوله « لجين الماء » . أما قوله « ذهب
 الأصيل » فهو استعارة لا تشبيه .

(٧) هو لعبد الجبار بن حمديس الصقلّى . والأدهم : الفرس الأسود ،
 والأشهب : الفرس الأبيض . والمراد تشبيه الليل بالفرس الأدهم ، والصبح بالفرس =

وقول الشريف الرضى :

أرْسَى التَّسِيمُ بِوَادِيكُمْ وَلَا بَرَحَتْ حَوَامِلُ الْمَزْنِ فِي أَجْدَانِكُمْ تَضَعُ
وَلَا يَزَالُ جَنِينُ النَّبْتِ تُرْضِعُهُ عَلَى قُبُورِكُمْ الْعُرَاضَةُ الْهَمْعُ^(١)
المرسل : والمرسل ما ذُكِرَتْ أَدَاتُهُ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي
اسْتَوَقَدَ نَاراً ﴾^(٢) وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ عَرَضُهَا كَعَرَضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٣)
وقول امرئ القيس :

وَتَعْطُو بِرَخْصٍ غَيْرِ شَيْءٍ كَأَنَّهُ أَسَارِيعُ طَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْحَلٍ^(٤)
وقول البحتري :

وَإِذَا الْأَسْنَةُ خَالَطَتْهَا خَلَّتْهَا فِيهَا خَيَالُ كَوَاكِبٍ فِي الْمَاءِ^(٥)
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ كَمَا تَقْدُمُ^(٦)

= الأشهب ، والقمر قبل السرار بالنعل الذي يكون في رجل الفرس لمشايبته له في الدقة
والانعطاف ، وقد جرى في التشبيهين الأولين على إضافة المشبه به إلى المشبه أيضاً ، أما
قوله « نعل حافره » فهو استعارة لحذف المشبه فيه .

(١) هما لعلى بن موسى المعروف بالشريف الرضى ، وقوله « أرسى » بمعنى ثبت
وهي جملة دعائية ، والمزن : السحاب ذو الماء ، والأحداث : القبور ، والعراضة :
السحاب العريض ، والهمع : المطر ، والشاهد في قوله « حوامل المزن ، وجنين النبت »
فهو من إضافة المشبه به إلى المشبه على حد : لجين الماء .

(٢) البقرة : آية ١٧ .

(٣) سورة الحديد : آية ٢١ .

(٤) قوله « تعطو » بمعنى تتناول ، والرخص : اللين وصف لإصبعها ، والشئ :
الغليظ ، والأساريع : جمع أسروع وهو دود يكون في البقل والأماكن الندية تشبه به
أنامل النساء في عهدهم ، وطبى : اسم موضع ، والإسحل : شجر له غصون يستاك بها .
(٥) الضمير فى « خالطتها » يعود إلى الدروع ، وفى « خلتها » للأسنة ،
والأسنة : الرماح ، يريد تشبيه الرماح إذا خالطت الدروع بخيال الكواكب حين يبدو فى
الماء ؛ لأن الأسنة تكون لامعة كالقواكب والدروع تكون صافية كالماء .

(٦) فى أمثلة التشبيه فيما مضى إلى أول الباب ؛ لأن فيها كثيراً من أمثلة التشبيه

المرسل .

أقسام التشبيه باعتبار الغرض :

وأما باعتبار الغرض : فإما مقبول أو مردود .

المقبول الوافى بإفادة الغرض ، كأن يكون المشبه به أعرف شيء بوجه الشبه^(١) إذا كان الغرض بيان حال المشبه من جهة وجه الشبه أو بيان المقدار .
ثم الطرفان في الثاني^(٢) إن تساويا في وجه الشبه : فالتشبيه كامل في القبول ، وإلا : فكلما كان المشبه به أسلم من الزيادة والنقصان كان أقرب إلى الكمال .
أو كأن يكون المشبه به أتم شيء^(٣) في وجه الشبه إذا قصد إلحاق الناقص بالكامل . أو كأن يكون المشبه به مُسَلَّم الحكم معروفة عند المخاطب في وجه الشبه إذا كان الغرض بيان إمكان الوجود .
المردود : والمردود بخلاف ذلك ؛ أى القاصر عن إفادة الغرض^(٤) .



(١) الحق أنه لا يشترط إلا أن يكون المشبه به أعرف الطرفين بذلك ، ويكفى أن يكون أعرفهما به عند السامع وإن لم يكن كذلك عند غيره ، ولا يُشترط في وجه الشبه أن يكون صفة ظاهرة في المشبه به كما ذهب إليه بعضهم ؛ لأنه يصح أن يكون صفة خفية ، ولكن يجب بيانها في التشبيه ، كقولك : « رأيت رجلاً كالأسد في البحر » .

(٢) أى بيان المقدار .

(٣) الحق أنه لا يشترط أيضاً إلا أن يكون المشبه به أتم الطرفين فقط في ذلك .

(٤) من التشبيه المردود قول الفرزدق :

يمشون في حلق الحديد عليهم جُربُ الجمال بها الكحيل المشعل
شبه الرجال في دروع الزرد بالجمال الحرب ، وهو مردود ؛ لأنه إن أراد السواد فلا مقارنة بينهما في اللون ؛ لأن لون حديد الدروع أبيض ، وإن أراد شيئاً آخر فهو غير واضح مع ما فيه من السخف .

ومن ذلك قول الآخر في وصف السهام :

كسأها رطيب الرئش فاعتدلت له قدام كاعتاق الأطباء الفوارق

لأن ما هذا حاله لا ملائمة بين الطرفين فيه .

وقد قيل : إن جماعة جعلوا الابتدال مما يرد به التشبيه ، فيكون التشبيه القريب المبتدل من المردود ، والحق أنه تشبيه مقبول وإن لم يبلغ مرتبة التشبيه البعيد الغريب .

خاتمة

مراتب التشبيه : قد سبق أن أركان التشبيه أربعة : المشبه ، والمشبّه به ، وأداة التشبيه ، ووجهه . فالحاصل من مراتب التشبيه فى القوة والضعف فى المبالغة باعتبار ذكر أركانه كلّها أو بعضها ثمان :

إحداها : ذكرُ الأربعة ، كقولك « زيد كالأسد فى الشجاعة » ولا قوة لهذه المرتبة (١) .

وثانيتهما : ترك المشبه ؛ كقولك « كالأسد فى الشجاعة » أى زيد ، وهى كالأولى فى عدم القوة (٢) .

وثالثتها : ترك كلمة التشبيه ، كقولك « زيد أسد فى الشجاعة » وفيها نوع قوة (٣) .

ورابعتها : ترك المشبّه وكلمة التشبيه ، كقولك « أسد فى الشجاعة » أى زيد ، وهى كالثالثة فى القوة .

وخامستها : ترك وجه الشبه ، كقولك « زيد كالأسد » وفيها نوع قوة لعموم وجه الشبه من حيث الظاهر .

وسادستها : ترك المشبه ووجه التشبيه ، كقولك « كالأسد » أى زيد ، وهى كالخامسة .

وسابعتها : ترك كلمة التشبيه ووجهه ، كقولك « زيد أسد » وهى أقوى الجميع .

(١) لعدم المبالغة فيها بذكر الأداة وتخصيص وجه الشبه .

(٢) لأن حذف المشبه لا تأثير له فى إفادة المبالغة التى تعلو بها مرتبة التشبيه .

(٣) لأن حذف الأداة يفيد أن المشبه عين المشبه به ادعاءً ؛ لأن الخبر عين المبتدأ فى

وثامنتها : أفراد المشبه به بالذكر ، كقولك « أسد » أى زيد ، وهى كالسابعة^(١) .

واعلم أن الشبه^(٢) قد يُنتزعُ من نفس التضاد لاشتراك الضدَّين فيه ، ثم ينزَّل منزلة التناسب^(٣) بواسطة تمليح ؛ أو تهكم^(٤) ؛ فيقال للجبان : « ما أشبهه بالأسد » ، وللبخيل : « هو حاتم » .



(١) هذا وللتشبيه مراتب أيضا باعتبار أدواته ، فنحو « كأن زيدا أسد » أبلغ من نحو « زيد كالأسد » لأن (كأن) تفيد الظن مع التشبيه ، والظن قريب من العلم فيفيد شدة المشابهة .

وكذلك له مراتب باعتبار أقسامه السابقة من كون وجه الشبه فيه مفرداً ، أو مركباً حسيّاً أو عقليّاً إلى غير ذلك من أقسامه ، ولو أنه رتب الكلام فى التشبيه على بيان تلك المراتب وجعل تلك الأقسام تابعة لها لكانت الفائدة أتم ؛ لأن عنايته بالتقسيم لذاته جعلته يستقصى فيه إلى ذلك الحدِّ المملِّ ، ويهمل بيان تلك المراتب مع أنه هو الأهم .

(٢) يعنى به وجه التشبيه .

(٣) كان الأحسن تقديم هذا على ما قبله ؛ لأن الذى يحصل أولاً تنزيل التضاد منزلة التناسب ، ثم ينتزع الشبه منه بعد هذا التنزيل ، والمراد بالتضاد مطلق التقابل .

(٤) التمليح : هو الإتيان بما فيه ملاحظة وظرافة ، والتهكم : الاستهزاء ، والنسبة بينهما العموم والخصوص الوجهى ، وقيل : إن التمليح إيراد القبيح فى صورة شئ مליح للاستظراف . وما جاء من ذلك قول أبى نواس :

أصبح الحُسْنُ منك يا أحسن الأُمِّ عة يحكى سماجة ابن حبيش

وقول عمرو بن معديكرب :

أتوعدننى كأنك ذو رُعَيْن بأنقمَ عيشةَ أو ذو نواس
فلا تفخر بملكك كلُّ مُلْكٍ يصيرُ لدَّةً بعدَ الشَّماس

تمرينات على التشبيه

تمرين - ١

(١) من أى قسم من أقسام التشبيه باعتبار الطرفين قول الشاعر :

تَحَطَّمْنَا الْأَيَّامُ حَتَّى كَأَنَّا زَجَاجٌ وَلَكِنْ لَا يُعَادُ لَنَا سَبْكُ

(٢) بَيِّنَ التشبيه الضمنى فى قول الشاعر :

إِنَّ السِّلَاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْمَخْلَبِ السَّيْعِ

تمرين - ٢

(١) من أى قسم من أقسام التشبيه باعتبار وجه الشبه قول الشاعر :

أَيَّهَجَرَنِي قَوْمِي عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِلَى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِلُغَاتِ

سَرَتْ لَوَثَةُ الْإِفْرِجِ فِيهَا كَمَا سَرَى لَعَابُ الْأَفَاعَى فِي مَسِيلِ فِرَاتِ

(٢) ما الفرق بين التشبيه المؤكد والتشبيه البليغ عند الخطيب وعند غيره ؟

تمرين - ٣

(١) من أى أقسام التشبيه باعتبار الأداة قول الشاعر :

وَتَرَاكَضُوا خَيْلَ الشَّبَابِ وَبَادَرُوا أَنْ تَسْتَرِدَّ فَإِنَّهُنَّ عَوَارِي

(٢) ما هو الغرض من التشبيه فى قول الشاعر :

وَيَا وَطَنِي لَقَيْتُكَ بَعْدَ يَأْسٍ كَأَنِّي قَدْ لَقَيْتُ بِكَ الشَّبَابَا

تمرين - ٤

(١) لماذا فضل عبد الملك بن مروان قول ابن قيس الرُّقِيَّاتِ فى مصعب بن

الزبير :

إِنَّمَا مِصْعَبٌ شَهَابٌ مِنْ اللَّحْلِ هُوَ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ

على قوله فيه :

يأتلق التّاج فوق مفرّقه على جبين كأنه الذهب

(٢) لماذا قبح التشبيه في قول أبي نواس في وصف الخمر :

وإذا ما الماء وأقعها أظهرت شكلاً من الغزل

لؤلؤات يتحدرن بها كأنحدار الدرّ من جبل

تمرين - ٥

أى التشبيهين أبلغ في هذين البيتين :

(١) يا شبيه البدر حسناً وضياءً ومنالاً

(٢) فى طلعة البدر شىء من محاسنها وللقضيب نصيب من تنهيا

(٢) ما الفرق بين التشبيه والتمثيل ؟ وأيها أعلى منزلة فى التشبيه ؟

تمرين - ٦

بين أركان التشبيه وأقسامه باعتبارها فيما يأتى :

(١) والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على حب الرضاع وإن تطفمه ينفطم

(٢) الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

(٣) والبدر فى أفق السماء كغداة بيضاء لاحت فى ثياب حداد

(٤) أبابل مرأى العين أم هذه مصر فإنى أرى فيها عيوناً هى السحر

(٥) ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب فى الماء جذوة نار

تمرين - ٧

وازن بين التشبيه فى هذين البيتين :

(١) ألا إنما ليلى عصا خيزرانة متى غمزوها بالأكفّ تلين

(٢) إذا قامت لحاجتها تثنت كأن عظامها من خيزران

الباب الثاني: القول في الحقيقة والمجاز

وقد يُقيدان باللغويين (١)

تعريف الحقيقة : الحقيقة الكلمة المستعملة فيما وُضعت له في اصطلاح به التخاطب (٢) . فقولنا « المستعملة » احتراز عما لم يُستعمل ؛ فإن الكلمة قبل الاستعمال لا تسمى حقيقة، وقولنا « فيما وُضعت له » احتراز عن شيئين : أحدهما ما استعمل في غير ما وُضعت له غلطاً ؛ كما إذا أردت أن تقول لصاحبك « خذ هذا الكتاب » مشيراً إلى كتاب بين يديك ، فغلطت فقلت « خذ هذا الفرس » والثاني أحد قسمي المجاز - وهو ما استعمل فيما لم يكن موضوعاً له لا في اصطلاح به التخاطب ولا في غيره ؛ كلفظة الأسد في الرجل الشجاع ، وقولنا « في اصطلاح به التخاطب » احتراز عن القسم الآخر من المجاز ؛ وهو ما استعمل فيما وضع له لا في اصطلاح به التخاطب ؛ كلفظ الصلاة يستعمله المخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازاً (٣) .

تعريف الوضع : والوضعُ تعيينُ اللفظ للدلالة على معنى بنفسه (٤) .

(١) إنما يقيدان بذلك ليخرج عنهما الحقيقة والمجاز العقليان ، وقد سبقا في باب الإسناد الخبري من علم المعاني ، وبهذا يكون المراد باللغوي منهما ما قابل العقلي فيدخل فيه الشرعي والعرفي الأتيان .

(٢) الأحسن أن يذكر في التعريف اللفظ بدل الكلمة ليشمل الحقيقة المركبة أيضاً ، كقولك : « الصدق حسن » ؛ باعتبار الهيئة التركيبية لا باعتبار الإستاذ ، وقيل : إن المركب لا يُطلق عليه حقيقة لغوية .

(٣) لأنها في عرف الشرع حقيقة في الأقوال والأفعال المفتحة بالتكبير المختمة بالتسليم ، أما في عرف اللغة فهي حقيقة في الدعاء لا مجاز ، وقد سكت عن خروج الكناية من تعريف الحقيقة للخلاف في خروجها منه ، فقد قيل : إنها مستعملة في غير ما وُضعت له فتكون مجازاً . وقيل : إنها مستعملة فيما وُضعت له فتكون حقيقة . وقيل : إنها ليست بحقيقة ولا مجاز .

(٤) أي بغير وساطة قرينة ، وبهذا يدخل فيه وضع الحروف لأن معانيها تُفهم منها بغير قرينة وإن كانت غير مستقلة بنفسها .

فقولنا « بنفسه » احترازٌ من تعيين اللفظ للدلالة على معنى بقرينة - أعني المجاز - فإن ذلك التعيين لا يسمى وضعاً ، ودخل المشترك في الحد لأن عدم دلالة على أحد معنيه بلا قرينة لعارض - أعني الاشتراك - لا ينافي تعيينه للدلالة عليه بنفسه ^(١) . وذهب السكاكي إلى أن المشترك (كالقرء) معناه الحقيقي هو ما لا يتجاوز معنيه كالطهر والحيض غير مجموع بينهما ^(٢) قال :

﴿ فهذا ما يدل عليه بنفسه ما دام منتسباً إلى الوضعين ، أما إذا خصصته بواحد إما صريحاً مثل أن تقول « القرء بمعنى الطهر » وإما استلزاماً مثل أن تقول « القرء لا بمعنى الحيض » فإنه حينئذ ينتصب دليلاً دالاً بنفسه على الطهر بالتعيين كما كان الوضع عنه بإزائه بنفسه ﴾ ، ثم قال في موضع آخر ^(٣) :
﴿ وأما ما يُظنّ بالمشارك من الاحتياج إلى القرينة في دلالة على ما هو معناه فقد عرفت أن منشأ هذا الظن عدم تحصيل معنى المشترك الدائر بين الوضعين ﴾ وفيما ذكره نظرٌ ؛ لأننا لا نُسَلِّم أن معناه الحقيقي ذلك ، وما الدليل على أنه عند الإطلاق يدل عليه ؟ ثم قوله « إذا قيل القرء بمعنى الطهر أو : لا بمعنى الحيض فهو دالٌّ بنفسه على الطهر بالتعيين » سهو ظاهر ؛ فإن القرينة كما تكون معنوية تكون لفظية ، وكلٌّ من قوله « بمعنى الطهر » وقوله « لا بمعنى الحيض » قرينة ^(٤) .

(١) فقرينة المشترك إنما هي لتعيين المراد منه ، ولا يحتاج فهم أحد المعنيين منه على الإطلاق إلى قرينة ، أما قرينة المجاز فيحتاج إليها في نفس الدلالة على المعنى المجازي .
(٢) ١٩١ - المفتاح ، ويريد بذلك أن المشترك عند الإطلاق صالح لكل من المعنيين ؛ فهو عند الإطلاق يدل بنفسه على معناه الذي هو أحدهما لا بعينه ، وحينئذ لا يكون هناك خلاف بينه وبين الخطيب في معنى المشترك ، ولا يكون هناك وجه لاعتراض الخطيب عليه بما يأتي .

(٣) ١٩٢ - المفتاح .

(٤) هذا الاعتراض ساقط ؛ لأن السكاكي لا يريد إلا أن ذلك ليس قرينة لدلالة اللفظ على المعنى ، بل لتعيين دلالة على أحد معنيه كما سبق ، وما كان أغنى الخطيب عن الاشتغال بهذه المباحكات اللفظية .

إنكار الوضع : وقيل : دلالة اللفظ على معناه لذاته (١) ، وهو ظاهر الفساد لاقتضائه أن يمنع نقله إلى المجاز وجعله علماً ووضعه للمضادين كالجون للأسود والأبيض ، فإن ما بالذات لا يزول بالغير ، ولاختلاف اللغات باختلاف الأمم . وتأول السكاكي رحمه الله (٢) على أنه تنبيه على ما عليه أئمة علمى الاشتقاق والتصريف ؛ من أن للحروف فى أنفسها خواص بها تختلف ؛ كالجهر والهمس والشدة والرخاوة والتوسط بينها وغير ذلك مستدعية أن العالم بها إذا أخذ فى تعيين شئ منها لمعنى لا يهمل التناسب بينهما قضاءً لحق الحكمة (٣) كالقصم (بالفاء) الذى هو حرف رخو لكسر الشئ من غير أن يبين (٤) ، والقصم (بالقاف) الذى هو حرف شديد لكسر الشئ حتى يبين ، وأن للتركيبات (٥) كالفعلان والفعلى بالتحريك كالنوزان والحيدى وفعل مثل شرف وغير ذلك خواص أيضاً (٦) فيلزم فيها ما يلزم فى الحروف ، وفى ذلك نوع تأثير لأنفس الكلم فى اختصاصها بالمعانى .

تعريف المجاز وأقسامه : والمجاز مفرد ومركب .

أما المفرد فهو الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له فى اصطلاح به التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته . فقولنا « المستعملة » احتراز عما لم يستعمل ؛ لأن الكلمة قبل الاستعمال لا تسمى مجازاً كما لا تسمى

(١) أى لا بالوضع ، وهو قول عباد الصيمرى من المعتزلة .

(٢) ١٩٠ - المفتاح .

(٣) لأن الواضع حكيم ، وحينئذ لا يكون فى هذا القول إنكار للوضع ، ولكن هذا إنما يظهر فى بعض الألفاظ دون جميعها لتعذره ، والحق أن هذا التأويل خلاف ما صح نقله عن عباد من أنه يقصد ظاهر ما روى عنه ، وكان بعض أتباعه يدعى أنه يعرف جميع السميات من أسمائها ، ف قيل له : ماسمى « آدغاغ » وهو من لغة البربر ؟ فقال : أجد فيها يساً شديداً وأراه اسم الحجر . فظهر أنه اسمه فى تلك اللغة .

(٤) ينفصل .

(٥) معطوف على قوله « من أن للحروف » .

(٦) فالفعلان والفعلى يدلان على ما فيه حركة ، وفعل تدل على أفعال الطبايع

والسجيا .

حقيقة ، وقولنا « فى اصطلاح به التخابط » ؛ ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة إذا استعماله المخاطب بعرف الشرع فى الدعاء مجازاً ؛ فإنه وإن كان مستعملاً فيما وُضع له فى الجملة ^(١) ؛ فليس بمستعمل فيما وُضع له فى الاصطلاح الذى به وقع التخابط . وقولنا « على وجه يصح » احتراز عن الغلط كما سبق ^(٢) .
وقولنا « مع قرينة عدم إرادته » احتراز عن الكناية ؛ كما تقدم ^(٣) .

والحقيقة لغويةٌ وشرعيةٌ وعرفيةٌ خاصةٌ أو عامةٌ ؛ لأن واضعها إن كان واضع اللغة فلغوية ، وإن كان الشارع فشرعية ، وإلا فعرفية والعرفية إن تعين صاحبها نسبت إلى ؛ كقولنا كلامية ونحوية ، وإلا بقيت مطلقة ؛ مثال اللغوية لفظ (أسد) إذا استعماله المخاطب بعرف اللغة فى السبع المخصوص ، ومثال الشرعية لفظ (صلاة) إذا استعماله المخاطب بعرف الشرع فى العبادة المخصوصة ، ومثال العرفية الخاصة لفظ (فعل) إذا استعماله المخاطب بعرف النحر فى الكلمة المخصوصة ، ومثال العرفية العامة لفظ (دابة) إذا استعماله المخاطب بالعرف العام فى ذى الأربع ^(٤) .

(١) لأنها موضوعة فى اللغة للدعاء ، فاستعمالها فيه استعمالٌ فيما وُضع له فى الجملة .

(٢) أى فى تعريف الحقيقة ؛ فهو خارج عن التعريفين ولا يقال له حقيقة ولا مجاز ؛ وإنما خرج بذلك عن تعريف المجاز لأن الوجه الذى يصح به استعمال الكلمة فى غير ما وضعت له ؛ هو وجود العلاقة بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى مع ملاحظتها ، والغلط لا يكون عن ملاحظة علاقة .

(٣) أى فى حصر أبواب علم البيان ؛ لأن قرينة الكناية لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقى ، وأما نحو قولهم « القلم أحد اللسانين » مما قيل إنه من باب الجمع بين الحقيقة والمجاز ؛ فمذهب علماء البيان فيه أنه من باب عموم المجاز ، والمعنى عليه : القلم أحد المبيّنين ، ولا شك فى أن هذا إطلاق مجازى .

(٤) هى فى اللغة اسم لكل ما يذب على الأرض من ذى الأربع وغيره ، والمراد ذو الأربع المعهود وهو الحمار والبغل والفرس ، فلا يدخل فى استعماله العرفى الشاة ونحوها من ذى الأربع .

وكذلك المجاز المفرد لغوى وشرعى وعُرفى ؛ مثال اللغوى لفظ (أسد)؛ إذا استعمله المخاطب بعرف اللغة فى الرجل الشجاع ، ومثال الشرعى لفظ (صلاة)؛ إذا استعمله المخاطب بعرف الشرع فى الدعاء ، ومثال العرف الخاص لفظ (فعل)؛ إذا استعمله المخاطب بعرف النحو فى الحدث ، ومثال العرفى العام لفظ (دابة) إذا استعمله المخاطب بالعرف العام فى الشاة ^(١) .

اشتقاق الحقيقة والمجاز : والحقيقة إما فعيل بمعنى مفعول من قولك «حققتُ الشيء أحقُّه» إذا أثبتته ، أو فعيل بمعنى فاعل من قولك «حقَّ الشيء يحقُّ إذا ثبت» أى المُثَبَّتُ أو الثابتة فى موضعها الأُصْلَى ؛ فأما التاء فقال صاحب المفتاح ^(٢) : هى عندى للتأنيث فى الوجهين ، لتقدير لفظ الحقيقة قبل التسمية صفة مؤنث غير مجرأة على الموصوف وهو الكلمة ^(٣) ، وفيه نظر ^(٤) ، وقيل : هى لنقل اللفظ من الوصفية إلى الاسمية الصِّرفَة ؛ كما قيل فى أكيلة ونطيحة : إن التاء فيهما لنقلهما من الوصفية إلى الاسمية ^(٥) ؛ فلذلك لا يوصف بهما؛ فلا يقال: شاة أكيلة أو نطيحة .

والمجاز: قيل «مَفْعَلٌ» من «جاز المكان يجوزه» إذا تعداه ، أى تعدت موضعها الأُصْلَى ^(٦) وفيه نظر ^(٧) . والظاهر أنه من قولهم «جعلت كذا

(١) لأنه فى العرف العام موضوع للحمار والبغل والفرس فقط كما سبق .

(٢) ١٩٢ - المفتاح .

(٣) إنما قيدها بهذا لثلاثا يمتنع إلحاق التاء بها إذا كانت من فعيل بمعنى مفعول؛ كما قال ابن مالك :

ومن فعيل كقتيل إن تبع موصوفه غالباً التاء تمتنع

(٤) لأنه يجوز أن يقال هذا اللفظ حقيقة ، ولو كانت التاء للتأنيث لم يجز .

(٥) لأنهما قبل التاء وصف لكل مأكول ومنطوح من الإبل والبقر والغنم ، ثم كثر استعمالها فى الغنم ، فجعلت التاء فيهما للنقل من الوصفية للاسمية .

(٦) الضمير فى «تعدت» للمجاز باعتبار أنه كلمة ، فهى على هذا مجاز بمعنى جائزة من إطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل ، أو بمعنى مجوز بها من إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول .

(٧) لأن استعمال المصدر الميمى بمعنى اسم الفاعل أو المفعول مجاز فلا يصار إليه مع إمكان غيره .

الى حاجتى « أى طريقاً له ^(١) ، على أن معنى جاز المكان سلكه ، على ما
فسره الجوهري وغيره ؛ فإن المجاز طريق إلى تصور معناه ، واعتبار التناسب
فى التسمية يغير اعتبار المعنى فى الوصف ^(٢) كتسمية إنسان له حمرة بأحمر ،
ووصفه بأحمر ؛ فإن الأول لترجيح الاسم على غيره حال وضعه له ، والثانى
لصحة إطلاقه ؛ فلا يصح نقض الأول بوجود المعنى فى غير المسمى كما يلهج
به بعض الضعفاء .

تقسيم المجاز المفرد إلى مرسل واستعارة : والمجاز ضربان : مرسل ،
واستعارة ؛ لأن العلاقة المصححة إن كان تشبيه معناه بما هو موضوع له فهو
استعارة ، وإلا فهو مرسل ، وكثيراً ما تُطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبه
به فى المشبه ^(٣) ، فيسمى المشبه به مستعاراً منه ، والمشبه مستعاراً له ، واللفظ
مستعاراً ^(٤) ، وعلى الأول لا يُشتق منه لكونه اسماً للفظ لا للحدث ^(٥) .

المجاز المرسل وعلاقاته - علاقة السببية والمجاورة :

الضرب الأول : المرسل ، وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما
وُضع له مُلابسة غير التشبيه ^(٦) كاليد إذا استعملت فى النعمة ؛ لأن من شأنها

(١) على هذا يكون فى الأصل اسم مكان لا مصدرًا ميمياً ، ولا يحتاج فى إطلاقه
على الكلمة إلى تأويل كالسابق .

(٢) يريد بهذا أن يدفع الاعتراض على ما اختاره فى لفظ المجاز بأنه يودى إلى
صحة تسمية الحقيقة مجازاً ؛ لأنها طريق إلى تصور معناها أيضاً ، وقد دفعه بأن ذلك
ليبان علة تسمية المجاز باسمه لا لوصفه به ، وعلة التسمية لا توجب التسمية بخلاف علة
الوصف .

(٣) هذا يقابل إطلاقها على الكلمة بحكم أنها قسم من المجاز ، والحق أن هذا
الإطلاق غير خاص بها ؛ لأن المجاز كما يطلق على الكلمة يطلق على استعمالها .

(٤) يعنى لفظ المشبه به ، أما المستعار منه فهو معناه لا لفظه .

(٥) فلا يشتق منه مستعار منه ولا مستعار له ولا مستعار ، وبهذا يكون المعنى
الثانى هو الأنسب ؛ لأنه يودى إلى معرفة هذه المشتقات التى تدور كثيراً فى الكلام على
الاستعارة .

(٦) الذى يُعتبر من العلاقة فى المجاز مطلقاً نوعها لا شخصها كما ذهب إليه =

أن تصدر عن الجارحة ومنها تصل إلى المقصود بها ^(١) . ويشترط أن يكون في الكلام إشارة إلى المولى لها ^(٢) فلا يقال « اتسعت اليد في البلد ، أو اقتنيت يداً » كما يقال « اتسعت النعمة في البلد ، أو اقتنيت نعمة » وإنما يقال : « جَلَّتْ يَدُهُ عِنْدِي ، وكثرت أياديه لَدَيَّ » ونحو ذلك .

ونظير هذا قولهم في صفة راعي الإبل : « إِنَّ لَهُ عَلَيْهَا إصْبَعاً ^(٣) »

= بعض المشددين في استعمال المجاز ، فإذا عرفنا أن العرب استعملوا لفظاً في سبب معناه أو مشابهه جاز لنا أن نستعمل لفظاً آخر غير الذي استعملوه لمثل هذه العلاقة ، ولا يجب أن تقتصر على اللفظ الذي استعملوه خاصة ، وقيل : إن المجازات اللغوية المفردة يجب إقرارها حيث وردت ، ولا يجوز التصرف فيها إلا بتوقيف وإذن من جهة اللغة ، فلا يقال في مجاز الحذف مثلاً « سَلَّ الدَّارَ » كما قيل « وَاسَّأَلَ الْقَرْيَةَ » يوسف : ٨٢ ، ولا يستعار لفظ الأسد للرجل الأَبْخَرُ ، كما استعير للرجل الشجاع ، وهكذا . أما غير المجازات المفردة فيجوز فيها ذلك ، فيصح أن تقول « تكاثرت أشواقى ، وأسقمنى فقدك » كما ورد من قولهم : « أَخَذَتِ الْأَرْضُ وَأَنْبَتَتِ الْأَرْضُ » والحق أنه لا فرق في ذلك بين المجازات المفردة وغيرها ، وأنه يجوز القياس في المجاز مطلقاً ، وأن ما يُقْبَلُ من المجاز يُقْبَلُ من العرب وغيرهم ، وأن ما لا يقبل منه لا يقبل من الفريقين أيضاً ، لأن العرب تصيب في ذلك وتخطئ كالمحدثين ، وقد أخذ على امرئ القيس قوله :

وَهَرَّ تَصِيدُ قُلُوبِ الرِّجَالِ وَأَقْلَتَ مِنْهَا ابْنُ عَمْرِو وَحُجْرٍ

لأن لفظة « هر » واستعارة الصيد منها مضحكة هيجية ، ولو أن أباه حجراً من فارات بيته ما أسف على إفلاته منها هذا الأسف ، وأين قوله من قول زهير :

لَيْتَ بَعَثَ يَصْطَادُ الرِّجَالِ إِذَا مَا كَذَبَ اللَّيْثُ عَنْ أَفْرَانِهِ صَدَقَا

لا على أن امرأ القيس أتى بالخطأ على جهته ، ولكن للكلام قرائن تحسنه وقرائن تُقْبِحه كذكر الصيد في البيتين .

(١) هذا مثال لعلاقة السببية ، وتكون بإطلاق اسم السبب على المُسَبَّبِ ، وكذلك ما يأتي من استعمال اليد في القدرة والإصبع والوسط في أثرهما .

(٢) ليكون قرينة على إرادتها من اليد ، وقد اعترض على هذا بأن القرينة شرط في كل مجاز ، فلا حاجة إلى تقييد هذا النوع بها ، وبأن القرينة قد توجد في ذلك من غير إشارة إلى المولى للنعمة ، كقولك « رأيت يداً عمت الوجود » ونحو ذلك .

(٣) من هذا قول الشاعر :

ضَعِيفُ الْعَصَا بَادَى الْعُرُوقِ تَرَى لَهُ عَلَيْهَا إِذَا مَا أَجْدَبَ النَّاسُ إصْبَعَا

أرادوا أن يقولوا « له عليها أثرٌ حَذَقٍ » فدلوا عليه بإصبع ؛ لأنه ما من حَذَقٍ في عمل يد إلا وهو مستفاد من حسن تصريف الأصابع واللفظ في رفعها ووضعها كما في الخط والنقش . وعلى ذلك قيل في تفسير قوله تعالى : ﴿ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ ^(١) أى نجعلها كخف البعير فلا يتمكن من الأعمال اللطيفة ، فأرادوا بالأصبع الأثر الحسن حيث يقصد الإشارة إلى حَذَقٍ في الصنعة لا مطلقاً ، حتى يقال ^(٢) « رأيت أصابع الدار ، وله إصبع حسنة وإصبع قبيحة » على معنى أثر حسن وأثر قبيح ، ونحو ذلك .

وينظر إلى هذا قولهم « ضربته سوطاً » لأنهم عبروا عن الضربة الواقعة بالسوط باسم السوط فجعلوا أثر السوط سوطاً . وتفسيرهم له بقولهم « المعنى ضربته ضربة بالسوط » بيان لما كان الكلام عليه في أصله .

ونظير قولنا « له على يد » قول النبي ﷺ لأزواجه : « أسرعنَّ لحوقاً - ويُرَوِّى لحاقاً - بى أطولكنَّ يداً » وقوله « أطولكن » نظير ترشيح الاستعارة ولا بأس أن يسمى ترشيح المجاز ، والمعنى ^(٣) بسط اليد بالعطاء ، وقيل قوله « أطولكن » من الطَوْل بمعنى الفضل ، يقال « لفلان على فلان طولٌ » أى فضل ؛ فاليد على هذين الوجهين ^(٤) بمعنى النعمة ، ويحتمل أن يريد أطولكن يداً بالعطاء أى أمدكنَّ ، فحذف قوله بالعطاء للعلم به ^(٥) .

وكاليد أيضاً إذا استعملت في القدرة ؛ لأن أكثر ما يظهر سلطانها في اليد ، وبها يكون البطش والضرب والقطع والأخذ والدفع والوضع والرفع وغير ذلك من الأفعال التي تنبئ عن وجود القدرة ومكانها ، وأما اليد في قول النبي ﷺ : « المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد

(١) القيامة : ٤ .

(٢) هذا تفريع على المنفى فهو مما لا يصح أن يقال في ذلك .

(٣) يعنى المعنى المجازى .

(٤) أى على أن يكون « أطولكن » بمعنى بسط اليد بالعطاء ، أو من الطول بمعنى

الفضل .

(٥) على هذا الوجه تكون اليد في الحديث حقيقة لا مجازاً .

على من سواهم « فهو استعارة ^(١) ، والمعنى أن مثلهم مع كثرتهم في وجوب الاتفاق بينهم مثل اليد الواحدة ، فكما لا يتصور أن يخذل بعض أجزاء اليد بعضاً وأن تختلف بها الجهة في التصرف ، كذلك سبيل المؤمنين في تعاضدهم على المشركين ؛ لأن كلمة التوحيد جامعة لهم .

وكالرواية للمزادة مع كونها للبعير الحامل لها ؛ لحمله إياها ^(٢) ، وكالحفّض في البعير مع كونه لمتاع البيت لحمله إياه ، وكالسماء في الغيث ، كقوله : « أصابتنا السماء » لكونه من جهة المظلة ، وكالإكاف في قول الشاعر :

* يَأْكُلْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ إِكَاْفَا * ^(٣)

أى علفاً بثمرن الإكاف ^(٤) .

علاقة الجزئية : وهذا الضرب من المجاز يقع على وجوه كثيرة غير ما ذكرنا ^(٥) : منها تسمية الشيء باسم جزئه ^(٦) كالعين في الربيّة ^(٧) لكون الجارحة

(١) يريد بها التشبيه توسعاً لذكر الطرفين في قوله « وهم يد » وقيل : إن المعنى (وهم عون على من سواهم) فيكون مجازاً .

(٢) مأخوذة من روى الماء حمله ، وتأوها للمبالغة ، وهذا مثال لعلاقة المجاورة . والمزادة : سقاء من ثلاثة جلود تجمع أطرافها ليكثر ما تحمله من الماء . وكذلك العلاقة في إطلاق الحفّض على البعير ، وفي إطلاق السماء على الغيث ، وقد يجعل هذا من علاقة السببية ، والحفّض : اسم لمتاع البيت الخفيف ، ولا يكاد يطلق إلا على البعير المهزول .

(٣) هو من قول أبي حزابة الوليد بن حنيفة يمدح طلحة الطلحات :

يا طَلْحُ يَا بِيْ مَجْدُكَ الْإِخْلَاقَ وَالْبَخْلُ لَا . يَعْتَرِفُ اعْتِرَافَا

إِنَّ لَنَا أَحْمَرَ عَجَافَا يَأْكُلْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ إِكَاْفَا

والأحمر : جمع حمار ، والعجاف : الهزيلة جمع عَجَفَاء على غير قياس ، والإكاف : البرذعة أطلق على العلف للمجاورة لأنه يُحْمَل عليه ، أو للسببية لأن ثمنه سبب في الحصول عليه .

(٤) فهو على حذف مضاف ، ويجوز أن يكون مجازاً عن ثمنه ، ثم صار مجازاً عن العلف ، فيكون مجازاً على مجاز .

(٥) أى من علاقة السببية والمجاورة ، وظاهر هذا أنه لا يذكر فيما يأتى علاقة منهما مع أنه سيذكر فيه علاقة السببية . (٦) هذه تسمى علاقة الجزئية .

(٧) تطلق الربيّة على الرقيب والجاسوس ، من ربأ القوم : استطلع حركاتهم ، وتأوها للمبالغة .

المخصوصة هي المقصود في كون الرجل ريئة ؛ إذ ما عداها لا يغنى شيئاً مع فقدتها فصارت كأنها الشخص كله^(١) . وعليه قوله تعالى : ﴿ قَمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٢) أى صلّ ، ونحوه ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾^(٣) أى لا تُصَلِّ ، وقول النبي عليه السلام : « من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه » أى من صلّى^(٤) .

علاقة الكلية : ومنها عكس ذلك^(٥) نحو ﴿ يجعلون أصابعهم في آذانهم ﴾^(٦) أى أناملهم ، وعليه قولهم « قطعتُ السارق » وإنما قطعتُ يده^(٧) .

علاقة السببية أيضاً : ومنها تسمية المسبب باسم السبب ، كقولهم : « رَعَيْنَا الْغَيْثَ » أى النبات الذى سببه الغيث ، وعليه قوله عز وجل : ﴿ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾^(٨) سُمى جزاء الاعتداء اعتداءً لأنه مسبب عن الاعتداء ، وقوله تعالى : ﴿ وَنَبَلَوْا أَخْبَارَكُمْ ﴾^(٩) تُجَوِّزُ

(١) لأنه يجب في كل جزء يطلق على كله أن يكون له من بين الأجزاء مزيد اختصاص بالمعنى الذى يُقصد ب كله ، فلا يجوز إطلاق اليد ونحوها على الريئة .

(٢) المزمّل : ٢ .

(٣) التوبة : ١٠٨ .

(٤) من ذلك أيضاً قول الشاعر :

وكنّت إذا كفّ أُنْتُكَ عديمةً تُرجى نوالاً من سحابك بُلّت

وقول الآخر :

وإن حلفتُ لا ينقضُ النَّأْيُ عهدَهَا فليس لمخضوب البنان يمينُ

(٥) هو تسمية الجزء باسم كله؛ وهذه تسمى علاقة الكلية ، أما استعمال الكلى في

جزئية فهو حقيقة ، كقولك « جاءنى إنسان » تريد زيدا .

(٦) البقرة : ١٩ .

(٧) من هذا أيضاً قول الشاعر :

تسيل على حدّ الظبابة نفوسنا وليست على غير الظبابة تسيلُ

(٨) البقرة : ١٩٤ .

(٩) سورة محمد ﷺ : ٣١ .

بالبلاء عن العرفان لأنه مسبب عنه ، كأنه قيل « ونعرف أخباركم » ، وعليه قول عمرو بن كلثوم :

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنجَهِلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا (١)

الجهل الأول حقيقة ، والثاني مجاز ، عبر به عن مكافأة الجهل (٢) . وكذا قوله تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ (٣) تجوز بلفظ السيئة (٤) عن الاقتصاص لأنه مسبب عنها ، وقيل : إنَّ عبر بها عما ساء أى أحزن لم يكن مجازاً ؛ لأن الاقتصاص محزون فى الحقيقة كالجناية ، وكذا قوله تعالى : ﴿ وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ ﴾ (٥) تجوز بلفظ المكر عن عقوبته لأنه سببها ، قيل : ويحتمل أن يكون مكر الله حقيقة ؛ لأن المكر هو التدبير فيما يضر الخصم ، وهذا محقق من الله تعالى باستدراجهم إياهم بنعمه مع ما أعد لهم من نقمه .

علاقة المسببية : ومنها تسمية السبب باسم المسبب كقولهم « أمطرت السماء نباتاً » وعليه قولهم « كما تدينُ تدانُ » أى كما تفعل تُجازى (٦) ، وكذا لفظ « الأسنمة » فى قوله يصف غيثاً :

أَقْبِلْ فِي الْمُسْتَنِّ مِنْ رِيَابِهِ أَسْنَمَةُ الْآبَالِ فِي سَحَابِهِ (٧)

وكذا تفسير إنزال أزواج الأنعام فى قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ

(١) قال الزوزنى فى شرحه : أى لا يسفهن أحدٌ علينا فنسفه عليهم فوق سفههم ، أى نجازيهم بسفههم جزاءً يربو عليه .

(٢) ومكافأة الجهل ليست جهلاً وإن كانت فوقه .

(٣) الشورى : ٤٠ .

(٤) يعنى لفظها الثانى لا الأول .

(٥) آل عمران : ٥٤ .

(٦) فالمجاز فى قولهم « تدين » .

(٧) المستن : موضع جريان الغيث من قولهم « استنَّ الفرسُ » إذا جرى على سننه

فى جهة واحدة ، وقوله « من ريبه » متعلق بأقبل ، والريب : السحاب الأبيض ، والآبال : الجمال جمع إبل ، وأسنمتها : جمع سنم وهو الحذبة المعروفة فى ظهرها ، =

الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴿١﴾ بِإِنْزَالِ الْمَاءِ عَلَى وَجْهِهِ ﴿٢﴾ لِأَنَّهَا لَا تَعِيشُ إِلَّا بِالنبات ، والنبات لا يقوم إلا بالماء ؛ وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها ، ويؤيده ما ورد أن كل ما فى الأرض من السماء ينزله الله تعالى إلى الصخرة ثم يقسمه ، قيل : وهذا ﴿٣﴾ معنى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ﴿٤﴾ وقيل : معناه وقضى لكم ؛ لأن قضاياه وقسمه موصوفة بالتزول من السماء حيث كُتب فى اللوح كل كائن يكون ، وقيل : خلقها فى الجنة ثم أنزلها ، وكذا قوله تعالى : ﴿ وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ﴾ ﴿٥﴾ أى مطراً هو سبب الرزق ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ ﴿٦﴾ وقولهم « فلان أكل الدم » أى الدية التى هى مسيبة عن الدم ﴿٧﴾ ، قال :

أَكَلْتُ دَمًا إِنْ لَمْ أَرُعْكَ بِضُرَّةٍ بَعِيدَةٍ مَهْوَى الْقَرْطِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ ﴿٨﴾

= والشاهد فى إطلاقها على المطر لأنه سبب فى نموها ، ويجوز حمل ذلك على المجاز العقلى ، فىكون المراد من الأسنمة حقيقتها .

• (١) الزمر : ٦

(٢) هو أن المراد بالإنزال الحركة من أعلى إلى أسفل ، وسيذكر مقابل هذا الوجه

فى قوله : « وقيل : معناه وقضى لكم إلخ » .

• (٣) أى التفسير بما سبق .

• (٤) الزمر : ٢١

• (٥) غافر : ١٣

• (٦) النساء : ١٠

(٧) لا يخفى أنه حينئذ يكون من تسمية السبب باسم السبب ، فىكون ذكره هنا

فى غيره محله .

(٨) هو لأعرابى تزوج امرأة فلم توافقه ، فقيل له : إِنْ حُمِيَ دِمَشْقُ سَرِيعَةً فِى

موت النساء ، فحملها إليها وقال قبل هذا البيت :

دِمَشْقُ خَذِيهَا وَعَلِمَى أَنَّ لَيْلَةً تَمُرُّ بَعُودَى نَعَشِهَا لَيْلَةُ الْقَدَرِ

وقوله « أكلت دماً » أجراه مجرى اليمين ، فكأنه يريد أن يقتل له قتيلاً ويعجز عن

نأره فيرضى بديته ، وقيل : إنهم كانوا فى سنن الجذب يفصدون نوقهم ويشربون دمه . =

وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ ^(١) أى أردت القراءة بقرينة الفاء ^(٢) مع استفاضة السنة بتقديم الاستعاذة ، وقوله تعالى : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ ﴾ ^(٣) أى أراد؛ بقرينة ﴿ فَقَالَ رَبُّ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ ^(٤) أى أردنا إهلاكها؛ بقرينة ﴿ فَجَاءَهَا بِأُسْنًا ﴾ . وكذلك قوله تعالى : ﴿ مَا آمَنْتُ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ ^(٥) بقرينة ﴿ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ ، وفيه دلالة واضحة على الوعيد بالإهلاك ؛ إذ لا يقع الإنكار ^(٦) فى ﴿ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ فى المحز إلا بتقدير « ونحن على أن نهلكهم » ^(٧) .

علاقة اعتبار ما كان : ومنها تسمية الشئ باسم ما كان عليه ^(٨) كقوله عز وجل : ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ ﴾ ^(٩) أى الذين كانوا يتامى ؛ إذ لا يتم بعد البلوغ ، وقوله ﴿ إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرَمًا ﴾ ^(١٠) سماه مجرماً باعتبار ما كان عليه فى الدنيا من الإجرام .

علاقه اعتبار ما يكون : ومنها تسمية الشئ باسم ما يؤول إليه ^(١١) كقوله تعالى : ﴿ إِنِّى أَرَانِىَ أَعْصِرُ خُمْرًا ﴾ ^(١٢) .

= فدعا على نفسه بذلك . وقوله « أركع » بمعنى أفرعك ، وقوله - بعيدة مهوى القرط - كناية عن طول العنق ، والنشر : الرائحة .

(١) النحل : ٩٨ .

(٢) فى قوله (فاستعد) لأنها للترتيب . (٣) هود : ٤٥ .

(٤) الأعراف : ٤ . (٥) الأنبياء : ٦ .

(٦) لأن الاستفهام فيه إنكارى .

(٧) أى ونحن على إرادة إهلاكهم . وإنما وجب هذا التقدير على ذلك لأن إنكار إيمانهم لا يكون بعد هلاكهم ، وقيل : إن المعنى أهلكتناها بالفعل لعدم إيمانها بما اقترحت من الآيات ؛ فلا نعطي هؤلاء ما اقترحوا لأنهم لا يؤمنون به أيضاً .

(٨) هذه تسمى علاقة اعتبار ما كان .

(٩) النساء : ٢ . (١٠) طه : ٧٤ .

(١١) هذه تسمى علاقة اعتبار ما يكون ؛ فالمراد فى الآية إني أرايى أعصر عبناً

يؤول إلى أن يكون خمرًا ، فسماه خمرًا باعتبار ما يؤول إليه .

(١٢) حكاية عن صاحب سيدنا يوسف : ٣٦ .

علاقة المحلية : ومنها تسمية الحال باسم محله ^(١) كقوله تعالى : ﴿فليدع ناديه﴾ ^(٢) أى أهل ناديه .

علاقة الحالية : ومنها عكس ذلك ^(٣) نحو ﴿وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله﴾ ^(٤) أى فى الجنة .

علاقة الآلية : ومنها تسمية الشيء باسم آله ^(٥) كقوله تعالى : ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ ^(٦) أى بلسان قومه ، وقوله تعالى : ﴿واجعل لى لسان صدق فى الآخرين﴾ ^(٧) أى ذكراً جميلاً وثناء حسناً .

وكذا غير ذلك مما بين معنى اللفظ وما هو موضوع له تعلق سوى التشبيه ^(٨) . قال صاحب المفتاح ^(٩) : وللتعلق بين الصارف عن فعل الشيء

(١) هذه تسمى علاقة المحلية .

(٢) العلق : ١٧ .

(٣) أى تسمية المحل باسم الحال ، وهذه تسمى علاقة الحالية ، ومن علاقة المحلية قول الشاعر :

إن العدو وإن تقادم عهدهُ
فالحقدُ باقٍ فى الصدور مغيبُ

ومن علاقة الحالية قول الآخر :

ألمّا على معنٍ وقولا لقبره
سقتك الغواذى مربعا بعد مربع

(٤) آل عمران : ١٠٧ .

(٥) هذه تسمى علاقة الآلية ؛ والفرق بين الآلة والسبب أن الآلة هى ما به يفعل الشيء ، أما السبب فما به وجود الشيء ؛ فاللسان فى الآية يقال إنه آلة اللغة ، ولا يقال إنه سببها ، وهكذا .

(٦) إبراهيم : ٤ .

(٧) الشعراء : ٨٤ .

(٨) من ذلك علاقة اللزوم وعلاقة الإطلاق والتقييد وعلاقة العموم والخصوص ، وغير ذلك من العلاقات ، وقد تكون العلاقة الضدية ، كما فى تسمية الصحراء المهلكة مفازة ، وتسمية الجريح واللدغ سليما ، ومن ذلك قول الشاعر :

يشكو إذا شدّ له حزامه
شكوى سليم ذربت كلامه

(٩) ١٩٦ - المفتاح .

والداعى إلى تركه ^(١) يحتمل عندى أن يكون المراد بـ « منعك » فى قوله تعالى : ﴿ ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ﴾ ^(٢) : دعاك ، و « لا » غير صلة قرينة المجاز ^(٣) . وكذا ﴿ ما منعك إذ رأيتهم ضلُّوا ألا تتبعن ﴾ ^(٤) ، وقال الراغب رحمه الله : « قال بعض المفسرين : إن معنى « ما منعك » ما حماك وجعلك فى منعة منى فى ترك السجود أى فى معاقبة تركه ، وقد استبعد ذلك بعضهم بأن قال : لو كان كذا لم يكن يجيب بأن يقول ﴿ أنا خيرٌ منه ﴾ فإن ذلك ليس بجواب السؤال على ذلك الوجه ، وإنما هو جواب من قيل له : ما منعك أن تسجد ؟ ويمكن أن يقال فى جواب ذلك : إن إبليس لما كان ألزم ما لم يجد سبيلاً إلى الجواب عنه - إذ لم يكن له من كالى يحرسه ويحميه - عدل عما كان جواباً ، كما يفعل المأخوذ بكظمه فى المناظرة » انتهى كلامه ^(٥) .

المرسل الخالى عن الفائدة والمفيد : وقسم الشيخ صاحب المفتاح ^(٦) المجاز المرسل إلى خال عن الفائدة ومفيد ، وجعل الخالى عن الفائدة ما استعمل فى أعم مما هو موضوع له ؛ كالمرسِن فى قول العجاج :

* وفاحماً ومرسناً مسرجاً * ^(٧)

(١) التعلق بينهما هو تعلق الضدية ؛ لأن الصارف هو المانع ، والداعى هو السبب ، وكل من المانع والسبب يضاد الآخر ، وعلى هذا يكون إطلاق « منعك » على « دعاك » علاقته الضدية .

(٢) الأعراف : ١٢ .

(٣) يعنى أن « لا » على هذا تكون غير زائدة ، وتكون قرينة على أن المراد : بـ « منعك » دعاك .

(٤) طه : ٩٢ ، ٩٣ .

(٥) الأظهر عندى أن يكون تقدير الآية : ما منعك فى ألا تسجد ، أى فى تركك السجود ؛ فتكون الآية على تقدير (فى) لا على تقدير (من) ، وعلى هذا يبقى منعك على ظاهره ، وتكون « لا » أصلية لا زائدة ، والمعنى : ما سبب امتناعك فى تركك السجود؟ .

(٦) ١٩٤ - المفتاح .

(٧) قد سبق هذا البيت فى الكلام على الغرابة فى الكلمة من المقدمة فى الجزء

الأول .

فإنه مستعمل في الأنف لا بقيد كونه المرسون ^(١) مع كونه موضوعاً له بهذا القيد لا مطلقاً ، وكالمشفر ^(٢) في نحو قولنا « فلان غليظ المشافر » إذا قامت قرينة على أن المراد هو الشفة لا غير ، وقال : سمي هذا الضرب غير مفيد لقيامه مقام أحد المترادفين من نحو « ليث وأسد وحبس ومنع » عند المصير إلى المراد منه ^(٣) .

وأراد بالمفيد ما عدا الخالي عن الفائدة والاستعارة كما مر .
والشيخ عبد القاهر رحمه الله ^(٤) جعل الخالي عن الفائدة ما استعمل في شيء بقيد مع كونه موضوعاً لذلك الشيء بقيد آخر من غير قصد التشبيه ، ومثله ببعض ما مثله الشيخ صاحب المفتاح ونحوه ؛ مصرحاً بأن الشفة والأنف موضوعان للعضوين المخصوصين من الإنسان ^(٥) فإن قصد التشبيه صار اللفظ استعارة ^(٦) كقولهم في مواضع الذم « غليظ المشفر » فإنه بمنزلة أن يقال « كأن شفته في الغلظ مشفر البعير » . وعليه قول الفرزدق :
فلو كنت ضبيّاً عرفت قرابتى ولكن زنجيٌّ غليظُ المشافر ^(٧)

(١) المرسون : اسم مفعول من « رسن الدابة » بمعنى جعل رأسها في الرسن وهو الحبل المعروف .
(٢) فهو موضوع لشفة البعير لا مطلقاً .
(٣) فيكون استعماله كاستعمال الحقيقة في خلوها عن مزية البلاغة ، وإن كان فيه فائدة المترادف من التوسع في اللغة .

(٤) ٣٦ : أسرار البلاغة .
(٥) أما السكاكي فيجعلهما موضوعين لهذين العضوين من الإنسان وغيره ، وبهذا يكون استعمال المرسن والمشفر فيهما من استعمال المقيد في المطلق عند السكاكي ، ومن استعمال المقيد في مقيد آخر من جنسه عند عبد القاهر ، والخطب في ذلك سهل ، ويمكن جعل الخالي عن الفائدة بحيث يشمل كلا من الاستعمالين .

(٦) وإذا صار استعارة كان مقيداً ؛ لأن المجاز غير المقيد خاص بالمرسل .
(٧) هو لهمام بن غالب المعروف بالفرزدق يخاطب أيوب بن عيسى الضبي ، وكان قد حبسه فقال ذلك يهجوّه ويظعن في نسبه من جهة أمه بنت يسار مولى عبد الله بن كرز . وقد روى « ولكن زنجياً » على حذف الخبر أى لا يعرف قرابتى ، أو ولكن بك زنجياً أى يشبهك ، وقد حذف على الأول اسم (لكن) وهو قليل ، وصواب الرواية « غليظاً مشافره » .

أى ولكنتك زنجى كأنه جمل لا يهتدى لشرفى .

وكذا قول الخطيئة يخاطب الزبرقان :

قروا جارك العيمان لما جفوته^(١) وقلص عن برد الشراب مشافره^(٢)

فإنه وإن عنى نفسه بالجار جار أن يقصد إلى وصف نفسه بنوع من سوء الحال ليزيد فى التهكم بالزبرقان ، ويؤكد ما قصده من رميه بإضاعة الضيف وإسلامه للضر والبؤس . وكذا قول الآخر :

سأمنعها أو سوف أجعل أمرها إلى ملك أظلافه لم تشق^(٣)

الاستعارة التصريحية : الضرب الثانى من المجاز الاستعارة ، وهى ما كانت علاقته تشييه معناه بما وُضع له^(٣) ؛ وقد تُقيد بالتحقيقية^(٤) لتحقيق معناها^(٥) حساً أو عقلاً ؛ أى التى تتناول أمراً معلوماً يمكن أن ينص عليه ويشار

(١) هو لجرول بن أوس المعروف بالخطيئة ، وقوله « قروا » بمعنى أضافوا ؛ لأن القرى طعام الضيف ، والعيمان : العطشان إلى اللبن ، وقوله « قلص » بمعنى انقبض وانكش من تأثير البرد ، يعنى أنه لم يجد عنده إلا الماء .
(٢) هو لعقفان بن قيس بن عاصم ، وقيل للأخطل . والأظلاف : جمع ظلف وهو لما اجتر من الحيوان كالظفر للإنسان ، وهذا فى حد التشييه والاستعارة أيضاً ؛ لأن المعنى على أن الأظلاف لمن تزيا بالملك عن مشابهة ، كأنه قال : أجعل أمرها إلى ملك لا إلى عبد جاف مشقق الأظلاف .

(٣) المراد بمعناه المعنى المجازى ، وهى مدلول المشبه . وإنما اكتفى بهذا القدر فى تعريف الاستعارة التصريحية مع أنه يشمل الاستعارة المكنية والتخييلية عند غيره ؛ لأن « ما » فى التعريف واقعة على لفظ ، وكل من المكنية والتخييلية عنده ليس بلفظ كما سيأتى ، فهما خارجان عن جنس التعريف عنده ، والتصريحية يحذف فيها لفظ المشبه ويستعار له لفظ المشبه به .

(٤) لتمييز بهذا عن المكنية والتخييلية ؛ لأن كلا منهما عنده ليس بلفظ فلا يكون محقق المعنى ، وعلى مذهب غيره تكون المكنية من التحقيقية ، وسيأتى تفصيل خلافهم فى ذلك .

(٥) يعنى به المعنى المجازى كما سبق ، والمراد بالحسى هنا الحقيقى فلا يدخل فيه الخيالى

إليه إشارة حسية أو عقلية ، فيقال : إن اللفظ نُقل من مسماه الأصلي فَجُعِلَ اسماً له على سبيل الإعارة للمبالغة في التشبيه .

أما الحسى : فقولك « رأيت أسداً » وأنت تريد رجلاً شجاعاً ، وعليه قول زهير :

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِّلَاحِ مُقَدَّفٌ ^(١)

أى لدى رجلٍ شجاع .

ومن لطيف هذا الضرب ما يقع التشبيه فيه في الحركات ؛ كقول أبى دلالة يصف بغلته :

أَرَى الشَّهْبَاءَ تَعَجِّنُ إِذْ غَدَوْنَا بِرَجْلَيْهَا وَتَخْبِرُ بِالْيَدَيْنِ ^(٢)

شَبَّ حركةَ رجلِها حيث لم تثبتا على موضع تعتمد بهما عليه وهوتا ذاهبتين نحو يديها بحركة يدي العاجن ، فإنهما لا تثبتان فى موضع ، بل تزلآن إلى قدام لرخاوة العجين ، وشَبَّ حركةَ يديها بحركة يد الخابز ؛ فإنه يثنى يده نحو بطنه ويحدث فيها ضرباً من التقويس ، كما تجد فى يد الدابة إذا

= بل يدخل فى الوهمى ويكون من قسم الاستعارة التخيلية ، والمراد بالعقلى ما يشمل الوجدانى كما سيأتى فى قوله تعالى : ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ آية ١١٢ سورة النحل .

(١) هو من قول زهير بن أبى سلمى فى معلقته :

فَشَدَّ قَلَمٌ يُفَزَعُ بَيوتاً كَثِيرَةً لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أَمْ قَشَعَمَ لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِّلَاحِ مُقَدَّفٌ لَهُ لَبْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقْلَمْ

والضمير فى قوله « فشد » لخصين بن ضمضم ، وأم قشعم : كنية المنية ، وشاكى السلاح : تامه وقويه من الشوكة وهى القوة ، وفيه قلب مكانى ، والمقذف : الذى يرمى به كثيراً فى الوقائع أو الذى قُذِفَ باللحم ، واللبد : الشعر المجتمع بين كتفى الأسد .
(٢) هو لزيد بن الجون المعروف بأبى دلالة ، وقوله « غدونا » بمعنى دخلنا الغداة وهى أول النهار ، وهو يصف بغلته بالرداءة ، ورواية كتاب أسرار البلاغة « باليمين » بدل اليدين .

اضطربت فى سيرها ولم تقوَ على ضبط يدها وأن ترمى بها إلى قدام ، وأن تشد اعتمادها حتى تثبت فى الموضع الذى تقع عليه ، فلا تزلّ عنه ولا تتثنى .

وأما العقلى : فكقولك « أبديتُ نوراً » وأنت تريد حُجَّةً ؛ فإن الحجة مما يدرك بالعقل من غير وساطة حس ؛ إذ المفهوم من الألفاظ هو الذى ينور القلب ويكشف عن الحق لا الألفاظ أنفسها ، وعليه قوله عز وجل : ﴿ إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ^(١) أى الدين الحق ، وأما قوله تعالى : ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ ^(٢) فعلى ظاهر قول الشيخ جار الله العلامة ^(٣) استعارة عقلية ؛ لأنه قال : شبه باللباس لاشتماله على اللابس ما غشى الإنسان والتبس به من بعض الحوادث . وعلى ظاهر قول الشيخ صاحب المفتاح : حسيّة ؛ لأنه جعل اللباس استعارة لما يلبسه الإنسان عند جوعه وخوفه من امتناع اللون وورثاة الهيئة ^(٤) .

فالاستعارة ما تضمن تشبيه معناه بما وُضع له ^(٥) ، والمراد بمعناه ما عُنى به أى ما استعمل فيه ^(٦) ، فلم يتناول ما استعمل فيما وُضع له وإن تضمن التشبيه به ، نحو « زيد أسد ، ورأيت أسداً » ونحو « رأيت به أسداً » ^(٧) لاستحالة

(١) الفاتحة : ٦ .

(٢) النحل : من الآية ١١٢ .

(٣) هو الزمخشري ، وإنما جعل ذلك ظاهره لا صريحه لأنه جعل المشبه ما غشى الإنسان من بعض الحوادث ، فيجوز أن يكون مراده منه ما يحصل من الجوع والخوف من الضرر ، ويجوز أن يكون مراده ما يحصل من امتناع اللون وورثاة الهيئة كما ذهب إليه السكاكي ، وقد شبه ما يلبس الإنسان من ذلك بمطعوم مكروه وأسند إليه الإذاقة ، ويجوز أن يكون « لباس الجوع والخوف » من إضافة المشبه به إلى المشبه .

(٤) ٢٠١ - المفتاح .

(٥) إنما أعاد تعريف الاستعارة ليرتب عليه الفرق بينها وبين التشبيه المحذوف الأداة .

(٦) هو المعنى المجازى كالرجل الشجاع فى قولك « رأيت أسداً يحارب » .

(٧) هذا المثال يفترق عن سابقه بأنه من التجريد الذى ينبىء عن التشبيه .

تشبيه الشيء بنفسه^(١). على أن المراد بقولنا « ما تضمن » مجاز تضمن ؛ بقرينة تقسيم المجاز إلى الاستعارة وغيرها ، والمجاز لا يكون مستعملاً فيما وُضِعَ له .
الفرق بين الاستعارة والتشبيه المؤكد : وههنا شيء لا بدّ من التنبيه عليه ، وهو أنه إذا أُجْرِىَ فى الكلام لفظٌ دلت القرينة^(٢) على تشبيه شيء بمعناه فيكون ذلك على وجهين :

أحدهما - ألا يكون المشبه مذكوراً ولا مقدراً ؛ كقولك « غنّت لنا طيبة » ، وأنت تريد امرأة ، و« لقيت أسداً » ، وأنت تريد رجلاً شجاعاً ، ولا خلاف أن هذا ليس بتشبيه وأن الاسم فيه استعارة .

والثانى - أن يكون المشبه مذكوراً أو مقدراً^(٣) ؛ فاسم المشبه به إن كان خبراً ، أو فى حكم الخبر كخبر « كان وإن » ، والمفعول الثانى لىاب « علمت » ، والحال ؛ فالأصح أنه يسمى تشبيهاً وأن الاسم فيه لا يسمى استعارة ؛ لأن الاسم إذا وقع هذه المواقع فالكلام موضوع لإثبات معناه لما يعتمد عليه أو نفى عنه ؛ فإذا قلت « زيد أسد » فقد وضعت كلامك فى الظاهر لإثبات معنى الأسد لزيد ، وإذا امتنع إثبات ذلك له على الحقيقة كان لإثبات شبه من الأسد له ، فىكون اجتلابه لإثبات التشبيه ، فىكون خليقاً بأن يُسمى تشبيهاً إذ كان إنما جاء ليفيده ، بخلاف الحالة الأولى ؛ فإن الاسم فيها لم يُجْتَلَب لإثبات معناه للشيء ؛ كما إذا قلت « جاءنى أسد » ، ورأيت أسداً « فإن الكلام فى ذلك موضوع لإثبات المجيء واقعاً من الأسد والرؤية واقعة منك عليه ، لا لإثبات معنى الأسد لشيء ، فلم يكن ذكر المشبه به لإثبات التشبيه ، وصار قصد التشبيه مكنوناً فى الضمير ، لا يُعلم إلا بعد الرجوع إلى شيء من النظر .

(١) فىكون المعنى المستعمل فى اللفظ هنا هو المعنى الموضوع له لا المعنى المجازى ، فلو تناوله تعريف الاستعارة لزم تشبيه الشيء بنفسه لاتحاد المعنى الاستعمالى والمعنى الوضعى فيه .

(٢) المراد بالقرينة هنا السياق ، لا قرينة المجاز ؛ لأنه سيدخل فى التشبيه المؤكد .

(٣) كقوله تعالى : ﴿ صُمُّ بَكْمٌ عَمَى ﴾ سورة البقرة آية ١٨ . أى هم صم الخ .

ووجه آخر في كون التشبيه مكنوناً في الضمير ؛ وهو أنه إذا لم يكن المشبه مذكوراً جاز أن يتوهم السامع في ظاهر الحال أن المراد باسم المشبه به ما هو موضوع له ، فلا يعلم قصد التشبيه فيه إلا بعد شيء من التأمل ، بخلاف الحالة الثانية ؛ فإنه يمتنع ذلك فيه مع كون المشبه مذكوراً أو مقدراً .

ومن الناس ^(١) من ذهب إلى أن الاسم في الحالة الثانية استعارة لإجرائه على المشبه مع حذف كلمة التشبيه ^(٢) وهذا الخلاف لفظي راجع إلى الكشف عن معنى الاستعارة والتشبيه في الاصطلاح ^(٣) وما اخترناه هو الأقرب لما أوضحناه من المناسبة ، وهو اختيار المحققين كالقاضي أبي الحسن الجرجاني والشيخ عبد القاهر والشيخ جابر الله العلامة والشيخ صاحب المفتاح ^(٤) رحمهم الله ؛ غير أن الشيخ عبد القاهر قال بعد تقرير ما ذكرناه ^(٥) : « فإن أبيت إلا أن تطلق اسم الاستعارة على هذا القسم ، فإن حسن دخول أدوات التشبيه لا يحسن إطلاقه ، وذلك كأن يكون اسم المشبه به معرفة ؛ كقولك « زيد الأسد ، وهو شمس النهار » فإنه يحسن أن يقال « زيد كالأسد ، وخلته شمس النهار » وإن حسن دخول بعضها دون بعض هان الخطب في إطلاقه ؛ وذلك كأن يكون نكرة غير موصوفة ، كقولك « زيد أسد » ؛ فإنه لا يحسن أن يقال : زيد كأسد ^(٦) ويحسن أن يقال « كأن زيدا أسد ، ووجدته

(١) كآبي هلال العسكري والآمدى والخفاجي .

(٢) أي أدواته .

(٣) فإذا عرفت الاستعارة بما تضمن تشبيه معناه بما وُضع له لم يدخل فيها الاسم في الحالة الثانية ، وإذا عرفت بأنها ما بُنى التشبيه فيها على حذف الأداة ودعوى الاتحاد ، دخل فيها الاسم في الحالة الثانية ؛ لأن هذا المعنى يشمل ، كذلك يقال نظير هذا في تعريف التشبيه . وما كان أغنى علماء البيان عن التطويل في مثل هذا الخلاف اللفظي .

(٤) ١٨٩ - المفتاح .

(٥) ٣٧٣ - أسرار البلاغة .

(٦) لأن معناه تشبيه زيد بفرد من أفراد الأسد ، وهذا غير مقصود في تشبيهه به ، وإنما المقصود تشبيهه بحقيقة الأسد وجنسه ، ولهذا يحسن في حال التعريف دخول =

أسداً»^(١) . وإن لم يحسن دخول شيء منها إلا بتغيير لصورة الكلام كان إطلاقه أقرب ؛ لغموض تقدير أداة التشبيه فيه ؛ وذلك بأن يكون نكرة موصوفة بما لا يلائم المشبه به ؛ كقولك « فلان بدر يسكن الأرض ، وهو شمس لا تغيب » ؛ وكقوله :

شمسٌ تَأَلَّقُ والفراقُ غروبُها عنا وبدرٌ والصدودُ كسوفُ^(٢)

فإنه لا يحسن دخول الكاف ونحوه في شيء من هذه الأمثلة ونحوها إلا بتغيير صورته^(٣) كقولك « هو كالبدر إلا أنه يسكن الأرض ، وكالشمس إلا أنه لا يغيب ، وكالشمس المتألفة إلا أن الفراق غروبُها ، وكالبدر إلا أن الصدود كسوفُ » وقد يكون في الصفات والصلوات التي تنجى في هذا النحو ما يحيلُ تقدير أداة التشبيه فيه فيقرب إطلاقه أكثر ، وذلك مثل قول أبي الطيب :

أسدٌ دمُ الأسدِ الهزبرُ خضابهُ موتٌ فريصُ الموتِ منه يرعدُ^(٤)

= الأداة ؛ ليكون المقصود التشبيه لا دعوى الاتحاد لبعدها حينئذ ، ويحسن في حال التنكير عدم دخولها ؛ ليكون المقصود أنه فرد من أفراد الأسد لا تشبيهه بفرد منه .
(١) لأن « كَأَنَّ ونحوها » ليست نصاً في التشبيه كالكاف ، وهذه كلها فروق متكلفة ؛ ولهذا كان الحق أن كلَّ هذا من التشبيه بلا فرق بين كون اسم المشبه به معرفة أو نكرة .

(٢) هو للبحترى في مدح الفتح بن خاقان ، وقوله « تَأَلَّقَ » أصله تَأَلَّقَ بمعنى تلمع ، والصدود : الإعراض ، والكسوف : قد يُطْلَقُ على احتجاب القمر كما يطلق على احتجاب الشمس .

(٣) اعترض عليه بأنه يجوز في ذلك أن يقال هو « كيدر يسكن الأرض » من غير تغيير ، ويكون المشبه به خيالياً كما سبق في تشبيه فحم فيه جمر موقدٌ ببحر من المسك مَوْجُه الذهب ، ويمكن أن يجاب عنه بأن عبد القاهر لم يدعِ إلا أنه لا يحسن دخول الأداة إلا مع التغيير ولم يمنع جواز دخولها بغير تغيير .

(٤) أسد خبر مبتدأ محذوف أي : هو أسد ، يعنى بمدوحه شجاع بن محمد الطائي ، والهزبر : الشديد الصلب ، والخضاب : الحناء ، والفريص : واحده فريصة ؛ وهي لحمة بين الثدى والكتف أو بين الجنب والكتف .

فإنه لا سبيل إلى أن يقال « المعنى هو كالأسد وكالموت » لما فى ذلك من التناقض ؛ لأن تشبيهه بجنس السبع المعروف دليل أنه دونه أو مثله ، وجعل دم الهزبر الذى هو أقوى الجنس خضاب يده دليل أنه فوقه ، وكذلك لا يصح أن يشبه بالموت المعروف ثم يجعل الموت يخاف منه ^(١) . وكذا قول البحتري :
وبدرٌ أضواء الأرض شرقاً ومغرباً وموضعُ رجلى منه أسودٌ مظلم ^(٢)
إن رُجع فيه إلى التشبيه الساذج - حتى يكون المعنى هو كالبدر - لزم أن يكون قد جعل البدر المعروف موصوفاً بما ليس فيه ^(٣) فظهر أنه إنما أراد أن يثبت من المدوح بدرأ له هذه الصفة العجيبة التى لم تُعرف للبدر ، فهو مبنئ على تخيل أنه زاد فى جنس البدر واحداً له تلك الصفة ؛ فالكلام موضوع لا لإثبات الشبه بينهما ولكن لإثبات تلك الصفة ؛ فهو كقولك « زيد رجل كيت وكيت » لم تقصد إثبات كونه رجلاً ، لكن إثبات كونه متصفاً بما ذكرت ، فإذا لم يكن اسمُ المشبه به فى البيت مُجتلباً لإثبات الشبه تبين أنه خارج عن الأصل الذى تقدم ^(٤) من كون الاسم مجتلباً لإثبات الشبه ، فالكلام فيه مبنى على أن كون المدوح بدرأ أمر قد استقر وثبت ، وإنما العمل فى إثبات الصفة الغريبة ^(٥) .

(١) قد يقال إنه يجوز أن يقال ذلك بعد التصريح بالأداة فى الموضعين على أنه إضراب عما يفيد التشبيه من أنه أنقص من المشبه به ، ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن عبد القاهر لا يدعى الاستحالة العقلية حتى يمتنع معها هذا التقدير أو نحوه .

(٢) البيت معطوف على قوله قبله فى مدح الفتح بن خاقان :

وما منع الفتح بن خاقان نيلهُ ولكنها الأقدار تُعطى وتَحرمُ
سحابُ خطائى جودهُ وهو مسيلٌ وبحرٌ عدائى فيضهُ وهو مفعمٌ

ورجلى بالجسيم ، وروى « رحلى » بالحاء : وهو ما يجعل على ظهر البعير

كالسرج ، وهذا كناية عن حرمانه منه مع عموم نفعه للناس .

(٣) هو عدم إضاءة موضع رجله .

(٤) أى فى الوجه الأول من الوجهين اللذين فرّق بهما بين الاستعارة والتشبيه

المؤكد .

(٥) اعترض عليه بأن كل هذا لا يمنع أن يقال « هو كبدرٍ بهذه الصفة » على =

وكما يمتنع دخول الكاف في هذا ونحوه^(١) ، يمتنع دخول « كَأَنَّ » ونحوه « تحسب » لاقتضائهما^(٢) أن يكون الخبر والمفعول الثاني أمراً ثابتاً في الجملة^(٣) ، إلا أن كونه متعلقاً بالاسم والمفعول الأول مشكوك فيه ؛ كقولنا « كَأَنَّ زيدا منطلق » ، أو خلاف الظاهر ، كقولنا « كَأَنَّ زيدا أسد »^(٤) والنكرة فيما نحن فيه غير ثابتة^(٥) فدخول « كَأَنَّ وتحسب » عليها كالقياس على المجهول ، وأيضاً هذا الجنس إذا فليت عن سره وجدت محصوله أنك تدعى حدوث شيء هو من الجنس المذكور إلا أنه اختص بصفة عجيبة لم يتوهم جوازها على ذلك الجنس^(٦) ، فلم يكن لتقدير التشبيه فيه معنى^(٧) .

التجريد ليس استعارة ولا تشبيهاً : وإن لم يكن اسم المشبه به خبراً للمشبه ولا في حكم الخبر^(٨) كقولهم « رأيت بفلان أسداً ، ولقيني منه أسد »

= نحو ما سبق في تشبيه الفحم ، ويجاب عنه أيضاً بأن عبد القاهر لا يدعى الاستحالة التي يمتنع معها مثل هذا التقدير . ولكنك قد عرفت أن الحق أن كل هذا تشبيه لا استعارة .
(١) اسم الإشارة عائد إلى ما يقترن بالصفات والصلات التي تحيل تقدير أداة التشبيه .

- (٢) أى كَأَنَّ وتحسب .
(٣) يعنى بهذا كونه معروفاً غير مجهول .
(٤) إنما اقتضت - كَأَنَّ - في المثال الأول الشك وفي الثاني خلاف الظاهر ؛ لأن خبرها في الأول مشتق دون الثاني .
(٥) يريد بما نحن فيه ما يقترن بالصفات والصلات السابقة ، ويعنى بكونها غير ثابتة أنها غير معلومة .
(٦) فكأنك في بيت البحتري مثلاً تقول : « ما كنا نتوهم أن هنا بداراً يضىء شرقاً وغرباً دون موضع رجلى » .
(٧) لأنه خارج على قاعدة التشبيه ؛ لأنك في بيت البحتري مثلاً كأنك تقول : « أشبهه ببلر حدث مخالفاً للبدور ما كان يعرف » وليس لمثل هذا معنى . ولا يخفى أن عبد القاهر يتكلف هذا كله مجازاً لمن يأبى إلا أن يطلق على ذلك القسم اسم الاستعارة ، فهو عنده في الحقيقة من التشبيه .
(٨) هذا معطوف على قوله فيما سبق في ص ٩٣ : فاسم المشبه به إن كان خبراً أو في حكم الخبر - فهو مقابل له .

سُمِّيَ تجريداً ، كما سيأتى إن شاء الله تعالى ^(١) ولم يُسمَّ استعارة ؛ لأنه إنما يتصورُ الحكم على الاسم بالاستعارة إذا جرى بوجه على ما يدعى أنه مستعار له إما باستعماله فيه أو بإثبات معناه له ^(٢) والاسم فى مثل هذا غير جارٍ على المشبه بوجه ، ولأنه يجيء على هذه الطريقة ^(٣) ما لا يتصور فيه التشبيه فيُظنُّ أنه استعارة ^(٤) كقوله تعالى : ﴿ لَهمْ فيها دارُ الخلد ﴾ ^(٥) ؛ إذ ليس المعنى على تشبيه جهنم بدار الخلد ؛ إذ هى نفسها دار الخلد ^(٦) وقول الشاعر :

يا خير من يركب المطى ولا يشرب كأساً بكفٍ من بخلا ^(٧)

فإنه لا يتصور فيه التشبيه ، وإنما المعنى أنه ليس ببخيل .

ولا يسمى ^(٨) تشبيهاً أيضاً ؛ لأن اسم المشبه به لم يجتلب فيه لإثبات التشبيه كما سبق ، وعدَّ الشيخ صاحب المفتاح تشبيهاً ^(٩) والخلاف أيضاً لفظي ^(١٠) .

(١) فى علم البديع .

(٢) يعنى باستعماله فيه نحو قولك : « رأيت أسداً يحارب » ، ويعنى بإثباته له نحو قولك : « زيد أسد » على القول بأنه استعارة .

(٣) يعنى طريقة التجريد .

(٤) الفاء فى قوله « فيظن » للتفريع على المنفى لا على النفى .

(٥) سورة فصلت : ٢٨ .

(٦) فلا يكون من التشبيه لأن مبناه على المغايرة بين المشبه والمشبه به ؛ فلا يصح

تشبيه الشئ بنفسه .

(٧) سيأتى هذا البيت فى الكلام على التجريد فى علم البديع .

(٨) أى ما قيل إنه تجريد .

(٩) ١٨٩ - المفتاح - ويجب أن يقيد ذلك بما يمكن أن يُعدَّ تشبيهاً ؛ فلا يدخل فيه

نحو ﴿ لَهمْ فيها دارُ الخلد ﴾ سورة فصلت : ٢٨ .

(١٠) لأنه يبنى على تقييد تعريف التشبيه بما لا يكون على سبيل التجريد وعدم

تقييده بذلك ، والأقرب كما سبق فى تعريف التشبيه أن يُعدَّ منه ما ينبىء عن التشبيه من

التجريد ، ويكون من التشبيه المؤكد .

الاستعارة مجاز لغوى لا عقلى : والدليل على أن الاستعارة مجاز لغوى كونها موضوعاً للمشبه به لا للمشبه ولا لأمر أعمّ منهما ؛ كالأسد فإنه موضوع للسبع المخصوص لا للرجل الشجاع ولا للشجاع مطلقاً ؛ لأنه لو كان موضوعاً لأحدهما لكان استعماله فى الرجل الشجاع من جهة التحقيق لا من جهة التشبيه ، وأيضاً لو كان موضوعاً للشجاع مطلقاً لكان وصفاً لا اسم جنس .

وقيل : الاستعارة مجاز عقلى بمعنى أن التصرف فيها فى أمر عقلى لا لغوى ^(١) لأنها لا تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله فى جنس المشبه به ؛ لأن نقل الاسم وحده لو كان استعارةً لكانت الأعلام المنقولة « كيزيد ويشكر » استعارة ، ولما كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة لأنه لا بلاغة فى إطلاق الاسم المجرد عارياً عن معناه ، ولما صح أن يقال لمن قال « رأيت أسداً » يعنى زيداً إنه جعله أسداً ، كما لا يقال لمن سمى ولده أسداً إنه جعله أسداً ؛ لأن « جعل » إذا تعدى إلى مفعولين كان بمعنى صير فأفاد إثبات صفة للشئ ، فلا تقول « جعلته أميراً » إلا على معنى أنك أثبت له صفة الإمارة ، وعليه قوله تعالى : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ﴾ ^(٢) المعنى أنهم أثبتوا صفة الأنوثة ، واعتقدوا وجودها فيهم ، وعن هذا الاعتقاد صدر عنهم للملائكة إطلاق اسم الإناث عليهم ، لا أنهم أطلقوه من غير اعتقاد ثبوت معناه لهم ؛ بدليل قوله تعالى : ﴿ أشهدوا خلقهم ﴾ .

وإذا كان نقل الاسم تبعاً لنقل المعنى كان الاسم مستعملاً فيما وُضع له . ولهذا صحَّ التعجب فى قول ابن العميد :

قامت تظللنى من الشمس نفسٌ أعزُّ علىَّ من نفسى

(١) هذا أيضاً خلاف لفظى كالخلاف السابق فى التشبيه المؤكد أنه استعارة أو لا ، ولا معنى للاشتغال بمثل ذلك فى علم البيان ، ويريد بقوله « بمعنى أن التصرف الخ » : أن المجاز العقلى هنا غير المجاز العقلى السابق فى باب الإسناد الخبرى من علم المعانى .
(٢) الزخرف : ١٩ .

قامت تُظَلِّلُنِي ومن عجبٍ شمسٌ تَظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ (١)
والنهي عنه في قول الآخر :

لا تَعَجُّبُوا مِن بَلَى غَلَالَتِهِ قَدْ زَرَّ أَزْرَارُهُ عَلَى الْقَمَرِ (٢)

وقوله :

ترى الثياب من الكتان تلمحها نورٌ من البدر أحياناً فيليها
فكيف تنكر أن تبلى معاجرها والبدر في كل وقت طالعٌ فيها (٣)

والجواب عنه أن ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به لا يُخْرِجُ اللفظَ
عن كونه مستعملاً في غير ما وضع له . وأما التعجب والنهي عنه فيما ذكر
فلبناء الاستعارة على تناسي التشبيه؛ قضاءً لحق المبالغة .

التوفيق بين الادعاء في الاستعارة والقرينة المانعة : فإن قيل إصرار
المتكلم على ادعاء الأسدية للرجل ينافي نصبه قرينة مانعة من أن يراد به السبع
المخصوص ؟ قلنا : لا منافاة ، ووجه التوفيق هو ما ذكره السكاكي (١) وهو أن
تبنى دعوى الأسدية للرجل على ادعاء أن أفراد جنس الأسد قسمان بطريق

(١) هما لأبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد يصف غلاماً جميلاً قام على
رأسه يظلمه من الشمس ، وإنما أنث الضمير في « قامت » لإسناده إلى نفس .

(٢) هو لأبي الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن طباطبا العلوي الخراساني ،
والبلى : الفساد ، والغلالة : ثوب صغير يلاقي البدن يلبس تحت ثوب أوسع منه ، وقوله
« زر » بمعنى شد ، والاستعارة في إطلاق القمر على محبوبه ، ولا ينافي الاستعارة ذكر
المشبه في البيت ؛ لأن الذي ينافيها ذكره على وجه ينبيء عن التشبيه ؛ بأن يكون المشبه به
خبراً عن المشبه أو نحوه مما سبق ، وجملة « قد زر الخ » مسوقة للتعليل ؛ لأنهم يزعمون
أن ثياب الكتان يسرع إليها البلى عند بروزها للقمر كما سيأتى في البيتين بعده .

(٣) هما لأبي المطاع ذي القرنين بن ناصر الدولة الحمداني ، وقوله « يليها » بمعنى
يُخْلِقُهَا ، والمعاجر : جمع معجر وهو ثوب تشده المرأة على رأسها . والاستعارة في
إطلاق البدر على صاحبة المعاجر .

(٤) ١٩٨ - المفتاح

التأويل : متعارفٌ؛ وهو الذى له غاية الجرأة ونهاية قوة البطش مع الصورة
المخصوصة ^(١) ، وغير متعارفٌ؛ وهو الذى له تلك الجرأة وتلك القوة لا مع
تلك الصورة بل مع صورة أخرى ^(٢) على نحو ما ارتكب المتنبي هذا الادعاء فى
عدّ نفسه وجماعته من جنس الجن، وعدّ جماله من جنس الطير للمتنبي حين
قال :

نحن قومٌ ملجّن فى زى ناسٍ فوق طيرٍ لها شخوصُ الجمال ^(٣)
مستشهداً لدعواك هاتيك ^(٤) بالمخيلات العرفية . وأن تخصص ^(٥) القرينة
بنفيها المتعارف الذى يسبق إلى الفهم ^(٦) ليتعين الآخر ^(٧) .
ومن البناء على هذا التنويع ^(٨) قوله :
تحية بينهم ضرب وجيع ^(٩)

(١) هى صورة الحيوان المفترس . (٢) هى صورة الأسد غير المفترس وهو
الرجل الشجاع .

(٣) قوله « ملجّن » جار ومجرور أى من الجن ، والاستعارة فى إطلاق الطير على
الجمال . أما قوله « نحن قوم ملجّن » فتشبيه لا استعارة ، وقيل : إن فى البيت قلباً ؛
والأصل نحن قوم من الإنس فى زى الجن فوق جمال لها شخوص الطير . والحق أنه لا
قلب وأنه يريد المبالغة .

(٤) يعنى دعواه الأسدية للرجل . فقوله « مستشهداً » حال من فاعل (تبنى) فى
قول السكاكى « وهو أن تبنى دعوى الأسدية الخ » . وعبارته فى المفتاح « مستشهداً
لدعواك هاتيك بالمخيلات العرفية والتأويلات المناسبة ، من نحو حكمهم إذا رأوا أسداً
هرب من ذئب أنه ليس بأسد ، وإذا رأوا إنساناً لا يقاومه أحد أنه ليس بإنسان وإنما هو
أسد » . (٥) معطوف على قوله « أن تبنى دعوى الأسدية » .

(٦) هو صورة الحيوان المفترس .

(٧) هو صورة الأسد غير المفترس ، وحيث لا يكون هناك منافاة بين الإصرار على
دعوى الأسدية ونصب القرينة على عدم إرادتها ، لأن ما يُصرُّ عليه غير ما تُمنعُ إرادته .

(٨) يعنى تنويع الشيء إلى متعارف وغير متعارف .

(٩) هو من قول عمرو بن معديكرب :

وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيلٍ تحية بينهم ضربٌ وجيعٌ

وقولهم: « عتابك السيف » وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا
بنون، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾^(١) ومنه قوله:

وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس^(٢)

الفرق بين الاستعارة والكذب: وإذ قد عرفت معنى الاستعارة وأنها
مجاز لغوي؛ فاعلم أن الاستعارة تفارق الكذب من وجهين: بناء الدعوى
فيها على التأويل^(٣) ونصب القرينة على أن المراد بها خلاف ظاهرها؛ فإن
الكاذب يتبرأ من التأويل، ولا ينصب دليلاً خلاف زعمه.

الاستعارة لا تدخل في الأعلام: وأنها لا تدخل في الأعلام^(٤) لما سبق
من أنها تعتمد إدخال المشبه في جنس المشبه به والعلمية تنافي الجنسية، وأيضاً

= والمراد بالخيال أصحابها على طريق المجاز المرسل، وقوله « دلفت » بمعنى
نهضت، والشاهد في جعله للتحية نوعاً آخر غير المتعارف فيها، وهو الضرب
الوجيع، ووصف الضرب بالوجيع مجاز، ويجوز أن يكون بمعنى موجع، وقد قيل:
إن هذا من التشبيه المقلوب على معنى أن ضربهم الوجيع كتحية لهم. والحق أنه من باب
التنوين، وهو أدعاء أن مسمى اللفظ نوعان: متعارف، وغير متعارف على طريق
التخييل؛ بأن ينزل ما يقع في موقع شيء بدلاً عن منزلته. فالمقصود نفى ما صدر به،
يعنى لا تحية بينهم، والتشبيه لا يفيد هذا المعنى، بل يعكسه ويفسده.

(١) الشعراء: ٨٨، ٨٩.

(٢) هو لجبران العود عامر بن الحارث النميري، واليعافير: جمع يعفور وهو ولد
البقرة، والعيس: جمع أعيس وهي الإبل التي يخالط بياضها صفرة، والشاهد في جعله
للأنيس نوعاً غير متعارف وهو اليعافير والعيس، وقد اعترض على هذا بأنه استثناء منقطع
لا يقدر فيه دخول المستثنى في المستثنى منه، وكذلك الآية قبله، فلا يدخلان في ذلك
التنوين، ورواية الديوان:

سباسباً ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس

(٣) يعنى بالتأويل التجوز واعتبار العلاقة، والكذب ليس فيه هذا التأويل، فهو
يدخل في تعريف الحقيقة.

(٤) المراد الأعلام الشخصية؛ لأن الأعلام الجنسية فيها عموم كأسماء الأجناس
فتصح الاستعارة فيها، وهذا كقولك « رأيت أسامة له لبد يحارب ».

لأن العلم لا يدل إلا على تَعَيَّن شيء من غير إشعار بأنه إنسان أو فرس أو غيرها ، فلا اشتراك بين معناه وغيره إلا في مجرد التعيين ونحوه من العوارض العامة التي لا يكفى شيء منها جامعاً في الاستعارة ، اللهم إلا إذا تضمن نوعاً وصفية لسبب خارج ، كتضمن اسم حاتم «الجواد» ومادر «البخيل» وما جرى مجراهما (١) .

قرينة الاستعارة : وقرينة الاستعارة إما معنى واحد؛ كقولك « رأيت أسداً يرمى » أو أكثر (٢) كقول بعض العرب :

فإن تعافوا العدل والإيمان فإن في أيماننا نيراناً (٣)

أى : سيوفاً تلمع كأنها شعل نيران ، كما قال الآخر :

ناهضتهم والبارقات كأنها شعل على أيديهم تلهب (٤)

فقوله « تعافوا » باعتبار كل واحد من تعلقه بالعدل وتعلقه بالإيمان قرينة لذلك (٥) لدلالته على أن جوابه أنهم يُحاربون ويُفسرون على الطاعة بالسيف ، أو معانٍ مربوط بعضها ببعض (٦) كما في قول البحترى :

(١) فإذا قلت عند رؤيتك جواداً مثلاً « رأيت اليوم حاتماً » كنت كأنك جعلت حاتماً موضوعاً للجواد وجعلت من رأيتَه فرداً منه ، وعلى هذا تكون الاستعارة أصلية؛ لأنها لم تحر في مشتق بالفعل ، وقيل : إنها تبعية .

(٢) هذا مبنى على الراجح من جواز تعدد قرينة الاستعارة ، وقيل : إنها لا تكون إلا واحدة ، وما عداها ترشيح أو تجريد كما سيأتى .

(٣) قوله « تعافوا » بمعنى تكررهما . والإيمان يراد به الإسلام .

(٤) هو للبحترى فى مدح إسحاق بن إبراهيم ، والتاء فى « ناهضتهم » لخطاب مدوحه ، والبارقات : السيوف ، وقوله « تلهب » بمعنى تتوقد ، والشاهد فى جعله السيوف شعلات كما جعلها الأول نيراناً ، وإن كان ما هنا تشبيهاً وما هناك استعارة .

(٥) الأولى أن يجعل كل من (العدل والإيمان) باعتبار تعلق (تعافوا) به هو القرينة ؛ لأن القرينة المتعددة لا تكون إلا لفظية ، والتعلق معنى .

(٦) فيكون مجموعها قرينة واحدة ، وبهذا يخالف ما قرينته معنى واحد أو أكثر .

وصاعقة من نصله تنكفى بها على أرؤس الأقران خمس سحائب^(١)

عنى بخمس سحائب: أنامل الممدوح؛ فذكر أن هناك صاعقة، ثم قال « من نصله » فبين أنها من نصل سيفه، ثم قال « على أرؤس الأقران » ثم قال « خمس »، فذكر عدد أصابع اليد؛ فبان من مجموع ذلك غرضه^(٢).

• قسيمات الاستعارة :

ثم الاستعارة تنقسم باعتبار الطرفين، وباعتبار الجامع، وباعتبار الثلاثة، وباعتبار اللفظ، وباعتبار أمر خارج عن ذلك كله .

أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين :

أما باعتبار الطرفين فهي قسمان : لأن اجتماعهما فى شىء إما ممكن أو ممتنع ، واسم الأولى : وفاقية ، والثانية : عنادية .

الوفاقية : أما الوفاقية فكقوله تعالى : ﴿ أحييناه ﴾^(٤) فى قوله : ﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه ﴾ فإن المراد بـ «أحييناه» هديناه أى أو من كان ضالاً فهديناه . والهداية والحياة لا شك فى جواز اجتماعهما فى شىء^(٤) .

(١) يروى « وصاعقة » بالجر على أنها واو ربّ، ويروى بالرفع على أنه مبتدأ خبره جملة (تنكفى) ، والنصل حد السيف شبهه بالصاعقة لأن (من) بيانية ، وقوله « تنكفى » بمعنى تنقلب ، « والأقران » جمع قرن وهو النظير المكافئ . وقد ضمن مدحه بالشجاعة مدحه بالسقاء إذ جعله فى عموم العطاء كالسحائب ، وهذا من الاستنباع الآتى فى علم البديع .

(٢) فلا يكفى فيه بعضه ، واعتراض على هذا بأنه لو أسقط لفظ الخمس أو غيره لكفى الباقى فى بيان غرضه ، وقد قسم السكاكى قرينة الاستعارة إلى القسمين الأولين فقط ، وإنى أرى أن هذا التقسيم ليس له كبير فائدة .

(٣) الأنعام : ١٢٢ .

(٤) أما استعارة (ميتاً) للضال فمن العنادية الآتية؛ لأن الميت لا يوصف بالضلال إلا باعتبار ما كان لاقتضائه الحياة، ومن الوفاقية استعارة الحياة لبقاء الذكر فى قول الشاعر:

ولقد سموتُ بهمتى وسَمَا بها طلبى المكارم بالفعال الأفضل
لأنال مكرمة الحياة وربما عثر الزمان بذى الدهاء الأحول

العنادية : وأما العنادية فمنها ما كان وضع التشبيه فيه على ترك الاعتداد بالصفة وإن كانت موجودة ، لخلوها بما هو ثمرتها والمقصود منها وما إذا خلت منه لم تستحق الشرف ؛ كاستعارة اسم المعدوم للموجود إذا لم تحصل منه فائدة من الفوائد المطلوبة من مثله ، فيكون مشاركاً للمعدوم في ذلك^(١) ، أو اسم الموجود للمعدوم إذا كانت الآثار المطلوبة من مثله موجودة حال عدمه ، فيكون مشاركاً للموجود في ذلك . أو اسم الميت للحى الجاهل ؛ لأنه عدم فائدة الحياة والمقصود بها أغنى العلم ، فيكون مشاركاً للميت في ذلك ؛ ولذلك جعل النوم موتاً لأن النائم لا يشعر بما بحضرته كما لا يشعر الميت ، أو للحى العاجز ؛ لأن العجز كالجهل يحط من قدر الحى^(٢) .

ثم الضدان إن كانا قابلين للشدة والضعف كان استعارة اسم الأشد للأضعف أولى^(٣) وكل من كان أقل علماً وأضعف قوة كان أولى بأن يستعار له اسم الميت ، ولما كان الإدراك أقدم من الفعل في كونه خاصة للحيوان كان الأقل علماً أولى باسم الميت أو الجماد من الأقل قوة . وكذا في جانب الأشد ، فكل من كان أكثر علماً كان أولى بأن يقال له : إنه حى ، وكذا من كان أشرف علماً ، وعليه قوله تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتاً فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾^(٤) فإن العلم بوحدة الله تعالى وما أنزله على نبيه ﷺ أشرف العلوم .

العنادية التهكمية والتمليلية : ومنها ما استعمل في ضد معناه أو

(١) من هذا قول أبى تمام :

أُنْبِئْتُ عَتَبَةً يَعْوَى كَى أَشَاقَمَهُ اللَّهُ أَكْبَرُ أَنَّى اسْتَأْسَدَ الْأَسَدُ
مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ الدَّهْرَ يُمْهَلَنِي حَتَّى أَرَى أَحَدًا يَهْجُوهُ لَا أَحَدُ

(٢) قد يستعار اسم الميت لمن أسقمه الحب ؛ كقول المتنبي :

فَلَمْ أَرْ بَدْرًا ضَاحِكًا قَبْلَ وَجْهِهَا وَلَمْ تَرَ قَبْلِي مَيِّتًا يَتَكَلَّمُ

(٣) أى من استعارته للضعيف ؛ لأن بعد الأضعف من الأشد أكثر ؛ فتكون المبالغة

فيه أظهر .

(٤) سورة الأنعام : ١٢٢ ، والشاهد هنا في استعارة (أحييناه) .

نقيضه؛ يتنزّل التضاد أو التناقض ^(١) منزلة التناسب بواسطة تهكم أو تلميح ^(٢) على ما سبق في التشبيه كقوله تعالى ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ^(٣) ويخص هذا النوع باسم التهكمية أو التلميحية ^(٤) .

أقسام الاستعارة باعتبار الجامع :

وأما باعتبار الجامع فهي قسمان : أحدهما ما يكون الجامع فيه داخلاً في مفهوم الطرفين ^(٥) كاستعارة الطيران للعدو ؛ كما في قول امرأة من بنى الحارث ترثي قتيلاً :

لو يشا طار به ذو مِيعَةٍ لاحقُ الآطال نهدّ ذو خُصَلٍ ^(٦)
وكما جاء في الخبر : « كلما سمع هِيعَة طار إليها » ^(٧) فإن الطيران والعدو

(١) التضاد هو تقابل الأمرين الوجوديين اللذين لا يجتمعان ، وقد يرتفعان كالبياض والسواد ، والتناقض تقابل الأمرين اللذين لا يجتمعان ولا يرتفعان وأحدهما وجودي والآخر عَدَمِي كحيوان ولا حيوان .

(٢) قد سبق تعريف التهكم والتلميح في ص ٨١ .
(٣) آل عمران : ٢١ ، وفي التوبة : ٣٤ ، وفي الانشقاق : ٢٤ ، فقد استعيرت فيه البشارة وهي الإخبار بما يسر للإنذار وهو ضدها بإدخاله في جنسها على سبيل التهكم ، ثم اشتق من البشارة « بَشْرٌ » بمعنى أنذر .
(٤) منه قول الشاعر :

سليمانُ ميمونُ النّقيّة حازمٌ ولكنه وقف عليه الهزائمُ
وقول أبي تمام :

أُنبتُ عَتَبَةً يعوى كى أشاعه الله أكبر أنى استأسد الأسدُ
وفي رواية « النقد » بدل « الأسد » وهو جنس من الغنم قبيح .

(٥) بأن يكون جنساً أو فصلاً لمفهومهما .

(٦) قوله « يشا » أصله يشاء ، والضمير فيه لمن ترثيه ، والمِيعَة : النشاط ، والآطال : جمع إطل وهو الخاصرة ، ولاحقها : ضامرها ، والنهد : القوى ، والخصل : جمع خصلة وهي الشعر المجتمع . تعنى أنه لو شاء لأنجاه ذلك الفرس ، وقد نسب العيني في الشواهد الكبرى هذا البيت لعلامة .

(٧) هو من قوله ﷺ « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه ؛ كلما سمع هِيعَة طار إليها » الحديث ، والهية : الصيحة للجهاد .

يَشْتَرِكَانِ فِي أَمْرٍ دَاخِلٍ فِي مَفْهُومِهِمَا؛ وَهُوَ قَطْعُ الْمَسَافَةِ بِسُرْعَةٍ^(١) وَلَكِنَّ الطَّيْرَانَ أَسْرَعَ مِنَ الْعَدُوِّ ، وَنَحْوُهُمَا قَوْلُ بَعْضِ الْعَرَبِ :

فَطَرْتُ بُنْصُلِي فِي يَعْمَلَاتٍ دَوَامِي الْأَيْدِ يَخْبُطُنِ السَّرِيحَا^(٢)

يَقُولُ : إِنَّهُ قَامَ بِسَيْفِهِ مَسْرِعاً إِلَى نَوْقٍ فَعَقَرَهُنَّ وَدَمِيتَ أَيْدِيَهُنَّ ، فَخَبَطُنِ السَّيُورَ الْمَشْدُودَةَ عَلَى أَرْجُلِهِنَّ . وَكَاسْتِعَارَةُ الْفَيْضِ لَانْبِسَاطِ الْفَجْرِ فِي قَوْلِهِ :

كَالْفَجْرِ فَاضَ عَلَى نَجُومِ الْغَيْهِبِ^(٣)

فَإِنَّ الْفَيْضَ مَوْضُوعٌ لِحَرَكَةِ الْمَاءِ عَلَى وَجْهِ مَخْصُوصٍ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ يَفَارِقُ مَكَانَهُ دَفْعَةً فَيَنْبَسِطُ ، وَلِلْفَجْرِ انْبِسَاطٌ شَبِيهِ ذَلِكَ ، وَكَاسْتِعَارَةُ التَّقْطِيعِ لِتَفْرِيقِ الْجَمَاعَةِ وَابْعَادِ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ﴾^(٤) فَإِنَّ الْقَطْعَ مَوْضُوعٌ لِإِزَالَةِ الْإِتِّصَالِ بَيْنَ الْأَجْسَامِ الَّتِي بَعْضُهَا مُلْتَزَقٌ بِبَعْضٍ ، فَالْجَامِعُ بَيْنَهُمَا إِزَالَةُ الْاجْتِمَاعِ الَّتِي هِيَ دَاخِلَةٌ فِي مَفْهُومِهَا ، وَهِيَ فِي الْقَطْعِ أَشَدُّ . وَكَاسْتِعَارَةُ الْخِيَاطَةِ لِسُرْدِ الدَّرْعِ فِي قَوْلِ الْقَطَامِيِّ :

لَمْ تَلَقْ قَوْمًا هُمْ شَرٌّ لِإِخْوَتِهِمْ مَنَا عَشِيَّةً يَجْرِي بِالْدَمِ الْوَادِي
نُقْرِيهُمْ لِهَظْمِيَّاتٍ نَقْدُ بِهَا مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرَادٍ^(٥)

(١) لَا يَخْفَى أَنَّ السَّرْعَةَ فِي الطَّيْرَانِ لَازِمَةٌ لَهُ وَلَيْسَتْ دَاخِلَةً فِي مَفْهُومِهِ .
(٢) هُوَ الْمُضَرَّسُ بْنُ رَبْعِيِّ الْعَقْمَسِيِّ . وَالْمَنْصَلُ : السَّيْفُ ، وَالْيَعْمَلَاتُ : النُّوْقُ الْمَطْبُوعَةُ عَلَى الْعَمَلِ ، وَالْأَيْدِ : مَخْفَفُ الْأَيْدِي ، وَالسَّرِيحُ : السَّيْرُ الَّذِي يُشَدُّ عَلَى أَرْجُلِهَا .

(٣) هُوَ مِنْ قَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ :

يَتَرَاكُمُونَ عَلَى الْأَسْنَةِ فِي الْوُغَى كَالْفَجْرِ فَاضَ عَلَى نَجُومِ الْغَيْهِبِ
وَقَوْلُهُ « يَتَرَاكُمُونَ » بِمَعْنَى يَجْتَمِعُونَ بِكَثْرَةِ وَازْدِحَامِ . وَالْأَسْنَةُ : الرِّمَاحُ ، وَالْوُغَى : الْحَرْبُ ، وَالْغَيْهِبُ : الظُّلْمَةُ . وَإِنَّمَا جَعَلَهُمُ كَالْفَجْرِ بِالنَّظَرِ إِلَى مَا عَلَيْهِمْ مِنَ الدَّرُوعِ اللَّامِعَةِ .

(٤) الْأَعْرَافُ آيَةُ ١٦٨ .

(٥) هُمَا لَعْمِيرُ بْنُ شَيْمٍ الْمَعْرُوفُ بِالْقَطَامِيِّ ، وَضَمِيرُ الْغَيْيَةِ فِي « نُقْرِيهُمْ » لِإِخْوَتِهِمْ فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ وَكَانُوا أَعْدَاءَهُمْ ، وَالْقَرَى : فِي الْأَصْلِ : طَعَامُ الضَّيْفِ فَاسْتَعِيرَ =

فإن الخياطة تضم خرق القميص ، والسرد يضم حلق الدرع ؛ فالجامع بينهما الضم الذى هو داخل فى مفهومهما ، وهو فى الأول أشد . وكاستعارة النثر لإسقاط المنهزمين وتفريقهم فى قول أبى الطيب :

نثرتهم فوق الأحيدب نثرةً كما نثرت فوق العروس الدراهم^(١)

لأن النثر أن يجمع أشياء فى كف أو وعاء ثم يقع فعل تتفرق معه دفعة من غير ترتيب ونظام ، وقد استعاره لما يتضمن التفرق على الوجه المخصوص ، وهو ما اتفق من تساقط المنهزمين فى الحرب دفعة من غير ترتيب ونظام ، ونسبه إلى الممدوح لأنه سبيه^(٢) .

ما يخرج جامعها عن مفهوم الطرفين : والثانى ما يكون الجامع فيه غير داخل فى مفهوم الطرفين ؛ كقولك « رأيت شمسا » ، وتريد إنساناً يتهلل وجهه ، فالجامع بينهما التألؤ ، وهو غير داخل فى مفهومهما^(٣) .

الاستعارة العامة والخاصية : وتنقسم باعتبار الجامع أيضاً إلى عامية وخاصية^(٤) ، فالعامية: المبتدلة لظهور الجامع فيها؛ كقولك « رأيت أسداً ووردت

= لضربهم باللهزميات على سبيل الاستعارة التهكمية ، واللهزميات : جمع لهزم وهو السيف القاطع ، والنسبة فيها للمبالغة . والزرد : صانع الزرد وهو الدرع . وإسناد الجرى إلى الوادى مجاز عقلى .

(١) الخطاب فى « نثرتهم » لسيف الدولة ، والأحيدب : جبل ببلاد الروم .

(٢) فهو مجاز عقلى .

(٣) من ذلك أيضاً قول الشاعر :

فى الحدّ إن عزم الخليطُ رحيلاً مطرٌ تزيد به الحدود محولاً
وقول الآخر (ابن المعتز):

أثمرت أغصان راحته لجنة الحسن عنباً

وإنى أرى أنه ليس لتقسيم الاستعارة بهذا الاعتبار كبير فائدة .

(٤) الخاصية أبلغ من العامية ، والمقبول منهما ما لا يبعد جداً حتى لا يغيب عن

الفهم ، وما لا يقرب جداً فيستبرد ، ولكل منهما مقامات تليق به .

بحراً» . والخاصية : الغريبة التي لا يظفر بها إلا من ارتفع عن طبقه العامة ،
 كما سيأتى فى الاستعارات الواردة فى التنزيل . وكقول طُفَيْلِ الغنوى :
 وجعلتُ كَوْرِي فوق ناجيةٍ يفتاتُ شحمَ سَنَمِها الرَّحْلُ^(١)
 وموضع اللطف والغرابة منه : أنه استعار الافتيات لإذهاب الرَّحْل شحمَ
 السنام ؛ مع أن الشحم مما يفتاتُ . وقول ابن المعتز :
 حتى إذا ما عرف الصَّيْدُ الضَّارَّ وأذنَ الصُّبْحُ لنا فى الإبصار^(٢)
 لما كان تعذر الإبصار منعاً من الليل جعل إمكانه عند ظهور الصبح
 إذناً منه ، وقول الآخر :
 بعرض تنوفةٍ للريح فيه نسيمٌ لا يروّع فى التراب^(٣)
 وقوله :

يناجينى الإخلاف من تحت مظلته فتختصم الآمالُ واليأسُ فى صدرى^(٤)
 ثم الغرابة قد تكون فى الشبه نفسه^(٥) . كما فى تشبيه هيئة العنان فى

(١) هو لطفيل بن عوف الغنوى ، والكور : رحل البعير ، والناجية : الناقة
 السريعة ، وإنما أفاد اقتيات الشحم الغرابة ؛ لأن فيه تخيل أن ذلك حقيقة .
 (٢) هو لعبد الله بن المعتز ، والضار : تخفيف الضارى وهو المتعود للصيد ، فاعل
 مؤخر والصيد مفعول مقدم ، يعنى أنه عرف ما يصيده بذهاب الظلمة ، وفى رواية « حتى
 إذا ما عرف الصيد أنصار » أى انضم وانجمع أو مال ، يصف بذلك بازى الصيد .
 (٣) هو لسوار بن المضرب السعدى ، وقيل : إنه لجحدر بن مالك الحنفى ،
 ويروى الشطر الثانى « نسيم لا يروّع التراب وان » وقبله :

سقى الله اليمامة من بلاد نوافحها كأرواح الغوانى
 والتنوفة : الصحراء أو الأرض الواسعة ، وعرضها : جانبها . ويروى « فيها »
 بدل (فيه) . والشاهد فى استعارة الروع وهو الفزع لإثارة الريح للتراب بجامع
 التحريك ، ولا شك أن معرفة هذا الجامع فيهما إنما يدرکہا الخاصة .
 (٤) هو لعبد الله بن المعتز ، والإخلاف : عدم الوفاء ، والمطل : التأخير فى إجابة
 المطلوب . والشاهد فى استعارة المناجاة وهى المسارة بالحديث للخطور فى ذهن .
 (٥) يعنى بالشبه : التشبيه ؛ أى فى التشبيه نفسه لا فى الجامع ، بأن يكون تشبيها
 نادراً لبعد ما بين الطرفين ، كما فى البيت ؛ فإن أحدهما من وادى القعود والآخر من
 وادى الركوب ، مع ما فى ذلك من كثرة التفصيل .

موقعه من قَرْبُوس السرج بهيئة الثوب فى موقعه من ركة المحتبى فى قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك يصف فرساً له بأنه مؤدَّب :

وإذا احتبى قربوسه بعنانه علك الشكيم إلى انصراف الزائر^(١)

وقد تحصل بتصرف فى العامية ؛ كما فى قول الآخر :

وسالت بأعناق المطى الأباطح^(٢)

أراد أنها سارت سيراً حثيثاً فى غاية السرعة ، وكانت سرعة فى لين وسلاسة حتى كأنها كانت سيولاً وقعت فى تلك الأباطح فجرت بها .

ومثلها فى الحسن وعلو الطبقة فى هذه اللفظة بعينها قول ابن المعتز :

سالت عليه شعاب الحى حين دعا أنصاره يوجوه كالدنانير^(٣)

أراد أنه مطاع فى الحى ، وأنهم يسرعون إلى نصرته ، وأنه لا يدعوهم لخطب إلا أتوه وكثروا عليه وازدحموا حواليه حتى تجدهم كالسيول نجىء من هنا وههنا ، وتنصب من هذا المسيل وذاك ، حتى يغص بها الوادى ويطفح

(١) الحق أنه لمحمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك ، والقربوس : السرج ، وقيل مقدمه حقيقة أو مجازاً ، والعنان : سير اللجام ، وقوله « علك » بمعنى مضغ ، والشكيم : الحديد المعتبرة فى فم الفرس ، يصف فرسه بأنه مؤدب إذا نزل عنه وقف مكانه إلى عودته ، فهو يعنى بالزائر نفسه على الالتفات . والشاهد فى استعارة الاحتباء وهو جمع الرجل ظهره وساقيه بثوب ونحوه لإيقاع العنان بالقربوس ، ويجوز رفع « قربوسه » على أنه فاعل (احتبى) .

(٢) هو من ثلاثة أبيات سبقت فى الكلام على الإيجاز والإطناب والمساواة فى الجزء الثانى^١ ، والشاهد فى استعارة سيل السيول فى الأباطح لسير الإبل بسرعة فى لين وسلاسة .

(٣) هو لعبد الله بن المعتز ، والشعاب : جمع شعب وهو الطريق فى الجبل والناحية ، والحى : القوم أو مكانهم ، ووجه الشبه فى قوله « بوجوه كالدنانير » : الاستدارة والإشراق .

منها، وهذا شبه معروف ظاهر ولكن حسن التصرف فيه أفاد اللطف والغرابة ، وذلك أن أسند الفعل إلى الأباطح والشعاب^(١) دون المطى أو أعناقها والأنصار أو وجوههم ، حتى أفاد أنه امتلأت الأباطح من الإبل والشعاب من الرجال على ما تقدم^(٢) فى قوله تعالى : ﴿ واشتعل الرأس شيباً ﴾^(٣) وفى كل واحد منهما شئ غير الذى فى الآخر يؤكد أمر الدقة والغرابة ؛ أما الذى فى الأول فهو أنه أدخل الأعناق فى السير ؛ فإن السرعة والبطء فى سير الإبل يظهران غالباً فى أعناقها على ما مر ، وأما الذى فى الثانى فهو أنه قال « عليه » ؛ فعُدّى الفعل إلى ضمير الممدوح بـ (على) ، فأكد مقصوده من كونه مطاعاً فى الحى .

وكما فى قوله :

فِرْعَاءُ إِنْ نَهَضَتْ لِحَاجَتِهَا عَجَلَ الْقُضَيْبُ وَأَبْطَأَ الدَّعْصُ^(٤)
إِذْ وَصَفَ الْقُضَيْبَ بِالْعَجَلَةِ ، والدَّعْصَ بِالْبُطْءِ^(٥) .

وقد تحصل الغرابة بالجمع بين عدة استعارات لإلحاق الشكل بالشكل ؛ كقول امرئ القيس :

فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءً بِكُلْكَلٍ^(٦)

-
- (١) هذا مجاز عقلى من إسناد الحال للمحل .
(٢) فى الكلام على الإيجاز والإطناب والمساواة فى الجزء الثانى من أنه أثر ذلك على « اشتعل شيب الرأس » ليفيد عمومته للرأس .
(٣) سورة مريم آية : ٤ .
(٤) الفرعاء : الطويلة ، والقضيب : الغصن استعير لقامتها ، والدعص : كتيب الرمل المجتمع ، استعير لردفها .
(٥) فغرابتها نشأت من المجاز العقلى أيضاً مع ما فيها من الطباق بين « عجل وأبطأ » .

(٦) قوله « تمطى » بمعنى تمدد ، والصلب : عظم فى الظهر ذو فقار يمتد من الكاهل إلى أسفل الظهر ، والأعجاز : جمع عجز وهو مؤخر الشئ أو الجسم ؛ فالصلب : مستعار لوسط الليل ، والكلكل : مستعار لمقدمه ، والأعجاز : مستعارة للأجزاء الأخيرة منه ، وهذه هى الاستعارات التى جمع بينها وجعل من مجموعها استعارة واحدة .

أراد وصف الليل بالطول ، فاستعار له صلباً يتمطى به ؛ إذ كان كل ذى صلب يزيد فى طوله عند تمطية شئ ، وبالع فى ذلك بأن جعل له أعجازاً يردف بعضها بعضاً ، ثم أراد أن يصفه بالثقل على قلب ساهره والضغط لمكابده ؛ فاستعار له كلكلاً ينوء به أى يثقل به . وقال الشيخ عبد القاهر^(١) : « لما جعل ليل صلباً قد تمطى به ، ثنى ذلك فجعل له أعجازاً قد أردف بها الصلب ، وثلث فجعل له كلكلاً قد ناء به ، فاستوفى له جملة أركان الشخص ، وراعى ما يراه الناظر من سواده إذا نظر قدّامه وإذا نظر خلفه وإذا رفع البصر ومدّه فى عرض الجو »^(٢) .

أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع :

وأما باعتبار الثلاثة - أعنى الطرفين والجامع - فستة أقسام : استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسى ، أو بوجه عقلى ، أو بما بعضه حسى وبعضه عقلى ، واستعارة معقول لمعقول ، واستعارة محسوس لمعقول ، واستعارة معقول لمحسوس ، كل ذلك بوجه عقلى ؛ لما مر^(٣) .

استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسى : أما استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسى ؛ فكقوله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلاً جَسَداً لَهُ خَوَارٌ ﴾^(٤) فإن المستعار منه ولد البقرة ، والمستعار له الحيوان الذى خلقه الله تعالى من حلى القبط التى سبكتها نار السامرى عند إلقائه فيها التربة التى أخذها من موطىء حيزوم فرس جبريل عليه السلام ، والجامع لهما الشكل^(٥) والجميع حسى^(٦) . وكقوله تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي »

(١) ٥٤ - دلائل الإعجاز - المطبعة العربية .

(٢) فقابل هذا بالكلل والأعجاز والصلب على الترتيب .

(٣) فى الكلام على وجه الشبه من استحالة قيام الحسى بالعقلى .

(٤) سورة طه آية ٨٨ . (٥) أى مع الخوار .

(٦) الحق أن ما فى الآية تشبيه لا استعارة ؛ لأن جسداً بدل من « عجلاً » ؛ فيكون

التقدير : فأخرج لهم مثل عجل جسداً له خوار .

بعض^(١) فإن المستعار منه حركة الماء على الوجه المخصوص ، والمستعار له حركة الإنس والجن أو يأجوج ومأجوج ، وهما حسيان ، والجامع لهما ما يشاهد من شدة الحركة والاضطراب ، وأما قوله تعالى : ﴿ واشتعل الرأس شيباً ﴾^(٢) فليس مما نحن فيه وإن عدَّ منه ؛ لأن فيه تشبيهين : تشبيه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته ، وتشبيه انتشاره في الشعر باشتعالها في سرعة الانبساط مع تعذر تلافيه ، والأول استعارة بالكناية ، والجامع في الثاني عقلي^(٣) . وكلامنا في غيرهما^(٤) .

استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي : وأما استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي ؛ فكقوله تعالى : ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ﴾^(٥) فإن المستعار منه كشط الجلد وإزالته عن الشاة ونحوها ، والمستعار له إزالة الضوء عن مكان الليل وملقى ظله ، وهما حسيان ، والجامع لهما ما يعقل من ترتب أمر على آخر^(٦) . وقيل : المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل . وليس بسديد . لأنه لو كان ذلك لقال « فإذا هم مبصرون » ونحوه ولم يقل ﴿ فإذا هم مظلمون ﴾ أى داخلون فى الظلام^(٧) قيل : ومنه قوله تعالى :

(١) سورة الكهف آية ٩٩ .

(٢) مريم آية ٤ .

(٣) قيل : إنه مركب من حسي وعقلي ؛ لأن سرعة الانبساط حسية ، وتعذر التلافي عقلي .

(٤) أى فى غير الاستعارة بالكناية وفى غير الوجه العقلي ؛ لأن الكلام فى استعارة المحسوس للمحسوس استعارةً تصريحية بوجه حسي ، وهو يقصد السكاكى بهذا الاعتراض ، والحق أنه لا يرد عليه لأنه جعل هذه الأقسام للاستعارة مطلقاً ولم يخصها بالتصريحية حتى يعترض عليه بذلك .

(٥) سورة يس آية ٣٧ .

(٦) الحق أن هذا الترتب حسي لتعلقه بأمور محسوسة ، وإنما يكون الترتب عقلياً فى مثل ترتب النتيجة على العلم بالمقدمات .

(٧) أجيب عن ذلك بأن المراد بظهور النهار من ظلمة الليل زواله وبقاء =

﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾^(١) فَإِنَّ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ الْمَرْأَةُ ، وَالْمُسْتَعَارَ لَهُ الرِّيحُ ، وَالْجَامِعُ الْمَنْعُ مِنْ ظَهْوَرِ النَّتِيجَةِ وَالْأَثَرِ ؛ فَالطَّرْفَانِ حَسِيَانِ وَالْجَامِعُ عَقْلِي . وَفِيهِ نَظَرٌ ؛ لِأَنَّ الْعَقِيمَ صِفَةً لِلْمَرْأَةِ لَا اسْمٌ لَهَا ، وَكَذَلِكَ جُعِلَتْ صِفَةً لِلرِّيحِ لَا اسْمًا^(٢) . وَالْحَقُّ أَنَّ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ مَا فِي الْمَرْأَةِ مِنَ الصِّفَةِ الَّتِي تَمْنَعُ مِنَ الْحَمْلِ^(٣) ، وَالْمُسْتَعَارَ لَهُ مَا فِي الرِّيحِ مِنَ الصِّفَةِ الَّتِي تَمْنَعُ مِنْ إِنْشَاءِ مَطَرٍ وَإِلْقَاحِ شَجَرٍ ، وَالْجَامِعُ مَا ذُكِرَ^(٤) .

استعارة محسوس للمحسوس بوجه مختلف : وأما استعارة محسوس لمحسوس بما بعضه حسي وبعضه عقلي فكقولك « رأيت شمساً » وأنت تريد إنساناً شبيهاً بالشمس في حسن الطلعة ونباهة الشأن ، وأهمل السكاكي هذا القسم^(٥) .

= الظلمة ، فيكون المعنى في الوجهين واحداً ، وإن كان مبني الأول على أن النهار ظُرفٌ للظلمة ، ومبني الثاني على أن الظلمة ظُرف للنور .
(١) الذاريات آية ٤١ .

(٢) يريد بهذا أن (العقيم) هو المستعار منه وهو صفة فهو عقلي لا حسي .

(٣) هي صفة العقم ، ثم اشتق منها عقيم بعد استعارتها لصفة الرِّيح .

(٤) على هذا يكون ما في الآية من استعارة المعقول للمعقول استعارة تصريحية

تبعية ، وقد أجيب عن أصل النظر بأن من يجعل المستعار منه المرأة والمستعار له الرِّيح يذهب إلى أن ذلك استعارة بالكناية ، ويجعل العقم قرينة لهذه الاستعارة ، وردَّ بأن استعارة المرأة للرِّيح معناها ادعاء أن الرِّيح فرد من أفراد النساء وهذا غير مقصود ؛ لأن ثبوت ذلك للرِّيح لا يفيد أنها عقيم ، وذلك لأن العقم ليس صفةً للنساء مطلقاً ولا غالباً .

ومن استعارة المحسوس للمحسوس بوجه عقلي قول الشاعر :

قولا لدودان عبيد العصا ما غرَّكم بالأسد الباسل

ومنها أيضاً ما جاء في المثل : « إن البغاث بأرضنا يستنسر » .

(٥) من استعارة المحسوس للمحسوس بوجه مختلف قول الشاعر في رثاء ولد له :

وهلال أيام مضى لم يستدر بذراً ولم يمهل لوقت سرار

عجل الكسوف عليه قبل أوانه فمحا قبل مظنة الإبدار

استعارة معقول لمعقول : وأما استعارة معقول لمعقول فكقوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدْنَا ﴾ ^(١) فَإِنَّ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ الرِّقَادُ ^(٢) وَالْمُسْتَعَارُ لَهُ الْمَوْتُ ، وَالْجَامِعُ لَهُمَا عَدَمُ ظُهُورِ الْأَفْعَالِ ^(٣) ، وَالْجَمِيعُ عَقْلِي ^(٤) .

استعارة محسوس لمعقول : وأما استعارة محسوس لمعقول فكقوله تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ ^(٥) فَإِنَّ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ صَدْعُ الزَّجَاجَةِ وَهُوَ كَسْرُهَا ، وَهُوَ حَسِّيٌّ ^(٦) ، وَالْمُسْتَعَارُ لَهُ تَبْلِيغُ الرِّسَالَةِ ^(٧) ، وَالْجَامِعُ لَهُمَا التَّأْثِيرُ . وَهُمَا عَقْلِيَانِ ، كَأَنَّهُ قِيلَ : « أَبْنِ الْأَمْرَ إِيَّانَهُ لَا تَنْمَحْيَ كَمَا لَا يَلْتَمُّ صَدْعُ الزَّجَاجَةِ » وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ ﴾ ^(٨) جَعَلَتْ الذَّلَّةُ مُحِيطَةً بِهِمْ مُشْتَمِلَةً عَلَيْهِمْ ، فَهَمَّ فِيهَا كَمَا يَكُونُ فِي الْقَبَةِ مَنْ ضُرِبَتْ عَلَيْهِ ، أَوْ مَلْصَقَةً بِهِمْ حَتَّى لَزِمَتْهُمْ ضَرْبَةً لَا زَبَّ كَمَا يُضْرَبُ الطِّينُ عَلَى الْحَائِطِ فِيلْزَمُهُ ؛ فَالْمُسْتَعَارُ مِنْهُ إِمَّا ضَرْبَ الْقَبَةِ عَلَى الشَّخْصِ وَإِمَّا ضَرْبَ الطِّينِ عَلَى الْحَائِطِ ، وَكِلَاهُمَا

(١) يس آية ٥٢ .

(٢) ظاهر هذا أن (مرقدنا) في الآية مصدر ميمي ، ويجوز أن يكون اسم مكان فيكون المستعار منه الرقاد أيضاً ، ثم يشتق منه اسم المكان بعد استعارته للموت .
(٣) أو البعث ؛ وقد رُجِعَ بأنه في النوم أظهر وأقوى لكونه مما لا شبهة فيه لأحد ، وعدم ظهور الأفعال بالعكس ، والجامع لا بد أن يكون أقوى في المستعار منه .
(٤) من استعارة المعقول للمعقول قول الشاعر :

وَإِذَا تَبَاعُ كَرِيمَةٌ أَوْ تُشْتَرَى فَسَوَاكَ بَاتِعُهَا وَأَنْتَ الْمُشْتَرَى

شبه التَّركَ بالبيع ، والحصول بالاشتراء ، بجامع الحرمان في الأول والتحقق في الثاني ، ثم استعار المشبه به للمشبه فيهما ، واشتق منه (تباع) بمعنى تترك (و) تشتري بمعنى يُحصل عليها .

(٥) سورة الحجر آية ٩٤ .

(٦) لتعلقه بحسي .

(٧) اعترض على هذا بأنه حسي يدرك بالسمع ؛ فالأولى أن يجعل المستعار له إظهار الدين لأنه لا يلزم أن يكون بطريق حسي .

(٨) سورة آل عمران آية ١١٢ .

حَسَىّ ، والمستعار له حالُّهم مع الذلة ، والجامع الإحاطة أو اللزوم ، وهما عقليان^(١) .

استعارة معقول لمحسوس : وأما استعارة معقول لمحسوس فكقوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ ﴾^(٢) فإن المستعار له كثرة الماء وهو حسى ، والمستعار منه التكبر ، والجامع الاستعلاء المفرط ، وهما عقليان^(٣) .

أقسام الاستعارة باعتبار المستعار : الأصلية والتبعية : وأما باعتبار اللفظ^(٤) فقسمان : لأنه إن كان اسم جنس فأصلية كأسد وقتل^(٥) ، وإلا فتبعية ؛ كالأفعال والصفات المشتقة منها والحروف ؛ لأن الاستعارة تعتمد التشبيه والتشبيه يعتمد كون المشبه موصوفاً^(٦) ، وإنما يصلح للموصوفية الحقائق^(٧) كما فى قولك « جسم أبيض وبياض صاف » دون معانى الأفعال والصفات المشتقة منها والحروف^(٨) ؛ فإن قلت : فقد قيل فى نحو « شجاع باسل ، وجواد فيّاض ، وعالم نحرير » إن باسلاً وصفٌ لشجاع ، وفياضاً وصفٌ

(١) يجوز جعل ذلك من الاستعارة المكنية بتشبيه الذلة بالقبّة .

ومن استعارة المحسوس للمعقول قول أبى تمام :

ويصعدُ حتى يظنّ الجهولُ بأنّ له حاجةً فى السّماء

(٢) الحاقة : ١١ .

(٣) من استعارة المعقول للمحسوس قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ

صرصرٍ عاتيةٍ ﴾ الحاقة : ٦ . وقوله أيضاً : ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ آية ٨ سورة الملك .

(٤) يعنى لفظ المشبه به ، وقد ذكروا أن هذا التقسيم يجرى فى المكنية أيضاً .

(٥) يشير بالمثالين إلى أن اسم الجنس قد يكون اسم ذات كأسد ، وقد يكون اسم

معنى كقتل .

(٦) أى بوجه الشبه بحيث يصح الحكم به عليه ، وكذلك يقتضى التشبيه مثل هذا

فى المشبه به ، ولو ذكر هذا لكان أنسب باستدلاله .

(٧) يعنى بها الأمور المتقررة الثابتة فى نفسها من الجواهر والأعراض كأسد وقتل

ونحوهما .

(٨) لأن الأفعال والمستقاة غير متقررة ، والحروف غير ثابتة فى نفسها .

لجواد ، ونحريراً وصف لعالم^(١) ، قلت : ذلك متأولٌ بأن الثواني لا تقع صفات إلا لما يكون موصوفاً بالأول^(٢) .

فالتشبيه في الأفعال والصفات المشتقة منها لمعانى مصادرها^(٣) ، وفي الحروف لمتعلقات معانيها ؛ كالمجرور^(٤) في قولنا « زيد فى نعمة ورفاهية » فيقدر التشبيه فى قولنا : « نطقت الحال بكذا ، والحال ناطقة بكذا » للدلالة بمعنى النطق^(٥) ، وعليه فى التهكمية قوله تعالى : ﴿ فبشرهم بعباد آليم ﴾^(٦) بدل فأنذرهم ، وقوله تعالى : ﴿ إنك لأنت الحليم الرشيد ﴾^(٧) بدل السفه

(١) فقد وُصفت الصفات المشتقة الثلاث بهذه الصفات كما وُصف الجسم واليباض بما سبق ، فلا يكون هناك فرق بينهما فى ذلك .

(٢) فقولك « شجاع باسل » مثلاً إنما هو على تقدير « زيد شجاع باسل » فكل منهما فى الحقيقة صفة لزيد .

(٣) أى المحققة أو المقدرة كما فى الأفعال التى لا مصادر لها .

(٤) هذه طريقة الخطيب فى إجراء الاستعارة التبعية فى الحروف ؛ فهى تابعة عنده للتشبيه فى متعلقاتها من مجروراتها ونحوها ، وتعلقها بها بمعنى ارتباطها بها ، وليس هو التعلق النحوى المعروف ، وعلى هذا يقال فى المثال المذكور : شبهت النعمة على زيد بدار مشتملة عليه ، ثم استعمل فى النعمة لفظ « فى » كما يستعمل فى الدار ونحوها ، والجمهور على أن متعلقات الحروف هى معانيها الكلية ، فيجوز التشبيه فيها أولاً ثم تبنى عليه الاستعارة فيها ، وعلى هذا يقال فى المثال المذكور : شبهت ملابس النعمة لصاحبها بملابسة الظرف للمظروف ، ثم استعير للمشبّه اللفظ الموضوع للمشبّه به وهو « فى » . وبعض الجمهور لا يكتفى بإجراء التشبيه فى متعلقات الحروف بل يوجب إجراء فى جزئياتها بعدها ، وبهذا يجعل الاستعارة فى جزئياتها دونها ، والخطب فى ذلك سهل ، وطريقة الخطيب أظهر .

(٥) ثم يستعار النطق للدلالة ، ثم يشتق من النطق « نطقت أو ناطقة » بمعنى « دلت أو دالة » والجامع إيصال المعنى إلى الذهن ، وهكذا كل الاستعارات فى الأفعال والمشتقات ؛ فتكون الاستعارة فيها تابعة للاستعارة فى مصادرها ، ولا خلاف هنا بينهم فى ذلك .

(٦) آل عمران : ٢١ ، التوبة : ٣٤ .

(٧) هود : ٨٧ .

الغوى ، وفي لام التعليل^(١) كقوله تعالى : ﴿ فَالْتَقِطْهُ أَلْ فَرْعُونَ لِيَكُونَ لَهُمْ عُدُوًّا وَحَزَنًا ﴾^(٢) للعداوة والحزن الحاصلين بعد الالتقاط بالعلة الغائية للالتقاط^(٣) .

ومما يتصل بهذا أن « يا » حرفٌ وُضع في أصله لنداء البعيد استعمل في مناداة القريب لتشبيهه بالبعيد باعتبار أمر راجع إليه أو إلى المنادى ؛ أما الأول فكقولك لمن سها وغفل وإن قرب : « يا فلان » ، وأما الثاني فكقول الداعى في جُؤاره : « يا رب يا الله » وهو أقرب إليه من جبل الوريد ؛ فإنه استقصارٌ منه لنفسه واستبعادٌ لها من مظان الزُلفى ومما يقربُه إلى رضوان الله تعالى ومنازل المقرّبين هضمًا لنفسه وإقرارًا عليها بالتفريط في جنب الله تعالى ، مع فرط التهالك على استجابة دعوته والأذن^(٤) لندائه وابتهاله .

واعلم أن مدار قرينة التبعية^(٥) في الأفعال والصفات المشتقة منها على نسبتها إلى الفاعل ، كما مر في قولك : « نطقت الحال » ، أو إلى المفعول ؛

كقول ابن المعتز :

جُمِعَ الحقُّ لنا في إمام قتلَ البخلَ وأحيا السَّماحا^(٦)

(١) عطف على قوله « في قولنا نطقت الحال » الخ .

(٢) القصص : ٨ .

(٣) هذا على طريقته السابقة ، وأما على طريقة الجمهور فيقال : « شبه ترتب العداوة والحزن على الالتقاط بترتب علته الغائية كالمحبة والتبني عليه ، ثم استعير للمشبه اللفظ الموضوع للمشبه به ، وهو لام التعليل . (٤) أى الاستماع .

(٥) يعنى بهذا أن الأكثر في قرينتها أن تكون على ما سيذكره ، وقد تكون قرينتها الحالية ، كقوله تعالى ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مُبْتَلًى فُأُحْيِيْنَاهُ ﴾ آية ١٢٢ سورة الأنعام وقوله ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ ﴾ آية ٧٧ سورة الزخرف .

(٦) هو لعبد الله بن المعتز يمدح به والده المعتز بالله ، شبه إزالة البخل بالقتل ، وإذاعة السماح بالإحياء ، ثم استعير القتل لإزالة البخل واشتق منه قتل بمعنى أزال ، واستعير الإحياء لإذاعة السماح واشتق منه « أحيا » بمعنى أذاع ، وقرينة ذلك نسبة « قتل » إلى البخل ونسبة « أحيا » إلى السماح .

وقول كعب بن زهير :

صَبَّحْنَا الْخَزْرَجِيَّةَ مَرْهَفَاتٍ أَبَادَ ذَوَى أَرْوَمَتِهَا ذَوْوَهَا^(١)

والفرق بينهما أن الثاني مفعول ثان دون الأول . ونظير الثاني قوله :

نُقْرِيهمْ لَهُذَمِيَّاتٍ نَقْدُ بِهَا مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرَادٍ^(٢)

أو إلى المفعولين : الأول والثاني ؛ كقول الحريري :

وَأَقْرَى الْمَسَامِعَ إِمَّا نَطَقْتُ بَيَانًا يَقْرُدُ الْحَرُونَ الشَّمُوسَا^(٣)

أو إلى المجرور كقوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾^(٤) .

قال السكاكي^(٥) : «أو إلى الجميع كقول الآخر :

تُقْرِى الرِّيحُ رِيَاضَ الْحَزَنِ مَزْهَرَةً إِذَا سَرَى النَّوْمُ فِي الْأَجْفَانِ إِيقَاظًا^(٦)

(١) الخزرجية : هم الخزرج من الأنصار ، والمرهفات : السيوف المرفقة ، والأرومة : الأصل . والضمير المضاف إليه يعود إلى الخزرجية ، والضمير فى « ذووها » يعود إلى مرهفات . وفى رواية : أبان ذوى أرومتها ذووها . فيكون المراد السيوف التى كتب عليها صانعوها أسماء أصحابها كما هى عادة ملوكهم . والشاهد فى قوله « صَبَّحْنَا الْخ » لأنه فى الأصل بمعنى التحية بالسلام صباحاً ، فاستعير لضربهم بالمرهفات على سبيل التهكم ، والقرينة نسبة « صَبَّحْنَا » إلى « مرهفات » .

(٢) انظر ص ١٠٧ ، والشاهد فى قوله « نُقْرِيهمْ لَهُذَمِيَّاتٍ » وهى استعارة تهكمية أيضاً .

(٣) هو للقاسم بن على المعروف بالحريري . وقوله « أَقْرَى » مأخوذ من الْقَرَى وهو طعام الضيف ، وروى « أَقْرِ » على أنه فعل أمر ، والحرون والشموس : بمعنى واحد وهو الذى لا ينقاد ، والشاهد فى قوله « وَأَقْرَى الْمَسَامِعَ » استعير الْقَرَى للإلقاء البيان فى الأذان بقرينة نسبته إلى مفعوله .

(٤) آية ٢١ سورة آل عمران ، التوبة : ٣٤ . (٥) ٢٠٤ - المفتاح .

(٦) الحزن : الأرض الغليظة ، وإيقاظاً : مفعول ثان لتقْرِى . استعار الْقَرَى لإحداث الرياح الإيقاظ فى الرياض بقرينة نسبته إلى الفاعل والمفعولين والمجرور جميعاً ، والمعنى أنها تهزها عند هبوبها عليها إذا نامت أجفان الناس .

وفيه نظر^(١) .

أقسام الاستعارة باعتبار الخارج :

وأما باعتبار الخارج فثلاثة أقسام : أحدها المطلقة : وهى التى لم تقترب بصفة ولا تفريع كلام^(٢) ، والمراد المعنوية لا النعت .

المجردة : وثانيها المجردة ، وهى التى قرنت بما يلائم المستعار له^(٣) كقول كثير :

غَمِرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلَقْتُ لَضَحِكَهُ رِقَابُ الْمَالِ^(٤)

فإنه استعار الرداء للمعروف لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يُلْقَى عليه ، ووصفه بالغمر الذى هو وصف المعروف لا الرداء^(٥) فنظر إلى المستعار له ، وعليه قوله تعالى : ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾^(٦) حيث

(١) لأن المجرور وهو الأجفان لا يدخل فى القرينة؛ لتعلقه مع جارة بقوله «سرى» لا بقوله «تقرى»، ولعله يعلقهما بـ «إيقاظا» .

(٢) يعنى أنها لم تقترب بصفة ولا تفريع يلائمان المستعار له أو المستعار منه لا مطلق صفة وتفرع ، والفرق بين الصفة والتفريع أن الملائم إن كان من بقية جملة الاستعارة فهو صفة ، وإن كان كلاماً مستقلاً عنها فهو تفريع ، ومن الاستعارة المطلقة قول الشاعر :

فرعاء إن نهضت لحاجتها عجل القضيب وأبطأ الدعص

(٣) يعنى أنها قرنت بصفة أو تفريع يلائمه ، ولا بد أن يكون ذلك زائداً على قرينتها ؛ لأن القرينة من جملة الاستعارة، وهى مما يلائم المستعار له ، فإذا لم يكن فيها مما يلائمها إلا القرينة فهى مطلقة ، والأول أولى بالقرينة وما بعده تجريد .

(٤) هو لكثير بن عبد الرحمان المعروف بكثير عزة ، والغمر : الكثير وهو إما مأخوذ من « غمر الماء » إذا كثر ، أو من قولهم « ثوب غامر » أى واسع ؛ فيكون تجريداً على الأول وترشيحاً على الثانى . وقوله « غلقت الخ » بمعنى تمكنت من أيدي السائلين ، يقال « غلق الزهن فى يد المرتهن » إذا لم يقدر الراهن على انفكاكه . وقوله « تبسم ضاحكاً » قرينة الاستعارة ، وفى « رقاب المال » استعارة بالكناية .

(٥) هذا على أنه مأخوذ من « غمر الماء » كما سبق ؛ لأن المعروف يوصف بالكثير دون الرداء .

(٦) النحل : ١١٢ .

قال ﴿ أذاقها ﴾ ولم يقل كساها ؛ فإن المراد بالإذاقة إصابتهم بما استعير له اللباس^(١) كأنه قال : فأصابها الله بلباس الجوع والخوف^(٢) . قال الزمخشري : « الإذاقة جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها ؛ فيقولون « ذاق فلان البؤس والضرر ، وأذاقه العذاب » شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المرّ والبشع^(٣) » . فإن قيل : الترشيح أبلغ من التجريد فهلاً قيل « فكساها الله لباس الجوع والخوف » ؟ قلنا : لأن الإدراك بالذوق يستلزم الإدراك باللمس من غير عكس ، فكان في الإذاقة إشعار بشدة الإصابة بخلاف الكسوة . فإن قيل : لم لم يقل « فاذاقها الله طعم الجوع والخوف » ؟ قلنا : لأن الطعم وإن لاءم الإذاقة فهو مفوّت لما يفيد لفظ اللباس من بيان أن الجوع والخوف عمّ أثرهما جميع البدن عموم الملابس .

المرشحة : وثالثها المرشحة .

وهي التي قرنت بما يلائم المستعار منه^(٤) كقوله :

ينازعني ردائي عبدٌ عمرو رؤيدك يا أخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر^(٥)

(١) يريد بما استعير له اللباس : ما يغشى الإنسان من بعض الحوادث كالعذاب ونحوه .

(٢) على هذا تكون الإذاقة تجريداً .

(٣) يجوز أن يشبه ما يغشى الإنسان من ذلك بمطعم مرّ على طريق الاستعارة المكنية .

(٤) هذا قد يكون صفة وقد يكون تفرّيعاً كما سبق في المجردة ، ولا بد أن يكون في الاستعارة بالكناية الآتية زائداً على قرينتها ؛ لأن الأقسام الثلاثة تأتي فيها كما تأتي في الاستعارة التصريحية .

(٥) رويد : مصدر نائب عن فعله بمعنى أمهل ، والشطر : النصف . وقوله « اعتجر » أمر من الاعتجار وهو الاهتمام ، ويقال « اعتجرت المرأة » إذا لبست المعجر وهو ثوب تشده على رأسها ، والمراد بالشطر الذي ملكت يمينه : قائم السيف ، وبالشطر الآخر : صدره ، يعني أنه سيضربه على رأسه بصدر سيفه .

فإنه استعار الرداء للسيف لنحو ما سبق ، ووصفه بالاعتجار الذى هو وصف الرداء ، فنظر إلى المستعار منه ، وعليه قوله تعالى : ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم ﴾ (١) فإنه استعار الاشتراء للاختيار وقفاه بالربح والتجارة اللذين هما من متعلقات الاشتراء ؛ فنظر إلى المستعار منه .

وقد يجتمع التجريد والترشيح ، كما فى قول زهير :

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِّلَاحِ مَقْدَفٍ لَهُ لَبْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلِّمْ (٢)

والترشيح أبلغ من التجريد (٣) ؛ لاشتماله على تحقيق المبالغة ، ولهذا كان مبناه على تناسي التشبيه (٤) حتى إنه يوضع الكلام فى علو المنزلة وضعه فى علو المكان ، كما قال أبو تمام :

وَيَصْعَدُ حَتَّى يَظُنَّ الْجَهْلُ بَأَنَّ لَهُ حَاجَةً فِي السَّمَاءِ (٥)

(١) البقرة - ١٦ .

(٢) انظر ص ٩١ ، والاستعارة فى قوله « أسد » و « شاكى السلاح » تجريد ، و « مقذف » تجريد إن كان بمعنى مقذف فى الحروف ، وإلا فليس بتجريد ولا ترشيح ، وما بعده إلى آخر البيت ترشيح .

(٣) هو أيضاً أبلغ من الإطلاق ، ومن الجمع بين التجريد والترشيح ؛ لأنه فى حكم الإطلاق ، والإطلاق وما فى حكمه أبلغ من التجريد .

(٤) أى على كمال تناسيه لأن الاستعارة كلها مبنية على تناسيه ، لا الترشيح وحده ، ولو جعل الترشيح مبنياً على تناسي الاستعارة لكان أولى .

(٥) هو فى رثاء خالد بن يزيد الشيبانى ، وقيله :

فَقَدْ مَاتَ جَدُّكَ جَدَّ الْمُلُوكِ وَنَحْمُ أَيْبِكَ حَدِيثُ الضِّيَاءِ

فَمَا زَالَ يَقْرَعُ تِلْكَ الْعِلاَّ مَعَ النِّجْمِ مَرْتَدِيًا بِالْعِمَاءِ

شبه ارتقاء منزلته بالصعود الحسى ، ثم اشتق من الصعود (يصعد) بمعنى ترتقى منزلته . والجهول : مبالغة فى الجاهل ، ولو ترك المبالغة فى ذلك لكان اليبق بما يقصد من المبالغة فى المدح ، ولعله يعنى أن الجهول هو الذى يظن ذلك ، أما غيره فيعرف أنه لا حاجة له فيها لكمال غناه .

فلولا أن قصده أن يتناسى التشبيه ويصمم على إنكاره فيجعله ضاعداً في
السماء من حيث المسافة المكانية لما كان لهذا الكلام وجهٌ.

وكما قال ابن الرومي :

يَا أَلْ نُوبِخْتُ لَا عَدِمْتُكُمْ وَلَا تَبَدَّلْتُ بَعْدَكُمْ بَدَلًا^(١)
إِنْ صَحَّ عِلْمُ النُّجُومِ كَانَ لَكُمْ حَقًّا إِذَا مَا سَوَاكُمْ ائْتَحَلًا^(٢)
كَمْ عَالِمٍ فِيكُمْ وَلَيْسَ بِأَنْ قَاسَ وَلَكِنْ بِأَنْ رَقَى فَعَلًا^(٣)
أَعْلَاكُمْ فِي السَّمَاءِ مَجْدُكُمْ فَلَسْتُمْ تَجْهَلُونَ مَا جَهَلًا
شَافَهُمْ الْبَدْرُ بِالسُّؤَالِ عَنْ أَلْ أَمْرٍ إِلَى أَنْ بَلَّغْتُمْ زُحَلًا^(٤)

وكما قال بشار :

أَتَنَى الشَّمْسُ زَائِرَةً وَلَمْ تَكُ تَبْرَحُ الْفَلَكَ^(٥)

وكما قال أبو الطيب :

كَبُرَتْ حَوْلَ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدَتْ مِنْهَا الشُّمُوسُ وَلَيْسَ فِيهَا الْمَشْرِقُ^(٦)

(١) الأبيات لعلى بن العباس المعروف بابن الرومي في مدح أبي سهل
النوبختي ، ولآل نوبخت شهرة بالفلك والنجوم والحكمة ، وكان جدهم نوبخت منجما
للمنصور .

(٢) قوله « ائتحل » بمعنى ادعى لنفسه شيئاً هو لغيره .

(٣) يعنى بقوله « قاس » : أخذ علم النجوم بطريق القياس والمضاهاة والتخمين ،
وقوله « فعل » معطوف على رقى ، والشاهد في قوله « رقى » ، وما بعده من قوله
« أعلاكم في السماء الخ » فقد استعار فيه العلو الحسى للارتفاع في المجد ، ثم تناسى
التشبيه وبنى عليه أنهم أخذوا علم النجوم عن الكواكب بالمشافهة .

(٤) زحل : أعلى الكواكب السيّارة .

(٥) هو لبشار بن برد ، وقوله « تبرح » بمعنى تفارق ، وقد استعار الشمس
لمحبوبته ، ثم تناسى التشبيه فبنى عليه قوله « ولم تك تبرح الفلكا » .

(٦) يعنى بقوله « كبرت » قوله « الله أكبر » تعجباً ، والشاهد في أنه استعار
الشموس لمدوحيه ، ثم تناسى التشبيه فتعجب من طلوعها من ديارهم بالمغرب مع أنها
إنما تطلع من المشرق .

وكما قال غيره :

ولم أرَ قبلى من مشى البدرُ نحوهَ . ولا رجلاً قامت تعانقه الأسدُ^(١)
ومن هذا الفن^(٢) ما سبق من التعجب والنهى عنه^(٣) ، غير أن مذهب
التعجب على عكس مذهب النهى عنه ؛ فإن مذهبه إثبات وصف ممتنع ثبوته
للمستعار منه^(٤) ، ومذهب النهى عنه إثبات خاصة من خواص المستعار منه^(٥) .
وإذا جاز البناء على المشبه به^(٦) مع الاعتراف بالمشبه - كما فى قول
العباس بن الأحنف :

هى الشمسُ مسكنها فى السماء فعزَّ الفؤادَ عزاءً جميلاً^(٧)
فلن تستطيع إليها الصعود ولن تستطيع إليك التزولا
وقول سعيد بن حميد :

قلتُ: زورى فأرسلتُ: أنا آتيك سَحْرَه^(٨)

(١) الحق أن هذا البيت لأبى الطيب أيضاً لا لغيره كما ذكر الخطيب ، وهو من
قصيدة له فى مدح محمد بن سيار التميمي ، ورواية الديوان : البحر بدل البدر ،
وقبله :

فلما رآنى مقبلاً هزَّ نفسه إلىَّ حسامٌ كلُّ صفحٍ له حدٌ
والشاهد فى أنه استعار البدر والأسد لمدوحه ، ثم تناسى التشبيه فذكر أنه لم ير
قبله من مشى البدر إليه وعانقته الأسد .

(٢) يريد بهذا الفن أسلوب البناء على تناسى التشبيه . (٣) انظر ص ٩٩ .

(٤) كإثبات التظليل للشمس فى البيتين السابقين هناك .

(٥) كإثبات بلى الغلالة للقمر فى البيت السابق هناك ؛ فإنه من خواصه فلا

يصح التعجب منه .

(٦) المراد بالبناء على المشبه به ذكر ما يلائمه ، وبالإعتراف بالمشبه ذكره وعدم

ادعاء دخوله فى المشبه به ، والمقصود من هذا زيادة تقرير ما سبق من البناء على تناسى
التشبيه .

(٧) قوله « فعز » بمعنى أحمله على العزاء وهو الصبر ، والعزاء الجميل : هو الذى

لا قلق معه ، يعنى أنها إذا كانت كذلك فلا فائدة فى طلبها ، والشاهد فى أنه شبه
محبوبته بالشمس ثم بنى على هذا ما يلائم المشبه به وهو أن مسكنها فى السماء الخ .

(٨) السحرة : هى السحر الأعلى ويكون قبيل الصبح .

قلتُ فالليلُ كانُ أخْرُ في وأدْنَى مسرَّة

فأجابت بحجَّة زادت القلبَ حسرة

أنا شمسٌ وإنما تطلعُ الشمسُ بكرة^(١)

فلأن يجوزُ مع جحده في الاستعارة أولى .

ومن هذا الباب ^(٢) قول الفرزدق :

أبى أحمدُ الغيثُ صَعَصَعَةُ الذي متى تُخلفِ الجوزاءَ والدُّلو يُمطرُ

أجارَ بناتِ الوائدينَ ومن يُجرُ على الموتِ فاعلم أنه غيرُ مُخْفِرٍ^(٣)

ادَّعى لأبيه اسمَ الغيثِ ادَّعاءً من سلَّم له ذلك ، ومن لا يخطر بباله أنه

متناولٌ له من طريق التشبيه .

وكذا قول عدى بن الرُّقاع يصف حمارين وحشيين :

يتعاوران من الغبار ملاءً بيضاءَ محكمةً هما نسَجاها^(٤)

(١) البكرة : أول النهار وهي ملابسة للسحرة التي وعدته بأنها تأتيه فيها ، ويجوز أن يكون مرادها أنها تبتدىء الذهاب إليه سحرةً وتنتهى إليه بكرة ، والشاهد في أنها شُبهت نفسها بالشمس ثم بنت على هذا ما يلائم المشبه به وهو أنها إنما تطلع بكرةً .

(٢) أى باب البناء على المشبه به مع الاعتراف بالمشبه .

(٣) هما لهمام بن غالب المعروف بالفرزدق ، وأحمد الغيث : أحقهما بالحمد ، وهو خبر (أبى) ، وصعصعة : بدل أو بيان وهو جد الفرزدق ، والجوزاء والدلو : برجان في السماء يكثر فيهما المطر ، وكان العرب إذا وافق سقوط النجم مطراً نسبوه إليه ، وقالوا : سقينا بالنجم . وإذا أخطأهم المطر قالوا : أخطأنا النجم . والوائدون : اسم فاعل من الوأد وهو ما كانوا يفعلونه من قتل بناتهم خوف العار أو الفقر ، وكان صعصعة جد الفرزدق يشتريهن ويحميهن من الموت ، والمخفر : اسم فاعل من أخفر بمعنى أزال الخفارة وهي اسم من خفره بمعنى منعه وحماه ، والشاهد في قوله « أبى أحمد الغيث » لأنه يتضمن تشبيهه بالغيث ، وقد بنى على ذلك ما يلائم المشبه به وهو أنه يُمطر إذا أخلفت الجوزاء والدلو .

(٤) قوله « يتعاوران » يتناوبان .

تُطَوَّى إذا وردًا مكاناً مُحْزَنًا وإذا السَّنَابِك أسهلت نَشْرَاهَا^(١)

● المجاز المركب أو التمثيل :

وأما المجاز المركب فهو اللفظ المركب المستعمل فيما شُبِّهَ بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل^(٢) للمبالغة في التشبيه^(٣) ؛ أى تشبيه إحدى صورتين متتريتين من أمرين أو أمورٍ بالأخرى^(٤) ، ثم تدخل المشبهة فى جنس المشبه بها مبالغةً فى التشبيه ، فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه . كما كتب به الوليد بن يزيد^(٥) - لما بويع - إلى مروان بن محمد وقد بلغه أنه متوقف فى البيعة

(١) قوله « تطوى » بمعنى تلف فتزول عنهما ، والمكان المحزن : هو الذى تغلظ أرضه فلا يكون فيها غبار ، والسنايك جمع سنك : وهو طرف الحافر ، وقوله : « أسهلت » بمعنى وردت المكان السهل . والشاهد فى أنه شبه الغبار بالملاءة وهى ثوب معروف ، ثم بنى على ذلك ما يلائمها من النسج والطنى و النشر .

(٢) هذا يفيد أن المجاز المركب لا يكون فى المجاز المرسل كما يكون فى الاستعارة ، وإلحق أنه يكون فى المرسل أيضاً ؛ ومن ذلك استعمال الخبر فى الإنشاء وبالعكس ، والعلاقة فىهما الضدية أو اللزوم ، كقول الشاعر :

ألا يا اسلمى يا دار مى على البلى ولا زال مُنْهَلًا بجرعائك القطرُ
وقول الآخر :

ومن ذا الذى تُرْضى سجاياه كُلُّها كفى المرء نبلاً أن تُعدَّ معاييه
(٣) يشير بهذا إلى اتحاد الغاية فى المجاز المفرد والمركب وهى المبالغة فى التشبيه ، ولا يقصد به الاحتراز عن شيء .

(٤) إنما فسر التعريف بهذا للدفع ما يوهمه قوله فيه - تشبيه التمثيل - من أن طرفى المجاز المركب قد يكونان مفردين ؛ لأن تشبيه التمثيل ما كان وجهه متزعماً من متعدد ولو كان طرفاه مفردين ؛ كقول الشاعر :

وقد لاح فى الصبح الثرى لمن رأى كعنقود ملاحية حين نوراً
(البيت قيل لقيس بن الخطيم ، وقيل لابن قيس بن الأسلت الأوسى - انظر أسرار البلاغة « ريت » ص ٨٤ ، ٨٥) .

فإذا قيل فيه على طريق الاستعارة « رأيت عنقود ملاحية فى السماء » كان هذا مجازاً مفرداً لا مركباً وإن كان أصله تشبيه تمثيل ، ولا وجه عندى للتفريق فى هذا بين التشبيه والاستعارة .

(٥) ذكر الجاحظ فى البيان والتبيين أن هذا كان مع يزيد بن الوليد ، وهو الظاهر من تاريخ مروان معهما .

له : « أما بعد فإنني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى^(١) فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت ، والسلام » شبه صورة تردده في المباينة بصورة تردد من قام ليذهب في أمر ، فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلاً ، وتارة لا يريد فيؤخر أخرى^(٢) ، وكما يقال لمن يعمل في غير معمل : « أراك تنفخ في غير فحم^(٣) وتخطئ على الماء » والمعنى أنك في فعلك كمن يفعل ذلك . وكما يقال لمن يعمل الحيلة حتى يُميل صاحبه إلى ما كان يمتنع منه : « ما زال يقتل منه في الذروة والغارب حتى بلغ منه ما أراد » والمعنى أنه لم يزل يرفق بصاحبه رفقاً يشبه حاله فيه حال من يجيء إلى البعير الصعب فيحكّه ، ويقتل الشعر في ذروته وغاربه^(٤) حتى يسكن ويستأنس . وهذا في المعنى نظير قولهم « فلان يقرّد فلاناً » أى يتلطف به فعل من ينزع القرد^(٥) من البعير ليلتذ بذلك فيسكن ويثبت في مكانه حتى يتمكن من أخذه . وكذا قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾^(٦) فإنه لما كان التقدم بين يدي الرجل خارجاً عن صفة المتابع له ، صار النهي عن التقدم متعلقاً باليدين ميلاً للنهي عن ترك الاتباع . وكذا قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ

(١) لم يرضوا هنا أن تُجرى هذه العبارة على ظاهرها وهو أنه يقدم رجلاً ويؤخر رجلاً أخرى ؛ لأنهم فهموا ذلك على أنه يقدم رجلاً إلى الأمام ويؤخر أخرى إلى الخلف ، وهذا لا يفعله المتردد ، فتقديرها عندهم أنه يقدم رجلاً تارة ويؤخرها تارة أخرى ، وهذا عندي تقدير فاسد لأن المتردد لا يفعله أيضاً ، والحق هو التقدير الأول الذي يفيد ظاهر العبارة ، ولا يراد فيه بتأخير الأخرى إرجاعها إلى الوراء ، وإنما يراد بذلك أنه يؤخرها عن الأولى فلا يقدمها معها .

(٢) ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية التمثيلية ، وهكذا يقال في سائر الأمثلة .

(٣) أى تنفخ ناراً في غير فحم ، وهو بفتح الحاء : الجمر الطافئ .

(٤) الذروة : أعلى السنام ، والغارب : ما بين السنام والعنق ، وقد يطلق على

الذروة .

(٥) هو دؤيبة كالقمل تتعلق بالبعير ونحوه .

(٦) الحجرات : ١ .

القيامة ﴿١﴾ إذ المعنى - والله أعلم - أن مثل الأرض في تصرفها تحت أمر الله تعالى وقدرته مثل الشيء يكون في قبضة الآخذ له منّا ، والجامع يده عليه . وكذا قوله تعالى : ﴿ والسماوات مطويات بيمينه ﴾ (٢) أى يخلق فيها صفة الطي حتى ترى كالكتاب المطوى بيمين الواحد منا ، وخص اليمين ليكون أعلى وأفخم للمثل ؛ لأنها أشرف اليدين وأقواهما والتي لا غناء للآخرى دونها ؛ فلا يهش إنسان لشيء إلا بدأ بيمينه فهيأها لئيله ، ومتى قصد جعل الشيء في جهة العناية جعل في اليد اليمنى ، ومتى قصد خلاف ذلك جعل في اليسرى ، كما قال ابن ميادة :

ألم تك في يميني يديك جعلتني فلا تجعلني بعدها في شمالكا (٣)
أى كنت مكرماً عندك فلا تجعلني مهاناً ، وكنت في المكان الشريف منك فلا تحطني في المنزل الوضيع . وكذا إذا قلت للمخلوق : « الأمر بيدك » أردت المثل ؛ أى الأمر كالشيء يحصل في يدك فلا يمتنع عليك . وكذا قوله تعالى : ﴿ ولما سكّت عن موسى الغضب ﴾ (٤) قال الزمخشري : كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له : قل لقومك كذا وألق الألواح وجر برأس أخيك إليك ، فترك النطق بذلك وقطع الإغراء (٥) . ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذى طبع سليم وذوق صحيح إلا لذلك ، ولأنه من قبيل شعب البلاغة (٦) ، وإلا فما لقراءة معاوية بن قرة ﴿ ولما سكن عن موسى

(٢) الزمر - ٦٧

(١) الزمر - ٦٧

(٣) هو للرمح بن ميادة ، والاستفهام في قوله « ألم تك » للتقرير ، والشاهد في تشبيهه صورة إكرامه له بصورة من يجعل الشيء في يمينه لإكرامه ، وفي تشبيهه صورة إهانته له بصورة من يجعل الشيء في شماله لإهانته .

(٤) الأعراف : ١٥٤

(٥) فشبت الحالة الناشئة عن الغضب بالحالة الناشئة عن إغراء مغر ، واستعيرت الحالة الثانية للأولى على طريق التمثيل . ويجوز إجراء الاستعارة في « سكّت » بتشبيهه سكوت الغضب بالسكوت ، أو في الغضب بتشبيهه بإنسان يسكت ، فتكون تصريحية تبعية أو مكنية .

(٦) يعنى أن حسن هذه الكلمة إنما أتى من كونها على طريق التمثيل ومن كون التمثيل من فروع البلاغة ؛ لأنه من الاستعارة وهى أبلغ من الحقيقة ، ويعنى بالبلاغة ما يرادف الفصاحة .

الغضب» (١) لا تجدد النفس عندها شيئاً من تلك الهزة ، وطرفاً من تلك الروعة (٢) . وأما قولهم « اعتصمت بحبله » فقال الزمخشري أيضاً : يجوز أن يكون تمثيلاً لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتسك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه ، وأن يكون الحبلُ استعارةً لعهد ، والاعتصامُ لوثوقه بالعهد أو ترشيحاً لاستعارة الحبل بما يناسبه (٣) . وكذا قول الشماخ :

إذا ما رايةٌ رفعت لمجد تلقّاها عرابةٌ باليمين (٤)

الشبه فيه مأخوذ من مجموع التلقّي واليمين ، على حد قولهم : « تلقّيته بكلتا اليدين » ولهذا لا تصلح حيث يُقصدُ التجوز فيها وحدها ؛ فلا يقال « هو عظيم اليمين » بمعنى عظيم القدرة ، ولا « عرفتُ يمينك على هذا » بمعنى : عرفت قدرتك عليه .

ومثله قول الآخر :

هونٌ عليك ؛ فإنّ الأمورَ بكفّ الإله مقاديرها (٥)

وكذا ما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « إن أحدكم إذا تصدّق بالتمرة من الطيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - جعل الله ذلك في كفه فيربّيها كما يربّي أحدكم فلوله (٦) حتى يبلغ بالتمرة مثل أحد » والمعنى فيهما (٧) على انتزاع الشبه من المجموع .

(١) الأعراف : ١٥٤ .

(٢) فالسبب في هذا هو خلوها من التمثيل ؛ لأن إسناد السكون إلى الغضب لا تمثيل فيه .

(٣) يعني أن الاعتصام على أن الحبل استعارة للعهد : إما أن يكون استعارة للوثوق أو ترشيحاً لاستعارة الحبل للعهد ، وكل ذلك من المجاز المفرد لا المركب .

(٤) هو للشماخ بن ضرار يمدح به عرابة الأوسى المذكور في قوله قبله :

رأيت عرابة الأوسى يسمو إلى الخيرات منقطع القرين

استعيرت هيئة تلقى الشيء باليمين لهيئة اقتداره على نيل المجد .

(٥) هو للأعور الشنّي ، واسمه بشر بن منقذ ، والمقادير : جمع مقدار الأمر أي

مبلغه ، أو تقديره بخير أو شر . والشاهد في قوله « بكفّ الإله مقاديرها » فإنه تمثيل أيضاً .

(٦) الفلول : الجحش والمهر فطماً أو بلغاً السّنة ، وقد استعير في ذلك وضع

الشيء في الكف وتمنيته لإجزال الله الثواب للمتصدق .

(٧) أي في البيت والحديث .

وكلُّ هذا^(١) يسمَّى التمثيلَ على سبيل الاستعارة ، وقد يسمَّى التمثيلَ مطلقاً ، ومتى فشا استعماله كذلك^(٢) سُمِّيَ مثلاً . ولذلك لا تُغيَّر الأمثال^(٣) .

ومما بُنِيَ على التمثيل نحو قوله تعالى : ﴿ إِن فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾^(٤) معناه لمن كان له قلب ناظرٌ فيما ينبغي أن يُنظر فيه ، وإعٍ لما يجب وعيه ، ولكن عدل عن هذه العبارة ونحوها إلى ما عليه التلاوة^(٥) بقصد البناء على التمثيل ليفيد ضرباً من التخيل ؛ وذلك أنه لما كان الإنسان حين لا ينتفع بقلبه فلا ينظر فيما ينبغي أن يُنظر فيه ، ولا يفهم ولا يعي ، جعل كأنه قد عدم القلب جملةً ، كما جعل من لا ينتفع بسمعه وبصره فلا يفكر فيما يؤدِّيان إليه بمنزلة العادم لهما ، ولزم على هذا ألاَّ يقال « فلان له قلب » إلا إذا كان ينتفع بقلبه فينظر فيما ينبغي أن يُنظر فيه ويعي ما يجب وعيه ، فكان في قوله تعالى : ﴿ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ تخييلٌ أن من لم ينتفع بقلبه كالعادم للقلب جملةً ، بخلاف نحو قولنا « لمن كان له قلب ناظر فيما ينبغي أن يُنظر فيه ، وإعٍ لما يجب

(١) أى ما سبق من أمثلة المجاز المركب .

(٢) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال ، أى فشا استعماله باقياً على هيئته فى

حال مورده من غير تغيير .

(٣) لأنها تستعمل على سبيل الاستعارة ؛ فيجب أن يبقى لفظها على حاله من

غير تغيير ، وتجرى الاستعارة فيها بأن تُشَبَّه صورة مضرِبها بصورة موردها ، ثم يستعار لفظها لها ، وعلى هذا يكون كل مثل استعارة ، ولا عكس ، ومن أمثالهم « أحشفاً وسوءَ كيلة ؟ ! » يُضْرَبُ لِمَن يُظْلَمُ مِن جِهَتَيْنِ ، وتُشَبَّه فيه هَيْئَةُ مَن يُظْلَمُ مِن جِهَتَيْنِ بهيئة رجل اشترى من آخر حشفاً بتطفيف فى الكيل فقال له « أحشفاً وسوءَ كيلة ! » ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية .

(٤) آية ٣٧ سورة ق .

(٥) بالاقتصار على قوله « لمن كان له قلب » دون وصفه بما ذكر .

وعيه»^(١) وفى نظم الآية فائدةٌ أخرى شريفة وهى تقليل اللفظ مع تكثير المعنى . ونقل الشيخ عبد القاهر^(٢) عن بعض المفسرين أنه قال : « المراد بالقلب العقل » ، ثم شدد عليه النكير فى هذا التفسير ، وقال : « وإن كان المرجعُ فيما ذكرناه عند التحصيل إلى ما ذكره ، ولكن ذهب عليه أن الكلام مبنى على تخيل أن من لا ينتفع بقلبه فلا ينظر ولا يعى بمنزلة من عَدِمَ قلبه جملة^(٣) ، كما تقول فى قول الرجل إذا قال : « قد غاب عني قلبى ، أو ليس يحضرني قلبى » إنه يريد أن يخيل إلى السامع أنه غاب عنه قلبه بجملته ، دون أن يريد الإخبار أن عقله لم يكن هناك ، وإن كان المرجع عند التحصيل إلى ذلك ، وكذا إذا قال « لم أكن هناك » ، يريد غفلته عن الشيء ، فهو يضع كلامه على التخيل » .

هذا معنى كلام الشيخ ، وهو حق ؛ لأن المراد بالآية الحث على النظر والتفريع على تركه ، فإن أراد هذا المفسر بتفسيره أن المعنى : لمن كان له عقل مطلقاً ، فهو ظاهر الفساد^(٤) ، وإن أراد أن المعنى : لمن كان له عقل ينتفع به ويعمله فيما خلق له من النظر : فتفسير القلب بالعقل ثم تقييد العقل بما قيده عَرَى عن الفائدة ؛ لصحة وصف القلب بذلك^(٥) بدليل قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾^(٦) .

واعلم أن المثل السائر لمّا كان فيه غرابة ، استُعير لفظة المثل للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة^(٧) . وهو فى القرآن كثير كقوله

(١) فهو لا يفيد فقد القلب من أصله ولا يخيله ؛ لأن الفقد فيه ينصبُّ على القيد دون المقيد وهو القلب . (٢) ٤٠٩ - أسرار البلاغة ، ١٩٨ دلائل الإعجاز . (٣) فيفيد نفى العقل وآلته فى الجسم وهى القلب الذى هو محل الإدراك فى عرف الناس ، أما حمله على العقل فيفيد نفيه وحده دون آلته ، والأول أبلغ . (٤) لأن المقصودين بذلك فى الآية ومن على شاكلتهم كانت لهم عقول ، ومع هذا لم يكن فى ذلك ذكرى لهم .

(٥) والكلام إذا أمكن حمله على ظاهره لم يَجْزُ العدول عنه إلا لفائدة .

(٦) الأعراف - ١٧٩ .

(٧) استعارة لفظ (المثل) لذلك استعارة تصريحية مفردة وليست من التمثيل ، =

تعالى : ﴿مِثْلُهُمْ كَمِثْلِ الذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ ^(١) أى حالهم العجيبة الشأن كحال
الذى اسْتَوْقَدَ نَارًا . وكقوله تعالى : ﴿وَلِلّٰهِ الْمِثْلُ الْأَعْلَى﴾ ^(٢) أى الوصف
الذى له شأنٌ من العظمة والجلالة ، وكقوله تعالى : ﴿مِثْلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ ^(٣)
أى صفتهم وشأنهم الْمُتَعَجَّبُ منه ^(٤) ، وكقوله تعالى : ﴿مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ
الْمُتَّقُونَ﴾ ^(٥) أى فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ، ثم أخذ
فى بيان عجائبها ^(٦) ، إلى غير ذلك .

﴿فصل﴾

الاستعارة المكنية والتخييلية : قد يُضَمَّرُ التشبيه فى النفس فلا يُصرَّح
بشئ من أركانه سوى لفظ المشبه ، ويدلُّ عليه ^(٧) بأن يُثَبَّتَ للمشبه أمرٌ مختصٌ
بالمشبه به من غير أن يكون هناك أمرٌ ثابتٌ حسًّا أو عقلاً أُجْرِىَ عليه اسمُ ذلك
= وقد توجد مع هذا ضمن تمثيل كما فى الآية الأولى ، وإنما ذكر هنا استعارة لفظ المثل
لمناسبة الكلام على استعارته فيما سبق ، على أنه مع هذا لم يخرج عن كونه كلاماً فى
الاستعارة .

(٢) النحل : ٦٠ .

(١) البقرة - ١٧ .

(٣) سورة الفتح - ٢٩ .

(٤) هو ما بيَّنه بقوله ﴿كَزْرَعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ
يَعْجَبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ الآية .

(٥) سورة محمد ﷺ آية ١٥ .

(٦) أى فى قوله بعد هذا ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ
طَعْمُهُ﴾ الآية . هذا وكل كلام الخطيب فى هذا الفصل يدور على الاستعارة
التصريحية ، أما الاستعارة المكنية والتخييلية فسيذكرهما فى الفصل الآتى ، ولا شك أن
ما مضى من الأقسام والأحكام لا يختصُّ كُلُّهُ بالاستعارة التصريحية ؛ ولهذا جعل غيره
تلك الأقسام للاستعارة من غير تقييد بتصريحية أو غيرها .

(٧) أى على ذلك التشبيه المضمر فى النفس ، ويمتاز هذا التشبيه على التشبيه
الاصطلاحي بما يمتاز به الاستعارة من المبالغة فى التشبيه .

الأمر^(١) فيسمى التشبيه استعارةً بالكناية، أو مكنياً منها ، وإثبات ذلك الأمر
للمشبه استعارةً تخيلية^(٢) . والعلم^(٣) في ذلك قول لبيد :

وَعَدَاةَ رِيحٍ قَدْ كَشَفَتْ وَقَرَّةً إِذْ أَصْبَحَتْ يَدِ الشَّامِلِ زَمَامُهَا^(٤)

فإنه جعل للشمال يداً ، ومعلوم أنه ليس هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً
تجرى اليد عليه ؛ كإجراء الأسد على الرجل الشجاع ، والصراط على ملة
الإسلام فيما سبق^(٥) ، ولكن لما شبه الشمال لتصريفها القرّة - على حكم

(١) يعنى بهذا ألا يكون فى المشبه أمرٌ حسى أو عقلى يُطلق عليه اسم الأمر
المختص بالمشبه به ، وهذا على مذهبه فى أن قرينة المكنية لا تكون إلا تخيلية ، وسيأتى
بيان الخلاف فى ذلك .

(٢) على هذا تكون الاستعارتان عنده أمرين معنويين غير داخليين فى تعريف
المجاز ، وقد أفردهما فى هذا الفصل ليستوفى المعانى التى يُطلق عليها اسم الاستعارة
بطريق الاشتراك اللفظى ، والمذاهب فى الاستعارتين ثلاثة : مذهب الخطيب ،
السابق ، ومذهب القدماء ؛ وهو أن المكنية هى اسم المشبه به المستعار فى النفس
للمشبه ، وأن التخيلية هى إثبات لازم المشبه به للمشبه ، ومذهب السكاكى ؛ وهو أن
المكنية هى لفظ المشبه المستعمل فى المشبه به ادّعاء ، وأن التخيلية هى اسم لازم المشبه به
المستعار للصورة الوهمية التى أُثبتت للمشبه . والمكنية على مذهب القدماء والسكاكى
داخلة فى المجاز اللغوى ، وكذلك التخيلية على مذهب السكاكى ، وقد قيل : إن
التخيلية على مذهب القدماء والخطيب داخلية فى المجاز العقلى ، ولا يخفى أن هذا إنما
يصح عند الخطيب إذا كان لازم المشبه به فعلاً أو ما فى معناه ، كقولك « نطق الحبال
بكذا » بخلاف نحو « أنشبت المنية أظفارها بفلان » . على أنه قد سبق أن المجاز العقلى
لا يقوم على أساس التشبيه ، والتخيلية عند القدماء والخطيب تقوم على أساسه ؛ لأنها
إثبات لازم المشبه به للمشبه ، فلا توجد إلا ومعها تشبيه قطعاً . وإنى أرى أن هذا
الخلاف قليل الثمرة ؛ لأن الأمر فيه يرجع إلى توجيه الاستعارتين فقط ، وكلها
توجيهات محتملة .

(٣) أى المثال المشهور شهرة العلم .

(٤) هو للبيد بن ربيعة العامرى . والواو فى قوله « وعداة » واو ربّ ،
والقرّة : البرد ، والشمال : أبرد الرياح ، يفتخر بأنه يمنع عادية البرد عن الناس
باطعامهم وإيقاد النار لهم ؛ لأن ذلك وقت الجذب عندهم .

(٥) فى الاستعارة التحقيقية وهى التصريحية .

طبيعتها فى التصريف - بالإنسان المصروف لما زمامه بيده؛ أثبت لها يداً على سبيل التخييل مبالغةً فى تشبيهها به ، وحكمُ الزمام فى استعارته للقرة^(١) حكم اليد فى استعارتها للشمال ، فجعل للقرة زماماً ليكون أتمَّ فى إثباتها مصرفةً ، كما جعل للشمال يداً ليكون أبلغ فى إثباتها مصرفةً ، فوقى المبالغة حقها من الطرفين؛ فالضمير فى « أصبحت وزمامها » للقرة ، وهو قول الزمخشري ، والشيخ عبد القاهر جعله للغداة^(٢) . والأول أظهر .

واعلم أن الأمر المختص بالمشبه به المثبت للمشبه ، منه ما لا يكمل وجه الشبه فى المشبه به بدونه ، كما فى قول أبى ذؤيب الهذلي :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ^(٣)

فإنه شبه المنية بالسبع فى اغتيال النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاعٍ وضرارٍ ولا رقةٍ لمرحومٍ ، ولا بقيا على ذى فضيلة ، فأثبت للمنمية الأظفار التى لا يكمل ذلك فى السبع بدونها ؛ تحقيقاً للمبالغة فى التشبيه^(٤) .

ومنه ما به يكون قوام وجه الشبه فى المشبه به ، كما فى قول الآخر :

وَلَمَّا نَطَقْتُ بِشُكْرِ بَرِّكَ مُفْصِحاً فِلْسَانُ حَالِي بِالشَّكَايَةِ أَنْطَقُ^(٥)

(١) أى بعد تشبيهها بالمطية وحذف المشبه به؛ ففى هذا استعارة مكنية وتخييلية

أيضاً . (٢) ٥٢ - أسرار البلاغة .

(٣) المنية : الموت ، وقوله « أنشبت » بمعنى علقت ، وقوله « ألفت » بمعنى

وجدت ، والتميمة : خرزة يجعلونها معاذة من العين والجن ، وأبو ذؤيب : هو خويلد بن خالد .

(٤) إنما كانت الأظفار مكملية لذلك لأنه يمكن حصوله بالأنياب ونحوها .

(٥) هو لمحمد بن عبد الله العتبي ، والبر : المعروف ، وقوله « فلسان حالى

الخ » قائم مقام جواب الشرط ، وتقديره : فإن لسان مقالى لا يكون أقوى من لسان حالى ، وهذا لأن ضره أكثر من بره . وقبل البيت :

لَا تَحْسَبَنَّ بِشَاشَتِي لَكَ عَنْ رِضَا فَوْحُ فَضْلِكَ إِنِّي أَتَمَلَّقُ

فإنه شبه الحال الدالة على المقصود بإنسان متكلم فى الدلالة؛ فأثبت لها اللسان الذى به قوام الدلالة فى الإنسان (١).

وأما قول زهير :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعري أفراس الصبا ورواحله (٢)

فيحتمل أن يكون استعارة تخيلية وأن يكون استعارة تحقيقية ؛ أما التخيل فأن يكون أراد أن يبين أنه ترك ما كان يرتكبه أو أن المحبة من الجهل والغنى ، وأعرض عن معاودته؛ فتعطلت آلاته كأي أمر وطئت النفس على تركه؛ فإنه تهمل آلاته فتعطل ، فشبه الصبا بجهة من جهات المسير كالبحر والتجارة قضى منها الوطر فأهملت آلاتها فتعطلت (٣) ، فأثبت له الأفراس والرواحل (٤) ؛ فالصبا على هذا من الصبوة بمعنى الميل إلى الجهل والفتوة لا بمعنى الفتاة (٥). وأما التحقيق فأن يكون أراد بالأفراس والرواحل دواعى النفوس وشهواتها والقوى الحاصلة لها فى استيفاء اللذات ، أو الأسباب التى قلما تتأخذ فى اتباع الغنى إلا أوان الصبا (٦) .

(١) يجوز أن يكون قوله « لسان حالى » من إضافة المشبه به إلى المشبه ، فيكون تشبيها لا استعارة .

(٢) هو لزهير بن أبى سلمى ، وقوله « صحا » هو فى الأصل بمعنى الإفاقة من سكر ونحوه ، وهو مستعار هنا للسُّلُوّ وزوال العشق ، وقوله « أقصر » بمعنى امتنع عن قدرة . وفى العبارة قلب والأصل : وأقصر عن باطله ، ويجوز أن يكون معناه مطلق الامتناع فلا يكون فى العبارة قلب . والرواحل : جمع راحلة وهى القوى من الإبل على الأحمال والأسفار .

(٣) هذا التشبيه استعارة مكنية . (٤) إثبات ذلك له استعارة تخيلية .

(٥) المراد بالفتوة : استيفاء اللذات ، وبالفداء : زمن الشباب .

(٦) هذه الأسباب كالمال والأعوان ، والتحقيق على إرادتها حسى ، وعلى إرادة دواعى النفوس عقلية ، والاستعارة عليهما تحقيقية تصريحية ، والصبا فيهما من الصباء بمعنى الفتاة لا من الصبوة ؛ لأنها هى الدواعى المرادة من الأفراس ، فلا تصح إضافته إليها ، وعلى هذا لا يكون فى ذلك استعارة مكنية ولا تخيلية ؛ لأنهما متلازمان عند الخطيب ، وقد جاوز الزمخشري أن تكون قرينة المكنية استعارة =

❖ فصل ❖

اعتراضات على السكاكى :

اعلم أن كلام السكاكى فى هذا الباب - أعنى باب الحقيقة والمجاز والفصل الذى يليه - مخالف لمواضع مما ذكرنا ؛ فلا بد من التعرض لها وبيان ما فيها .

اعتراض عليه فى تعريف الحقيقة والمجاز : منها أنه عرّف الحقيقة اللغوية بالكلمة المستعملة فيما هى موضوعة له من غير تأويل فى الوضع^(١) وقال : إنما ذكرت هذا القيد يعنى قوله « من غير تأويل فى الوضع » ليحترز به عن الاستعارة ؛ ففى الاستعارة تعد الكلمة مستعملة فيما هى موضوعة له على أصح القولين^(٢) ، ولا نسميها حقيقة بل نسميها مجازاً لغوياً ؛ لبناء دعوى المستعار موضوعاً للمستعار له على ضرب من التأويل كما مر^(٣) .

ثم عرّف المجاز اللغوى بالكلمة المستعملة فى غير ما هى موضوعة له

= تحقيقية ، كما فى قوله تعالى : ﴿ الذين ينقضون عهد الله ﴾ ي ٢٧ - س البقرة - فقد شبه العهد بالحلل على طريق الاستعارة المكنية ، ثم استعير النقض وهو قرينتها لإبطال العهد على طريق الاستعارة الحقيقية التصريحية ، وعلى هذا يصح اجتماع المكنية والتصريحية فى (أفراس الصبا) .

هذا ولا يفوتنى فى هذا الفصل أن أشير إلى أن عبد القاهر فى شرح بيت لبيد : « وغداة ريح . . . البيت » لم يذكر إلا أن إثبات اليد للشمال تخيل ، ولم يتعرض بعده لاستعارة بالكناية ولا غيرها ، وإنى أرى أن تقدير التخيل فى ذلك ونحوه يغنى عن تقدير الاستعارة المكنية .

(١) ١٩١ - المفتاح .

(٢) هو القول بأنها مجاز لغوى ، فيجب عليه الاحتراز عنها لكونها مستعملة فى غير معناها الحقيقى . وأما على القول بأنها مجاز عقلى فلفظها يكون مستعملاً فى معناه الحقيقى ؛ فلا يصح الاحتراز عنها ، وعلى هذا يكون قوله « على أصح القولين » متعلقاً بقوله « ليحترز » أو باستعارة ، وكان الأولى ذكره بعدهما كما جاء فى التلخيص .

(٣) يريد بالتأويل دعوى دخول المشبه فى جنس المشبه به .

بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها^(١) مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع^(٢) وقال : قولي « بالتحقيق » احترازٌ عن ألاّ تخرج الاستعارة^(٣) التي هي من باب المجاز نظراً إلى دعوى استعمالها فيما هي موضوعة له على ما مرّ . وقوله « استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها » بمنزلة قولنا في تعريف المجاز « في اصطلاح به التخاطب » على ما مر ، وقوله « مع قرينة الخ » احتراز عن الكناية كما تقدم .

وفيهما نظر ؛ لأن لفظ الوضع وما يشتق منه إذا أُطلق لا يفهم منه الوضع بتأويل ، وإنما يفهم منه الوضع بالتحقيق ؛ لما سبق من تفسير الوضع ، فلا حاجة إلى تقييد الوضع في تعريف الحقيقة بعدم التأويل وفي تعريف المجاز بالتحقيق ، اللهم إلا أن يراد زيادة البيان لا تميم الحد ، ثم تقييد الوضع باصطلاح التخاطب ونحوه إذا كان لا بدّ منه في تعريف المجاز ليدخل فيه نحو لفظ « الصلاة » إذا استعملها المخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازاً ، فلا بد منه في تعريف الحقيقة أيضاً ليخرج نحو هذا اللفظ منه كما سبق ، وقد أهمله في تعريفها . لا يقال : قوله في تعريفها : « من غير تأويل في الوضع » أغنى عن هذا القيد ؛ فإن استعمال اللفظ فيما وُضع له في غير اصطلاح التخاطب إنما يكون بتأويل في وضعه ؛ لأن التأويل^(٤) في الوضع يكون في الاستعارة على أحد القولين^(٥) دون سائر

(١) فإذا كانت الحقيقة لغوية تكون الكلمة مستعملة في غير معناها اللغوي ، فتكون مجازاً لغوياً ، وإذا كانت شرعية تكون الكلمة مستعملة في غير معناها الشرعي فتكون مجازاً شرعياً ، وهكذا . (٢) ١٩٢ - المفتاح .

(٣) هذه العبارة فاسدة ؛ لأن الاحتراز بذلك عن خروج الاستعارة لا عن عدم خروجها ؛ فقوله « بالتحقيق » قيد للإدخال لا للإخراج . ويجوز تقدير اللام أي لثلاث تخرج فتصح العبارة .

(٤) تعليل للنفي في قوله « لا يقال الخ » .

(٥) هو القول بأنها مجاز لغوي ، والتأويل عليه بمعنى دعوى دخول المشبه في

جنس المشبه به .

أقسام المجاز^(١)، ولذلك قال: « وإنما ذكرت هذا القيد ليحترز به عن الاستعارة » . ثم تعريفه للمجاز يدخل فيه الغلط كما تقدم^(٢) .

الاعتراض عليه في جعل التمثيل من المجاز المفرد : ومنها أنه قسّم المجاز إلى الاستعارة وغيرها^(٣) وعرف الاستعارة بأن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدّعياً دخول المشبه في جنس المشبه به^(٤) ، وقسّم الاستعارة إلى المصريح بها والمكنى عنها ، وعنى بالمصرح بها أن يكون المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به^(٥) وجعلها ثلاثة أضرب : تحقيقية ، وتخييلية ، ومحتملة للتحقيق والتخيل^(٦) . « وفسر التحقيق بما مرَّ^(٧) وعدّ التمثيل على سبيل الاستعارة منها . وفيه نظر ؛ لأن التمثيل على سبيل الاستعارة لا يكون إلا مركباً كما سبق ، فكيف يكون قسماً من المجاز المفرد ؟ ! ولو لم يقيد الاستعارة بالإفراد وعرفها بالمجاز الذي أريد به ما شبه بمعناه الأصلي مبالغة في التشبيه دخل كلُّ من التحقيقية والتمثيل في تعريف الاستعارة^(٨) .

الاعتراض عليه في تعريف التخيلية : ومنها أنه فسر التخيلية بما استعمل في صورة وهمية محضة قدرتُ مُشابهةً لصورة محققة هي معناه ؛ كلفظ الأظفار في قول الهذلي^(٩) ؛ فإنه لما شبه المنية بالسبع في الأغتيال على

(١) فالذي يخرج به عن تعريف الحقيقة هو الاستعارة دون غيرها من أقسام المجاز فلا بدّ حينئذ من ذلك القيد معه .

(٢) لأنه لم يذكر فيه قيد « على وجه يصح » وهو الذي يخرج به الغلط كما سبق في تعريف الخطيب للمجاز .

(٣) ١٩٤ - المفتاح . (٤) ١٩٦ - المفتاح .

(٥) ١٩٨ - المفتاح .

(٦) يعنى بالمحتملة للتحقيق والتخيل نحو ما سبق من بيت زهير في ص ١٣٥ .

(٧) في ص ٩٠ .

(٨) أى ولم يعترض عليه بذلك ، وقد أجيب عن ذلك الاعتراض بأن القسم قد يكون أعم من مقسمه ، كما في تقسيم الأبيض إلى حيوان وغيره .

(٩) قد سبق في ص ١٣٤ .

ما تقدم ، أخذ الوهمُ فى تصويرها بصورته واختراع مثل ما يلائم صورته ويتم به شكله لها من الهيئات والجوارح ، وعلى الخصوص ما يكون قوام اغتياله للنفوس به . فاخترع للمنية صورةً مشابهةً لصورة الأظفار المحققة ، فأطلق عليها اسمها^(١) . وفيه نظر ؛ لأن تفسير التخيلية بما ذكره بعيد ؛ لما فيه من التعسف^(٢) ، وأيضاً فظاهر تفسير غيره لها بقولهم : « جعل الشيء للشيء كجعل ليد^(٣) للشمال يداً » يخالفه لاقتضاء تفسيره أن يجعلُ للشمال صورة متوهمةً مثل صورة اليد لا أن يجعل لها يداً ؛ فإطلاق اسم اليد على تفسيره استعارة ، وعلى تفسير غيره حقيقة ، والاستعارة إثباتها للشمال ، كما قلنا فى المجاز العقلى الذى فيه المسند حقيقة لغوية^(٤) وأيضاً فيلزمه أن يقول بمثل ذلك - أعنى بإثبات صورة متوهمة - فى ترشيح الاستعارة^(٥) ؛ لأن كل واحد من التخيلية والترشيح فيه إثبات بعض لوازم المشبه به المختصة به للمشبه ، غير أن التعبير عن المشبه فى التخيلية بلفظه الموضوع له ، وفى الترشيح بغير لفظه^(٦) ، وهذا لا يفيد فرقاً ، والقول بهذا يقتضى أن يكون الترشيح ضرباً من التخيلية ، وليس كذلك^(٧) . وأيضاً فتفسيره للتخيلية أعم من أن تكون تابعة

(١) ٢٠٠ - المفتاح .

(٢) باشماله على تلك الاعتبارات الكثيرة من تقدير الصورة الخيالية ، ثم تشبيهها بالمحققة ، ثم استعارة لفظها لها ، وهى اعتبارات لا دليل فى الكلام عليها ولا تدعو حاجةً إليها .

(٣) انظر ص ١٣٣ . (٤) نحو « أنبت الربيع البقل » .

(٥) كما فى قولك « رأيت أسداً يحارب له ليد » فهو يعنى ترشيح الاستعارة

التصريحية .

(٦) هو لفظ المشبه به كما هو شأن الاستعارة التصريحية .

(٧) لأن التخيل خاص بالمكنية ، والترشيح خاص بالتصريحية والمجاز المرسل ، ويمكن أن يجاب عن هذا بأن الترشيح للمبالغة فى الاستعارة والتخيل لحصولها ، ولا شك أن ما يقوى الشيء الحاصل يجدر به أن يسمى ترشيحاً ، وأن ما لا تعلم الاستعارة إلا به يجدر به أن يسمى استعارة . وقد قيل : إن الترشيح يأتى فى المكنية أيضاً ، =

للاستعارة بالكناية كما فى بيت الهدلى^(١) أو غير تابعة بأن يُتَخَيَّل ابتداءً صورةً وهميةً مشابهةً لصورة محققة فيستعار لها اسم الصورة المحققة ، والثانية بعيدة جداً ، ويدل على إرادته دخول الثانية فى تفسير التخييلية أنه قال^(٢) : حُسْنُهَا بحسب حُسْنِ المكنى عنها متى كانت تابعة لها ، كما فى قولك « فلان بين أنياب المنية ومخالبيها » وقلما تحسن الحسن البليغ غير تابعة لها ، ولذلك استهجنى فى قول الطائى :

لا تَسْقِنِ ماءَ الملام فإننى صَبَّ قد استعذبتُ ماءَ بكائى^(٣)

فإن قيل : لِمَ لا يجوز أن يريد بغير التابعة للمكنى عنها التابعة لغير المكنى عنها ؟ قلنا : غير المكنى عنها هى المصرح بها ؛ فتكون التابعة لها ترشيح الاستعارة ، وهو من أحسن وجوه البلاغة ، فكيف يصح استهجانها ؟ وأما قول أبى تمام فليس له فيه دليل ؛ لجواز أن يكون أبو تمام شبه الملام بظرف الشراب لاشتماله على ما يكرهه الملام ، كما أن الظرف قد يشتمل على ما يكرهه الشارب لبشاعته أو مرارته ، فتكون التخييلية فى قوله تابعة للمكنى عنها ، أو بالماء نفسه^(٤) لأن اللوم قد يُسَكَّن حرارة الغرام كما أن الماء يسكن

= كقولك : « أظفار المنية نشبت بفلان فافتروسته » فالافتراس ترشيح فى هذه الاستعارة وهى مكنية لا تصريحية .

(١) قد سبق فى ص ١٣٤ .

(٢) ٢٠٦ - المفتاح .

(٣) هو لأبى تمام ، واللام : اللوم والعتاب ، والصب : العاشق وذو الولع الشديد . وقوله « استعذبت » من استعذب الشئ بمعنى وجده عذبا ، والشاهد فى قوله « ماء الملام » لأنه تخيلية غير تابعة للمكنية ، وسيوجهه الخطيب بعد . وقد حكى أن رجلا جاء أبا تمام بقصعة وقال : أعطنى قليلا من ماء الملام . فقال أبو تمام : لا أعطيكه حتى تأتينى بريشة من جناح الذل . فأفحم الرجل . والحق أنه ليس جعل الجناح للذل كجعل الماء للملام ؛ لأن الطائر إذا وهن بسط جناحه وخفضه وألقى نفسه على الأرض ، وبهذا حسن جعل الجناح للذل لما بينهما من المناسبة .

(٤) معطوف على قوله : بظرف الشراب .

غليل الأوام ، فيكون تشبيهاً على حد « لُجَيْن الماء » فيما مرَّ^(١) لا استعارةً .
والاستهجان على الوجهين^(٢) لأنه كان ينبغي له أن يشبهه بظرف شراب مكروه
أو بشراب مكروه^(٣) ، ولهذا لم يستهجن نحو قولهم : أغلظت لفلان القول ،
وجرّعته منه كأساً مرةً ، أو سقيته أمراً من العلقم^(٤) .

الاعتراض عليه في تعريف المكنية : ومنها أنه عني بالاستعارة المكنى عنها
أن يكون المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه^(٥) على أن المراد بالمنية في قول
الهُذليّ^(٦) السَّبْعُ بادعاء السَّبعِ لها وإنكار أن تكون شيئاً غير السبع بقرينة
إضافة الأظفار إليها^(٧) . وفيه نظر ؛ للقطع بأن المراد بالمنية في البيت هو
الموت لا الحيوان المفترس ، فهو مستعمل فيما هو موضوع له على التحقيق ،
وكذا كل ما هو نحوه ، ولا شيء من الاستعارات مستعملاً كذلك ، وأما ما
ذكره في تفسير قوله : « من أنا ندعى ههنا أن اسم المنية اسمٌ للسبع ، مرادفٌ
لفظ السبع بارتكاب تأويل ، وهو أن ندخل المنية في جنس السبع للمبالغة في
التشبيه ، ثم نذهب على سبيل التخييل إلى أن الواضع كيف يصح منه أن يضع
اسمين لحقيقة واحدة ولا يكونان مترادفين ، فيتهماً لنا بهذا الطريق دعوى السبعة
للمنية مع التصريح^(٨) بلفظ المنية » فلا يفيد ، لأن ذلك لا يقتضى كون اسم

(١) انظر ص ٦٧ .

(٢) يعنى أن قول أبى تمام مستهجن على هذين الوجهين أيضاً ؛ وهما أن يكون
تخييلية تابعة للمكنية ، وأن يكون تشبيهاً لا استعارة .

(٣) أى لا بظرف شراب مطلقاً ، كما في الوجه الأول ، ولا بالماء كما في
الوجه الثانى ؛ لأن الملام مكروه فيجب في استعارة شيء له أو تشبيهه به أن يكون
مكروهاً ؛ لوجوب المناسبة بين الطرفين في الاستعارة والتشبيه .

(٤) لأنه شبه فيه القول المكروه بظرف شراب مكروه أو بمشروب مكروه .

(٥) فى هذه العبارة تساهل ؛ لأن المكنية عند السكاكى هى لفظ المشبه لا كونه هو
المذكور من طرفي التشبيه .

(٦) قد سبق فى ص ١٣٤ . (٧) ٢٠١ - المفتاح .

(٨) يعنى أن التصريح بلفظها ينافى دعوى دخولها فى جنس السبع ؛ لأن
الذى يناسبه عدم التصريح بها وإطلاق لفظ السبع عليها ، ولكن بعد تخييل تلك
المرادفة تزول تلك المنافة لأن لفظ المنية يصير كلفظ السبع .

المنية غير مستعمل فيما هو موضوع له على التحقيق من غير تأويل ، فيدخل في تعريفه للحقيقة ويخرج من تعريفه للمجاز^(١) وكأنه - لما رأى علماء البيان يطلقون لفظ الاستعارة على نحو ما نحن فيه^(٢) وعلى أحد نوعي المجاز اللغوي الذي هو اللفظ المستعمل فيما شُبّه بمعناه الأصلي^(٣) ويقولون : الاستعارة تنافي ذكر طرفي التشبيه - ظن أن مرادهم بلفظ «الاستعارة» عند الإطلاق وفي قولهم «استعارة بالكناية» معنى واحد^(٤) ، فبنى على ذلك ما تقدم^(٥) .

الاعتراض عليه في رد التبعية إلى المكنية : ومنها أنه قال في آخر فصل الاستعارة التَّبعية : « هذا ما أمكن من تلخيص كلام الأصحاب في هذا الفصل ، ولو أنهم جعلوا قسم الاستعارة التبعية من قسم الاستعارة بالكناية ، بأن قلبوا فجعلوا - في قولهم « نطق الحال بكذا » - الحال التي ذكرها عندهم قرينة الاستعارة بالتصريح^(٦) استعارة بالكناية عن المتكلم بوساطة المبالغة في التشبيه على مقتضى المقام ، وجعلوا نسبة النطق إليه قرينة الاستعارة ، كما تراه في قوله :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا^(٧)

يجعلون المنية استعارة بالكناية عن السبع ، ويجعلون إثبات الأظفار لها قرينة الاستعارة . وهكذا لو جعلوا البخل^(٨) استعارة بالكناية عن حَيٍّ أَبْطَلَتْ حياته سيف أو غير سيف فالتحق بالعدم ، وجعلوا نسبة القتل إليه قرينة

(١) لأن ادعاء السبعية لها لا يخرجها عن حقيقتها كما هو شأن الادعاء في كل شيء ، وحينئذ يكون لفظها لا يزال مستعملاً في حقيقته مع ذلك الادعاء .
(٢) هو الاستعارة المكنية .
(٣) هو الاستعارة التصريحية .
(٤) هو اللفظ المستعمل في غير معناه الأصلي لعلاقة التشبيه .
(٥) من تعريفه الاستعارة بالكناية بأنها لفظ المشبه المستعمل في المشبه به بادعاء دخوله فيه .

(٦) هي الاستعارة التصريحية التبعية في - نطقت .
(٧) قد سبق هذا البيت في ص ١٣٤ . (٨) أي في البيت السابق في ص ١١٨

الاستعارة ، ولو جعلوا أيضاً اللّٰهَدَمِيَّاتِ^(١) استعارة بالكناية عن المطعومات اللطيفة الشهية على سبيل التهكم ، وجعلوا نسبة لفظ (القرى) إليها قرينة الاستعارة - لكان أقرب إلى الضبط^(٢) . هذا لفظه^(٣) ، وفيه نظر ؛ لأن التبعية التى جعلها قرينة لقرينتها التى جعلها استعارة بالكناية ، كنطقت فى قولنا : «نطقت الحال بكذا» لا يجوز أن يقدرها حقيقةً حيثُذ ؛ لأنه لو قدرها حقيقةً لم تكن استعارة تخيلية ؛ لأن الاستعارة التخيلية عنده مجاز كما مر ، ولو لم تكن تخيلية لم تكن الاستعارة بالكناية مستلزمة للتخيلية ، واللازم باطل بالاتفاق^(٤) ؛ فيتعين أن يقدرها مجازاً ، وإذا قدرها مجازاً لزمه أن يقدرها من قبيل الاستعارة لكون العلاقة بين المعنيين هى المشابهة ، فلا يكون ما ذهب إليه مغنياً عن قسمة الاستعارة إلى أصلية وتبعية ، ولكن يستفاد مما ذكر ردُّ التركيب فى التبعية^(٥) إلى تركيب الاستعارة بالكناية على ما فسرناها^(٦) وتصير التبعية حقيقةً واستعارة تخيلية ؛ لما سبق أن التخيلية على ما فسرناها^(٧) حقيقةٌ لا مجاز .

(١) أى فى البيت السابق فى ص ١١٩ .

(٢) يعنى بالضبط أن تكون أقسام الاستعارة قليلة غير منتشرة .

(٣) ٢٠٤ - المفتاح .

(٤) دعوى الاتفاق فى هذا غير صحيحة ؛ لأن الزمخشري كما سبق يجوز أن تكون قرينة المكنية استعارة تحقيقية ، والسكاكى أيضاً لم يرد عنه نص قاطع فى استلزام المكنية للتخيلية ، بل اضطرب فى هذا كلامه هنا وفى المجاز العقلى .

(٥) يعنى بالتبعية: التصريحية التبعية فى نحو (نطقت) من قولهم «نطقت الحال بكذا» ، ويعنى بالتركيب فيها: تركيبها مع قرينتها وهى الحال ، ويعنى برَدُّ ذلك إلى تركيب الاستعارة بالكناية: أن يُجعل استعارة بالكناية وقرينة لها .

(٦) من أنها التشبيه المضمّر فى النفس .

(٧) من أنها إثباتُ لازم المشبه به للمشبه ، ومراده من كل هذا على تعقيده أن السكاكى لو كان يرى فى المكنية والتخيلية ما يراه الخطيب لأمكنه ردُّ التبعية إليهما ولم يرد عليه ذلك الاعتراض ؛ لأن التخيلية على قول الخطيب حقيقةٌ لا مجاز ، ولكن يبقى أن رد التبعية إلى المكنية إنما يكمن فيما قرينتها لفظية لا حالية كما فى قوله تعالى:

﴿لعلكم تتقون﴾ آية ٢١ سورة البقرة .

فصل

شروط حسن الاستعارة : وإذ قد عرفت معنى الاستعارة التحقيقية والاستعارة التخيلية ، والاستعارة بالكنية ، والتمثيل على سبيل الاستعارة ، فاعلم أن لحسنها شروطاً إن لم تصادفها عريت عن الحسن ، وربما تكتسب قبحاً . وهى فى كل من التحقيقية والتمثيل^(١) : رعاية ما سبق ذكره من جهات حسن التشبيه^(٢) ، والأشتم من جهة اللفظ رائحته^(٣) ، ولذلك يوصى فيه أن يكون الشبه بين طرفيها جلياً بنفسه أو عرفاً أو غيره^(٤) وإلا صار تعميةً وإغازاً

(١) يريد بالتحقيقية : الاستعارة التصريحية ، وبالتمثيل : المجاز المركب على ما سبق له .

(٢) هو أن يكون وجه الشبه ظاهر الشمول للطرفين وافيًا بإفادة ما علق عليه من الغرض ونحو ذلك ، وإنما اعتبر فى ذلك ظهور الشمول لأن أصله شرط فى صحة التشبيه لا فى حسنه ، ومن الاستعارة القبيحة لفقد ذلك الشرط قول الشاعر :

وذا ت هدم عار نواشرها تَصُمّت بالماء تولباً جدعا
سمى الصبى تولباً وهو ولد الحمار ، فهى استعارة بعيدة فاحشة وجدعا : سبى الغداء .

(٣) هذا يكون بذكر المشبه على وجه لا ينبىء عن التشبيه ، فلا تبطل به الاستعارة ولكنها تكون قبيحة ، كما فى قول الشاعر :

لا تعجبوا من بلى غلالته قد زرّ أزواره على القمر

فإنه ذكر فيه ضمير المشبه وهو المحبوب على وجه لا ينبىء عن التشبيه ، وإنما قيد شم ذلك بأن يكون من جهة اللفظ لأن الاستعارة يشم منها ذلك فى المعنى قطعاً ، ويجب أن يراعى فى الاستعارة مناسبتها لحال الزمان والمكان ، ولهذا يقول العرب إذا فسد ما بين الصديقين : « يس الثرى ما بين الصديقين » ويقول غيرهم : « جمد الثلج بين الصديقين » فيراعى كل منهما حال مكانهما .

(٤) جلاؤه بنفسه كما فى تشبيه القدّ بالغصن فى الاعتدال ؛ لأنه يدرك بالحس ، وجلاؤه بالعرف كما فى تشبيه الرجل الشجاع بالأسد ؛ لأن الأسد معروف بالشجاعة وإنما كان هذا الشرط مترتباً على ما قبله لأنه إذا لم تشم رائحة التشبيه من جهة اللفظ كان فى ذلك نوع خفاء فيه ، فلا يصح أن يضم إليه خفاء وجه الشبه ، ولكن =

لا استعارة وتمثيلاً ، كما إذا قيل « رأيت أسداً » وأريدَ إنساناً أبخر ، وكما إذا قيل « رأيت إبلاً مائة لا تجد فيها راحلة » وأريدَ الناس^(١) ، أو قيل « رأيت عوداً مستقيماً أو أن الغرس » وأريدَ إنساناً مؤدباً في صباه ، وبهذا ظهر أنهما لا يجيئان في كل ما يجيء فيه التشبيه .

ومما يتصل بهذا^(٢) أنه إذا قرى الشبه بين الطرفين بحيث صار الفرع كأنه الأصل لم يحسن التشبيه وتعينت الاستعارة^(٣) ، وذلك كالنور إذا شبه العلم به ، والظلمة إذا شبهت الشبهة بها ، فإنه لذلك يقول الرجل إذا فهم المسألة : « حصل في قلبي نور » ولا يقول « كأن نوراً حصل في قلبي »^(٤) ويقول لمن أوقعه في شبهة : « أوقعني في ظلمة » ولا يقول « كأنك أوقعني في ظلمة » .

وكذا المكنى عنها حسنها برعاية جهات حسن التشبيه^(٥) وأما التخيلية فحسنها بحسب حسن المكنى عنها ، لما بينا أنها لا تكون إلا تابعة لها .

= استحسان جلاء الشبه يجب أن يكون بحيث لا يصير به إلى حد الابتذال ، لما سبق من تفضيل الشبه الغريب على المبتذل .

(١) هذا المثال مأخوذ من حديث سبق في ص ٥٨ ، ولكن الخفاء فيه من جهة عدم ذكر القرينة لا من جهة خفاء الشبه .

(٢) أي المذكور من أنه إذا خفى الشبه لم تحسن الاستعارة ، والاتصال بينهما على وجه التقابل ، وقيل أيضاً : إن هذا كاستثناء من الشرط الأول لعدم حسن التشبيه فيما سيذكره مع حسن الاستعارة فيه .

(٣) يعني بتعينها استحسانها ؛ لأن التشبيه يجوز في هذا مع حسن الاستعارة فيه .

(٤) مثل هذا قد يقبل ، وإنما الذي لا يقبل أن يقال « حصل في قلبي علم كالنور » وكذا ما بعده .

(٥) مما استهجن من أجل هذا قول أبي نواس :

يح صوت المال مما منك يشكو ويصبح

لأنه لا مناسبة بين طرفي الاستعارة ، وهو يريد أن المال يتظلم من إهانتة له بالتمزيق والعطاء ، فالعنى حسن والتعبير عنه قبيح ، والمقبول في ذلك قول مسلم بن الوليد :

تَظَلَّمَ المال والأعداء من يده لا زال للمال والأعداء ظلاماً

وإنما لم يشترط في المكنية ألا يشم رائحة التشبيه لفظاً لأن من لوازمها ذكر لازم المشبه به فيشم به رائحة التشبيه لفظاً .

فصل

المجاز بالحذف والزيادة : واعلم أن الكلمة كما توصفُ بالمجاز لنقلها عن معناها الأصلي كما مضى ؛ توصف به أيضاً لنقلها عن إعرابها الأصلي إلى غيره لحذف لفظ أو زيادة لفظ ؛ أما الحذف فكقوله تعالى : ﴿ واسأل القرية ﴾ ^(١) أى أهل القرية ^(٢) ؛ فإعراب القرية فى الأصل هو الجر ، فحذف المضاف وأعطى المضاف إليه إعرابه ، ونحوه قوله تعالى : ﴿ وجاء ربك ﴾ ^(٣) أى أمرُ ربك ^(٤) وكذا قولهم « بنو فلان يطوهم الطريق » أى أهل الطريق .
وأما الزيادة فكقوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ ^(٥) على القول بزيادة الكاف ^(٦) أى ليس مثله شيء ، فإعراب (مثله) فى الأصل هو النصب ، فزيدت الكاف ، فصار جرّاً .

فإن كان الحذفُ أو الزيادة لا يوجب تغيير الإعراب - كما فى قوله تعالى : ﴿ أو كصيب من السماء ﴾ ^(٧) إذ أصله أو كمثل ذوى صيب ، فحذف « ذوى » لدلالة ﴿ يجعلون أصابعهم فى آذانهم ﴾ عليه . وحذف « مثل » لما دل عليه عطفه على قوله ﴿ كمثل الذى استوقد ناراً ﴾ ؛ إذ لا يخفى أن التشبيه

(١) آية ٨٢ سورة يوسف .

(٢) لأن السؤال إنما يتوجه إليهم ، وإذا جعلت القرية مجازاً عن أهلها ؛ كان مجاز مرسلأً من إطلاق اسم المحل على الحال .

(٣) آية ٢٢ سورة الفجر .

(٤) لأن المجيء مستحيل عليه تعالى بخلاف أمره ؛ لأنه يجوز إسناد المجيء إلى الأمر على سبيل المجاز العقلى ، بل قيل : إنه صار فى مثل هذا حقيقة عرفية ؛ كقولهم - جاء أمر السلطان ، ونحوه .

(٥) آية ١١ سورة الشورى .

(٦) قيل : إنها أصلية لأن لفظ مثل قد يبنى به عما يضاف إليه ؛ كقولهم : مثلك

لا ييخل .

(٧) آية ١٩ سورة البقرة .

ليس بين صفة المنافقين العجيبة الشأن وذوات ذوى صيب^(١) ، وكقوله : ﴿فبما
رحمة من الله لنت لهم﴾^(٢) وقوله : ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾^(٣) فلا
توصف الكلمة بالمجاز .

إنكار المجاز بالحذف والزيادة :

وقد بالغ الشيخ عبد القاهر فى النكير على من أطلق القول بوصف
الكلمة بالمجاز للحذف أو الزيادة^(٤) .



-
- (١) وإنما هو بين صفة المنافقين العجيبة أى مثلهم ومثل ذوى صيب .
(٢) آية ١٥٩ سورة آل عمران . وقد قسم الغزالي المجاز إلى أربعة عشر قسمًا ،
وجعل هذا من قسم الزيادة فى الكلام بغير فائدة ، وقد رد عليه ابن الأثير بأنه لا مجاز
فيه ، وبأن « ما » ليست بزائدة ؛ لأنها لتفخيم الأمر ، وهى محض الفصاحة .
(٣) آية ٢٩ سورة الحديد .
(٤) ٤٥٠ - ٤٦٣ : أسرار البلاغة ؛ فالمجاز عنده خاص بنقل الكلمة عن معناها
الأصلى إلى غيره ، وقال السكاكى : رأى أن يقال هو مشبه للمجاز وملحق به
لاشتراكهما فى التعدى عن الأصل ، وقد جعله ابن الأثير من المجاز بمعنى التوسع فى
الكلام .

تمرينات على المجاز المرسل والاستعارة

تمرين - ١

- (١) بين ما فيه مجاز مرسل ، وما فيه استعارة من هذين البيتين :
- من يزرع الشرَّ يحصد في عواقبه ندامةً ولحَصَصِد الزرع إِبَّانُ
ولم يبق سوى العُـلـودوا ن دِنَاهُم كما دانوا
- (٢) ما نوع الاستعارة وما قرينتها في قول الشاعر :
- إذا ما الدهرُ جرَّ على أناسٍ كلاكِلهُ أُنَاخَ بآخِرِينَا

تمرين - ٢

- (١) وردت « دما » فيما يأتي مجازاً مرسلًا واستعارة ؛ فبينهما :
- فَتَى كَلَّمَا فَاضَتْ عَيُونُ قَبِيلَةٍ دَمًا ضَحَكَتْ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ
أَكَلْتُ دَمًا إِنْ لَمْ أَرُعْكَ بَضْرَةً بعيدة مهوى القُرْطِ طَيِّبَةَ النَّشْرِ
- (٢) كيف تجرى الاستعارة بالكناية والاستعارة التخيلية في قول الشاعر :
- إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تَكَشَّفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ

تمرين - ٣

- (١) كيف جرت الاستعارة في العَلَم من قول الشاعر :
- لَقَدْ حَانَ تَوْدِيعُ الْعَمِيدِ وَإِنَّهُ حَقِيقٌ بِتَشْيِيعِ الْمَحْبِينِ وَالْعَدَا
فَلِمَ لَا نَرَى الْأَهْرَامَ يَا نَيْلُ مَيْدَا وَفِرْعَوْنَ عَنْ وَاْدِيكَ مَرْتَحِلًا غَدَا
- (٢) كيف تجرى الاستعارة التمثيلية في قوله تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ آية ٧٢ س الأحزاب

تمرين - ٤

- بين الاستعارة المطلقة والمرشحة والمجردة في الآيات الآتية :
- (١) رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر ظواهر جلد وهو للقلب جارح
- (٢) إِنَّ التَّبَاعِدَ لَا يَضُرُّ إِذَا تَقَارَبَتِ الْقُلُوبُ
- (٣) إذا انتضل القول الأحاديث لم يكن عِيًّا وَلَا رَبًّا عَلَى مَنْ يَقَاعِدُ

تمرين - ٥

(١) لماذا قبحت الاستعارة في قول الشاعر :

بلوناك أَمَّا كَعْبٌ عَرَضُكَ فِي الْعُلَا فَعَالٍ وَأَمَّا خَدُّ مَالِكٍ أَسْفَلٍ

(٢) لماذا كَانَ المجاز المرسل في هذا البيت غير مفيد :

فبتنا جلوساً لدى مهرنا نترع من شفتيه الصفارا

(٣) لماذا استحسنت الاستعارة التخيلية في قوله تعالى : ﴿ واخفض لهما

جناح الذل ﴾ آية ٢٤ سورة الإسراء ، واستهجن في قول أبي تمام :

لا تَسْقِنِي مَاءَ الْمَلَامِ فَإِنَّنِي صَبٌّ قَدْ اسْتَعَذْتُ مَاءَ بَكَائِي

تمرين - ٦

(١) وازن بين الاستعارتين في قول الشاعر :

سالت عليه شعابُ الحى حين دعا أنصـاره بوجوه كالدنانير

وقول الآخر :

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح

(٢) ما هي علاقة المجاز المرسل في قول الشاعر :

فهمتُ الكتابَ أبرَ الكتبِ فسمعاَ لأمر أمير العرب

(٣) لماذا عيب على أبي تمام قوله :

يا دهرُ قومٍ من أخذعيك فقد أضججتَ هذا الأنام من خرقك

* * *

الباب الثالث: القول فى الكناية

تعريف الكناية : الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حيث^(١) كقولك « فلان طويل النجاد » أى طويل القامة ، و « فلانة نؤوم الضحى » أى مرفهة مخدومة غير محتاجة إلى السعى بنفسها فى إصلاح المهمات ؛ وذلك أن وقت الضحى وقت سعى نساء العرب فى أمر المعاش وكفاية أسبابه وتحصيل ما يحتاج إليه فى تهيئة المتاولات وتدبير إصلاحها ؛ فلا تنام فيه من نسائهم إلا من تكون لها خدم ينوبون عنها فى السعى لذلك . ولا يمتنع أن يراد مع ذلك طول النجاد والنوم فى الضحى من غير تأويل^(٢) ؛ فالفرق بينها وبين المجاز من هذا الوجه ؛ أى من جهة إرادة المعنى^(٣) مع إرادة لازمه ؛ فإن المجاز ينافى ذلك ، فلا يصح فى نحو قولك « فى الحمام أسد » أن تريد معنى الأسد من غير تأويل ؛ لأن المجاز ملزوم قرينة معاندة لإرادة الحقيقة كما عرفت ، وملزوم معاند الشيء معاند^(٤) لذلك الشيء^(٤) ، وفرق السكاكى وغيره بينهما بوجه آخر أيضاً^(٥) وهو أن مبنى الكناية على الانتقال من اللازم إلى

(١) لازم المعنى : وهو المقصود يقال له معنى كنائى ، وملزومه : يقال له معنى حقيقى ، وجواز إرادة المعنى الحقيقى فى الكناية بالنظر إلى ذاتها ، وقد تمتنع إرادته فيها لعارض يمنع من إرادته ؛ كقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ آية ١١ سورة الشورى على القول بأن الكاف أصلية وأنه يفيد نفي المثلية بطريق الكناية ، فلا يصح إرادة المعنى الحقيقى فيه ؛ لأنه يفيد ثبوت المثل له تعالى .

(٢) يريد بالتأويل صرف اللفظ عن حقيقته .

(٣) أى جواز إرادته لأنه يجوز عدم إرادته .

(٤) جرى الخطيب فى هذا على المشهور من أن الكناية قسم آخر غير الحقيقة

والمجاز ، وقيل : إن الكناية لفظ مستعمل فى معناه الحقيقى ليتنقل منه إلى المعنى المجازى ، وعلى هذا تكون الكناية قسماً من الحقيقة ، وقيل : إن الكناية تارة يراد بها المعنى المجازى لدلالة المعنى الحقيقى عليه فتكون مجازاً ، وتارة يراد بها المعنى الحقيقى ليدل به على المعنى المجازى فتكون حقيقة ، والخلاف فى مثل هذا لا طائل تحته .

(٥) ٢١٣ - المفتاح .

الملزوم ، ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم . وفيه نظر ؛ لأن
اللازم ما لم يكن ملزوماً يمتنع أن ينتقل منه إلى الملزوم^(١) فيكون الانتقال حيثئذ
من الملزوم إلى اللازم . ولو قيل : لزوم من الطرفين من خواص الكناية دون
المجاز ، أو شرط لها دونه ، اندفع هذا الاعتراض ، لكن انجبه منع الاختصاص
والاشتراط^(٢) .

أقسام الكناية : ثم الكناية ثلاثة أقسام : لأن المطلوب بها إما غير صفة
ولا نسبة ، أو صفة ، أو نسبة . والمراد الصفة المعنوية كالجود والكرم
والشجاعة وأمثالها لا التعت .

١ - المطلوب بها غير صفة ولا نسبة :

الأولى المطلوب بها غير صفة ولا نسبة^(٣) : فمنها ما هو معنى واحد
، كقولنا « المضيف » كنايةً عن زيد ، ومنه قوله كناية عن القلب :
الضارين بكل أبيض مخدّم والطاعنين مجامع الأضغان^(٤)

(١) لأن اللام قد يكون أعم من الملزوم ؛ كلزوم الحيوان للإنسان ، ولا دلالة للعام
على الخاص .

(٢) أى منع اختصاص الكناية بكون اللزوم فيها من الطرفين ، واشتراط ذلك فيها
دون المجاز ؛ لأنه لا يشترط ذلك فيها كما لا يشترط فيه ؛ لأن لازم المعنى الحقيقي فيها
قد يكون أعم منه ، وقد قيل : إنه لا خلاف بين الخطيب والسكاكي إلا فى التسمية ؛
لأنهما متفقان على أن ذهن السامع لقولنا « كثير الرماد » ينتقل من كثرة الرماد إلى الكرم
ولكن السكاكي يسمى كثرة الرماد لازماً ، والخطيب يسميه ملزوماً ، وإنى أرى أن مثل
هذا الخلاف لا يصح الاشتغال به فى علم البيان .

هذا ومن أغراض الكناية أنها تقدم لك الحقيقة مصحوبة بدليلها ، وأنها تبرز
المعقول فى صورة المحسوس ، وأنه يحترز بها عما لا يليق التعبير به ، إلى غير هذا من
أغراضها .

(٣) أى ولا نسبة صفة لموصوف بأن يكون المطلوب بها موصوفاً ، ولو « قال
الأولى المطلوب بها الموصوف » لكان أحسن .

(٤) هو لعمر بن معديكرب ، ورواية الموازنة « والضارين » ، والمخدّم : القاطع =

ونحوه قول البحترى فى قصيدته التى يذكر فيها قتله الذئب :

فأتبعْتُها أخرى فأضِلَّتْ نَصْلَهَا بحيث يكون اللبُّ والرعبُ والحقدُ^(١)

فقلوه « بحيث يكون اللب والرعب والحقد » ثلاث كنايات لا كناية واحدة ؛ لاستقلال كل واحد منها بإفادة المقصود^(٢).

ومنها ما هو مجموعُ معانٍ ، كقولنا كناية عن الإنسان : « حَىَّ مستوى القامة عريض الأظفار »^(٣) .

وشرطُ كل واحدة منهما^(٤) أن تكون محتصةً بالمكى عنه لا تتعداه ، ليحصل الانتقال منها إليه ، وجعل السكاكى الأولى قريبة والثانية بعيدة^(٥) . وفيه نظر^(٦) .

= من السيوف ، والأضغان : جمع ضِغْن وهو الحقد ، ومجامع الأضغان : القلوب . وبهذا تكون كناية عن موصوف . وقد قيل : إن المجامع جمع مجمع وهو اسم مكان مشتق من الجمع ، فيكون إطلاقه على القلب حقيقة لا كناية . وأجيب بأن هذا اللفظ لم يُرد منه الذات الموصوفة بالصفة كسائر المشتقات ، وإنما أريد منه الذات فقط على سبيل الكناية ؛ لأن الطعن لا يكون إلا فيها وحدها .

(١) قوله « أضللت » بمعنى غيبت ، والنصل : حديدة الرمح والسهم .

(٢) لأن تقدير الكلام بحيث يكون اللب ، وبحيث يكون الرعب ، وبحيث يكون الحقد ، والمكى عنه واحد فيها كلها وهو القلب ، وهو قريب من قول عمرو : « والطاعنين مجامع الأضغان » ولكن قول عمرو فى غاية الجودة ، لأنهم إنما يطاعنون الأعداء من أجل أضغانهم ، فإذا وقع الطعن موضع الضغن فذلك غاية كل مطلوب .

(٣) لا داعى إلى تقسيم هذا القسم إلى قسمين إلا البرغبة فى تكثير الأقسام .

(٤) أى من هاتين الكناتين ، ولا وجه لاشتراط ذلك فيهما بخصوصهما لوجوب ذلك فى كل كناية ؛ لأنه لا دلالة للأعم على الأخص ، على أن هذا الشرط مستغنى عنه بما سبق فى تعريف الكناية من أن الانتقال فيها من الملزوم إلى اللازم لأن الملزوم لا بد أن يكون مختصاً باللازم المكنى عنه .

(٥) ٢١٤ - المفتاح

(٦) لأن دلالة الوصف الواحد على الشئ ليست أقرب من دلالة مجموع أوصاف عليه ، بل ربما يكون الأمر بالعكس ؛ لأن التفصيل أوضح من الإجمال . =

٢ - المطلوب بها صفة : الثانية المطلوب بها صفة^(١) ؛ وهى ضربان :
 قريبة وبعيدة . القريبة ما ينتقل منها إلى المطلوب بها لا بواسطة ، وهى إما
 واضحة ، كقولهم كناية عن طويل القامة : « طويلٌ نجاهه ، وطويلٌ النجاد »
 والفرق بينهما أن الأول كناية ساذجة ، والثانى كناية مشتملة على تصريح ما
 لتضمن الصفة فيه ضمير الموصوف بخلاف الأول^(٢) . ومنها قول الحماسى :

أبت الروادفُ والثدى لقمصها مس البطون وأن تمسَّ ظهورها^(٣)

وإما خفية ؛ كقولهم كناية عن الأبله : « عريض القفا » فإن عرض القفا
 وعظم الرأس إذا أفرط - فيما يقال - دليل الغباوة^(٤) ؛ ألا ترى إلى قول طرفه
 ابن العبد :

= ومن الكناية عن الموصوف قوله تعالى ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ ﴾ آية ١٣
 سورة القمر - وقول الشاعر :

تقول التى من بينها خف محملى عزيز علينا أن نراك تسير

(١) بأن تكون نسبة الصفة إلى موصوفها معلومة ، فتكون الصفة نفسها هى
 المطلوبة من صفة أخرى يبنى بها عنها للاعتناء بها والمبالغة فيها .

(٢) لأن « نجاهه » فاعل فيه ، أما فاعل « طويل » فى الثانى فهو ضمير
 الموصوف ، ولهذا تقول « الزيدان طويلا النجاد ، والزيدون طوال النجاد ، وهند طويلة
 النجاد » بالثنية والجمع والتأنيث لأجل تحمله ذلك الضمير ، ولا شك أن هذا فيه نوع
 تصريح بثبوت الطول له ، وإنما لم يجعل تصريحاً خالصاً للقطع بأن الصفة فى المعنى
 صفة للمضاف إليه وهو النجاد ، واعتبار الضمير إنما هو لأجل أمر لفظى ، وهو امتناع
 خلو الصفة عن معمول مرفوع بها ، وإنى أرى أنه لا فرق من جهة الكناية بين المثالين ؛
 لأنه لا يصح أن يكون لهذا الاعتبار اللفظى تأثير فى معنى الكناية .

(٣) الروادف : جمع رادفة وهى الكفل والعجز . والثدى : جمع ثدى ، وإباء
 الروادف لقمصها من الظهور : كناية عن كبرها وضمور خصرها ، وكذا إباء الثدى لها
 مس البطون .

(٤) خفاء الكناية فى ذلك بالنظر إلى أول سماعها ، ولا يؤثر فى ذلك ظهورها
 بعده ، ومن ذلك قول بعضهم فى الكناية عن العذرة :
 أراد أبوك أملك يوم رقت فلم يوجد لأمك بنت سعد

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاش كُرأس الحية المتوقد^(١)
 والبعدة: ما ينتقل منها إلى المطلوب بها بواسطة ، كقولهم كناية عن
 الأبله : « عريض الوسادة » فإنه ينتقل من عرض الوسادة إلى عرض القفا ،
 ومنه إلى المقصود ، وقد جعله السكاكي من القريضة على أنه كناية عن عرض
 القفا ، وفيه نظر^(٢) . وكقولهم « كثير الرماد » كناية عن المضياف ، فإنه ينتقل
 من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدور ، ومنها إلى كثرة الطباخ ،
 ومنها إلى كثرة الأكل ، ومنها إلى كثرة الضيفان ، ومنها إلى المقصود .
 وكقوله :

وما يكُ في من عيب فإني جبانُ الكلب مهزولُ الفصيل^(٣)
 فإنه ينتقل من جبن الكلب عن الهرير في وجه من يدنو من دار من هو
 بمرصد لأن يعسّ دونها مع كون الهرير في وجه من لا يعرفه طبعياً له إلى
 استمرار تأديبه ؛ لأن الأمور الطبيعية لا تتغير بموجب لا يقوى ، ومن ذلك
 إلى استمرار موجب نبأحه وهو اتصال مشاهدته وجوهاً إثر وجوه ، ومن ذلك
 إلى كونه مقصد أدان وأقاص ، ومن ذلك إلى أنه مشهور بحسن قرى
 الأضياف . وكذلك ينتقل من هزال الفصيل إلى فقد الأم ، ومنه إلى قوة
 الداعي إلى نحرها لكمال عناية العرب بالنوق لا سيما التليات ، ومنها إلى
 صرفها إلى الطباخ ، ومنها إلى أنه مضياف . ومن هذا النوع قول نصيب :
 لعبد العزيز على قومهِ وغيرهم مننٌ ظاهرة^(٤)

(١) الضرب : الخفيف اللحم ، والخشاش : الصغير الرأس وهو كناية عن ذكائه ،
 والشاهد في جعله ذلك دليل الذكاء ، فيكون مقابله وهو عرض القفا وعظم الرأس دليل
 الغباوة .

(٢) لأنه لا يقصد من ذلك الكناية عن عرض القفا ، وإنما يقصد منه الكناية عن
 البله .

(٣) الفصيل : ولد الناقة . وهزاله بحرمانه من لبنها بنحرها أو بإيثار الضيفان
 به ، يعني أنه لا عيب فيه إلا ذلك ، فهو من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم .

(٤) الأبيات لنصيب بن رباح في مدح عبد العزيز بن مروان ، والمنن : جمع منة
 وهي النعمة .

فبَابُكُ أَسْهَلُ أَبْوَابِهِمْ وَدَارُكَ مَاهُولَةٌ عَامِرُهُ (١)
وَكَلْبُكَ أَسْرُ بِالزَّائِرِينَ مِنَ الْأُمِّ بِالْابْنَةِ الزَّائِرَةِ

فإنه ينتقل من وصف كلبه بما ذكر، إلى أن الزائرين معارف عنده ، ومن ذلك إلى اتصال مشاهدته إياهم ليلاً ونهاراً ، ومنه إلى لزومهم سُدَّتُهُ ، ومنه إلى تسنى مباغيهم لديه من غير انقطاع ، ومنه إلى وفور إحسانه إلى الخاص والعام ، وهو المقصود .

ونظيره مع زيادة لطف قول الآخر :

يَكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مَقْبِلًا يَكْلُمُهُ مِنْ حَبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمُ (٢)
ومنه قوله :

لَا أُمْتَعُ الْعُودَ بِالْفَصَالِ وَلَا أَبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ (٣)

فإنه ينتقل من عدم إمتاعها إلى أنه لا يُبْقَى لها فصالها لتأنس بها ويحصل لها الفرح الطبيعي بالنظر إليها ، ومن ذلك إلى نحرها ، أو لا يُبْقَى العود إبقاءً على فصالها (٤) ، وكذا قرب الأجل ينتقل منه إلى نحرها ، ومن نحرها إلى أنه مضياف .

ومن لطيف هذا القسم (٥) قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ ﴾ (٦) أى

(١) المأهولة : الدار التي فيها أهلها ، وكذلك العامرة ؛ فهي صفة مؤكدة لما قبلها ، وإنما خص الابنة الزائرة لأن عطف الأم عليه أكثر .

(٢) هو لإبراهيم بن هرمة . ورواية البيان والتبيين : « تراه إذا ما أبصر الضيف كلبه » . والضمير فى « يكاد » للكلب ، والأعجم : الذى لا يتكلم ، والشاهد فى كنايته يحب الكلب للضيف عن جود صاحبه ، وزيادة اللطف فيه ناشئة من المبالغة فى محاولة الكلب أن يكلمه .

(٣) هو لإبراهيم بن هرمة أيضاً ، والعود : جمع عائد وهى الناقصة الحديثة النتاج ، والفصال : جمع فصيل وهو ولد الناقة .

(٤) الفرق بين التقديرين أن النحر فى الأول للفصال وفى الثانى للنوق .

(٥) يعنى قسم الكناية المطلوب بها صفة .
ووجه اللطف فيما سيذكره ما فيه من الدقة والغرابة ، سواء أكان بعيداً أم قريباً .

(٦) الأعراف - ١٤٩ .

ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل ؛ لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرتة أن يعرض يده غمًا ، فتصير يده مسقوطًا فيها . لأن فاه قد وقع فيها .

وكذا قول أبي الطيب كناية عن الكذب :

تشتكى ما اشتكت من ألم الشوق ق إليها والشوق حيث النحول^(١)

وكذا قوله :

إلى كم تردُّ الرسل عما أتوا له كأنهم فيما وهبت ملام^(٢)

فإن أوله كناية عن الشجاعة ، وآخره كناية عن السماحة .

وكذا قول أبي تمام :

فإن أنا لم بحمدك عنى صاغراً عدوك فاعلم أنني غير حامد^(٣)

يريد بحمده عنه حفظه مدحه فيه وإنشاده ، أى إن لم أكن أجيد القول فى مدحك حتى يدعوا حسنه عدوك أن يحفظه ويلهج به صاغراً؛ فلا تعدنى حامداً لك بما أقول فيك ، ووصفه بالصغار لأن من يحفظ مديح عدوه وينشده فقد أذل نفسه ، فكنتى بحفظ عدو الممدوح مدحه له عن إجادته القول فى مدحه^(٤) .

(١) الضمير فى - تشتكى - لمحبيته ، والنحولة : دقة الجسم من مرض ونحوه . يقول : إنها تشتكى من ألم الشوق مثل شكواه ، ولكنها كاذبة فى شكواها لأنه لا نحول فيها . فقوله « والشوق حيث النحول » كناية عن كذبها .

(٢) هو لأبى الطيب أيضاً فى مدح سيف الدولة ، والمراد بالرسل رسل ملك الروم فى طلب الصلح ، يقول : إنه يردهم كما يرد الملام عنه بما يهب من ماله ، وقد انتقل من ردهم إلى عدم اعتداده بهم ، ومن عدم اعتداده بهم إلى شجاعته ، وقد مدحه بالشجاعة على وجه استتبع مدحه بالسماحة، وهذا من الاستتباع الآتى فى علم البديع ، وقوله « فيما وهبت » متعلق بلام .

(٣) الصاغر : اسم فاعل من الصغار وهو الذلة .

(٤) قد كنى قبل هذا بحمده له عن حفظه لمدحه له ؛ فالكناية فيه بواسطة .

وكذا قول من يصف راعى إبل أو غنم :

ضعيفُ العصا بادي العروق ترى لهُ عليها إذا ما أجذب النَّاسُ إصْبَعاً^(١)
وقول الآخر :

صَلْبُ العصا بالضرب قد دَمَّاهَا^(٢)

أى جعلها كالدمى فى الحسن . والغرض^(٣) من قول الأول « ضعيف
العصا » وقول الثانى « صلب العصا » وهما وإن كانا فى الظاهر متضادين
فإنهما كنايةان عن شىء واحد ، وهو حسن الرِّعْيَةِ والعمل بما يصلحها ويحسن
أثره عليها ، فأراد الأول أنه رفيق مشفق عليها لا يقصد من حمل العصا أن
يوجعها بالضرب من غير فائدة ، فهو يتخير ما لأن من العصا ، وأراد الثانى أنه
جيد الضبط لها عارف بسياستها فى الرِّعْيِ ، يزجرها عن المراعى التى لا تُحمد
ويتوخى بها ما تسمن عليه ، ويتضمن أيضاً أنه يمنعها عن التشرد والتبدد ،
وأنها لما عرفت من شدة شكيمته وقوة عزيمته تنساق فى الجهة التى يريدتها ،

(١) هو لعبيد بن حصين المعروف بالراعى من قصيدة له مطلعها :
بَنَى وَاَبَشَ إِنَّا هَوَيْنَا جِوَارِكُمْ وما جمعتنا نيةً قبلها معاً
وبادى العروق : ظاهرها لقلة اللحم فى جسمه ، والمراد بالإصبع الأثر الحسن
على سبيل المجاز المرسل .

(٢) هو من قول أبى العلاء بن سليمان فى الإبل :
صَلْبُ العصا بالضرب قد دَمَّاهَا تَوَدُّ أَنْ اللَّهُ قَدْ أَفْنَاهَا
إذا أرادت رَشْداً أَغْوَاهَا مَحَالُهُ مِنْ رَقِّهِ إِيَّاهَا
والضرب يطلق على الضرب بالعصا وعلى السير فى الأرض ، وقوله « أفناها »
بمعنى أهلكها من شدته عليها ، والرشد : نيت تأكله الإبل ، وقوله « أغواها » بمعنى
أطعمها الغوى وهو نبات آخر تأكله ، ومحاله : فاعل أغوى واحده محالة وهى الحدق
والقدرة فى التصرف .
(٣) مبتدأ بمعنى المقصود ، وخبره (ضعيف العصا) ، يعنى أن ذلك محل

الشاهد .

وقوله « بالضرب قد دماها » تورية حسنة^(١) ويؤكد أمرها قوله « صلب العصا » .

٣ - المطلوب بها نسبة : الثالثة المطلوب بها نسبة^(٢) كقول زياد الأعجم :

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمَرْوَةَ وَالنَّدَى فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الْحِشْرِجِ^(٣)

فإنه حين أراد ألاَّ يُصرِّح بإثبات هذه الصفات لابن الحشر جمعها في قبة تنبيهاً بذلك على أن محلّها ذو قبة ، وجعلها مضروبةً عليه لوجود ذوى قباب في الدنيا كثيرين ، فأفاد إثبات الصفات المذكورة له بطريق الكناية^(٤) . ونظيره قولهم : « المجد بين ثوبيه ، والكرم بين برديه » .

قال السكاكي^(٥) : « وقد يظن هذا من قسم « زيد طويل نجاده »^(٦) وليس بذلك ؛ فطويل نجاده بإسناد الطويل إلى النجاد تصريح بإثبات الطول للنجاد ، وطول النجاد كما نعرف قائم مقام طول القامة ، فإذا صرِّح من بعد بإثبات النجاد لزيد بالإضافة كان ذلك تصريحاً بإثبات الطول لزيد^(٧) ، فتأمل .

(١) لأنه يحتمل معنى قريباً وهو أن يضربها فيسيل دماها ، ومعنى بعيداً وهو جعلها كالدمى ، والمراد هو المعنى البعيد كما سبق . والتورية من المحسنات البديعية الآتية في علم البديع ، وإنما أكد أمرها قوله « صلب العصا » لأنه يناسب المعنى القريب كما سيأتى في الكلام عليها .

(٢) بأن يصرِّح بالصفة ويقصد بإثباتها لشيء الكناية عن إثباتها للموصوف بها .

(٣) هو لزياد بن سليمان مولى عبد القيس ، وكان أكن فلقب بالأعجم .

والسماحة : الجود ، والمروءة : النخوة وكمال الرجولة ، والندى : الجود والفضل والخير ، والقبة : ما كان فوق الخيمة في العظم والاتساع وهي خاصة بالرؤساء ، وابن الحشرج : هو عبد الله بن الحشرج أمير نيسابور .

(٤) لأن هذه الصفات لا تقوم بنفسها ولا بتلك القبة من حيث ذاتها ؛ فتعين أن

تقوم به . (٥) ٢١٦ - المفتاح .

(٦) فيكون من الكناية المطلوب بها صفة مثله .

(٧) فتكون الصفة هي المكنى عنها فيه لا النسبة ، أما قولهم « المجد بين ثوبيه »

فهو عكسه في ذلك ، فلا يكون مثله .

وكقول الآخر :

والمجد يدعو أن يدوم لجيده عقد مساعي ابن العميد نظامه^(١)

فإنه شبه المجد بإنسان بديع الجمال في ميل النفوس إليه ، وأثبت له جيداً على سبيل الاستعارة التخيلية ، ثم أثبت لجيده عقداً ترشيحاً للاستعارة ، ثم خص مساعي ابن العميد بأنها نظامه ، فنبه بذلك على اعتناؤه خاصة بتزيينه ، وبذلك على محبته وحده له ، وبها على اختصاصه به ، ونبه بدعاء المجد أن يدوم لجيده ذلك العقد على طلبه دوام بقاء ابن العميد ، وبذلك على اختصاصه به^(٢) .

وكقول أبي نواس :

فما جازه جودٌ ولا حلٌّ دونه ولكن يصير الجودُ حيث يصير^(٣)

فإنه كنى عن جميع الجود بأن نكره^(٤) ، ونفى أن يجوز ممدوحه ويحل دونه فيكون متوزعاً يقوم منه شيء بهذا وشيء بهذا ، وعن إثباته له بتخصيصه بجهته بعد تعريفه باللام التي تفيد العموم^(٥) ، ونظيره قولهم «مجلس فلان مظنة الجود والكرم» . هذا قول السكاكي^(٦) .

(١) الجيد : العنق ، والمساعي : جمع مسعاة وهي المكرمة ، ونظام العقد : ما به يكون منتظماً وهو سلكه . وابن العميد هو محمد بن الحسين .

(٢) فيكون في البيت كنايةتان ، والمكنى عنه بهما واحد وهو اختصاص المجد بابن العميد .

(٣) قوله « جازه » بمعنى تعده ، وقوله « ولا حل دونه » بمعنى أنه لم يستقر في غير مكانه .

(٤) لأن النكرة في سياق النفي تدل على العموم .

(٥) فيكون صدر البيت كناية عن عدم توزعه وتقسيمه ، وهذه كناية عن صفة ، ويكون عجزه كناية عن إثباته له ، وهذه كناية عن نسبة ، والكناية الثانية كأنها مترتبة على الأولى .

(٦) ٢٢٧ - المفتاح .

وقيل : كنى بالشرط الأول عن اتصافه بالجود ، وبالثاني عن لزوم الجود له ، ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يكون كلُّ منهما كناية عن اختصاصه به ، وعدم الاقتصار على أحدهما للتأكيد والتقرير ، وذكرهما على الترتيب المذكور لأن الأولى بواسطة ^(١) بخلاف الثانية .

وكقولهم « مثلك لا يبخل » ، قال الزمخشري : نفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته ، قصدوا المبالغة في ذلك فسلخوا به طريق الكناية ؛ لأنهم إذا نفوه عمَّن يسدُّ مسدَّه وعمَّن هو على أخص أوصافه ؛ فقد نفوه عنه ، ونظيره قولك للعربي : « العرب لا تخفر الذمم » فإنه أبلغ من قولك « أنت لا تخفر » ومنه قولهم « أيفعت لداته » ، وبلغت أترابه « يريدون إيفاعه وبلوغه ، وعليه قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ ^(٢) على أحد الوجهين وهو ألا تجعل الكاف زائدة ، قيل : وهذا غاية لنفى التشبيه ، إذ لو كان له مثل لكان كمثله شيء وهو ذاته تعالى ، فلما قال : ﴿ ليس كمثله ﴾ دل على أنه ليس له مثل ^(٣) وأورد أنه يلزم منه نفيه تعالى لأنه مثل مثله ، وردَّ بمنع أنه تعالى مثل مثله ؛ لأن صدق ذلك موقوف على ثبوت مثله ؛ تعالى عن ذلك .

وكقول الشنفرى الأزدى في وصف امرأة بالعفة :

(١) لأن الدهن ينتقل فيها من عدم توزع الجود إلى تجمعه ، ومن ذلك إلى اختصاصه به ، وعلى هذا الوجه والذي قبله يكون كلُّ من الكنايتين كناية عن نسبة .

(٢) آية ١١ سورة الشورى .

(٣) هذه طريقة المتكلمين في تقرير الكناية في الآية ، وتوضيحها أن الله تعالى موجود ، فإذا نفى مثل مثله ، لزم نفى مثله ؛ لأنه لو كان له مثل لكان هو - أعنى الله تعالى - مثل مثله ، فلم يصح نفى مثل مثله لئلا يلزم نفيه تعالى مع ثبوت وجوده ، وهذا كما تقول « ليس لأخى زيد أخ » أى ليس لزيد أخ نفيًا للملزوم بنفى لازمه . وطريقة البلغاء أن لفظ (مثل) فى الآية كلفظ (مثل) فى قولك « مثلك لا يبخل » فالمراد منها نفى المثل عن ذاته بطريق نفى المثل عمَّن يكون مثله فى صفاته ؛ لأنه إذا نفى المثل عمَّن يكون مثله فى صفاته لزم نفيه عنه لعدم الفرق بينهما ، وتقرير الكناية على هذا الوجه واضح لا تعقيد فيه كما فى طريقة المتكلمين .

يبيت بمنجاة من اللوم بيتها إذا ما يبيت بالملامة حلت (١)

فإنه نبه بنفى اللوم عن بيتها على انتفاء أنواع الفجور عنه ، وبه على براءتها منها ، وقال « يبيت » دون (يظل) لمزيد اختصاص الليل بالفواحش ، هذا على ما رواه الشيخ عبد القاهر والسكاكي (٢) ، وفي الأغاني الكبير : « يحل بمنجاة »

وقد يُظن أن هنا قسماً رابعاً وهو أن يكون المطلوب بالكناية الوصف والنسبة معاً ، كما يقال : « يكثر الرماد في ساحة عمرو » في الكناية عن أن عمراً مضياف ، وليس بذلك ؛ إذ ليس ما ذكر بكناية واحدة بل هو كنياتان : أحدهما عن المضيافة ، والثانية عن إثباتها لعمرو ، وقد ظهر بهذا أن طرف النسبة المثبتة بطريق الكناية يجوز أن يكون مكنياً عنه أيضاً كما في هذا المثال ، ونحوه بيت الشنفرى المتقدم ؛ فإن حلول البيت بمنجاة من اللوم كناية عن نسبة العفة إلى صاحبه ، والمنجاة من اللوم كناية عن العفة (٣) .

الكناية العُرضية (التعريض بالكناية) : واعلم أن الموصوف في القسم الثانى والثالث (٤) قد يكون مذكوراً كما مر ، وقد يكون غير مذكور ، كما تقول فى عُرْض (٥) من يؤذى المسلمين : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده »

(١) هو لعمرو بن مالك المعروف بالشنفرى ، والمنجاة : الباعث على النجاة وهى الخلاص ، واللوم : العتاب والذم .

(٢) ٢٠٣ - دلائل الإعجاز ، ٢١٧ - المفتاح .

(٣) هذا وأهم أقسام الكناية الثلاثة القسم الثانى والثالث ؛ لأن الكناية تتفاوت مراتبها فيهما قرباً وبعداً وظهوراً وخفاءً ، وقد بين الخطيب ذلك فى القسم الثانى لأنه أظهر منه فى الثالث ، والحق أن الثالث تتفاوت مراتب الكناية فيه أيضاً ، وقد أشار الخطيب إلى أن الكناية قد تكون بعيدة فيه ، وذلك فى قول الشاعر :

والمجد يدعو أن يدوم لجيده عقد مساعى ابن العميد نظامه

(٤) بخلاف القسم الأول لأن التعريض لا يأتى إلا فى هذين القسمين .

(٥) العرض : الناحية والجانب ، والمراد التعريض به .

أى ليس المؤذى مسلماً^(١) وعليه قوله تعالى فى عُرْضُ المنافقين: ﴿ هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ﴾^(٢) إذا فُسرَّ الغيب بالغيبية ، أى يؤمنون مع الغيبة عن حضرة النبي ﷺ أو أصحابه رضى الله عنهم؛ أى هدى للمؤمنين عن إخلاص لا للمؤمنين عن نفاق .

أنواع الكناية: التعريض والتلويح والرمز والإيماء والإشارة :

وقال السكاكى^(٣) : «الكناية تتفاوت إلى تعريض ، وتلويح ، ورمز ، وإيماء ، وإشارة؛ فإن كانت عُرْضيةً فالمناسب أن تسمى تعريضاً^(٤) ، وإلا فإن كان بينها وبين المكنى عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط كما فى « كثير الرماد » وأشباهه فالمناسب أن تسمى تلويحاً ؛ لأن التلويح هو أن تشير إلى غيرك عن بُعد ، وإلا فإن كان فيها نوع خفاء فالمناسب أن تسمى رمزاً ؛ لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية ، قال :

رَمَزَتْ إِلَى مَخَافَةٍ مِنْ بَعْلِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تُبْدَى هُنَاكَ كَلَامَهَا^(٥)

(١) فهو كناية عن نفى الإسلام عنه ؛ لأن حصر الإسلام فى غير المؤذى يلزمه نفية عن المؤذى وهو منه ، وبهذا تكون الكناية فيه من القسم الثالث .
(٢) آية ٣، ٢ سورة البقرة . (٣) ٢١٧ - المفتاح .

(٤) الحق أن الكناية العرضية غير التعريض وإن سميت به ؛ فالكناية العرضية هى التى يكون الموصوف فيها غير مذكور ، والتعريض إمالة الكلام إلى عرض يدل على المقصود ، تقول « عرَّضت لفلان وبه » إذا قلت قولاً لغيره وأنت تعنيه ، ولهذا لا يختص التعريض بالكناية بل يأتى أيضاً فى الحقيقة والمجاز ، ودلالته غير لفظية بخلاف دلالة الثلاثة ، فإذا أتى فى الكناية كقولك « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » فالمعنى الكنائى فيه نفى الإسلام عن المؤذى مطلقاً ، والمعنى التعريضى نفى الإسلام عن المؤذى المعين ، وإذا أتى فى الحقيقة كقولك تُعرِّضُ بشخص ممقوت « لست أتكلم بسوء فيمقتنى الناس » فالمعنى الحقيقى فيه غير التعريضى أيضاً ، وكذلك إذا أتى فى المجاز كما سيذكره الخطيب .

(٥) قوله « رمزت » بمعنى أشارت بخفية وهو محل الشاهد ، والبعل : الزوج .

والا فالمناسب أن تسمى إيماءً وإشارة ؛ كقول أبي تمام يصف إبلاً :

أَبِينَ فَمَا يَزُرُّنْ سَوَى كَرِيمٍ وَحَسْبَكَ أَنْ يَزُرْنَ أَبَا سَعِيدٍ (١)

فإنه في إفادة أن أبا سعيد كريم غير خاف .

وكقول البحتري :

أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلْ (٢)

فإنه في إفادة أن آل طلحة أماجدٌ ظاهرٌ .

وكقول الآخر :

إِذَا اللَّهُ لَمْ يُسَقِّ إِلَّا الْكَرَامَ فَسَقَّى وَجْهَ بَنِي حَنْبَلٍ
وَسَقَّى دِيَارَهُمْ بَاكِرًا مِنْ الْغَيْثِ فِي الزَّمَنِ الْمُمَحِّلِ (٣)

وكقول الآخر :

مَتَى تَخْلُو تَمِيمٌ مِنْ كَرِيمٍ وَمُسْلِمَةٌ بَنَ عَمْرُو مِنْ تَمِيمٍ (٤)

ثم قال (٥) : « والتعريض كما يكون كنايةً قد يكون مجازاً ؛

(١) قوله « أبين » بمعنى امتنع ، وأبو سعيد هو محمد بن يوسف الثغري الطائي ، ولقب بالثغري لعمله بالثغور ، والشاهد في الشطر الثاني بضميمة الشطر الأول .

(٢) الرحل : ما يُجعل على ظهر البعير كالسرج للفرس ، شبه المجد برجل له رحل على سبيل الاستعارة المكنية ، ثم جعل إلقاء رحله في آل طلحة كناية عن ثبوته لهم .

(٣) هما لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، والباكر : البكرة وهي أول النهار ، تقول - أتيته بكرة - أي باكراً ، والممحل : المجدب . والشاهد في قوله « فسقى وجه بني حنبل » بضميمة ما قبله ، فهو كناية عن ثبوت الكرم لهم .

(٤) الاستفهام في قوله « متى تخلو » للإنكار ، فيكون معناه النفي ، أي لا تخلو تميم من كريم ومسلمة بن عمرو منهم ، وهذا كناية عن ثبوت الكرم له .

(٥) ٢١٨ - المفتاح .

كقولك « آذيتنى فستعرف » وأنت لا تزيد المخاطب بل تريد إنساناً معه ^(١) ،
وإن أردتهما جميعاً كان كناية ^(٢) .



(١) هذا مجاز مرسل علاقته بالزوم ؛ لأنه يلزم من تهديد المخاطب لإيذائه تهديد كل مؤذ ، وهو يشمل من مع المخاطب ، ولا بدّ له من قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقى .

(٢) لا بد لها من قرينة تدل على إرادتهما جميعاً ؛ لأن الكناية لا بد لها من قرينة أيضاً ، والحق أنهما إذا أريدا جميعاً لا يكون ذلك كناية بل يكون من استعمال اللفظ فى حقيقته ومجازه ، وذلك ممنوع ، وأنه إذا أريد غير المخاطب يكون تعريضاً لا مجازاً ، وإنما يجتمع التعريض والمجاز فى نحو قولك تعرّض بمن كشف عورته فى حمام : « رأيت أسوداً فى حمام غير كاشفين عوراتهم » ، فلم يعب ذلك عليهم .

تمارين على الكناية

تمرين ١

وازن بين قول المتنبي في الكناية عن العفة :

إنى على شغفى بما فى خمرها لأعفُ عما فى سراويلاتها

وقول الشريف الرضى في الكناية عنها :

أحنُّ إلى ما يضمن الخمر والحلى وأصدفُ عما فى ضمان المآزر

تمرين ٢

(١) بين ما يُطلب بالكناية من أقسامها الثلاثة فى قول الشاعر :

أفاضلُ الناس أغراضٌ لَذَا الزَّمنِ يخلو من الهمِّ أخلاهم من الفطن

(٢) وقفت امرأة على قيس بن سعد فقالت : « أشكو إليك قلة الفأر » .

فقال : ما أحسن ما ورّت ! املؤوا بيتها خبزاً وسمناً ولحماً » فهل قول هذه

المرأة كناية ، أو تعريض ، أو كناية وتعريض معاً ؟

تمرين ٣

(١) من أى الكناتين القريبة والبعيدة قول الشاعر :

أريد بسطة كفٍ أستعين بها على قضاء حقوقٍ للعلَى قبلى

(٢) بين الكناية ونوعها فى قوله تعالى : ﴿ فإذا تطهَّرنَ فأتوهنَّ

من حيث أمركم الله ﴾ آية ٢٢٢ سورة البقرة .

تمرين ٤

(١) من أى أقسام الكناية قوله تعالى : ﴿ وراودته التى هو فى بيتها عن

نفسه ﴾ آية ٢٣ سورة يوسف ، ولماذا أوثرت على التصريح باسمها أو بامرأة

العزیز ؟

(٢) وازن بين الكناية السابقة والكناية فى قول الشاعر :

تقول التى من بينها خَفَّ مركبى عزيزٌ علينا أن نراك تسير

تمرين ٥

(١) ما المكنى عنه؟ وما نوع كنيته فى قوله تعالى : ﴿ أَوْ مِنْ يَنْشَأُ فِي الْحَلِيةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ آية ١٨ سورة الزخرف .

(٢) بين الكناية ونوعها فى قول الشاعر :

أخو لحم أعارك منه ثوباً هنيئاً بالقميص المستجد

وقد روى « أخو لحم » بالخاء المهملة .

(٣) بين ما يطلب بالكناية من أقسامها الثلاثة فى قول الشاعر :

أَيُّنِي أَفَى يُمْنِي يَدِيكَ جَعَلْتَنِي فَأَفْرَحُ أَمْ صَيَّرْتَنِي فِي شِمَالِكَ

تمرين ٦

(١) ما هو المطلوب من الكناية فى قول الشاعر :

قومٌ ترى أرماحهم يوم الوغى مشغوفةً بمواطن الكتمان

(٢) ما هو المطلوب من الكناية فى قول الشاعر :

ولا زال يَبْتُ الْمَلِكِ فَوْقَكَ عَالِيًا تُشِيدُ أَطْنَابُ لَهُ وَعُمُودُ

تمرين ٧

(١) ما هى فائدة تقسيم الكناية إلى ما يطلب بها موصوف وما يطلب بها

صفة وما يطلب بها نسبة ؟

(٢) ما الفرق بين دلالة الحقيقة والمجاز والكناية ودلالة التعريض ؟

وأيهما ألطف : دلالة التعريض أم دلالة الكناية ؟

(٣) هل الكناية العُرضية عين التعريض أو غيره ؟ وإذا كانت غيره فما

الفرق بينهما مع توضيحه فى مثال يجمعهما ؟

* * *

تنبيه

الموازنة بين المجاز والحقيقة والكناية والتصريح :

أطبق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة^(١) وأن الاستعارة أبلغ من التصريح بالتشبيه ، وأن التمثيل على سبيل الاستعارة أبلغ من التمثيل على سبيل الاستعارة ، وأن الكناية أبلغ من الإفصاح بالذكر^(٢) .

قال الشيخ عبد القاهر^(٣) : «وليس ذلك»^(٤) لأن الواحد من هذه الأمور يفيد زيادة في المعنى نفسه لا يفيد خلافه ، بل لأنه يفيد تأكيداً لإثبات المعنى

(١) أبلغ : أفعل تفضيل يجوز أن يكون مأخوذاً من البلاغة بمعناها اللغوى أى أفضل وأحسن ، ويجوز أن يكون مأخوذاً من المبالغة على مذهب الأخفش فى جواز بناء أفعل التفضيل من الرباعى ، وهو الظاهر من كلام عبد القاهر . وقد قيل : إن المجاز المرسل لا مبالغة فيه ؛ فلا يكون أبلغ من الحقيقة . والحق أن المجاز المرسل فيه مبالغة أيضاً إلا ما كان منه خالياً عن الفائدة .

(٢) بقيت موازنات أخرى : منها الموازنة بين المجاز والكناية . وقد قيل : إن الكناية أبلغ من المجاز المرسل ، ويحتمل أن تكون أبلغ من الاستعارة أيضاً . وقيل : إن الاستعارة أبلغ من الكناية لأنها كالجامعة بين الاستعارة والكناية . وقيل : إن الاستعارة المكنية أبلغ من الكناية وإن الكناية أبلغ من التصريحية . ومنها الموازنة بين الاستعارة المكنية والتصريحية . وقد قيل : إن الأولى أبلغ من الثانية ؛ لأن الأولى كالجامعة بين الاستعارة والكناية ، والتصريحية محمولة على التشبيه فهى قريبة . ورد عليه بأنهم إنما يستحسنون الاستعارة القريبة ؛ لأنه إذا استعير للشيء ما يقرب منه كان أولى مما ليس منه فى شيء ، ولو كان البعيد أحسن لما استهجنوا قول أبى نواس :

بع صوت المال مما منك يشكو ويصيح

ومنها الموازنة بين الاستعارة التمثيلية والمفردة ، وقد قيل : إن الأولى أبلغ من الثانية .

(٣) ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ دلائل الإعجاز

(٤) أى كون الواحد من هذه الأمور أبلغ من الآخر .

لا يفيدُه خلافه ، فليست فضيلةُ قولنا « رأيتُ أسداً » على قولنا « رأيتُ رجلاً هو والأسد سواء في الشجاعة » أن الأول أفاد زيادةً في مساواته للأسد في الشجاعة لم يفدها الثاني ، بل هي أن الأول أفاد تأكيداً لإثبات تلك المساواة لم يفده الثاني ، وليست فضيلة قولنا « كثير الرماد » على قولنا « كثير القرى » أن الأول أفاد زيادةً لقراء لم يفدها الثاني ، بل هي أن الأول أفاد تأكيداً لإثبات كثرة القرى له لم يفده الثاني .

والسبب في ذلك أن الانتقال في الجميع^(١) من الملزوم إلى اللازم ، فيكون إثبات المعنى به كدعوى الشيء بينة ، ولا شك أن دعوى الشيء بينة أبلغ في إثباته من دعواه بلا بينة .

ولقائل أن يقول : قد تقدم أن الاستعارة أصلها التشبيه ، وأن الأصل في وجه الشبه أن يكون في المشبه به أتم منه في المشبه وأظهر ؛ فقولنا « رأيتُ أسداً » يفيد للمرئي شجاعة أتم مما يفيد قولنا « رأيتُ رجلاً كالأسد » لأن الأول يفيد شجاعة الأسد والثاني شجاعةً دون شجاعة الأسد . ويمكن أن يجاب عنه بحمل كلام الشيخ على أن السبب في كل صورة ليس هو ذلك ، لا أن ذلك ليس بسبب في شيء من الصور أصلاً^(٢) .

{ هذا آخر الكلام في الفن الثاني } .

(١) أي في المجاز بأقسامه والكناية .

(٢) يعني بهذا أن قول عبد القاهر « ليس ذلك لأن الواحد من هذه الأمور الخ » محمول على رفع الإيجاب الكلي ؛ فلا ينافي ثبوت الإيجاب الجزئي ، وحيث لا يدخل في دعواه من الاستعارة والتشبيه إلا ما كان نحو « رأيتُ أسداً ورأيتُ رجلاً هو والأسد سواء » ولا يدخل فيها منهما ما كان نحو « رأيتُ أسداً » و « رأيتُ رجلاً كالأسد » ولكن كلام عبد القاهر في دلائل الإعجاز ظاهر في أنه يعني السلب الكلي ، فيدخل فيه كل صور الاستعارة والتشبيه ، فالأحسن أن يجاب عن ذلك أن الاستعارة لم تخرج في المعنى عن كونها تشبيهاً ، فوجه الشبه فيها لا بد أن يكون في المشبه به أتم منه في المشبه أيضاً ، وحيث لا يكون هناك فرق بينهما إلا فيما ذكره عبد القاهر من تأكيد الإثبات وعدمه ، ولكني أرى مع هذا أن الرجال ليسوا سواء في مشابهة الأسد في الشجاعة ، وأن الاستعارة تستعمل فيمن تكون مشابهته أقوى ، والتشبيه فيمن تكون مشابهته أضعف ، وبهذا يكون الفرق بينهما في الدلالة على زيادة المعنى وضعفه أيضاً .

البلاغة والفصاحة عند السكاكي :

وذكر السكاكي^(١) بعد الفراغ منه^(٢) تفسير البلاغة بما نقلناه عنه في صدر الكتاب^(٣) ، ثم قسم الفصاحة إلى معنوية ولفظية ، وفسر المعنوية بخلوص المعنى عن التعقيد ، وعنى بالتعقيد اللفظي على ما سبق تفسيره^(٤) ، وفسر اللفظية بأن تكون الكلمة عربية أصلية ، وقال : « علامة ذلك أن تكون على ألسنة الفصحاء الموثوق بعربيته أدور واستعمالهم لها أكثر ، لا مما أحدثه المؤلّدون ، ولا مما أخطأت فيه العامة ، وأن تكون أجرى على قوانين اللغة ، وأن تكون سليمة عن التنافر » . فجعل الفصاحة غير لازمة للبلاغة^(٥) ، وحصر مرجع البلاغة في الفين^(٦) ، ولم يجعل الفصاحة مرجعاً لشيء منهما^(٧) .

(١) ٢٢٠ - المفتاح ، وكان الأحسن تقديم هذا في الكلام على الفصاحة والبلاغة في المقدمة من الجزء الأول .

(٢) أى من الفن الثانى ، وقد أحسن الخطيب بتقديم الكلام على الفصاحة والبلاغة في المقدمة من الجزء الأول .

(٣) يعنى كتاب - الإيضاح - وقد نقله عنه في تعريفه علم المعانى .

(٤) أى فى المقدمة من الجزء الأول ، أما التعقيد المعنوى فالخلوص عنه لا يدخل عنده فى تعريف الفصاحة ، بل يدخل فى قوله فى تعريف البلاغة - وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها .

(٥) لأنه لم يقيد تعريف البلاغة بفصاحة الكلام كما قيده الخطيب ، والخلاف فى ذلك لا طائل تحته ؛ لأن كلا منهما مطلوب فى الكلام ولو لم يكن أحدهما لازم الآخر .

(٦) يعنى فن المعانى وفن البيان .

(٧) إنما لم يرجع فن البيان عنده إلى الفصاحة ؛ لأن الخلوص من التعقيد المعنوى لا يدخل عنده فى تعريفها ، وفن البيان إنما يقصد منه الاحتراز عن التعقيد المعنوى .

ثم قال : « وإذ قد وقفت على البلاغة والفصاحة المعنوية واللفظية فأنا أذكر على سبيل الأنموذج آيةً أكشف لك فيها عن وجوه البلاغة والفصاحتين ما عسى يسترها عنك » ، وذكر ما أورده الزمخشري في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ اقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(١) وزاد عليه نُكْتًا لا بأس بها ، فرأيت أن أوردَ تلخيص ما ذكره جاريًا على اصطلاحه في معنى البلاغة والفصاحة :

قال : « أما النظر فيها من جهة علم البيان فهو أنه تعالى لما أراد أن يبين معنى - أردنا أن نرد ما انفجر من الأرض إلى بطنها فارتدَّ ، وأن نقطع طوفان السماء فانقطع ، وأن يغيض الماء النازل من السماء فغاض ، وإن يُقضى أمر نوح وهو إنجازه ما كنا وعدناه من إغراق قومه فقضى ، وأن نُسوى السفينة على الجودي فاستوت ، وأبقينا الظلمة غرقى - بنى الكلام على تشبيه المراد منه ^(٢) بالمأمور الذى لا يأتى منه لكمال هيئته العصيان ، وتشبيه تكوين المراد ^(٣) بالأمر الجزم النافذ فى تكون المقصود ، تصويراً لاقتداره تعالى وأن السماوات والأرض وهذه الأجرام العظام تابعة لإرادته كأنهم عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفته ، وأحاطوا علماً بوجوب الانقياد لأمره ، وتحتم بذل المجهود عليهم فى تحصيل مراده ، ثم بنى على تشبيهه هذا نظم الكلام فقال تعالى : ﴿ قِيلَ ﴾ على سبيل المجاز عن الإرادة الواقع بسببها قول القائل ^(٤) ، وجعل قرينة المجاز خطاب الجماد و هو يا أرض ويا سماء ، ثم قال : ﴿ يا أرض ويا سماء ﴾ مخاطباً لهما على سبيل الاستعارة للشبه المذكور ^(٥) ثم استعار لغور الماء فى الأرض البلع الذى هو إعمال الجاذبة فى المطعوم بجامع الذهاب إلى مقر

(١) آية ٤٤ سورة هود .

(٢) هو الأرض والسماء ؛ لأنه أريد منهما بلع الماء والإقلاع عن المطر .

(٣) هو بلع الماء وما بعده .

(٤) فهو مجاز مرسل من إطلاق المسبب وإرادة السبب .

(٥) هى استعارة مكنية ، والشبه المذكور هو تشبيه المراد منه بالمأمور .

خفى^(١) واستتبع ذلك تشبيه الماء بالغذاء على طريق الاستعارة بالكناية ؛ لتقوى الأرض بالماء فى النبات للزرع والأشجار ، وجعل قرينة الاستعارة لفظ (ابلعى)^(٢) لكونه موضوعاً للاستعمال فى الغذاء دون الماء ، ثم أمر على سبيل الاستعارة للشبه المقدم ذكره^(٣) ، ثم قال ماءك بإضافة الماء إلى الأرض على سبيل المجاز تشبيهاً لاتصال الماء بالأرض باتصال الملك بالمالك ، واستعار الحبس المطر الإقلاع الذى هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما فى عدم ما كان ، وخاطب فى الأمرين^(٤) ترشيحاً للاستعارة ، ثم قال ﴿ وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بُعداً للقوم الظالمين ﴾ فلم يصرح بالغائض والقاضى والمسوئى والقائل كما لم يصرح بقائل ﴿ يا أرض ويا سماء ﴾ سلوكاً فى كل واحد من ذلك سبيل الكناية أن تلك الأمور العظام^(٥) لا تتأنى إلا من ذى قدرة لا تُكتنه ، قهَّار لا يُغالب ؛ فلا مجال لذهاب الوهم إلى أن يكون الفاعل لشيء من ذلك غيره ، ثم ختم الكلام بالتعريض لسالكى مسلكهم فى تكذيب الرسل^(٦) ظلماً لأنفسهم ختم إظهار لكان السخط وجهة استحقاقهم إياه^(٧) .

وأما النظر فيها من حيث علم المعانى - وهو النظر فى فائدة كل كلمة فيها ، وجهة كل تقديم وتأخير بين جملها - فذلك أنه اختير « يا » دون سائر

(١) هى استعارة تصريحية تبعية اشتق فيها من البلع - ابلعى - بمعنى غورى .
(٢) ففيه استعارة تخيلية من جهة إثبات البلع للماء وهو من لوازم الغذاء ، أو من جهة استعارة البلع لغور الماء فى الأرض على ما سبق من الخلاف فى الاستعارة التخيلية .

(٣) يريد أمر (ابلعى) والشبه هو تشبيه المراد منه بالمأمور .
(٤) أى ﴿ ابلعى - أقلعى ﴾ ؛ فالخطاب فيهما ترشيح لاستعارة البلع للتغوير والإقلاع للحبس .

(٥) أن وما بعدها فى تأويل مصدر مجرور بحرف محذوف أى سبيل الكناية عن أن تلك الأمور الخ ، والظاهر أن الكناية هنا لغوية لا اصطلاحية .

(٦) يعنى بسالكى مسلكهم : كفار قريش ومن إليهم .

(٧) هى جهة ظلمهم أنفسهم بتكذيب الرسل .

أخواتها لكونها أكثر استعمالاً ، ولدلالاتها على بُعد المناهى الذى يستدعيه مقام إظهار العظمة ويؤذن بالتهاون به ، ولم يقل - يا أرض - بالكسر تجنباً لإضافة التشريف تأكيداً للتهاون ، ولم يقل « يا أيتها الأرض » للاختصار مع الاحتراز عما فى « أيتها » من تكلف التنبيه غير المناسب للمقام ؛ لكون المخاطب غير صالح للتنبيه على الحقيقة^(١) . واختير لفظ الأرض دون سائر أسمائها لكونه أخف وأدور ، واختير لفظ السماء لمثل ذلك مع قصد المطابقة^(٢) . واختير ﴿ ابلعى ﴾ على - ابتلعى - لكونه أخصر ، ولمجيء حظ التجانس بينه وبين ﴿ أقلعى ﴾ أوفر^(٣) ، وقيل ﴿ ماءك ﴾ بالإنفراد دون الجمع لدلالة الجمع على الاستكثار الذى يأباه مقام إظهار الكبرياء ، وهو الوجه فى إفراد الأرض والسماء ، ولم يحذف مفعول ﴿ ابلعى ﴾ لئلا يفهم ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للجبال والتلال والبحار وغيرها ، نظراً إلى مقام ورود الأمر الذى هو مقام عظمة وكبرياء ، ثم إذ بين المراد اختصر الكلام على ﴿ أقلعى ﴾ فلم يقل « أقلعى عن إرسال الماء » احترازاً عن الحشو المستغنى عنه من حيث الظاهر^(٤) وهو الوجه فى أنه لم يقل « يا أرض ابلعى ماءك فبلعت ويا سماء أقلعى فأقلعت » . واختير ﴿ غيض الماء ﴾ على « غيض » المشددة لكونه أخصر وأخف وأوفق لقليل^(٥) ، وقيل ﴿ الماء ﴾ دون أن يقال « ماء طوفان السماء » وكذا ﴿ الأمر ﴾ دون أن يقال « أمر نوح » للاختصار ، ولم يقل « سويت على الجودى » بمعنى أقرت على نحو « قيل وغيض وقضى » فى بناء الفعل للمفعول اعتباراً لبناء الفعل للفاعل مع السفينة فى قوله ﴿ وهى تجرى بهم ﴾ مع قصد الاختصار^(٦) . ثم قيل ﴿ بعداً للقوم ﴾ دون أن يقال « ليعبد

(١) لأن المخاطب هو الأرض وهى لا تعقل حتى تصلح للتنبيه .

(٢) هى من المحسنات الآتية فى علم البديع .

(٣) لتشابههما فى الوزن العروضى وعدد الحروف .

(٤) أى من حيث ظاهر الكلام لاشتماله على ما يدل عليه .

(٥) لتشابههما فى الوزن .

(٦) لأن همزة « استوت » تسقط فى الدرَج فتكون أخصر من سويت .

القَوْمُ» طلباً للتوكيد مع الاختصار ، وهو نزول (بعداً) منزلة (ليعبداً بعداً) مع إفادة أخرى وهى استعمال اللام^(١) مع بُعد الدالّ على معنى أن البعد حقّ لهم ، ثم أطلق الظلم ليتناول كل نوع حتى يدخل فيه ظلمهم لأنفسهم بتكذيب الرسل .

هذا من حيث النظر إلى الكلام^(٢) وأما من حيث النظر إلى ترتيب الجمل : فذلك أنه قدّم النداء على الأمر فقل « يا أرض ابلعى ويا سماء أقلعى » دون أن يقال « ابلعى يا أرض وأقلعى يا سماء » جرياً على مقتضى اللازم فيمن كان مأموراً حقيقةً من تقديم التنبيه ؛ ليتمكن الأمر الوارد عقبيه فى نفس المنادى قصداً بذلك لمعنى الترشيح^(٣) ، ثم قدّم أمر الأرض على أمر السماء لابتداء الطوفان منها ونزولها لذلك فى القصة منزلة الأصل ، ثم أتبعها قوله « وغيض الماء » لاتصاله بقصة الماء ، ثم أتبعه ما هو المقصود من القصة وهو قوله « وقضى الأمر » أى أنجز الوعد من إهلاك الكفرة وإنجاء نوح ومن معه فى السفينة ، ثم أتبعه حديث السفينة ، ثم ختمت القصة بما ختمت .

هذا كله نظرٌ فى الآية من جانب البلاغة ، وأما النظر فيها من جانب الفصاحة المعنوية فهى كما ترى نظمٌ للمعانى لطيف ، وتأديةٌ لها ملخصة مبينة ، لا تعقيد يعثر الفكر فى طلب المراد ، ولا التواء يشيك الطريق إلى المرتاد ، بل ألفاظها تسابقُ معانيها ، ومعانيها تسابقُ ألفاظها .

وأما النظر فيها من جانب الفصاحة اللفظية : فألفاظها على ما ترى عربيةً مستعملة جارية على قوانين اللغة ، سليمة عن التنافر ، بعيدة عن البشاعة ، عذبة على العذبات^(٤) ، سلسة على الأسلات^(٥) ، كلٌّ منها كالماء فى السلاسة ، وكالعسل فى الحلاوة ، وكالنسيم فى الرقة - والله أعلم .



(١) يعنى لام الجر فى قوله « بعداً للقوم » لأنها تسقط إذا قيل : ليعبداً القوم .

(٢) يعنى الكلمات المفردة فى الآية .

(٣) يريد بالترشيح التهيئة للأمر ، أو ترشيح الاستعارة على ما سبق .

(٤) جمع عذبة وهى الطرف من كل شىء ، والمراد بها هنا رأس اللسان .

(٥) جمع أسلة وهى رأس اللسان أيضاً ، أو الطرف المستدق من جانبيه .

رقم الإيداع : ١٤٥٨٦ لسنة ١٩٩٩
الترقيم الدولي : 6 - 289 - 241 - 977 I.S.B.N.

بُغْيَةُ الإِيضَاحِ

لتلخيص المفتاح

فى علوم البلاغة

تأليف

عبد المتعال الصعيدى

الأستاذ بكلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر

الجزء الرابع

فى علم البديع

طبعة جديدة مشكولة مفهرسة

تنبيه: كتاب الإيضاح بأعلى الصفحة ووضعنا شرحه - بغية الإيضاح - بأسفلها

الناشر: مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة - ت: ٣٩٠٠٨٦٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفن الثالث: علم البديع

تعريف علم البديع: وهو علمٌ يُعرَفُ به وجوه تحسين الكلام^(١)، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة^(٢).

(١) يعنى بمعرفتها تصور معانيها والعلم بأعدادها وتفصيلها ومنشأ الحسن فيها، وهذه الوجوه هي المحسنات المعنوية واللفظية الآتية، وإنما سميت محسنات لأنها ليست من مقومات البلاغة ولا الفصاحة؛ فالحسن الذى تحدثه فى الكلام عَرَضِي لا ذاتي.

(٢) قيل إن كل واحد من تطبيق الكلام على مقتضى الحال ووضوح الدلالة ووجوه التحسين قد يوجد دون الآخر؛ فلا يكون الأول واجباً فى الثانى، ولا كل من الأول والثانى واجباً فى الثالث، والحق أنهما يجبان فيه لأنه لا قيمة له إلا معهما، ولهذا لا تستحسن هذه الوجوه إذا تكلفت، كالمطابقة فى قول الأحيطل:

قُلْتُ الْمُقَامَ وَنَاعِبٌ قَالَ النَّوَى فَعَصَيْتُ قَوْلِي وَالْمُطَاعُ غُرَابٌ

لأن هذا من غث الكلام وبارده. ولكن هذا لا يقتضى التقيد بذلك فى تعريف علم البديع؛ لأنه يبحث عن وجوه الحسن بقطع النظر عن اشتراط ذلك فيها، كما يبحث علم المعانى عن المطابقة بقطع النظر عن غيرها، ويبحث علم البيان فى وضوح الدلالة بقطع النظر عن غيره؛ فالأولى أن يجعل ذلك شرطاً لا ركناً فى التعريف، وأن يقتصر فى التعريف على أنه علم يعرف به وجوه تحسين الكلام من جهة لفظه ومعناه.

هذا ومن القدماء من ذهب إلى أن علم البديع هو ما تحصل به المطابقة مع الفصاحة؛ فالحسن عنده سواء كان عرضياً أم ذاتياً لفظياً أم معنوياً من مقومات البلاغة، وليس هناك شئ يقتضيه الحال وشئ لا يقتضيه الحال، فيكون علم البديع شاملاً للعلوم الثلاثة. وهذا قول ضعيف؛ لأن المحسنات البديعية تحسن فى الكلام ولو لم يكن هناك حال يقتضيها، ولا تحب فيه كما يجب التأكيد ونحوه مما يرجع إلى النظم لأنه من مقومات البلاغة، وكما يجب وضوح الدلالة لأنه من مقومات الفصاحة، ولهذا يجب الفصل بين العلوم الثلاثة، وقد يكون لبعض وجوه التحسين نكتة كما سنأتى، ولكنها لا تقتضى وجوبها فى البلاغة، وإنما تكون شرطاً لكونها محسناً بديعياً، وبهذا يعلم خطأ ما شاع من أن المحسن البديعى إذا كان له نكتة يكون من علم المعانى.

تقسيم المحسنات إلى معنوية ولفظية:

وهذه الوجوه ضربان: ضرب يرجع إلى المعنى^(١)، وضرب يرجع إلى اللفظ^(٢).

أقسام المحسن المعنوي

● المطابقة أو الطباق: أما المعنوي فمنه المطابقة^(٣)، وتسمى الطباق والتضاد أيضاً؛ وهي الجمع بين المتضادين أى معنيين متقابلين فى الجملة^(٤)، ويكون ذلك إما

(١) أى أولاً وبالذات، وإن كان بعض أنواعه قد يفيد تحسين اللفظ أيضاً، كما فى المشاكلة لما فيها من إيهام المجانسة اللفظية.

(٢) أى أولاً وبالذات. وإن كان بعض أنواعه قد يفيد تحسين المعنى أيضاً. وقد ذهب عبد القاهر إلى أن الحسن لا يمكن أن يكون فى اللفظ فى ذاته من غير نظر إلى المعنى، حتى ما يتوهم فى بدء الفكرة أن الحسن لا يتعدى فيه اللفظ والجرس كالتجنيس؛ لأنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنيهما من العقل موقعاً حميداً، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً، ولهذا استقبح فى قول أبى تمام:

ذهب بمذهبه السماحة فالتوت فيه الظنون أمذهب أم مذهب واستحسن فى قول أبى الفتح البستي:

نأظراه فيما جت ناظراه أو دعاني أمت بما أودعاني لأنه فى الأول لم يزدك على أن أسمعك حروفاً مكررة تروم لها فائدة فلا تجدها إلا مجهولة منكورة، وفى الثانى أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك، وقد أحسن الزيادة ووفّاها.

وإنما قدم المعنوي على اللفظى لأنه أتم منه حسناً، وقد رأى بعض مؤلفى عصرنا إلحاقه بعلم المعانى، والحق أنه لا فرق بينه وبين اللفظى؛ لأنهما سواء فى أن الحسن فيهما عرضى لا ذاتى. وفى أنهما يحسان فى الكلام ولا يجبان.

(٣) المطابقة فى اللغة: الموافقة، ووجه المناسبة بينه وبين المعنى الاصطلاحي أن المتكلم فيه يوافق بين المعنيين المتقابلين.

(٤) أى سواء أكان التقابل حقيقياً أم اعتبارياً، كتقابل القدم والحدوث وتقابل الإحياء والإماتة، وسواء أكان تقابل التضاد أم تقابل غيره؛ كتقابل البياض والسواد وتقابل العمى والبصر، ومثل التقابل بين الاثنين والتقابل بين الجمع، هذا وقد ذكر التنوخي فى المطابقة أنها تحسن ما لم تكثر، فتسمح. لا يخفى أن هذا شأن المحسنات البديعية كلها لا المطابقة وحدها.

بلفظين من نوع واحد؛ اسمين، كقوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨]، أو فعلين كقوله تعالى: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وقول النبي عليه السلام للأَنْصار: «إِنكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَرْعِ، وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمْعِ»، وقول أبي صخر الهذلي:

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر^(١)

وقول بشار:

إِذَا أَيْقَظْتُكَ حُرُوبُ الْعَدَى فَبِهِ لَهَا عُمَرًا ثُمَّ نَمَّ^(٢)

أو حرفين؛ كقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾^(٣) [البقرة: ٢٨٦].

وقول الشاعر:

على أننى راضٍ بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا على ولا ليا^(٤)

وإمّا بلفظين من نوعين؛ كقوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] أى ضالاً فهديناه، وقول طفيل:

(١) قوله «أمره الأمر» بمعنى شأنه الأمر أى حاله أن يكون أمراً وغيره مأموراً، أو أمره الأمر

النافذ. والشاهد فى قوله «أبكى وأضحك وأمات وأحيا» وجواب القسم فى قوله بعده:

لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى أليفين منها لا يروعهما الذعر

(٢) يريد بعمر أحد قواد المهدي، وفى رواية «إذا دهمتك عظام الأمور». والشاهد فى قوله «فنبه ثم نم»، وفيه تقابل أيضاً بين قوله «أيقظتك» و«نم».

(٣) المطابقة فيه بين اللام وعلى؛ لأن اللام للملك المؤذن بالانتفاع، وعلى للاستعلاء المؤذن بالتحميل والتضرر.

(٤) هو لمجنون ليلى، والشاهد فى «على» الثانية مع اللام فى قوله «ليا» لأن على الأولى بمعنى مع، والمعنى: أنه تحمل ما يوجب مدحه، ولكنه يرضى بأن يخلص منه وليس عليه ذم ولا له مدح.

بِساهِمِ الوجه لم تُقَطَّعْ أَبَاجِلُهُ يُصَانُ وهو لِيَوْمِ الرَّوْعِ مَبْذُولٌ^(١)

ومن لطيف الطباق قول ابن رَشِيق:

وَقَدْ أَطْفَأُوا شَمْسَ النَّهَارِ وَأَوْقَدُوا نُجُومَ الْعَوَالِي فِي سَمَاءِ عَجَاجٍ^(٢)

وكذا قول القاضي الأرجاني:

وَلَقَدْ نَزَلَتْ مِنَ الْمُلُوكِ بِمَاجِدٍ فَقَرُّ الرِّجَالِ إِلَيْهِ مِفْتَاحُ الْغِنَى^(٣)

وكذا قول الفرزدق:

لَعَنَ الْإِلَهَ بَنَى كُلِّبٍ إِنَّهُمْ لَا يَغْدِرُونَ وَلَا يَفُونَ لِحَارٍ

يَسْتَيْقِظُونَ إِلَى نَهْيِ حِمَارِهِمْ وَتَنَامُ أَعْيُنُهُمْ عَنِ الْأَوْتَارِ^(٤)

وفي البيت الأول تكميلٌ حسنٌ^(٥)؛ إذ لو اقتصر على قوله «لا يغدرون» لاحتمل الكلام ضرباً من المدح؛ إذ تجنب الغدر قد يكون عن عفة؛ فقال «ولا يفون» ليفيد أنه للعجز، كما أن ترك الوفاء لِلْوَمِّ، وحصل مع ذلك إيغال حسنٌ^(٦)؛ لأنه لو اقتصر على قوله «لا يغدرون ولا يفون» تم المعنى الذي قصده،

(١) هو لطفيل بن عوف الغنوي، وساهم الوجه: متغيره من كثرة الجرى صفة لفرس، والأباجل: جمع أبجل وهو عرق في الفرس والبعر بمنزلة الأكحل من الإنسان، والروع: الفزع، والشاهد في قوله «يُصَانُ ومبذول».

(٢) هو لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني، والعوالى: جمع عالية وهي أعلى الرمح أو النصف الذي يلي السنان، والعجاج: الغبار، والشاهد في قوله «أَطْفَأُوا وَأَوْقَدُوا».

(٣) هو لأبي بكر أحمد بن محمد القاضي الأرجاني من قصيدة له في مدح علي بن جهير وزير المستظهر بالله، ومعناه أن فقرهم إليه مفتاح الغنى لهم بما يعطيهم، والشاهد في التقابل بين الفقر والغنى.

(٤) هما من قصيدة له في هجاء جرير، وقوله «لا يغدرون» بمعنى لا يخونون عدوهم لعجزهم عنه، وهذا ذم لهم، والأوتار: جمع وتر وهو الشار، يعني أنهم لا يهتمهم أمر أوتارهم ويهتمهم أمر حمارهم، فيستيقظون عند نهيقه ليعرفوا ما حمله عليه ويدفعوا المكروه عنه. والشاهد في قوله «لا يغدرون ولا يفون»، ويستيقظون وتنام أعينهم».

(٥) التكميل من أنواع الإطناب، وقد سبق في الجزء الثاني.

(٦) الإيغال من أنواع الإطناب، وقد سبق في الجزء الثاني.

ولكنه لما احتاج إلى القافية أفاد بها معنى زائداً، حيث قال «لجار»؛ لأن ترك الوفاء للجار أشد قبحاً من ترك الوفاء لغيره.

الطباق الظاهر والخفى:

والطباق قد يكون ظاهراً كما ذكرنا، وقد يكون خفياً نوع خفاء؛ كقوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً﴾ [نوح: ٢٥] طابق بين (أغرقوا) و(أدخلوا ناراً). وقول أبى تمام:

مها الوحش إلا أن هاتا أو انس قنا الخط إلا أن تلك ذوابل^(١)
طابق بين هاتا وتلك^(٢).

طباق الإيجاب وطباق السلب:

والطباق ينقسم إلى طباق الإيجاب، كما تقدم، وإلى طباق السلب؛ وهو الجمع بين فعلى مصدر واحد مثبت ومنفى أو أمر ونهى؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا [الروم: ٦، ٧]، وقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخْشَوْنَ﴾ [المائدة: ٤٤]. وقول الشاعر:

وَنُنْكِرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ^(٣)
وقول البحتري:

يُقَيِّضُ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ النَّوَى وَيَسْرِى إِلَى الشَّوْقِ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ^(٤)

(١) المها: واحدة مهاة وهى البقرة الوحشية، يعنى أنهم كبقر الوحشى فى سعة العيون، قنا: واحدة قناة وهى الرمح، والخط: بلد تصنع فيها، يعنى أنهم كفنا الخط فى اعتدال القامة، والذوابل: الأغصان الجافة، يعنى أن تلك الرماح ذوابل أما هن فنواصر.

(٢) لأن «هاتا» اسم إشارة للقريب، و«تلك» اسم إشارة للبعيد.

(٣) قد سبق هذا البيت فى آخر الكلام على الإيجاز والإطناب والمساواة من الجزء الثانى، والشاهد فى قوله «وننكر ولا ينكرون».

(٤) قوله «يقيض» بمعنى يهيا، والنوى: الفراق، والمراد أنه يقيض له من حيث لا يعلم أسبابه لأن محبوبته تهجره بلا سبب، أما الشوق فهو يعلم سببه وهو حبه لها، والشاهد فى قوله «لا أعلم وأعلم».

وقول أبي الطيب:

ولقد عُرِفَتْ وما عُرِفَتْ حَقِيقَةً ولقد جُهِلَتْ وما جُهِلَتْ خُمُولاً^(١)

وقول الآخر:

خُلِقُوا وما خُلِقُوا لِمَكْرُمَةٍ فكأنهم خُلِقُوا وما خُلِقُوا

رُزِقُوا وما رُزِقُوا سَمَاحَ يَدٍ فكأنهم رُزِقُوا وما رُزِقُوا^(٢)

قيل: ومنه^(٣) قوله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾

[التحریم: ٦]؛ أى لا يعصون الله فى الحال، ويفعلون ما يؤمرون فى المستقبل.

وفيه نظر؛ لأن العصيان يُضَادُّ فعلَ المأمور به، فكيف يكون الجمع بين نفيه

وفعلِ المأمور به تَضَادًّا^(٤)؟!.

الطباقي المسمى تديبجاً:

ومن الطباقي^(٥) قول أبي تمام:

تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمْراً فَمَا أَتَى لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضِرٍ^(٦)

(١) هو من قصيدة له فى مدح ابن عمار مطلعها:

أَمْعَرُ اللَّيْلِ الْهَزْبُ بِسُوطِهِ لَمَنْ أَدْخَرْتَ الصَّارِمَ الْمَصْقُولَا

ومعنى البيت أنه عُرِفَ بسخائه وكريم صفاته، ولكنه لم يعرف حقيقة لعلو قدره، فلا يمكن

الوصول إلى حقيقته، والشاهد فى قوله «عرفت وما عرفت وجهلت وما جهلت».

(٢) لا يعلم قائلهما، والواو فى قوله «وما خلقتوا» للحال، والمعنى أنهم خلقتوا غير مستعدين لفعل

المكارم فكأنهم لم يخلقوا؛ لأن من يكون مثلهم فوجوده كعدمه، وكذلك المعنى فى البيت

الثانى، والشاهد فى قوله «خلقوا وما خلقتوا، ورزقوا وما رزقوا».

(٣) أى من طباق الإيجاب والسلب.

(٤) على أنه ليس فيه جمع بين فعلى مصدر واحد كما هو فى طباق الإيجاب والسلب.

(٥) أى مطلقاً، وهذا توطئة لقوله فيما سيأتى: «ومن الناس من يسمى نحو ما ذكرناه تديبجاً».

(٦) هو من قصيدته فى رثاء محمد بن حميد، وقوله «تردى ثياب الموت» بمعنى اتخذها رداءً،

والمراد بثياب الموت ما كان يلبسها وقت الحرب، وقوله «حمرًا» حال مقدرة أى حمرًا بعد

القتال لا حين لبسها لأنها لم تحمر إلا بدم القتلى، والسندس: رقيق الحرير، والأول كناية =

وقول ابن حيّوس:

طالما قلتُ للمُسائلِ عَنْكُمْ واعتمادى هداية الضُّلالِ
إن تُردِّدَ علمَ حالهم عن يقينٍ فالقَهْمُ يوم نائلٍ أو نزالٍ
تَلَقَّ بيضَ الوجوهِ سَوْدَ مِثَارِ النَّقْـ مع خُضْرَ الأكْنافِ حُمْرَ النَّصَالِ^(١)
وقول الحريري: «قَمَدُ أَزَوْرَ المحبوبِ الأصفر»^(٢)، واغبرَّ العيش الأَخضر^(٣)،
أسودَّ يومى الأبيض، وأبيضَ فَوْدَى الأسود، حتى رثى لى العدوُّ الأزرق^(٤)؛ فيا
حبذا الموت الأحمر»^(٥).

ومن الناس من سمى نحو ما ذكرناه تدييجًا، وفسّره بأن يُذكر فى معنى من
المدح أو غيره ألوانٌ بقصد الكناية أو التورية^(٦)؛ أما تدييج الكناية فكبيت أبى تمام

= عن القتل والثانى كناية عن دخول الجنة، والطباق فى قوله «حمرًا وخضرًا».

(١) ابن حيّوس هو أبو الفتيان محمد بن سلطان. وقوله «طالما» بمعنى طال وكثر، وما كافة،
اعتمادى: مصدر بمعنى اسم المفعول مبتدأ وما بعده خبر، وهى جملة معترضة بين القول
ومقوله، والنائل: العطاء، والتزال: مصدر نازله فى الحرب بمعنى نزل فى مقابلته وقتله،
ومثار النقع: منتشر الغبار يعنى غبار الحرب، والأكناف: جمع كَنَف وهو الجانب،
وخضرتها: كناية عن سواد دروعها؛ لأن العرب تسمى الضارب إلى السواد أخضر،
والنصال: جمع نصل وهو حديدة الرمح والسهم والسكين، وربما سُمى السيف نصالاً،
وحمرتها: كناية عن قتل الأعداء بها، هذا وقوله «بيض الوجوه» يرجع إلى يوم نائلهم، وما
بعده يرجع إلى يوم نزالهم. والشاهد فى التقابل بين بيض وسود وخضر وحمر، والأول كناية
عن كرمهم وما بعده كناية عن شجاعتهم.

(٢) تورية بالذهب.

(٣) خضرة العيش كناية عن طيبه.

(٤) هو الخالص العداوة.

(٥) كناية عن الموت الطرى أى الجديد.

(٦) المراد بالألوان ما فوق الواحد فيشمل الاثنين، واحترز بذكرها بقصد ذلك عن ذكرها بقصد
الحقيقة أو المجاز؛ لأن ذكرها بقصد الحقيقة ليس من المحسنات البديعية، وذكرها بقصد المجاز
المانع من إرادة الألوان من المحسنات اللفظية، وقيل إن ذكرها بقصد الحقيقة لا يمنع من كونها
تدييجًا؛ كقول الشاعر:

وبيتي ابن حيوس، وأما تدييح التورية فكلفظ الأصفر في قول الحريري^(١).

• ما يلحق بالطباق: ويلحق بالطباق شيان:

* أحدهما^(٢) نحو قوله تعالى: ﴿أَشْدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]؛

فإن الرحمة مسببة عن اللين^(٣) الذي هو ضد الشدة، وعليه قوله تعالى:

﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [القصص:

٧٣] فإن ابتغاء الفضل يستلزم الحركة المضادة للسكون، والعدول عن لفظ

الحركة إلى لفظ ابتغاء الفضل؛ لأن الحركة ضربان: حركة لمصلحة، وحركة لمفسدة، والمراد الأولى لا الثانية.

ومن فاسد هذا الضرب قول أبي الطيب:

لِمَنْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرِدْ بِهَا سُرُورَ مُحِبٍّ أَوْ مَسَاءَ مُجْرِمٍ؟^(٤)

فإن ضد المحب هو المبغض، والمجرم قد لا يكون مبغضاً، وله وجه بعيد^(٥).

= وَمَثُورٌ دَمْعِي غَدَاً أَحْمَرًا عَلَى آسٍ عَارِضِكَ الْأَخْضَرِ
وإنما لم يجعل التدييح قسماً خاصاً من المعنوى لأنه يدخل في الطباق؛ لما بين الألوان من
التقابل.

(١) لأن له معنى قريباً وهو محبوب أصفر من البشر، ومعنى بعيد وهو الذهب، والبعيد هو المراد هنا. وفي كلام الحريري تدييح الكناية أيضاً؛ لأن خضرة العيش كناية عن طيبه ونعومته، واغبراره كناية عن ضيقه ونقصانه، وسواد يومه كناية عن حزنه، وبياض فوده كناية عن ضعف حاله.

(٢) هو أن يجمع بين معنيين لا يتنافيان في ذاتهما، ولكن يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر بسببه أو لزومه أو نحوهما.

(٣) اعترض عليه بأن اللين هو رقة القلب ورحمته وانعطافه؛ فتكون الرحمة داخلة فيه لا مسببة عنه.

(٤) يخاطب بهذا كافوراً حين أخر عطاءه عنه، والاستفهام يراد به النفي.

(٥) هو أن بين الإجرام والبغض تلازماً ادعائياً؛ كأنه يشير إلى أن المجرم لا يكون إلا مبغضاً له لمنافاة حاله لحاله.

* والثانى ما يُسمَّى إيهام التضاد^(١) كقول دَعْبِلٍ:

لا تَعَجَبِى يا سَلَمٌ مِنْ رَجُلٍ ضَحَكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى^(٢)
وقول أبى تمام:

ما إِنْ تَرَى الْأَحْسَابَ بَيْضًا وَضَحًّا إِلَّا بِحَيْثُ تَرَى الْمَنَايَا سُودًا^(٣)
وقوله أيضًا فى الشيب:

له منظرٌ فى العين أبيضٌ ناصعٌ ولكنه فى القلب أسودٌ أسفعٌ^(٤)
وقوله:

وَتَنْظُرَى خَبَبَ الرُّكَّابِ يَنْصُهَا مُحِىِّ الْقَرِيضِ إِلَى مُمِيتِ الْمَالِ^(٥)
ما يُخَصُّ مِنَ الطَّبَاقِ بِاسْمِ الْمَقَابِلَةِ: ودخل فى المطابقة ما يُخَصُّ بِاسْمِ الْمَقَابِلَةِ،

(١) هو أن يجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنهما بلفظين يتقابل معناهما الحقيقيان.

(٢) هو لدعبل بن على الخزاعى، وسلم: ترخيم سلمى، وقوله «ضحك المشيب» استعارة تبعية لظهوره التام برأسه؛ لأن كلا منهما يشبه الآخر فى لونه، والشاهد فى أن المراد بالضحك فى البيت لا يضاد البكاء ولكن معنيهما الحقيقيين متضادان. والفرق بينه وبين التدبيح أنه يكون بطريق المجاز، أما التدبيح فيكون بطريق الكناية أو التورية.

(٣) بيض: جمع أبيض، ووضح: جمع واضح، وهما استعارتان لنقاء الأحساب من الدنس، المنايا: جمع منية وهى الموت، والمنايا السود: كناية عن القتل فى الحرب، والشاهد فى أن المراد من البيض والمراد من السود فى البيت لا تضاد بينهما، ولكن معنيهما الحقيقيين متضادان.

(٤) الأبيض الناصع: هو الشديد البياض، والأسود الأسفع: هو الأسود إلى حمرة، والشاهد فى هذا أنه استعار الأسود الأسفع لما يحدثه منظره فى نفسه من الهم والحزن، فمعناه الحقيقى هو الذى يقابل ما قبله لا المجازى.

(٥) هو لأبى تمام أيضًا، وقوله «تنظرى» بمعنى انتظرى، الخبب: أن يتراوح الفرس فى عدّوه بين يديه ورجليه بأن يقوم على إحداها مرة وعلى الأخرى مرة، والركاب: الإبل وقوله «ينصها» بمعنى يستحثها شديدًا، و«محيى القريض» كناية عن نفسه، و«ميت المال» كناية عن ممدوحه، والشاهد أن المراد من المحيى والمراد من الميت فى البيت غير متضادين ولكن معنيهما الحقيقيين متضادان، وقبل البيت:

لا تنكرى عطلَ الكريم من الغنى فالسيلُ حربٌ للمكان العالى

وهو أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلها على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل^(١). وقد تتركب المقابلة من طباق وملحق به.

مثال مقابلة اثنين باثنين قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢] وقول النبی علیه السلام: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه». وقول الذبياني:

فَتَيَّ تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا^(٢)
وقول الآخر:

فَوَا عَجَبًا كَيْفَ اتَّفَقْنَا فَنَاصِحٌ وَفِيٍّ وَمَطْوًى عَلَى الْغِلِّ غَادِرٌ^(٣)
فإن الغل ضد النصيح، والغدر ضد الوفاء.
ومثال مقابلة ثلاثة بثلاثة قول أبي دلامة:

مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالْدُنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا وَأَفْبَحَ الْكُفْرَ وَالْإِفْلَاسَ بِالرَّجُلِ!!^(٤)
وقول أبي الطيب:

فَلَا الْجُودُ يُفْنِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مَقْبَلٌ وَلَا الْبَخْلُ يُبْقِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مُدْبِرٌ^(٥)

(١) فلا يشترط فيه أن يكونا متناسين كما سيأتى في مراعاة النظر، فإن كانا كذلك سمي مراعاة نظير أيضاً.

(٢) هو للنابعة الذبياني، وقد نسب في الحماسة للنابعة الجعدى، وروايتها «فتى كان فيه» وفتى: منصوب بفعل محذوف تقديره: اذكر فتى، والمراد ما يسر صديقه من نفعه له، وما يسوء أَعَادِيهِ من إيقاع الضرر بهم، والشاهد في قوله «يسر صديقه ويسوء الأعاديا».

(٣) لا يعلم قائله، والغل: الحقد، والفاء في قوله «فناصح» تعليل للتعجب من اتفاقهما، وكل من ناصح ومطوى خبر مبتدأ محذوف تقديره: فأنا ناصح وفي وأنت مطوى على الغل غادر.

(٤) فأفبح: يقابل أحسن، والكفر: يقابل الدين، والإفلاس يقابل الدنيا، وأبو دلامة هو زند بن الجون، وقد سأله المنصور عن أشعر بيت قالته العرب في المقابلة، فأشده هذا البيت.

(٥) الجد: الحظ، والشاهد في أن كلا من البخل ويبقى ومدير يقابل كلا من الجود ويفنى ومقبل.

ومثال مقابلة أربعة بأربعة قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى﴾ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٥ - ١٠] فإن المراد باستغنى أنه زهد فيما عند الله كأنه مستغن عنه فلم يَتَّقِ، أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة فلم يتق (١).

قيل: وفي قول أبي الطيب:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثى وبياضُ الصبح يُغري بي (٢)

مقابلة خمسة بخمسة؛ على أن المقابلة الخامسة بين «لي وبي».

وفيه نظر؛ لأن اللام والباء فيهما صلتا الفعلين فهما من تمامهما، وقد رجَّح بيت أبي الطيب على بيت أبي دلامة بكثرة المقابلة مع سهولة النظم. وبأن قافية هذا ممكنة، وقافية ذاك مُستدعاة؛ فإن ما ذكره غير مختص بالرجال (٣)، وبيت أبي دلامة على بيت أبي الطيب بجودة المقابلة؛ فإن ضد الليل المحض هو النهار لا الصبح.

ومن لطيف المقابلة ما حكى عن محمد بن عمرَانَ الطَّلْحِيّ إذ قال له المنصور: بلغني أنك بخيل. فقال: «يا أمير المؤمنين، ما أجمدُ في حق، ولا أذوب في باطل».

(١) حيثئذ يكون مقابلاً لقوله (اتقى) بما يستلزمه من عدم الاتقاء. والاستغناء كما يطلق على هذا يطلق على كثرة المال وليس مراداً.

(٢) قوله «يشفع لي» بمعنى يعينه على اجتماعه بهم لأنه يستره عن الرقباء، وقوله «يغري بي» بمعنى يحضهم عليه لئلا يراه رقبائهم، وبهذا قابل يغري بـ: يشفع.

(٣) يريد بالقافية الممكنة ما كانت متمكنة في مقامها، وبالمستدعاة ما كانت مجلوبة لأجل الوزن والقافية، لا لتمام يقتضيها، والمقام في بيت أبي دلامة يقتضى لفظاً أعم من الرجل.

وقال السكاكى^(١): المقابلة أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وضديهما، ثم إذا شرطت هنا شرطاً هناك ضده^(٢) كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ...﴾ الآيتين [الليل: ٥، ٦]، لما جعل التيسير مشتركاً بين الإعطاء والإبقاء والتصديق، جعل ضده وهو التعسير مشتركاً بين أضداد تلك وهى المنع والاستغناء والتكذيب.

مراعاة النظير أو التناسب: ومنه مراعاة النظير؛ وتسمى التناسب والائتلاف والتوفيق أيضاً، وهى أن يُجمعَ فى الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد^(٣) كقوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]، وقول بعضهم للمُهَلَّبِ الوزير: «أنت أيها الوزير إسماعيلُ الوعد، شُعْبَى التوفيق، يُوَسِّفُ العفو، محمدى الخلق»^(٤). وقول أسيد بن عَنَقَاء^(٥) الفزارى:

كَأَنَّ الثَّرِيَّا عُلِّقَتْ فِي جَبِينِهِ وَفِي خَدِّهِ الشُّعْرَى وَفِي وَجْهِهِ الْبَدْرُ^(٦)

(١) ٢٢٥ - المفتاح.

(٢) المراد بالشرط الاجتماع فى أمر لا الشرط المعروف؛ وبهذا لا يكون فى بيت أبى دلالة مقابلة عند السكاكى؛ لأنه اشترط فى الدين والدنيا الاجتماع ولم يشترط فى الكفر والإفلاس ضده، بل شرط فيهما الاجتماع أيضاً.

هذا وقد تكون المقابلة بين ستة وستة وهو آخر ما وجد منها فى كلامهم؛ كقول غنتر:

عَلَى رَأْسِ عَبْدٍ تَاجٌ عَزَّيْزُهُ وَفِي رِجْلِ حُرٍّ قَيْدٌ ذُلٌّ يَشِينُهُ

(٣) قيد بذلك ليخرج الطباق؛ لأن المناسبة فيه بالتضاد.

(٤) التناسب بين إسماعيل وشعيب ومحمد؛ لأنهم أنبياء، وبين الوعد والتوفيق والعفو والخلق؛ لأنها أخلاق.

(٥) هى أمه وقد اشتهر بنسبته إليها، واسم أبيه بجرة.

(٦) روايه الحماسة «القمر» بدل «البدر»، وهى المناسبة لباقي الأبيات. ومطلعه:

رَأْنِي عَلَى مَا بِي عُمَيْلَةٌ فَاشْتَكَيْتُ إِلَى حَالِهِ حَالِي أَسْرَّ كَمَا جَهَرَ

والثريا: كواكب فى عنق الثور، والشعرى: كوكب فى الجوزاء، والشاهد فى جمع الثريا والشعرى والقمر لتناسبها فى أنها كواكب، وفى جمع الجبين والخذ والوجه أيضاً.

وقول الآخر فى فرس:

مِنْ جُلْنَارٍ نَاضِرٍ خَدُهُ وَأُذُنُهُ مِنْ وَرَقِ الْآسِ^(١)
وقول البحتري فى صفة الإبل الأنضاء:

كَالْقَسِيِّ الْمُعْطَفَاتِ بِلِ الْأَسْرِ هُمْ مَبْرِيَةٌ بَلِ الْأَوْتَارِ^(٢)
وقول ابن رشيق:

أَصَحُّ وَأَقْوَى مَا سَمِعْنَاهُ فِي النَّدَى مِنْ الْخَبَرِ الْمَأْثُورِ مُنْذُ قَدِيمِ
أَحَادِيثُ تَرْوِيهَا السُّيُولُ عَنْ الْحَيَا عَنْ الْبَحْرِ عَنْ كَفِّ الْأَمِيرِ تَمِيمِ^(٣)

فإنه ناسب فيه بين الصحة والقوة، والسماع والخبر المأثور، والأحاديث والرواية، ثم بين السيل والحيا، والبحر وكف تميم، مع ما فى البيت الثانى من صحة الترتيب فى العنونة؛ إذ جعل الرواية لصاغر عن كابر كما يقع فى سند الأحاديث؛ فإن السيول أصلها المطر، والمطر أصله البحر على ما يقال^(٤)؛ ولهذا جعل كف الممدوح أصلاً للبحر مبالغة.

(١) هو لإبراهيم بن أبى الفتح المعروف بابن خفاجة فى وصف فرس أشقر، والجلنار: زهر الرمان، والآس: الريحان، والمراد تشبيهه خده بالجلنار فى طراوته، وأذنه بورق الآس فى انتصابها، والشاهد فى تناسب الجلنار والآس وفى تناسب الخد والأذن.

(٢) القسى: جمع قوس، والمبرية: المنحوتة، والأوتار: جمع وتر وهو الخيط الجامع بين طرفى القوس، والإضراب فى ذلك للترقى؛ لأن السهام أرق من القسى، والأوتار أرق من السهام، والمراد تشبيهه الإبل الأنضاء - وهى المهازِيل جمع نضو - بذلك فى الرقة، والشاهد فى تناسب القسى والسهام والأوتار.

(٣) هما لأبى على الحسن بن رشيق القيروانى، والندى: الكرم، وقوله «من الخبر» بيان لما فى قوله «ما سمعناه»، والمأثور: المروى، والحيا: المطر، والأمير تميم: هو أبو على تميم بن المعز بن باديس.

(٤) لأنه يحدث من تكاثف البخار المتصاعد منه بتأثير البرد.

ما يُسمَّى من التناسب تشابه الأطراف: ومن مراعاة النظر ما يسميه بعضهم تشابه الأطراف، وهو أن يُخْتَم الكلام بما يناسب أوله في المعنى؛ كقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فإن اللطف يناسب ما لا يُدْرِك بالبصر^(١)، والخبرة تناسب من يُدْرِك شيئاً؛ فإن من يدرك شيئاً يكون خبيراً به، وقوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحج: ٦٤]، قال: ﴿الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ لينبه على أن ما له ليس لحاجة، بل هو غنى عنه جواد به، فإذا جاد به حمده المنعم عليه.

ومن خفى هذا الضرب^(٢) قوله تعالى: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فإن قوله ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يوهم أن الفاصلة «الغفور الرحيم»، ولكن إذا أُنعِمَ النظر عِلِمَ أنه يجب أن تكون ما عليه التلاوة؛ لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحدٌ يردُّ عليه حكمه؛ فهو العزيز لأن العزيز في صفات الله هو الغالب، من قولهم «عَزَّ يَعَزُّهُ عَزًّا» إذا غلبه، ومنه المثل «مَنْ عَزَّ بَزَّ» أى مَنْ غلب سلب^(٣)، ووجب أن يوصف بالحكيم أيضاً؛ لأن الحكيم مَنْ يضع الشيء في محله، والله تعالى كذلك، إلا أنه قد يخفى وجه الحكمة في بعض أفعاله فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة؛ فكان في الوصف بالحكيم احتراش حسن^(٤)، أى وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ مع استحقاقهم العذاب فلا مُعْتَرِضَ عليك لأحد في ذلك، والحكمة فيما فعلته.

(١) لأن اللطف في الأصل دقة الشيء، ولكن المراد باللطف هنا ما لا تدركه الأبصار مطلقاً؛ لاستحالة الأول على الله تعالى، ويجوز أن يكون من اللطف بمعنى الرأفة؛ فيكون من إيهام التناسب الآتى لا من التناسب.

(٢) يعنى هذا الضرب من مراعاة النظر وهو تشابه الأطراف.

(٣) يضرب لمن يتغلب على غيره فلا يقدر على منع شيء منه.

(٤) الاحتراش نوع من الإطناب السابق في الجزء الثانى.

إيهام التناسب:

ومما يلحق بالتناسب نحو قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٥، ٦]، ويسمى: إيهام التناسب^(١).

إرجاع التفويف إلى التناسب والمطابقة:

وأما ما يسميه بعض الناس التفويف؛ وهو أن يُؤتى في الكلام بمعانٍ متلائمة في جمل مستوية المقادير أو متقاربتها، كقول من يصف سحاباً:

تَسْرِبُ لَ وَشْيَا مِنْ خُزُوزٍ تَطَرَّرَتْ مَطَارِفُهَا طُرُزًا مِنَ الْبَرْقِ كَالْتَبْرِ
فَوَشْيٌ بِلَا رَقْمٍ وَنَقْشٌ بِلَا يَدٍ وَدَمْعٌ بِلَا عَيْنٍ وَضَحْكٌ بِلَا ثَغْرِ^(٢)
وكقول عنترة:

إِنْ يَلْحَقُوا أَكْرُرُ وَإِنْ يَسْتَلْحِقُوا أَشْدُّ وَإِنْ نَزَلُوا بِضْنِكَ أَنْزِلُ^(٣)

(١) هو أن يجمع بين معنيين غير متناسين بلفظين يكون لهما معنيان متناسبان ولكنهما غير مقصودين؛ فالمراد من النجم في الآية النبات الذي لا ساق له، ولا مناسبة بينه وبين الشمس والقمر بهذا المعنى، ولكنه يناسبهما إذا كان بمعنى الكوكب.

(٢) هما لأبي العباس الناشيء كما في «زهر الآداب» وقيل: إنهما لغيره. والضمير في «تسريل» للسحاب، والوشى: نوع من الثياب منقوش، والخزوز: جمع خز وهو الحرير، والمطارف: جمع مطرف وهو رداء من خز ذو أعلام، وطرز: جمع طراز وهو عكَم الثوب، والمراد «تطرزت بطرز» فهو من باب الحذف والإيصال، والرقم: مصدر رقم الثوب بمعنى خَطَطَه، والدمع: استعارة للمطر، والضحك: استعارة للبرق. والشاهد في البيت الثاني؛ لأنه أربع جمل متساوية معانيها متلائمة.

(٣) هو لعنترة بن شداد العبسي. والضمير في «يلحقوا» لقومه أى يلحقوا عدوهم، وقوله «أكرر» بمعنى أحمل عليه، وقوله «يستلحقوا» بمعنى يطلبون حقوقهم لنجدتهم، وقوله «أشد» بمعنى أركض، والشاهد في اجتماع الجمل الثلاث.

وكقول ابن زيدون:

تَهْ أَحْتَمِلْ وَاحْتَكِمْ أَصْبِرْ وَعِزَّ أَهْنُ وَدِلَّ أَخْضَعَ وَقُلْ أَسْمَعَ وَمَرُّ أُطْعِ^(١)

وكقول ديك الجن:

أَحْلُ وَامْرُزْ وَضُرَّ وَأَنْفَعَ وَلِنْ وَاخْ شَنْ وَرِشْ وَأَبِرْ وَأَنْتَدِبْ لِلْمَعَالِي^(٢)

فبعضه من مراعاة النظير^(٣)، وبعضه من المطابقة^(٤).

● الإِرْصَادُ أَوْ التَّسْهِيمُ: ومنه الإِرْصَادُ، وَيُسَمَّى التَّسْهِيمُ أَيْضًا^(٥).

وهو أَنْ يُجْعَلَ قَبْلَ الْعَجْزِ مِنَ الْفَقْرَةِ أَوْ الْبَيْتِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْعَجْزِ إِذَا عُرِفَ
الرَّوْيُ^(٦).

كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٧).
[العنكبوت: ٤٠] وقوله: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ

(١) هو لأبي الوليد أحمد بن عبد الله المعروف بابن زيدون. وقوله «ته» بمعنى تكبر، وقوله «عز»
بمعنى صر عزيزاً، وقوله «دل» أمر من الدلال وهو إظهار المرأة الخلاف في تطف كأنها
تخالف وما بها من خلاف، والشاهد في اجتماع هذه الجمل الست، ولكن اجتماع هذا كله
في بيت واحد لا يخلو من تكلف وثقل.

(٢) هو لعبد السلام بن رغبان الحمصي المعروف بديك الجن. وقوله «رش» أمر من راش بمعنى
أصلح. والمراد أعنّ وأعزّ، وقوله «أبر» أمر من برى السهم: نحتته والمراد أفقر، وقوله
«انتدب» أمر من انتدب. يقال «ندبه لأمر فانتدب» أى دعاه فأجاب، والشاهد في اجتماع هذه
الجمل الخمس، ويرد عليها ما ورد على البيت السابق.

(٣) كما في الشاهد الأول في وصف السحاب.

(٤) كما في الشاهد الرابع، ولا يخفى ما في الشاهد الثاني والثالث منهما أيضاً.

(٥) يسميه قدامة والعسكرى «التوشيح» وهو ما يكسب الشعر حلاوة والنثر طلاوة؛ ولهذا افتخر
به ابن نباتة السعدي في قوله:

خذها إذا أنشدت في القوم من طرب صدورها عرفت منها قوافيها

(٦) المراد بالعجز آخر كلمة من الفقرة أو البيت.

(٧) والإِرْصَادُ في هذه الآية قوله «ليظلمهم» لأنه يدل على أن مادة العجز من مادة الظلم، ويعين
كون المادة من الظلم مختومة بنون بعد واو معرفة الروي في الآية قبلها وهو النون، والإِرْصَادُ
في الآية بعدها قوله «فاختلفوا».

مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ [يونس: ١٩]. وقول زهير:

سَمِثْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشُ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسَامُ^(١)
وقول الآخر:

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعُهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ^(٢)
وقول البحتري:

أَبْكِيكُمَا دَمْعًا وَلَوْ أَنِّي عَلَى قَدَرِ الْجَوَى أَبْكِي بِكَيْتُكُمَا دَمًا^(٣)
وقوله:

أَحَلَّتْ دَمِي مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَحَرَّمَتْ فَلَيْسَ الَّذِي حَلَلْتَهُ بِمُحَلَّلٍ وَلَيْسَ الَّذِي حَرَّمْتَهُ بِحَرَامٍ^(٤)
* المشاكلة: ومنه المشاكلة، وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته^(٥) تحقيقاً، أو تقديرًا.

أما الأول فكقوله:

قالوا: اقترح شيئاً نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ قُلْتُ: اطبخوا لي جبةً وقميصاً^(٦)

(١) التكاليف: جمع تكليف وهو الأمر الشاق، وقوله «لا أبالك»: جملة دعائية معترضة بين الشرط والجواب. والإرصاد قوله «سَمِثْتُ».

(٢) هو لعمر بن معد يكرب، وقوله «دعه» بمعنى اتركه، والإرصاد قوله «إذا لم تستطع»

(٣) الجوى: الحرقه من عشق أو حزن، والإرصاد قوله «أبكيكما دمعاً» لأنه لا يبقى عندهم بعده إلا بكاء الدم، أو قوله «ولو أني على قدر الجوى أبكي».

(٤) هما للبحتري أيضاً، والجرم: الذنب، والإضافة في قوله «كلامي» من إضافة المصدر إلى مفعوله، والمراد كلامها له، والإرصاد قوله «حرمة».

(٥) مثل ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته ذكره بلفظ مضاد للمصاحب له أو مناسب له كما سيأتي.

(٦) هو لأبي الرقعمق أحمد بن محمد الأنطاكى، وقوله «اقترح» أمر من «اقترح عليه شيئاً» إذا سأله من غير روية وطلبه على سبيل التكليف، وقوله «نجد» بمعنى نُحسن.

كأنه قال: خيطوا لى. وعليه قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾^(١) [المائدة: ١١٦] وقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾^(٢) [الشورى: ٤٠]. ومنه قول أبي تمام:

مَنْ مُبْلَغُ أَفْنَاءٍ يَعْرُبُ كُلَّهَا أَنِّي بَنَيْتُ الْجَارَ قَبْلَ الْمَنْزِلِ^(٣)
وشهد رجل عند شريح فقال: «إِنَّكَ لَسَبَطُ الشَّهَادَةِ»^(٤) فقال الرجل: «إِنِّهَا لَمْ تُجَعَّدْ عَنِّي»^(٥)؛ فالذى سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشكلة، ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار، ولولا سبوط الشهادة لامتنع تجعيدها.

ومنه قول بعض العراقيين فى قاضي شهد عنده برؤية هلال الفطر فلم يقبل شهادته:

أَتُرَى الْقَاضِيَّ أَعْمَى أَمْ تَرَاهُ يَتَمَعَّمَى
سَرَقَ الْعِيدَ كَأَنَّ الْـ عِيدَ أَمْوَالِ الْيَتَامَى^(٦)

(١) والحق أن ما فى الآية ليس من المشكلة؛ لأن إطلاق النفس على ذات الله ورد فى قوله تعالى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٣٠] فيكون إطلاقه على معناه لا على معنى غيره.

(٢) والمشكلة فى إطلاق لفظ (سيئة) الثانى على جزاء السيئة.
(٣) الأفناء: جمع فناء وهو الجماعة، والشاهد فى قوله «بنيت الجار» لأنه لا يبنى وإنما شاكل به «قبل المنزل» لأن تقديره: قبل بناء المنزل، والمقدر كالمذكور، وقيل: إن هذا من القسم الثانى وهو ظاهر الضعف.

(٤) أى مستمر فى حفظها أو قبولها دائماً؛ لأن السبوط فى الأصل انطلاق الشعر وامتداده.
(٥) يعنى أنها لم تقصر عن إدراكه وحفظه، والتجعد فى الأصل ضد السبوط، وهذا من المشكلة بلفظ مضاد للمذكور معه.

ومن المشكلة بلفظ مناسب للمذكور معه ما ورد أن رجلاً قال لوهب: أليس قد ورد أن «لا إله إلا الله» مفتاح الجنة؟ فقال له وهب: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان، فإذا جئت بالأسنان فُتِحَ لك، وإلا لم يُفْتَحَ لك. فقد عبر عن «لا إله إلا الله» بالمفتاح، وعبر عن الأعمال بالأسنان مشكلةً بالمناسب.

(٦) هما كما جاء فى «اليتيمة» للصاحب بن عباد. وقوله «ترى» على صورة المبني للمفعول بمعنى تظن، والشاهد فى جعل العيد مسروقاً لوقوعه فى صحبة أموال اليتامى.

وأما الثاني فكقوله تعالى: ﴿صَبْغَةَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٨] وهو مصدر مؤكد^(١) منتصب عن قوله ﴿آمنا بالله﴾ والمعنى «تطهير الله»؛ لأن الإيمان يطهر النفوس، والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون: هو تطهير لهم. فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم: قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا، وطهرنا به تطهيراً لا مثل تطهيرنا. أو يقول المسلمون: صبغنا الله بالإيمان صبغته ولم يصبغ صبغتك، وجئ بلفظ الصبغة^(٢) للمشاكلة وإن لم يكن قد تقدم لفظ الصبغ؛ لأن قرينة الحال التى هى سبب النزول من غمس النصارى أولادهم فى الماء الأصفر دلت على ذلك؛ كما تقول لمن يغرس الأشجار: «إغرس كما يغرس فلان» تريد رجلاً يصطنع الكرام^(٣).

* الاستطراد: ومنه الاستطراد، وهو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثانى^(٤)، كقول الحماسى:

وإِنَّا لَقَوْمٌ نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَكُولٌ^(٥)

(١) لأنه اسم هيئة على وزن فعلة، وإنما قال «منتصب عن قوله الخ» لأن ناصبه محذوف دل عليه قوله ﴿آمنا﴾ تقديره: صبغنا الله بالإيمان صبغة.

(٢) أى بدل لفظ التطهير.

(٣) يقال «اصطنعه لنفسه»: اختاره لنفسه» ولكن هذا من القسم الأول كما هو ظاهر، وإنما يعد من الثانى أن ترى إنساناً يغرس شجراً فتقول لآخر: إغرس إلى الكرام.

هذا وإنما عدت المشاكلة من المحسنات البديعية لأنها تنقل المعنى إلى لباس له غير مألوف، فيحدث عجباً أو طرباً. وقد قيل: إن المشاكلة مجاز مرسل علاقته المجاورة، والحق أنها ليست منه؛ لأن علاقة المجاورة تكون بين مدلول اللفظين لا بين اللفظين كما فى المشاكلة، فهى تصبح بمجرد وقوع اللفظ فى صفة آخر ولو لم توجد علاقة بين مدلوليهما كما فى قوله «قالوا اقترح شيئاً نحد لك طبقه» البيت. وقد توجد علاقة بين مدلوليهما كما فى قوله تعالى «وجزاء سيئة سيئة مثله» فإن السيئة الأولى المعصية، والثانية جزاؤها، وبينهما علاقة السبية.

(٤) احترز بقوله «لم يقصد الخ» عن إيهام الاستطراد الآتى.

(٥) هو للسموءل بن عادىء، والسبة: العيب. والشاهد فى أنه أراد مدح قبيلته فاستطرد إلى ذم قبيلتى عامر وسلول.

وقول الآخر:

إذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه فليس به بأس وإن كان من جرم^(١)

وعليه قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَتَكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦]. قال الزمخشري: هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر السوات وخصف الورق عليها إظهاراً للمنة فيما خلق الله من اللباس، ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى.

* إيهام الاستطراد: هذا أصله^(٢)، وقد يكون الثاني هو المقصود فيذكر الأول قبله ليتوصل إليه، كقول أبي إسحاق الصابى:

إن كنت خنتك فى المودة ساعة فذمت سيف الدولة المحمودا
وزعمت أن له شريكاً فى العلى وجحدته فى فضله التوحيدا
قسماً لو أنى حالف بغموسها لغريم دين ما أراد مزيداً^(٣)
ولا بأس بأن يسمى هذا إيهام الاستطراد^(٤).

(١) هو لزياد الأعجم، والبأس: الشدة والخوف، والشاهد فى أنه أراد الوعظ فاستطرد إلى ذم قبيلة جرم.

(٢) يعنى أن هذا أصل الاستطراد؛ اسم الإشارة يعود إلى كون الأول لم يقصد بذكره التوصل إلى ذكر الثانى.

(٣) هى لإبراهيم بن هلال المعروف بأبى إسحاق الصابى. وقوله «ذمت» جملة دعائية. وقيل إنه يعنى بسيف الدولة السلطان محمود بن سبكتكين، وكان يلقب بذلك ثم لقب يمين الدولة. والتوحيد: مفعول ثان لقوله «جحدته»، يعنى توحيد الناس إياه فى الفضل. والغموس: اليمين الكاذبة التى يتعمدها صاحبها، يعنى أنه أقسم له على عدم خيانه يمين لو حلف بها لصاحب دين على براءة ذمته لاكتفى بها؛ لأن عظيم شأنها وإثمها يقوم عنده مقام دينه، والشاهد فى ذكره حديث خيانه ليتوصل به إلى مدح سيف الدولة.

(٤) هو حسن التخلص الآتى فى الخاتمة.

* المزاوجة: ومنه المَزَاوَجَةُ، وهى أن يُزَاوَجَ بين معنيين^(١) فى الشرط والجزاء^(٢) كقول البحتري:

إذا ما نهى الناهى فَلَجَّ بِى الهَوَى أَصَاخَتْ إِلَى الْوَاشَى فَلَجَّ بِهَا الْهَجْرُ^(٣)
وقوله أيضا:

إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها تَذَكَّرْتُ الْقُرْبَى ففاضت دموعها^(٤)

* العكس والتبديل: ومنه العكس والتبديل، وهو أن يُقَدَّمَ فى الكلام جُزْءٌ ثم يؤخَّرُ^(٥). ويقع على وجوه:

منها أن يقع بين أحد طرفي جملة وما أُضِيفَ إليه؛ كقول بعضهم: «عاداتُ الساداتِ ساداتُ العاداتِ»

(١) أى توقع المزاوجة بينهما على أن الفعل «يزاوج» مسند إلى ضمير المصدر أو إلى «بين» على أنه ظرف متصرف.

(٢) أى معنيين واقعين فى الشرط والجزاء، وظرفية المعنيين فى الشرط والجزاء من ظرفية المدلول فى الدال، فالمعنيان هما معنى الشرط ومعنى الجزاء، والمزاوجة بينهما هى أن يرتب على كل منهما معنى مرتب على الآخر.

(٣) قوله «لج» بمعنى ألح عليه واشتد، وفى العبارة قلب، والأصل فلججت بالهوى ولجت بالهجر. وقوله «أصاخَتْ» بمعنى استمعت، والواشى: المنام، والشاهد فى ترتيبه اللجاج على نهى الناهى وهو الشرط، وعلى الإصاخة إلى الواشى وهى الجزاء.

(٤) هو للبحتري أيضا، وقوله «احتربت» بمعنى خازبت، وقوله فاضت بمعنى سالت. والشاهد فى ترتيبه فيض ذلك على الاحتراب وهو الشرط، وعلى تذكر القربى وهو الجزاء. والبيت من قصيدة له فى مدح المتوكل حين أصلح بين بنى تغلب، والضمير فى قوله «احتربت» يعود إلى «فرسان هيجاء» فى قوله قبله:

وفرسان هيجاء تجيش صدورها بأحقادها حتى تضيق دروعها

تقتل من وتر أعز نفوسها عليها بأيد ما تكاد تطيعها

(٥) أى على ما قدم عليه فلا يكون من العكس والتبديل قوله تعالى: ﴿وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]. بل هو من ردّ العجز على الصدر كما سيأتى ولا بد أن يكون الجزاء كلمة، فيخرج تقديم الحروف الآتى أيضا.

ومنها أن يقع بين متعلّقَي فعلين في جملتين؛ كقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [يونس: ٣١] وكقول الحماسي:

فَرَدَّ شَعُورَهُنَّ السُّودَ بَيْضًا وَرَدَّ وَجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سَوْدًا^(١)

ومنها أن يقع بين لفظين في طرفي جملتين، كقوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وقوله: ﴿لَا هُنَّ حُلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحُلُّونَ لَهُنَّ﴾ [المتحنة: ١٠]. وقوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وقول الحسن البصري: «إِنْ مَنْ خَوْفَكَ حَتَّى تَلْقَى الْأَمْنَ خَيْرٌ مِمَّنْ أَمَّنَكَ حَتَّى تَلْقَى الْخَوْفَ». وقول أبي الطيب:

فَلَا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَالٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ^(٢)
وقول الآخر:

إِنَّ اللَّيَالِيَ لِلْأَنَامِ مَنَاهِلٌ تُطَوَّى وَتُنَشَّرُ دُونَهَا الْأَعْمَارُ
فِقِصَارُهُنَّ مَعَ الْهَمُومِ طَوِيلَةٌ وَطَوَالُهُنَّ مَعَ السُّرُورِ قِصَارٌ^(٣)

(١) قيل: إنه لعبد الله بن الزبير الأسدي أو لفضالة بن شريك في رثاء يزيد بن معاوية، والضمير في «شعورهن» لنسوة آل حرب في قوله قبله:

رَمَى الْحَدَثَانُ نِسْوَ آلِ حَرْبٍ بِمَقْدَارِ سَمْدَنَ لَهُ سُمُودًا
وحرب: جد معاوية بن أبي سفيان، والحدثان: الدهر، والمقدار: القدر، وقوله «سمدن» بمعنى ذهلن.

(٢) يعني أن المجد والمال متلازمان؛ لأن الناس يحتقرون من لا مال له، ولا مجد لمن يحتقره الناس؛ لأن صاحب المجد هو الذي يمكنه بقوته وأعوانه أن يحصل على المال.

(٣) الأنام: الخلق، والمناهل: الموارد، وقوله «تطوى وتنشر» بمعنى تقصر وتطول على الاستعارة التبعية. وقد نسب البيتان في «نفحات الأزهار» للمتنبى، ولم أجدهما في ديوانه، وقد نسبنا في «الأقصى القريب» لعتاب بن ورقاء.

* الرجوع: ومنه الرجوع، وهو العود على الكلام السابق بالنقض لِنُكْتَةٍ^(١) كقول زهير:

قَفَّ بالديار التي لم يَعْفُهَا الْقَدَمُ بَلَى وَغَيَّرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدِّيمُ^(٢)
قيل: لَمَّا وقف على الديار تسلطت عليه كآبة أذهلتها فأخبر بما لم يتحقق،
فقال: «لم يعفها القدم» ثم تاب إليه عقله فتدارك كلامه فقال: «بلى وغيرها
الأرواح والديم». وعلى هذا بيت الحماسة:
أليس قليلاً نظرةً إن نظرتُهَا إِيكَ وَكَأَنَّكَ لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلٌ^(٣)
ونحوه:

* فَأَفَّ لِهَذَا الدَّهْرُ لَا بَلْ لِأَهْلِهِ^(٤) *

* التورية أو الإيهام: ومنه التورية وتسمى الإيهام أيضاً، وهى أن يُطْلَقَ لَفْظٌ لِه
معنيان^(٥): قريب وبعيد^(٦)، ويُراد به البعيد منهما^(٧).

(١) احترز بهذا عن العود بنقضه لمجرد كونه غلطاً؛ فلا يكون من البديع، لأنه لا حسن فيه،
ونكتة الرجوع إما إظهار التحير أو التحسر أو نحوهما، ولكن هذه النكتة لا توجه في
البلاغة، وإنما هى شرط فى كونه محسناً، فيكون من علم البديع لا علم المعانى.

(٢) قوله «لم يعفها» بمعنى لم يبلها ولم يغيرها، وقوله «وغيرها» عطف على محذوف دل عليه
«بلى» والتقدير: بلى عفاها القدم وغيرها الأرواح، وهى جمع ربح بردّ يائها فى الجمع إلى
أصلها وهو رَوْح بكسر الراء وسكون الواو. والديم: جمع ديمة وهى السحابة الكثيرة المطر،
والنكتة فى الرجوع هنا إظهار التحير أو التحسر.

(٣) هو ليزيد بن الصِّمَّة المعروف بابن الطُّثْرِيَّة. والاستفهام فى قوله «أليس» للإنكار المنفى، ونفى
النفى إثبات، و«كلا» حرف ردع لنفسه عن عدّ نظرتها قليلاً، وهو على تقدير «أقول كلا»
والنكتة هنا إظهار التذلل والتحير.

(٤) لا يعرف قائله. وقوله «أف» اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر، والشاهد فى أنه جعل التضجر
من الدهر ثم رجع عنه وجعله من أهله، والنكتة هنا إظهار التحير، وقوله «لا بل لأهله» على
تقدير: لا أف للدهر بل أف لأهله.

(٥) ليس بقيد؛ لأنها قد تكون بأكثر من معنيين، ولا فرق فيهما بين أن يكونا حقيقيين أو
مجازيين أو مختلفين.

(٦) فلو كانا مستويين لم يكن هذا تورية بل يكون إجمالاً.

(٧) لا بد فى التورية من قرينة خفية تدل على إرادة المعنى البعيد؛ فإذا كانت القرينة ظاهرة لم =

وهي ضربان: مُجَرَّدَةٌ وَمُرَشَّحَةٌ.

أما المجردة: فهي التي لا تجماع شيئاً مما يلائم المورى به- أعنى المعنى القريب^(١)- كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٢) [طه: ٥].

وأما المرشحة: فهي التي قُرِّنَ بها ما يلائم المورى به: إمّا قبلها: كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧] أى بِقُوَّةٍ^(٣).

قيل: ومنه قول الحماسي:

فلما نأتُ عَنَّا العشيرة كُلُّهَا أنحنَّا فَحَالَفْنَا السيوفَ على الدهرِ

= يكن اللفظ تورية، وبهذا تمتاز عن المجاز والكناية، كما تمتاز بأن كل واحد من معنيها يفهم من اللفظ من غير وساطة الآخر أو احتياج إلى علاقة بينهما، وهذا هو السبب في أن التورية ليست من علم البيان كالمجاز والكناية. وإنى أرى أنها تدخل في إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة. فيقال فى معنى الاستيلاء مثلاً: الرحمان استوى على العرش واستولى عليه. وهكذا - وبهذا يمكن إدخالها فى علم البيان كالمجاز والكناية، ومن عدها من البديع نظر إلى أن المعنى القريب لسرعة إدراكه قبل البعيد يكون له كالحجاب، فيظهر من ورائه للظنه بصورة الوجه المبرقع الجميل.

(١) أى فقط، فيدخل فيها ثلاث صور: أن تكون مجردة بما يلائم القريب والبعيد، وأن تكون مجردة بما يلائم القريب مقترنة بما يلائم البعيد، وأن تكون مقترنة بما يلائمها معاً.

(٢) والمراد من «استوى» استولى، ومعناه القريب استقراراً، ولم يقرن به ما يلائمه، والقرينة استحالة الاستقرار الحسى على الله تعالى، وإنما كانت خفية لأنها تتوقف على أدلة نفى الجرمية عنه تعالى، وهى مما لا يفهمه كل الناس، وقيل: إن التورية فى ذلك مرشحة؛ لأن قوله ﴿على العرش﴾ يلائم المعنى القريب.

(٣) هذا ظاهر فى حمل (أيد) على الأفراد، فيكون مصدر -آد آيدا- بمعنى اشتد، ولكنه على هذا لا يكون من التورية لأنه لا يحتمل إلا هذا المعنى، وإنما يكون من التورية إذا جعلت (أيد، جمع يد)، وحينئذ تفسر بالقوى جمع قوة، وقيل: إن ذلك لا تورية فيه، وإنما هو استعارة تمثيلية شبت فيها هيئة إيجاد الله السماء بقدرته بهيئة البناء الذى هو وضع لبنة على أخرى باليد. وكذلك قيل فى الآية السابقة.

فَمَا أَسْلَمْتَنَا عِنْدَ يَوْمِ كَرِيهَةٍ وَلَا نَحْنُ أَغْضَيْنَا الْجَفُونَ عَلَى وَتَرٍ^(١)
فَإِنَّ الْإِغْضَاءَ مِمَّا يَلَاثِمُ جَفْنَ الْعَيْنِ لَا جَفْنَ السِّيفِ، وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِهِ إِغْمَادُ
السِّيفِ؛ لِأَنَّ السِّيفَ إِذَا أُغْمِدَ انْطَبَقَ الْجَفْنَ عَلَيْهِ، وَإِذَا جُرِّدَ انْفَتَحَ الْخَلَاءُ الَّذِي
بَيْنَ الدَّفَتَيْنِ.

وَأَمَّا بَعْدُهَا: كَلَفَظَ «الْغَزَالَةَ» فِي قَوْلِ الْقَاضِي الْإِمَامِ أَبِي الْفَضْلِ عِيَاضَ فِي
صَيْفِيَّةٍ بَارِدَةٍ:

كَأَنَّ كَانُونَ أَهْدَى مِنْ مَلَابِسِهِ لَشَهْرٍ تَمْوِزَ أَنْوَاعاً مِنَ الْحُلْلِ
أَوْ الْغَزَالَةَ مِنْ طُولِ الْمَدَى خَرَفَتْ فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْجَدَى وَالْحَمَلِ^(٢)

(١) هُمَا لِيَحْيَى بْنُ مَنْصُورِ الْحَنْفَى، وَقِيلَ إِنَّهُمَا لِمُوسَى بْنِ جَابِرِ الْحَنْفَى، وَقَدْ غَلَطَ أَبُو تَمَامٍ فِي
نَسْبَتِهِ يَحْيَى بْنُ مَنْصُورٍ إِلَى بَنِي حَنِيفَةَ؛ لِأَنَّهُ مِنْ بَنِي ذَهْلٍ، وَقَوْلُهُ نَأَتْ: بِمَعْنَى بَعْدَتْ، وَقَوْلُهُ
أَنْخَنَا: كَنَاءٌ عَنْ إِقَامَتِهِمْ بِدَارِهِمْ وَاكْتِفَانِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ، وَالْكَرِيهَةُ: الْحَرْبُ، وَالْوَتَرُ: الثَّأْرُ.
(٢) الْبَيْتَانِ لِلْقَاضِي أَبِي الْفَضْلِ عِيَاضَ بْنِ مُوسَى السَّبْتِيِّ. وَكَانُونَ: مِنْ أَشْهُرِ السَّنَةِ الشَّمْسِيَّةِ يَقَعُ
فِي زَمَنِ الْبَرْدِ، وَتَمْوِزُ: شَهْرٌ مِنْهَا يَقَعُ فِي زَمَنِ الدَّفَاءِ. وَالْحُلْلُ: جَمْعُ حَلَةٍ هِيَ كُلُّ ثَوْبٍ
جَدِيدٍ أَوْ الثَّوْبِ عَمُومًا، وَالْغَزَالَةُ: الشَّمْسُ مَعْطُوفٌ عَلَى كَانُونَ، وَقَوْلُهُ: «خَرَفَتْ» بِمَعْنَى قَلَّ
عَقْلُهَا عَلَى الْمَجَازِ. وَالْجَدَى: بَرَجٌ مُلَاصِقٌ لِلدَّلُو، وَالْحَمَلُ: أَوَّلُ بَرُوجِ الرَّبِيعِ، يَعْنِي أَنَّهَا
خَرَفَتْ فَتَزَلَّتْ فِي بَرَجِ الْجَدَى فِي وَقْتِ الْخُلُولِ بِبَرَجِ الْحَمَلِ، وَالْجَدَى: بَرَجُ الْبَرْدِ، وَالْحَمَلُ:
بَرَجُ الدَّفَاءِ. وَالتَّوْرِيَّةُ الْمُرْشَحَةُ فِي «الْغَزَالَةِ» فَإِنَّ مَعْنَاهَا الْقَرِيبَ الطَّيْبَةَ وَالْمُرَادُ مِنْهَا الشَّمْسُ،
وَقَدْ قُرِنَتْ بِمَا يَلَاثِمُ الْقَرِيبَ وَهُوَ قَوْلُهُ «خَرَفَتْ»، وَكَذَلِكَ ذَكَرَ الْجَدَى وَالْحَمَلُ، وَفِي كُلِّ مَنْ
الْحَمَلُ وَالْجَدَى تَوْرِيَّةٌ أَيْضًا وَلَكِنَّهَا مُجْرَدَةٌ، وَقِيلَ إِنَّهَا مُرْشَحَةٌ بِالتَّوْرِيَّةِ السَّابِقَةِ.
وَمِنْ الْأَوَّلِ قَوْلُ عِمَادِ الدِّينِ:

أَرَى الْعَقْدَ فِي ثَغْرِهِ مُحْكَمًا يُرِينَا الصَّحَّاحَ مِنَ الْجَوْهَرِ
فَالْتَوْرِيَّةُ فِي «الصَّحَّاحِ»؛ لِأَنَّ مَعْنَاهَا الْقَرِيبَ كِتَابَ الْجَوْهَرِيِّ فِي اللُّغَةِ، وَالْمُرَادُ مِنْهَا أَسْنَانُ
مُحَبِّبَتِهِ، وَقَدْ قُرِنَتْ بِمَا يَلَاثِمُ الْبَعِيدَ وَهُوَ قَوْلُهُ «فِي ثَغْرِهِ». وَمِنْ الثَّانِي قَوْلُ الشَّاعِرِ:
مُؤَلَّعٌ بِفِيحَاخٍ يُمُدُّهَا وَشَبَّاحُ
قَالَتْ لِي الْعَمِينَ يَصِيدُ قَلْتُ كَرَاحِي

فَالْتَوْرِيَّةُ فِي «كَرَاحِي» لِأَنَّ مَعْنَاهَا الْقَرِيبَ أَنَّهُ جَمْعُ كَرْحَى وَهُوَ طَائِرٌ رَمَادِي اللَّوْنُ يَأْوِي إِلَى
الْمَاءِ، وَالْمُرَادُ مِنْهُ النَّوْمُ، وَقَوْلُهُ «يَصِيدُ» يَلَاثِمُ الْقَرِيبَ، وَكَلِمَةُ الْعَيْنِ تَلَاثِمُ الْبَعِيدَ.

واعلم أن التوهم^(١) ضربان: ضربٌ يستحكم حتى يصير اعتقاداً^(٢)، كما في قوله:

حَمَلْنَاهُمْ طُرّاً عَلَى الدُّهْمِ بَعْدَمَا خَلَعْنَا عَلَيْهِم بِالطَّعَانِ مَلَابِسَ^(٣)

وضربٌ لا يبلغ ذلك المبلغ ولكنه شيء يجري في الخاطر وأنت تعرف حاله^(٤) كما في قول ابن الربيع:

لولا التَّطَيُّرُ بالخلاف وأنهم قالوا: مريضٌ لا يعودُ مريضاً

لَقَضَيْتُ نَحْبِي فِي فِنَائِكَ خِدْمَةً لَأَكُونَ مَدْبُوباً قَضَى مَفْرُوضاً^(٥)

ولا بُدَّ من اعتبار هذا الأصل^(٦) في كل شيء بُنى على التوهم - فاعلم.

وقال السكاكي^(٧): «أكثرُ متشابهات القرآن^(٨) من التورية».

= هذا والتورية التي قرنت بما يلائم المعنى القريب قبله أو بعده تسمى مهيأة، والتي قرنت بما يلائم المعنى البعيد قبله أو بعده تسمى مبيّنة.

(١) أى الإيهام وهو التورية.

(٢) فلا يدرك عدم إرادة المعنى القريب منه إلا بتأمل وطول نظر.

(٣) لا يعرف قائله. وقوله «طرا» حال بمعنى جميعاً، والدهم: جمع أدهم ومعناه القريب الفرس الأسود، ومعناه البعيد القيد من الحديد، وهو المراد بقريئة ما ذكره من خلع الدماء عليهم بالطعان حتى صارت لهم كالملايس؛ لأنه لا يصح مع هذا أن يكون المراد حملهم على الأفراس، والشاهد في أن قوله «حملناهم» يفيد استحكام التوهم في البيت حتى لا يدرك عدم إرادة القريب إلا بتأمل وطول نظر.

(٤) فلا يحتاج عدم إرادة المعنى القريب فيه إلى تأمل وطول نظر.

(٥) هما لعبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع. والتطير: التشاؤم، والخلاف: مخالفة العرف والعادة، والنحب: الأجل. والمندوب: اسم مفعول من الندب ومعناه القريب: المسنون، ومعناه البعيد: المرثى، وهو المراد هنا؛ لأن المعنى: لَأَكُونَ مَيْتاً مَرْتِئاً قَضَى مَفْرُوضاً عليه وهو الموت حزناً على ذلك المريض. والشاهد في أن عدم إرادة المعنى القريب ظاهر لا يحتاج إلى تأمل وطول نظر.

(٦) هو الاكتفاء بمجرد خطور المعنى بالبال وإن لم يكن مستحكماً، وإنما وجب اعتباره لأن كثيراً من مطالب علوم البلاغة مبني على الإيهام، ولو قصر على الضرب الأول تعذر طرده في جميع هذه المطالب.

(٧) ص ٢٢٦ - المفتاح.

(٨) يريد بها الآيات التي يفيد ظاهرها إثبات شيء لا يليق بالله تعالى، كالأستقرار واليد في الآيتين السابقتين.

● الاستخدام: ومنه الاستخدام، وهو أن يُرادَ بلفظ له معنيان أحدهما، ثم بضميره معناه الآخر. أو يُرادَ بأحد ضميريه أحدهما وبالأخر الآخر^(١)

فالأول كقوله:

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعِيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا^(٢)

(١) لا فرق في المعنيين بين أن يكونا حقيقيين أو مجازيين أو مختلفين، وقد يأتي الاستخدام في لفظ له أكثر من معنيين كما في قول ابن الوردي:

وَرُبَّ غَزَالَةٍ طَلَعَتْ	بِقَلْبِي وَهُوَ مَرَعَاهَا
نَصَبْتُ لَهَا شَبَاكًا مِنْ	لُجَيْنٍ ثُمَّ صَدَنَاهَا
فَقَالَتْ لِي وَقَدْ صَرُنَا	إِلَى عَيْنٍ فَصَدَنَاهَا
بَذَلْتُ الْعَيْنَ فَاحْكُلْهَا	بَطَلَعْتُهَا وَمَجَّرَاهَا

ففيه استخدامان: أولهما في لفظ ذي معان وهو لفظ «غزالة»؛ لأنه قال «ورب غزالة» بمعنى ورب شمس على الاستعارة، ثم قال: «وهو مرعاها إلخ» فأعاد الضمير عليها بمعنى الظبية على الاستعارة أيضاً، ثم قال «فقال لي» فأعاد عليها الضمير مجردة عن الاستعارة. وثانيهما في لفظ ذي معنيين وهو لفظ «العين» في قوله «بذلت العين» أي اللجين، ثم أعاد الضمير عليه بمعنى الناظرة في قوله «فاكحلها».

وقد يكون الاستخدام بالاستثناء، كقول البهاء زهير:

أَبَدًا حَلْدِيثِي لَيْسَ بِأَلْ— مَنَسُوحٍ إِلَّا فِي الدَّفَاتِرِ

فإنه أراد بالنسخ الأول الإزالة، وفي الاستثناء: النقل.

وقد يكون باسم الإشارة، كما في قوله:

رَأَى الْعَقِيقَ فَأَجْرَى ذَاكَ نَاطِرُهُ مُتَمِّمٌ لَجٍّ فِي الْأَشْوَاقِ حَاطِرُهُ

فإنه أراد بالعقيق المكان، ثم أعاد اسم الإشارة عليه بمعنى الدم.

وقد يكون بالتمييز، كما في قوله:

حَكَى الْغَزَالَ طَلْعَةً وَلَفْتَةً مَنْ ذَا رَأَاهُ مُقْبِلًا وَلَا افْتِنَ

فإن قوله «طلعة» يفيد أن المراد بالغزال الشمس، وقوله «لفتة» يفيد أن المراد به الظبي.

(٢) هو لمعاوية بن مالك بن جعفر معوّد الحكماء، أو جرير وهو المشهور ولكنه لا يوجد في ديوانه، والمراد منه وصفهم بالغلبة لغيرهم.

أراد بالسماء الغيث، وبضميرها النبت^(١).

والثاني كقول البحترى:

فَسَقَى الْغَضَا وَالسَّكِينِيهِ وَإِنْ هُمْ شَبُّوهُ بَيْنَ جَوَانِحِ وَضُلُوعِ^(٢)

أراد بضمير الغضا في قوله «والساكنيه» المكان، وفي قوله «شبهوه» الشجر^(٣).

• اللف والنشر: ومنه اللَّفُّ والنَّشْرُ، وهو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال^(٤)، ثم ما لكل واحد من غير تعيين^(٥)؛ ثقةً بأن السامع يردّه إليه.

فالأول^(٦) ضربان: لأن النشر إما على ترتيب اللف، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾^(٧) وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴿[القصص: ٧٣].

وقول ابن حيوس:

فِعْلُ الْمُدَامِ وَلَوْنُهَا وَمَذَاقُهَا فِي مُقْلَتِيهِ وَوَجْتِيهِ وَرِيقِهِ^(٨)

(١) كل من المعنيين مجازى كما هو ظاهر.

(٢) الغضا: شجر من الأثل خشبه من أصلب الخشب وجمره يبقى زمناً طويلاً، وقوله «شبهوه» بمعنى أوقدوه أى أوقدوا مثل ناره وهى نار الحطب. والرواية الصحيحة «بين جوانح وقلوب» لأنه من قصيدة له مطلعها:

كَمْ بِالْكُثِيبِ مِنْ اعْتِرَاضِ كَثِيبٍ وَقَوَامِ غُصْنٍ فِي الثِّيابِ رَطِيبٍ

(٣) أى ناره كما سبق؛ فكل من المعنيين مجازى.

(٤) هذا هو اللف.

(٥) هذا هو النشر، فلو عين كان من التقسيم الآتى لا من اللف والنشر.

(٦) هو ذكر متعدد على جهة التفصيل ثم ما لكل واحد إلخ...

(٧) قيل: إن ضمير «فيه» عائد إلى الليل بالتعيين، ومع هذا لا تكون الآية من اللف والنشر، وأجيب بأنه يحتمل أن يعود إلى كل من الليل والنهار وإن كان ظاهراً فى العود إلى الليل، وهذا الاحتمال يكفى فى عدم التعيين.

(٨) هو لأبى الفتيان محمد بن سلطان المعروف بابن حيوس. والمدام: الخمر، وفعلها: سلب العقل، ولونها: الحمرة المشربة بسواد، ومذاقها: حلو عند من يعتادها، وإلى الأول يرجع قوله «فى مقْلتيه»، وإلى الثانى قوله «ووجنتيه»، وإلى الثالث قوله «وريقه».

وقبل البيت:

ومقرطقي يُغْنِي النديمَ بوجهه عن كأسه الملائى وعن إبريقه

وقول ابن الرومي:

أَرَأَوْكُمْ ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات إذا دَجَوْنَ نُجُومُ
فيها مَعَالِمُ للهُدَى وَمَصَابِحُ تجلو الدُّجَى والأخريات رُجُومُ^(١)

ولمّا على غير ترتيبه، كقول ابن حيوس:

كيف أسلو وأنت حِقْفٌ وَغُصْنٌ وَغِزَالٌ لَحْظًا وَقَدًّا وَرِدْفًا^(٢)

وقول الفرزدق:

لَقَدْ خُتَّ قَوْمًا لَوْ لَجَأَتْ إِلَيْهِمْ طَرِيدَ دَمٍ أَوْ حَامِلًا ثَقُلَ مَغْرَمُ^(٣)
لَأَلْفَيْتَ فِيهِمْ مُعْطِيًا أَوْ مُطَاعِنًا وَرَاءَكَ شَزْرًا بِالْوَشِيحِ الْمُقْوَمُ^(٤)

والثاني^(٥) كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾

[البقرة: ١١١] فإن الضمير في (قالوا) لأهل الكتاب من اليهود والنصارى،

(١) هما لعلّ بن العباس المعروف بابن الرومي. وقوله «دجون» بمعنى أظلمن على سبيل الاستعارة، وضمير «دجون» للحادثات، والمعالم: جمع معلّم وهو ما يستدل به على الطريق، وهذا يرجع إلى الآراء، والمصابيح: جمع مصباح، والدجى: جمع دُجّة وهى الظلمة، وهذا يرجع إلى الوجوه، والرجوم: الشهب، وهذا يرجع إلى السيوف، وقيل: إن هذا ليس من اللف والنشر لأنه قال «والأخريات» أى السيوف بالتعين، فيكون من التقسيم الآتى، وقد يجاب بأن التعيين هنا فى بعضها دون بعض.

(٢) الحقف: مجتمع الرمل إذا عظم واستدار، والردف: العجيزة وهو يرجع إلى تشبيهها بالحقف، والقند: يرجع إلى تشبيهها بالغصن، واللحظ يرجع إلى تشبيهها بالغزال، وهذا على غير ترتيب اللف. وقد سبق التعريف بابن حيوس فى الصفحة السابقة.

(٣) الخطاب فى قوله «لقد خنت» لهبيرة بن ضمضم، وهو يهجو لقتله القعقاع بن عوف بن زرارة، وقوله «طريد دم» كناية عن كونه قاتلاً، والثقل: الحمل الثقيل، والمغرم: مصدر ميمى، والمراد أنه يحمل مالا فوق طاقته فى صلح أو نحوه.

(٤) قوله «لألفيت» بمعنى لوجدت، والشزر: مصدر شَزَرَ بمعنى طعنه عن يمينه وشماله، والوشيح: شجر الرماح، والمقوم: المثقف، والشاهد فى أن «معطيا» يرجع إلى كونه حاملا، وأن «مطاعنا» يرجع إلى كونه طريداً، على غير ترتيب اللف.

(٥) هو ذكر متعدد على جهة الإجمال ثم ما لكل إليه إلخ...

والمعنى: وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، والنصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فَلَفَّ بين القولين^(١) ثَقَّةً بأن السامع يردُّ إلى كل فريق قوله، وأمنًا من الإلباس؛ لِمَا عَلِمَ من التعادى بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه.

● الجمع: ومنه الجمع؛ وهو أن يُجْمَعَ بين شيئين أو أشياء فى حكم واحد^(٢) كقوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦].

وقول الشاعر:

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاعَ وَالْجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَىُّ مَفْسَدَةٍ^(٣)

ومنه قول محمد بن وهيب:

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِهَجَّتِهَا شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ^(٤)

● التفريق: ومنه التفريق، وهو إيقاع تَبَايُنٍ^(٥) بين أمرين من نوع واحد فى المدح أو غيره، كقوله:

مَا نَوَالُ الْغَمَامِ وَقْتَ ربيعِ كَنَوَالِ الْأَمِيرِ يَوْمَ سَخَاءِ

فَنَوَالُ الْأَمِيرِ بِدَرَّةٍ عَيْنِ وَنَوَالُ الْغَمَامِ قَطْرَةٌ مَاءٍ^(٦)

(١) أى بقوله «وقالوا» والأصل وقالت اليهود وقالت النصارى، وأما النشر فبقوله «إلا من كان هوداً أو نصارى».

(٢) لا بد أن يكون فى الجمع بينها لطافة وغرابة؛ لأن مجرد الجمع فى ذلك لا حسن فيه.
(٣) هو لأبى العتاهية إسماعيل بن القاسم، والجدّة: الاستغناء يقال فى المال «وجد» بثلاث الواو، و«جدّة» كعدّة بحذف الواو وتعويض التاء. وقوله «أى مفسدة» بمعنى كاملة الفساد، والشاهد فى جمع الثلاثة فى كونها مفسدة أى مفسدة.

(٤) سبق هذا البيت فى الكلام على تقديم المسند فى الجزء الأول، والشاهد فى جمع شمس الضحى وأبى إسحاق والقمر فى كونها تشرق الدنيا بهجتها.

(٥) أى: افتراق وعدم تشابه.

(٦) هما لمحمد بن محمد بن عبد الجليل المعروف برشيد الدين الوطواط، والنوال: العطاء، والبدرة: كيس فيه ألف دينار أو عشرة آلاف درهم، والمراد من العين المال، والشاهد فى التفريق بين النوالين.

ونحو قوله:

مَنْ قَاسَ جَدَّوَاكَ بِالْعَمَامِ فَمَا
أَنْتَ إِذَا جُدْتَ ضَاحِكٌ أَبَدًا
أَنْصَفَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ شَكْلَيْنِ
وَهُوَ إِذَا جَادَ دَامَعَ الْعَيْنُ^(١)

* التقسيم: ومنه التقسيم؛ وهو ذكر متعدد، ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين^(٢)؛ كقول أبي تمام:

فَمَا هُوَ إِلَّا الْوَحْيُ أَوْ حَدُّ مُرْهَفٍ
فَهَذَا دَوَاءُ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ عَالِمٍ
تُمِيلُ ظُبَاهُ أَخْدَعَى كُلِّ مَائِلٍ^(٣)
وَهَذَا دَوَاءُ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ جَاهِلٍ^(٤)

وقول الآخر:

وَلَا يُقِيمُ عَلَى ضَمِيمٍ يُرَادُّ بِهِ
هَذَا عَلَى الْحَسَفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ
إِلَّا الْأَدْلَانِ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ
وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرْتِي لَهُ أَحَدٌ^(٥)

وقال السكاكي^(٦): «وهو أن تذكر شيئاً ذا جزأين أو أكثر، ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك؛ كقوله:

- (١) هما لمحمد بن أحمد المعروف بالوآء الدمشقي، والجدوى: العطية، والشكلان: تشبة شكل بمعنى مثل، وقوله «جدت» بمعنى أعطيت، والشاهد في التفريق بين الجدوين.
(٢) يخرج بهذا القيد اللف والنشر لوجوب عدم التعيين فيه كما سبق.
(٣) قبله:

وعادات نصير لم تزل تستعيدها عصابة حق في عصابة باطل
وضمير «هو» يعود إلى حق، يعني أنه لا يتم أمره إلا بما ذكره، والمرهف: السيف المرقق الحد، والطبي: جمع طبة وهي حد السيف، والأخدعان: عرقان في صفحتي العنق، وقد روى: «تقيم ظباه» وهو أصح.

- (٤) اسم الإشارة الأول للوحى، والثاني للسيف، والحق أن هذا من اللف والنشر لعدم التعيين.
(٥) سبق هذان البيتان في الكلام على تعريف المسند إليه بالإشارة في الجزء الأول، والحق أن ما هنا أيضاً من اللف والنشر لعدم التعيين، وقيل: إن حرف التنبيه في «هذا» فيه إيماء إلى أن القرب فيه أقل فيكون للقريب، وهو العير، ويكون «ذا» للأقرب وهو الوتد، ولا يخفى أن مثل هذا لا يعول عليه في التعيين.

(٦) ٢٢٥، ٢٢٦ - المفتاح.

أَدِيَانِ فِي بَلَخَ لَا يَأْكُلَانِ إِذَا صَحَبَا الْمَرْءَ غَيْرَ الْكَبِدِ
فَهَذَا طَوِيلٌ كَظِلِّ الْقَنَاءِ وَهَذَا قَصِيرٌ كَظِلِّ الْوَتْدِ^(١)
وهذا يقتضى أن يكون التقسيم أعم من اللف والنشر^(٢).

• الجمع مع التفريق:

ومنه الجمع مع التفريق؛ وهو أن يدخل شيان في معنى واحد، ويُفَرَّقُ بين
جهتي الإدخال؛ كقوله:

فَوَجْهُكَ كَالنَّارِ فِي ضَوْئِهَا وَقَلْبِي كَالنَّارِ فِي حَرِّهَا^(٣)

شبه وجه الحبيب وقلب نفسه بالنار، وفرق بين وجهي المشابهة.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ
مُبْصَرَةً﴾ [الإسراء: ١٢].

• الجمع مع التقسيم:

ومنه الجمع مع التقسيم، وهو جمع متعدد تحت حكمٍ ثم تقسيمه، أو تقسيمه
ثم جمعه. فالأول كقول أبي الطيب:

حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضٍ خَرَشْنَةٍ تَشْقَى بِهِ الرُّومُ وَالصُّلْبَانُ وَالْبَيْعُ^(٤)

(١) هما لبعض شعراء الفُرس، والكبد: عضو معروف في البدن، والمراد به كبد صاحبهما فيكون
كناية عن سوء عشرتهما له، أو الكبد المأكول فيكون كناية عن خستهما، والقناة: الرمح،
ويردُّ على التمثيل بهذا للتقسيم ما سبق فيما قبله.

(٢) ذكر السعد أن قول السكاكي في التعريف «ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له
عندك» يغنى عن ذكر قيد التعيين، وبهذا يبين التقسيم اللف والنشر عنده أيضاً.
ومن التقسيم قول الشاعر:

وَرَأَوْا فَرِيقٌ فِي الْإِسَارِ وَمِثْلُهُ قَتِيلٌ وَمِثْلٌ لَادَ بِالْبَحْرِ هَارِبُهُ

(٣) هو لمحمد بن محمد بن عبد الجليل المعروف برشيد الدين الوطواط، وحرارة قلبه ناشئة من
شدة شوقه إلى محبوبه.

(٤) يتعلق «حتى» بقوله قبله:

قَادَ الْمَقَانِبَ أَقْصَى شُرْبِهَا نَهْلٌ عَلَى الشُّكِيمِ وَأَدْنَى سِيرِهَا سِرْعٌ =

للسَّبِيِّ مَا نَكَحُوا وَالْقَتْلَ مَا وَلَدُوا وَالنَّهْبَ مَا جَمَعُوا وَالنَّارَ مَا زَرَعُوا^(١)
جمع فى البيت الأول شقاء الروم بالمدحوح على سبيل الإجمال حيث قال:
«تشقى به الروم»، ثم قسم فى الثانى وفصله.

والثانى كقول حسان:

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرَبُوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاوَلُوا النِّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةُ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ إِنَّ الْخَلَائِقَ فَعَلِمَ شَرَّهَا الْبَدْعَ^(٢)

قسم فى البيت الأول صفة الممدوحين إلى ضر الأعداء ونفع الأولياء، ثم
جمعهما فى البيت الثانى حيث قال «سجية تلك».

ومن لطيف هذا الضرب قول الآخر:

لَوْ أَنَّ مَا أَنْتُمْ فِيهِ يَدُومُ لَكُمْ ظَنَنْتُ مَا أَنَا فِيهِ دَائِمًا أَبَدًا
لَكِنْ رَأَيْتُ اللَّيَالَى غَيْرَ تَارِكَةٍ مَا سَرَّ مِنْ حَادِثٍ أَوْ سَاءَ مُطَرِّدًا
فَقَدْ سَكَنْتُ إِلَى أُنَى وَأَنْكُمْ سَنَسْتَجِدُّ خِلَافَ الْحَالَتَيْنِ غَدًا^(٣)

فقوله «خلاف الحالتين» جمع لما قسم لطيف، وقد ازداد لطفًا بحسن ما بناه
عليه من قوله: «فقد سكنت إلى أنى وأنكم».

= والضمير فى «أقام» لسيف الدولة، والأرباض: جمع رِيض وهو ما حول المدينة، وخرشنة:
بلد بالروم تسمى أماضية، والبيع: جمع بَيْعَة وهى معبد النصرى.

(١) إنما قال «ما نكحوا وما ولدوا» مع أن «ما» لغير الغاقل؛ إهانة لهم وملاءمة لما بعده.
(٢) هما حسان بن ثابت الأنصارى، و«قوم» خبر مبتدأ محذوف تقديره هم قوم، والمراد بهم قوم
النبي ﷺ، والأشياء: الأتباع والأنصار، وسجية: طبيعة وغريزة خير مقدم، واسم الإشارة
«تلك» مبتدأ مؤخر، وغير محدثة: صفة سجية، والخلائق: جمع خليفة وهى الخلق،
والبدع: جمع بدعة وهى الأمر المستحدث، يعنى أن الخلائق شرها ما كان مستحدثًا فى
الأبناء، ولم يكن موروثًا عن الآباء.

(٣) هى لإبراهيم بن العباس الصولى، ويريد بما هم فيه: حُسن حالهم، وبما هو فيه سوء حاله،
والمطرود: المستمر، وإنما كان قوله «خلاف الحالتين» جمعًا لطيفًا لحسن اختصاره لهما.

• الجمع مع التفريق والتقسيم:

ومنه الجمع مع التفريق والتقسيم^(١) كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَبِالنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَبِالْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٌ ﴿[هود: ١٠٥-١٠٨]. أما الجمع ففي قوله ﴿يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ فإن قوله (نفس) متعدد معنًى؛ لأن التكررة في سياق النفي تعم، وأما التفريق ففي قول ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾، وأما التقسيم ففي قوله ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾ إلى آخر الآية الثانية. وقول ابن شرف القيرواني:

لِمُخْتَلَفِي الْحَاجَاتِ جَمْعٌ بِبَابِهِ فَهَذَا لَهُ فَنٌ وَهَذَا لَهُ فَنٌ
فَلِلْخَامِلِ الْعَلِيَا وَلِلْمَعْدِمِ الْغِنَى وَلِلْمُذْنَبِ الْعَتَبَى وَلِلْخَائِفِ الْأَمْنُ^(٢)

• التقسيم بمعنيين آخرين: وقد يطلق التقسيم على أمرين:

أحدهما أن يذكرَ أحوال الشيء مضافاً^(٣) إلى كل حالٍ ما يليق بها^(٤) كقول أبي الطيب:

سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْقَنَاءِ وَمَشَايِحَ كَأَنَّهُمْ مِنْ طُولِ مَا التَّشْمُوا مُرْدٌ^(٥)
ثِقَالٌ إِذَا لَاقَوْا خِفَافٌ إِذَا دُعُوا كَثِيرٌ إِذَا شَدُّوا قَلِيلٌ إِذَا عُدُّوا^(٦)

(١) تأتي الثلاثة في الكلام على هذا الترتيب؛ فيكون أولها الجمع، وثانيها التفريق، وثالثها التقسيم.

(٢) هما لمحمد بن سعيد بن أحمد بن شرف القيرواني الجذامي، والفن: النوع والحال، والمعدم: الفقير، والعتبى: الإرضاء. والشاهد في أنه جمع بقوله «لمختلفي الحاجات» ثم فرق بقوله: «فهذا له فن وهذا له فن»، ثم قسم في البيت الثاني.

(٣) أى منسوباً.

(٤) هذا يغاير التقسيم السابق بأنه لا يذكر فيه المتعدد أولاً بل يذكر كل واحد من المتعدد ومعه ما يناسبه.

(٥) القنا: واحده قناة وهى الرمح، وقوله «التشموا» بمعنى لبسوا. لثام الحرب على عاداتهم فيها، والمرد: جمع أمرد وهو الشاب الذى لم تنبت لحيته.

(٦) الثقال: الذين تشتد وطأتهم على الأعداء في الحرب، وقوله «شدوا» بمعنى حملوا على =

وقوله أيضاً:

بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ خُوطَ بَانَ وَفَاحَتْ عَنَبَرًا وَرَنْتْ غَزَالًا^(١)

ونحوه قول الآخر:

سَفَرْنَ بُدُورًا وَانْتَقَبْنَ أَهْلَةً وَمَسْنَ غُصُونًا وَالتَفَتْنَ جَاذِرًا^(٢)

والثاني استيفاء أقسام الشيء بالذكر؛ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢] وقوله تعالى: ﴿يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَانَا وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَانًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

ومنه ما حكى عن أعرابي وقف على حلقة الحسن^(٣) فقال: «رحم الله من تصدق من فضل، أو آسى من كفاف، أو أثر من قوت». فقال الحسن: «ما ترك لأحد عذرا». ومثاله من الشعر قول زهير:

وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِي^(٤)

= عدوهم، والشاهد في أنه ذكر أحوال المشايخ في البيت الثاني مضافًا إلى كل حال ما يناسبها. (١) سبق هذا البيت في الكلام على التشبيه من الجزء الثالث، والشاهد في أنه ذكر أحوالها مضافًا إلى كل حال ما يناسبه.

(٢) هو لأبي القاسم علي بن إسحاق الزاهي، وقيل: إنه لأبي هلال العسكري، وقوله «سفرن» بمعنى كشفن وجوههن، وقوله «انتقبن» بمعنى لبسن النقاب، وإنما أشبهن الأهله عند لبسه لظهور حواجهن مقوسات فوق مثلها، وقوله «مسن» بمعنى تبخترن، والجاذر: جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية أى كعيون جاذر. والشاهد فيه كاليبت قبله.

(٣) يعني الحسن البصري. (٤) سبق هذا البيت في الكلام على الحشو من الجزء الثاني، والشاهد في استيفائه أقسام ما يتوجه إليه العلم وهى اليوم والأمس والغد، ولا يخفى أنه لا قيمة للمحسن البديعى مع عيب الحشو.

وقول طريح:

إن يعلموا الخير يخفوه وإن علموا شراً أذاعوا وإن لم يعلموا كذبوا^(١)

وقول أبي تمام في الأفسين^(٢) لما أحرق:

صلّى لها حياً وكان وقودها ميتها ويدخلها مع الفجار^(٣)

وقول نصيب:

فقال فريق القوم: لا، وفريقهم نعم، وفريق: ليمن الله ما ندرى^(٤)

فإنه ليس في أقسام الإجابة غير ما ذكر.

وقول آخر:

فهبها كشيء لم يكن أو كنازح به الدار أو من غييته المقابر^(٥)

● التجريد:

ومنه التجريد، وهو أن يتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة؛ مبالغة في كمالها فيه^(٦). وهو أقسام:

(١) هو لطريح بن إسماعيل الشقي، يريد أن أعداءه إن يعلموا خيراً منه يخفوه أو شراً يذيعوه، وإن لم يعلموا منه شراً نسبوه إليه كذباً، وقد استوفى بهذا أقسام أحوالهم معه.

(٢) كان تركيا من أكبر قواد المعتصم.

(٣) الضمير في «لها» للنار، والوقود: ما توقد النار به، والفجار: العصاة؛ وكان الأفسين متهماً بعبادة النار كالمجوس. والشاهد في استيفائه أقسام أحواله معها.

(٤) هو لنصيب بن رباح، وقوله «ليمن» حذفت فيه ألف «أيمن» في الدرج، وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره «قسمي».

(٥) هو لعمر بن أبي ربيعة، وقوله «هب» فعل أمر بمعنى احسب، وقوله «لم يكن» بمعنى لم يوجد، والنازح: البعيد. والشاهد في أنه ليس في أقسام الغائب غير ما ذكره.

(٦) اعترض على هذا التعريف بأنه لا يشمل ما كان من التجريد نحو «لا خيل عندك تهديها ولا مال» لأنه لم يجرد شيئاً مثل نفسه في صفة من الصفات، وإنما جرد من ذاته ذاتاً أخرى من غير اعتبار صفة؛ فالأحسن تعريف التجريد بأنه انتزاع أمر من آخر مطلقاً، والأحسن أيضاً أن تجعل نكتته العامة التفتن في الأسلوب كالاتفات لتقاربهما، وإن كان مبنى الالتفات على =

منها نحو قولهم^(١): «لى من فلان صديق حميم» أى بلغ من الصداقة مبلغًا صح معه أن يستخلص منه صديق آخر.

ومنها نحو قولهم^(٢): «لئن سألت فلانًا لتسألن به البحر».

ومنها نحو قول^(٣) الشاعر:

وَشَوْهَاءَ تَعْدُو بى إِلَى صَارِخِ الْوَعَى بِمُسْتَلْتِمٍ مِثْلِ الْفَنِيقِ الْمُرَحَّلِ^(٤)

أى تعدو بى ومعى من نفسى لكمال استعدادها للحرب مستلثم؛ أى لابس لأمة.

ومنها قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾^(٥) [فصلت: ٢٨]؛ فإن جهنم

= اتحاد المعنى ومبنى التجريد على التغاير بينهما بحسب الاعتبار، وقد يجتمعان كما فى المثال الآتى «فلئن بقيت لأرحلن بغزوة» البيت، وقد ينفرد الالتفات كما فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ١، ٢]، وقد ينفرد التجريد كما فى قولك «لى من فلان صديق حميم». وفى التجريد فائدتان: طلبُ التوسع فى الكلام، وتمكين المخاطب من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه؛ إذ يكون مخاطبًا بها غيره، فيكون أعذر له.

(١) نحوه كل ما تكون «من» فيه أداة التجريد، وتفيد فيه معنى الابتداء، وهذا القسم لا يقصد منه تشبيه.

(٢) نحوه كل ما تكون باء التجريد فيه داخلة على المنتزع منه، وتفيد فيه معنى المصاحبة، وهذا القسم يدل على التشبيه.

(٣) نحوه كل ما تكون الباء فيه داخلة على المنتزع، وتفيد معنى المصاحبة، وهذا القسم لا يدل على التشبيه.

(٤) لا يعرف قائله. والشوهاء: الفرس القبيحة المنظر لسعة أشداقها أو لتغيرها بالحرب، وصارخ الوعى: المستغيث فى الحرب، والمستلثم: لابس الأمانة وهى الدرع، والفنيق: الفحل المكرم من الإبل بترك ركوبه، والمرحل: المرسل غير المربوط، والمراد تشبيه الفرس به أو المستلثم، والباء فى «بى» للتعدية، وفى «بمستلثم» للمصاحبة لأنها باء التجريد.

(٥) نحوه كل ما يكون التجريد فيه بدخول «فى» على المنتزع منه، وهذا القسم لا يقصد فيه تشبيه.

-أعاذنا الله منها - هى دار الخلد، لكن انتزع منها مثلها وجعل مُعدًّا فيها للكفار تهويلاً لأمرها. ومنها نحو قول^(١) الحماسى:

فلئن بَقِيتُ لأرحلنَّ بَغَزْوَةٍ تحوى الغنائم أو يَمُوتَ كَرِيمٌ^(٢)

وعليه قراءة من قرأ ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧] بالرفع بمعنى: فحصلت سماء وردة. وقيل: تقدير الأول «أو يموت منى كريم»^(٣)، والثانى: «فكانت منه»^(٤) وردة كالدّهان»، وفيه نظر^(٥).
ومنها نحو قوله^(٦):

يا خَيْرَ من يركبُ المَطْيَّ وَلَا يشربُ كأسًا بِكفٍّ من بَخِلَا^(٧)
ونحوه قول الآخر:

إن تَلَقَّنِي لا ترى غيرى بِنَاطِرَةٍ تنسُ السلاحَ وتعرفُ جبهةَ الأسدِ^(٨)

(١) نحوه كل ما يكون التجريد فيه بالقرينة لا بحرف من حروف التجريد، وهذا القسم لا يدل على التشبيه.

(٢) هو لقتادة بن مسلمة الحنفى، و«أو» فى قوله «أو يموت» بمعنى «إلا»، والفعل بعدها منصوب بها، ويجوز رفعه عطفاً على تحوى، والتجريد فى قوله «أو يموت كريم» بقرينة أنه عادل بين احتوائه على الغنيمة وموت كريم، والجارى على الألسنة أن يقال لا بد لى من الغنيمة أو الموت، فيفهم منه أن المراد من الكريم نفسه.

(٣) فيكون التجريد فيه بحرف «من» لا من هذا القسم.

(٤) أى من الانشقاق؛ فيكون التجريد فيه بحرف أيضاً.

(٥) لحصول التجريد من غير تقدير أداة؛ فلا يكون هناك حاجة إليه.

(٦) نحوه كل ما يكون التجريد فيه بطريق الكناية.

(٧) هو لأعشى قيس، والمطى: جمع مطية وهى المركوب من الإبل، والشاهد فى قوله «ولا يشرب كأساً بكف من بخلا» فإنه كناية عن شربه بكف كريم، والشأن أن الشخص يشرب بكف نفسه، ولكنه انتزع من الممدوح شخصاً كريماً يشرب الممدوح من كفه مبالغة فى كرمه.

(٨) هو لأرطاة بن سُهَيْبَةَ، وقوله «بناطرة» صفة لمحذوف أى بعين ناظرة، وقوله «تنس السلاح» بمعنى تنسى حملة دهشاً، والشاهد فى قوله «وتعرف جبهة الأسد» لأنه كنى بذلك عن =

ومنها مخاطبة الإنسان نفسه؛ كقول الأعشى:

وَدَّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرِّكْبَ مُرْتَحِلٌ وهل تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ^(١)

وقول أبي الطيب:

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيُسْعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ يُسْعِدِ الْحَالُ^(٢)

● المبالغة المقبولة: ومنه المبالغة المقبولة^(٣). والمبالغة أن يدعى لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حداً مستحيلاً أو مُسْتَبْعِداً لئلا يُظن أنه غير مُتَنَاهٍ في الشدة أو الضعف، وتنحصر في: التبليغ، والإغراق، والغلو. لأن المدعى للوصف من الشدة أو الضعف إما أن يكون ممكناً في نفسه^(٤) أو لا. الثاني: الغلو^(٥). والأول إما أن يكون ممكناً في العادة أيضاً^(٦) أو لا، الأول التبليغ^(٧)، والثاني الإغراق^(٨).

١ - أما التبليغ فكقول امرئ القيس:

= معرفة الأسد نفسه، فكأنه قال «وتعرف الأسد»، وذلك تجريد لأنه على تقدير: وتعرفه منى. (١) هو لأعشى قيس، والركب: ركبان الإبل أو الخيل ويجمع على أركب وركوب، وهو أيضاً جمع راكب، والمرتحل: المسافر، والشاهد في مخاطبته نفسه في قوله «ودع وتطيق، وأيها الرجل».

(٢) هو من قصيدة له يمدح بها فاتكاً حين أهدها ألف دينار وهو بمصر، ويعنى بالنطق نطقه بالشعر في مدحه، وبالحال حاله من فقد الخيل والمال، والشاهد في مخاطبته نفسه في قوله «عندك». (٣) يحترز عن المبالغة غير المقبولة، وهذا مذهب من مذاهب ثلاثة في المبالغة. والثاني أنها مقبولة مطلقاً؛ لأن خير الكلام ما بولغ فيه، وأعذب الحديث أكذبه مع إيهام الصحة وظهور المراد، فلا يدخل في ذلك الكذب المحض الذي قصد ترويع ظاهره مع فسادة للاتفاق على قبحه. والثالث: أنها مردودة مطلقاً؛ لأن خير الكلام ما خرج مخرج الحق، كما قال الشاعر:

وإن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقاً

(٤) الممكن في نفسه هو الممكن عقلاً.

(٥) هو غير الممكن في نفسه أى غير الممكن عقلاً، وكل ما لا يمكن عقلاً لا يمكن عادة.

(٦) أى كما هو ممكن في نفسه، فيكون ممكناً عقلاً وعادةً.

(٧) هو الممكن عقلاً وعادة.

(٨) هو الممكن عقلاً لا عادة.

فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَنَعَجَةٍ دِرَاكًا وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلَ^(١)

وصف هذا الفرس بأنه أدرك ثوراً وبقرة وحشيين في مضمار واحد ولم يعرق، وذلك غير ممتنع عقلاً ولا عادة. ومثله قول أبي الطيب:

وَأَصْرَعُ أَيَّ الْوَحْشِ قَفَيْتُهُ بِهِ وَأَنْزَلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أُرْكَبُ^(٢)

٢ - وأما الإغراق فكقول الآخر:

وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا وَتَتَّبِعُهُ الْكَرَامَةُ حَيْثُ مَا لَا^(٣)

فإنه ادعى أن جاره لا يميل عنه إلى جهة إلا وهو يتبعه الكرامة، وهذا ممتنع عادةً، وإن كان غير ممتنع عقلاً.

وهما^(٤) مقبولان.

٣ - وأما الغلو فكقول أبي نواس:

(١) قوله «عادى إلخ» بمعنى وإلى بينهما بأن صرع الثانى إثر الأول فى شوط واحد، والثور: ذكر بقر الوحش، والنعجة: أُنثاه. وقوله «دراكا» بمعنى متتابع تأكيداً لقوله «عداء» أو لإفادة التكثير وأن ذلك كان بين ثيران ونعاج لا اثنين فقط. وقوله «لم ينضح» بمعنى لم يرشح بعرق فيغسل به جسمه أو يغسل منه جسمه لما يصحبه من الوسخ.

(٢) قوله «أصرع» بمعنى أطرح على الأرض، وقوله «قفيتته» بمعنى أتبعته، والضمير المفعول للوحش، والضمير فى «به» للفرس، والشاهد فى قوله «وأنزل عنه مثله حين أركب» يعنى أنه يكون فى مثل نشاطه حين ركبه، وهذا ممكن عقلاً وعادة.

(٣) هو لعمرو أو عُمير بن الأيهم التغلبى، وقد حُرّف «الأيهم» بالأهتم من بعض النسخ، وهو خطأ؛ لأن عمرو بن الأهتم تميمى لا تغلبى، وقوله «مال» بمعنى رحل عنهم إلى غيرهم، والظاهر أن الإغراق فى هذا يكون عند إرادة أنهم يرسلون ذلك إليه فى مكان ارتحاله لا إرادة أنهم عند ارتحاله يزودونه به.

(٤) أى التبليغ والإغراق.

وَأَخَفْتَ أَهْلَ الشُّرْكِ حَتَّى إِنَّهُ لَتَخَافُكَ النَّطْفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ^(١)

والمقبول منه أصناف:

أحدها: ما أدخل عليه ما يُقَرِّبه إلى الصحة، نحو لفظة «يكاد»^(٢) في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥]. وفي قول الشاعر يصف فرساً:

وَيَكَادُ يَخْرُجُ سُرْعَةً مِنْ ظِلِّهِ لَوْ كَانَ يُرْغَبُ فِي فِرَاقِ رَفِيقِ^(٣)

والثاني: ما تضمن نوعاً حسناً من التخيل^(٤) كقول أبي الطيب:

عَقَدَتْ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عَثِيرًا لَوْ تَبَتَغَى عَنْقًا عَلَيْهِ لَأُمَكَّنَا^(٥)

وقد جمع القاضى الأَرَجَانِي بينهما في قوله يصف الليل بالطول:

(١) هو للحسن بن هانئ المعروف بأبى نواس، والنطف: جمع نطفة وهى الماء الذى يتخلق منه الإنسان فى الرحم، وقوله «لم تخلق» بمعنى لم يخلق منها الإنسان، أو بمعنى لم توجد فيكون أبعد فى الغلو من الأول لأن عدم خلق الإنسان منها يقتضى وجودها، وهذا من الغلو غير المقبول.

(٢) ونحوها لفظ «لو» ولولا، وحرف التشبيه، ويخيل، وما أشبه ذلك.

(٣) هو لأبى محمد عبد الجبار بن أبى بكر المعروف بابن حمدىس الصقلى، جعل ظله رفيقاً له لأنه يلازمه ملازمة الرفيق. وقد أخذه من قول المعرى:

وَلَمَّا لَمْ يَسَابِقْنَهُنَّ شَيْءٌ مِنَ الْحَيَوَانِ سَابَقْنَ الظَّلَالَ

(٤) لأن حسن التخيل يقربه من الإمكان.

(٥) السنابك: جمع سنك وهو طرف الحافر، والعثير: الغبار، والعنق: السير السريع، وقد نشأ التخيل الحسن من ادعاء كثرة الغبار وجعله كالأرض فى الهواء، ولا يخفى أن وجود «لو» فيه يجعله من الأول أيضاً. وقبله:

أَقْبَلَتْ تَبَسُّمٌ وَالْجِيَادُ عَوَابِسُ يَخْبِينَ بِالْحَلَقِ الْمُضَاعَفِ وَالْقَنَا

يُخِيلُ لِي أَنْ سُمِّرَ الشُّهْبُ فِي الدُّجَى وَشُدَّتْ بِأَهْدَابِي إِلَيْهِنَّ أَجْفَانِي^(١)

والثالث: ما أخرجَ مُخْرَجَ الهذَلِ والخلاعة^(٢)، كقول الآخر:

أَسْكُرُّ بِالْأَمْسِ إِنْ عَزَمْتُ عَلَى الْـ شُرْبِ غَدًا إِنْ ذَا مِنَ الْعَجَبِ^(٣)

المذهب الكلامي:

ومنه المذهب الكلامي^(٤)؛ وهو أن يُوردَ المتكلم حُجَّةً لِمَا يَدَّعِيهِ عَلَى طَرِيقِ أَهْلِ الْكَلَامِ^(٥) كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٦) [الأنبياء: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]؛ أى والإعادة أهون عليه من البدء، والأهون من البدء أدخل في الإمكان

(١) هو لأحمد بن محمد المعروف بالقاضى الأرجانى، وقوله «سمر الخ» بمعنى أحكمت فيها بالمسامير، والدجى: جمع دجية وهى الظلمة، والأهداب: جمع هذب وهو شعر أشفار العينين، والشاهد فى اجتماع لفظ «يخيل» فيه من الأول مع ذلك التخييل الحسن الناشئ من ادعاء أن هناك مسامير وحبالا كانت سبباً فى وقوف الشهب وشد الأجفان إليها.

(٢) لأن صاحبهما لا يعد موصوفاً بنقيصة الكذب كما يعد فى الجد.

(٣) لا يعرف قائله، وقبله:

أَمْرٌ بِالْكَرَمِ إِنْ عَبَّرْتُ بِهِ تَأْخِذْنِي نَشْوَةٌ مِنَ الطَّرِبِ

واسم الإشارة «ذا» يعود إلى سكره بالأمس عند العزم على الشرب فى الغد، وامتناعه فى العقل لما فيه من تقدم المعلول على علته، وال فى «الأمس» للجنس فيشمل أفراده المقدرة فى المستقبل، وكذلك المراد بغد، وبهذا صح قوله «أسكر بالأمس» بالمضارع مع أمس، وقوله «إن عزمتم» بأن التى تقلب الماضى إلى المستقبل، والمراد سكره من مروره بالكرم، ولهذا فصله عنه.

(٤) إنما كان محسناً لأنه لا يجب فى المحاوراة أن تكون على طريق أهل الكلام، وبعضهم يرى أنه تكلف، والحق أنه لا تكلف فيه.

(٥) بأن تكون على صورة قياس اقترانى أو استثنائى بالفعل أو بالقوة، ومن الأول الآية الأولى وببيت النابغة، ومن الثانى ما عدهما من الأمثلة.

(٦) وفيها قياس استثنائى حذف استثنائيته ونتيجته لظهورهما.

من البدء، وهو المطلوب^(١). وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَفْلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦] أى القمرُ أَفْلٌ وربى ليس بأفْل؛ فالقمر ليس بربى^(٢). وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ [المائدة: ١٨] أى أنتم تُعَذِّبُونَ، والبنون لا يُعَذِّبُونَ؛ فلستم يبين له^(٣).

ومنه قول النابغة يعتذر إلى النعمان:

وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِمَرَّةٍ مَطْلَبُ	حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرِكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً
لَمُبْلَغُكَ الْوَأَشَى أَغْشُ وَأَكْذِبُ	لَئِنْ كُنْتُ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً
مِنْ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌّ وَمَذْهَبٌ ^(٤)	وَلَكِنِّي كُنْتُ امْرَأًا لِي جَانِبٌ
أُحْكَمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَقْرَبُ ^(٥)	مُلُوكٌ وَإِخْوَانٌ إِذَا مَا مَدَحَتْهُمْ
فَلَمْ تَرَهُمْ فِي مَدَحِهِمْ لَكَ أَذْنُبُوا	كَفَعْلِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَفَيْتَهُمْ

يقول: أنت أحسنت إلى قوم فمدحوك وأنا أحسن إلى قوم فمدحتهم، فكما أن مدح أولئك لك لا يعدُّ ذنبًا، فكذلك مدحى لمن أحسن إلى لا يعدُّ ذنبًا^(٦).

(١) هذا قياس اقترانى من الشكل الأول حذفت مقدمته الثانية والمطلوب.

(٢) هذا قياس اقترانى من الشكل الثانى حذفت مقدمته الأولى اكتفاء عنها بلازم الثانية (لا أحب الآفلين) وحذف أيضًا فيه المطلوب.

(٣) هذا أيضًا قياس اقترانى من الشكل الثانى مثل الآية السابقة.

(٤) المستراد: موضع طلب الرزق مأخوذ من «رَادَ الكَلَاءُ» بمعنى طلبه. والمذهب: موضع الذهاب إلى الحاجات، والمراد منهما فى البيت مجرد طلب الرزق والذهاب إلى الحاجات.

(٥) يعنى بهم آل جفنة من الغساسنة الذين قصدهم بعد غضب النعمان بن المنذر عليه. ويشير بقوله «إخوان» إلى تواضعهم؛ والأبيات لزياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبياني.

(٦) هذا من قياس التمثيل، ويمكن رده إلى قياس استثنائى تقديره: لو كان مدحى لآل جفنة ذنبًا لكان مدح أولئك القوم لك ذنبًا، لكن مدح أولئك القوم لك ليس بذنب؛ فمدحى لآل جفنة ليس بذنب.

حسن التعليل: ومنه حسن التعليل، وهو أن يُدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف^(١) غير حقيقي. وهو أربعة أقسام: لأن الوصف إما ثابت قُصدَ بيان علة، أو غير ثابت أريد إثباته؛ والأول إما ألا يظهر له في العادة علة، أو يظهر له علة غير المذكورة، والثاني إما ممكن، أو غير ممكن.

* أما الأول^(٢) فكقول أبي الطيب:

لَمْ تَحُكْ نَائِلَكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا حُمَّتْ بِهِ فَصَيَّبَهَا الرَّحَضَاءُ^(٣)
فإن نزول المطر لا يظهر له في العادة علة^(٤). وكقول أبي تمام:

لَا تُتَكْرَى عَطَلُ الْكَرِيمِ مِنَ الْغَنَى فَالْسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي^(٥)
علل عدم إصابة الغنى الكريم بالقياس على عدم إصابة السيل المكان العالى كالطود العظيم، من جهة أن الكريم لاتصافه بعلو القدر كالمكان العالى، والغنى حاجة الخلق إليه كالسيل. ومن لطيف هذا الضرب قول أبي هلال العسكري:
زَعَمَ الْبَنْفَسَجُ أَنَّهُ كَعِذَارِهِ حُسْنًا فَسَلُّوا مِنْ قَفَاهُ لِسَانَهُ^(٦)

(١) أى دقيق لا يدركه إلا من له تصرف فى دقائق المعانى، ووجه حسنه إظهار ما ليس بواقع متخيلاً كالصحيح الواقع، وهذا شرط لكونه محسناً لا اعتبار موجب له.

(٢) هو حسن التعليل فى الوصف الثابت الذى لا تظهر له فى العادة علة غير المذكورة.

(٣) قوله «لم تحك» بمعنى لم تشابه، والنائل: العطاء، والسحاب: اسم جنس جمعى ولهذا أنث فعله، وهو على حذف مضاف أى مطر السحاب، وقوله «حمت» بمعنى أصيبت بالحمى، والصيب: ما صُب من المطر، والرحضاء: عرق الحمى، والبيت من قصيدة فى مدح هارون ابن عبد العزيز مطلعها:

أَمِنْ أَزْدِيَارِكَ فِى الدُّجَى الرُّقَبَاءُ إِذْ حَيْثُ أَنْتَ مِنَ الظُّلَامِ ضِيَاءُ

(٤) قيد بالعادة لأن له فى الحقيقة علة ولكن الناس لا ينظرون عادة إليها، وقد جعل أبو الطيب علة نزول المطر من السحاب ما حصل له من الحمى بسبب عدم محاكاته لعطاء الممدوح، وهى علة ناشئة عن لطف فى النظر وليست علة حقيقة.

(٥) العطل: مصدر «عطل الرجل من المال ونحوه» خلا منه، وقوله «حرب للمكان العالى» بمعنى أنه عدو له لا يجامعه.

(٦) هو للحسن بن عبد الله المعروف بأبى هلال العسكري، والضمير فى قوله «كعذاره» يعود إلى «مغني» فى قوله قبل هذا البيت:

وَمُغْنِيٌّ قَالَ الْكَمَالُ لَخَلْقِهِ كُنْ مُجْمِعًا لِلطَّيِّبَاتِ فَكَانَهُ =

وقول ابن بُبَاةَ فى صفة فرس:

وَأَدْهَمَ يَسْتَمِدُّ اللَّيْلُ مِنْهُ وَتَطْلُعُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ الثُّرَيَّا
سَرَى خَلْفَ الصَّبَاحِ يَطِيرُ مَشِيًّا وَيَطْوِي خَلْفَهُ الْأَفْلَاكَ طِيًّا
فَلَمَّا خَافَ وَشَكَ الْفَوْتَ مِنْهُ تَشَبَّثَ بِالْقَوَائِمِ وَالْمَحْيَا^(١)

* وأما الثانى^(٢) فكقول أبى الطيب:

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ يَتَّقَى إِخْلَافَ مَا تَرْجُو الذُّنَابُ^(٣)

فإنَّ قتل الملوك أعداءهم فى العادة لإرادة هلاكهم، وأن يدفعوا مضارهم عن أنفسهم؛ حتى يصفو لهم ملكهم من منازعتهم، لا لِمَا ادَّعَاهُ من أن طبيعة الكرم قد غلبت عليه، ومحبتة أن يصدق رجاء الراجين بعثته على قتل أعدائه؛ لِمَا علم أنه لِمَا غدا للحرب غدت الذناب تتوقع أن يتسع عليها الرزق من قتلاهم، وهذا مبالغة فى وصفه بالجوذ، ويتضمن المبالغة فى وصفه بالشجاعة على وجه تخيلى^(٤)، أى تنهى فى الشجاعة حتى ظهر ذلك للحيوانات العُجم، فإذا غدا

= والبنفسج: نبات بستانى ورقه دون السفرجل طيب الرائحة وله هنة تحت ورقه جعلها الشاعر كلسان له سُل من قفاه، والعدار: أول ما يبدو على الحد من الشعر، والشاهد فى أن خروج هنة ورقة البنفسج إلى الخلف مما لا تظهر علته، لكنه جعلها افتراءه على محبوبه أنه كعداره. (١) هى لأبى نصر عبد العزيز بن عمر المعروف بابن نباتة السعدى. والأدهم: الفرس الأسود، والثريا: سبعة كواكب فى عنق الثور، استعارها لغزته أو لما يكون فوق الرأس من الحلية، وقوله «سرى» بمعنى مشى ليلاً، والضمير للأدهم. وقوله «يطوى» بمعنى يقطع، والأفلاك: جمع فلك وهو مدار النجوم، والضمير فى قوله «خاف» للصباح، والوشك: السرعة والقرب، والقوائم: جمع قائمة وهى الرجل أو اليد، والمحيا: الوجه، يعنى أنه تعلق بذلك فأصابه أثر بياضه، وهذه علة غير حقيقية له.

(٢) هو حسن التعليل فى الوصف الثابت الذى تظهر له فى العادة علة غير المذكورة.

(٣) هو من قصيدة له فى مدح بدر بن عمار، وقوله «ما به قتل أعاديهِ» بمعنى أنه لا يقتل أعداءه خوفاً من أذاهم لعجزهم عنه؛ فالباء فى «به» للسببية، والإخلاف: عدم الوفاء.

(٤) ففيه مثال للاستتباع الآتى.

للحرب رجت الذئاب أن تنال من لحوم أعدائه، وفيه نوعٌ آخر من المدح وهو أنه ليس ممن يسرف في القتل طاعةً للغیظ والحق.

وكقول أبي طالب المأموني في بعض الوزراء ببخارى:
مُغْرَمٌ بِالثَّناء صَبٌّ بِكسبِ المَجْدِ يَهْتَزُّ لِلسَّماحِ ارْتِياحًا
لا يذوقُ الإغفاءَ إلا رَجاءً أن يَرى طَيْفَ مُسْتَمِيعٍ رَوَّاحًا^(١)

وكأن تقييده بالرواح ليشير إلى أن العفاة إنما يحضرون له في صدر النهار على عادة الملوك، فإذا كان الرواح قُلُوبًا؛ فهو يشاق إليهم فينام ليأنس برؤية طيفهم. وأصله من نحو قول الآخر:

وإني لأَسْتغْشى وما بي نَعْسَةٌ لَعَلَّ خيالاً مِنْكَ يَلْقَى خيالِيَا^(٢)

وهذا غير بعيد أن يكون أيضاً من هذا الضرب، إلا إنه لا يبلغ في الغرابة والبعد عن العادة ذلك المبلغ، فإنه قد يُتَصَوَّرُ أن يريد المَغْرَمُ المَتِّمُ إذا بعد عهده بحبيبه أن يراه في المنام، فيريد النوم لذلك خاصة.

ومن لطيف هذا الضرب قول ابن المعتز:

قالوا: اشْتَكَّتْ عينه، فقلتُ لَهُمْ : من كثرة القتل نالها الوَصَبُ
حُمُرْتُهَا مِنْ دماءٍ مَنْ قَتَلْتُ والدمُّ في النَّصْلِ شَاهِدٌ عَجَبٌ^(٣)

(١) هما لعبد السلام بن الحسين المأموني، ينتهي نسبه إلى المأمون بن هارون الرشيد و«المغرم» اسم مفعول من «أَغْرِمَ بالشئ» بمعنى أُولِعَ به، والصب: ذو الولوج الشديد، والسماح: الجود، والإغفاء: النوم الخفيف، والمستمیع: طالب العطاء، والرواح: العشى. والشاهد في تعليقه الإغفاء بما علله به مع أن له علة حقيقية غيرها.

(٢) هو لقيس بن الملوح المعروف بالمجنون، وقوله «أستغشى» بمعنى أطلب النعاس، وقوله «وما بي نعسة» بمعنى: وما بي إرادتها.

(٣) هما لعبد الله ابن المعتز، وقوله «اشتكت» بمعنى مرضت، والمراد بالقتل قتل محبيها، والوصب: المرض، والنصل: يطلق على السيف وقد استعير للعين لقتلها مثله، والشاهد في أن العلة الحقيقية لحمرة العين الرمداً لا دماء من قتلته من العشاق.

وقول الآخر:

أَتَنِي تُؤْنِبُنِي بِالْبُكَاءِ فَأَهْلًا بِهَا وَبِتَأْنِيهَا
تَقُولُ وَفِي قَوْلِهَا حِشْمَةٌ : أَتَبْكِي بَعِينَ تَرَانِي بِهَا
فَقُلْتُ: إِذَا اسْتَحْسَنْتُ غَيْرَكُمْ أَمَرْتُ الدَّمْعَ بِتَأْدِيبِهَا^(١)

وذلك أن العادة في دمع العين أن يكون السبب فيه إغراض الحبيب أو اعتراض الرقيب ونحو ذلك من الأسباب الموجبة للاكتئاب، لا ما جعله من التأديب على الإساءة باستحسان غير الحبيب.

• وأما الثالث^(٢) فكقول مسلم بن الوليد:

يَا وَاشِيًا حَسَنْتُ فِينَا إِسَاءَتَهُ نَجَّى حِذَارُكَ إِنْسَانِي مِنَ الْغَرَقِ^(٣)
فإن استحسان إساءة الواشي ممكن، لكن لما خالف الناس فيه عقبه بذكر سببه، وهو أن حذاره من الواشي منعه من البكاء، فسلم إنسان عينيه من الغرق في الدموع، وما حصل ذلك فهو حسن.

• وأما الرابع^(٤) فكمعنى بيت فارسي ترجمته:

لَوْ لَمْ تَكُنْ نِيَّةُ الْجُوزَاءِ خِدْمَتَهُ لَمَا رَأَيْتَ عَلَيْهَا عَقْدَ مُنْتَطِقٍ^(٥)

(١) هي لأحمد بن محمد المعروف بابن ثوبة، وقوله «تؤنبنى» بمعنى تلومنى وتعنفنى، والحشمة: الغضب أو الاستحياء، والأول أظهر هنا.

(٢) هو حسن التعليل في الوصف غير الثابت الذي أريد إثباته وهو ممكن.

(٣) الواشى: الساعى بالفساد، والحذار: مصدر «حاذر» مضاف إلى مفعوله، وقوله «إنسانى» يعنى به إنسان عينه وهو ما يرى في سوادها أو هو سوادها.

(٤) هو حسن التعليل في الوصف غير الثابت الذي أريد إثباته وهو غير ممكن.

(٥) هو لعبد القاهر الجرجاني ترجم به أصله الفارسى. والجوزاء: برج فلكى حوله نجوم تسمى نطاق الجوزاء، والمنططق: ذو النطاق وهو ما يُشد في الوسط، وقد يكون مرصعاً بالجواهر كالعقد.

فإن نية الجوزاء خدمته ممتنعة^(١).

* ما يلحق بحسن التعليل:

ومما يُلْحَقُ بالتعليل وليس به؛ لبناء الأمر فيه على الشك^(٢) نحو قول أبي تمام:

رُبِّي شَفَعَتْ رِيحُ الصَّبَا لِرِيَاضِهَا إِلَى الْمُزْنِ حَتَّى جَادَهَا وَهُوَ هَامِعٌ^(٣)

كَأَنَّ السَّحَابَ الْغُرَّ غَيَّنَ تَحْتَهَا حَيِّبًا فَمَا تَرَقَّا لَهُنَّ مَدَامِعٌ^(٤)

وقول أبي الطيب:

رَحَلَ الْعَزَاءُ بِرِحْلَتِي فَكَأَنِّي أَتَبَعْتُهُ الْأَنْفَاسَ لِلتَّشْيِيعِ^(٥)

علة تصعيد الأنفاس في العادة هي التحسر والتأسف لا ما جَوَزَ أن يكون إياه، والمعنى: رحل عني العزاء بارتحالي عنك؛ أي معه بسببه^(٦)، فكأنه لما كان الصدر محل الصبر وكانت الأنفاسُ تتصعد منه أيضاً صار العزاء وتنفسُ الصُّعْدَاءُ كأنهما نزيلان، فلما رحل ذلك كان حقاً على هذا أن يشيعه قضاءً لحق الصُّحبة.

* التفريع: ومنه التفريع، هو أن يثبتَ لِمُتَعَلِّقٍ أمرٍ حكمٌ بعد إثباته لِمُتَعَلِّقٍ له

(١) لكنه ادعى ثبوتها بتلك العلة، وعلى هذا لا تكون «لو» في البيت لامتناع الجواب لامتناع الشرط، بل للاستدلال بانتفاء الجزاء على انتفاء الشرط؛ لأن حملها على الأول يجعل نية خدمته علة لانتطاق الجوزاء؛ فيكون من الضرب الأول لا من هذا الضرب.

(٢) أما حسن التعليل ففيه ادعاء وإصرار.

(٣) الربى: جمع ربوة وهي التل المرتفع من الأرض، والصبأ: ريح تهب من الشرق، والمزن: واحده مزنة وهي السحاب الأبيض، وقوله «جادها» بمعنى أمطرها، والهامع: السائل بكثرة.

(٤) الغر: جمع غراء وهي السحابة الماطرة الغزيرة الماء، والضمير في «تحتها» للربى، وقوله «ترقا» مخفف ترقا بمعنى تسكن، والشاهد في تعليل الأمطار السحاب بما ذكره مبنياً على الشك

المستفاد من «كأن» لأنها هنا للشك.

(٥) العزاء: الصبر، والتشييع: التوديع. وقبله:

ما زلتُ أحذر من وداعك جاهاً حتى اغتدَى أسفى على التوديع

(٦) فالباء في قوله «برحلتى» للمصاحبة أو للسببية.

آخر^(١) كقول الكُمَيْت:

أَحْلَامُكُمْ لِسَقَامِ الْجَهْلِ شَافِيَةٌ كَمَا دُمَاؤُكُمْ تَشْفِي مِنَ الْكَلْبِ^(٢)
فَرَّعَ مِنْ وَصْفِهِمْ بِشَفَاءِ أَحْلَامِهِمْ لِسَقَامِ الْجَهْلِ وَصَفَهُمْ بِشَفَاءِ دُمَائِهِمْ مِنْ دَاءِ
الْكَلْبِ.

* تأكيد المدح بما يشبه الذم: ومنه تأكيد المدح بما يشبه الذم؛ وهو ضربان:

* أَفْضَلُهُمَا أَنْ يُسْتَنْى مِنْ صِفَةِ ذَمٍّ مَنُفِيَةٍ عَنِ الشَّيْءِ صِفَةُ مَدْحٍ بِتَقْدِيرِ دَخُولِهَا
فِيهَا؛ كَقَوْلِ النَّابِغَةِ الذِّبْيَانِي:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُّوْفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ^(٣)

أى إن كان فلول السيف من قِرَاعِ الْكَتَائِبِ مِنْ قِيلِ الْعَيْبِ، فَأَثْبَتَ شَيْئًا مِنْ
الْعَيْبِ عَلَى تَقْدِيرِ أَنَّ فُلُولَ السَّيْفِ مِنْهُ، وَذَلِكَ مُحَالٌ، فَهُوَ فِي الْمَعْنَى تَعْلِيقٌ
بِالْمُحَالِ؛ كَقَوْلِهِمْ: «حَتَّى يَبْيَضَّ الْقَارُ»؛ فَالتَّأْكِيدُ فِيهِ^(٤) مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ
كَدَعَاى الشَّيْءِ بَيِّنَةً^(٥)، وَالثَّانِي أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْإِسْتِثْنَاءِ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِلًا^(٦)، فَإِذَا
نَطَقَ الْمُتَكَلِّمُ بِإِلَّا أَوْ نَحْوِهَا تَوَهَّمَ السَّامِعُ قَبْلَ أَنْ يَنْطِقَ بِمَا بَعْدَهَا أَنَّ مَا يَأْتِي
بَعْدَهَا مُخْرَجٌ مِمَّا قَبْلُهَا، فَيَكُونُ شَيْءٌ مِنْ صِفَةِ الذَّمِّ ثَابِتًا، وَهَذَا ذَمٌّ، فَإِذَا أَتَتْ

(١) المراد بالتعلق: النسبة والارتباط، ولا بد أن يكون ذلك على وجه يشعر بالتفريع؛ ليسخرج
نحو: غلام زيد راكب وأبوه راكب.

(٢) للكُمَيْتِ بْنِ زَيْدِ الْأَسَدِيِّ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ فِي مَدْحِ بَنِي هَاشِمٍ. وَالْأَحْلَامُ: الْعُقُولُ، وَالْكَلْبُ:
شِبْهُ جَنْوَنٍ يَحْدُثُ لِلشَّخْصِ مِنْ عَضِّ الْكَلْبِ الْمَصَابِ بِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ دَوَاءٌ فِي زَعْمِهِمْ أَشْفَى
مِنْ شَرْبِ دِمَاءِ الْمَلُوكِ؛ فَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ أَنَّهُمْ مَلُوكٌ كَمَا أَنَّهُمْ عُلَمَاءُ.

(٣) هُوَ لَزِيَادِ بْنِ مَعَاوِيَةَ الْمَعْرُوفِ بِالنَّابِغَةِ الذِّبْيَانِي. وَالْفُلُولُ: جَمْعُ قِلٍّ وَهِيَ الثَّلْمَةُ فِي حَدِّ
السَّيْفِ، وَالْقِرَاعُ: الْمُضَارَبَةُ، وَالْكَتَائِبُ: جَمْعُ كَتِيبَةٍ وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الْجَيْشِ.

(٤) أَى فِي هَذَا الضَّرْبِ مُطْلَقًا.

(٥) لِأَنَّهُ عُلِقَ نَقِيضُ الدَّعَاى وَهُوَ إِثْبَاتُ شَيْءٍ مِنَ الْعَيْبِ بِالْمُحَالِ، وَالْمَعْلَقُ بِالْمُحَالِ مُحَالٌ؛ فَيَكُونُ
عَدَمُ الْعَيْبِ مُحَقَّقًا.

(٦) يَعْنَى أَنَّ أَصْلَ الْإِسْتِثْنَاءِ مُطْلَقًا ذَلِكَ، لَا فِي هَذَا الْبَابِ؛ لِأَنَّهُ فِيهِ مُنْقَطِعٌ فِي كُلِّ مَنْ ضَرَبِيهِ.

بعدها صفة مدحٍ تأكيد المدح؛ لكونه مدحاً على مدح، وإن كان فيه نوع من الخَلابة^(١).

والثاني^(٢) أن يُثبت لشيء صفة مدح، ويُعقَّب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له، كقوله ﷺ: «أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش».

وأصل الاستثناء فى هذا الضرب أيضاً أن يكون منقطعاً، لكنه باق على حاله لم يُقدَّر متصلاً^(٣)؛ فلا يفيد التأكيد إلا من الوجه الثانى من الوجهين المذكورين^(٤)؛ ولهذا قلنا: الأول أفضل. ومنه قول النابغة الجعدى:

فَتَى كَمَلْتُ أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقَى مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا^(٥)

وأما قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيَمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦]، فيحتمل الوجهين^(٦). وأما قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ [مريم: ٦٢]، فيحتملها^(٧)، ويحتمل وجهاً ثالثاً وهو أن يكون الاستثناء من أصله متصلاً^(٨)؛ لأن معنى السلام هو الدعاء بالسلامة، وأهل

(١) أى خداع الكلام.

(٢) أى الضرب الثانى من تأكيد المدح بما يشبه الذم.

(٣) أى كما قدَّر فى الضرب الأول؛ لأن الاستثناء فيه منقطع ولكنه يقدر متصلاً، وإنما لم يقدر هنا متصلاً لأنه ليس فيه صفة ذم عامة منفية يمكن تقدير صفة المدح فيها.

(٤) بخلاف الوجه الأول؛ لأنه مبنى على التعليق بالمحال المبنى على تقدير الاستثناء متصلاً.

(٥) نسب فى «الصناعتين» لجندل بن جابر الفزارى، ونسب فى «الحماسة» لحسان بن قيس المعروف بالنابغة الجعدى، وروى فيه: «كملت خيراته».

(٦) لأنه من الضرب الأول لا الثانى.

(٧) لأنه من الضرب الأول أيضاً.

(٨) إنما لم تحتمل الآية السابقة هذا الوجه لأنه زيد على المستثنى منه فيها بقوله ﴿وَلَا تَأْتِيَمًا﴾ فلا يمكن أن يدخل فيه ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ وعلى هذا الوجه لا تكون الآية الثانية من تأكيد المدح بما يشبه الذم، لأن الاستثناء فيه يجب أن يكون منقطعاً، وقيل: إن هذا الوجه غير محتمل فيها لا ظاهراً ولا حقيقة؛ لأن السلام فى الجنة إذا كان لفائدة الإكرام لا يكون لغواً.

الجنة عن الدعاء بالسلامة أغنياء؛ فكان ظاهره من قبيل اللغو وفضول الكلام،
لولا ما فيه من فائدة الإكرام.

● ومن تأكيد المدح بما يشبه الذم ضربٌ ثالث؛ وهو أن يأتي الاستثناء فيه مفرغاً^(١)
كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتُنَا﴾ [الأعراف: ١٢٦]، أى وما تعيب منا إلا أصل المناقب والمفاخر كلها وهو الإيمان بآيات
الله، ونحوه قوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقْمُونُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ
إِلَيْنَا﴾ [المائدة: ٥٩]؛ فإن الاستفهام فيه للإنكار.

واعلم أن الاستدراك فى هذا الباب يجرى مجرى الاستثناء، كما فى قول أبى
الفضل بديع الزمان الهمداني:
هو البدرُ إلا أنه البحرُ زاحراً سوى أنه الضرغامُ لكنه الوبلُ^(٢)

● تأكيد الذم بما يشبه المدح:

ومنه تأكيد الذم بما يشبه المدح، وهو ضربان:

● أحدهما أن يُستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها
فيها؛ كقولك: فلان لا خيرَ فيه إلا أنه يسىء إلى من يحسن إليه^(٣).

● وثانيهما أن يُثبت للشئ صفة ذمَّ ويُعقَّبَ بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى له.

(١) بأن يؤتى بمستثنى فيه معنى المدح معمول لفعل فيه معنى الذم، فيتفرغ للعمل فيه ويكون
الاستثناء مفرغاً، ولا يرجع هذا إلى الضرب الأول لأن الاستثناء هنا متصل لا منقطع.

(٢) هو لأبى الفضل أحمد بن الحسين المعروف بديع الزمان الهمداني يمدح خلف بن أحمد.
والزاحر: المرتفع من تلاطم الأمواج، والضرغام: الأسد، والوبل: المطر الشديد. ووجه الشبه
فى الأول: الرفعة، وفى الثانى: الكرم، وفى الثالث: الشجاعة، وفى الرابع: الكرم أيضاً
لكنه أتم من الأول. والشاهد فى قوله «لكنه الوبل».

(٣) من ذلك قول الشاعر:

فإن من لا مَنى لا خيرَ فيه سوى وصُفِّى له بأخسَّ الناس كلَّهم

كقولك: فلان فاسق إلا أنه جاهل^(١).

وتحقيق القول فيهما على قياس ما تقدم^(٢).

● الاستتباع: ومنه الاستتباع، وهو المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر^(٣)؛ كقول أبي الطيب:

نَهَبْتُ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتُهُ لَهَنَّتِ الدُّنْيَا بِأَنْكَ خَالِدٍ^(٤)

فإنه مدحه ببلوغه النهاية في الشجاعة؛ إذ كثر قتلاه بحيث لو ورث أعمارهم لَخُلِدَ في الدنيا على وجه استتبع مدحه بكونه سبباً لصلاح الدنيا ونظامها، حيث جعل الدنيا مُهَنَّاةً بخلوده، قال على بن عيسى الربيعي: وفيه وجهان آخران من المدح: أحدهما أنه نهب الأعمار دون الأموال^(٥)، والثاني أنه لم يكن ظالماً في قتل أحد من مقتوليه؛ لأنه لم يقصد بذلك إلا صلاح الدنيا وأهلها؛ فهم مسرورون ببقائه.

● الإدماج: ومنه الإدماج، وهو أن يُضْمَنَ كلامٌ سبقَ لمعنى معنًى آخر^(٦)؛ فهو

(١) من ذلك قول الشاعر:

يا حبيبَ الإلهِ جُدْ لِي بِقُرْبٍ منك يَا صَفْوَةَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ
يا رسولاً أَعْدَاؤُهُ أَرَاذِلُ النَّاسِ سِرِّ جَمِيعًا لِكُنْهَمُ فِي الْجَحِيمِ

(٢) في تأكيد المدح بما يشبه الذم.

(٣) على هذا يكون أخص من الإدماج الآتي، وقيل: هو الوصف بشيء على وجه يستتبع وصفاً آخر، فلا يختص بالمدح ويكون مساوياً للإدماج، وإذا كان هذا شأنه مع الإدماج فلا بد أن يُشترط فيه شرطاه الآتيان أيضاً، سواء كان أخص منه أم كان مساوياً له.

(٤) هو من قصيدة في مدح سيف الدولة.

(٥) لتخصيصه الأعمار بالذكر دون الأموال مع أن النهب بها أليق، والبلغاء يعتبرون مفهوم القلب في مثل هذا من المحاورات والخطايات.

(٦) المراد به ما يشمل المعنى الواحد والاثنين والأكثر من ذلك، ويقال لهذا المعنى مُضْمَنٌ، ويشترط فيه شرطان: ألا يكون مصرحاً به، وألا يكون في الكلام ما يشعر بأنه مسوق لأجله، وسيأتي محترز هذا في بعض الشواهد الآتية.

أعم من الاستتباع^(١).

ومثاله قول أبي الطيب:

أَقْلَبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي أَعُدُّ بِهَا عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبَا^(٢)

فإنه ضمَّن وصفَ الليل بالطول الشكايةَ من الدهر.

وقول ابن المعتز في الخيري:

قَدْ نَفَضَ الْعَاشِقُونَ مَا صَنَعَ الْهَجْرُ بِالْوَانِهِمْ عَلَى وَرَقِهِ^(٣)

فإن الغرض وصف الخيري بالصفرة، فأدمج الغزل في الوصف، وفيه وجه آخر من الحسن وهو إيهام الجمع بين متنافيين: أعنى الإيجاز والإطناب؛ أما الإيجاز فمن جهة الإدماج، وأما الإطناب فلأن أصل المعنى أنه أصفر؛ فاللفظ زائد عليه لفائدة^(٤).

ومنه قول ابن نباتة:

وَلَا بُدَّ لِي مِنْ جَهْلَةٍ فِي وَصَالِهِ فَمَنْ لِي بِخِلٍّ أَوْدَعُ الْحِلْمَ عِنْدَهُ^(٥)

فإنه ضمَّن الغزلَ الفخرَ بكونه حليماً المكنى عنه بالاستفهام عن وجود خل صالح لأن يودعه حلمه، وضمَّن الفخرَ بذلك - بإخراج الاستفهام مخرج الإنكار -

(١) لأنه يشمل المدح وغيره، وقيل: إن الاستتباع مساو له كما سبق.

(٢) الضمير في «فيه» يعود على الليل في قوله قبله:

أَعَزَّمِي طَالَ هَذَا اللَّيْلُ فَاَنْظُرْ أَمِنْكَ الصَّبْحُ يَفْرَقُ أَنْ يَوْوَبَا

وقوله «أقلب فيه أجفاني» كناية عن طوله، وقوله «: كأني أعد بها على الدهر الذنوبا» كناية عن الشكاية منه، وبهذا تكون هذه الشكاية غير مصرح بها في البيت، كما أنه ليس مسوقاً لأجلها.

(٣) هو لعبد الله بن المعتز، وقوله «نفض» بمعنى أسقط، ويعنى بما صنع الهجر بالوانهم صفرتها، والضمير في «ورقه» للخيري وهو ورد أصفر، وقيل: إن البيت لعلي بن محمد التغلبي.

(٤) هي الإدماج.

(٥) هو لأبي نصر عبد العزيز بن عمر المعروف بابن نباتة السعدي، والخل: الصديق، والحلم: الصبر والأناة ضد الطيش والجهل والسفه.

شكوى الزمان لتغير الإخوان حتى لم يبق فيهم من يصلح لهذا الشأن، ونبه بذلك على أنه لم يعزم على مفارقة حلمه جملةً أبداً، ولكن إذا كان مريداً لوصل هذا المحبوب المستلزم للجهل المنافي للحلم عزم على أنه إن وجد من يصلح لأن يودعه حلمه أودعه إياه؛ فإن الودائع تستعاد.

قيل: ومنه قول الآخر يهنيء بعض الوزراء لما استوزر:

أَبَى دَهْرُنَا إِسْعَافُنَا فِي نَفُوسِنَا وَأَسْعَفْنَا فِي مَنْ نَحِبُّ وَنُكْرِمُ
فَقُلْتُ لَهُ: نَعْمَاكَ فِيهِمْ أَتَمَّهَا وَدَعْ أَمْرَنَا إِنَّ الْمُهْمَّ الْمُقَدَّمُ^(١)

فإنه أدمج شكوى الزمان وما هو عليه من اختلال الأحوال في التهنية، وفيه نظر؛ لأن شكوى الزمان مُصرَّح بها في صدره، فكيف تكون مُدمجة؟ ولو عكس فجعل التهنية مدمجة في الشكوى أصاب^(٢).

● التوجيه: ومنه التوجيه؛ وهو إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين^(٣) كقول من قال لأعور يسمي عمرا:

خَاطَ لِي عَمْرُو قِبَاءً لَيْتَ عَيْنِيهِ سَوَاءً^(٤)

(١) هما لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر، وكان قد اختل حاله، فكتب بهما إلى عبد الله بن سليمان بن وهب لما استوزره المعتضد، ففطن لمراذه ووصله واستعمله، وقيل: إن هذا كان مع أبيه سليمان بن وهب، والإسعاف: المساعدة، وقوله «دع» بمعنى أترك.

(٢) لا ينافي هذا أن التهنية هي المقصودة بالذات؛ لأن القصد الذاتي لا ينافي إفادة المقصود بطريق الإدماج بأن يؤتى به بعد التصريح بغيره، وفي البيتين أيضاً إدماج المدح في الشكوى لأنه جعله مستحقاً لالتفات الدهر له وتقديمه على غيره.

(٣) أى متضادين كالمدح والذم؛ فلا يكون منه ما يحتمل غير ذلك؛ كاحتمال العين للجراحة والجاسوس لجواز اجتماعهما، كقولك «رأيتُ عينا»، ولا بد فيه أيضاً من احتمال المعنيين على السواء؛ لأنه إذا كان أحدهما متبادراً يكون تورية لا توجيهاً.

(٤) هو لبشار بن برد من مجزوء الرمل، وكان قد دفع إلى ذلك الرجل ثوباً ليخيطه له فقال: لأخيطنه بحيث لا يعلم أقباء هو أم غيره؟ فقال بشار: لئن فعلت ذلك لأقولن فيك شعراً لا يدرى أهجاء أم غيره؟ ولهذا قال بعد ذلك البيت:

وعليه قوله تعالى: ﴿وَأَسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا﴾ [النساء: ٤٦]، قال
الزمخشري: (غير مسمع) حال من المخاطب، أى اسمع وأنت غير مسمع، وهو
قول ذو وجهين:

يحتمل الظم؛ أى اسمع منا مدعوًا عليك بلا سمعت؛ لأنه لو أجيت دعوتهم
عليه لم يسمع فكان أصم غير مُسْمَعٍ، قالوا ذلك اتكالا على أن قولهم «لا
سمعت» دعوة مستجابة، أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه، ومعناه غير
مُسْمَعٍ جوابًا يوافقك فكأنك لم تسمع شيئًا، أو اسمع غير مُسْمَعٍ كلامًا ترضاه؛
فسمعك عنه ناب، ويجوز على هذا^(١) أن يكون «غير مسمع» مفعول «اسمع» أى
اسمع كلامًا غير مسمع إياك لأن أذنك لا تعيه نبوءًا عنه.

ويحتمل المدح؛ أى اسمع غير مسمع مكروهاً، من قولك «أسمع فلان فلانا»
إذا سبه.

وكذلك قوله «راعنا» يحتمل راعنا نكلمك أى ارقبنا وانتظرنا، ويحتمل سبه
وهى كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها وهى «راعينا»^(٢) فكانوا سخريّةً
بالدين وهزواً برسول الله ﷺ يكلمونه بكلام محتمل؛ ينوون به الشتيمة والإهانة

= فسأل الناس جميعاً أم هجاء؟

والقباء: ثوب يلبس فوق الثياب، والشاهد فى أنه يحتمل أن يكون دعاءً بصحة العوراء
فيكون مدحاً، أو بتعوير الصحيحة فيكون هجاء.

ومن التوجيه قول محمد بن حازم فى زواج المأمون ببوران:

بارك الله للـحـسـن	ولبـُـوران فى الخن
يا ابن هارون قد ظفر	ت ولكن ببنت من

فقال المأمون: والله ما ندرى خيراً أراد أم شراً؟

(١) أى على التأويل الأخير.

(٢) الحق أنها عربية؛ وهى فعل أمر من المراعاة، وهى تقتضى المشاركة، أى ارعنا نرعك، وهذا
فيه سوء أدب.

ويظهرون به التوقير والاحترام^(١).

ثم قال: فإن قلت: كيف جاءوا بالقول المحتمل ذى الوجهين بعد ما صرّحوا وقالوا «سمعنا وعصينا»؟ قلت: جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء، ويجوز أن يقولوه فيما بينهم، ويجوز ألا ينطقوا بذلك، ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كأنهم نطقوا به.

قال السكاكي^(٢): ومنه متشابهات القرآن باعتبار^(٣).

● الهَزْلُ الذى يراد به الجدُّ: ومنه الهزل الذى يراد به الجدُّ؛ وترجمته تغنى عن تفسيره^(٤). ومثاله قول الشاعر:

إذا ما تَمِيْمِيُّ أَتَاكَ مُفَاخِرًا فَقُلْ عَدَّ عَنْ ذَا كَيْفِ أَكُلِّكَ لِلضَّبِّ^(٥)

ومنه قول امرئ القيس:

وقد علمتْ سَلَمَى وَإِنْ كَانَ بَعْلَهَا بِأَنَّ الْفَتَى يَهْذَى وَلَيْسَ بِفَعَّالٍ^(٦)

(١) لأنهم كانوا يلون بها لسانهم حتى تشبه فى الظاهر «راعنا» العربية.

(٢) ٢٢٦ - المفتاح.

(٣) لعله يريد بذلك تجويز حملها على ظاهرها على وجه لائق بالله تعالى، وتأويلها بحملها على ما سبق فى التورية؛ فتكون محتملة للوجهين على السواء، ولا تكون من التورية كما سبق بل من التوجيه، وإنما قال «باعتبار» لأنه من المعتزلة الذين لا يرون حملها على ظاهرها، وقيل: إنه يريد بذلك أنها من التوجيه بناءً على عدم اشتراط استواء الاحتمالين فيه، وعلى هذا يكون أعم من التورية.

(٤) هو أن يذكر الشيء على سبيل اللعب والمباينة ويُقصد به أمر صحيح فى الحقيقة، والفرق بينه وبين التهكم أن التهكم بعكسه: ظاهره جد وباطنه هزل، كما فى قوله تعالى ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩].

(٥) هو للحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس، وقوله «عد عن ذا» بمعنى تجاوز عن هذا الافتخار، والضب: حيوان صغير على هيئة فرخ التمساح ذنبه كثير العقَد، والشاهد فى أن هذا القول للتميمي عند افتخاره هزلً ظاهر ولكنه يراد به الجد، وهو ذمه بأكل الضب؛ لأن أشراف الناس يعافون أكله.

(٦) قوله «وإن كان بعلاها» جملة معترضة بين «علمت» ومفعولها، والبعل: الزوج، وقوله =

● تجاهل العارف:

ومنه تجاهل العارف، وهو كما سماه السكاكي^(١): «سَوْقُ المَعْلُومِ مَسَاقَ غَيْرِهِ لِنَكْتَةٍ»^(٢) كالتوبيخ في قول الخارجية:

أيا شجرَ الخَابُورِ مَالِكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ^(٣)

والمبالغة في المدح في قول البحتری:

أَلَمْعُ بَرْقٍ سَرَى أَمْ ضَوْءُ مِصْبَاحٍ أَمْ ابْتِسَامَتُهَا بِالْمَنْظَرِ الضَّاحِي^(٤)

أو في الذم في قول زهير:

وَمَا أَدْرِ وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِ أَقَوْمٌ أَلْ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءٌ^(٥)

= «يهذى» بمعنى يقول كلامًا غير معقول، وهو زعمه أنه يقتله كما قال قبل هذا البيت: أَيْقَتْنِي وَالْمَشْرِفَى مُضَاجَعِي وَمَسْنُونَةُ زُرْقٍ كَأَنِّيَابِ أَغْوَالِ والشاهد في قوله «أن الفتى يهذى وليس بفعال» لأن ظاهره هزل ولكنه يراد به الجد وهو هجو بعلمها.

(١) ٢٢٦ - ٢٢٧ - المفتاح، وإنما عدل عن تسميته «تجاهل العارف» لوروده في كلام الله تعالى، كقوله في سورة طه: ١٧ ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى﴾.

(٢) فلو عبر عن المعلوم بعبارة المجهول - لا لنكتة - لم يكن من تجاهل العارف، كقولك «أقام زيد أم لم يقيم؟» وأنت تعلم أنه قام؛ فالنكتة فيه شرط لصحته وليست حالاً يقتضى وجوبه في البلاغة كنكتة علم المعاني.

(٣) هو الليلى بنت طريف في رثاء أخيها الوليد وكان من الخوارج. والمورق: ما كان ذا ورق ناضر غير ذابل، والخابور: نهر بديار بكر، والشاهد في قولها: «كأنك لم تجزع الخ» لأنها تعلم أنه لا يجزع ولكنها تجاهلت ذلك وشكت فيه وويخته عليه، وإذا كان مثله يوبخ على عدم جزعه فغيره ممن شأنه الجزع أجدر به. وقد خرج الوليد في عهد هارون الرشيد، فأرسل إليه يزيد بن مزيد الشيباني فقتله، وقد ذكر الدسوقي أن قاتله يزيد بن معاوية، وهو خطأ ظاهر.

(٤) قوله «سرى» بمعنى ظهر ليلاً، والمراد بالمنظر الوجه أو الفم، والضاحى: الظاهر، والشاهد في أنه يعلم أن الذي ظهر ابتسامتها، ولكنه تجاهل ذلك للمبالغة في مدحها، وإفادة أنها بلغت في الحسن مبلغًا يحصل معه ذلك اللبس.

(٥) هو لزهر بن أبي سلمى، وقوله: «وسوف إخال أدري» جملة معترضة بين «أدري» الأولى ومعمولها، وقوله: «إخال» بمعنى أظن معترض بين سوف وأدري. القوم: يطلق على الرجال خاصة وعلى ما يعم الرجال والنساء، والمراد هنا الأول. والشاهد في أنه يعلم أنهم رجال، ولكنه تجاهل ذلك للمبالغة في ذمهم وإفادة أنهم بلغوا في الضعف مبلغًا يحصل معه ذلك اللبس.

وَالْتَدَلُّ فِي الْحَبِّ: فِي قَوْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْغَزِيِّ^(١):

يَا طَبَيَاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا لَيْلَى مِنْكُمْ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ^(٢)
وقول ذي الرمة:

أَيَا طَبِيَّةَ الْوَعَسَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلٍ وَبَيْنَ النَّقَا أَأَنْتِ أَمْ أَمْ سَالِمٍ^(٣)
والتحقيق: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنِ الْكُفَّارِ فِي حَقِّ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿هَلْ نَدُّكُمْ
عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مَزِقٌ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٧]، كَأَن لَّمْ
يَكُونُوا يَعْرِفُونَ مِنْهُ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلٌ مَّا.

والتعريض^(٤): فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾
[سبأ: ٢٤]. وَفِي مَجِئِ هَذَا اللَّفْظِ عَلَى الْإِبْهَامِ فَائِدَةٌ أُخْرَى، وَهِيَ أَنَّهُ يَبْعَثُ
الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْفِكْرِ فِي حَالِ أَنْفُسِهِمْ وَحَالِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَإِذَا فَكَّرُوا فِيمَا
هَمَّ عَلَيْهِ مِنْ إِغَارَاتِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ وَسَبِي ذُرَارِيهِمْ وَاسْتِبَاحَةِ أَمْوَالِهِمْ،
وَقَطْعِ الْأَرْحَامِ، وَإِتْيَانِ الْفُرُوجِ الْحَرَامِ، وَقَتْلِ الْنَفُوسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ قَتْلَهَا،
وَشَرْبِ الْخَمْرِ الَّتِي تُذْهِبُ الْعُقُولَ وَتُحَسِّنُ ارْتِكَابَ الْفَوَاحِشِ، وَفَكَّرُوا فِيمَا النَّبِيُّ
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْمُؤْمِنُونَ عَلَيْهِ مِنْ صَلَةِ الْأَرْحَامِ وَاجْتِنَابِ الْآثَامِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ «الغريبي»، وَرَجَحْتُ أَنَّ الْغَزِيَّ اسْمُهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُثْمَانَ، وَلَكِنْ صَاحِبُ
«الْحِزَانَةِ» نَسَبَهُ لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَرِينِيِّ، وَنَسَبَهُ السَّخَاوِيُّ لَعَلَى بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَرِينِيِّ،
وَقِيلَ: إِنَّهُ لِلْعَرَجِيِّ، وَقِيلَ: إِنَّهُ لَذِي الرُّمَّةِ.

(٢) الْقَاعُ: الْمُسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ. وَالشَّاهِدُ فِي أَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهَا مِنَ الْبَشَرِ، وَلَكِنَّهُ تَجَاهَلُ ذَلِكَ إِظْهَارًا
لِلتَّدَلُّ فِي حَيْهَاتِهِ.

(٣) هُوَ لُغِيَانُ بْنُ عَقْبَةَ الْمَعْرُوفُ بِذِي الرُّمَّةِ. وَالْوَعَسَاءُ: الرَّابِيَةُ اللَّيْنَةُ مِنَ الرَّمْلِ تُنَبِّتُ أَحْرَارَ
الْبَقُولِ، وَجُلَاجِلُ وَالنَّقَا: مَوْضِعَانِ، وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ: «أَأَنْتِ أَمْ أَمْ سَالِمٍ» وَالتَّقْدِيرُ: أَأَنْتِ
الْمَرْثِيَّةُ أَمْ أَمْ سَالِمٍ، عَلَى نَحْوِ مَا سَبَقَ فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ.

(٤) هُوَ إِمَالَةُ الْكَلَامِ إِلَى عُرْضٍ يَدُلُّ عَلَى الْمَقْصُودِ، كَمَا سَبَقَ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْكِنَايَةِ فِي الْجُزْءِ
الثَّالِثِ.

والنهي عن المنكر وإطعام المساكين وبرّ الوالدين والمواظبة على عبادة الله تعالى - علموا^(١) أن النبي عليه السلام والمسلمين على هدى، وأنهم على الضلالة، فبعثهم ذلك على الإسلام، وهذه فائدة عظيمة.

● القول بالموجب: ومنه القول بالموجب^(٢). وهو ضربان:

● أحدهما: أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء^(٣) أثبت له حكم، فتثبت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء، من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له أو انتفائه عنه، كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزُّ منها الأذلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، فإنهم كنوا بالأعز عن فريقهم^(٤) وبالأذل عن فريق المؤمنين، وأثبتوا للأعز الإخراج، فأثبت الله تعالى - في الرد عليهم - صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، من غير تعرض لثبوت حكم الإخراج للموصوفين بصفة العزة ولا لنفيه عنهم.

● والثاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلّقه^(٥)؛ كقوله:

قُلْتُ: ثَقَلْتُ إِذْ أَتَيْتُ مُرَارًا قَالَ: ثَقَلَتْ كَاهِلِي بِالْأَيَادِي

(١) جواب: «إذا».

(٢) بكسر الجيم إن أريد به الصفة الموجبة للحكم، وبفتحتها إن أريد به الحكم الذي أوجبه.

(٣) أى عبارة عنه، فليس المراد بها الكناية الاصطلاحية، وقيل: إن المراد بها الكناية الاصطلاحية السابقة في علم البيان، والحق أنها لا تلتزم في القول الموجب.

(٤) إذا كان هذا كناية اصطلاحية يكون من الكناية عن الموصوف.

(٥) هذا الضرب هو الذى يسمى الأسلوب الحكيم، وقد سبق الكلام عليه فى علم المعانى فى آخر باب المسند إليه، والمراد بالمتعلق ما يناسب المعنى الذى يحمل اللفظ عليه وإن لم يكن متعلقاً اصطلاحياً كالمفعول والجار والمجرور، فيدخل فيه نحو قول الشاعر:

لقد بهتوا لما رأوني شاحباً فقالوا: به عين، فقلت: وعارض
أرادوا بالعين إصابة العائن، فحملة على إصابة عين المعشوق بذكر مناسبها وهو العارض؛
لأنه السنن التى فى عرض الفم.

قُلْتُ: طَوَّلْتُ، قَالَ: لَا بَلْ تَطَوَّلْتَ وَأَبْرَمْتُ، قَالَ: حَبْلٌ وَدَادِي^(١)
والاستشهاد بقوله «ثقلت وأبرمت» دون قوله «طولت»^(٢).

ومنه قول القاضي الأرجاني:

غَالَطَنِي إِذْ كَسَتْ جِسْمِي الضَّنَى كَسَوَةً عَرَّتْ مِنَ اللَّحْمِ الْعِظَامَا
ثم قالت: أَنْتَ عِنْدِي فِي الْهَوَى مِثْلُ عَيْنِي، صَدَقْتَ لَكِنْ سَقَامَا^(٣)

وكذا قول ابن دُوَيْدَةَ المغربي من أبيات يخاطب بها رجلاً أودع بعضَ القضية
مَالاً فَادَّعَى الْقَاضِي ضِيَاعَهُ:

إِنْ قَالَ: قَدْ ضَاعَتْ، فَيَصْدُقُ إِنَّهَا ضَاعَتْ وَلَكِنْ مِنْكَ يَعْني لَوْ تَعَي^(٤)
أَوْ قَالَ: قَدْ وَقَعَتْ، فَيَصْدُقُ إِنَّهَا وَقَعَتْ وَلَكِنْ مِنْهُ أَحْسَنَ مَوْقِعٍ^(٥)

وقريب من هذا قول الآخر:

(١) هما للحسن بن أحمد المعروف بابن حجاج أو لمحمد بن إبراهيم الأسدي. والكاهل: ما بين الكتفين، والأيدى: النعم، وقوله «تطولت» بمعنى تفضلت، وقوله «أبرمت» بمعنى أسامت، والشاهد في أنه قال «ثقلت» بمعنى حملتك المؤونة، فحمله على تثقيل كاهله بالنعم، ثم قال «أبرمت» بمعنى أسامت، فحمله على إبرام حبل وداده أى عقد عهده.

(٢) فليس من القول بالموجب؛ لأنه رد عليه بقوله «لا» وأثبت شيئاً غيره وهو التطول.

(٣) هما لأحمد بن محمد بن الحسين المعروف بالقاضي الأرجاني. والضنى: الهزال، وقوله «عرت» بمعنى نزعت، وفي العبارة قلب الأصل «عرت اللحم من العظام» والهوى: الحب. والشاهد في قوله «صدقت لكن سقاما» لأنه أثبت أنه مثل عينها كما قالت، ولكن في ضعفها وفتورها، وهو صفة ممدوحة في العين.

(٤) قوله «يعنى» بمعنى يقصد، وقوله «ولكن منك» على تقدير «ولكن ضاعت منك» وقوله «تعى» بمعنى تفهم، والشاهد في قوله «ضاعت ولكن منك» لأن القاضي يقصد أنها ضاعت منه، فأثبت أنها ضاعت من صاحبها لا منه. وفي رواية «فصدّق» فعل أمر وهو الأنسب بالفاء، لأنه يقرن بها في جواب الشرط.

(٥) الشاهد في قوله «ولكن منه أحسن موقع» وتقديره «ولكن وقعت منه أحسن موقع بأخذه لها»، وهو يقصد في الأول أنها وقعت أى سقطت منه.

وَإِخْوَانٍ حَسِبْتُهُمْ دُرُوعاً فَكَانُوا وَلَكِنٍ لِلْأَعْدَادِ
وَحَلَّتْهُمْ سِهَاماً صَائِبَاتٍ فَكَانُوا وَلَكِنٍ فِي فُؤَادِ
وَقَالُوا: قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبٌ لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنٍ مِنْ وَدَادِ^(١)
والمراد البيتان الأولان^(٢). ولك أن تجعل نحوهما ضرباً ثالثاً^(٣).

● الاطراد: ومنه الاطراد^(٤) وهو أن يأتي بأسماء الممدوح أو غيره وآبائه^(٥) على ترتيب الولادة من غير تكلف في السبك؛ حتى تكون الأسماء في تحدرها كالماء الجارى فى اطراده وسهولة انسجامه؛ كقول الشاعر:

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَّتْ عُرُوشَهُمْ بَعْتِيَّةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ^(٦)
وقول دريد بن الصمة:

قَتَلْنَا بَعْدَ اللَّهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ ذُؤَابَ بْنَ أَسْمَاءَ بْنَ زَيْدٍ قَارِبٍ^(٧)
وفيه تعرض للمقتول به، ولشرف المقتول^(٨). قيل: لما سمعه عبد الملك بن

(١) هي لعلى بن فضالة القيروانى، أو لعلى بن العباس المعروف بابن الرومى. والدروع: جمع درع وهو قميص من زرد الحديد يلبس فى الحرب، وقوله «خلت» بمعنى ظننتهم، وقوله «صفت» بمعنى خلت مما يكدر الصحة.

(٢) أما الثالث فهو من القول بالموجب لا قريب منه.

(٣) أى من القول بالموجب غير الضربين السابقين، وهذا لأنه لم يُحمل فيه أمر وقع فى كلام الغير على غير مراده، وإنما ذكر فيه أمر ظن على وجه فإذا هو على خلافه.

(٤) قيل: إن الاطراد من المحسنات اللفظية، مرجعه إلى حسن السبك، والحق أنه يرجع إلى حسن السبك فى معنى مخصوص هو النسب، وبهذا يكون من المحسن المعنوى.

(٥) أما ذكر الأمهات والجدات فقيبح عند البلغاء.

(٦) هو لربيعة بن سعد من بنى نضر بن قعين فى رثاء ابنه ذؤاب، أو لداود بن ربيعة الأسدى. وقوله «ثلثت» بمعنى هدمت، وهو كناية عن إذهاب عزهم ومجدهم، وتتابع الإضافة مغتفر فى البيت لسلامته من الثقل.

(٧) عبد الله: أخو دريد، ولداته: أترابه الذين ولدوا معه جمع لدة.

(٨) المقتول به: عبد الله، والمقتول: هو ذؤاب، وتعرضه لشرفه بقوله «خير لداته».

مروان قال: «لولا القافية لبلغ به آدم»^(١).

ومنه قول النبي ﷺ: «الكريم ابنُ الكريم ابنُ الكريم ابنُ يوسفُ بنُ يعقوب بنِ إسحاق بنِ إبراهيم».

* * *

(١) يعنى أن البيت لابد أن ينتهى بقافيته، ولولا هذا لوصل بنسبه إلى هذا الجد؛ لسهولة سبكه لما أتى به منه، فيسهل عليه ذلك أيضاً.

تمرينات على المحسنات المعنوية

تمرين ١-

بين نوع المحسن المعنوى ووجه حسنه فيما يأتى :

- ١- فلا كَمَدَى يَفْنَى ولا فيك رِقَّةُ
- ٢- تَشَابَهَ دُمْعَانَا غَدَاةَ افْتِرَاقِنَا
- ٣- فَتَى قَسَمَ الأَيَّامِ بَيْنَ سُيُوفِهِ
- ٤- فَسَوَدَ يَوْمًا بِالْعَجَاجِ وبالرَدَى
- ٥- أَبَاحَتْ بَنُو مَرْوَانَ ظِلْمًا دِمَاءَنَا
- ٦- إِذَا مَا رَكِبْنَا قَالَ وَلَدَانُ يَبْتَئَا
- ٧- يَقُولُونَ: لِمَ يورَثُ، ولولا ثِرَاثُهُ
- ٨- خُذْهَا إِذَا أَنْشَدْتَ فِي الْقَوْمِ مِنْ طَرْبِ
- ٩- وَمَنْ لَا يَذُدُّ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ
- ١٠- إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَدٌ
- ١١- وَإِذَا مَا بَدَأَ فَأَخْجَلَ بَدْرًا
- ١٢- إِذَا أَمْطَرَتْ مِنْهُمْ وَمِنْكَ سَحَابَةٌ
- ١٣- لِحِجِّيَّةٍ أَمْ غَادَةَ رُفْعِ السَّجْفِ
- ١٤- وَصَاحِبٍ لَمَّا أَتَاهُ الْغِنَى
- ١٥- وَقِيلَ: هَلْ أَبْصَرْتَ مِنْهُ يَدًا
- ١٦- الْعَقْلُ أَنْتَ عَقَلْتَهُ وَسَرَحْتَهُ
- ١٧- آتَيْتَهُ الْحَجَرَ الْأَصَمَّ وَنَحْتَهُ
- ١٨- وَلَا عَنْكَ إِقْصَارٌ وَلَا فِيكَ مَطْمَعٌ
- ١٩- مُشَابَهَةٌ فِي قِصَّةٍ دُونَ قِصَّةٍ
- ٢٠- وَدُمْعَى يَكْسُو حُمْرَةَ اللَّوْنِ وَجَتِي
- ٢١- وَبَيْنَ طَرِيفَاتِ الْمَكَارِمِ وَالتُّلْدِ
- ٢٢- وَبَيَّضَ يَوْمًا بِالْفَضَائِلِ وَالْمَجْدِ
- ٢٣- وَفِي اللَّهِ إِنْ لَمْ يُنْصِفُوا حَكْمٌ عَدْلٌ
- ٢٤- : تَعَالَوْا إِلَى أَنْ يَأْتِيَ الصَّيْدُ نَحْطُبُ
- ٢٥- لَقَدْ شَرِكْتُ فِيهِ بِكَيْلٌ وَأَرْحَبُ
- ٢٦- صُدُورُهَا عُرِفَتْ مِنْهَا قَوَافِيهَا
- ٢٧- يُهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يَظْلَمُ
- ٢٨- كُنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمٌ
- ٢٩- لَمَعَتْ كَأْسُهُ فَأَخْجَلَ شَمْسًا
- ٣٠- فَوَابِلُهُمْ طَلٌّ وَطَلُّكَ وَابِلٌ
- ٣١- لَوْحَشِيَّةٌ لَا مَا لَوْحَشِيَّةٌ شَتَفُ
- ٣٢- تَاهَ وَنَفْسُ الْمَرْءِ طَمَّاحُهُ
- ٣٣- تَشْكُرُهَا، قُلْتُ: وَلَا رَاحَهُ
- ٣٤- وَأَحْرَتْ فِيكَ دَلِيلَهُ وَأَرْحَتَهُ
- ٣٥- وَالنَّجْمُ يُعْبَدُ فَوْقَهُ أَوْ تَحْتَهُ

- ١٥- وَلَحْظُهُ وَمُحَيَّاهُ وَقَامَتُهُ
 ١٦- حَيَاتِي وَمَوْتِي فِي يَدَيْهِ وَجَتِّي
 ١٧- رَأَى الْمُزْنَ مَا تُعْطَى فَضَمَّ عَلَى الْأَسَى
 ١٨- أَتَوْنِي فَعَابُوا مَنْ أَحَبُّ جَهَالَةٍ
 ١٩- فَمَا فِيهِ عَيْبٌ غَيْرَ أَنْ جَفَوْنَهُ
 ٢٠- إِلَى كَمْ تَرُدُّ الرُّسُلَ عَمَّا أَتَوْا بِهِ
 ٢١- إِنْ أَكُنْ مُهْدِيًا لَكَ الشَّعْرَ إِنِّي
 ٢٢- وَلِلَّهِ سِرٌّ فِي عُيُودِكَ وَإِنَّمَا
 ٢٣- تَزْعُمُ يَا طَبِيٍّ مُسَاوَاتَهَا
 إِنْ كَانَ مَا تَزْعُمُ عَارِضٌ لَنَا
 ٢٤- أَتُرَاهَا لِكثْرَةِ الْعُشَّاقِ
 ٢٥- تُثْنِي عِطْفُوهُ خَطَرَاتُ دَلٍّ
 يَمِيلُ مَعَ الْوُشَاةِ وَأَيُّ غُصْنٍ
 ٢٦- أَقِيسَ بْنَ مَسْعُودٍ بِنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ
 ٢٧- مَا أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ أَحْسَنَ مَنَظَرٍ
 كَالشَّامَةِ الْخَضِرَاءِ فَوْقَ الْوَجْنَةِ الـ
- بَدْرُ الدُّجَى وَقَضِيبُ الْبَانِ وَالرَّاحُ
 وَنَارِي وَرَيْي فِي الْهَوَى وَأُوَامِي
 فَوَادًا كَانَ الْبَرْقَ فِيهِ لَهَيْبُ
 وَذَاكَ عَلَى سَمْعِ الْمَحَبِّ خَفِيفُ
 مِرَاضٍ وَأَنْ الْخَصْرَ مِنْهُ ضَعِيفُ
 كَأَنَّهُمْ فِيمَا وَهَيْتَ مَلَامُ
 لِابْنِ بَيْتٍ تُهْدِي لَهُ الْأَشْعَارُ
 كَلَامُ الْعِدَا ضَرْبٌ مِنَ الْهَذْيَانِ
 وَلَسْتُ أَبْدِي لَكَ تَفْنِيْدَا
 مُقْلَتَهَا وَاحِكٌ لَنَا الْجِيْدَا
 تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِي الْمَاقِ
 إِذَا لَمْ تُثْنِهِ نَشَوَاتُ رَاحِ
 رَطِيبٍ لَا يَمِيلُ مَعَ الرِّيَّاحِ
 وَأَنْتَ امْرُؤٌ يَرْجُو شَبَابَكَ وَأَنْتَ
 فِيمَا يُرَى مِنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ
 حَمْرَاءُ تَحْتَ الْمُقْلَةِ السَّوْدَاءِ

تمرين - ٢

من أى أقسام الطباق ما يأتى :

- ١- يَجْزُونَ مِنْ ظَلَمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفَرَةً
- ٢- ثِقَالٌ إِذَا لَاقُوا خِفَافٌ إِذَا دُعُوا
- ٣- لَهُمْ جُلٌّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غِنَى
- ٤- وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لِابْسِ الصَّبْرِ حَازِمًا

تمرين - ٣

تَنَزَّهَ طَرْفِي فِي تَعَابِيرِكَ الْغُرِّ وَجَالَ بِهَا فِكْرِي مِنَ السَّطْرِ لِلسَّطْرِ
فَمَا خَلَّتْهَا إِلَّا حَدَائِقُ بِهِجَةٍ مَكَلَّلَةُ الْأَرْجَاءِ بِالزَّهْرِ وَالزَّهْرِ
وَلَكِنَهَا - أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ - نُسْخَةٌ مَزِينَةُ الْأَرْقَامِ بِالذَّرِّ وَالتَّبْرِ
طَرِبْتُ بِهَا لَمَّا فَهَمْتُ نُقُوشَهَا كَمَا يَطْرَبُ النَّشْوَانُ مِنْ لَذَّةِ الْخَمْرِ

تمرين - ٤

بين المحسن المعنوى ووجه حسنه فى قوله الشاعر:

قَاسُوكَ بِالْغُضَنِ فِي التَّشْيِ قِيَاسَ جَهْلٍ بِلَا انْتِصَافٍ
فَإِذَاكَ غُصْنُ الْخِلَافِ يُدْعَى وَأَنْتَ غُصْنٌ بِلَا خِلَافٍ

تمرين - ٥

من أى أقسام المبالغة ما يأتى:

- ١- كَأَنِّي هَالُ الشَّكِّ لَوْلَا تَأْوِيهِ خَفِيتُ فَلَمْ تُهْدِ الْعُيُونُ لِرُؤْيَايَ
- ٢- مَنَعْتُ مَهَابَتَكَ الْقُلُوبَ كَلَامَهَا بِالْأَمْرِ تَكْرَهُهُ وَإِنْ لَمْ تَعْلَمْ
- ٣- كَأَنَّ غَلَامِي إِذْ عَلَا حَالُ مَتْنِهِ عَلَى ظَهْرِ طَيْرٍ فِي السَّمَاءِ مُحَلَّقٍ

تمرين - ٦

بين المحسن المعنوى فى قول الشاعر:

يَا ذَا الَّذِي بَصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيَّرْنَا هَلْ عَانَدَ الدَّهْرُ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ
أَمَّا تَرَى الْبَحْرَ تَطْفُو فَوْقَهُ جَيْفٌ وَتَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَعْرِهِ الدُّرُّ
وَفِي السَّمَاءِ نَجُومٌ لَا عِدَادَ لَهَا وَلَيْسَ يُكْشَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

تمرين - ٧

- من أى أقسام حسن التعليل ما يأتى:
- ١ - ما زُلْزِلَتْ مِصْرُ مِنْ كَيْدِ أَلَمَّ بِهَا لَكِنَّهَا رَقَصَتْ مِنْ عَدْلِكُمْ طَرَبًا
- ٢ - عَلَّمْتَنِي بِهَجْرِهَا الصَّبْرَ عَنْهَا فَهِيَ مَشْكُورَةٌ عَلَى التَّقْبِيحِ
- ٣ - قَدْ طَيَّبَ الْأَفْوَاهَ طَيِّبُ ثَنَائِهِ مِنْ أَجْلِ ذَا تَجِدُ الثُّغُورَ عَذَابًا

تمرين - ٨

- (١) من أى ضربى القول بالموجب قول الشاعر:
- شَكَى رَمَدًا فَقُلْتُ: عَسَاءُ كُلُّهُ لَوَاحِظُهُ مِنَ الْفَتَكَاتِ فِينَا وَقَالُوا: سَيْفٌ مُقْلَتُهُ تَصَدَّى فَقُلْتُ: نَعَمْ لِقَتْلِ الْعَاشِقِينَ
- (٢) هل أحسن أبو نواس أو أساء بذكر أم الأمين فى مدحه بقوله:
- أَصْبَحْتَ يَا بَنَ زَيْدَةَ ابْنَةَ جَعْفَرٍ أَمَلًا لِعَقْدِ حِبَالِهِ اسْتِحْكَامُ

المحسنات اللفظية

أقسام المحسن اللفظي

الجناس التام وأقسامه:

وأما اللفظي فمنه الجناسُ بين اللفظين؛ وهو تشابهُهُمَا في اللفظ^(١).
والتَّامُّ منه أن يتفقا في أنواع الحروف^(٢)، وأعدادها، وهيئاتها^(٣)، وترتيبها؛ فإن كانا من نوع واحد كاسمين سُمِّيَ مُمَاثِلًا، كقوله تعالى ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾^(٤) [الروم: ٥٥] وقول الشاعر:

حَدَقُ الْأَجَالِ آجَالٌ وَالْهَوَى لِلْمَرْءِ قَتَالٌ^(٥)

الأول جمع إجْلٍ بالكسر وهو القطيع من بقر الوحش، والثاني جمع أجَلٍ والمراد به مُتَتَّهِ الأعمار. وقول أبي تمام:

إِذَا الْخَيْلُ جَابَتْ قَسَطَلَ الْحَرْبَ صَدَّعُوا صُدُّورَ الْعَوَالِي فِي صُدُورِ الْكُتَّابِ^(٦)

(١) أى مع الاختلاف فى المعنى، ويجب فى الجناس أن يكون سهلاً لا كلفة فيه وإلا كان قبيحاً، ومن الجناس القبيح لما فيه من التكلف قول عبد الله بن مالك القرطبي: حَيَّيتُ إِذْ حَيَّيتُ حَادَى عَيْسِهِمْ فَكَأَنَّ عَيْسَى مِنْ حُدَاةِ الْعَيْسِ فحمله تكلف التجنيس على أن يجعل عيسى عليه السلام من حداة عيسهم.

(٢) كل حرف من حروف الهجاء نوع.

(٣) هيئاتها: حركاتها وسكناتها.

(٤) الساعة الأولى: القيامة، والثانية: الساعة الزمانية.

(٥) هو لأبى سعد عيسى بن خالد المخزومي. وبعده:

وَالْهَوَى صَعْبٌ مُرَاكِبُهُ وَرُكُوبُ الصَّعْبِ أَهْوَالُ

والحدق: واحده حدقة وهى سواد العين، والمراد: أن حدق النساء الشبيهة بحدق الآجال فى سعتها وحسنها تقتل من ترميه بسهامها.

(٦) قوله «جابت» بمعنى خرقت، والقسطل: الغبار الساطع فى الحرب، وقوله «صدعوا» بمعنى أمالوا، والعوالى: جمع عالية وهى الرمح. والشاهد فى (صدور العوالى) وهى أعاليها و(صدور الكتائب) وهى نحورها.

وإن كانا من نوعين كاسمٍ وفعلٍ سُمي مُستَوْفَى، كقول أبي تمام أيضاً:

مَا مَاتَ مِنْ كَرَمِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ يَحْيَا لَدَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(١)
ونحوه قول الآخر:

وَسَمَّيْتُهُ يَحْيَى لِيَحْيَا فَلَمْ يَكُنْ إِلَى رَدِّ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِ سَبِيلٌ^(٢)

والتام أيضاً إن كان أحدُ لفظيه مركباً^(٣) سُمي جناس التركيب، ثم إن كان المركب منهما مركباً من كلمة وبعض كلمة سُمي مَرْفُوعاً^(٤)؛ كقول الحريري:

وَلَا تَلُهُ عَنْ تَذْكَارِ ذَنْبِكَ وَأَبْكَهْ بَدَمْعٍ يُحَاكِي الْوَبْلَ حَالَ مَصَابِيهِ
وَمَثَلُ لَعِينِكَ الْحِمَامَ وَوَقَعَهُ وَرُوعَةً مَلَقَاهُ وَمَطْعَمَ صَابِيهِ^(٥)

وإلا^(٦) فإن اتفقا في الخط سُمي مُتَشَابِهًا، كقول أبي الفتح البستي:

إِذَا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَا هِبَةٍ فَدَعَهُ فَدَوْلَتُهُ ذَاهِبَةً^(٧)

(١) هو من قصيدة له في مدح أبي الغريب يحيى بن عبد الله، والمراد بكرم الزمان: كرم أهله، والشاهد في قوله «يحيى لدى يحيى» والأول فعل والثاني اسم، وبين قوله «مات ويحيى» طباق.

(٢) هو لمحمد بن عبد الله بن كناسة الأسدي في رثاء ابنه يحيى. والمراد بأمر الله: الموت، والشاهد في قوله «يحيى ليحيى» وهو كشاهد البيت السابق.

(٣) أى سواء أكان الآخر مركباً أم لا، وقد ذكر السعد أن المراد أن يكون أحدهما مركباً والآخر مفرداً؛ لأنه إذا كان كل منهما مركباً كان نوعاً آخر يسمى جناس التلفيق، كقول البستي:

إِلَى حَتْفِي سَعَى قَدَمِي أَرَى قَدَمِي أَرَا قَدَمِي

والظاهر أن المراد هو الأول؛ لأنه سيذكر في الأمثلة ما يكون فيه كل من المتجانسين مركباً.

(٤) ذكر ابن حجة أن هذا النوع لا يخلو من تكلف في التركيب.

(٥) هما لأبي محمد القاسم بن عبد الله المعروف بالحريري. والوبل: المطر الشديد، والمصاب مصدر «صاب المطر صوباً ومصاباً» أى انصب. والحمام: الموت، والصاب: شجرٌ مرٌ واحد صابة، وإضافته إلى ضمير الحمام من إضافة المشبه به إلى المشبه. والشاهد في قوله «مصابه ومطعم صابه».

(٦) أى وإن لم يكن المركب منهما مركباً من كلمة وبعض أخرى؛ بأن كان مركباً من كلمتين أو أكثر.

(٧) هو لعلى بن محمد المعروف بأبي الفتح البستي، وقوله «ذا هبة» فى الأول بمعنى صاحب هبة أى عطاء، وقوله «ذا هبة» بعده بمعنى فانية، وهو مفرد، والأول مركب مع اتفاقهما في الخط.

وإن اختلفا سمى مفروقاً، كقول أبي الفتح أيضاً:

كُلُّكُمْ قَدْ أَخَذَ الْجَامَ مَ وَلَا جَامَ لَنَا^(١)
ما الذي ضَرَّ مُدِيرَ الْجَامِ لَوْ جَامَلْنَا^(٢)
وقول الآخر:

لا تَعْرِضَنَّ عَلَى الرُّوَاةِ قَصِيدَةً ما لم تُبَالِغْ قَبْلُ فِي تَهْذِيبِهَا
فَمَتَى عَرَضْتَ الشَّعْرَ غَيْرَ مُهَذَّبٍ عَدُوُّهُ مِنْكَ وَسَاوِساً تَهْذِي بِهَا^(٣)
ووجه حسن هذا القسم - أعنى التام - حسن الإفادة مع أن الصورة صورة
الإعادة^(٤).

الجناس المَحْرَفُ: وإن اختلفا في هيئات الحروف^(٥) سُمِّيَ مُحْرَفًا.

ثم الاختلاف قد يكون في الحركة فقط، كالبرْد والبرْد في قولهم: «جَبَّةُ البرْد
جَنَّةُ البرْد» وعليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (٧٢) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الصفات: ٧٢-٧٣] قال السكاكي^(٦): وكقولك «الجهول إمّا
مُفْرَطٌ أو مُفَرِّطٌ»، والمُشَدَّدُ في هذا الباب يقوم مقام المُخَفَّفِ نظراً إلى الصورة،

(١) الجام: الكأس.

(٢) مدير الجام: الساقى، وقوله «جاملنا» بمعنى: عاملنا بالجميل، فأداره علينا أيضاً، والشاهد في
قوله «جام لنا، وجاملنا»: فقد تجانسا، وكل منهما مركب مع اختلافهما في الخط، ومن
يجعل جناس التركيب خاصاً بما يكون أحد المتجانسين فيه مركباً والآخر مفرداً يجعل قوله
«جاملنا» مفرداً لاتصال الضمير فيه بالفعل، ولا يخفى أن هذا تكلف لا داعى إليه.

(٣) هما لأبى حفص عمر بن على المطوعى. والمراد بالرواة حفاظ الشعر ونقادهم، والوساوس:
جمع وسواس وهو ما يخطر بالقلب من شر أو مما لا خير فيه، وقوله «تهذى» بمعنى تتكلم
بما لا يعقل، والشاهد في قوله «تهذيبها، تهذى بها».

(٤) ذكر عبد القاهر فى «أسرار البلاغة» هذه الفائدة للتجنيس مطلقاً، وإن كانت لا تظهر الظهور
التام إلا فى المستوى المتفق الصورة منه.

(٥) أى دون أنواعها وأعدادها وترتيبها.

(٦) ٢٢٧: المفتاح.

فاعلم^(١).

وقد يكون في الحركة والسكون؛ كقولهم: «البدعة شركُ الشُّرك».

وقول أبي العلاء:

وَالْحَسَنُ يَظْهَرُ فِي بَيْتَيْنِ رَوْنَقُهُ يَبْتَ مِنْ الشَّعْرِ أَوْ يَبْتَ الشَّعْرِ^(٢)

● الجناس الناقص:

وإن اختلفا في أعداد الحروف فقط^(٣) سمي ناقصاً، ويكون ذلك على وجهين:

* أحدهما أن يختلفا بزيادة حرف واحد في الأول، كقوله تعالى: ﴿وَأَنفَتِ

السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٢٩-٣٠] أو في الوسط؛

كقولهم: «جَدِّي جَهْدِي»^(٤) أو في الآخر كقول أبي تمام:

يَمْدُونُ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمَ تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاصٍ قَوَاصِبٍ^(٥)

وقول البحتري:

(١) اختلاف الهيئة في «مفرط ومفرط» نوع آخر غير ما قبله وما بعده؛ لأن اختلاف الهيئة فيه

باختلاف الحركة والسكون المقابل لها، واختلاف الهيئة فيما قبله باختلاف الحركة فقط، وفيما بعده باختلاف الحركة والسكون معاً.

(٢) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبي العلاء المعري، والرواق: الصفاء. والشاهد في تجانس الشعر بمعنى النظم والشعر المقابل للصوف والوبر، وظهور الحسن في الأول بجمال لفظه ومعناه، وفي الثاني بجمال الساكنين فيه.

(٣) أي دون أنواعها وهيئاتها وترتيبها.

(٤) الجد: الحظ، والجهد: المشقة، والمعنى أن حظّه في الدنيا بمشقته فيها.

(٥) عواص: جمع عاصية اسم فاعل من «عصى» بمعنى لم يطع أو من «عصاه» إذا ضربه بالعصا، وعلى الأول يكون المعنى يمدون من أيدٍ عواص على الأعداء، وعلى الثاني يكون المراد: ضاربات بالعصى أي السيوف على التجوز، والعواصم: جمع عاصمة أي حافظة لأوليائها، وقوله «تصول» بمعنى تسطو، والقواصي: القاتلات والقواصب: القواطع، والشاهد في قوله «عواص وعواصم وقواصي وقواصب».

لئن صَدَفَتْ عَنَّا فَارَبَّتْ أَنْفُسِي صَوَادٍ إِلَى تِلْكَ الْوُجُوهِ الصَّوَادِفِ^(١)
ومنه ما كتب به بعض ملوك المغرب إلى صاحب له^(٢) يدعوه إلى مجلس أنس
له:

أَيُّهَا الصَّاحِبُ الَّذِي فَارَقْتَ عَيْنِي وَنَفْسِي مِنْهُ السَّنَا وَالسَّنَاءُ^(٣)
نحن في المجلس الذي يَهْبُ الرَّا حَةَ وَالْمَسْمَعُ الْغِنَى وَالْغِنَاءُ^(٤)
تَعَاطَى الَّتِي تُنْسِي مِنَ اللَّذَّةِ وَالرَّقَّةُ الْهَوَى وَالْهَوَاءُ^(٥)
فَأَتَتْهُ تُلْفٌ رَاحَةٌ وَمُحَيَّا قَدْ أَعَدَّا لَكَ الْحَيَا وَالْحَيَاءُ^(٦)

وربما يسمى هذا القسم؛ أعني الثالث^(٧)، مُطَرِّقًا، ووجه حسنه أنك تتوهم قبل
أن يرد عليك آخر الكلمة كاليم من «عواصم» أنها هي التي مضت، وإما أتى بها
للتأكيد حتى إذا تمكن آخرها في نفسك ووعاه سمعك انصرف عنك ذلك
التوهم؛ وفي هذا حصول الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها.

الوجه الثاني أن يختلفا بزيادة أكثر من حرف واحد؛ كقول الخنساء:

(١) قوله «صدفت» بمعنى انصرفت، والصوادي: جمع صادية اسم فاعل من الصدى وهو العطش
الشديد، شبه به شدة الشوق إليهن ثم استعير إليه استعارة تبعية، والشاهد في قوله «صواد
وصوادف».

(٢) الملك الكاتب هو المعتمد بن عباد، وصاحبه هو محمد بن الطبيب المصري.

(٣) السنا: النور، والسنا: الرفعة، والأول راجع إلى العين والثاني إلى النفس على اللف والنشر
المرتب، والشاهد في قوله «السنا والسنا».

(٤) الراحة: باطن الكف، والمسمع: الأذن، والغنى: راجع إلى الراحة، والغناء: راجع إلى الأذن
على اللف والنشر المرتب أيضاً، وفي قوله «الغنى والغناء» شاهد ثان.

(٥) المراد من التي تنسى الهوى والهواء: الخمر، وفي قوله «الهوى والهواء» شاهد ثالث، وكذلك
لف ونشر مرتب.

(٦) قوله «تلف» بمعنى تجدد، والراحة: باطن الكف، والمحيا: الوجه، والحيا: المطر والمراد به
العطاء على سبيل الاستعارة، وفي قوله «الحيا والحياء» شاهد رابع، وكذلك لف ونشر
مرتب.

(٧) هو ما يكون بزيادة حرف في الآخر.

إِنَّ الْبَكَاءَ هُوَ الشُّفَا ۖ
وَرَبَّمَا سُمِّيَ هَذَا الضَّرْبُ مُدْيَلًا.

الجناس المضارع واللاحق:

وإن اختلفا في أنواع الحروف اشترط ألا يقع الاختلاف بأكثر من حرف.

ثم الحرفان المختلفان إن كانا متقاربين^(٢) سمي الجناس مضارعاً، ويكونان إما في الأول؛ كقول الحريري: «بَيْنِي وَبَيْنَ كِنْيٍ لَيْلٌ دَامِسٍ، وطريق طامس»، وإما في الوسط؛ كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦] وقول بعضهم: «البرايا أهداف البلايا». وإما في الآخر؛ كقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الخیل معقود بنواصيها الخیر إلى يوم القيامة».

وإن كانا غير متقاربين سمي لاحقاً، ويكونا أيضاً إما في الأول؛ كقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] وقول بعضهم: «رُبَّ وَضَىٍّ غَيْرِ رَضَىٍّ». وقول الحريري: «لَا أُعْطِيَ زَمَامِي لِمَنْ يَخْفِرُ ذَمَامِي». وإما في الوسط، كقوله^(٣) تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥] وقوله: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿[العاديات: ٧-٨]، وإما في الآخر؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ﴾^(٤) [النساء: ٨٣]، وقول البحتری:

هَلْ لِمَا فَاتَ مِنْ تَلَاقي تَلَافِي ۖ أَمْ لِمَا لَشَاكَ مِنَ الصَّبَابَةِ شَافِي^(٥)

(١) هو لتماضر بنت عمرو بن الشريد المعروفة بالخنساء. والجوی: حرقه القلب، والجوانح: جمع جانحة وهي الضلوع التي تحت الترائب مما يلي الصدر، والشاهد في قولها «الجوی والجوانح».

(٢) المراد بهما ما يشمل المتحدّين في المخرج كالهزمة والهاء في قوله تعالى: ﴿يَنْهَوْنَ وَيَنْتَوْنَ﴾.

(٣) والحق أن هذا من المضارع لا من اللاحق؛ لتقارب الفاء والميم؛ لأنهما شفويان.

(٤) والحق أن هذا أيضاً من المضارع؛ لأن الراء والنون من حروف الذلاقة التي تخرج من طرف اللسان.

(٥) التلافي: مصدر «تلافي الأمر» بمعنى تداركه، والصبابة: الشوق والولع الشديد، والشاهد =

جناس القلب:

وإن اختلفا في ترتيب الحروف سمي جناس القلب، وهو ضربان: قلب الكل؛ كقولهم: «حُسامُه فتحٌ لأوليائه، حَتَفٌ لأعدائه»، وقلب البعض؛ كما جاء في الخبر: «اللَّهُمَّ استر عوراتنا وآمن رُوعَاتنا» وقول بعضهم: «رحم الله امرءاً أمسك ما بين فكَّيه، وأطلق ما بين كَفَّيه». وعليه قول أبي الطيب:

مُنْعَةٌ مُنْعَةٌ رَدَّاحٌ يُكَلِّفُ لَفْظُهَا الطَّيْرَ الْوُقُوعَا^(١)

الجناس المقلوب المجنَّح، والجناس المزدوج: وإذا وقع أحد المتجانسين جناس القلب في أول البيت والآخر في آخره سمي مقلوباً مجنَّحاً^(٢).

وإذا ولي أحد المتجانسين الآخر سُمي مُزْدَوِجاً ومُكْرَراً ومُردداً^(٣) كقوله تعالى ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢]، وما جاء في الخبر: «المؤمنون هينونٌ لَيُّونٌ»، وقولهم: «من طَلَبَ وَجَدَ وَجَدَ»، وقولهم: «من قرع باباً ولجَّ ولجَّ» وقولهم: «النبيلُ بغير النِّعمِ غَمٌّ، وبغير الدِّسمِ سَمٌّ». وقوله:

يَمْدُونُ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمَ تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبِ^(٤)

ما يلحق بالجناس:

واعلم أنه يلحق بالجناس شيطان:

أحدهما أن يجمع اللفظين الاشتقاق^(٥) كقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ

= في قوله «تلاق، تلافى».

(١) المنعنة: التي يمنعها أهلها ويحمونها، والرداح: الضخمة الآلية أو الثقيلة الأوراك، والشاهد في قوله «منعنة منعمة».

(٢) كقول الشاعر:

لَا حَ أَنْوَارِ الْهُدَى مِنْ كَفِّهِ فِي كُلِّ حَالٍ

ولا يخفى ما في هذا من التكلف، ومثله كل جناس مقلوب مجنح.

(٣) هذا عام في كل جناس وليس خاصاً بجناس القلب كالمقلوب المجنح.

(٤) سبق هذا البيت في الجناس الناقص، والشاهد في «عواص عواصم» وفي «قواض قواضب».

(٥) هو أخذ لفظ من آخر لمناسية بينهما في المعنى، وإنما لم يكن من الجناس؛ لوجوب اختلاف المعنى فيه كما سبق في تعريفه.

الْقِيمِ ﴿[الروم: ٤٣] وقوله تعالى : ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة: ٨٩] وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الظلم ظلمات يوم القيامة»، وقول الشافعي رضي الله عنه^(١) وقد سئل عن النبيذ: «أجمع أهل الحرمين على تحريمه». وقول أبي تمام:

فَيَا دَمْعُ أَنْجِدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْدٍ^(٢)

وقول البحتري:

يَعِشَى عَنِ الْمَجْدِ الْعَبِيُّ وَلَنْ تَرَى فِي سُودٍ أَرَبًا لَعِيرٍ أَرِيبٍ^(٣)

وقول محمد بن وهيب:

قَسَمْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ بَأْسًا وَنَائِلًا فَمَالُكَ مَوْتُورٍ وَسَيْفِكَ وَآتِرٍ^(٤)

والثاني أن يجمعهما المشابهة؛ وهي ما يشبه الاشتقاق وليس به^(٥)؛ كقوله

(١) نسبه ابن المعتز في «البديع» لعبد الله بن إدريس، وهو غير الشافعي الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس.

(٢) هو من قوله:

وَأَنْجِدْتُمْ مِنْ بَعْدِ إِتْهَامِ دَارِكُمْ فَيَا دَمْعُ أَنْجِدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْدٍ

وقوله «أنجِدْتُمْ» بمعنى سكتتم نَجْدًا، والإتهام: سكتي تهامة، والشاهد في قوله «أنجِدْنِي ونَجْدٍ». والحق أن هذا ليس من الاشتقاق بل من شبه الاشتقاق الآتي، وكذلك ما أشبهه من الأمثلة الآتية.

(٣) قوله «يعشى» بمعنى يعمى، وأصله أن يسوء البصر بالليل دون النهار أو بهما معاً، والأرب: الحاجة، والأريب: الماهر، والشاهد في قوله «أرباً وأريب».

(٤) هو من قصيدة له في مدح الحسن بن سهل مطلعها:

ودائعُ أسرارِ طوتها السرائرُ وباحتُ بمكنوناتهنَّ النواظرُ
وبأسُ: الشجاعة، والنائل: العطاء، والموتور والواتر: مأخوذان من «وتره» إذا أصابه بظلم أو مكروه، وفي ذلك لف ونشر غير مرتب؛ لأن موتورا يرجع إلى «نائل» وواتر يرجع إلى «بأساً». والشاهد في قوله «موتور وواتر».

(٥) لاختلاف أصل اللفظين فيما يشبه الاشتقاق دون الاشتقاق؛ ولهذا يجعل بعضهم ما يشبه الاشتقاق من الجناس، ولا يجعله ملحقاً به.

تعالى : ﴿ أَتَأْتِلُم إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ﴾ [التوبة: ٣٨] ، ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٨] ، ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ [الرحمن: ٥٤] .

وقول البحتري:

وَإِذَا مَا رِيَّاحُ جُودِكَ هَبَتْ صَارَ قَوْلُ الْعَذُولِ فِيهَا هَبَاءً^(١)
 * رَدُّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ: ومنه رَدُّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ؛ وهو في النثر أن يُجْعَلَ أحد اللفظين المُكَرَّرَيْنِ أو المتجانسين أو المُلْحَقَيْنِ بهما في أول الفقرة، والآخر في آخرها^(٢)؛ كقوله تعالى: ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧] ، وقولهم: «الحيلة ترك الحيلة»^(٣)، وكقولهم: «سائل اللئيم يرجع ودمع سائل». وكقوله تعالى: ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: ١٠] ، وكقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٨]

وفي الشعر أن يكون أحدهما^(٤) في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول، أو حشوه، أو آخره، أو صدر الثاني؛ فالأول كقوله:
 سريعٌ إلى ابن العمّ يلطم وجهه وليس إلى دأى الندى بسريع^(٥)

(١) هو من قصيدة له في مدح محمد بن يوسف، وقبله:

خلق الله يا محمد أخلافاً قك مجلداً في طيء وسناء

وقوله «هبت» بمعنى ثارت وهاجت، والهباء: الغبار أو دقائق التراب ساطعة ومشورة على وجه الأرض، والشاهد في قوله «هبت وهباء»، وإنما لم يكونا من الاشتقاق لأن الهباء مأخوذ من «هَبَّ يَهْبُو»، لا من «هَبَّ يَهْبُ».

(٢) المكرران هما المتفقان لفظاً ومعنى بخلاف المتجانسين والملحقين بهما.

(٣) هذا المثال وما قبله من رد العجز على الصدر في المكررين، والمثال الثالث من رد العجز على الصدر في المتجانسين، والرابع من رد العجز على الصدر في الاشتقاق، والخامس من رد العجز على الصدر فيما يشبه الاشتقاق.

(٤) أي أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما، وهي أقسام ثلاثة في الأربعة بعدها فيكون المجموع اثني عشر قسمًا.

(٥) سبق هذا البيت في الكلام على حذف المسند إليه من الجزء الأول، وهذا الشاهد فيما =

ونحوه قول الآخر:

سُكْرَانُ سُكْرٌ هَوًى وَسُكْرٌ مُدَامَةٌ أَنَّى يُفِيقُ فَتَى بِهِ سُكْرَانٌ^(١)

والثاني كقول الحماسي:

تَمَنَّعَ مِنْ شَمِيمٍ عَرَّارٍ نَجِدٍ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَّارٍ^(٢)

ونحوه قول أبي تمام:

وَلَمْ يَحْفَظْ مَضَاعَ الْمَجْدِ شَيْءٌ مِنْ الْأَشْيَاءِ كَالْمَالِ الْمَضَاعِ^(٣)

والثالث كقوله أيضا:

وَمَنْ كَانَ بِالْبَيْضِ الْكَوَاعِبَ مُغْرَمًا فَمَا زِلْتُ بِالْبَيْضِ الْقَوَاضِبَ مُغْرَمًا^(٤)

والرابع كقول الحماسي:

وَأِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مُعَرَّجَ سَاعَةٍ قَلِيلًا فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا^(٥)

= يكون المكرر الآخر في صدر المصراع الأول.

(١) هو للخليل الدمشقي، وقد ذكر الثعالبي في «يتيمة الدهر» أن كنيته أبو عبد الله وأن اسمه ذهب عنه، وقوله «سكران» مبتدأ خبره محذوف تقديره «بى سكران» والهوى: الحب، والمدامة: الخمر، و«أنى» اسم استفهام بمعنى كيف.

(٢) هو للصمة بن عبد الله القشيري، أو لعدة بن معاوية بن حزم العقيلي، وشميم: مصدر شم، والعَرَّار: بهار ناعم أصفر طيب الرائحة، أو الترجس البري، وهذا الشاهد فيما يكون المكرر الآخر في حشو المصراع الأول.

(٣) مضاع المجد: إضاعته مصدر ميمي منصوب بتقدير من الخافضة، أى لم يحفظ من إضاعه المجد، والمال المضاع: الذهاب في السخاء.

(٤) هو لأبى تمام؛ كما يفيد قول الخطيب (أيضا). والكواعب: جمع كاعب وهى الجارية حين يبدو ثديها للنهود، والبيض القواضب: هى السيوف القواطع، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما بعد الفاء وتقديره «فلا شأن لى به». وهذا الشاهد فيما يكون المكرر الآخر فى آخر المصراع الأول، والبيت من قصيدة له مطلعها:

عَسَى وَطَنٌ يَدْنُو بِهِمْ وَلَعَلَّمَا وَأَنْ تُعْتَبَ الْأَيَّامُ فِيهِمْ فَرَبَّمَا

(٥) هو لغيلان بن عقبة المعروف بذي الرمة. واسم «يكن» يعود على الإمام المفهوم من قوله قبله: =

والخامس كقول القاضى الأرجانى:

دَعَانِي مِنْ مَلَامِكَمَا سَفَاهًا فدَاعِي الشوق قبلكما دَعَانِي (١)
وقول الآخر:

سَلْ سَبِيلًا فِيهَا إِلَى رَاحَةِ النَّفْسِ سِرِّ بِرَاحِ كَأَنَّهَا سَلْسَبِيلُ (٢)
وقول الآخر:

ذَوَائِبُ سُودٌ كَالْعَنَاقِيدِ أُرْسِلَتْ فَمِنْ أَجْلِهَا مِنْهَا النَفُوسُ ذَوَائِبُ (٣)
والسادس كقول الآخر:

وَإِذَا الْبَلَابِلُ أَفْصَحَتْ بِلُغَاتِهَا فَانْفِ الْبَلَابِلَ بِاحْتِسَاءٍ بِلَابِلِ (٤)

= أَلِمَا عَلَى الدَّارِ الَّتِي لَوْ وَجَدْتُهَا بِهَا أَهْلُهَا مَا كَانَ وَحْشًا مَقِيلَهَا
ومعرج: مصدر ميمي بمعنى الوقوف واللبث، وقوله «قليلًا» صفة له، وهذا الشاهد فيما
يكون المكرر الآخر فى صدر المصراع الثانى.
(١) هو لأحمد بن محمد بن الحسين المعروف بالقاضى الأرجانى من قصيدة له مطلعها قبل هذا
البيت:

إِذَا لَمْ تَقْدِرَا أَنْ تَسْعِدَانِي عَلَى شَجْنِي فَسِيرَا وَاتْرَكَانِي
وقوله «دعانى» فى صدر البيت بمعنى اتركانى، وفى آخره بمعنى نادانى. والسفاه: الخفة وقلة
العقل. وهذا الشاهد فيما يكون المتجانس الآخر فى صدر المصراع الأول.
(٢) لا يعرف قائله. والضمير فى قوله «فيها» لروضة يصفها، والراح: الخمر، والسلسيل: الماء
العذب، والشاهد فى قوله «سل سبيلا وسلسيل».
(٣) هو لأبى الحسن نصر المرغينانى. والشاهد فى ذوائب الأولى جمع ذؤابة وهى أعلى شعر
الرأس، وذوائب الثانية جمع ذائبة بمعنى سائلة.

(٤) هو لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل المعروف بأبى منصور الثعالى. وقد وردت البلابل فيه
جمع بُلْبُل؛ وهو طائر يضرب به المثل فى طلاقة اللسان، ثم جمع بُلْبَال وهو الهم، ثم جمع
بلبل وهو قنّة الإبريق التى يصب منها الخمر ونحوه. وقوله «أفصحت بلغاتها» بمعنى أخلصت
نغماتها، والاحتساء: الشرب. وهذا الشاهد فيما يكون المتجانس الآخر فى حشو المصراع
الأول.

والسابع كقول الحريري:

فَمَشْغُوفٌ بِآيَاتِ الْمَثَانِي وَمَفْتُونٌ بِرَنَاتِ الْمَثَانِي (١)

والثامن كقول القاضي الأرجاني:

أَمَلْتُهِمْ ثُمَّ تَأَمَّلْتُهِمْ فَلَاحَ لِي أَنْ لَيْسَ فِيهِمْ فَلَاحٌ (٢)

والتاسع كقول البحتري:

ضَرَّائِبٌ أَبَدَعَتَهَا فِي السَّمَاحِ فَلَسْنَا نَرَى لَكَ فِيهَا ضَرِيًّا (٣)

والعاشر كقول امرئ القيس:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ يَخْزَنُ (٤)

(١) هو للقاسم بن علي المعروف بالحريري، وقبله:

بِهَا مَا شَتَّ مِنْ دِينٍ وَدُنْيَا وَجِيرَانٍ تَنَافَرُوا فِي الْمَعَانِي

والضمير في قوله «بها» للبصرة، وقوله «تنافوا» بمعنى اختلفوا، والمشغوف: المولع، والمراد بالثاني في الأول: القرآن، وفي آخر البيت: أوتار المزامير، ورناتها: نغماتها، وهذا الشاهد فيما يكون المتجانس الآخر في آخر المصراع الأول.

(٢) قوله «أملتهم» بمعنى رجوت خيرهم، وقوله «تأملتهم» بمعنى فكرت في أحوالهم. وهذا الشاهد فيما يكون المتجانس الآخر في صدر المصراع الثاني، وقد سبق بيان اسم القاضي الأرجاني في شاهد القسم الخامس، والبيت من قصيدة له في مدح شمس الملك بن نظام الملك، وقبله:

بِفَيْدِكَ قَوْمٌ حَاولُوا ضَلَّةً تَنَاولُ الْمَجْدَ بِأَبْدِ شَحَاحٍ

مَعَاشِرُ أَمْوَالِهِمْ فِي حِمَى وَعَرَضُهُمْ مِنْ لُؤْمِهِمْ مُسْتَبَاحٌ

(٣) الحق أن هذا البيت للسري بن أحمد المعروف بالسري الرفاء في مدح أبي الفوارس سلامة بن فهد، وقد أخذه من قول البحتري في مدح الفتوح بن خاقان:

بَلَوْنَا ضَرَّائِبَ مَنْ قَدْ نَرَى فَمَا إِنْ رَأَيْنَا لَفْتَحَ ضَرِيًّا

والضرائب: جمع ضريبة؛ وهي الطبيعة التي ضربت للرجل وطبع عليها، والضريب: المثل، وهو في الأصل المثل من القداح المضروبة في الميسر؛ فهو متفق في الاشتقاق مع ضرائب، وهذا الشاهد فيما يكون فيه الملحق الآخر بالمتجانسين في صدر المصراع الأول.

(٤) قوله «لم يخزن» بمعنى لم يحفظ، والمراد من اللسان: السر؛ على المجاز المرسل، والمعنى: أنه إذا لم يحفظ سر نفسه لم يحفظ سر غيره من باب أولى. وهذا الشاهد فيما يكون فيه =

وقول أبي العلاء المعري:

لو اختَصَرْتُمْ من الإحسان زُرْتُكُمْ وَالْعَذْبُ يُهْجَرُ لِلْإِفْرَاطِ فِي الْخَصْرِ^(١)

والحادى عشر كقول الآخر:

فَدَعَ الْوَعِيدَ فَمَا وَعِيدُكَ ضَائِرِي أَطْنِينَ أَجْنَحَةَ الذُّبَابِ يَضِيرُ^(٢)

والثانى عشر كقول أبى تمام:

وقد كانت البيضُ القَوَاضِبُ فِي الْوَعَى بَوَاتِرَ فَهِيَ الْآنَ مِنْ بَعْدِهِ بُتْرُ^(٣)

* السجع وأقسامه:

ومنه السجع، وهو تواطؤ الفاصلتين^(٤) من التثر على حرف واحد، وهذا معنى قول السكاكى^(٥): «الأسجاع فى التثر كالقوافى فى الشعر» وهو ثلاثة

= الملحق الآخر بالمتجانسين فى حشو المصراع الأول، وهو من الاشتقاق كما هو ظاهر.
(١) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبى العلاء المعري من قصيدة له فى مدح أبى الرضاء الميصي، وقوله «اختصرتم» بمعنى أقللتم، والعذب: الطيب المستساغ من الشراب ونحوه، والمراد به الماء العذب، والخصر: البرودة، والظاهر أنه يمدحهم بذلك، ويجوز أن يراد ذمهم بالتبذير؛ ولهذا يشبه أن يكون من التوجيه، وفيه أيضاً حسن التعليل، والشاهد فى قوله «اختصرتم والخصر» وهو ما يشبه الاشتقاق؛ لأن الأول مأخوذ من الاختصار، والثانى من «خصر» بمعنى برد.

(٢) هو لعبد الله بن محمد بن عيينة المهلبى فى على بن محمد العلوى، وكان قد دعاه إلى نصرته فلم يجبه فتوعده، وقبل البيت:
أعلى إنك جاهل مغرور لا ظلمة لك لا ولا لك نور

والوعيد: التهديد بالشر، والضائر: اسم فاعل من الضير وهو الضرر، وهذا الشاهد فيما يكون الملحق الآخر بالمتجانسين فى آخر المصراع الأول. وهو من الاشتقاق كما هو ظاهر.
(٣) هو من قصيدته فى رثاء محمد بن حميد، وضمير «بعده» له، والبيض القواضب: السيوف القواطع، والوعى: الحرب، والبواتر: القواطع، والبتر: جمع أبتى وهو المقطوع أو مقطوع الذنب، والمراد أنها مقطوعة الفائدة على الاستعارة؛ يعنى أنها كانت قواطع فى عهده؛ لحسن استعماله لها؛ فلما مات لم تجد من يحسن استعمالها؛ فصار مقطوعة الفائدة. وهذا الشاهد فيما يكون فيه الملحق الآخر بالمتجانسين فى صدر المصراع الثانى، وهو من الاشتقاق أيضاً.

(٤) هما الكلمتان الأخيرتان من الفقرتين، والمراد تواطؤهما على حرف واحد فى آخرهما.

(٥) ٢٢٨ - المفتاح، وما ذكره تعريف بالمثال.

أضرب: مُطَرَفٌ، وَمُتَوَازٍ، وترصيع.

* السجع المطرف: لأن الفاصلتين إن اختلفتا في الوزن^(١) فهو السجع المطرف^(٢) كقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۖ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣-١٤].

* الترصيع: وإلا فإن كان ما في إحدى القريتين^(٣) من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن والتقفية فهو الترصيع؛ كقول الحريري: «فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه» وكقول أبي الفضل الهمداني: «إن بعد الكدر صفواً، وبعد المطر صحواً». وقول أبي الفتح البستي: «ليكن إقدامك توكلاً، وإحجامك تأملاً».

* السجع المتوازي: وإلا فهو السجع المتوازي؛ كقوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُورٌ مَرْفُوعَةٌ ۖ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣-١٤] وفي دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَدْرَأُ بِكَ فِي نَحْوِهِمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِمْ».

* شروط حسن السجع: وشروط حسن السجع اختلاف قريتيه في المعنى كما مر^(٤)، لا كقول ابن عباد في مهزومين: «طاروا وأقبن بظهورهم صدورهم،

(١) أى العروضى لا الصرفى.

(٢) سمي بهذا لبلوغه طرف الحسن ونهايته بالنسبة إلى غيره.

(٣) هما الفقرتان سميتا بذلك لتقارنهما.

(٤) أى من الأمثلة، وقيل: إن هذا ليس بشرط؛ لأن السجعة الثانية تؤكد الأولى، والتأكيد عمدة البيان والكتابة، وقد وقع هذا في القرآن، كقوله تعالى: الناس ١، ٢، ٣: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ﴾ لكن التأكيد له مقام يقتضيه، فلا يصح أن يكون تكرار المعنى لأجل السجع فقط، ويشترط فيه أيضاً أن تكون ألفاظه في تركيبها تابعة لمعناها لا عكسها، وأن يقع فيما يليق به من خطابة ونحوها، لا كما قال صاحب بن عباد للقاضى: «قم أيها القاضى بقم، قد عزلناك فقم». فقال القاضى: «والله ما عزلنى إلا هذه السجعة». وقد ورد أن النبى ﷺ قضى فى جنين امرأة ضربتها أخرى - فسقط ميتاً - بغرة، فقال رجل: «كيف ندى من لا شرب ولا أكل، ولا صاح فاستهل، ومثله دمه يطل؟!». فقال ﷺ: «إياكم وسجع الكهان» وكانوا يتكهنون ويحكمون بالأسجاع؛ فيتكلفونها فى موضع لا يليق بها.

وبأصلا بهم نحورهم».

قيل: وأحسن السجع ما تساوت قرائته^(١) كقوله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ
(٢٨) وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ (٢٩) وَظِلِّ مَمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨، ٢٩، ٣٠]. ثم ما طالت^(٢)
قرينته الثانية، كقوله: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾
[النجم: ١-٢]، أو الثالثة، كقوله: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾^(٣)
[الحاقة: ٣٠-٣١] وقول أبي الفضل الميكالى: له الأمر المطاع، والشرف
اليَفَاع، والعَرَضُ المصون، والمال المضاع. وقد اجتمعا^(٤) في قوله تعالى:
﴿وَالْعَصْرُ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا
بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر: ١، ٢، ٣]. ولا يحسن أن تؤلى قرينة^(٥)
قرينة أقصر منها كثيراً^(٥) لأن السمع إذا استوفى أمده من الأولى لطولها ثم
جاءت الثانية أقصر منها كثيراً يكون كالشيء المبتور، ويبقى السامع كمن يريد
الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها، والذوق يشهد بذلك ويقضى بصحته.

* السجع القصير، والطويل، والمتوسط:

ثم السجع إما قصير، كقوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾
[المرسلات: ١-٢].

(١) أى في عدد الكلمات، وإن كانت إحدى الكلمات أكثر حروفا من كلمة القرينة الأخرى.

(٢) لكن يجب أن يكون الطول غير فاحش بأن تكون الزيادة ثلثاً فأقل، فإن كانت أكثر من ذلك كانت قبيحة، إلا إذا كانت بعد فقرتين فأكثر؛ لأن الأوليين يكونان حينئذ بمنزلة فقرة واحدة.

(٣) والفقرة الأولى في الآية ﴿خُذُوهُ﴾ والثانية ﴿فَغُلُّوهُ﴾ والثالثة ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾، ولا تؤثر الفاء في مساواة الثانية للأولى في كون كل منهما كلمة واحدة.

(٤) أى ما طالت قرينته الثانية وما طالت قرينته الثالثة.

(٥) بخلاف القصير القليل كقوله تعالى سورة الفيل ١، ٢: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ
الْفِيلِ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾.

أو طويل^(١): كقوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَاكٍ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَتَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤٤)﴾ [الأنفال: ٤٣، ٤٤].

أو متوسط: كقوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢)﴾ [القمر: ١، ٢].

ومن لطيف السجع قول البديع الهمداني من كتاب له إلى ابن فريغون^(٢): «كتابي والبحر وإن لم أره، فقد سمعت خبره، والليث وإن لم ألقه، فقد تصورته خلقه، والملك العادل وإن لم أكن لقيته، فقد لقيني صيته، ومن رأى من السيف أثره، فقد رأى أكثره»^(٣).

* ستكون أعجاز الفواصل^(٤): واعلم أن فواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز، موقوفاً عليها؛ لأن الغرض أن يزاوج بينها، ولا يتم ذلك في كل صورة إلا بالوقف، ألا ترى أنك لو وصلت قولهم «ما أبعد ما فات، وما أقرب ما هو آت» لم يكن بُدٌّ من إجراء كل من الفاصلتين على ما يقتضيه حكم الإعراب، فيفوت الغرض من السجع، وإذا رأيتهم يخرجون الكلم عن أوضاعها للازدواج في قولهم: «إنى لآتيه بالغدايا والعشايا» أى بالغدوات^(٥)، فما ظنك بهم في ذلك؟

(١) ذهب الباقلاني في «إعجاز القرآن» إلى أن السجع الطويل غير مرضى ولا محمود، وهذا خطأ؛ لوقوعه في القرآن، ولعله ممن لا يسمى ما في القرآن سجعا، وسيأتي الخلاف في ذلك.

(٢) في رسائل بديع الزمان: «وله إلى الأمير ابن الحارث محمد مولى أمير المؤمنين».

(٣) لطف هذا السجع من جهة قصره واتفاق أسلوب فقراته في الشرطية.

(٤) هذا السكون واجب عند اختلاف الحركات الإعرابية، مستحسن عند اتفاقها.

(٥) لأن غدوة تجمع على غدوات لا على غدايا، فلا يقال «غدايا» إلا مع «عشايا» وهذا على أن غدايا جمع غدوة لا غدية، وإلا كان جمعا صحيحا وإن لم يكن معه «عشايا»، والأقرب حمل قولهم على هذا؛ لأنه لا يصح تكلف حلية لفظية إلى هذا الحد.

الخلاف فى إطلاق السجع فى القرآن والشعر:

وقيل: إنه لا يقال: «فى القرآن أسجاع» وإنما يقال «فواصل»^(١). وقيل: السجع غير مختص بالنثر، ومثاله من الشعر^(٢) قول أبى تمام:

تَجَلَّى بِهِ رُشْدِي، وَأَثَرَتْ بِهِ يَدِي وفاضَ بِهِ ثِمْدِي، وَأَوْرَى بِهِ زِنْدِي^(٣)
وكذا قول الخنساء:

حامى الحقيقة، محمودُ الخليفة، مَهْ حدى الطريقة، نَفَّاعٌ وَضَرَّارُ^(٤)
وكذا قول الآخر:

ومَكَارِمِ أَوْلَيْتَها مُتَبَرِّعاً وجرائمِ أَلْغَيْتَها مُتَوَرِّعاً^(٥)
وهو^(٦) ظاهر التكلف^(٧). وهذا القائل لا يشترط التقفية فى العروض

(١) الحق أن منع إطلاق ذلك عليه رعاية للأدب فقط؛ لأن السجع فى الأصل هديل الحمام ونحوه، وقيل: إنه لا شىء فى أن يقال فى القرآن أسجاع.

(٢) أكثره فى الشعر على ضربين: أن يجعل كل شطر فقرتين، لكل فقرة سجعة، وأن يجعل كل شطر فقرة كما فى البيت الثالث. ونحوه مزدوجة أبى العتاهية:

حسبك ما تبغيه القوتُ ما أكثر القوتَ لمن يموتُ
الفقرُ فيما جاوز الكفافا من اتقى الله رجا وخافا

وقد يأتى على غير هذين الضربين كما فى بيت الخنساء.

(٣) هو من قصيدة له فى مدح نصر بن منصور، وقوله «تجلَّى» بمعنى ظهر، وقوله «أثرت» بمعنى اغتنت، والشمذ: فى الأصل الماء القليل والمراد به المال القليل على سبيل الاستعارة، وقوله «أورى» بمعنى صار ذا ورى أى نار، والزند: العود الأعلى الذى يقتدح به النار، وهذا كناية عن الظفر المطلوب، والشاهد فى اتفاق فواصله فى الدال.

(٤) هو لتماضر بنت عمرو بن الشريد المعروفة بالخنساء فى أخيها صخر، والحقيقة: ما يجب على الإنسان أن يحميه من عرض ونحوه، والحقيقة: السجعة، والشاهد فى اتفاق فواصله فى القاف.

(٥) لا يعرف قائله. وقوله «أوليتها» بمعنى أعطيتها، والمتبرع: المعطى من غير طلب، وقوله «ألغيتها» بمعنى أبطلتها، والمتورع: الممتنع عن الانتقام، وفى رواية: «فمكارم».

(٦) أى السجع فى الشعر.

(٧) لأن الشعر فيه ضيق الوزن؛ فلا يليق أن يضاف إليه ضيق آخر بالتزام السجع.

والضرب^(١) كقوله:

وَزَنْدٌ نَدَى فَوَاضِلِهِ وَرَى وَرَنْدٌ رَبَّى فَضَائِلِهِ نَضِيرٌ^(٢)

* التشطير: ومن السجع على هذا القول^(٣) ما يُسمى التشطير، وهو أن يُجعل كل من شطري البيت سبعة مخالفة لأختها^(٤) كقول أبي تمام:

تَدْبِيرٌ مَعْتَصِمٌ، بِاللَّهِ مَتَّقِمٌ لِلَّهِ مَرْتَبٌ، فِي اللَّهِ مُرْتَقِبٌ^(٥)

* التصريع: ومنه ما يسمى التصريع، وهو جعل العروض مُقَفَّاةً تقفية الضرب، كقول أبي فراس:

بِأَطْرَافِ الْمُثَقَّفَةِ الْعَوَالِي تَفَرَّدْنَا بِأَوْسَاطِ الْمَعَالِي^(٦)

(١) العروض: الجزء الأخير من الشطر الأول في البيت، والضرب: الجزء الأخير من الشطر الثاني في البيت.

(٢) هو لناصر بن عبد السيد المعروف بأبي الفتح المظري، والزند: العود الأعلى الذي يقتدح به النار، وإثباته للندي تخيل، والفواضل: العطايا، والورى: زند النار فمن يقدحه يظفر بمزاده، والزند: نبات طيب الرائحة، والربى: جمع ربوة وهي ما ارتفع من الأرض، والكلام مبنى على الاستعارة، والشاهد في أن التقفية في حشو البيت بين - فواضله وفضائله - لا في العروض والضرب، ورواية «بغية الوعاة» للسيوطي:

وَزَنْدٌ نَدَى فَوَاضِلَهُ وَرَى وَرَنْدٌ رَبَّى خَوَاضِلَهُ نَضِيرٌ
وَدَرْ خَلَالَهُ أَبَدًا ثَمِينٌ وَدَرْ نَوَالَهُ أَبَدًا غَزِيرٌ
والظاهر أن «خواضله» تحريف عن فضائله.

(٣) أى القول بأن السجع يأتي في الشعر.

(٤) أى مسجوعاً سبعة مخالفة لأختها؛ بأن يكون كل شطر فقرتين تخالف الأوليان منهما الآخرين في التقفية.

(٥) هو من قصيدة له في مدح المعتصم بن هارون الرشيد، وقوله «بالله» متعلق بمعتصم، وقوله «لله» متعلق بمستقيم، وقوله «في الله» متعلق بمرتعب أى راغب فى ثوابه، والمرتقب: الخائف من عقابه، والشاهد في تركيب الشطر الأول من فقرتين متفتحتين في الميم، والشطر الثاني من فقرتين متفتحتين في الباء.

(٦) هو لأبي الحارث بن أبي العلاء المعروف بأبي فراس الحمداني. والمثقف: المقومة، والعوالى: الرماح بدل أو عطف بيان، والأوساط: جمع وسط الشيء وهو أفضل شيء فيه. والشاهد في تقفية العروض والضرب في اللام.

وهو مما استحسن حتى إن أكثر الشعر صرَّع البيت الأول منه^(١)؛ ولذلك متى خالفت العروض الضرب في الوزن جاز أن تجعل مُوازنة له إذا كان البيت مُصرَّعاً كقول امرئ القيس:

أَلَا عَمُ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي وَهَلْ يَنْعَمَنَّ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي^(٢)
أتى بعروض الطويل «مفاعيلن»، وذلك لا يصح إذا لم يكن البيت مصرعاً^(٣)، ولهذا خطئ أبو الطيب في قوله:

تَفَكُّرُهُ عِلْمٌ وَمَنْطِقُهُ حُكْمٌ وَبَاطِنُهُ دِينٌ وَظَاهِرُهُ ظَرْفٌ^(٤)

* الموازنة، والمماثلة:

ومنه الموازنة، وهي أن تكون الفاصلتان^(٥) متساويتين في الوزن دون التقفية، كقوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزُرَابِي مَبْثُوثَةٌ (١٦)﴾^(٦) [الغاشية: ١٥، ١٦].

فإن كان ما في إحدى القرينتين من الألفاظ، أو أكثر ما فيها، مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن خُصَّ باسم المُمَاثَلَةِ، كقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (١١٧) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (١١٨)﴾ [الصافات: ١١٧، ١١٨]. وقول أبي تمام:

(١) كذلك يستحسن في الانتقال في القصائد من غرض إلى غرض؛ كالانتقال من النسيب إلى المدح.

(٢) قوله «عم» أمر من «وَعَمَ الديار» بمعنى حياها. وفي رواية: «ألا انعم»، والطلل: ما شخص من آثار الديار، والعُصْر: الدهر ضُمت صاده للوزن، والخالي: الماضي.

(٣) لأنه يجب قبضها بحذف الخامس الساكن، فتصير «مفاعيلن».

(٤) هو من قصيدة له في مدح أحمد بن الحسين القاضي. والحكم: بمعنى الحكمة، والظرف مصدر «ظرف» فهو ظرف أي كيس حسن الهيئة. والشاهد في عدم قبضه عروض الطويل من غير تصريح، وقد اعتذر له من وجهين: أن هذا جاء عن العرب، وأنه الأصل.

(٥) يعني بهما الكلمتين الأخيرتين من الفقرتين أو المصراعين؛ لأنها تأتي في النثر والشعر.

(٦) الفاصلتان في الآيتين «مصفوفة ومبثوثة» والتقفية في الأولى على الفاء وفي الثانية على الثاء، ولا ينظر إلى تاء التأنيث فيهما لأنها لا تعد من حروف القافية لإبدالها هاء في الوقف.

مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ قَنَا الْخَطُّ إِلَّا أَنْ تَلِكْ ذَوَابِلُ^(١)
وقول البحترى:

فَأَحْجَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْمَعًا وَأَقْدَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَبًا^(٢)
* القلب: ومنه القلب^(٣)، كقولك «أرض خضراء»، وقول عماد الدين الكاتب
للقاضى الفاضل: «سِرَّ فلا كَبَا بِكَ الْفَرَسُ». وجواب القاضى: «دام علا
العماد». وقول القاضى الأرجانى:
مَمُودَّتُهُ تَدُومُ لِكُلِّ هَوْلٍ وَهَلْ كُلُّ مَمُودَّتِهِ تَدُومُ^(٤)

(١) سبق هذا البيت فى الكلام على الطباق من هذا الجزء، والشاهد فى تساوى الفاصلتين «أوانس
وذوابل» فى الوزن دون التقفية.

(٢) هو من قصيدة له فى وصف مبارزة الفتح بن خاقان للأسد. والضمير فى قوله: «أحجم»
للأسد الذى بارزه، والمطمع: محل الطمع، والمهرب: محل الهرب، يعنى أن الأسد أحجم
عنه لأنه لم يجد فيه مطمعاً لقوته، فلما عرف أنه لا ينجو منه أقدم دهشاً إليه، والشاهد فى
تساوى الفاصلتين «مطمعاً ومهرباً» فى الوزن دون التقفية.

(٣) هو أن يكون الكلام بحيث لو عكس كان الحاصل من عكسه هو ذلك الكلام بعينه. ولا
يخفى ما فيه من التكلف. وما جاء منه فى القرآن فهو غير مقصود فيه، فلا يرد عليه ما يرد
على من يتكلفه.

(٤) هو لأحمد بن محمد بن الحسين المعروف بالقاضى الأرجانى. والهول: المخافة من الأمر،
والاستفهام فى قوله «وهل كل...» للإنكار، والمراد وصف صاحبه بالوفاء من بين
الأصحاب. وقيل البيت:

أَحَبُّ الْمَرْءِ ظَاهِرُهُ جَمِيلٌ لِّصَاحِبِهِ، وَبَاطِنُهُ سَلِيمٌ
هذا وما ذكره الخطيب كله فى قلب الحروف.
وقد يكون القلب فى الكلمات كقول الشاعر:

عَدَلُوا فَمَا ظَلَمْتُ لَهُمْ دَوْلٌ سَعَدُوا فَمَا زَالَتْ لَهُمْ نَعَمٌ
بَذَلُوا فَمَا شَحْتُ لَهُمْ شِيمٌ رُفِعُوا فَمَا زَلَتْ لَهُمْ قَدَمٌ
وهو مدح، فإذا قلبت كلماته كان ذمّاً، وهذا قلبه:

نَعَمٌ لَهُمْ زَالَتْ فَمَا سَعَدُوا دَوْلٌ لَهُمْ ظَلَمْتُ فَمَا عَدَلُوا
قَدَمٌ لَهُمْ زَلَتْ فَمَا رُفِعُوا شِيمٌ لَهُمْ شَحْتُ فَمَا بَذَلُوا =

وفى التنزيل: ﴿كُلُّ فِي فَلَكٍ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، وفيه: ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾ (٣) [المدثر: ٣].

* التشريع: ومنه التشريع، وهو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى على الوقوف على كل واحدة منهما^(١) كقول الحريري: يا خاطب الدنيا الدنيّة إنها شرك الردى وقرارة الأكدار^(٢) الأبيات...

= وقد يكون القلب فى المفرد، نحو «سلس وباب»، ولا يضر فى القلب مد المقصور ولا قصر الممدود، نحو «أرض خضراء»، ولا يضر فيه أيضاً تخفيف المشدد أو تشديد المخفف، نحو ﴿كُلُّ فِي فَلَكٍ﴾، وكذلك جعل الألف همزة أو الهمزة ألفاً أو تبديل بعض الحركات والسكنات.

(١) لا يخفى ما فى التشريع من التكلف، وإنما يقبل منه القليل الذى لا تكلف فيه، وقد بينى البيت فيه على أكثر من قافيتين؛ كقول الحريري من أول الكامل:

جودى على المستهتر الصب الجوى وتعطى بوصاله وترحمى
ذا المبتلى المتفكر القلب الشجى ثم اكشفى عن حاله لا تظلمى
فإنه يمكن أن يقال فيه من منهوك الرجز:

جودى على المستهتر ذا المبتلى المتفكر
ويمكن أن يقال فيه من مشطور الرجز الأحد:

جودى على المستهتر الصب ذا المبتلى المتفكر القلب
ويمكن أن يقال فيه من معزوء الرجز:

جودى على المستهتر الصب ب الجوى وتعطى
ذا المبتلى المتفكر الـ قلب الشجى ثم اكشفى
ويمكن أن يقال فيه:

جودى على المستهتر الصب الجوى وتعطى بوصاله
ذا المبتلى المتفكر القلب الشجى ثم اكشفى عن حاله

(٢) هو من قصيدة للقاسم بن على المعروف بالحريري فى المقامة الشعرية، وبعده:

دار متى ما أضحكت فى يومها أبكت غداً تباً لها من دار
غاراتها لا تنقضى وأسيرها لا يفتدى بجلائل الأخطار =

* لزوم ما لا يلزم:

ومنه لزوم ما لا يلزم، وهو أن يجيء قبل حرف الروي وما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم في مذهب السجع^(١) كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (٢٠١) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغِيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ (٢٠٢)﴾ [الأعراف: ٢٠١، ٢٠٢]، وقوله: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠)﴾ [الضحى: ٩، ١٠]، وقول الشاعر:

سأشكرَ عَمراً إن تراختَ منيتي أيادي لم تُمننْ وإنْ هيَ جَلَّتْ
فتى غيرُ محبوبِ الغنى عن صديقه ولا مظهرِ الشكوى إذا النعلُ رَلَّتْ
رأى خلَّتِي من حيث يخفى مكانها فكانت قَدَى عينيه حتى تجلَّتْ^(٢)

وقول الآخر:

يقولون: في البستانِ للعين لَذَّةٌ وفي الخمرِ والماءِ الذي غيرُ آسِنِ
إذا شئتَ أن تلقَى المحاسنَ كُلَّهَا ففي وجه من تهوى جميعُ المحاسِنِ^(٣)

= والخطاب: الطالب، والدنية: الحقيرة، والردى: الهلاك، وقرارة الشيء: ما قر فيه وسكن، والشاهد في أنه يمكن أن يُركب ذلك من مجزوء الكامل؛ فيقال:

يا خاطب الدنيا الدنية إنها شـرك الردى
دارٌ متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا
غاراتها لا تنقضى وأسـيرها لا يقـتـدى

(١) إنما لم يقل «في مذهب السجع أو القافية» كما هو مقتضى السياق؛ للإشارة إلى أن لزوم ما يلزم ضرب من السجع وإن وقع في الشعر، ولا يخفى ما في لزوم ما لا يلزم من التكلف، وما جاء منه في القرآن فهو غير مقصود فيه؛ فلا يرد عليه ما يرد على من يتكلفه.
(٢) سبق البيتان الأولان في الكلام على حذف المسند إليه من الجزء الأول. والخلة: في البيت الثالث الحاجة، والقذى: الرمد، وقوله «تجلت» بمعنى انكشفت، والشاهد في التزامه اللام المشددة والفتحة قبلها في الأبيات الثلاثة.

(٣) هما لأحمد بن عبد الله المعروف بأبي العلاء المعري، وقوله «الذي غير آسن» تقديره: الذي هو غير آسن. فحذف فيه صدر الصلة، والآسن: المتغير، وقوله «تهوى» بمعنى تحب، والشاهد في التزامه السين والألف قبلها في البيتين.

وقد يكون ذلك في غير الفاصلتين أيضاً^(١)؛ كقول الحريري: «وما اُشتارَ العسل من اختار الكسل»

* أصل الحسن في القسم اللفظي: وأصل الحسن في جميع ذلك - أعنى القسم اللفظي - كما قال الشيخ عبد القاهر^(٢) هو أن تكون الألفاظ تابعة للمعاني^(٣)؛ فإن المعاني إذا أُرسلت على سجيته وتُركت وما تريد طلبت لأنفسها الألفاظ، ولم تكتسب إلا ما يليق بها؛ فإن كان خلاف ذلك كان كما قال أبو الطيب:

إذا لم تُشاهد غير حُسْنِ شَيَاتِهَا وأعضائها فَالْحُسْنُ عَنْكَ مُغَيَّبٌ^(٤)

وقد يقع في كلام بعض المتأخرين ما حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع إلى ما له اسم في البديع، على أن ينسى أنه يتكلم ليفهم، ويقول

= هذا والتزام ما لا يلزم قد يكون في الحرف والحركة معاً في الأمثلة المذكورة، وقد يكون في الحرف وحده؛ كقوله تعالى آية ١، ٢ القمر: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ^(٥)، وقد يكون في الحركة وحدها؛ كقول ابن الرومي:

لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بُكاءُ الطفل ساعة يولد
وإلا فما يبكيه منها وإنها لأوسع مما كان فيه وأرغد

(١) بأن يكون في الكلمات التي قبلها؛ كما في «اُشتار واختار» في قول الحريري.

(٢) ١٥ - أسرار البلاغة.

(٣) بأن يراعى فيها أولاً ما يقتضيه الحال ثم يأتي المحسن اللفظي بعد هذا فيتم به الحسن، وإنما ذكر هذا هنا مع أنه سبق في تعريف علم البديع؛ لينبه على غلط بعض المتأخرين فيه، ومثل المحسن اللفظي في هذا ما سبق من المحسن المعنوي، وإنما نبه عليه في الأول فقط؛ لأن الغلط في التعلق به أكثر من الثاني.

(٤) الضمير في «شياتها» خيل يصفها في قوله قبله:

وما الخيل إلا كالصديق قليلة وإن كثرت في عين من لا يجرب

والشيات: جمع شية وهي العلامة الظاهرة من لون ونحوه، يعنى أن حسنها ليس في صورتها وحدها، وأن حسنها الكامل في خصالها، وكذلك الألفاظ والمعاني التي ساق البيت من أجلها.

لِيُبَيِّنَ، وَيُخَيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ إِذَا جُمِعَ عِدَّةٌ مِنْ أَقْسَامِ الْبَدِيعِ فِي بَيْتٍ؛ فَلَا
ضَيْرَ أَنْ يَقَعَ مَا عَنَاهُ فِي عَمِيَاءٍ، وَأَنْ يُوقَعَ السَّامِعُ مِنْ طَلَبِهِ فِي خَبْطِ
عَشَوَاءٍ^(١).

* * *

(١) من ذلك تكلف الجناس في قول أبي تمام:

قَرَّتْ بَقْرَانُ عَيْنِ الدِّينِ وَانْشَتَرَتْ بِالْأَشْتَرِينَ عَيُونَ الشَّرْكِ فَاصْطَلَمَا
وَفَرَانُ: عِلْمٌ، وَالْأَشْتَرَانُ: تَنْثِيَةُ الْأَشْتَرِ عِلْمٍ أَيْضًا، وَقَوْلُهُ «انْشَتَرَتْ» مِطَاوَعٌ - شَتَرَ الْعَيْنُ:
قَلْبَ جَفْنِهَا، وَ«شَتَرَ الشَّيْءَ»: قَطَعَهُ، وَقَوْلُهُ «اصْطَلَمَ» بِمَعْنَى اسْتَوْصَلَ، وَالْبَيْتُ - مَعَ غَثَاةٍ
لَفْظُهُ وَسُوءُ تَجْنِيسِهِ - يُؤْخَذُ عَلَيْهِ أَنَّ انْشَتَارَ الْعَيْنِ لَا يُوجِبُ الْاصْطِلَامَ.

تمريعات على المحسنات اللفظية

تمرين - ١

بين نوع المحسن اللفظي ووجه حسنه فيما يأتي:

- | | |
|---|--|
| (١) سَلَسِلْ خَطوطك ما غَدَا مُتَسَلِّسِلَا | شَاطِي الجِمَامِ الزُّرْقِ بِالْأَغْصَانِ |
| واسَجِّعْ بشعرك ما غَدَا مُتَصَلِّصِلَا | شَادِي الْحَمَامِ الْوُرُقِ بِالْأَلْحَانِ |
| (٢) هَلَالٌ فِي إِضْءَاتِهِ حَيَاءٌ | شِهَابٌ فِي سَمَاحَتِهِ اتَّقَادُ |
| (٣) لم يَقْضِ من حَقِّكم بعضَ الذي يَجِبُ | قَلْبٌ مَتَى مَا جَرَى ذِكْرَاكُمْ يَجِبُ |
| (٤) أَسْكُرَنِي بِاللَفْظِ وَالْمُقْلَةِ الْـ | كَخَلَاءٍ وَالْوَجْنَةِ وَالْكَاسِ |
| سَاقٍ يُرِينِي قَلْبُهُ قَسْوَةً | وَكُلُّ سَاقٍ قَلْبُهُ قَاسِي |

تمرين - ٢

بين نوع الجناس في الأمثلة الآتية:

- | | |
|--|---|
| (١) تَحَمَّلْتُ خَوْفَ الْمَنِّ كُلَّ رَزِيئَةٍ | وَحَمَلْتُ رَزَايَا الدَّهْرِ أَحْلَى مِنَ الْمَنِّ |
| (٢) سِتْرُ الْمَحَبَةِ يَوْمَ الْبَيْنِ مُنْهَتِكُ | وَتَوْبُ صَبْرِي مِنَ الْأَشْوَاقِ مُتَّهَكُ |
| (٣) لَعَيْنِي كُلَّ يَوْمٍ أَلْفُ عَبْرَةٍ | تُصَيِّرُنِي لِأَهْلِ الشُّوقِ عَبْرَةٍ |
| (٤) كُنْ كَيْفَ شِئْتَ عَنِ الْهَوَى لَا أَنْتَهِي | حَتَّى تَعُودَ لِي الْحَيَاةُ وَأَنْتَ هِيَ |
| (٥) مِنْ بَحْرِ جُودِكَ أَغْتَرِفُ | وَبِفَيْضِ عِلْمِكَ أَعْتَرِفُ |
| (٦) عَطَفْتُ كَأَمْثَالِ الْقَسِيِّ حَوَاجِبَا | فَرَمْتُ غَدَاةَ الْبَيْنِ قَلْبًا وَاجِبَا |

تمرين - ٣

بين نوع المحسن اللفظي ووجه حسنه فيما يأتى :

- (١) تَمَنَّتْ سُلَيْمَى أَنْ أَمُوتَ صَبَابَةً وَأَهْوَنُ شَيْءٍ عِنْدَنَا مَا تَمَنَّتْ
 (٢) اسْلَمَ وَدُمْتَ عَلَى الْحَوَادِثِ مَا رَسَا رُكْنَا ثَبِيرٍ أَوْ هَضَابٍ حِرَاءٍ
 وَنُلِّ الْمِرَادَ مُمَكِّنًا مِنْهُ عَلَى رَغَمِ الدَّهْوَرِ وَفُزَ بِطُولِ بَقَاءِ
 (٣) ضَحَكْنَا وَكَانَ الضَّحْكُ مَنَا سَفَاهَةً وَحَقَّ لِسُكَّانِ الْبَسِيطَةِ أَنْ يَكُونُوا
 تُحَطَّمُنَا الْيَامُ حَتَّى كَأَنَّنَا زَجَاجٌ وَلَكِنْ لَا يُعَادُ لَنَا سَبْكُ

تمرين - ٤

لماذا حسن الجناس فى قول أبى الفتح؟

- نَاطِرَاهُ فِيمَا جَنَّتْ نَاطِرَاهُ أَوْ دَعَانِي أُمْتُ بِمَا أَوْدَعَانِي
 وَلَمْ يَحْسَنْ فِي قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :
 ذَهَبَتْ بِمَذْهَبِهِ السَّمَاحَةُ فَالْتَوَتْ فِيهِ الظُّنُونُ أَمْ ذَهَبَ أَمْ مُذْهَبُ

تمرين - ٥

بين نوع المحسن اللفظي فيما يأتى :

- (١) كَانَ الْمَدَامَ وَصُوبَ الْعِمَامِ وَرِيحَ الْخِزَامِي وَنَشَرَ الْقُطْرُ
 يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا إِذَا طَرَبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِرُّ
 (٢) فَحَنَ فِي جَدَلٍ، وَالرُّومَ فِي وَجَلٍ وَالْبَرُّ فِي شَغَلٍ، وَالْبَحْرَ فِي خَجَلٍ
 مُوفٍ عَلَى مُهَجٍّ، فِي يَوْمِ ذِي رَهَاجٍ كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ

خاتمة

فى فصلين يلحقان بالبديع

هذا ما تيسر بإذن الله تعالى جمعه وتحريره من أصول الفن الثالث، وبقيت أشياء يذكرها فيه بعض المصنّفين:

منها ما يتعين إهماله؛ لعدم دخوله فى فن البلاغة؛ نحو ما يرجع فى التحسين إلى الخط دون اللفظ، مع أنه لا يخلو من التكلف؛ ككون الكلمتين متماثلتين فى الخط، وكون الحروف منقوطة أو غير منقوطة. ونحو ما لا أثر له فى التحسين، كما يُسمّى «الترديد»^(١). أو لعدم جدواه؛ نحو ما يوجد فى كتب بعض المتأخرين مما هو داخل فيما ذكرناه، كما سماه: «الإيضاح»؛ فإنه فى الحقيقة راجع إلى الإطناب^(٢) أو خلط فيه، كما سماه: «حسن البيان»^(٣).

ومنها ما لا بأس بذكره لاشتماله على فائدة^(٤) وهو شيثان:

أحدهما: القول فى السرقات الشعرية وما يتصل بها.

والثانى: القول فى الابتداء والتخلص والانتها.

فَعَقَدْنَا فِيهِمَا فَصْلَيْنِ خَتَمْنَا بِهِمَا الْكِتَابَ . . .

(١) هو أن تعلق الكلمة بمعنى ثم تعلق بمعنى آخر فى مصراع أو مصراعين؛ كقول الشاعر:

هَوَيْنِنِي وَهَوَيْتُ الْغَانِيَاتِ
عَلِقَ «هَوَيْنِنِي وَهَوَيْتُ» بِالْغَانِيَاتِ. ومثاله فى المصراعين:

يُرِيكَ فِى الرُّوْعِ بَدْرًا لَاحَ فِى غَسَقٍ
فِى لَيْثٍ عَرِيْسَةٍ فِى صُورَةِ الرَّجُلِ
(٢) فيكون من علم المعانى لا من علم البديع.

(٣) هو كشف المعنى وإيصاله إلى النفس بسهولة، والخلط فيه أنه من البيان لا البديع.

(٤) هى بيان حسن الأخذ وقبحه فى السرقات الشعرية، وبيان مواضع حسن الابتداء والتخلص والانتها وقبحها، وقيل: إن هذا ليس من علوم البلاغة، وإنما يختم الكلام فيها به لاتصاله بها وتوقفه عليها، والحق أن براعة الاستهلال وحسن التخلص وبراعة المقطع من صميم البديع لا من لواحقه؛ فالأولى قصر ما يلحق بالبديع على السرقات الشعرية.

الفصل الأول

السركات الشعرية

اعلم أن اتفاق القائلين إن كان في الغرض على العموم^(١) - كالوصف بالشجاعة والسخاء والبلادة والذكاء - فلا يُعدُّ سرقةً ولا استعانةً ولا نحوهما؛ فإن هذه أمور متقررة في النفوس، متصورة للعقول، يشترك فيها الفصيح والأعجم، والشاعر والمفحم.

وإن كان في وجه الدلالة على الغرض^(٢) وينقسم إلى أقسام كثيرة: منها التشبيه بما توجدُ الصفة فيه^(٣) على الوجه البليغ كما سبق^(٤)، ومنها ذكر هيئات تدل على الصفة لاختصاصها بمن له الصفة؛ كوصف الرجل حال الحرب بالابتسام وسكون الجوارح وقلة الفكر؛ كقوله:

كَأَنَّ دَنَايِرًا عَلَى قَسَمَاتِهِمْ وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الْوُجُوهَ لِقَاءُ^(٥)
وكذا وصفُ الجواد بالتهلل عند ورود العفاة والارتياح لرؤيتهم، ووصف

(١) الغرض: هو المعنى المقصود، ومعنى كونه على العموم أنه يقصده كل الناس؛ فلا بد من أمرين: أن يكون الاتفاق في الغرض لا في الدلالة عليه، وأن يكون الغرض عاماً، فإذا كان الاتفاق في الدلالة فهو مما يمكن أن يدعى فيه السبق والزيادة كما سيأتي، وإن كان الاتفاق في غرض خاص فهو مما يمكن أن يدعى هذا فيه أيضاً.

(٢) جواب «إن» سيأتي في قوله «فإن كان مما يشترك الخ»، وما قبله اعتراض. ووجه الدلالة على الغرض هو طريقها من تشبيه أو حقيقة أو مجاز أو كناية.

(٣) الصفة: هي الغرض السابق.

(٤) أى في الكلام على التشبيه في الجزء الثالث.

(٥) هو لمحرز بن المكعبر الضبي، والقسمات: الوجوه. وقوله «شف» بمعنى غير؛ يعنى أن وجوههم تشرق في الحرب، على حين تتغير وجوه غيرهم فيها لهولها.

البخيل بالعبوس وقلة البشر، مع سعة ذات اليد ومساعدة الدهر.

فإن كان مما يشترك الناس في معرفته لاستقراره في العقول والعادات؛ كتشبيه الفتاة الحسنة الوجه بالشمس والبدر، والجوادر بالغيث والبحر، والسبليل البطيء بالحجر والحمار، والشجاع الماضي بالسيف والنار - فالاتفاق فيه كالاتفاق في عموم الغرض.

وإن كان مما لا يُنال إلا بفكر، ولا يصل إليه كل أحد^(١): فهذا الذي يجوز أن يدعى فيه الاختصاص والسبق، وأن يُقضى بين القائلين فيه بالتفاضل، وأن أحدهما فيه أفضل من الآخر، وأن الثاني زاد على الأول أن نقص عنه. وهو ضربان:

أحدهما ما كان في أصله خاصياً غريباً، والثاني ما كان في أصله عاماً مُبتدلاً، لكن تُصرّف فيه بما أخرجه من كونه ظاهراً ساذجاً إلى خلاف ذلك^(٢)، وقد سبق ذكر أمثلتهما في التشبيه والاستعارة^(٣).

إذا عرفتَ هذا فنقول:

الأخذ والسرقة نوعان: ظاهر، وغير ظاهر.

أقسام السرقة الظاهرة: النسخ والانتحال:

أما الظاهر فهو أن يؤخذ المعنى كله؛ إما مع اللفظ كله، أو بعضه^(٤)، وإما وحده؛ فإن كان المأخوذ اللفظ كله من غير تغيير لنظمه فهو مذموم؛ لأنه سرقة محضة، ويسمى نسخاً وانتحالاً؛ كما حكى أن عبد الله بن الزبير دخل على معاوية، فأنشده:

(١) بأن كان مجازاً مخصوصاً أو كناية أو تشبيهاً على وجه لطيف.

(٢) فإذا لم يتصرف فيه بذلك لم يجر أن يدعى فيه سبق والزيادة كالاتفاق في عموم الغرض.

(٣) عند الكلام عليهما في الجزء الثالث.

(٤) مثل أخذ اللفظ مرادفه كما سيأتي.

إذا أنت لم تُنْصِفْ أخاك وجدتهُ على طَرْفِ الهِجْرانِ إن كان يَعْقِلُ^(١)
ويركبُ حَدَّ السيفِ مَنْ أَنْ تُضَيِّمَهُ إذا لم يكن عن شَفْرَةِ السيفِ مَرْحَلُ^(٢)
فقال له معاوية «لقد شَعَرْتَ بعدى يا أبا بكر». ولم يفارق عبدالله المجلس
حتى دخل مَعْنُ بن أَوْسِ الْمُزَنِيِّ، فأنشد كلمته التي أولها:
لَعَمْرُكَ ما أدرى وإنى لأَوْجَلُ عَلَى أَيَّنا تَغْدُو المنيَّةُ أوَّلُ^(٣)
حتى أتى عليها، وفيها ما أنشده عبدالله، فأقبل معاوية على عبدالله وقال له:
«ألم تخبرنى أنهما لك؟!» فقال: «المعنى لى واللفظ له، وبعدُ فهو أخى من
الرضاعة، وأنا أحقُّ بشعره»^(٤).

وقد رَوَى لأوس ولزهير فى قصيدتيهما^(٥) هذا البيت:

إذا أنت لم تُعْرِضْ عن الجهل والخنا أصبتَ حليماً أو أصابك جاهلُ^(٦)

(١) قوله «لم تنصف» بمعنى لم تعدل معه وتوفه حقه، وطرف الهجران: جانبه، والإضافة بيانة.

(٢) المراد بحد السيف: ما يتحملة من الشدائد على سبيل الاستعارة، و«من» فى قوله «من أن تضيمه» للبدل أو للتعليل، والضيم: الظلم، وشفرة السيف: حده، والمراد به ما يتحملة من الشدائد أيضاً، والمزحل: المبعد.

(٣) لعمرك: قسم وهو مبتدأ وخبره محذوف تقديره قسمى، وأوجل: أفعال تفضيل من الوجل وهو الخوف، وقوله «تغدو» بمعنى تصبح، أو بالعين المهملة من العدو، والجار والمجرور متعلق بأدرى، وما قبله اعتراض.

(٤) هذا اعتذار بارد وإن تطرّف فيه.

(٥) يعنى قصيدة أوس بن حجر التى مطلعها:

أيا راكباً إمّا عرضتَ فبلّغن
وقصيدة زهير بن أبى سلمى التى مطلعها:

لسلمى يشرقى القنان منازلُ
ورمم بصحراء اللبّيين حائلُ

(٦) قوله «لم تعرض» بمعنى لم تنصرف، والخنا: الفحش، والحليم: العاقل، والمراد «أصبت حليماً بجهلك أو أصابك جاهل بجهله».

وقد روى للأبيرد الأيربوعى:

فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الشَّاءِ بِمَالِهِ إِذَا السَّئَةُ الشَّهَاءُ أَعَوَّزَهَا الْقَطْرُ^(١)

ولأبى نواس:

فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الشَّاءِ بِمَالِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ^(٢)

وقد روى لبعض المتقدمين يمدح معبدًا:

أَجَادَ طُوَيْسٌ وَالسُّرَيْجِيُّ بَعْدَهُ وَمَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لِمَعْبِدِ^(٣)

ولأبى تمام:

مَحَاسِنُ أَصْنَافِ الْمُغَنِّينَ جَمَّةٌ وَمَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لِمَعْبِدِ^(٤)

وحكى صاحب الأغاني فى أصوات معبد:

لَهْفَى عَلَى فَتْيَةٍ ذَلَّ الزَّمَانُ لَهُمْ فَمَا يُصِيبُهُمْ إِلَّا بِمَا شَاءُوا^(٥)

(١) هو للأبيرد بن قيس بن المعذر من مرثية له فى أخيه مطلعها:

تَطَاوَلَ لَيْلَى لَمْ أَمْنَهُ تَقْلَبًا كَأَنَّ فَرَأَشَى حَالَ مِنْ دُونِهِ الْجَمْرُ
والشهباء: المجذبة، وقوله «أعوزها القطر» بمعنى احتاجت إليه. والقطر: المطر، وهذا كناية
عن انقطاعه فيها.

(٢) هو من قصيدة للحسن بن هانى المعروف بأبى نواس فى مدح الخصيب. والدائرات:

الدواهى، وقوله «تدور» بمعنى تتقلب ويداولها الله بين الناس، وقبل البيت:

إِذَا لَمْ تَزُرْ أَرْضَ الْخَصِيبِ رَكَابُنَا فَأَيُّ فَتَى بَعْدَ الْخَصِيبِ تَزُورُ

(٣) لا يعرف قائله، وطويس: لقب عيسى بن عبد الله، وقد غنى فى عهد عثمان بن عفان،

والسريجي: لقب عبيد الله بن سريج، وقد أخذ الغناء عن طويس، ومعبد بن وهب غنى فى

أول دولة بنى أمية، وقصبات السبق: هى التى تنصب فى حلبة السباق فمن سبق اقتلعه

وأخذها ليعرف أنه السابق، ويقال هذا فى الكناية عن الفوز والغلبة.

(٤) هو من قصيدة له فى مدح خالد بن يزيد الشيباني. وقبله:

فَمَهْمَا تَكُنْ مِنْ وَقْعَةٍ بَعْدُ لَا تَكُنْ سِوَى حَيْنٍ مِمَّا فَعَلْتَ مَرَدَدَ

(٥) لا يعرف قائله. واللهف التحسر، وقوله «ذل» بمعنى خضع، ورواية الأغاني «فما أصابهم».

وقد غناه معبد الوليد بن يزيد، وبعده:

وفى شعر أبى نواس:

دَارَتْ عَلَى فَتِيَةٍ ذَلَّ الزَّمَانُ لَهُمْ فَمَا يُصِيبُهُمْ إِلَّا بِمَا شَاءُوا^(١)

وفى هذا المعنى ما كان التغيير فيه بإبدال كلمة أو أكثر بما يرادفها^(٢)؛ كقول امرئ القيس:

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيَّهِمْ يقولون: لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ^(٣)

وقول طرفة:

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيَّهِمْ يقولون: لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَلَّدِ^(٤)

وكقول العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه:

= مازال يعدو عليهم رب دهرهم حتى تفانوا ورب الدهر عدا
أبكى فراقهم عيني وأرقها إن التفريق للأحباب بكاء

(١) هو من خمرة للحسن بن هانئ المعروف بأبى نواس، مطلعها:

دَعَّ عَنْكَ لَوْمِي فَإِن اللُّومَ إِغْرَاءُ ودأوني بالتى كانت هى الداء
والضمير فى قوله «دارت» للخمر، وقد كان المعنى فى البيت الأول يراد به التحسر والتحزن، فجعله أبو نواس فى موضع سرور ومجلس شرب خمر.

(٢) مثله ما كان التغيير فيه بالضد مع رعاية النظم والترتيب؛ كقول بعضهم فى الهجاء:

سودُ الوجوه لثيمةُ أحسابهم فطسُ الأنوفِ من الطراز الآخر
فلم يفعل سوى أن غير ألفاظ بيت حسن فى مدح آل جفنة:

بيضُ الوجوه كريمةُ أحسابهم شمُ الأنوفِ من الطراز الأول
وإنما يُدْم التغيير بالمرادف أو بالمضاد إذا لم يكن فيه فائدة من حسن سجع أو موازنة أو زيادة فصاحة أو سلامة للشعر.

(٣) قوله «وقوفا» مصدر أو جمع واقف حال من فاعل «نبك» فى قوله قبله:

قفنا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
ومطيههم: مفعول به لوقوفاً لأنه متعد من الوقوف بمعنى الحبس لا من الوقوف. وقوله «على» بمعنى لأجل، والأسى: شدة الحزن، وقوله «وتحمل» بالحاء أو بالجيم من التحمل وهو الصبر الجميل.

(٤) هو لطرفة بن العبد، وقوله «وتجلد» أمر من تجلد بمعنى تكلف الجلد وصبر. وقوله:

لخولة أطلال ببرقة نهمد تلوح كبقاى الوشم فى ظاهر اليد

وما الناسُ بالناسِ الذين عَهِدَتْهُمُ ولا الدارُ بالدارِ التي كُنتَ تَعْلَمُ^(١)
وقول الفرزدق:

وما الناسُ بالناسِ الذين عَهِدَتْهُمُ ولا الدارُ بالدارِ التي كُنتَ تَعْرِفُ
وكقول حاتم:

وَمَنْ يَتَدَبَّعُ ما لَيْسَ مِنْ خِيَمِ نَفْسِهِ يَدَعُهُ وَيَغْلِبُهُ عَلَى النَفْسِ خِيَمُهَا^(٢)
وقول الأعور:

وَمَنْ يَقْتَرِفُ خُلُقاً سِوَى خُلُقِ نَفْسِهِ يَدَعُهُ وَيَغْلِبُهُ عَلَى النَفْسِ خِيَمُهَا^(٣)
* الإغارة أو المسخ:

وإن كان^(٤) مع تغييرٍ لنظمه، أو كان المأخوذ بعض اللفظ؛ سُمي إغارةً ومسحاً.

١ - فإن كان الثاني أبلغ من الأول لاختصاصه بفضيلة، كحسن السبك^(٥)، أو الاختصار، أو الإيضاح، أو زيادة معنى: فهو ممدوح مقبول، كقول بشار:

مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكُ اللَّهْجُ^(٦)
وقول سلم الخاسر:

مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورُ^(٧)

(١) المراد بالناس ناس معهودون له، قال فيه للعهد، وقوله «عهدتهم» خطاب على الالتفات بمعنى عرفتهم، وآل في الدار للعهد أيضاً.

(٢) هو لحاتم الطائي، وقيل: إنه لمالك السلمي، وقوله «يتدع» بمعنى يخترع، والخيم: السجية، وقوله «يدعه» بمعنى يتركه.

(٣) هو لبشر بن منقذ المعروف بالأعور الشني، وقوله «يقترف» بمعنى يكتسب، والخلق: السجية. (٤) أى أخذ اللفظ كله.

(٥) بالخلو من التعقيد اللفظي والمعنوي ونحوهما.

(٦) هو لبشار بن برد. وقوله «راقب» بمعنى حاذر وخاف. والفاتك: الشجاع القتال، واللهج: الملازم لمطلوبه الحرص عليه من غير مبالاة.

(٧) هو لسلم بن عمرو المعروف بسلم الخاسر. والجسور: الجري.

فبيت سلم أجود سبكا وأخصر^(١). وكقول الآخر:
 خَلَقْنَا لَهُمْ فِي كُلِّ عَيْنٍ وَحَاجِبٍ بِسُمرِ القَنَا وَالْبِيضِ عَيْنًا وَحَاجِبًا^(٢)
 وقول ابن نباتة بعده:
 خَلَقْنَا بِأَطْرَافِ القَنَا فِي ظُهُورِهِمْ عِيُونًا لَهَا وَقَعُ السُّيُوفِ حَوَاجِبُ^(٣)
 فبيت ابن نباتة أبلغ؛ لاختصاصه بزيادة معنى؛ وهو الإشارة إلى انهزامهم^(٤).
 ومن الناس من جعلهما متساويين^(٥).
 وإن كان الثاني دون الأول في البلاغة فهو مذموم مردود؛ كقول أبي تمام:
 هِيَهَاتَ لَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ إِنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلٌ^(٦)
 وقول أبي الطيب:

-
- (١) أما الاختصار فظاهر، وأما أنه أجود سبكا؛ فلأن الفتك في بيت بشار زائد على المقصود لتطلبه الجراءة فقط.
- (٢) نسبة الخفاجي في «ريحانة الألبا» لأبي إسحاق إبراهيم الغزي، وجعله متابعاً فيه لابن نباتة على عكس ما سيجئ بعده في «الإيضاح». وقوله: «خَلَقْنَا: بمعنى أوجدنا، والقنا: واحدة قناة وهي الرمح، والبيض: السيوف، وقد جعل أثر الرمح عيناً لاستدارته، وأثر السيوف فوقه حاجباً لاستطالته على سبيل الاستعارة.
- (٣) هو لعبد العزيز بن عمر المعروف بابن نباتة السعدي. وتقدير الشطر الثاني: عيوناً وقع السيوف حواجب لها، والمراد أثر وقعها، وبعد البيت:
 لَقُوا نَبْلَنَا مُرْدَ العَوَارِضِ وَانْتَبَهَوْا لِأَوَجْهِهِمْ مِنْهَا لَحَى وَشَوَارِبُ
- (٤) لأنه جعل ذلك في ظهورهم، وهذا إلى إرجاعه العيون للرمح والحواجب للسيوف، وإجمال هذا في البيت الأول، وقد يجاب عن هذا بأن الإجمال من مقاصد البلاغة.
- (٥) لأن بيت ابن نباتة إذا أشار إلى انهزامهم فالبيت الأول يشير إلى أنهم شجعان يعظم الفخر بالانتصار عليهم.
- (٦) «هيهات» اسم فعل ماض بمعنى «بعد»، وفاعله محذوف تقديره «بعد إتيان الزمان بمثله» بدليل ما بعده، أو «بعد نسياني له» بدليل قوله قبله:
- أُنْسَى أَبَا نَصْرٍ نَسِيْتُ إِذْ نِيْدِي مِنْ حَيْثُ يَنْتَصِرُ الْفَتَى وَيُنِيلُ

أَعْدَى الزمان سخاؤه فسخا به ولقد يكون به الزمان بخيلا^(١)
 فإن مصراع أبي تام أحسن سبكا من مصراع أبي الطيب؛ لأن أبا الطيب أراد
 أن يقول: كان الزمان به بخيلا، فعدل عن الماضي إلى المضارع للوزن، فإن
 قلت: المعنى أن الزمان لا يسمح بهلاكه^(٢) قلت: السخاء بالشئ هو بذله للغير،
 فإذا كان الزمان قد سخا به؛ فقد بذله، فلم يبق في تصريفه حتى يسمح بهلاكه
 أو يبخل به^(٣).

وإن كان مثله فالخطب فيه أهون، وصاحب الثاني أبعد من المذمة، والفضل
 لصاحب الأول؛ كقول بشار:

يا قوم أذني لبعض الحى عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا^(٤)
 وقول ابن الشحنة الموصلي:

وإني امرؤ أحببتكم لمكارم سمعت بها والأذن كالعين تعشق^(٥)
 وكذا قول القاضي الأرجاني:

لم يئكني إلا حديث فراقكم لمأسر به إلى مودعي
 هو ذلك الدر الذي أودعتم في مسمعي ألقيته من مدمعي^(٦)

(١) هو من قصيدة له في مدح بدر بن عمار؛ قوله «أعدى» فعل ماض من الإعداد وهو تجاوز
 الشئ من صاحبه إلى غيره، والسخاء: الجود، يعنى أن الزمان كان بخيلا به عليه فلما أعداه
 سخاؤه جاد عليه به فأسعده بصحبته.

(٢) فيكون المضارع في موضعه.

(٣) لا يخفى أن جود الزمان به لا يُخرجه عن تصرفه؛ للفرق في هذا بين الجود به والجود بالمال.

(٤) هو لبشار بن برد. وبعض الحى: كناية عن محبوبته، وإنما أسند العشق إلى أذنه لأنه كان
 أعمى، والنفس قد تعشق بالسمع قبل الرؤية، بأن يسبق وصف ما يعشق رؤيته.

(٥) هو لعمر بن محمد المعروف بابن الشحنة الموصلي، والشاهد في قوله: «والأذن كالعين
 تعشق» لأنه مأخوذ من قول بشار، ولكنه مثله في حسن السبك ونحوه.

(٦) هما لأحمد بن محمد المعروف بالقاضي الأرجاني، والمراد بمودعه من حدثوه بفراقهم على
 الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، والدر: اللؤلؤ استعاره لحديثهم، وأخبر به عن ضميره، ثم
 استعاره لدمعه.

وقولُ جَارِ اللَّهِ :

وقائلة: ما هذه الدررُ التي تساقطُها عيناكِ سَمَطَيْنِ سَمَطَيْنِ
فقلت: هو الدرُّ الذي قد حشا به أبو مضرٍ أذني تساقطَ من عيني^(١)
وكقول أبي تمام:

لَوْ حَارَ مُرْتَادُ الْمَنِيَةِ لَمْ يَجِدْ إِلَّا الْفِرَاقَ عَلَى الْنفُوسِ دَكِيلًا^(٢)
وقول أبي الطيب:

لَوْ لَا مُفَارَقَةُ الْأَحْبَابِ مَا وَجَدَتْ لَهَا الْمَنَايَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلًا^(٣)
واعلم أن من هذا الضرب^(٤) ما هو قبيح جداً، وهو ما يدل على السرقة
باتفاق الوزن والقافية أيضاً؛ كقول أبي تمام:

مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي وَإِنْ قَلَقْتُ رَكَابِي فِي الْبِلَادِ^(٥)
وَلَا سَافَرْتُ فِي الْآفَاقِ إِلَّا وَمِنْ جَدْوَاكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي^(٦)

(١) هما لمحمود بن عمر الزمخشري المعروف بجار الله، والسمط: هو الخيط ما دام الخرز أو اللؤلؤ منتظماً فيه، وأبو مضر: هو محمود بن جرير الضبي أستاذ الزمخشري. والبيتان من قصيدة له في رثائه، وقد ذكر ابن خلكان أن اسمه منصور، وهو خطأ.
(٢) قوله «حار» بمعنى ضلّ في التوصل إلى مراده، والمرتاد: الطالب، والدليل: الطريق منصوب على أنه مفعول أول ليجد، والمفعول الثاني محذوف تقديره له، يعني أنه لا يجد له ذليلاً على النفوس إلا الفراق.

(٣) قوله «لها» جار ومجرور مفعول ثان لوجدت، وسبلاً: مفعول أول، ويجوز أن يكون «لها» اسم جنس بمعنى واحدة لهاة فيكون فاعل «وجدت»: «المنايا» مضاف إليه، واللهاة: اللحمة المطبقة في أقصى سقف الحلق، والمراد بها الفم من إطلاق اسم الجزء على الكل، وقد أثبتتها للمنايا على سبيل التخييل.

(٤) هو ما كان الثاني فيه مثل الأول.

(٥) الخطاب لممدوحه أحمد بن أبي دؤاد. الأمانى: جمع أمنية وهي البغية، وقوله «قلقت» بمعنى اضطربت في السفر، والركاب: الإبل، يعني أن فكره لا يتجه إلا إليه.

(٦) الآفاق: النواحي جمع أفق، والجدوى: العطية، والراحلة: القوى من الإبل على الأحمال والأسفار.

وقول أبي الطيب:

وَإِنِّي عَنْكَ بَعْدَ غَدٍ لَّغَادِي وَقَلْبِي عَنْ فَنَائِكَ غَيْرُ غَادِي^(١)
مُحِبُّكَ حَيْثُمَا اتَّجَهْتَ رَكَابِي وَضَيْفُكَ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الْبِلَادِ

* الإمام أو السلخ:

وإن كان المأخوذ المعنى وحده سُمي إماماً وسلخاً، وهو ثلاثة أقسام كذلك^(٢):

أولها كقول البحتري:

تَصُدُّ حَيَاءً أَنْ تَرَكَ بِأَوْجِهِ أَتَى الذَّنْبَ عَاصِيهَا فَلَيْمَ مُطِيعُهَا^(٣)
وقول أبي الطيب:

وَجُرْمُ جَرَّةٍ سُفْهَاءُ قَوْمٍ وَحَلَّ بَغِيرٍ جَارِمِهِ الْعَذَابُ^(٤)

فإن بيت أبي الطيب أحسن سبكاً^(٥) وكأنه اقتبس^(٦) من قوله تعالى: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفْهَاءُ مِنَّا﴾ [الأعراف: ١٥٥]. وقول الآخر:

ولست بنظَّارٍ إِلَى جَانِبِ الْغِنَى إِذَا كَانَتْ الْعِلْيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ^(٧)

(١) الخطاب لممدوحه على بن إبراهيم التنوخي. والغادي: المسافر في الغداة وهي أول النهار، والفناء: الساحة أمام البيت.

(٢) أي كالإغارة والمسخ، وهي أن يكون الثاني أبلغ من الأول أو دونه أو مثله.

(٣) هو من قصيدة له يمدح فيها المتوكل ويذكر صلح بني تغلب، وقوله «تصد» بمعنى تصرف وفاعله ضمير مستتر جوازاً يعود على تغلب، وقوله «حياء» مفعول لأجله، والخطاب في

«تراك» للمتوكل، وقوله «لیم» فعل مبني للمجهول من اللوم وهو العذل.

(٤) الجرم: الذنب وهو معطوف على قوله قبله:

وَكَمْ ذَنْبٌ مُـ_____وَلَدُهُ دَلَالٌ وَكَمْ بُعِدَ مَوْلَدُهُ اقْتِرَابٌ
وقوله «جره» بمعنى ارتكبه، والجارم: الكاسب.

(٥) لأنه وصف مرتكب الجرم بالسفاهة، ولم يصف من أُوخذ به بالطاعة المنافية للمواخاة، وإنما يؤاخذ غير السفهاء بفعلهم لأنه لم يمنعه منهم.

(٦) وإنما لم يكن اقتباساً صرفاً للاختلاف بينهما.

(٧) سبق هو وبيت أبي تمام في الكلام على الإيجاز والإطناب والمساواة من الجزء الثاني.

وقول أبي تمام بعده:

يصدُّ عن الدنيا إذا عنَّ سُودُّ
ولو برزت في زى عذراء ناهد
فبيت أبي تمام أخصر وأبلغ؛ لأن قوله «ولو برزت في زى عذراء ناهد» زيادة
حسنة^(١). وكقول أبي تمام:

هو الصنع إن يعجل فخير وإن يرث فللريث في بعض المواضع أنفع^(٢)
وقول أبي الطيب:

ومن الخير بطء سيبك عنى أسرع السحب في المسير الجهم^(٣)
فبيت أبي الطيب أبلغ لاشتماله على زيادة بيان^(٤).

وثانيها كقول بعض الأعراب:

وريحها أطيب من طيبها والطيب فيه المسك والعنبر^(٥)
وقول بشار:

(١) هذا علة لكونه أخصر وأبلغ؛ لأن كون ذلك زيادة يشير إلى أن الشطر الأول من بيت أبي تمام يفيد ما أفاده البيت الأولى بشطريه فيكون أخصر، وأما كونه أبلغ فل هذه الزيادة، ولقوله «عن الدنيا» بدل قول الأول: «ولست بنظر إلى جانب الغنى» لأن الصد عن الدنيا أبلغ من عدم النظر إليها.

(٢) «هو» ضمير الشأن، والصنع: بمعنى الإحسان مبتدأ خبره جملة الشرط، وجملة ذلك خبر ضمير الشأن، ويجوز أن يكون «هو» عائداً إلى حاضر في الذهن، والصنع خبره، والشرط استثناء، وقوله «يرث» بمعنى يبطئ. والبيت من قصيدة له في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف.

(٣) هو من قصيدة له في مدح علي بن أحمد الخراساني. والسيب: العطاء، والجهم: السحاب الذي لا ماء فيه أو الذي هراق ماءه.

(٤) وجهه أنه ضرب المثل بالسحاب، فكأنه دعوى بدليلها، بخلاف ما قبله.

(٥) لا يعرف قائله، ويعنى بقوله «وريحها» ريح فمها أو نحوه، والواو في قوله «والطيب» للحال.

وَإِذَا أَدْنَيْتَ مِنْهَا بَصَلاً غَلَبَ الْمِسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصْلِ^(١)

وقول أشجع:

وَعَلَى عَدُوِّكَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصَدَانِ: ضَوْءُ الصَّبْحِ وَالْإِظْلَامُ

فَإِذَا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ وَإِذَا هَدَا سَلَّتْ عَلَيْهِ سَيُوفُكَ الْأَحْلَامُ^(٢)

وقول أبي الطيب:

يَرَى فِي النُّومِ رُمُحَكَ فِي كُلاهُ وَيَخْشَى أَنْ يَرَاهُ فِي السُّهَادِ^(٣)

فَقَصَّرَ بِذِكْرِ «السهاد» لأنه أراد اليقظة ليطابق بها النوم فأخطأ؛ إذ ليس كل يقظة سهاداً، وإنما السهاد امتناع الكرى في الليل، وأما المستيقظ بالنهار فلا يسمى ساهداً. وكقول البحتري:

وَإِذَا تَأَلَّقَ فِي النَّدَى كَلَامُهُ الْمَصْدُ قَوْلُ خِلْتِ لِسَانَهُ مِنْ عَضْبِهِ^(٤)

وقول أبي الطيب:

(١) هو ليشار بن برد، وإنما كان هذا دون ما قبله لأنه جعل الفضل في الغلب على ريح البصل للمسك، لا لرائحتها، وهذا إلى ما فيه من قبح إدناء البصل منها. وقبل البيت:

إِنَّمَا عَظُمَ سَلِيمِي حَبَّتِي فَصَبُّ السُّكَّرِ لَا عَظُمَ الْجَمَلُ

وهذا من شعره الضعيف.

(٢) هما لأشجع بن عمرو السلمي في مدح هارون الرشيد، ورصدان: رقيان، وقوله «تنبه»

بمعنى تيقظ من نومه، وقوله «رعته» بمعنى أفزعته. وقوله «هدا» مخفف (هدأ) بمعنى نام،

وقوله «سلت» بمعنى شهرت، وفي البيت الأول توشيع، وفي الثاني لف ونشر مرتب.

(٣) هو من قصيدة له في مدح علي بن إبراهيم التنوخي، وضمير «يرى» للجبان في قوله قبله:

وَكَيْفَ يَبِيتُ مُضْطَجِعًا جَبَانٌ فَرَشْتَ لَجْنَبَهُ شَوْكَ الْقِتَادِ

والكلية أو الكلوة: حمة متبصرة لازقة بعظم الصلب عند الخاصرة.

(٤) هو من قصيدة له في مدح الحسن بن وهب. وقوله «تألق» بمعنى لمع، وإثباته لكلامه تخيل،

والندى: مجلس أشراف القوم، المصقول: المجلول وهو ترشيح لاستعارة السيف لكلامه،

والعضب: السيف القاطع. ولا يخفى ما في التصريح بالتشبيه بعد الاستعارة من القبح.

كَانَ أَلْسُنُهُمْ فِي النُّطْقِ قَدْ جُعِلَتْ عَلَى رِمَاحِهِمْ فِي الطَّعْنِ خُرْصَانًا^(١)
فإن أبا الطيب فاته ما أفاده البحترى بلفظي «تألق» و«المصقول» من الاستعارة
التخييلية^(٢). وكقول الخنساء:

وما بلغ المهْدُون للناس مِدْحَةً وإنْ أَطْنَبُوا إِلَّا وما فيك أَفْضَلُ^(٣)
وقول أشجع:

وما ترك المَدَّاحُ فيكَ مَقَالَةً ولا قال-إِلَّا دُونَ ما فيكَ- قائل^(٤)
فإن بيت الخنساء أحسن من بيت أشجع؛ لما في مصراعه الثاني من التعقيد،
إذ تقديره: ولا قال قائل إلا دون ما فيك^(٥).

وثالثها كقول الأعرابي:

ولم يَكْ أَكْثَرَ الْفِثْيَانِ مَالاً ولكنْ كانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعاً^(٦)
وقول أشجع:

(١) الخرصان: جمع خرص وهو سنان الرمح أو الرمح نفسه، والمراد هنا الأول؛ يعني أن ألسنتهم
عند النطق في المضاء تشبه أسنة رماحهم عند الطعن، وضمير «السنتهم» يعود إلى بني الحسن
قوم ممدوحه سعيد بن عبدالله في قوله قبل البيت:

جَزَى بَنِي الْحَسَنِ الْحَسَنَى فَمِنْهُمْ فِي قَوْمِهِمْ مِثْلُهُمْ فِي الْغُرِّ عِدْنَانَا

(٢) الحق أن «تألق» تخييل، وأن «المصقول» ترشيح كما سبق.

(٣) هو لتماضر بنت عمرو بن الشريد المعروفة بالخنساء، وقولها «مدحة» مفعول «المهدون»،
ومفعول «بلغ» هو المستثنى منه المحذوف أي: حالاً من الأحوال.

(٤) هو لأشجع بن عمرو السلمي. ومعناه أن مداحه لم يتركوا مقالة في مدحه، ومع هذا لم
يلغوا ما يستحقه.

(٥) لا يخفى أن هذا لا يعد تعقيداً؛ لأنه لا يحصل بمثل تقديم المستثنى وحده، والمستثنى منه
محذوف، والتقدير «ولا قال قائل قولاً إلا قولاً دون ما فيك».

(٦) هو لأبي زياد بن الحر الأعرابي في مدح العباس بن محمد، وقيل: إنه لموسى شهورات
في عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وقوله «أرحبهم ذراعاً» بمعنى أوسعهم، وهو كناية عن
سخائه.

وليس بأوسعهم فى الغنى ولكن معروفه أوسع^(١)
وكذل قول بكر بن النطّاح:

كانك عند الكرّ فى حومة الوغى
تفرّ من الصفّ الذى من ورائك^(٢)
وقول أبى الطيب:

فكانه والطعن من قدامه
متخوف من خلفه أن يطعنا^(٣)
وكذا قول الآخر يذكر ابناً له مات:

والصبر يُحمد فى المواطن كلّها
وقول أبى تمام بعده:

وقد كان يدعى لابس الصبر حازماً
فأصبح يدعى حازماً حين يجزع^(٥)
* أقسام السرقة غير الظاهرة:

وأما غير الظاهر؛ فمنه أن يتشابه معنى الأول ومعنى الثانى^(٦)؛ كقول الطرمّاح
بن حكيم الطائى:

(١) هو لأشجع بن عمرو السلمى، واسم «ليس» على جعفر بن يحيى فى قوله: يروم الملوك
مدى جعفر ولا يصنعون كما يصنع.

وقيل: إن بيت الأعرابى أجود لدلالته على السخاء بطريق الكناية وهى أبلغ من الحقيقة.
(٢) الكر: الحمل على العدو فى الحرب، وحومة الشىء: معظمه، والوغى: الحرب، والمراد أنه
فى سرعة حمله مثل الفارّ من ذلك الصف.

(٣) هو من قصيدة له فى مدح بدر بن عمار، وقبله:
نيطت حمائله بعاتق محارب ما كرقط وهل يكر وما انثنى
والواو فى قوله «والطعن» للحال، وقوله «من خلفه» متعلق بقوله «يطعن» يعنى أنه لشدة
إقدامه لا يلتفت خلفه.

(٤) هو لمحمد بن عبيدة الله المعروف بالعتبى فى رثاء ابن له. والمواطن: جمع موطن وهو
الموضع، وقوله «إلا عليك» تقديره إلا فى موطن يصبر فيه عليك.

(٥) الحازم: من يضع الأمور فى مواضعها، وقد جعل من يجزع على من يرثيه حازماً لأنه وضع
جزعه فى موضعه، وفى قوله «لابس الصبر» استعارة بالكناية.

(٦) قيده بعضهم بأن يكون من غير نقل للمعنى إلى محل آخر، وبهذا يباين القسم الذى بعده،
ولكن الظاهر مما سيأتى أن الخطيب لا يقيده بهذا القيد، فيكون أعم مما بعده.

لقد زادنى حباً لنفسي أننى بغيضٌ إلى كلِّ امرئٍ غير طائل^(١)
وقول أبي الطيب:

وإذا أتتكَ مَذْمَتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ^(٢)
فإنَّ ذمَّ الناقصِ أبا الطيبِ كبغضٍ مَنْ هو غير طائل الطرماح، وشهادة ذمِّ
الناقصِ أبا الطيبِ كزيادة حبِّ الطرماح لنفسه.

وكذلك قول أبي العلاء المعري في مريثة:
وما كُلفَةُ البدرِ المنيّرِ قَدِيمَةٌ وَلَكِنَّهَا فِي وَجْهِهِ أَثَرُ اللَّطَمِ^(٣)
وقول القيسراني:

وَأَهْوَى الَّذِي أَهْوَى لَهُ الْبَدْرُ سَاجِداً أَلَسْتُ تَرَى فِي وَجْهِهِ أَثَرَ التُّرْبِ^(٤)
وأوضح من ذلك قول جرير:

فَلَا يَمْنَعُكَ مِنْ أَرْبٍ لِحَاهُمْ سَوَاءٌ ذُو الْعِمَامَةِ وَالْخِمَارِ^(٥)

(١) البغيض: المكروه، وغير الطائل: الذي لا فائدة فيه.

(٢) مذمتي: من إضافة المصدر لمفعوله، وقد أورده قبله أبو تمام ومروان بن أبي حفصة في قولهما:

لقد آسفَ الأعداءَ فضلُ ابنِ يوسف وذو النقص في الدنيا بذى الفضلِ مَوْعٌ
ما ضرّني حسدُ اللئامِ ولم يزلْ ذو الفضلِ يحسده ذوو التقصير

(٣) هو لأحمد بن عبدالله المعروف بأبي العلاء المعري في رثاء أبي إبراهيم العلوي. والكلفة: حمرة يخالطها سواد، يعني أن كلفة البدر من لطمه خده على من يرثيه لحزنه عليه. ورواية الديوان «أثر اللدم» واللدم: ضرب المرأة وجهها باليد كاللطم، ويقال أيضاً: لدمت النائحة صدرها وعضديها.

(٤) هو لأبي عبدالله محمد بن نصر المعروف بابن القيسراني نسبة إلى قيسرية. وقوله «أهوى» مضارع بمعنى أحب، وقد أعاده ثانياً بمعنى سقط، وهو من الجناس التام، والترب: التراب، والمراد بأثره في وجه البدر: كلفته، والمراد بوجهه: ما يبدو لنا منه.

والشاهد في الشطر الثاني من هذا البيت مع الشطر الثاني من البيت الأول.

(٥) قبله:

وقول أبي الطيب:

وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاةٌ كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خَضَابٌ^(١)

ولا يغرك من البيتين المتشابهين أن يكون أحدهما نسيباً والآخر مديحاً أو هجاء أو افتخاراً أو غير ذلك^(٢)؛ فإن الشاعر الحاذق إذا عمد إلى المعنى المُخْتَلَسَ لينظمه تحيلاً في إخفائه، فغَيَّرَ لفظه وعدل به عن نوعه ووزنه وقافيته.

* ومنه النقل: وهو أن ينقل معنى الأول إلى غير محله؛ كقول البحترى:

سَلَبُوا وَأَشْرَقَتِ الدَّمَاءُ عَلَيْهِمْ مُحْمَرَةً فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسَلَبُوا^(٣)

نقله أبو الطيب إلى السيف فقال:

يَسَّ النَّجِيعُ عَلَيْهِ وَهُوَ مُجَرَّدٌ مِنْ غِمْدِهِ فَكَأَنَّمَا هُوَ مُغْمَدٌ^(٤)

* المبالغة: ومنه: أن يكون معنى الثاني أشمل من معنى الأول؛ كقول جرير:

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ وَجَدْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا^(٥)

وقول أبي نواس:

= إذا ما كنت ملتمساً نكاحاً فلا تعدل بجمع بنى ضرار والأرب: الحاجة، واللحي: جمع لحية وهي شعر الخدين والذقن، وذو العمامة: الرجل، وذات الخمار: المرأة، وفي قوله «ذو العمامة والخمار» تغليب، وهذا من أفحش الهجاء.

(١) هو من قصيدة له ذكر فيها ما أوقعه سيف الدولة بنى كلاب. والقناة: الرمح، والخضاب: صيغ الحناء، والحق أن السرقة في هذا ظاهرة؛ لأخذ أبي الطيب المعنى بنفسه من غير تصرف فيه، وتشابه المعنيين إنما يكون مع شيء من التغاير بينها.

(٢) هذا هو الذي يظهر منه أن الخطيب لا يقيد هذا القسم بما قيده بعضهم به فيما سبق، والأولى تقييده به ليبيان ما بعده.

(٣) هو من قصيدة له في مدح إسحاق بن إبراهيم يذكر فيها وقعته بالخزمية. وقوله «سلبوا» بمعنى جردوا من ثيابهم، وقوله «أشرفت» بمعنى ظهرت أو لمعت.

(٤) النجيع: الدم المائل إلى سواد، والغمد: قراب السيف. وقبله:

وَصْنُ الْحَسَامِ وَلَا تُذَلِّهِ فَإِنَّهُ يَشْكُو يَمِينِكَ وَالْجَمَاجِمُ تَشْهَدُ

(٥) يعني أنهم بمنزلة كل الناس، فإن غضبوا فكأن كل الناس قد غضبوا.

ليسَ على الله بُسْتَنَكِرٍ أن يَجْمَعَ العَالَمَ فى وَاحِدٍ^(١)
 * ومنه القلب: وهو أن يكون معنى الثانى نقيض معنى الأول، سُمِّيَ بذلك
 لقلب المعنى إلى نقيضه؛ كقول أبى الشيص:

أَجِدُ المَلامَةَ فى هَواكِ لَذيذَةً حُبًّا لَذَكْرِكَ فَلْيَلُمْنِي اللُّومُ^(٢)
 وقول أبى الطيب:

أُحِبُّهُ وَأَحِبُّ فِيهِ مَلامَةً إِنَّ المَلامَةَ فِيهِ من أَعْدائِهِ^(٣)
 وكذا قول أبى الطيب أيضاً:

وَالجِرَاحَاتُ عِنْدَهُ نَعَمَاتٌ سَبَقَتْ قَبْلَ سَيِّبِهِ بِسْؤَالٍ^(٤)
 فإنه ناقض به قول أبى تمام:

وَنَعْمَةٌ مُعْتَفٍ جَدَّوَاهُ أَحْلَى عَلَى أَذُنِيهِ من نَعَمِ السَّمَاعِ^(٥)

(١) هو للحسن بن هانئ المعروف بأبى نواس. ويعنى بالواحد هارون الرشيد الوارد فى قوله قبله:

قُولاً لَهَارُونَ إِمَامَ الهَدْيِ عِنْدَ احْتِفَالِ المَجلسِ الحَاشِدِ
 ووجه كون بيت أبى نواس أشمل أن العالم فيه يشمل الإنس والجن والملائكة، ولكن يجوز أن يكون مراد جرير أن الناس تبع لبني تميم فى غضبهم لا أنهم كل الناس، وهذا معنى غير معنى بيت أبى نواس.

(٢) هو لمحمد بن رزين الخزاعى المعروف بأبى الشيص. واللوم: جمع لائم، وفى استحسانه ملامته فى هواها، من أجل ذكرها حسن وطرافة، وهو فى هذا أرق من بيت أبى الطيب.

(٣) قبله:

القلب أعلم يا عَذُولُ بِدَائِهِ وَأَحَقُّ مِنْكَ بِجُفْنِهِ وَبِمَائِهِ
 فَوَمَنْ أَحَبُّ لَأَعْصِيكَ فى الهوى قَسَمًا بِهِ وَبَحْسِنِهِ وَبِهَائِهِ

(٤) هو من قصيدة له فى مدح عبدالرحمن بن المبارك. والنغمات: جمع نغمة، ويقال «ناغمه»: كلمه كلاماً رقيقاً أو حسناً، والسيب: العطاء، يعنى أن نغمات السؤال تؤثر فى الممدوح وتؤذيه كالجراحات فيعطى من غير سؤال، وهذا من التشبيه المقلوب.

(٥) هو من قصيدة له فى مدح ابن أصرم، والمعتفى: الطالب، والجدوى: العطية، يريد بالسماع: ما يحسن سماعه كالعود ونحوه.

وقد تبعه البحتري فقال :

نَشْوَانُ يُطْرَبُ لِلسَّوَالِ كَأَنَّمَا غَنَاءُ مَالِكٍ طَيِّبٌ أَوْ مَعْبَدٌ^(١)

ومنه : أن يؤخذ بعضُ المعنى ويضاف إليه زيادة تحسنه ، كقول الأَفْوَه الأودى :

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى أَثَارِنَا رَأَى عَيْنٍ ثِقَةً أَنْ سَتَمَارُ^(٢)

وقول أبى تمام :

وَقَدْ طُلِّلَتْ عُقْبَانُ أَعْلَامِهِ ضُحَى بِعُقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدِّمَاءِ نَوَاهِلِ

أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش إلا أنها لم تقاتل^(٣)

فإن الأَفْوَه أفاد بقوله « رأى عين » قربها ؛ لأنها إذا بعدت تُخِلَّت ولم تُرَ ، وإنما يكون قربها توقعاً للفريسة ، وهذا يؤكد المعنى المقصود ، ثم قال « ثِقَةً أَنْ سَتَمَار » جعلها واثقة بالميرة ، وأمّا أبو تمام فلم يَلَمْ بشيء من ذلك^(٤) لكن زاد على الأَفْوَه قوله : « إلا أنها لم تقاتل » ، ثم بقوله : « في الدماء نواهل » ، ثم بإقامتها مع الرايات حتى كأنها من الجيش ، وبذلك يتم حُسنُ قوله : « إلا أنها لم تقاتل » ؛ وهذه الزيادات حسنتُ قوله ، وإن كان قد ترك بعض ما أتى به الأَفْوَه .

وهذه الأنواع^(٥) ونحوها أكثرها مقبولة ، ومنها ما أخرجه حسن التصرف من

(١) هو من قصيدة له فى مدح أبى أيوب ابن أخت أبى الوزير . والنشوان : السكران من شدة

الطرب ، ومالك طيب : هو مالك بن أبى السمح المغنى ، ومعبد : هو معبد بن وهب ، وقيل :

ابن قطنى مولى العاص بن وابضة المخزومى ، وهو مغن أيضا .

(٢) هو لصلاة بن عمرو المعروف بالأفوه الأودى ، وقوله « ثِقَةً » حال أى واثقة أو مفعول لأجله ،

وقوله « سَتَمَار » بمعنى ستطعم ؛ يعنى أنها تتبعهم عند خروجهم للحرب واثقة بذلك .

(٣) هما من قصيدة له يمدح فيها المعتصم ويذكر وقعة الأفشين ببابك الخرمى . وعقبان الأعلام :

جمع عقاب وهو الراية الضخمة من إضافة العام للخاص ؛ وعقبان الطير : جمع عقاب وهو

طائر معروف ؛ وفى اللفظين جناس تام ؛ والنواهل : جمع ناهلة وهو اسم فاعل من « نهل »

بمعنى روى .

(٤) يرد على هذا أن قوله « أقامت مع الرايات » يفيد أيضاً قربها منهم ؛ فالحق أن الذى لم يلم به

هو قوله « ثِقَةً أَنْ سَتَمَار » .

(٥) يعنى الأنواع الخمسة لغير الظاهر ؛ ونحوها هو غيرها مما يندرج فيه ؛ والحق أنها مقبولة من

جهة الأخذ ؛ فإن اعتراضها ردُّ كان من جهة أخرى غيره .

سبيل الأخذ والاتباع، إلى حيز الاختراع والابتداع، وكلما كان أشد خفاءً كان أقرب إلى القبول.

هذا كله^(١) إذا عُلِمَ أن الثاني أخذ من الأول، وهذا لا يُعْلَمُ إلا بأن يُعْلَمَ أنه كان يحفظ قول الأول حين نظم قوله، أو بأن يخبر هو عن نفسه أنه أخذه منه؛ لجواز أن يكون الاتفاق من قبيل تَوَارُدِ الخواطر، أى مجيئه على سبيل الاتفاق من غير قصد إلى الأخذ والسرقة، كما يُحَكِّى عن ابن مَيَّادَةَ أنه أنشد لنفسه:

مُفِيدٌ وَمِثْلَافٌ إِذَا مَا أَتَيْتَهُ تَهَلَّلَ وَاهْتَزَّ اهْتَزَّازَ الْمِهْنَدُ^(٢)

فَقِيلَ لَهُ: أَيْنَ يَذْهَبُ بِكَ؟ هَذَا لِلْحُطَيْثَةِ^(٣) فَقَالَ: «الآنَ عَلِمْتُ أَنِّي شَاعِرٌ؛ إِذْ وَافَقْتُهُ عَلَى قَوْلِهِ وَلَمْ أَسْمَعْهُ».

ولهذا لا ينبغي لأحدٍ بَتُّ الحكم على شاعر بالسرقة ما لم يعلم الحال، وإلَّا^(٤) فالذى ينبغي أن يقال: قال فلان كذا وقد سبقه إليه فلان فقال كذا؛ فيغتنم به فضيلة الصدق، ويسلم من دعوى العلم بالغيب ونسبة النقص إلى الغير.

ما يتصل بالسرقات الشعرية

ومما يتصل بهذا الفن القول فى الاقتباس، والتضمين، والعقد، والحل، والتلميح.

* أما الاقتباس: فهو أن يُضْمَنَ الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه

(١) يشير إلى ما ذكر فى الأخذ بقسميه من ادعاء سبق، وأخذ الثانى من الأول، وكونه مقبولا أو مردوداً.

(٢) هو للرماح بن أبرد المعروف بابن ميادة. والمفيد: الذى يعطى أمواله للناس، والمثلاف: الذى يتلف أمواله على نفسه، وقوله «تهلل» بمعنى: أشرق وجهه، والمهند: السيف المصنوع من حديد الهند.

(٣) هو من قصيدة له فى مدح بغيض بن عامر بن شماس مطلعها:

وَأَثَرْتُ إِدْلَاجِي عَلَى لَيْلٍ حَرَّةٍ هُضِيمِ الْحَشَا حَسَانَةَ الْمُتَجَرِّدِ

(٤) أى وإن لم يعلم الحال.

منه^(١) كقول الحريري: «فلم يكن ﴿إِلَّا كَلَمَحَ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾»^(٢) حتى أنشد فأغرب». وقوله: «أنا أنبئكم بتأويله»^(٣)، و أميزُ صحيحَ القول من عليه». وقول ابن نباتة الخطيب: «فَيَأْيَهَا الْغَفْلَةُ الْمَطْرُقُونَ، أَمَا أَنْتُمْ بِهِذَا الْحَدِيثِ مُصَدِّقُونَ؟ مَا لَكُمْ لَا تَشْفَقُونَ؟ فَوَرَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنْكُمْ تُنْطِقُونَ»^(٤). وقوله أيضاً من خطبة أخرى ذكر فيها القيامة: «هَنَالِكُ يُرْفَعُ الْحِجَابُ، وَيُوضَعُ الْكِتَابُ، وَيُجْمَعُ مَنْ وَجِبَ لَهُ الثَّوَابُ، وَحَقٌّ عَلَيْهِ الْعِقَابُ، فَيُضْرَبُ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ، بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهَرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ»^(٥). وقول القاضي الفاضل وقد ذكر الإفرنج: «وَعُضِبُوا زَادَهُمُ اللَّهُ غَضَبًا، وَأَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ جَعَلَهُمُ اللَّهُ لَهَا حَطْبًا»^(٦). وكقول الحماسي:

إِذَا رُمْتُ عَنْهَا سَلْوَةٌ قَالَ شَافِعٌ مِنْ الْحَبِّ: مِيعَادُ السُّلُوكِ الْمَقَابِرُ
سَتَبَقَى لَهَا فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا سَرِيرَةٌ وَدَّ يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ^(٧)

وقول أبي الفضل يدعي الزمان الهمداني:

لَا لَ فَرِيغُونَ فِي الْمَكْرُمَاتِ يَدٌ أَوَّلًا وَاعْتِذَارٌ أَخِيرًا
إِذَا مَا حَلَلْتَ بِمَغْنَاهُمْ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا^(٨)

(١) بأن يكون خالياً من الإشعار بذلك، والإشعار به كأن يقال: قال الله تعالى كذا ونحوه.

(٢) مقتبس من النمل: ٧٧.

(٣) مقتبس من يوسف: ٥٥.

(٤) مقتبس من الذاريات: ٢٣.

(٥) مقتبس من الحديد: ١٣.

(٦) مقتبس من المائدة: ٦٤.

(٧) هما للأحوص بن محمد الأنصاري، وقوله «رمت» بمعنى أردت، ومضمر القلب: مستوره، والحشا: ما انضمت عليه الضلوع، وقوله «تبلى» بمعنى تختبر أو تظهر، والسرائر: الحبايا، والشاهد في قوله «يوم تبلى السرائر» فإنه مقتبس من الطارق ٨.

(٨) هما لأبي الفضل أحمد بن الحسين المعروف ببديع الزمان الهمداني، وقد سبق التعريف =

وقول الأبيوردي:

وقصائد مثل الرياض أضعتهَا في باخل ضاعتْ به الأحسابُ
فإذا تناشدها الرواةُ وأبصروا الممدوح قالوا: ساحرٌ كذابٌ^(١)

وقول الآخر:

لا تُعاشِرْ معشراً ضلُّوا الهدى فسواءٌ أقبلُوا أو أدبرُوا
بدتِ البغضاءُ من أفواههم والذي يُخفونَ منها أكبرُ^(٢)

وقوله:

خلَّةُ الغانياتِ خلَّةٌ سوءٍ فاتقوا الله يا أولى الألباب
وإذا ما سألتموهنَّ شيئاً فاسألوهنَّ من وراءِ حجابٍ^(٣)

= بآل فريغون في الكلام على السجع القصير، واليد: مجاز عن الأثر الحسن، والمغنى: محل الإقامة، والشاهد في آخر البيت الثاني؛ فإنه مقتبس من سورة الإنسان: ٢٠.
(١) هما لأبي المظفر محمد بن أحمد المعروف بالأبيوردي، والباخل: المانع الممسك، والأحساب: جمع حسب وهو شرف الأصل، والرواة: حفاظ الشعر ونقاده، وإنما يرمونه بالسحر؛ لأنه يصور الباطل حقاً كالساحر. والشاهد في قوله «قالوا ساحر كذاب» فإنه مقتبس من سورة غافر: ٢٤.

(٢) هما لمحمد الشجاعى؛ وقوله «ضلوا الهدى» بمعنى لم يهتدوا إليها: وقوله «بدت» بمعنى ظهرت؛ والشاهد في قوله «بدت البغضاء من أفواههم»؛ فإنه مقتبس من سورة آل عمران: الآية: ١١٨.

(٣) هما لأبي منصور عبدالرحمن بن سعيد. والخلَّة: الخلصة، والغانيات: النساء الحسنات، والألباب: العقول الذكية. والشاهد في قوله: «فاتقوا الله يا أولى الألباب» ﴿فاسألوهن من وراء حجاب﴾. والأول مقتبس من سورة المائدة: ١٠٠، والثاني مقتبس من سورة الأحزاب: ٥٣.

وقول الآخر:

إِنْ كُنْتُ أَزْمَعْتُ عَلَى هَجْرِنَا مِنْ غَيْرِ مَا جُرْمٍ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
وَإِنْ تَبَدَّلْتُ بِنَا غَيْرَنَا فَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ^(١)

وكقول الحريري: «وكتمان الفقر زهادة، وانتظار الفرج بالصبر عبادة» فإن قوله «انتظار الفرج بالصبر عبادة» لفظ الحديث، وقوله: «قلنا: شامت الوجوه وَقُبِحَ اللَّكْعُ وَمَنْ يَرْجُوهُ». فإن قوله «شامت الوجوه» لفظ الحديث؛ فإنه روى أنه لما اشتدت الحرب يوم حنين أخذ النبي ﷺ كَفًّا من الحصباء فرمى بها في وجوه المشركين وقال «شامت الوجوه» أى قبحت، واللکع قيل: هو اللئيم، وقال أبو عبيد: هو العبد. وكقول ابن عباد:

قَالَ لِي: إِنَّ رَقِيبِي سَيِّئُ الْخُلُقِ فَدَارِهِ
قُلْتُ: دَعْنِي وَوَجْهَكَ الْجَنَّةُ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ^(٢)

اقتبس من لفظ الحديث: «حُفَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وحفت النار بالشهوات». والاقْتَبَاسُ منه ما لا يُنْقَلُ فِيهِ اللفظ المقتبس عن معناه الأصلي إلى معنى آخر كما تقدم، ومنه ما هو بخلاف ذلك^(٣) كقول ابن الرومي:

لَئِنْ أَخْطَأْتُ فِي مَدْحِكَ مَا أَخْطَأْتُ فِي مَنَعِي

(١) هما لأبي القاسم بن الحسن الكاتب. وقوله «أزمنت» بمعنى عزمت؛ والجرم: الذنب؛ وقوله «حسبنا» بمعنى كافينا. والوكيل: المفوض إليه في الشدائد وغيرها. والشاهد في قوله «فصبر جميل»؛ «فحسبنا الله ونعم الوكيل» - والأول مقتبس من سورة الرعد: ١٨؛ والثاني مقتبس من سورة آل عمران: ١٧٣.

(٢) هما للمصاحب إسماعيل بن عباد؛ والضمير في «قال» للمحبوب؛ والرقيب: الحارس. وقوله «داره» بمعنى لاطفه. وقوله «حفت» بمعنى أحيطت.

(٣) أي ما ينقل فيه اللفظ المقتبس عن معناه الأصلي إلى معنى آخر، وبهذا يكون مجازاً بطريق من طرقه المعروفة.

لَقَدْ أَنْزَلْتُ حَاجَاتِي بِوَادِ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ^(١)
ولا بأس بتغيير يسير لأجل الوزن أو غيره^(٢)؛ كقول بعض المغاربة عند وفاة
بعض أصحابه:

قَدْ كَانَ مَا خِفْتُ أَنْ يَكُونَا إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاجِعُونَ^(٣)
وقول عمر الخيام:

سَبَقْتُ الْعَالَمِينَ إِلَى الْمَعَالَى بِصَائِبِ فِكْرَةٍ وَعَلَوْ هِمَّةً^(٤)
وَلَا حَ بِحِكْمَتِي نُورَ الْهُدَى فِي لَيَالٍ لِلضَّلَالَةِ مُدْلِهِمَّةً^(٥)
يريد الجاهلون لِيُطْفِئُوهُ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّهُ^(٦)
وكقول القاضي منصور الهروي الأزدي:

فَلَوْ كَانَتْ الْأَخْلَاقُ تُحَوِّي وَرَأْتَهُ وَلَوْ كَانَتْ الْأَرَاءُ لَا تَتَشَعَّبُ^(٧)

(١) هما لعل بن العباس المعروف بابن الرومي، وقيل: إنهما لإسماعيل القراطيسي، وإنما خطأ نفسه في مدحه لأنه لا يستحق المدح، ولم يخطئه في منعه لأن مَادِح من لا يستحق المدح لا يستحق العطاء، والشاهد في أن المراد بالوادي هنا الجنب الذي لا خير فيه على سبيل الاستعارة، وهو غير المراد منه في سورة هود: ٣٧.

(٢) يعني أن هذا لا يضر في تسميته اقتباساً، فإذا كثر التغيير كان من العقد الآتي.

(٣) هو للوزير أبي العلاء بن أورو في رثاء الرئيس أبي عبد الرحمن محمد بن طاهر، وظاهر كلام الخطيب أن البيت له، والحق أنه لأبي تمام في رثاء ابنه، ولعل هذا الوزير استشهد به في ذلك، وقوله «كان» بمعنى وجد؛ فهي تامة، والشاهد في ذلك مقتبس مع تغيير يسير من سورة البقرة: ١٥٦.

(٤) العالمون: جمع عالم وهو اسم لذوى العلم أو لكل ما علم الله بن، وقد جمع جمعاً صحيحاً لما فيه من معنى الصفة وهي العلم.

(٥) المدلهمة: الشديدة السواد وهو ترشيح لاستعارة ظلمة الليالي لخفاء الضلالة، وذكر الضلالة معها غير حسن لأنه ينبئ عن التشبيه المتنافي لدعوى الاستعارة.

(٦) الشاهد في أن هذا مقتبس مع تغيير يسير من سورة التوبة: ٣٢.

(٧) قوله «تحوى» بمعنى تحرز وتملك، وقوله «تتشعب» بمعنى تتفرع وتختلف.

لأصبح كلُّ الناس قد ضمَّهم هوى كما أن كلَّ الناس قد ضمَّهم أب^(١)
ولكنَّها الأقدارُ كلُّ مُيسرٍ لما هو مخلوقٌ له ومُقربٌ
اقتبس من لفظ الحديث: «اعملوا؛ كلُّ ميسرٍ لما خُلِقَ له».
التضمين:

وأما التضمين فهو أن يُضمَّنَ الشعر شيئاً من شعر الغير، مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء^(٢)؛ كقول بعض المتأخرين (قيل هو ابن التلميذ الطيب النصراني):

كانت بلهنية الشَّيبة سكرةً فصحوتُ واستبدلتُ سيرةً مُجملٍ
وقعدتُ أنتظر الفناء كراكبٍ عَرَفَ المحلَّ فبات دون المنزل^(٣)
البيت الثاني لمسلم بن الوليد الأنصاري. وقول عبد القاهر بن طاهر التيمي:
إذا ضاقَ صدرى وخَفْتُ العِدَى تَمَثَّلْتُ يَتًّا بحالى يَلِيقُ
فَبِاللهِ أَبْلُغُ ما أَرْجَى وبِاللهِ أَدْفَعُ ما لا أُطِيقُ^(٤)

وقول ابن العميد:

وصاحبٍ كنتُ مغبوطاً بِصُحبتهِ دَهْرًا فغادرني فَرْدًا بلا سَكَنِ
هَبَّتْ له ريح إقبالٍ فطار بها نحو السرور وألجأني إلى الحَزَنِ
كَأَنَّهُ كانَ مطوياً على إحَنِ ولم يكن فى ضروب الشعر أنشدني^(٥)

(١) قوله «ضمهم» بمعنى جمعهم، والهوى: الميل.

(٢) بهذا التنبيه يتميز التضمين عن الأخذ والسرقة.

(٣) هما لأبى الحسن هبة الله بن صاعد المعروف بابن التلميذ. والبلهنية: رخاء العيش، والمجمل:

المحسن فى عمله والمترفق، والفناء: الموت، ودون: بمعنى قريب.

(٤) البيت الأول لعبد القاهر بن طاهر المعروف بأبى منصور البغدادى وهو من كبار الشافعية،

والبيت الثانى المضمَّن لا يُعرف قائله.

(٥) الأبيات الثلاثة لمحمد بن الحسين المعروف بابن العميد. والرواية الصحيحة «وصاحباً» لأنه =

إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْلِفُهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْخَشِنِ
 الْبَيْتِ الْآخِرِ لِأَبِي تَمَامٍ^(١). وَكَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ:
 عَلَى أَنِّي سَأَنْشِدُ عِنْدَ بَيْعِي أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا^(٢)
 الْمَصْرَاعُ الْآخِرُ: قِيلَ: لِلْعَرَجِيِّ، وَقِيلَ: لِأُمِيَّةِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ. وَتَمَامُ الْبَيْتِ:
 لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادٍ ثَغَرٍ^(٣)
 وَلَا حَاجَةَ إِلَى تَقْدِيرِهِ لِتَمَامِ الْمَعْنَى بِدُونِهِ - وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ:

قَدْ قُلْتُ لَمَّا أَطْلَعْتُ وَجَنَاتِهِ حَوْلَ الشَّقِيقِ الْغَضُّ رَوْضَةَ آسٍ
 أَعْذَارُهُ السَّارَى الْعَجُولُ تَرْفُقًا مَا فِي وَقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسٍ^(٤)

= معطوف على «زمانا» في قوله قبله:

أَشْكُو إِلَيْكَ زَمَانًا ظَلَّ يَعْزِزُنِي عَزَّكَ الْأَدِيمَ وَمَنْ يَعْدُو عَلَى الزَّمَنِ
 الْمَغْبُوطُ: الْمَسْرُورُ، وَالسَّكَنُ: مَا يَسْكُنُ إِلَيْهِ وَيَسْتَأْنِسُ بِهِ، وَالْإِقْبَالُ: قُدُومُ الدُّنْيَا بِالْخَيْرِ، وَقَوْلُهُ
 «الْجَانِي»: مَخْفَفُ الْجَانِي، وَالْإِحْنُ: جَمْعُ إِحْنَةٍ وَهِيَ الْعِدَاوَةُ، وَقَدْ رَوَى صَاحِبُ «مَعَاهِدِ
 التَّنْصِيصِ» هَذِهِ الْأَبْيَاتَ لِلصَّاحِبِ بْنِ عَبَادٍ.

(١) يَعْنِي الْبَيْتَ الْآخِرَ، وَقَدْ نَسَبَهُ ابْنُ خُلِكَانَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ الصُّوْلِيِّ، وَلَعَلَّهُ أَخَذَهُ مِنْ أَبِي
 تَمَامٍ.

(٢) هُوَ لِلْقَاسِمِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَعْرُوفِ بِالْحَرِيرِيِّ عَلَى لِسَانِ غُلَامِهِ أَبِي زَيْدٍ حِينَ عَرْضِهِ لِلْبَيْعِ. وَ«أَيَّ»:
 اسْمُ اسْتِفْهَامٍ أُرِيدَ بِهِ التَّعْظِيمُ مَفْعُولٌ مُقَدَّمٌ لِأَضَاعُوا، يَعْنِي: أَيَّ فَتَى أَضَاعُوا، أَيَّ كَامِلًا مِنْ
 الْفَتَيَانِ.

(٣) اللَّامُ فِي قَوْلِهِ «لِيَوْمِ» بِمَعْنَى «فِي» مُتَعَلِّقَةٌ بِأَضَاعُوا، وَالْكَرِيهَةُ: الْحَرْبُ، وَسِدَادُ الثَّغَرِ: سِدُّهُ
 عَلَى الْأَعْدَاءِ بِالْخَيْلِ وَالرِّجَالِ. وَالثَّغَرُ: مَوْضِعُ الْمَخَافَةِ مِنْ فُرُوجِ الْبُلْدَانِ.

(٤) هُمَا لِأَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ خُلِكَانَ، وَالْوَجَنَاتُ: جَمْعُ وَجَنَةٍ وَهِيَ مَا
 ارْتَفَعَ مِنَ الْخُدَيْنِ، وَالشَّقِيقُ: وَرْدٌ أَحْمَرٌ أُرِيدَ بِهِ الْخُدُّ عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِعَارَةِ، وَالْغَضُّ:
 الطَّرِيُّ، وَالْآسُ: الرِّيحَانُ وَالْمُرَادُ بِهِ الْعِذَارُ عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِعَارَةِ. وَالْعِذَارُ: الشَّعْرُ الَّذِي
 يَحَازِي الْأُذُنَ، وَالسَّارَى: السَّائِرُ بِاللَّيْلِ، وَصَفَهُ بِذَلِكَ لِاسْتِمَالِهِ عَلَى مِثْلِ سَوَادِهِ، وَالْبَاسُ:
 الْحَرْجُ مَخْفَفٌ بِأَسٍ، وَهُوَ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ مُجْرُورٌ بِمِنْ الزَّائِدَةِ.

المصرع الأخير لأبى تمام^(١). وكقول الآخر:

كُنَّا مَعًا أَمْسٍ فِي بؤْسٍ نُكَابِدُهُ والعَيْنُ وَالْقَلْبُ مِنَّا فِي قَذَى وَأَذَى
وَالآنَ أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ بِمَا تَهْوَى فَلَا تَنْسَى إِنْ الْكِرَامَ إِذَا^(٢)

أشار إلى بيت أبى تمام^(٣)، ولا بدّ من تقدير الباقي منه؛ لأن المعنى لا يتم بدونه.

وقد علّم بهذا أن تضمين ما دون البيت ضربان^(٤).

وأحسن وجوه التضمن أن يزيد المضمّن في الفرع عليه في الأصل بنكتة؛ كالتورية والتشبيه في قول صاحب التحبير:

إِذَا الْوَهْمُ أَبْدَى لِي لَمَاهَا وَثَغْرَهَا تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعُذِيبِ وَبَارِقِ
وَيُذَكِّرُنِي مِنْ قَدِّهَا وَمَدَامِعِي مَجَرَّ عَوَالِينَا وَمَجَرَى السَّوَابِقِ^(٥)

(١) هو من قوله في مطلع قصيدة يمدح بها أحمد بن المعتصم:

مَا فِي وَقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسٍ نَقَضَى حُقُوقَ الْأَرْضِ وَالْأُدْرَاسِ

(٢) هما من قول بعض التجار للأمير بدر الدين بيلبك الخازن دار، وكان قد أحضره إلى القاهرة فباعه فيها، فارتفع أمره حتى صار أميراً، وقوله «نكابده» بمعنى «نقاسيه»، والقذى: يرجع إلى العين، والأذى: إلى القلب، على اللف والنشر المرتب.

(٣) هو قوله:

إِنْ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْلِفُهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْخَشِنِ

(٤) ضرب لا يحتاج إلى تقدير باقى البيت لأن المعنى لا يتم من غيره، كما في قول الحريري، وضرب يحتاج إلى تقديره لأن المعنى لا يتم إلا به، كما في قول ذلك التاجر.

(٥) هما لابن أبى الإصبع عبد العظيم بن عبد الواحد المصرى صاحب «تحرير التحبير» فى البديع، والوهم: الخيال، اللعى: سمرة الشفتين، والثغر: مقدم الأسنان، والعذيب وبارق:

موضعان، ولكنه أراد بالعذيب: الشفة تصغير عذب، وبالبارق: الثغر لأنه يشبه البرق، وبما بينهما الريق، على سبيل التورية، وفى ذلك لف ونشر مرتب، وفاعل «يذكرنى» يعود إلى الوهم، والقد: القامة، والتقدير: ويذكرنى من تبختر قدها وجريان مدامعى؛ لأن هذا هو الذى يشبه مجرى العوالى أى جرها ومجرى السوابق أى جريها، وهو تشبيه ضمنى، وفى هذا لف ونشر مرتب أيضاً، والعوالى: الرماح، والسوابق: الخيل.

المصراعان الأخيران لأبي الطيب^(١).

ولا يضر التغيير اليسير ليدخل في معنى الكلام؛ كقول بعض المتأخرين في
يهودى به داء الثعلب:

أقول لمعشرٍ غَلَطُوا وَغَضُّوا من الشيخ الرشيد وأنكروه

هُوَ ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الشَّائِيَا متى يضع العمامة تعرفوه^(٢)

البيت لسحيم بن وثيل، وأصله:

أنا ابن جلا وطلّاع الشنايا متى أضع العمامة تعرفوني^(٣)

تقسيم التضمين إلى استعانة، وإيداع، أو رفو:

وربّما سُمي تضمين البيت فما زاد استعانةً، وتضمينُ المصراع فما دونه تارة
إيداعاً وتارة رفوّاً^(٤).

العقد:

وأما العقد فهو أن يُنظَمَ نثر لا على طريق الاقتباس^(٥).

١ - أما عقد القرآن فكقول الشاعر:

(١) يعنى قوله:

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا ومجرى السوابق

والشاهد في أن أبا الطيب يريد بالعذيب وبارق موضعين، فأراد بهما ابن أبي الإصبع ما سبق
على سبيل التورية، ثم زاد عليه أيضاً تشبيه قدها ومدامعه بمجر العوالى ومجرى السوابق.

(٢) هما لضياء الدين موسى بن ملهم في الرشيد عمر القوّى. وقوله «غضوا» بمعنى أعرضوا،
وقوله «جلا» صفة لمحدوف تقديره: شعر جلا وانكشف؛ لأن داء الثعلب - وهو القراع -
يسقط شعر الرأس، والمراد بالشنايا مقدم أسنانه لأنها كانت بارزة، والمراد بالعمامة عمامته التي
يضعها على رأسه، وهذا خلاف المراد منهما في بيت سحيم.

(٣) سبق هذا البيت في الكلام على الإيجاز والإطناب والمساواة من الجزء الثانى.

(٤) سبق أمثلة لكل منهما في شواهد التضمين السابقة.

(٥) بأن يُغيّر فيه تغيير كثير إذا كان قرآناً أو حديثاً، أو يشار إلى أنه منهما؛ ليخالف بهذا طريق
الاقتباس فيما، أما نظم غيرهما فهو عقد مطلقاً.

أَنْلَنِي بِالَّذِي اسْتَقْرَضْتَ خَطَاً وَأَشْهَدُ مَعْشَرًا قَدْ شَاهَدُوهُ^(١)
فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْبَرَايَا عَنَتُ لَجَلَالِ هَيْبَتِهِ الْوُجُوهُ
يَقُولُ: إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاسْتَبَوْهُ

٢ - وأما عقد الحديث؛ فكما روى للشافعي رضى الله عنه:

عُمْدَةُ الْخَيْرِ عِنْدَنَا كَلِمَاتٌ أَرْبَعُ قَالَ هُنَّ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ
اتَّقِ الشُّبُهَاتِ، وَأَزْهَدْ، وَدَعْ مَا لَيْسَ بِعَيْنِكَ، وَأَعْمَلَنْ بِنِيَّةِ^(٢)

عقد قوله عليه السلام: «الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ»، وبينهما أمورٌ مشتهاتٌ،
وقوله عليه السلام: «أَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يَحِبُّكَ اللَّهُ»،

وقوله عليه السلام: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»،

وقوله عليه السلام: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ».

وأما عقد غيرهما فكقول أبي العتاهية:

مَا بَالُ مَنْ أَوَّلَهُ نُطْفَةٌ وَجِيْفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ^(٣)

عقد قول على رضى الله عنه: «وما لابن آدم والفخر؛ وإنما أوله نطفة، وآخره جيفة!».

وقوله أيضاً:

(١) هي للحسين بن الحسن الواساني الدمشقي، وقوله «أنلني» بمعنى أعطني، وقوله استقرضت: بمعنى استدنت، والبرايا: الخلائق جمع برية، وقوله «عنت» بمعنى خضعت. والشاهد في عقده ذلك من سورة البقرة: ٢٨٢.

(٢) هما لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي. أو قيل: إنهما لأبي الحسن طاهر بن معوذ الأشبيلي. والعمدة: ما يعتمد الشيء ويقوم عليه، والشبهات: الموقعة في الاشتباه بما ليس بحرام بين ولا حلال بين، وقوله «يعنيك» بمعنى يهملك.

(٣) هو لإسماعيل بن القاسم المعروف بأبي العتاهية، والبال: الحال، والنطفة: ماء الرجل أو المرأة، وقوله «يفخر» بمعنى يباهى بنفسه، حال من الموصول المضاف إليه.

كَفَى حُزْنًا بِدَفْنِكَ ثُمَّ أَنَّى نَفَضْتُ تَرَابَ قَبْرِكَ عَنْ يَدَيَّ
وَكُنْتَ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا^(١)

قيل: عقد قول بعض الحكماء في الإسكندر لما مات: «كَانَ الْمَلِكُ أَمْسَ أَنْطَقَ مِنْهُ الْيَوْمَ، وَهُوَ الْيَوْمَ أَوْعَظَ مِنْهُ أَمْسَ». وقيل: هو قول المُؤَبَّد لما مات قُبَادُ الْمَلِكِ.

وقول الآخر:
يَا صَاحِبَ الْبَغْيِ إِنَّ الْبَغْيَ مَصْرَعَةٌ فَارْبِعْ فَخَيْرُ فَعَالٍ الْمَرْءُ أَعْدَلُهُ
فَلَوْ بَغَى جَبَلٌ يَوْمًا عَلَى جَبَلٍ لَأَنْدَكَ مِنْهُ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ^(٢)
عقد قول ابن عباس رضى الله عنهما: «لَوْ بَغَى جَبَلٌ عَلَى جَبَلٍ لَدُكَّ الْبَاغَى»
وقول الآخر:

الْبَسْ جَدِيدَكَ إِنِّي لَا بَسَّ خَلَقِي وَلَا جَدِيدَ لِمَنْ لَا يَلْبَسُ الْخُلُقَا^(٣)
عقد المثل: «لَا جَدِيدَ لِمَنْ لَا خَلَقَ لَهُ» قالت عائشة رضى الله عنها وقد وهبت مالا كثيرا، ثم أمرت بثوب لها أن يُرْفَعَ. يُضْرَبُ فِي الْحَثِّ عَلَى اسْتِصْلَاحِ الْمَالِ.
• الْحَلُّ:

وأما الحل فهو أن يُنْثَرُ نَظْمٌ، وشرط كونه مقبولا شيئا: أحدهما أن يكون سبكه مختاراً لا يتقاصر عن سبك أصله، والثاني أن يكون حسن الموقع مستقراً في محله غير قلق^(٣)، وذلك كقول بعض المغاربة: «فَإِنَّهُ لَمَّا قَبَحَتْ فَعَلَاتُهُ،

(١) هما لأبي العتاهية أيضاً في رثاء علي بن ثابت، والباء في قوله «بدفئك» زائدة لأنه فاعل كفى، وما بعد «ثم» في تأويل مصدر معطوف عليه.

(٢) لا يعرف قائلهما، والبغى: الظلم، والمصرعة: اسم مكان من «صرعه» بمعنى طرحه على الأرض، وقوله «اربعة». بمعنى توقف وانتظر، والفعال: الفعل الحسن، وقوله «اندك» بمعنى انهدم.

(٣) وهو لعدى بن زيد العبادي، والخلق: الثوب البالى يستوى فيه المفرد وغيره.

(٣) الفرق بينهما أن الأول يرجع إلى اللفظ بأن يكون سجعا ذا فقرات مستحسنة، والثاني يرجع إلى المعنى بأن يكون مطابقا لما تجب مراعاته في البلاغة.

وحنظلت نخلاته، لم يزل سوء الظن يقتاده، ويصدق توهمه الذي يعتاده؛
حلّ قول أبي الطيب:

إذا ساءَ فعلُ المرءِ ساءتْ ظُنُونُهُ وَصَدَّقَ ما يعتاده من توهم^(١)
وكقول صاحب «الوشى المرقوم فى حل المنظوم»^(٢) يصف قلم كاتب: «فلا
تحظى به دولة إلا فخرت على الدول، وغنيت به عن الخيل والحوك، وقالت:
أعلى الممالك ما يُبنى على الأقلام لا على الأسل». حلّ قول أبي الطيب أيضاً:
* أعلى الممالك ما يُبنى على الأسل^(٣) *

وكقول بعض كتاب العصر فى وصف السيف: «أورثه عشقُ الرقاب نحولاً،
فبكى، والدمع مطرٌ تزيد به الخدودُ مجولاً». حل قول أبي الطيب أيضاً:
فى الخدِّ إن عزمَ الخَلِيطُ رَحِيلاً مَطَرٌ تزيد به الخُدودُ مجولاً^(٤)

(١) قاله فى الشكوى من سيف الدولة، وسماعه لقول أعدائه، وبعده:

وعادى مُحبيه لقول عداته وأصبح فى ليلٍ من الشك مُظلم

(٢) هو ابن الأثير صاحب كتاب «المثل السائر».

(٣) هو من قوله:

أعلى الممالك ما يُبنى على الأسل والطننُ عند محبيهن كالقبل

والأسل: الرماح. والقبل: جمع قبة؛ وهى اللثمة.

(٤) الخليط: المخالط من الأحبة، والمراد من المطر الدمع على سبيل الاستعارة. والمحول (بالحاء):
الجدب استعارة لشحوب الخد، (وبالجيم) مصدر «مجل» إذا أصاب جلده نارٌ فتتقط، وهذا
من حرارة الدمع.

هذا وليس فى القرآن شىء من الحل خلافاً لابن أبى الإصبع فى زعمه أن قوله تعالى:
﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ [سبأ: ١٣] حل لقول
امرىء القيس:

وقدور راسيات وجفان كالجواب

والحق أن هذا لا تصح نسبته إلى امرىء القيس، وإنما هو مما نُحل بعد الإسلام له.

التلميح:

وأما التلميح فهو أن يُشار إلى قصة أو شعر من غير ذكره^(١).

فالأول كقول ابن المعتز:

أَتَرَى الْجِيرَةَ الَّذِينَ تَدَاعَوْا	عند سَيْرِ الحبيبِ وَقْتَ الزَّوَالِ
عَلِّمُوا أَنَّنِي مُقِيمٌ وَقَلْبِي	رَاحِلٌ فِيهِمْ أَمَامَ الْجِمَالِ
مِثْلُ صَاعِ الْعَزِيزِ فِي أَرْحُلِ الْقَوِّ	م، ولا يعلمون ما في الرَّحَالِ ^(٢)

وقول أبي تمام:

لَحَقْنَا بِأَخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَّمَ الْهَوَى قلوبًا عهدنا طيرها وهي وَقَّعُ^(٣)

(١) أي ذكر واحد من القصة والشعر؛ ومثلهما الإشارة إلى حديث أو آية أو مثل أو مسألة علمية، ومن ذلك قول الشاعر:

خذوا بدمي هذا الغزال فإنه	رمانى بسهمي مقلتيه على عمد
ولا تقتلوه إنني أنا عبده	ولم أر حراً قط يُقتل بالعبد

وقول الآخر في الإشارة إلى المثل:

مَنْ غَاب عَنْكُمْ نَسِيتُمُوهُ	وَقَلْبُهُ عِنْدَكُمْ رَهِينُهُ
أَظَنُّكُمْ فِي الْوَفَاءِ عَمَّنْ	صَحْبَتُهُ صَحْبَةُ السَّفِينَةِ

(٢) هي لعبد الله بن المعتز، وقوله «تداعوا» بمعنى دعا بعضهم بعضاً للسير معه، وصاع العزيز: صواغه وهي مشربة كان يسقى بها ثم جعلت صاعاً، والعزيز: عزيز مصر في عهد يوسف، والأرحل والرحال: جمع رَحْل وهو ما يجعل على ظهر البعير كالسرج، أو ما يستصحبه المسافر من الأثاث، والقوم: إخوة يوسف، قال فيه للعهد، والشاهد في إشارته بصاع العزيز إلى قصته المعروفة في سورة يوسف: ٧٠.

(٣) ضمير أخراهم للأحبة الراحلين، وقوله «حوم» بمعنى أدار، والمراد بطيرها ما يتخالج فيها من الخواطر، ووقع: جمع واقع يعني أنها ساكنة غير متحركة، ومبنى ذلك كله على تشبيه القلوب بالطير على سبيل الاستعارة بالكناية، وإثبات التحويم لها تخيل وما عدها ترشيح.

فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ^(١) بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْخَدْرِ تَطْلُعُ^(١)
نَضًا ضَوْءُهَا صَبَغَ الدُّجْنَةَ وَأَنْطَوَى^(٢) لِبَهْجَتِهَا ثَوْبُ السَّمَاءِ الْمُجْزَعِ^(٢)
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَحْلَامٌ نَائِمٌ أَلَمْتَ بَنًا أَمْ كَانَ فِي الرُّكْبِ يَوْشَعُ^(٣)

أشار إلى قصة يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس؛ فإنه روى أنه قاتل الجبارين يوم الجمعة، فلما أدبرت الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه، فدعا الله فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم.

والثاني كقول الحريري: «وإني والله لطلما تلقيت الشتاء بكافاته، وأعددت له الأهب قبل موافاته». أشار إلى قول ابن سكرة:

جاء الشتاء وعندي من حوائجه سَعَّ إِذَا الْقَطْرُ عَنْ حَاجَاتِنَا حُسَا
كِنٌ، وَكَيْسٌ، وَكَانُونٌ، وَكَاسٌ طَلَا بَعْدَ الْكَبَابِ، وَكَسٌ نَاعَمٌ، وَكِسَا^(٤)

وقوله أيضاً: «بتٌ بليلة نابغة»، أو ما به إلى قول النابغة:

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَّئِيلَةٌ مِنْ الرُّقْشِ فِي أُنْيَابِهَا السَّمُّ نَاقِعٌ^(٥)

(١) الراغم: الدليل استعير لليل، والباء في قوله «بشمس» للتجريد، والخدر: الهودج، جرد بذلك من الشمس شمساً أخرى ظهرت من الخدر، وهذا يتضمن تشبيهه محبوبته بالشمس.

(٢) قوله «نضاً» بمعنى أذهب، والدجنة: الظلمة، وثوب السماء: ظلمتها على الاستعارة، وفي رواية: «ثوب الظلام»، والمجزع: كل ما فيه سواد وبياض.

(٣) قوله «ألمت» بمعنى نزلت. والركب: المسافرون.

(٤) هما لمحمد بن عبد الله المعروف بابن سكرة، والقطر: المطر. وقوله «حبس» بمعنى منع، والكن: البيت، والكيس: صرة الدراهم، وطلا: مقصور طلاء وهي الخمر، وكسا: مقصور كساء وهو الثوب. والشاهد في ابتداء كل من السبع بالكاف وإشارة الحريري إليها بذلك.

(٥) هو لزياد بن عمرو المعروف بالنابغة الذبياني، وقبله:

وعيد أبي قابوس في غير كنهه أتانى ودونى راكس والضواجع

وقوله «ساورتني» بمعنى أصابتني، والضئيلة: الحية الدقيقة، والأفعى كلما كبرت صغر =

وقول غيره:

لَعَمْرُوْا مَعَ الرَّمْضَاءِ وَالنَّارُ تَلْتَضِيْ أَرْقُوْا حَفَى مِنْكَ فِي سَاعَةِ الْكَرْبِ^(١)

أشار إلى البيت المشهور:

الْمُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ^(٢)

ومن التلميح ضربٌ يشبه اللُّغْزَ، كما رُوي أن تميمياً قال لشريك التُّمَيْرِي: «ما في الجوارح أحبُّ إليَّ من البازي». فقال: «إذا كان يصيد القطأ». أشار التميمي إلى قول جرير^(٣):

أَنَا الْبَازِي الْمَطْلُ عَلَى نُمَيْرٍ أُتِيحَ مِنَ السَّمَاءِ لَهَا أَنْصَابَا^(٤)

وأشار شريك إلى قول الطَّرْمَاح:

تَمِيمٌ بِطَرُقِ اللَّؤْمِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا وَلَوْ سَلَكْتَ طَرُقَ الْمَكَارِمِ ضَلَّتَ^(٥)

* * *

= جسمها، والرقش: جمع رقشاء وهي الحية المنقطة بسواد وبياض، والناقص: الشديد خبر عن السم، وقيل: الصواب نصبه.

(١) هو لأبي تمام من نسيب له في بعض قصائده، والرمضاء: الأرض الحارة، وقوله «تلتضي» بمعنى تتوقد، والأحفى: الأشفق.

(٢) فيه تلميح أيضاً إلى قصته الآتية.

(٣) ذكر السعد أن عمراً هو جَسَّاس بن مرة، والحق أنه عمرو بن الحارث، وكان جَسَّاس قد أردفه خلفه لما ركب ليلحق كليلاً، فلما طعنه وبه رمق قال له:

أَغَشَنِي يَا جَسَّاسُ مِنْكَ بِشْرِيَّةٌ تَعُوْدُهَا فَضْلًا عَلَيَّ وَأَنْعَمُ

فقال له جَسَّاس: «تجاوزت الأحص وشيئاً»، ثم نزل عمرو فطعنه بسيفه، فلما علم أنه يريد الإجهاز عليه قال: «المستجير بعمر». وظاهر هذا أن البيت لكليب، وفي بعض روايات القصة ما يفيد أنه لغيره، وأنه يلمح به إلى قصته كبيت أبي تمام.

(٤) البازي: طير من الصقور يتصيد، والمطل: المشرف، وقوله «أتيح» بمعنى هيى وقدر، وضمير «لها» لنمير.

(٥) هو للطرماح بن حكيم، والطرق: جمع طريق، والقطأ: واحدة قطأة وهي طائر في حُجْم الحمام، وقيل: إنه نوع من الحمام، وقوله «ضلت» من ضل الطريق وضل عنه إذا لم يهتد إليه، يعني أنها لو أرادت سلوكها لم تهتد إليها.

تمرينات على السرقات الشعرية وما يتصل بها

تمرين ١-

بين موضع الأخذ ونوعه وحكمه في قول عمرو بن معديكرب:

والضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَيْضٍ مُرْهَفٍ والطَّاعِنِينَ مَجَامِعِ الْأَضْغَانِ
قَوْمٌ تَرَى أَرْمَاحَهُمْ يَوْمَ الْوَعَى مَشْغُوفَةً بِمَوَاطِنِ الْكُتْمَانِ
وقول مسلم بن الوليد وأبي تمام بعده:

لَا يَسْتَطِيعُ يَزِيدٌ مِنْ طَبِيعَتِهِ عَنِ الْمُرُوءَةِ وَالْمَعْرُوفِ إِحْجَامًا
تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ ثَنَاهَا لِقَبْضٍ لَمْ تُجِبْهُ أُنَامِلُهُ

تمرين ٢-

من أي أقسام الأخذ غير الظاهر ما يأتي:

١- قول أبي العتاهية:

إِنَّمَا النَّاسُ كَالْبَهَائِمِ فِي الرِّزِّ قِ سَوَاءٌ جَهْلُهُمْ وَالْحَكِيمُ
مع قول أبي تمام بعده:

فَلَوْ كَانَتِ الْأَرْزَاقُ تُجْرَى عَلَى الْحِجَى هَلَكُنْ إِذَنْ مِنْ جَهْلِهِنَّ الْبَهَائِمُ

٢- قول مسلم بن الوليد:

يَعْدُو عَدُوُّكَ خَائِفًا فَإِذَا رَأَى أَنْ قَدْ قَدَرْتَ عَلَى الْعِقَابِ رَجَاكَ
مع قول أبي تمام بعده:

إِذَا سَيْفُهُ أَضْحَى عَلَى الْهَامِ حَاكِمًا غَدَا الْعَقُومُ مِنْهُ وَهُوَ فِي السَّيْفِ حَاكِمُ

تمرين - ٣

ميز بين الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح فى الأمثلة الآتية :

١- قوله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت : ٤١].

٢- أشكو الأقارب لا يغيب جفاهم هم يعلنون لدى اللقاء مودتي
يغنى أذى صغيرهم وكبيرهم والله يعلم ما تكن صدورهم
٣- لم أنس موقفنا بكاظمة والدفع ينشد فى مسايله:
والعيش مثل الدار مسود هل بالطلول لسائل رد

٤- قول إبراهيم بن العباس الصولى : «فأبدلوه آجالا من آمال» ، مع قول مسلم ابن الوليد قبله :

موف على مهج فى يوم ذى رهج كأنه أجل يسعى إلى أمل
٥- قول أبى الطيب :

ولم أر فى عيوب الناس شيئا كنقص القادرين على التمام
مع قول أرسطو قبله : «أعجز العجزة من قدر أن يزيل العجز عن نفسه فلم يفعل» .

٦- قول أبى العلاء :

أفق إنما البدر المقنع رأسه
٧- قول أبى نواس :

بروحى غزال كان للناس قبله وقد زرت فى بعض الليالى مصلاؤه
ويقرأ فى المحراب والناس خلفه ولا تقتلوا النفس التى حرم الله
فقلت : تأمل ما تقول فإنها فعالك يا من تقتل الناس عيناه

الفصل الثانى

مواضع التأنيق فى الكلام

ينبغى للمتكلّم أن يتأنق فى ثلاثة مواضع من كلامه؛ حتى تكون أعذب لفظاً، وأحسن سبكاً، وأصحّ معنى^(١).

● حسن الابتداء: الأول الابتداء؛ لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان كما ذكرنا أقبل السامع على الكلام فوعى جميعه، وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه، وإن كان فى غاية الحسن.

فمن الابتداءات المختارة قول امرئ القيس:

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل^(٢) *

وقول النابغة:

كَلِّينِي لَهُمْ يَا أَمِيمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ^(٣)

وقول أبى الطيب:

(١) عذوبة اللفظ بسلامته من التنافر ونحوه، وحسن سبكه بسلامته من التعقيد، وزيادة صحة المعنى بمطابقته لمقتضى الحال.

(٢) هو من قوله فى مطلع معلقته:

قِفَا نَبْكُ مِنْ ذِكْرِى حَبِيبٍ وَمَنْزَلٍ بِسَقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ

والسقط: منقطع الرمل حيث يدق، واللوى: الرمل المعوج المتلوى، والدخول وحومل: موضعان، وقد روى الأصمعى العطف بينهما بالواو لأن «بين» لا يقع إلا على اثنين فصاعداً، وعلى رواية الفراء يقدر: «أى ما بين أماكن الدخول فحومل». وإنما حسن هذا المطلع؛ لأنه وقف فيه واستوقف، وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل، بلفظ مسبوك لا تعقيد فيه ولا تنافر.

(٣) هو لزياد بن عمرو المعروف بالنابغة الذبياني. وقوله: «كليني» أمر من وكل إليه كذا بمعنى سلمه إياه، والناصب: المتعب، وقد فضل هذا المطلع على السابق وإن كان أقل منه معاني؛ بأن شطريه متناسبان وألفاظه متلائمة.

أَتَظُنُّنِي مِنْ زَلَّةٍ أَتَعَتَّبُ قَلْبِي أَرْقُ عَلَيْكَ مِمَّا تَحْسَبُ^(١)

وقوله :

أَرِيقُكَ أَمْ مَاءُ الْغِمَامَةِ أَمْ خَمْرُ بِنْيِ بَرُودٍ وَهُوَ فِي كَبْدِي جَمْرُ^(٢)

وقوله :

فِرَاقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مُذَمِّمٍ وَأَمُّ وَمَنْ يَمَّمْتُ خَيْرُ مُيَمِّمٍ^(٣)

وقوله :

أُتْرَاهَا لِكثْرَةِ الْعُشَّاقِ تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِي الْمَاقِي^(٤)

وقول الآخر :

زَمُّوا الْجِمَالَ فَقُلْ لِلْعَاذِلِ الْجَانِي لَا عَاصِمَ الْيَوْمِ مِنْ مِذْرَارِ أَجْفَانِي^(٥)

• قبح الابتداء :

وينبغي أن يُجْتَنَبَ فِي الْمَدِيحِ مَا يُتَطَيَّرُ بِهِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يَتَفَاءَلُ بِهِ الْمَدْحُوحُ أَوْ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ ؛ كَمَا رَوَى أَنَّ ذَا الرِّمَّةَ أَنْشَدَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَصِيدَتَهُ الْبَائِيَةَ :

* مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ *^(٦)

(١) الزلة: الذنب، وقوله: «أتعتب» بمعنى ألوم، وقوله: «تحسب» بمعنى تظن، ينكر أن يلومه على ذنبه إليه بهجره ونحوه لرقه قلبه عليه.

(٢) هو لأبي الطيب أيضاً. والغمامة: السحاب، وبرود: صيغة مبالغة أى شديد البرد، والاستفهام فى البيت من باب تجاهل العارف للتدله فى الحب، وريقك وما عطف عليه خبر مبتدأ محذوف تقديره «هو» أى ما ذقته، وقوله: «بنى برود» مبتدأ وخبر.

(٣) هو لأبي الطيب أيضاً، وفراق خبر مبتدأ تقديره «حالى فراق»، والأم: القصد يعنى بذلك فراقه لسيف الدولة الحمدانى حين غضب عليه وقصده لكافور بمصر.

(٤) هو لأبي الطيب أيضاً، وقوله: «أتراها» بمعنى أظنها، والاستفهام للتقرير، والخلقة: الفطرة، والمآقى: جمع موق أو مؤق وهو مجرى الدمع من العين أى طرفها مما يلي الأنف.

(٥) لا يعرف قائله، وقوله: «زموا الجمال» بمعنى شدوا الرحال عليها للسفر، والعاذل: اللائم فى حبه، ومذارار الأجفان: دمعها الغزير السيلان.

(٦) هو من قول غيلان بن عقبة المعروف بذي الرمة فى مطلع له :

فقال هشام: «بل عينك».

ويقال: إن ابن مُقاتِلِ الضَّرِيرِ أنشد الدَّاعِيَ العَلَوِيَّ قصيدته التي أولها:

* مَوْعِدُ أَحْبَابِكَ بِالْفُرْقَةِ غَدٌ *^(١)

فقال له الداعي: «بل موعِدُ أَحْبَابِكَ، ولك المثل السوء».

وروى أيضاً أنه دخل عليه في يوم مهرجان وأنشد:

لَا تَقُلْ بُشْرَى وَلَكِنْ بُشْرِيَانِ غُرَّةُ الدَّاعِي وَيَوْمُ المَهْرَجَانِ^(٢)

فتطير به وقال: «أعنى يتبدى بهذا المهرجان!» وقيل: بطحه وضربه خمسين عصاً، وقال: إصلاح أدبه أبلغ في ثوابه.

وقيل: لما بنى المعتصم بالله قصره بالميدان وجلس فيه أنشده إسحاق الموصلي:

يَا دَارُ غَيْرِكَ الْبَلَى وَمَحَاكَ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَبْلَاكَ^(٣)

فتطير المعتصم بهذا الابتداء وأمر بهدم القصر.

ومن أراد ذكر الديار والأطلال في مديح فليقل مثل قول القطامي:

* إِنَّا مُحْيُوكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلَلُ^(٤) *

أو مثل قول أشجع السلمي:

= ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كُلى مفرية سَرَبٍ
والكلى: جمع كلية أو كلوة وهما كليتَانِ في الجسم لإفراز البول، والمفرية: المقطعة،
والسرب: السائل، وقيل: إنشاده كان لعبد الملك بن مروان.

(١) هو مطلع أرجوزة لنصر بن نصر الحلواني، وكنيته ابن مقاتل كما هنا، لكن الذي في «مروج الذهب» و«الصناعتين» أنها أبو المقاتل، وهو يمدح بها محمد بن زيد الحسيني الداعي صاحب طبرستان، والفرقة: اسم من الفراق وقيل: إنه اسم موضع ولكنه يوهم ذلك فتطير منه.

(٢) الغرة: بياض الجبهة، ويوم المهرجان: أول يوم من فصل الخريف، وهو من أعياد الفرس.

(٣) هو لإسحاق بن إبراهيم الموصلي، والبلَى: مصدر بلَى الثوب بمعنى رَثَّ. وقوله «ليت شعري» بمعنى ليت علمي جواب ما بعده من الاستفهام.

(٤) هو لعُمَيْرِ بن شَيْمٍ المعروف بالقطامي في مطلع له:

إِنَّا مُحْيُوكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلَلُ وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّيْلُ

والطلل: الشاخص من الآثار، والطيل: مدَى الدهر.

قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ خَلَعَتْ عَلَيْهِ جَمَالَهَا الْأَيَّامُ^(١)

• براعة الاستهلال:

وأحسنُ الابتداءات ما ناسب المقصودَ، ويسمى براعة الاستهلال^(٢)؛ كقول أبي تمام يهنئ المعتصم بالله بفتح عَمُورِيَّةٍ، وكان أهل التنجيم زعموا أنها لا تفتح في ذلك الوقت:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ^(٣)

بِيضُ الصَّفَائِحِ لَا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ^(٤)

وقول أبي محمد الخازن يهنئ ابن عبادٍ بمولودٍ لبنته:

بُشْرَى فَقَدْ أَنْجَزَ الْإِقْبَالَ مَا وَعَدَا وَكَوْكَبُ الْمَجْدِ فِي أَفْقِ الْعُلَا صَعَدَا^(٥)

وقول الآخر:

أَبْشِرْ فَقَدْ جَاءَ مَا تُرِيدُ أَبَادَ أَعْدَاءَكَ الْمُبِيدُ^(٦)

وكقول أبي الفرج السَّوَى يرثى بعض الملوك من آل بُويْهٍ - أظنه^(٧) فخر الدولة:

(١) هو مطلع قصيدة لأشجع بن عمرو السلمى فى مدح الرشيد، وقوله «خلعت» بمعنى طرحت. وفى رواية «ألقت».

(٢) هى أن يكون مطلع الكلام دالاً على غرض المتكلم من غير تصريح بل بإشارة لطيفة، والحق أنها من المحسنات البديعية، ولهذا يذكرها فيها كثير من العلماء.

(٣) الإنباء مصدر «أنبا» بمعنى أخبر، وحد السيف = مقطعه.

(٤) بيض الصفائح: السيوف، والصفائح: جمع صفيحة وهى وجه كل شىء ممدد عريض، وسود الصفائح: الكتب، والمتون: الظهور، وإنما نسب ذلك إليها لاعتماد حد السيف فى القطع عليها.

(٥) هو لعبد الله بن محمد المعروف بأبى محمد الخازن، والإقبال: قدوم الدنيا بالخير، والأفق: الناحية استعير للعلا، والمراد بكوكب المجد ذلك المولود على سبيل الاستعارة، وبصعوده: ظهوره، وإضافته للمجد على معنى اللام.

(٦) لا يعرف قائله. وقوله: «أباد» بمعنى أهلك، والمبيد: المهلك وهو الله تعالى، والجملة دعائية.

(٧) جاء فى «يتيمة الدهر» أنه فخر الدولة على القطع.

هِيَ الدُّنْيَا تَقُولُ بِلَاءٍ فِيهَا: حَذَارِ حَذَارِ مِنْ بَطْشِي وَفَتْكِي^(١)

وَكَذَا قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ يَرْتَى أُمَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ:

نُعِدُّ الْمَشْرِفِيَّةَ وَالْعَوَالِيَّ وَتَقْتُلُنَا الْمُنُونُ بِلَا قِتَالٍ^(٢)

وَنَرْتَبِطُ السَّوَابِقَ مُقَرَّبَاتٍ فَمَا يُنْجِينَ مِنْ خَبَبِ اللَّيَالِي^(٣)

حسن التخلّص: الثاني: التخلّص، ونعني به الانتقال مما شَبَّ^(٤) الكلام به من تشبيب أو غيره^(٥) إلى المقصود مع رعاية الملاءمة بينهما^(٦)؛ لأن السامع يكون مترقباً للانتقال من التشبيب إلى المقصود كيف يكون؛ فإذا كان حسناً متلائماً الطرفين؛ حرّك من نشاط السامع، وأعان على إصغائه إلى ما بعده، وإن كان بخلاف ذلك؛ كان الأمر بالعكس.

فمن التخلّصات المختارة قول أبي تمام:

يَقُولُ فِي قَوْمِ قَوْمِي وَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ السُّرَى وَخَطَا الْمَهْرِيَّةَ الْقُودَ^(٧)

أَمْطَلَعَ الشَّمْسَ تَبْغَى أَنْ تَوْمَّ بِنَا فَقُلْتُ: كَلَّا وَلَكِنْ مَطْلَعُ الْجُودِ^(٨)

(١) هي: ضمير القصة، و«الدنيا» مبتدأ خبره الجملة بعده، والجملة خبر ضمير القصة، وملء الشيء: ما يملؤه، وهذا كناية عن قولها ذلك جهرةً بلا خفاء، والبطش: الأخذ بصولة وشدة، والفتك: مرادف له.

(٢) المشرفية: السيوف المصنوعة في مشارف الشام، والعوالى: الرماح، والمنون: المنية.

(٣) السوابق: الخيل، والمقربات: المدانة من البيوت لفرط الحاجة إليها أو للضن بها فلا ترسل إلى

المرعى، والخبب: ضرب من العدو لا يستفرغ الجهد؛ استعير لليالي.

(٤) أي ابتدء، وأصل التشبيب ابتداء القصيدة بذكر أمور الشباب، فاستعمل في مطلق الابتداء على سبيل المجاز المرسل.

(٥) التشبيب: النسب وغيره؛ كوصف الخمر ونحوه مما كانت القصيدة تبدأ به.

(٦) الحق أن حسن التخلّص بهذه الملاءمة يكون من المحسنات البديعية كبراعة الاستهلال.

(٧) قوميس: موضع متسع بين خراسان وبلاد الجبل، وقوله «أخذت» بمعنى أثرت، والسرى:

السير بالليل، والمهرية: الإبل المنسوبة إلى مهرة، والقود: الطويلة الظهور، والأعناق: جمع أقود.

(٨) قوله «توم» بمعنى تقصد، والشاهد في أنه أحسن التخلّص؛ بأن انتقل من مطلع الشمس إلى

المددوح بعد أن جعله مطلع الجود، فكان في الانتقال من الأول إلى الثاني مناسبة من جهة أن

كلا منهما مطلع لأمر محمود، والمراد بمطلع الجود عبد الله بن طاهر الذي مدحه بهذه

القصيدة.

وقول مسلم بن الوليد:

أَجِدْكَ مَا تَدْرِينِ أَنْ رَبَّ لَيْلَةٍ كَأَنْ دُجَاهَا مِنْ قُرُونِكَ تُنْشَرُ^(١)
سَهَرْتُ بِهَا حَتَّى تَجَلَّتْ بَغْرَةٌ كَغُرَّةٍ يَحْيَى حِينَ يُذَكَّرُ جَعْفَرُ^(٢)

وقول أبي الطيب يمدح المغيث العجلي:

مَرَّتْ بَنَا بَيْنَ تَرْيِيهَا فَقَلْتُ لَهَا : مِنْ أَيْنَ جَالَسَ هَذَا الشَّادِنُ الْعَرَبَا^(٣)
فَاسْتَضَحَكْتُ ثُمَّ قَالَتْ: كَالْمَغِيثِ يُرَى لَيْثُ الشَّرَى وَهُوَ مِنْ عَجَلٍ إِذَا انْتَسَبَا^(٤)
وقوله أيضاً:

خَلِيلِي مَا لِي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ فَكَمْ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمِنِّي الْقَصَائِدُ^(٥)
فَلَا تَعْجَبَا؛ إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ وَلَكِنْ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ^(٦)
الاقتضاب: وقد يَنْتَقِلُ مِنَ الْفَنِّ الَّذِي شُبِّبَ الْكَلَامُ بِهِ إِلَى مَا لَا يَلَائِمُهُ،

(١) قوله: «أجدك» بكسر الجيم وفتحها ولا يقال إلا مضافاً، وهو منصوب على نزع الخافض أى أبجدك، فإذا كسرت جيمه فهو استحلاف بالحقيقة، وإذا فتحت فهو استحلاف بالبحت. والدجى: الظلمة، والقرون: خُصِّلَ الشعر، وقوله «تنشر» بمعنى تبسط وتمد، وهذا من التشبيه المقلوب.

(٢) قوله: «تجلت» بمعنى ظهرت وانكشفت، والغرة: بياض الجبهة، والشاهد فى تخلصه من النسب بالانتقال من غرة الصبح إلى الممدوح بعد أن جعل غرة الصبح كغرفته، فكان فى الانتقال من الأول إلى الثانى مناسبة من جهة أن كل غرة تشبه الأخرى والبيتان من قصيدة له فى مدح جعفر بن يحيى البرمكى.

(٣) قوله «تربىها» تشبة (ترب) وهو الصديق أو من وُلِدَ معها، والشادن: ولد الظبية؛ استعاره لمحبيته.

(٤) قوله: «كالمغيث» خبر مبتدأ محذوف وتقديره أنا، والشرى: طريق فى جبل سلمى كثيرة الأسد، وعجل: قبيلة المغيث، وفيه تورية؛ لأن معناه القريب: ولد البقرة، ولا يخفى أنها تورية باردة لا تليق بمقام المدح، والشاهد فى تخلصه من النسب إلى المدح بذلك الاستفهام وجوابه.

(٥) المراد بالدعوى: ادعاء الشعر وهو فى الأصل مصدر «ادعى الشيء» إذا زعم أنه له حقاً أو باطلاً.

(٦) المراد بسيف الدولة: ممدوحه ملك حلب، وفى ذلك تورية؛ لأن معناه القريب: السيف الذى يناضل عن الدولة به، والشاهد فى تخلصه إلى المدح بجعل انفراده بالشعر كاتفراده الممدوح بكونه سيف الدولة.

وَيُسَمَّى ذَلِكَ «الاقْتَضَابُ»، وهو مذهب العرب الأولِ وَمَنْ يليهم من الْمُخْضَرِّمِينَ^(١)؛ كقول أبي تمام:

لو رأى الله أن في الشَّيْبِ خَيْرًا جَاوَرَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَيْبًا^(٢)
كلَّ يومٍ تُبْدَى صُرُوفُ اللَّيَالِي خُلُقًا مِنْ أَبِي سَعِيدٍ غَرِيبًا^(٣)

الاقْتَضَابُ الْقَرِيبُ مِنَ التَّخْلِصِ: ومن الاقْتَضَابِ ما يقرب من التَّخْلِصِ^(٤) كقول القائل بعد حمد الله - أما بَعْدُ^(٥)؛ قيل: وهو^(٦) فصل الخطاب، وكقوله تعالى:

(١) المخضرمون: الذين قالوا الشعر في الجاهلية والإسلام، ومن الاقْتَضَابِ قولهم في التَّخْلِصِ: «دَعْ ذا أو عُدْ عن ذا» على أن منهم من كان يسلك مذهب التَّخْلِصِ كالمحدثين؛ ومن ذلك قول زهير: إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَكِنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمٌ
كما أن من المحدثين من يذهب في الاقْتَضَابِ مذهبهم؛ كأبي تمام في قوله الآتي: «لو رأى الله...» البيتين.

وقد اختلف في وقوع التَّخْلِصِ في القرآن؛ ف قيل: لا يقع فيه لأنه يقع في الغالب متكلفًا، والقرآن لا تكلف فيه، وقيل: إنه قد وقع فيه؛ كقوله تعالى في أول سورة يوسف: ﴿الرَّ، تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ، إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَيِّهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾.

فالسورة موضوعة لقصة يوسف، وقد افتتحها بذكر القرآن، ثم تخلص إليها هذا التخلص. وقيل: إن الاقْتَضَابَ وقع في القرآن أيضًا كما سيأتي؛ لأن التَّخْلِصَ ليس إلا محسنًا بديعًا، فلا يلزم من حسنه في الانتقال عدم صحة الاقْتَضَابِ، والقرآن لم يترك واديًا من أودية البلاغة إلا أخذ منه بنصيب.

(٢) الأبرار: المطيعون، والخلد: الجنة، والشيب: جمع أشيب بمعنى شائب.

(٣) صرُوف الليالي: حوادثها، وأبو سعيد هو محمد بن يوسف الثغري، والشاهد في انتقاله إلى المدح اقْتَضَابًا من غير تخلص.

(٤) في أنه لا يخلو من شيء من المناسبة والملاءمة.

(٥) إنما كانت اقْتَضَابًا لأن الانتقال فيها من الحمد أو نحوه إلى غيره من غير ملاءمة، وقد أشبهت التَّخْلِصَ بسبب أنه لم يؤت بما بعدها فجأة من غير قصد إلى ربطه بما قبله على نوع من الربط، لأنها بمعنى «مهما يكن من شيء بعد الحمد أو نحوه فإنه كان كذا وكذا»، وهذا يفيد أن ما بعدها مرتبط بالحمد، أو نحوه على وجه اللزوم.

(٦) أى «أما بعد»؛ لأنه يفصل بها بين ما قبلها من حمد الله ونحوه وما بعدها من المقصود، ويعنى فصل الخطاب الوارد في سورة ص: الآية ٢٠؛ فقد حملة عليه بعض المفسرين.

﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَأْبٍ﴾ [ص: ٥٥] أى: الأمر هذا، أو هذا؛ كما ذكر^(١).

وقوله تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَأْبٍ﴾^(٢) [ص: ٤٩]، ونحوه قول الكاتب: هذا باب، هذا فصل.

● حُسْنُ الانتهاء: الثالث الانتهاء؛ لأنه آخر ما يعيه السمع ويرتسم فى النفس؛ فإن كان مختاراً كما وصفنا^(٣) جبر ما عساه وقع فيما قبله من التقصير، وإن كان غير مختار كان بخلاف ذلك، وربما أنسى محاسن ما قبله.

فمن الانتهاءات المرضية قول أبى نواس:

فَبَقِيتَ لِلْعِلْمِ الَّذِى تَهْدِى لَهُ وَتَقَاعَسْتَ عَنْ يَوْمِكَ الْيَأْمِ^(٤)

وقوله:

وَإِنِّى جَدِيرٌ إِذْ بَلَغْتُكَ بِالْمُنَى وَأَنْتَ بِمَا أَمَلْتُ مِنْكَ جَدِيرٌ
فَإِنْ تَوَلَّنِى مِنْكَ الْجَمِيلَ فَأَهْلُهُ وَإِلَّا فَإِنِّى عَاذِرٌ وَشَكُورٌ^(٥)

(١) يعنى أن هذا خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ محذوف الخبر، ووجه الربط فى ذلك أن الواو للحال؛ فنفيد مصاحبة ما بعدها لما قبلها برعاية اسم الإشارة المتضمن لمعنى عامل الحال وهو أشير، فالارتباط حاصل فى ذلك باسم الإشارة والواو معا.

(٢) وقيل: إن الاقتضاب المحض وقع فى القرآن؛ كقوله تعالى سورة القيامة: ٣-١٧:

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ (٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّىَ بَنَانَهُ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾.

فلا ارتباط بين قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ...﴾ وما قبله، ولكن هذا لا ينافى دخوله فى الغرض المقصود من السورة؛ كما أن الاقتضاب فى القصيدة لا ينافى دخول ما بعده فى الغرض المقصود منها.

(٣) فى أول هذا الفصل.

(٤) هو للحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس من قصيدة له فى مدح المأمون، وقوله «تهدى» بمعنى تدل، وقوله: «تقاعست» بمعنى تأخرت، والمراد بيومه: يوم وفاته، والشاهد فى حسن الانتهاء فى البيت؛ باشتماله على ذلك الدعاء المؤذن بالانتهاء.

(٥) هما لأبى نواس أيضاً فى مدح الخصيب بن عبد الحميد الماردى، والجدير: المستحق، والمنى: ما يتمنى ويطلب، وقوله: «تولنى» بمعنى تعطنى، وقوله: «فأهله» على تقدير فأنت أهله، وحسن الختام فى قوله «وإلا فإننى عاذر وشكور» فإن قبول العذر يقتضى انقطاع الكلام، =

وقول أبي تمام فى خاتمة قصيدة فتح عمورية:

إن كان بين صروف الدهر من رَحِمٍ موصولةٍ أو ذِمَامٍ غير مُقْتَضَبٍ^(١)

فبين أيامك اللاتي نُصِرْتَ بها وبين أيام بدرٍ أقربُ النَّسَبِ^(٢)

أَبْقَتْ بَنَى الأصْفَرِ المِمْرَاضِ كاسمِهِمْ صَفَرَ الوجوه وجلَّتْ أوجهُ العَرَبِ^(٣)

• براعة المقطع: وأحسن الانتهائات ما آذن بانتهاء الكلام^(٤) كقول الآخر:

بَقِيتَ بقاءَ الدهرِ يا كَهْفَ أَهْلِهِ وَهَذَا دُعَاءٌ لِلْبَرِيَّةِ شَامِلٌ^(٥)

وقوله:

فلا حَطَّتْ لك الهيجاءُ سَرَجًا ولا ذاقَتْ لك الدنيا فِرَاقًا^(٦)

وجميع فواتح السور وخواتمها واردة على أحسن وجوه البلاغة وأكملها؛ يظهر ذلك بالتأمل فيها مع التدبر لما تقدّم من الأصول^(٧).

والله الموفق للخيرات.

= والمراد شكور لعطاياه الماضية أو لإصغائه إلى مديحه.

(١) صروف الدهر: حوادثه، والرحم: القرابة، والذمام: الحق، والمقتضب: المقطوع.

(٢) يعنى بأيام بدر: يوم غزوة بدر وما كان قبله وبعده من الأيام المتممة له.

(٣) بنو الأصفر: الروم، والممراض: صيغة مبالغة يعنى أن صفته كانت لمرض لا خلقه فيه،

والعرب: تسمى الروم بنى الأصفر لبياضهم لما كان بين الشعوب من محاولة تنقيص بعضهم

لبعض، وحسن الختام فى هذا البيت؛ لأنه يفيد نهاية الفتح فيؤذن بانتهاء الكلام.

(٤) بأن يكون لفظاً موضوعاً للدلالة على الانتهاء ولو فى مجرى العرف والعادة؛ كالدعاء

والسلام، ويسمى الانتهاء الذى يؤذن بذلك: براعة المقطع.

(٥) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبى العلاء المعرى، أو لأبى الطيب، وقد ذكر صاحب

«معاهد التنصيص» أنه لم يجده فى ديوانهما، والكهف فى الأصل: الغار فى الجبل، والمراد

به الملجأ على سبيل الاستعارة، والبرية: الخلق، وإنما كان هذا دعاء شاملاً لهم؛ لأن بقاءه

سبب لصلاح حالهم.

(٦) هو لأبى الطيب، والخطاب لسيف الدولة. والهيجاء: الحرب، والسرّج: الرحل وقد غلب

استعماله للخيل.

(٧) لأن فواتحها تدور بين تحميدات ونداءات يقصد منها إيقاظ السامع لما يلقى إليه ونحو ذلك،

وخواتمها تدور بين أدعية ووصايا ونحوها مما يحسن الانتهاء به؛ كقوله تعالى فى ختام سورة

المؤمنون: ١١٨، ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾.

تمرينات على مواضع التأنق فى الكلام

تمرين [١]

بين المقصود من القصائد المَجْعول لها ما يأتى براعة استهلال:

- ١- المجدُ عُوْفِي إِذْ عُوْفِيَتْ وَالْكَرْمُ وَزَالَ مِنْكَ إِلَى أَعْدَائِكَ السَّقَمُ
- ٢- أَمَّا وَهَوَاهَا عِذْرَةٌ وَتَنْصُلَا لَقَدْ نَقَلَ الْوَأَشَى إِلَيْهَا وَأَمَحَلَا
- ٣- حُكْمُ الْمَنِيَّةِ فِي الْبَرِيَّةِ جَارِي مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بَدَارِ قَرَارِ

تمرين [٢]

ميز بين الاقتضاب والتخلص فيما يأتى:

- ١- وَبَدَأَ الصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ وَجْهَ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدَحُ
- ٢- كَأَنَّمَا قَوْلُنَا لِلْبَاطِلِ آدِرُ سُلَافَةً قَوْلُنَا لِلْمَزِيدِ هَبِ
- ٣- هَذَا وَكَمْ لِي بِالْجُنَيْنَةِ سَكْرَةٌ أَنَا مِنْ بَقَايَا شَرِبِهَا مَخْمُورُ
- ٤- فَدَعُ ذَا وَسَلِّ اللَّهُمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ ذَمُّوهُ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجَّرَا
- ٥- لَوْلَا الرَّجَاءُ لَمْتُ مِنْ أَلَمِ النُّوَى لَكِنَّ قَلْبِي بِالرَّجَاءِ مُوَكَّلُ
- إِنَّ الرَّعِيَّةَ لَمْ تَزَلْ فِي سِيرَةٍ عُمَرِيَّةٍ مُذْ سَاسَهَا الْمُتَوَكَّلُ

تمرين [٣]

بين لِمَ كانت الانتهات الآتية براعة مقطع:

- ١- فَمَا مِنْ نَدَى إِلَّا إِلَيْكَ مَحَلُّهُ وَلَا رِفْعَةٍ إِلَّا إِلَيْكَ تَسِيرُ
- ٢- بَقِيَتْ وَلَا أَبْقَى لَكَ الدَّهْرُ كَاشِحًا فَإِنَّكَ فِي هَذَا الزَّمَانِ فَرِيدُ
- ٣- عَلَيْكَ سَلَامٌ نَشَرُهُ كُلَّمَا بَدَأَ بِهِ يَتَغَالَى الطَّيِّبُ وَالْمُسْكُ يُخْتَمُ

* * *

فهارس الكتاب

أولاً: فهرس الآيات القرآنية مرتبة على ترتيبها في المصحف الشريف

الآية	سورة	صفحة	الآية	سورة	صفحة
١١١	البقرة	٣١	١٠٣	الأنعام	١١٦
١٣٨	البقرة	٢١	٢٦	الأعراف	٢٢
١٥٦	البقرة	١١٨	١٢٦	الأعراف	٥٣
١٨٧	البقرة	٢٤	١٥٥	الأعراف	١٠٥
٢٨٢	البقرة	١٢٣	٢٠٢، ٢٠١	الأعراف	٩٠
٢٦	آل عمران	٥	٤٤، ٤٣	الأنفال	٨٤
٣٠	آل عمران	٢٠	٣٢	التوبة	١١٨
١١٨	آل عمران	١١٦	٣٨	التوبة	٧٧
١٧٣	آل عمران	١١٧	٨٢	التوبة	١٢
٤٦	النساء	٥٧	١٩	يونس	١٩
٨٣	النساء	٧٤	٣١	يونس	٢٤
١٨	المائدة	٤٥	٣٧	هود	١١٨
٤٤	المائدة	٧	١٠٥	هود	٣٦
٥٩	المائدة	٥٣	١٠٧، ١٠٦		
٦٤	المائدة	١١٥	١٠٨	هود	٣٦
١٠٠	المائدة	١١٦	٤، ٣، ٢، ١	يوسف	١٣٧
١١٦	المائدة	٢٠	٥٥	يوسف	١١٥
١١٨	المائدة	١٦	٧٠	يوسف	١٢٦
٢٢	الأنعام	٥	١٨	الرعد	١١٧
٢٦	الأنعام	٧٤	١٢	الإسراء	٣٤
٥٢	الأنعام	٢٤	١٨	الكهف	٥
٧٦	الأنعام	٤٥	٤٦	الكهف	٣٢

الآية	سورة	صفحة	الآية	سورة	صفحة
٦٢	مريم	٥٢	٢٠	سورة ص	١٣٧
١٧	طه	٥٩	٤٩	سورة ص	١٣٨
٥	طه	٢٦	٥٥	سورة ص	١٣٨
٢٢	الأنبياء	٤٤	٢٤	غافر	١١٦
٣٣	الأنبياء	٨٩	٧٥	غافر	٧٤
٦٤	الحج	١٦	٢٨	فصلت	٣٩
١١٨	المؤمنون	١٣٩	٤٠	الشورى	٢٠
٣٥	النور	٤٣	٥٠ ، ٤٩	الشورى	٣٧
١٦٨	الشعراء	٧٧	٢٩	الفتح	١٠
٢٢	النمل	٧٥	٢٣	الذاريات	١١٥
٧٧	النمل	١١٥	٤٧	الذاريات	٢٦
٧٣	القصص	١٠	٢ ، ١	النجم	٨٣
٧٣	القصص	٣٠	٢ ، ١	القمر	٨٤
٤٠	العنكبوت	١٨	٥	الرحمن	١٤
٧ ، ٦	الروم	٧	٦ ، ٥	الرحمن	١٧
٢٧	الروم	٤٤	٣٧	الرحمن	٤٠
٤٣	الروم	٦٩	٥٤	الرحمن	٧٧
٥٥	الروم	٧٦	٢٦ ، ٢٥	الواقعة	٥٢
٣٧	الأحزاب	٧٧	٨٩	الواقعة	٧٦
٥٣	الأحزاب	١١٦	٢٨ ، ٢٩	الواقعة	٨٣
٧	سبأ	٦٠	٣٠		
١٣	سبأ	١٢٥	١٣	الحديد	١١٥
٢٤	سبأ	٦٠	١٠	المتحنة	٢٤
٣٢	فاطر	٣٧	٨	المنافقون	٦١
٧٣ ، ٧٢	الصفافات	٧١	٦	التحريم	٨
١١٨ ، ١١٧	الصفافات	٨٧	٣١ ، ٣٠	الحاقة	٨٣

الآية	سورة	صفحة	الآية	سورة	صفحة
١٠	نوح	٧٧	١٦ ، ١٥	الغاشية	٨٧
١٤ ، ١٣	نوح	٨٢	١٠ - ٥	الليل	١٣
٢٥	نوح	٧	١٠ ، ٩	الضحى	٩٠
٣	المدثر	٨٩	٨ ، ٧	العاديات	٧٤
من ٣ إلى ١٧	القيامة	١٣٨	٣ ، ٢ ، ١	العصر	٨٣
٢٠	الإنسان	١١٦	١	الهمزة	٧٤
٢ ، ١	المرسلات	٨٣	٢ ، ١	القييل	٨٣
٨	الطارق	١١٥	٣ ، ٢ ، ١	الناس	٨٢
١٤ ، ١٣	الغاشية	٨٢			

ثانياً: فهارس الحديث الشريف والآثار

الحديث	صفحة
حديث: «إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع»	٥
حديث: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»	١٢
«أنا أفصح العرب بيد أنى من قریش»	٥٢
الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم	٦٤
«الخیل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة»	٧٤
جاء في الخبر: اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا	٧٥
جاء في الخبر: «المؤمنون هينون لينون»	٧٥
«الظلم ظلمات يوم القيامة»	٧٦
«اللهم إني أدرأ بك في نحورهم وأعوذ بك من شرورهم»	٨٢
«شاهت الوجوه»	١١٧
«حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات»	١١٧
«اعملوا كل ميسر لما خلق له»	١١٩
«الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات»	١٢٣
«ازهد في الدنيا يحبك الله»	١٢٣
«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»	١٢٣
«إنما الأعمال النيات»	١٢٣
قول ابن عباس رضى الله عنه «لو بغى جبل على جبل لدك الباغى»	١٢٤
قول عائشة - رضى الله عنها - «لا جديد لمن لا خلق له»	١٢٤

ثالثاً: الحكم والأمثال

المثل	الترجمة	الرقم
مَنْ عَزَّ بَزَّ	من عزَّ بَزَّ	١٦
عَادَاتِ السَّادَاتِ سَادَاتِ الْعَادَاتِ	عادات السادات سادات العادات	٢٣
حَتَّى يَبْيُضَ الْقَارِ	حتى يبيض القار	٥١
الْبَرَايَا أَهْدَافُ الْبَلَايَا	البرايا أهداف البلايا	٧٤
رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً أَمْسَكَ مَا بَيْنَ فَكَيْهِ وَأَطْلَقَ مَا بَيْنَ كَفَيْهِ	رحم الله امرأة أمسك ما بين فكيه وأطلق ما بين كفيه	٧٥
مَنْ طَلَبَ وَجَدَ وَجَدَ	من طلب وجد وجد	٧٥
مَنْ قَرَعَ الْبَابَ وَلَجَ وَلَجَ	من قرع الباب ولج ولج	٧٥
النَّيْذُ بَغَيْرِ النِّعَمِ غَمٌّ، وَبَغَيْرِ الدَّسَمِ سَمٌّ	النبيذ بغير النعم غم، وبغير الدسم سم	٧٥
الْحِيلَةُ تَرُكُ الْحِيلَةَ	الحيلة ترك الحيلة	٧٧
سَائِلُ الْمَلِيْمِ يَرْجِعُ وَدَمْعُهُ سَائِلٌ	سائل المليم يرجع ودمعه سائل	٧٧
إِنْ بَعْدَ الْكَدْرِ صَفَوْا وَبَعْدَ الْمَطَرِ صَحَوْا	إن بعد الكدر صفوا وبعد المطر صحوا	٨٢
لَيْكِنْ إِقْدَامُكَ تَوَكُّلاً وَإِحْجَامُكَ تَأَمُّلاً	ليكن إقدامك توكلاً وإحجامك تأملاً	٨٢
مَا أَبْعَدَ مَا فَاتَ وَمَا أَقْرَبَ مَا هُوَ آتٍ	ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت	٨٤
مَا اشْتَارَ الْعَسَلُ مِنْ اخْتَارِ الْكَسَلِ	ما اشتار العسل من اختار الكسل	٩١
لَا جَدِيدَ لِمَنْ لَا خَلْقَ لَهُ	لا جديد لمن لا خلق له	١٢٤

رابعاً: فهرس القوافى الواردة فى الإيضاح، وبغية الإيضاح

ص	القائل	القافية	ص	القائل	القافية
١١٦	الأبيوردى	الأحسابُ		(أ)	
١١٦	الأبيوردى	كذابُ	٥٦	بشار بن برد	سواءُ
١١٦	أبو منصور عبد الرحمن بن سعيد	الألبابُ	٧٧	البحترى	هباءُ
١١٦	» » » »	حجاب	٧٧	»	سناء
١٠٢	ابن نباتة السعدى	حواجبُ	٩٦	محرز بن المعكير الضبى	لقاءُ
١٠٢	» » » »	شوارب	٩٩	غير مذكور	شاءوا
٩١	أبو الطيب المتنبى	مغيب	٤٦	أبو الطيب المتنبى	الرحضاءُ
٩١	المتنبى	يجرب	٤٦	» » »	ضياء
١١١	»	خضاب	٥٩	زهير بن أبى سلمى	نساءُ
٣٠	البحترى	رطيب	١٠٠	أبو نواس	الداء
٦٩	أبو تمام	الكتائب	٧٣	المعتمد بن عباد	السناء
٣	الأخطل	غرابُ	٧٣	المعتمد بن عباد	العناء
٤	أبو تمام	مذهبُ	٧٣	المعتمد بن عباد	الهواءُ
٣٨	طريح بن إسماعيل الثقفى	كذبوا	١٠٠	غير مذكور	بكاء
٤٢	أبو الطيب المتنبى	أركبُ	٧٣	المعتمد بن عباد	الحياةُ
٤٥	النابعة الذبيانى	مطلبُ	١٠٠	غير مذكور	عداء
٤٥	النابعة الذبيانى	أكذبُ	٣٢	رشيد الدين الوطواط	سخاء
٤٥	النابعة الذبيانى	مذهبُ	١٠٠	أبو نواس	شاءوا
٤٥	النابعة الذبيانى	أقرب	٣٢	رشيد الدين الوطواط	ماء
٤٥	النابعة الذبيانى	أذنوا		(ب)	
٤٧	أبو الطيب المتنبى	الذئاب	١٠٥	أبو الطيب المتنبى	العذابُ
١١٨	القاضى منصور الهروى الأزدى	نتشعبُ	١٠٥	» » »	اقتراب
١١٩	القاضى منصور الهروى الأزدى	أبُ	١١١	البحترى	يسلبوا

ص	القائل	القافية	ص	القائل	القافية
١٣٤	أبو تمام	اللب	١١٩	القاضي منصور الهروي الأزدي	مقرب
١٣٤	أبو تمام	الرب	١٣٢	أبو الطيب المتنبي	تحسب
٧٢	أبو تمام	قواضب	٤٨	ابن المعتز	الوصب
١٣٩	أبو تمام	مقتضب	٤٨	ابن المعتز	عجب
١٣٩	أبو تمام	النسب	٨٦	أبو تمام	مرتقب
١٣٩	أبو تمام	العرب	١٣٣	ذو الرمة	سرب
١٣١	النابعة الذبياني	الكواكب	٧٩	أبو الحسن نصر المروغيناني	ذوائب
١٢٨	أبو تمام	الكرب	٤٤	غير مذكور	العجب
٥١	النابعة الذبياني	الكتائب	٤٤	» »	الطرب
١٣	أبو الطيب المتنبي	بي	٨٩	غير مذكور	القلب
٥٨	أبو نواس	للضب	١٢٥	منحول لامرئ القيس	كالجواب
٦٣	ربيعة بن سعد	شهاب	١٢٨	جرير	انصبابا
٦٣	دريد بن الصمة	قارب	١٠٢	أبو إسحاق إبراهيم الغزي	وحاجبا
٧٦	البحترى	أريب	٨٨	البحترى	مهريا
٣٤	غير مذكور	هاربة	٨٠	»	ضريبا
(ت)			٨٠	السرى الرفاء	ضريبا
١٢٨	الطرماح بن حكيم	ضلت	١٣٦	أبو الطيب المتنبي	العريا
٩٠	غير مذكور	جلت	١٣٦	أبو الطيب المتنبي	انتسبا
٩٠	» »	ذلت	١٣٧	أبو تمام	شيبا
٩٠	» »	تجلت	١٣٧	» »	غريبا
٨٥	أبو العتاهية	يموت	٢٩	جرير	غضابا
(ج)			١١١	جرير	غضابا
١٠١	بشار بن برد	اللهج	٥٥	المتنبي	يثوبا
٦	أبو الحسن بن رشيق القيرواني	عجاج	٥٥	أبو الطيب المتنبي	الذنوبا
(ح)			٧٠	أبو الفتح البستي	ذاهبه
٨٠	القاضي الأرجاني	فلاح	٥١	الكميت بن زيد الأسدي	الكلب
٨٠	» »	شحاح	١١٠	القيسراني	الترب

القافية	القائل	ص	القافية	القائل	ص
مستباح	القاضي الأرجاني	٨٠	التوحيد	أبو إسحاق الصابي	٢٢
أوتياحا	أبو طالب المأموني	٤٨	مزيدي	أبو إسحاق الصابي	٢٢
رواحا	أبو طالب المأموني	٤٨	سودا	عبد الله بن الزبير الأسدي	٢٤
الضاحي	البحترى	٥٩	سمودا	» » » »	٢٤
الجوانح	الخنساء (تماضر بنت عمرو)	٧٤	صعد	أبو محمد الخازن عبد الله بن محمد	١٣٤
٨٦١	(د)		أبد	إبراهيم بن العباس الصولي	٣٥
لمعبد	أبو تمام	٩٩	مضطردا	إبراهيم بن العباس الصولي	٣٥
مردد	» »	٩٩	غدا	إبراهيم بن العباس الصولي	٣٥
مغمد	أبو الطيب المتنبي	١١١	الأسد	أرطاة بن سهية	٤٠
تشهد	» » »	١١١	الوتد	أحد شعراء الفرس	٣٤
معبد	البحترى	١١٣	الكبد	أحد شعراء الفرس	٣٤
غد	مطلع أرجوزة لابن مقاتل	١٣٣	ودادى	ابن عجاج الحسين بن أحمد	٦٢
المبيد	غير معروف	١٣٤	بالأبادى	ابن عجاج الحسين بن أحمد	٦١
عمد	» »	١٢٦	نجد	أبو تمام	٧٦
الوتد	أبو تمام	٣٣	زندى	أبو تمام	٨٥
السهاد	أبو الطيب المتنبي	١٠٧	لمعبد	غير مذكور	٩٩
القتاد	أبو الطيب المتنبي	١٠٧	تجلد	طرفة	١٠١
مفسده	أبو العتاهية	٣٢	اليد	»	١٠١
بالعبد	غير مذكور	١٢٦	البلاد	أبو تمام	١٠٤
القصاصد	المتنبي	١٣٦	وزادى	أبو تمام	١٠٤
واحد	أبو الطيب المتنبي	١٣٦	غادى	أبو الطيب المتنبي	١٠٥
أحد	غير مذكور	٣٣	الردى	الحريرى	٩٠
مرد	أبو الطيب المتنبي	٣٦	غدا	»	٩٠
عدوا	أبو الطيب المتنبي	٣٦	يقتدى	»	٩٠
خالد	أبو الطيب المتنبي	٥٤	يولد	ابن الرومى	٩١
سودا	أبو تمام	١١	وأرغد	»	٩١
المحمودا	أبو إسحاق الصابي	٢٢	البلاد	أبو الطيب المتنبي	١٠٥

القافية	القائل	ص	القافية	القائل	ص
أكبرُ	محمد الشجاعى	١١٦	ثغرُ	أبو العباس الناشئ	١٧
يفخرُ	أبو العتاهية	١٢٣	الدهرُ	يحيى بن منصور الحنفى	٢٦
ثغر	أمية بن أبى الصلت	١٢٠	(س)		
ضرار	غير مذكور	١١١	ملايسا	غير مذكور	٢٨
جعفر	مسلم بن الوليد	١٣٦	وكسا	ابن سكرة (محمد بن عبد الله)	١٢٧
جديرُ	أبو نواس	١٣٨	حبسا	ابن سكرة (محمد بن عبد الله)	١٢٧
شكورُ	أبو نواس	١٣٨	آس	ابن خلكان	١٢٧
القمرُ	محمد بن وهيب	٣٢	باسِ	ابن خلكان	١٢٧
جآزرا	أبو القاسم الزاهى	٣٧	الآس	ابن خفاجة الأندلسى	١٥
أخيرا	أبو الفضل بديع الزمان الهمداني	١١٥	الأدراس	أبو تمام	١٢١
كبيرا	» » » »	١١٥	العيس	عبد الله بن مالك القرطبى	٦٩
الشعر	أبو العلاء	٧٢	(ص)		
عرارِ	الصمة القشيري	٧٨	قميصا	أبو الرقعمق	١٩
الخصرِ	أبو العلاء	٨١	(ض)		
الجوهر	عماد الدين	٢٧	مريضا	ابن الربيع عبد الله بن الفضل	٢٨
الدفاتر	البهاء زهير	٢٩	مفروضا	ابن الربيع عبد الله بن الفضل	٢٨
الأخضر	غير مذكور	١٠	عارض	غير مذكور	٦١
الخمَارِ	جرير	١١٠	(ع)		
التقصير	غير مذكور	١١٠	زرعوا	أبو الطيب المتنبي	٣٥
ثغرِ	العرجى	١٢٠	أسقع	أبو تمام	١١٢
بالنارِ	غير مذكور	١٢٨	تستطيع	عمرو بن معديكرب	١٩
وترِ	يحيى بن منصور الحنفى	٢٧	نفعوا	حسان بن ثابت	٣٥
الفجارِ	أبو تمام	٣٨	البدعُ	حسان بن ثابت	٣٥
البشرِ	الحسين بن عبد الله الغزى	٦٠	البيعُ	أبو الطيب المتنبي	٣٤
لجارِ	الفرزدق	٦	سرع	» »	٣٤
الأوتارِ	الفرزدق	٦	نافعُ	الناطقة الديباني زياد بن عمرو	١٢٧
كالتبرِ	أبو العباس الناشئ	١٧	الضواجع	» » »	١٢٧

القافية	القائل	ص	القافية	القائل	ص
يوشعُ	أبو تمام	١٢٧	(ف)		
المجرعُ	أبو تمام	١٢٧	أبو الطيب المتنبي	ظرفُ	٨٧
أنفعُ	أبو تمام	١٠٦	الفرزدق	تعرفُ	١٠١
أوسعُ	أشجع بن عمرو السلمي	١٠٩	غير مذكور	وتعظفني	٨٩
يجزعُ	أبو تمام	١٠٩	»	اكتشفني	٨٩
زرعُ	ابن الرومي (على بن العباس)	١١٨	ابن حيوس	ردفا	٣١
أضاعوا	الحريري القاسم بن علي	١٢٠	البحترى	الصوادف	٧٣
مولع	غير مذكور	١١٠	البحترى	شافني	٧٤
وقعُ	أبو تمام	١٢٦	ليلي بنت طريف الخارجية	طريف	٩
تطلعُ	أبو تمام	١٢٧	أبو العتاهية	خافا	٨٥
الوقوعا	أبو الطيب المتنبي	٧٥	(ق)		
متورعا	غير مذكور	٨٥	ابن الشحنة الموصلي	تعشقُ	١٠٣
ذراعا	أبو زياد بن الحر الأعرابي	١٠٨	عبد القاهر بن طاهر البغدادي	يليقُ	١١٩
موقع	ابن دويدة المغربي	٦٢	عبد القاهر بن طاهر البغدادي	أطيقُ	١١٩
تعي	ابن دويدة المغربي	٦٢	غير مذكور	خلقوا	٨
للتشيع	أبو الطيب المتنبي	٥٠	غير مذكور	رزقوا	٨
التوديع	أبو الطيب المتنبي	٥٠	عدي بن زياد العبادي	الخلقا	١٢٤
يسريع	غير مذكور	٧٧	أبو الطيب المتنبي	فراقا	١٣٩
المضاع	أبو تمام	٧٨	عبد القاهر الجرجاني	منتطقُ	٤٩
منعي	ابن الرومي	١١٧	مسلم بن الوليد	الغرقُ	٤٩
مودعي	القاضي الأرجاني	١٠٣	ابن أبي الأصبع	بارقُ	١٢١
مدمعي	القاضي الأرجاني	١٠٣	غير مذكور	صدقا	٤١
السماع	أبو تمام	١١٢	ابن أبي الأصبع	السوابقُ	١٢١
ضلوع	البحترى	٣٠	أبو تمام	السوابقُ	١٢٢
مدامعُ	أبو تمام	٥٠	أبو الطيب المتنبي	المآقي	١٣٢
هامعُ	أبو تمام	٥٠	أبو نواس الحسن بن هانيء	تخلقُ	٤٣
أطعُ	ابن زيدون	١٨	ابن حمديس الصقلي	رفيقُ	٤٣

ص	القائل	القافية	ص	القائل	القافية
٣٣	أبو تمام	جاهل	(ك)		
٣٧	المتنبى	غزلا	١١	دعبل بن على الخزاعي	فبكى
٣٩	غير مذكور	المرجل	٢٧	غير مذكور	شباك
٤٠	أعشى قيس	بخلا	٢٧	غير مذكور	كراكي
٤١	المتنبى	الحال	١٠٩	بكر بن النطاح	ورائك
٤١	الأعشى	الرجل	١٣٣	أبو إسحاق بن إبراهيم الموصلي	أبلاك
٤٢	عمرو بن الأيهم	ملا	١٣٥	أبو الفرج الساوي	وفتكى
٤٣	أبو العلاء المعري	الظلالا	(ل)		
٤٢	امرؤ القيس	فيغسل	٦	طفيل الغنوي	مبدول
٥٣	بديع الزمان الهمداني	الويل	٧	غير معروف	نقول
٥٩	امرؤ القيس	أغوال	٨	المتنبى	خمو لا
٥٨	»	بفعال	٨	»	المصقولا
٦٩	عيسى المخزومي	أهوال	٩	ابن حيوس	الضلال
٦٩	»	قتال	٩	»	النصال
٧٠	محمد بن عبد الله الأسدي	سبيل	٩	»	نزال
٧٩	غير مذكور	سلسيل	٤٦، ١١	أبو تمام	العالى
٧٩	أبو منصور الثعالبي	بلايل	٨٨، ٧	»	ذوابل
٧٥	غير مذكور	حال	١١	أبو تمام	المال
٨٨	غير مذكور	عدلوا	١٢	أبو دلامة	بالرجل
٨٨	غير مذكور	بذلوا	١٨	ديك الجن	للمعالى
٨٦	أبو فراس الحمداني	المعالى	٢٠	أبو تمام	المنزل
٨٧	امرؤ القيس	الحالى	٢١	السموئل بن عادياء	سلول
٩٥	غير مذكور	آمالى	٢٥	ابن الطثرية	قليل
٩٥	غير مذكور	الرجل	٢٧	البستي	الحمل
٩٨	أوس بن حجر	جاهل	٢٧	»	الخلل
٩٨	»	قائل	٣٣	أبو تمام	باطل
٩٨	زهير بن أبي سلمى	حائل	٣٣	»	مائل

القافية	القائل	ص	القافية	القائل	ص
يعقل	معن بن أوس	٩٨	الرجال	ابن المعتز	١٢٦
مزحل	»	٩٨	الطيل	القطامي	١٣٣
أول	»	٩٨	الليالي	المتنبى	١٣٥
تجمل	امرؤ القيس	١٠٠	قتال	»	١٣٥
فحومل	امرؤ القيس	١٣١	القبل	»	١٢٥
الأول	حسان بن ثابت	١٠٠	شامل	»	١٣٩
دليلا	أبو تمام	١٠٤	(م)		
لبخيل	أبو تمام	١٠٢	أعلم	البحتري	٧
وينيل	»	١٠٢	نم	بشار	٥
بخيلا	المتنبى	١٠٣	بحرام	البحتري	٩
سبلا	المتنبى	١٠٤	قديم	ابن رشيق القيرواني	١٥٣
البصل	بشار	١٠٧	تجم	»	١٥٥
الجميل	»	١٠٧	دما	البحتري	١٩
أفضل	الخنساء	١٠٨	يتعمى	الصاحب بن عباد	٢٤
قاتل	أشجع السلمي	١٠٨	اليتامى	»	٢٤
طائل	الطرماح	١١٠	مجرم	المتنبى	١٠٥
سؤال	المتنبى	١١٢	كلامى	البحتري	١٩
كامل	المتنبى	١١٠	يسام	زهير بن أبى سلمى	١٩
نواهل	أبو تمام	١١٣	بجرمى	زياد الأعجم	٢٢
تقاتل	أبو تمام	١١٣	النجوم	ابن الرومى	٣١
جميل	أبو القاسم الكاتبي	١١٧	رجوم	»	٣١
الوكيل	»	١١٧	مغرم	الفرزدق	٣١
مجمل	ابن التلميذ	١١٩	المقوم	»	٣١
المنزل	»	١١٩	كريم	قتادة بن مسلمة	٤
مجبولا	المتنبى	١٢٥	كلهم	غير مذكور	٥٣
الجمال	ابن المعتز	١٢٦	الرحيم	غير مذكور	٥٤
الزوال	»	١٢٦	الحجيم	غير مذكور	٥٤

ص	القائل	القافية	ص	القائل	القافية
١٣٨	أبو نواس	الأيام	٥٦	عبيد الله بن طاهر	نكرم
١٠١	العباس بن عبد المطلب (ن)	تعلم	٥٦	» » »	المقدم
٤	أبو الفتح البستي	دعاني	٦٢	القاضي الأرجاني	العظاما
٣٣	الوواء الدمشقي	شكليت	٦٢	» »	سقاما
٣٣	» »	العين	٦٠	ذو الرمة	أم سالم
٣٦	ابن شرف القيرواني	فن	٧٠	البستي	دمى
٣٦	» » »	الأمّن	٧٨	أبو تمام	مغرما
٤٤	القاضي الأرجاني	أكفاني	٨٨	غير معروف	نعم
٢٩	غير مذكور	افتتن	٨٨	غير معروف	قدم
٤٣	المتنبي	القنا	٨٨	القاضي الأرجاني	تدوم
٥٧	ابن حزم	الختن	٧٨	أبو تمام	فرجما
٥٧	» »	من	١١٠	أبو العلاء	اللطم
٤٣	المتنبي	لامكنا	١٠٦	المتنبي	الجهام
٦	القاضي الأرجاني	الغنى	١٠٧	أشجع السلمي	الإظلام
٧١	» »	لنا	١٠٧	» »	الأحلام
٧١	» »	جاملنا	٩٢	أبو تمام	اصطلما
٧٩	» »	آسن	١٠٩	العتبي	مذموم
٧٩	» »	واتركاني	١١٢	أبو الشيص	اللوم
٨٠	امرؤ القيس	بخزان	١١٨	عمر الخيام	همة
٨٠	الحريري	المثاني	١١٨	» »	مدلهمة
٨٠	»	المعاني	١١٨	» »	يتمه
٩٠	أبو العلاء	آسن	١٢٨	عمرو بن الحارث	أنعم
٩٠	» »	المحاسن	١٢٥	المتنبي	توهم
٧٨	الخليع الدمشقي	سكران	١٢٥	»	مظلم
١٠٣	بشار	أحيانا	١٣٢	»	ميمم
١٠٨	المتنبي	خرصانا	١٣٧	زهير بن أبي سلمى	هرم
			١٣٤	أشجع السلمي	الأيام

ص	القائل	القافية	ص	القائل	القافية
٣٠	ابن حيوس	إبريقه	١٠٩	المتنبى	يطعنا
٢٣	البحترى	دروعها	١٠٩	المتنبى	انثنى
٣٤	رشيد الدين الوطواط	حرها	١٠٤	الزمخشري	سمطين
٤٦	أبو هلال العسكري	لسانه	١٠٤	»	عين
٤٦	»	فكانه	١١٩	ابن العميد	سكن
٧١	المطوعى	تهذى بها	١٢١، ١٢٠	أبو تمام	الخشن
٧١	»	تهذيبها	١١٩	ابن العميد	حزن
٧٨	ذو الرمة	قليلها	١١٩	»	أنشدنى
٧٩	»	مقليلها	١٢٠	»	الزمن
٤٩	ابن ثوبة	بتأنيبها	١٢٦	غير مذكور	رهينه
٤٩	»	بها	١٢٦	غير مذكور	السفينه
٤٩	»	بتأديبها	١١٨	ابن أوزق	راجعوننا
٧٠	الحريرى	مصابه	١٣٣	ابن مقاتل الضرير	المهرجان
٧٠	»	صابه	١٢٢	سحيم بن وثيل	تعرفونى
٨٩	غير مذكور	بوصاله	١٣٢	غير مذكور	أجفانى
٨٩	غير مذكور	حاله		(هـ)	
٧٠	أبو تمام	عبدالله	١٤	عترة	يشيته
٢٥	غير مذكور	لأهله	١٨	ابن نباتة	قوافيها
١٠١	حاتم	خيمها	٢٤	المتنبى	مجلده
١٠١	الأعور	خيمها	٢٣	البحترى	نطيعها
١٢٢	ابن ملهم	أنكروه	٢٣	»	دموعها
١٢٢	»	تعرفوه	٢٩	ابن الوردى	رعاهها
١٢٣	الحسين الدمشقى	شاهدوه	٢٩	»	صدناها
١٢٣	»	فاكتبوه	٢٩	»	قصدناها
١٢٣	»	الوجوه	٢٩	»	مجرهاها
١٢٤	غير مذكور	أعدله	٢٩	غير مذكور	خاطره
١٢٤	غير مذكور	أسفله	٣٠	ابن حيوس	ريقه

[illegible]

رقم الإيداع: ١٤٧٩٢ لسنة ١٩٩٩
الترقيم الدولي: 0 - 295 - 241 - 977 I.S.B.N.

أحدث إصدارات مكتبة الآداب

- * قواعد اللغة العربية: للعلامة حنفى ناصف وآخرين.
- * جواهر البلاغة: تأليف السيد أحمد الهاشمى تحقيق حسن فجار محمد.
- * الإشارات والتنبيهات فى علم البلاغة: للجرجاني تحقيق الأستاذ الدكتور عبدالقادر حسين.
- * الإعراب الكامل لآيات القرآن الكريم: للأستاذ الدكتور عبدالجواد الطيب صدر منه سبعة عشر كتاباً.
- * البلاغة العالية: للأستاذ عبدالمتعال الصعیدی.
- * دراسة فى قواعد الإملاء: للأستاذ الدكتور عبدالجواد الطيب.
- * الأدب المقارن والتراث الإسلامى: أ.د. عبدالحكيم حسان.
- * موسوعة الأمثال القرآنية: أ.د. محمد عبدالوهاب عبداللطيف.
- * التوجيه البلاغى للقراءات القرآنية: د. أحمد سعد محمد.
- * أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: تحقيق للأستاذ عبدالمتعال الصعیدی.
- * الإعراب عن قواعد الإعراب: لابن هشام الأنصارى.
- * موسوعة عصر سلاطين المماليك: ٨ أجزاء - أ.د. محمود رزق سليم.
- * شذا العرف فى فن الصرف: للأستاذ الشيخ أحمد الحملاوى.
- * شرح النموذج فى النحو: للعلامة الزمخشري تحقيق أ.د. حسنى عبدالجليل.
- * المصباح فى المعانى والبيان والبديع: لابن الناظم تحقيق أ.د. حسنى عبدالجليل.
- * ميزان الذهب فى صناعة شعر العرب: للسيد أحمد الهاشمى تحقيق أ.د. حسنى عبدالجليل يوسف.
- * علم اللغة المقارن: د. حازم على كمال الدين.
- * نحو اللغة العربية: د. عادل خلف.